الإشراق

شرح مشارق الأنوار للصغاني

تأليف

المحدث الفقيه العلامة

أكمل الدين محمد بن محمد بن محمود البابرتي الحنفي

(ت ٧٨٦ هـ)

يطبع لأول مرة على سبعة أصول خطية

المجلد الرابع

اعتنى به وحققه

توفيق محمود تكلة الدمشقي

دار ابن حزم

الطَّبْعَةُ الأولى
١٤٤٧هـ - ٢٠٢٦م

9 789959 860903

ISBN: 978-995-986-090-3

الكتب والدراسات التي تصدرها الدار
تعبر عن آراء واجتهادات أصحابها

دار ابن حزم
بيروت – لبنان – ص.ب : 14/6366
هاتف وفاكس : 701974 – 300227 (009611)
البريد الإلكتروني : ibnhazim@cyberia.net.lb
الموقع الإلكتروني : www.daribnhazm.com

فصلٌ

فصَلَ هذا عمَّا قبلَهُ؛ لكونهِ نوعًا منَ الكلامِ مصدَّرًا بكلمَةِ: «أيُّما».

١٣٥٦ـ (م): أبو هُريرةَ رضي الله عنه: «أيُّما امرأةٍ أصابَتْ بَخُورًا، فلا تشهَدْ معنَا العِشَاءَ الآخرَةَ». [م: ٤٤٤]

* البَخُورُ ـ بفتحِ الباءِ الموحَّدةِ وتخفيفِ الخاءِ المعجمةِ ـ: ما يُتبخَّرُ بهِ، أو الفعلُ[1].

وسببُ النَّهي عن ذلكَ: أنَّه يؤدِّي إلى الفتنةِ.

قيلَ: في الحديثِ دليلٌ على جوازِ أن يقالَ: «العشاءُ الآخرةُ»، وأمَّا ما نُقلَ عن الأصمعيِّ أنَّه قالَ: من المُحَالِ قولُ العامَّةِ: العشاءُ الآخرةُ[2]؛ لأنَّه ليسَ لنا إلَّا عِشاءٌ واحدةٌ، فلا توصَفُ بالآخرةِ؛ فهو غلطٌ؛ لهذا الحديثِ.

١٣٥٧ـ (ق): أبو هُريرةَ رضي الله عنه: «أيُّما امرئٍ مسلمٍ أعتَقَ امرأً مُسلِمًا، استنقَذَ اللهُ بكلِّ عُضْوٍ منه عُضْوًا منهُ منَ النَّارِ». [خ: ٢٣٨١] [م: ١٥٠٩]

* قد تقدَّمَ الكلامُ عليهِ في البابِ الأوَّلِ، في قولِهِ[3]: «مَن أعتَقَ رقبةً مؤمنةً».

---

(١) انظر: «مختار الصحاح» للرازي اللغوي (ص: ٣٠).

(٢) انظر: «المقصور والممدود» لأبي علي القالي (ص: ٤٢٥).

(٣) تقدم برقم: (٣٢).

١٣٥٨ـ (م): جريرٌ رضي الله عنه: «أيُّما عبدٍ أبَقَ، فقَدْ بَرِئتْ منهُ الذِّمَّةُ». ويُروى: «أبَقَ من موَاليهِ، فقَد كفَرَ حتَّى يرجِعَ إليهِمْ». [م: ٦٩]

*المرادُ **بالذِّمَّةِ**: ذمَّةُ الإيمانِ؛ أي: عهدُهُ وخفارتُهُ، فإن كانَ مستحلًّا لإباقهِ فقد كفَرَ، فلم يَبْقَ لهُ ذمَّةُ الإيمانِ، وإن لم يكُنْ مستحلًّا فيكونُ معناهُ: فقد خرجَ عن حرمةِ المسلمينَ وذمَّتِهم، فتجوزُ العقوبةُ على إباقِهِ، وليسَ لأحدٍ أن يحُولَ بينَهُ وبينَ سيِّدِه في عقوبتِه الجائزةِ.

١٣٥٩ـ (م): أبو هُريرةَ رضي الله عنه: «أيُّما قريَةٍ أتيتُمُوهَا وأقمْتُم فيهَا فسهمُكُمْ فيهـا، وأيُّمـا قريَـةٍ عَصَـتِ اللهَ ورسـولَهُ، فـإنَّ خُمُسَـهَا للهِ ولرسُـولِهِ، ثمَّ هـيَ لكُمْ». [م: ١٧٥٦]

*قيلَ: معناهُ: إذا نزلَ الغزاةُ بقومٍ من أهلِ الذِّمَّةِ فإنَّ الضِّيافةَ تجِبُ عليهِم، وكانَ ذلك قبلَ فرضيَّةِ الزَّكاةِ؛ فإنَّها نسخَتْ سائرَ الإنفاقِ.

و(**أيُّما قريةٍ عَصَتِ اللهَ ورسُولَهُ**) أي: أهلِها، فلم يُسلِمُوا، ولم يقبَلُوا الجزيةَ (**فإنَّ خُمسَهَا للهِ**) يعني: بعد المقاتلةِ والمغالبةِ (**ثمَّ هيَ لكُمْ**) أي: أربعةُ الأخماسِ بطريقِ الغنيمَةِ.

وكأنَّ هذا القائلَ أرادَ من الزَّكاةِ الجزيةَ؛ لأنَّه صدَّرَ كلامَهُ بقولِهِ: بقومٍ من أهلِ الذِّمَّةِ، والزَّكاةُ ليسَت بفريضةٍ عليهِم، وقيلَ: يحتمِلُ أن يكونَ المرادُ بالأولى ما لم يُوجِفْ عليه المسلمونَ بخيلٍ ولا رِكابٍ، بل جلَا عنه أهلُه أو صالحُوا عليهِ، فيكونُ سهمُهُم فيهِ ـ أي: حقُّهُم مِن العطاءِ ـ كما يُصرَفُ الفَيْءُ، ويكونُ المرادُ بالثَّانيةِ: ما

أُخِذَ عَنوةً، فيكونُ غنيمةً، ويُخرَجُ منهُ[١] الخُمسُ، وباقِيه للغانِمِينَ، وهو معنى قولِهِ: (**ثمَّ هيَ لكُمْ**) أي: باقِيها.

وقد احتجَّ بهذا الحديثِ مَن لم يُوجِبِ الخُمسَ في الفَيْءِ، ويكونُ حجَّةً على الشَّافعيِّ رحمَه اللهُ في إيجابِهِ ذلكَ[٢]، وقد قيلَ: إنَّه مخالفٌ للإجماعِ.

١٣٦٠ـ (خ): عُمرُ رضي الله عنه: «أيُّما مُسلِمٍ شهِدَ له أربعَةُ نفَرٍ بخيرٍ أدخلَهُ اللهُ الجنَّةَ، قالَ: فقلنَا: يا رسولَ اللهِ؛ واثنَانِ؟ قالَ: واثنَانِ، قالَ: ثمَّ لم نسألْه عن الواحِدِ». [خ: ١٣٠٢]

* عن أبي الأسودِ، قالَ: أتيتُ المدينةَ وقد وقعَ بها مرضٌ، وهم يموتونَ موتًا ذريعًا، فجلَسْتُ إلى عمرَ، فمرَّتْ جنازةٌ فأُثني خيرًا، فقالَ عُمرُ: وجَبَتْ، ثمَّ مُرَّ بأُخرى فأُثني خيرًا، فقالَ: وجَبَتْ، ثمَّ مُرَّ بالثَّالثِ فأُثنيَ شرًّا، فقالَ: وَجبَتْ، فقلتُ: يا أميرَ المؤمنينَ؛ ما وجبَتْ؟ قالَ: قلتُ كما قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**أيُّما مُسلِمٍ شهِدَ له أربعَةُ نفَرٍ بخيرٍ أدخلَهُ اللهُ الجنَّةَ**»، قلنا: يا رسولَ اللهِ؛ وثلاثةٌ؟ قالَ: «**وثلاثةٌ**»، قلنا: واثنانِ؟ قالَ: «**واثنَانِ**»، ثمَّ لَم نسألْهُ عن الواحدِ[٣].

قولُه: (**فأُثنيَ خيرًا**)، قالَ بعضُهُم: صوابُه: «خيرٌ»، بالرَّفعِ، وكذلكَ هو في بعضِ الرِّواياتِ، و(**شرٌّ**) مثلُهُ. قالَ: وفي نصبِه بُعْدٌ في اللِّسانِ.

واعلمْ أنَّ المذكورَ في المتنِ يدلُّ على أنَّهم لم يقولوا: (**وثلاثةٌ**)، والمرويُّ عن

---

(١) في (م): «عنه».

(٢) انظر: «الحاوي الكبير» للماوردي (٨/ ٣٩١).

(٣) رواه النسائي (١٩٣٤)، وأحمد في «مسنده» (٢٠٤).

أبي الأسودِ يدلُّ على أنَّهم سألُوا عن الثَّلاثةِ، ثمَّ سألُوا عن الاثنَيْنِ، والظَّاهرُ: أنَّه من بابِ الاقتصارِ بالذِّكرِ.

ومِن الشَّارحِينَ مَن اعتمدَ على المذكورِ في المتنِ، وبنَى على ذلكَ كلامًا وقالَ: أعلى البيِّناتِ الأربعُ في إقامةِ حدٍّ خاصٍّ، فمتى شهِدَ لمسلمٍ أربعةٌ من المسلِمِينَ أُدخِلَ الجنَّةَ؛ لأنَّهم شهداءُ اللهِ في أرضهِ، ثمَّ لمَّا سألُوه عن البيِّنةِ الوُسطَى، وهي الاثنانِ أجابَهُم إلى ذلكَ؛ لأنَّ الأموالَ تثبُتُ بها، وثوابُ الجنَّةِ جزاءُ الأعمالِ، فهو بمنزلَةِ المالِ، ولم يسألُوا عن الواحدِ؛ إذ لا يثبُتُ بشهادةِ الفَرْدِ لنا شيءٌ، وقد يثبُتُ علينا؛ كصيامِ شهرِ رمضانَ.

فصلٌ

وفصلَ هذا عمَّا قبلَهُ؛ لكونِه نوعًا آخَرَ، حيثُ اتَّصَلَ بكلمةِ: «أيُّ» ضميرُ جمْعِ المخاطَبِ المذكَّرِ.

١٣٦١ـ (خ): ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: «أيُّكُم مالُ وارِثِهِ أحبُّ إليهِ مِن مالِهِ؟ قالُوا: يا رسولَ اللهِ؛ مَا منَّا أحدٌ إلَّا مالُهُ أحبُّ إليهِ مِن مالِ وارِثِه، قالَ: فإنَّ مالَهُ ما قدَّمَ، ومالُ وارِثِهِ مَا أخَّرَ». [خ: ٦٠٧٧]

* معناهُ ظاهرٌ.

وقولُه: (**فإنَّ مالَهُ ما قدَّمَ**) تأويلُه: مالُهُ الأنفعُ له ما قدَّمَ؛ أي: تصدَّقَ وصرَفَهُ في وجوهِ البرِّ والقُرُباتِ؛ فإنَّه جاءَ: «وهَل مالُكَ إلَّا ما أكلْتَ فأفنيْتَ، أو لَبِسْتَ فأبلَيْتَ، أو تصدَّقْتَ فأبقَيْتَ؟»(١)، ولا نزاعَ لمسلمٍ أنَّ الأخيرَ أنفعُ الأقسامِ.

وفيهِ: الحثُّ على فعلِ الخيرِ، وبَذْلِ المعروفِ.

١٣٦٢ـ (م): جابرٌ رضي الله عنه: «أيُّكُم يحبُّ أنَّ هذَا لهُ بدرهَمٍ؟». [م: ٢٩٥٧]

يعني: جَديًا أَسَكَّ ميِّتًا، فتناوَلَهُ فأخَذَ بأُذُنِهِ، فقالُوا: ما نُحبُّ أنَّه لنا بشَيءٍ، وما نصنَعُ بهِ؟ قال: «تحبُّونَ أنَّه لكم؟»، قالُوا: واللهِ لو كانَ حيًّا كانَ عَيبًا فيهِ أنَّهُ أسَكُّ، فكيفَ وهو ميِّتٌ؟ فقالَ: «واللهِ للدُّنيا أهونُ على اللهِ مِن هذَا عليكُمْ».

* قالَ: مرَّ النَّبيُّ ﷺ بالسُّوقِ داخلًا من بعضِ العاليَةِ، والنَّاسُ كنفَيْه، فمرَّ بجَدْيٍ أَسَكَّ مَيِّتٍ، فتناوَلَهُ فأخذَ بأُذُنِه، ثمَّ قالَ: «**أيُّكُم يحبُّ...**» إلى آخرِه.

---

(١) رواه مسلم (٢٩٥٨) من حديث مطرف بن عبد الله عن أبيه رضي الله عنه.

(**كنفَيْه**) أي: جانبَيْه، وهو منصوبٌ على الظَّرفِ، و(**النَّاسُ**) مبتدأٌ، والظَّرفُ خبرُه.

والأسَكُّ: هو صغيرُ الأُذُنَين، ضيِّقُ الصِّماخَين، وقيلَ: هو الَّذي لا يسمَعُ(١).

ودنيا: فُعلى من الدُّنُوِّ، بمعنى: القُربِ، وألِفُها للتَّأنيثِ(٢)، قيلَ: وهو صفةٌ لموصوفٍ محذوفٍ؛ أي: الحياةُ الدُّنيا، أو الدَّارُ الدُّنيا، ثمَّ كثُرَ استعمالُهُ حتَّى استُعمِلَ كالأسماءِ(٣)، فاستُغنِيَ عن ذكرِ موصُوفِها.

ومعنى **هوانِها على اللهِ**: أنَّها ليست مقصودةً بنفسِهَا، بل هي طريقةٌ موصلةٌ إلى ما هو المقصودُ بنفسِه، فليسَت معتدًّا بها، وقد أوضحَ النَّبيُّ ﷺ هذا المعنى بقولِهِ: «لو كانَتِ الدُّنيا تعدِلُ عندَ اللهِ جناحَ بعوضَةٍ ما سقَى منها الكافرَ شربةَ ماءٍ»(٤)، كذا قيلَ.

واعتُرِضَ بأنَّ ما ذُكِرَ يدلُّ على أنَّها وسيلةٌ، ولكنَّ الوسيلةَ إلى المقصودِ لا يمكنُ أن تكونَ مهدورةً بالكُلِّيَّةِ؛ لئلَّا يفوتَ المقصودُ الأصليُّ.

ومنَ النَّاسِ مَن قالَ: الدُّنيا مذمُومةٌ لا باعتبارِ كونِها وسيلةً، بل باعتبارِ أنَّها مُلْهيةٌ عن اللهِ، فإنَّه قالَ بعضُهم: كلُّ ما ألهاكَ عن مَولاكَ فهو دُنيَاكَ، وإذا كانَتِ الدُّنيا عبارةً عن ذلكَ، كانَ أهونَ على اللهِ من ذلكَ.

---

(١) انظر: «مطالع الأنوار على صحاح الآثار» لابن قرقول (٥/ ٤٩٠).

(٢) انظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير (٢/ ١٣٧).

(٣) في (م): «الأسماء».

(٤) رواه الترمذي (٢٣٢٠)، وابن أبي عاصم في «الزهد» (١٢٩)، من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه. وقال: هذا حديث صحيح غريب من هذا الوجه.

١٣٦٣ـ (م): عُقبَةُ بنُ عامرٍ رضي الله عنه: «أيُّكُم يُحبُّ أنْ يَغدُوَ كُلَّ يومٍ إلى بُطْحَانَ، أو إلى العقِيقِ، فيأتِيَ منه بناقَتَينِ كَومَاوَينِ في غيرِ إثمٍ، ولا قطِيعَةِ رحِمٍ؟ فقلنا: كلُّنَا يا رسولَ اللهِ يحبُّ ذلكَ، قال: أفلا يَغدُو أحدُكُم إلى المسجِدِ فيعلَمُ أو يقرأُ آيتينِ مِن كتابِ اللهِ خيرٌ لهُ مِن ناقتَينِ، وثلاثٌ خَيرٌ مِن ثلاثٍ، وأربَعٌ خيرٌ مِن أربَعٍ، ومِن أعدادِهِنَّ منَ الإبِلِ». [م: ٨٠٣]

* قالَ: خرجَ علينا رسولُ اللهِ ﷺ ونحنُ بالصُّفَّةِ، فقالَ: «أيُّكُم يُحبُّ...» إلى آخرِه.

(الصُّفَّةُ) سقيفةٌ كانَتْ في المسجدِ يأوِي إليها الفقراءُ.

و(يَغدُو) أي: يُبكِّرُ.

و(بُطْحَانَ) بضمِّ الباءِ الموحَّدةِ، وسكونِ الطَّاءِ المهملةِ، اسمُ وادٍ بالمدينةِ، ورُوي: بفتحِ الباءِ[1].

و(العقِيقِ) اسمُ وادٍ بالمدينةِ على ثلاثةِ أميالٍ منها، وقيلَ: ميلينِ، عليه أموالُ أهلِهَا، وفيه بئرُ رُومةَ[2]، وإنَّما خصَّهما بالذِّكرِ؛ لكونِهما أقربَ المواضعِ الَّتي يُقامُ فيها أسواقُ الإبلِ إلى المدينةِ.

والكوماءُ: هي النَّاقةُ العظيمةُ السَّنامِ المُشرِفَةُ[3]، وإنَّما ضَرَبَ المثَلَ بها؛ لأنَّها خيارُ مالِ العربِ وأحبُّها إليهم.

ومعنى قولِه: (في غيرِ إثمٍ) في غيرِ ما يُوجِبُ إثمًا؛ كغصبٍ وسرقةٍ، سمَّى مُوجِبَ الإثمِ إثمًا مجازًا.

---

(١) انظر: «معجم البلدان» لياقوت الحموي (١/ ٤٤٦).

(٢) انظر: «معجم البلدان» لياقوت الحموي (٤/ ١٣٨).

(٣) انظر: «الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية» للجوهري (٥/ ٢٠٢٥).

وقولُه: (**خيرٌ لهُ مِن ناقتَينِ**) خبرُ مبتدأٍ محذوفٍ؛ أي: هُما خيرٌ لهُ من ناقتَينِ.

وقولُه: (**ومِن أعدَادِهِنَّ مِنَ الإبِلِ**) متعلِّقٌ بمحذوفٍ؛ أي: ثلاثٌ خيرٌ من ثلاثٍ، وأربعٌ خيرٌ من أربعٍ، وأكثرُ من أربعٍ خيرٌ من أعدادِهِنَّ منَ الإبلِ، وعلى هذا القياسُ.

ووجهُ القِرانِ بينَ الآيةِ والنَّاقةِ الكوماءِ في مقامِ المخايَرةِ، والآيةُ الواحدةُ خيرٌ من الدُّنيا وما فيها، هو أنَّ هذا القولَ صدرَ منه ﷺ على وَفقِ ما كانَ المخاطَبُ يغتَنِمُه ويبتغِي حيازَتَهُ من المالِ، فبيَّنَ ﷺ أنَّ اشتغالَهُم بأمرِ الدِّينِ خيرٌ لهم ممَّا يكدَحُونَ فيهِ من طلبِ الرِّزقِ، والمرادُ: أنَّها خيرٌ لهم في أمرِ المعاشِ الَّذي يتوخَّونَهُ من ناقةٍ كومَاءَ، وأمَّا في أمرِ المعادِ فإنَّها خيرٌ من الدُّنيا وما فيها.

١٣٦٤ـ (م): أَبو هُريرةَ رضي الله عنه: «أَيُّكم يذكُرُ حينَ طلَعَ القمَرُ وهو مثلُ شِقِّ جفنَةٍ؟». [م: ١١٧٠]

قالَهُ لمَّا تذاكَرُوا ليلَةَ القدرِ عندَهُ.

* قالَ: تذاكَرْنَا ليلَةَ القدرِ عندَ رسولِ اللهِ ﷺ فقالَ: «**أيُّكم يذكرُ ليلةَ طلعَ القمرُ مثلَ شقِّ جفنةٍ؟**».

والشِّقُّ ـ بكسرِ الشِّينِ ـ: النِّصفُ، **والجَفنةُ** ـ بفتحِ الجيمِ ـ: معروفةٌ.

قالَ القاضِي: فيهِ إشارةٌ إلى أنَّها إنَّما تكونُ في أواخرِ الشَّهرِ؛ لأنَّ القمرَ لا يكونُ كذلكَ عند طلوعِهِ إلَّا في أواخرِ الشَّهرِ[1]، وقد تقدَّمَ الكلامُ على ليلةِ القَدْرِ[2].

---

(١) انظر: «إكمال المعلم بفوائد مسلم» للقاضي عياض (٤/ ١٤٨).

(٢) تقدم برقم: (١٣٨).

فصلٌ

فُصِلَ عمَّا قبلَهُ لذلكَ؛ لكونِ «أيٍّ» مضافًا إلى نكرةٍ.

١٣٦٥ـ (خ): أنسٌ رضي الله عنه: «أيُّ رجلٍ عبدُ اللهِ فيكُم؟». [خ: ٣٧٢٣]

يعني: عبدَ اللهِ بنَ سلامٍ.

قالَهُ لليهُودِ بعدَ إسلامِهِ، فقالُوا: خيرُنا وابنُ خيرِنَا، وسيِّدُنَا وابنُ سيِّدِنَا، قالَ: «أرأيتُم إِن أسلَمَ عبدُ اللهِ»، قالُوا: أعاذَهُ اللهُ من ذلكَ، فخرَجَ عبدُ اللهِ، فقالَ: أشهَدُ أن لا إلهَ إلَّا اللهُ، وأشهدُ أنَّ محمَّدًا رسولُ اللهِ، فقالُوا: شَرُّنَا وابنُ شرِّنَا، وانتقصُوهُ، فقالَ: هذَا الَّذي كنتُ أخافُ يا رسولَ اللهِ.

* تقدَّمَ الكلامُ فيهِ في البابِ الثَّاني، في قولِه[1]: «إنَّ ماءَ الرَّجُلِ غليظٌ أبيَضُ».

يقالُ: انتقصَ الشَّيءُ، وانتقصتُه أنا.

وقولُه: (هذَا الَّذي كنتُ أخافُ) إشارةٌ إلى المصدرِ الَّذي دلَّ عليهِ (انتقصُوهُ).

١٣٦٦ـ (م): ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنه: «أيُّ وادٍ هذا؟ قالُوا: وادِي الأزرَقِ، قالَ: كأنِّي أنظُرُ إلى مُوسى هابطًا مِن الثَّنيَّةِ ولهُ جؤارٌ إلى اللهِ بالتَّلبيةِ، ثمَّ أتى على ثنيَّةِ هَرشَى، فقال: أيُّ ثنيَّةٍ هذِهِ؟ قالُوا: ثنيَّةُ هَرشَى، قال: كأنِّي أنظُرُ إلى يونُسَ بنِ متَّى على ناقَةٍ حمرَاءَ جعدَةٍ عليهِ جُبَّةٌ مِن صُوفٍ خِطَامُ ناقتِهِ خُلبَةٌ، وهو يُلبِّي». [م: ١٦٦]

* (وادِي الأزرَقِ) وادٍ بينَ الحرَمَينِ، ولعلَّه سُمِّي بذلكَ لزُرْقَةِ مائِهِ[2].

---

(١) تقدم برقم: (٣٨١).

(٢) انظر: «الميسر في شرح مصابيح السنة» للتوربشتي (٤/ ١٢٣٩).

و(**هابطًا**) حالٌ مِـن (**موسَى**)، والهبوطُ: النُّزولُ من عالٍ. **والثنيَّةُ** في الجبلِ: كالعَقبَةِ فيهِ، أو هي الطَّريقُ العالي فيه(١).

والواو في (**ولهُ**) واو الحالِ، **والجُؤَارُ**: رفعُ الصَّوتِ(٢)، **والتَّلبيةُ**: هي قولُ الرَّجلِ: لبَّيكَ اللَّهمَّ لبَّيكَ... إلى آخرِه، ومعناهُ: إجابةً وطاعةً، والتَّثنيةُ للتَّكريرِ، كأنَّه قالَ: أجبتُكَ إجابةً بعدَ إجابةٍ، مثلُها في: حَنَانَيْكَ(٣)، وهَذَاذَيْكَ(٤).

و(**ثنيَّةُ هَرشَى**) في طريقِ مكَّةَ، قريبةٌ من الجُحْفَةِ، يُرَى منها البحرُ(٥).

والجعدَةُ: كثيرةُ اللَّحمِ(٦).

والخِطامُ ـ بكسرِ الخاءِ المعجمةِ ـ: الحبلُ الَّذي يُقادُ بهِ.

والخُلْبَةُ ـ بضمِّ الخاءِ المعجمةِ، والباءِ الموحَّدةِ، وسكونِ اللَّامِ ـ: حَبْلٌ يُتَّخَذُ من اللِّيفِ(٧).

فإن قيلَ: كيف يلبُّونَ ويحجُّونَ وهُم في الآخرةِ؟

وأُجِيبَ بما تقدَّمَ في البابِ السَّادسِ، في قولِه(٨): «لقد رأيتُنِي في الحِجْرِ»، واللهُ أعلمُ.

---

(١) انظر: «الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية» للجوهري (٦/ ٢٢٩٥).

(٢) انظر: «الغريبين في القرآن والحديث» لأبي عبيد الهروي (١/ ٣٠٧).

(٣) تحنُّنًا بعد تحنّنٍ. انظر: «الكتاب» لسيبويه (١/ ٣٤٨).

(٤) وهذاذيك: من الهذ، وهو سرعة القطع. انظر: «مجمل اللغة» لابن فارس (ص: ٨٩٠).

(٥) انظر: «لسان العرب» لابن منظور (٦/ ٣٦٣).

(٦) وفي «القاموس المحيط» للفيروزآبادي (ص٢٧٣): بعِيرٌ جَعْدٌ: كثيرُ الوَبَرِ.

(٧) انظر: «لسان العرب» لابن منظور (١/ ٣٦٥).

(٨) تقدم برقم: (١٢٣٨).

فصلٌ

وفُصِلَ عمَّا قبلَهُ لذلكَ؛ لوقوعِ الهمزةِ في صَدْرِه.

١٣٦٧ـ (ق): مالكُ بنُ بُحينَةَ[١] **رضي الله عنه: «آلصُّبحُ أربعًا، آلصُّبحُ أربعًا؟».**
[خ: ٦٣٢] [م: ٧١١]

*قيل: قالَهُ لرجلٍ صلَّى في الصُّبحِ ركعتَينِ، ثمَّ لمَّا أُقيمَتِ الصَّلاةُ قامَ فصلَّى ركعتَين أُخراوَيْن، والمعنى: أَصلَّيْتَ سنَّةَ الصُّبحِ أربعًا؟

وفيه دليلٌ على كراهةِ التَّنفُّلِ بعد طلوعِ الفجرِ بأكثرَ من ركعتَي الفجرِ، وفيه نظرٌ.

وفي روايةٍ أُخرى عنه[٢]: أُقيمَتْ صلاةُ الصُّبحِ، فرأى رسولُ اللهِ ﷺ رجلًا يُصلِّي والمؤذِّنُ يُقيمُ، فقالَ النَّبيُّ عليهِ السَّلامُ: «**أَتُصلِّي الصُّبحَ أربعًا؟**»، وهذا يشيرُ إلى أنْ لا صلاةَ عندَ إقامةِ الفرضِ.

وقد تقدَّمَ الكلامُ على معنى هذا الحديثِ في البابِ الخامسِ، في قولِه[٣]: «يا فلانُ؛ بأيِّ الصَّلاتَيْن اعتدَدْتَ؟».

١٣٦٨ـ (م): أَبو هُريرةَ رضي الله عنه: «أتدرُونَ ما الغيبَةُ؟ قالُوا: اللهُ ورسولُهُ أعلمُ، قالَ: ذكرُكَ أخاكَ بمَا يكرَهُ، قيلَ: أفَرَأيتَ إنْ كانَ في أخِي ما أقولُ؟ قالَ: إنْ

---

(١) انظر ترجمته: «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» لابن عبد البر (٣/ ١٣٤٨)، و«أسد الغابة في معرفة الصحابة» لابن الأثير (٥/ ١١).

(٢) عند مسلم (٧١١).

(٣) تقدم برقم: (١٠١٤).

كانَ فيهِ ما تقولُ فقَد اغتبتَهُ، وإنْ لم يكُنْ فيهِ ما تقولُ فقَد بهَتَّه». [م: ٢٥٨٩]

* **(بهَتَّه)** بفتحِ الهاء مخفَّفةً؛ أي: قلتَ فيه البُهتانَ، وعلى ما ذُكِرَ في الحديثِ كانَ الفرقُ بينَ الغِيبَة والبُهتانِ واضحًا، فلا يُعتبَرُ[1] بما قيلَ: الغيبةُ: ذِكرُ الإنسانِ في غَيبَتِه بما يكرهُ[2]، والبُهتانُ: أن يُقالَ لهُ الباطِلُ في وجهِهِ؛ فإنَّه مغايرٌ لمعنى الحديثِ، حيثُ لم يذكُرْ في البُهتانِ أن يكونَ في وجهِه.

وكلٌّ منهُما حرامٌ، لكنَّ الغيبةَ تُستَباحُ في مواضعَ:

أحدُها: مقامُ التَّظلُّمِ، يجوزُ للمظلومِ أن يقولَ لِمَن لهُ ولايةٌ وقدرةٌ على انتصافِهِ من ظالمِهِ: فلانٌ ظلَمَنِي، فعَلَ بي كَيْتَ وكَيْتَ.

والثَّاني: الاستعانةُ على تغييرِ المنكَرِ، يقولُ لِمَن يرجُو اقتدارَهُ على تغييرِهِ: فلانٌ يفعلُ كذا، فازْجُرْه عن ذلكَ، ونحوَه.

والثَّالثُ: الاستفتاءُ، يقولُ للمُفتِي: فلانٌ فعلَ بي كذا وكذا، فهل يجوزُ لي أن أنتقِمَ منه؟ قيلَ: والأولى في ذلكَ أن لا يُعيِّنَ، وإن عيَّنَ جازَ؛ لحديثِ هندَ حينَ قالَتْ: (إنَّ أبا سفيانَ رجلٌ شحيحٌ...)[3] الحديثَ.

الرَّابعُ: تحذيرُ المسلمينَ من الشَّرِّ، وذلك من وجوهٍ: منها: جرحُ المجروحِينَ من الرُّواةِ والشُّهودِ وغيرِ ذلكَ؛ فإنَّ فيهِ صَوْنَ الشَّريعةِ عمَّا لا يجوزُ فيها.

ومنها: الإخبارُ بالعيبِ عندَ المشاورَةِ في مواصلةِ إنسانٍ بمصاهرةٍ أو مسافرةٍ أو غيرِهما.

---

(١) في (ك): «معتبر».

(٢) في (ن): «يكرهه».

(٣) رواه البخاري (٢٠٩٧)، ومسلم (١٧١٤) من حديث عائشة رضي الله عنها.

ومنها: الإخبارُ بعيبِ ما يشتري المسلمُ وهو لا يعلَمُ بهِ؛ نصيحةً للمؤمنِ[١].

والخامسُ: ذكرُ الفاسِقِ بما يُجاهِرُ به من الفِسْقِ، لا بغيرِه، إلَّا بسببٍ آخرَ ممَّا تقدَّمَ.

والسَّادسُ: التَّعريفُ بما اشتُهِرَ به من اللَّقبِ؛ كالأعمَشِ، والأعرجِ، والأعمَى، والأقطَعِ، وإن أمكنَ التَّعريفُ بغيرِهِ فهو أَولى.

١٣٦٩ـ (م): أَبو هُريرةَ رضي الله عنه: «أَتَدرُونَ مَا هذَا؟ قلنَا: اللهُ ورسولُهُ أعلمُ، قالَ: هذا حَجَرٌ رُميَ به في النَّارِ منذُ سَبعِينَ خَرِيفًا، فهو يَهوِي في النَّارِ الآنَ حينَ[٢] انتهَى إلى قَعرِها». [م: ٢٨٤٤]

قالَهُ لمَّا سمعَ وَجبةً.

* قالَ: كنَّا مع رسولِ اللهِ ﷺ إذ سمعَ وَجْبةً، فقالَ: «**أَتَدرُونَ...**» إلى آخرِه.

الوَجْبةُ ـ بفتحِ الواوِ، وسكونِ الجيمِ ـ: السَّقطةُ[٣]، و(**يَهوي**) أي: يسقُطُ.

وقولُه: (**أَتَدرُونَ مَا هذَا؟**) دليلٌ على أنَّهم سَمِعُوا الوَجْبةَ بإخراقِ اللهِ العادةَ لَهُم في سماعِهِم ما لم يسمعْ غيرُهُم، والعادةُ تقتَضِي مشاركةَ مَنْ يسمَعُ في المسمُوعاتِ.

وفيه دليلٌ على أنَّ النَّارَ مخلوقةٌ، وأنَّ اللهَ أعدَّ فيها ما يشاءُ ممَّا يعذِّبُ بها، وهو مذهبُ أهلِ السُّنَّةِ رضيَ اللهُ عنهم.

---

(١) في (ن): «نصيحة المسلم»، وفي (م): «للمؤمنين».

(٢) لفظ «صحيح مسلم»: «حتى».

(٣) انظر: «الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية» للجوهري (١/ ٢٣٢).

١٣٧٠ـ (م): أَبو هُريرةَ رضي الله عنه: «أتدرُون مَنِ المفلسُ؟ قالُوا: المفلسُ فينا مَن لا دِرهمَ لهُ ولا مَتاعَ، قالَ: إنَّ المفلسَ من أُمَّتي مَن يأتي يومَ القيامةِ بصلَاةٍ، وصيامٍ، وزكاةٍ، ويأتِي قَد شتَمَ هذا، وقذَفَ هذا، وأكلَ مالَ هذا، وسفَكَ دمَ هذا، وضربَ هذا، فَيُعْطَى هذا مِن حسناتِهِ، وهذا مِن حسناتِهِ، فإنْ فنِيَتْ حسناتُهُ قبلَ أن يُقضَى ما عليهِ، أُخِذَ مِن خطاياهُم، فطُرِحَتْ عليه، ثمَّ يُطرَحُ في النَّارِ». [م: ٢٥٨١]

*معناهُ: أنَّ هذِه حقيقةُ المُفْلسِ، وأمَّا مَن ليسَ له مالٌ ومَن قلَّ مالُهُ وإن سمَّاه النَّاسُ مُفلِسًا، فهو أمرٌ يزولُ وينقطِعُ بموتِهِ، وربَّما زالَ بيسارٍ يحصُلُ له في حياتِهِ، وإنَّما حقيقةُ المُفلِس هي المذكورةُ في الحديثِ؛ لأنَّه الهالِكُ الهلاكَ التَّامَّ، والمعدومُ[1] العدمَ المنقطعَ، فتُؤخَذُ حسناتُه، أو يوضَعُ عليهِ سيِّئاتُ غرمائِهِ، ثمَّ يُلقَى في النَّارِ، فتتمُّ خسارَتُه وهلاكُه وإفلاسُه.

قالَ المازريُّ[2]: زعمَ بعضُ المبتدعةِ أنَّ هذا الحديثَ معارِضٌ لقولِه تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤]، وهذا غلطٌ وجَهالةٌ؛ لأنَّه إنَّما عُوقِبَ بوزرِهِ وظُلمِه، فتوجَّهَتْ عليهِ حقوقٌ لغُرَمائِه، فدُفِعَتْ إليهم حسناتُه، فلمَّا فرغَتْ وبقيَتْ بقيَّةٌ قوبلَتْ على ما اقتضَتْه حكمةُ اللهِ تعالى في خلقِهِ وعدلِهِ في عبادِه، فأخذَ قَدْرَها من سيِّئاتِ خصُومِه، فعُوقِبَ به في النَّارِ، فحقيقةُ العقوبةِ إنَّما هي بسببِ ظُلمِهِ وتعدِّيه، ولم يُعاقَبْ بغيرِ جريمةٍ منه، وهذا مذهبُ أهلِ السُّنَّةِ رضي الله عنهم[3].

---

(١) في (ك): «والمعدم».

(٢) في هامش (ص): في نسخة: «المازني».

(٣) انظر: «شرح النووي على مسلم» (١٦/ ١٣٦).

١٣٧١ـ (خ): عُمرُ رضي الله عنه: «أتدرِي مَن السَّائلُ؟ قلتُ: اللهُ ورسولُهُ أعلمُ، قالَ: فإنَّهُ جبرائيلُ أتَاكُم يُعلِّمُكُم دينكُم». [م: ٨][(١)]

* قد تقدَّمَ الكلامُ عليه في أوَّلِ هذا البابِ، في قولهِ[(٢)]: «الإسلامُ: أن تشهدَ أن لا إلهَ إلَّا اللهُ».

١٣٧٢ـ (ق): ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: «أترضَونَ أنْ تكونُوا ربعَ أهلِ الجنَّةِ؟ قُلنا: نَعَم، قالَ: أترضَونَ أن تكونُوا ثلُثَ أهلِ الجنَّةِ؟ قُلنا: نَعَم، قالَ: والَّذي نفسُ محمَّدٍ بيدِهِ؛ إنِّي لأرجُو أنْ تكُونُوا نصْفَ أهلِ الجنَّةِ، وذلك أنَّ الجنَّةَ لا يدخُلُها إلَّا نفسٌ مُسلِمةٌ، وما أنتُم في أهلِ الشِّركِ إلَّا كالشَّعرةِ البيضاءِ في جلدِ الثَّورِ الأسودِ، أو كالشَّعرةِ السَّوداءِ في جلدِ الثَّورِ الأحمرِ». [خ: ٦٢٦٦] [م: ٢٢١]

*معناهُ ظاهرٌ.

إنَّما تدرَّجَ في الكلامِ ولم يقُل ابتداءً: (نصفَ أهلِ الجنَّةِ)؛ لأنَّ ذلكَ أوقعُ في نفوسِهِم، وأبلغُ في إكرامِهِم؛ فإنَّ إعطاءَ الإنسانِ مرَّةً بعدَ أُخرى دليلٌ على الاعتناءِ بشأنِهِ.

وفيه: حملُهُم على تجديدِ الشُّكرِ للهِ تعالى وتكثيرِه.

ثمَّ إنَّه وقعَ في هذا الحديثِ: (نصفَ أهلِ الجنَّةِ)، وفي روايةٍ أُخرى: «شطرُ أهلِ الجنَّةِ»[(٣)]، فهل يكونُ المرادُ بالشَّطرِ هو النِّصفُ، أو غيرُ ذلك؟

---

(١) قلت: الحديث رواه مسلمٌ لا البخاريُّ.

(٢) تقدم برقم: (١٢٥٤).

(٣) رواه البخاري (٤٤٦٤)، ومسلم (٢٢١).

والظَّاهِرُ: أنَّ المرادَ به غيرُ ذلكَ؛ حملًا للكلامِ على الإفادةِ دونَ الإعادةِ؛ وذلكَ لأنَّه ثبتَ في حديثٍ آخرَ: «**إنَّ أهلَ الجنَّةِ عشرونَ ومئةُ صفٍّ، هذهِ الأمَّةُ منها ثمانونَ صفًّا**»[1]، وهذا دليلٌ على أنَّهم ثلثا أهلِ الجنَّةِ، ويكونُ النَّبيُّ عليه السَّلامُ ترقَّى من النِّصفِ إلى الثُّلثَيْنِ كما ترقَّى ممَّا قبلَهُ إليه.

وقولُه: (**لا يدخلُ الجنَّةَ إلَّا نفسٌ مسلمَةٌ**) صريحٌ في أنَّ مَنْ ماتَ على الكُفرِ لا يدخلُ الجنَّةَ أصلًا.

١٣٧٣ـ (ق): عُمرُ رضي الله عنه: «أترَونَ هذهِ المرأةَ طارحَةً ولدَها في النَّارِ؟ قُلنا: لا واللهِ، فقالَ: لَلَّهُ أرحمُ بعبادِهِ مِن هذِه المرأةِ بولدِها». [خ: ٥٦٥٣][م: ٢٧٥٤]

قالَهُ حين رأى امرأةً مِن السَّبي تسعَى إذْ وجدَتْ صَبيًّا في السَّبي أخذَتْهُ[2]، فألزقَتْهُ ببطنِها، فأرضعَتْهُ.

* قولُه: (**تسعَى**) من السَّعيِ، هو روايةُ البخاريِّ، قالَ القاضِي رحمَه اللهُ: هو الصَّوابُ، وفي جميعِ نسخِ مسلمٍ: «تبتَغِي» من الابتغاءِ، وهو أيضًا صوابٌ؛ لأنَّها كانت ساعيةً وطالبةً لابنِها[3].

وقولُه: (**طارحةً**) منصوبٌ على الحالِ، واللَّامُ في (**لَلَّهُ**) للابتداءِ؛ كما في قولِهِ تعالى: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾ [الضحى: ٤].

---

(١) رواه الترمذي (٢٥٤٦)، وابن ماجه (٤٢٨٩)، وأحمد في «مسنده» (٢٢٩٤٠)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٣٦٦)، وابن حبان في «صحيحه» (٧٤٥٩) من حديث بريدة رضي الله عنه قال الترمذي: هذا حديث حسن.

(٢) في (م): «فأخذته».

(٣) انظر: «إكمال المعلم بفوائد مسلم» للقاضي عياض (٨/ ٢٥٤).

وفي الحديثِ: بيانُ عِظَمِ رحمةِ اللهِ بعبادِهِ، ولطفِه بهم، وعفوِهِ عنهُم، وأنَّه أرحمُ بهِم من الوالدةِ بولدِها.

١٣٧٤ـ (م): أَبو هُريرَةَ رضي الله عنه: «أَتُريدُونَ أنْ تقولُوا كمَا قالَ أهلُ الكتَابِ مِن قبلِكُم: سمِعْنَا وعَصَينا؟ بلْ قولُوا: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥]». [م: ١٢٥]

قالَه لـمَّا نزلَتْ: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُۖ﴾ [البقرة: ٢٨٤]**، فقالُوا: كُلِّفْنَا مِن الأعمَالِ ما نُطِيقُ، الصَّلاةَ، والصِّيامَ، والجهادَ، والصَّدقةَ، وقَد أُنزلَتْ عليك هذه الآيةُ ولا[١] نُطيقُها.**

* اختلَفُوا في كونِ الآيةِ منسوخةً أو غيرَ منسوخةٍ، فرُوِيَ عن عبدِ اللهِ بنِ عُمرَ وعبدِ اللهِ بنِ عبَّاسٍ[٢] أنَّها منسوخةٌ بقولِه تعالى: **﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ﴾** [البقرة: ٢٨٦]، وعلى ذلكَ أكثرُ المفسِّرينَ من الصَّحابةِ ومَن بعدَهُم[٣].

وقالَ أبو هريرةَ ـ بعدَ قولِه[٤]: **﴿وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾** ـ: **فلمَّا اقترأَها القومُ وذلَّتْ**

---

(١) في (ب): «وما».

(٢) قال النحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٢٧٣): عن ابن عباس فيها ثلاثة أقوال: إحداهن: أنها منسوخة... والثاني: أنها غير منسوخة وأنها عامة يحاسب المؤمن والكافر والمنافق بما أبدى وأخفى فيغفر للمؤمنين ويعاقب الكافرون والمنافقون، والثالث: أنها مخصوصة وأنها في كتمان الشهادة وإظهارها.

(٣) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (٦/ ١١٣)، وابن الجوزي في «نواسخ القرآن» (ص: ٩٠).

(٤) روى النسخ عن أبي هريرة أبو حاتم في «تفسيره» (٣٠٦٠). وقال: وروي عن علي بن أبي طالب وابن عمر وابن عباس ـ في إحدى الروايات ـ وكعب الأحبار والشعبي والنخعي وعكرمة وسعيد بن جبير ومحمد بن كعب وقتادة؛ أنها منسوخة.

بها ألسنتُهُم أنزلَ اللهُ تعالى في إِثْرِها: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ﴾ إلى آخرِ قولِه: ﴿وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، فلمَّا فعلُوا ذلكَ نسخَها اللهُ تعالى، وأنزلَ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ﴾، قالَ: نعم، ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرًا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ﴾، قالَ: نعم، ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ﴾ قالَ: نعم، ﴿وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾، قالَ: نعم[(١)]. [(٢)]

وقالَ بعضُهُم: هي غيرُ منسوخةٍ؛ لأنَّه خبرٌ، والخبرُ لا يُنسَخُ[(٣)].

ورُدَّ: بأنَّه وإن كانَ خبرًا، فهو خبرٌ عن تكليفٍ ومؤاخذةٍ بما أمَرَ النَّبيُّ ﷺ أن يقولوا: (سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَا)، وهذهِ أقوالٌ وأعمالٌ للِّسانِ والقلبِ، ثمَّ نُسِخَ ذلك عنهُم برفعِ الحرجِ والمؤاخذةِ.

وقالَ قومٌ: نزلَتْ فيمَن يتولَّى الكفَّارَ من المؤمنينَ؛ أي: ﴿وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ﴾ [البقرة: ٢٨٤] مِن ولايةِ الكفَّارِ[(٤)].

١٣٧٥ـ (خ): أمُّ سلمَةَ رضي الله عنها: «أتُرِيدِينَ أنْ تُدخِلِي الشَّيطانَ بيتًا أخرجَهُ اللهُ منه؟». [م: ٩٢٢][(٥)]

قالَهُ لامرأةٍ جاءَت تُسْعِدُ أمَّ سلمةَ على البُكاءِ على أبي سلمةَ.

---

(١) من قوله: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتۡ ...﴾... سقط من (ع) و(ن) و(ص) و(ب) وجاء بدله: «إلى آخر السورة» وأشار إليها في هامش (ص) أنه في نسخة.

(٢) رواه مسلم (١٢٥).

(٣) انظر: «تفسير ابن أبي حاتم» (٢/ ٥٧٤).

(٤) قاله مقاتل في «تفسيره» (١/ ٢٣١).

(٥) قلت: الحديث رواه مسلمٌ لا البخاريُّ.

* قالَتْ: لمَّا ماتَ أبو سلمةَ قلتُ: غريبٌ، وفي أرضِ غربةٍ، لأبكينَّه بكاءً يُتحدَّثُ عنه، فكنتُ قد تهيَّأتُ للبكاءِ عليهِ إذ أقبلَتِ امرأةٌ منَ الصَّعيدِ تريدُ أن تُسعِدَني، فاستقبَلَها رسولُ اللهِ ﷺ فقالَ: «**أتُريدِينَ أنْ تُدخلِي...**» إلى آخرِه، فكففْتُ عن البكاءِ، فلَمْ أبكِ... الحديثَ.

قولُها: (**غريبٌ، وفي أرضِ غُربةٍ**) معناهُ: أنَّه من أهلِ مكَّةَ ماتَ بالمدينةِ.

وقولُها: (**لأبكينَّه بكاءً يُتحدَّثُ عنه**) أي: تنوحُ عليهِ نياحةً شديدةً على ما كانوا عليهِ منَ النِّياحةِ، وكانَ ذلكَ قبل أنْ يبلُغَهَا تحريمُ النِّياحةِ.

و(**الصَّعيدُ**) ما يكونُ على وجهِ الأرضِ(١)، والمرادُ به: أعالِي الأرضِ، وكأنَّها تريدُ عواليَ المدينةِ.

ومعنى قولِها: (**تُسعِدَني**) تساعدَنِي وتوافِقَني على البكاءِ والنَّوحِ(٢).

وقولُه: (**أتُريدِينَ أنْ تُدخلِي الشَّيطانَ بيتًا أخرَجهُ اللهُ منه؟**) يحتمِلُ أن يكونَ ذلكَ بسببِ صحَّةَ إسلامِ أبي سلمةَ، وحُسنِ هجرتِهِ.

١٣٧٦ ـ (ق): عائشةُ رضي الله عنها: «أتُريدِينَ أنْ ترجعِي إلى رِفَاعةَ؟ لا، حتَّى تذُوقِي عُسَيلتَهُ، ويذُوقَ عُسَيلتَكِ». [خ: ٤٩٦٠] [م: ١٤٣٣]

قالَهُ لامرأةِ رِفاعَةَ القُرظيِّ وقد طلَّقَها ثلاثًا.

*قالَتْ: جاءَت امرأةُ رِفاعةَ إلى النَّبيِّ عليه السَّلامُ فقالَتْ: كنتُ عندَ رِفاعةَ القُرظيِّ، فطلَّقني فبتَّ طلاقِي، فتزوَّجْتُ بعدَه عبدَ الرَّحمنِ بنَ الزَّبيرِ، وإنَّما معه مثلُ هُدبةِ الثَّوبِ، فتبسَّمَ رسولُ اللهِ ﷺ وقالَ... الحديثَ.

---

(١) انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (٢/ ٨).

(٢) انظر: «شرح النووي على مسلم» (٦/ ٢٢٤).

قالَتْ: وأبو بكرٍ عندَهُ، وخالدُ بن سعيدِ بن العاصِ بالبابِ ينتظِرُ أن يُؤذَنَ لهُ، فنادَى: يا أبا بكرٍ؛ ألا تسمَعُ هذهِ ما تجهرُ بهِ(١) عندَ رسولِ اللهِ ﷺ.

(الزَّبِير) بفتحِ الزَّاي وكسرِ الباء الموحَّدةِ.

وقولُها: (فبتَّ طلَاقِي) أي: طلَّقَنِي ثلاثًا.

وقولُها: (وإنَّما معَه مثلُ هُدْبةِ الثَّوبِ) كنايةٌ عن صِغَر هَنِه، وقلَّةِ غِنائه(٢).

والعُسَيْلَةُ: تصغيرُ العُسلَةِ، والعسلُ يُذكَّرُ ويؤنَّثُ، وقيلَ: أنَّثَها بتأويلِ الوَطاءَةِ(٣).

وفي الحديثِ دليلٌ على أنَّ المطلَّقةَ ثلاثًا لا تحلُّ للزَّوجِ الأوَّلِ حتَّى يطأَها زوجٌ آخرُ، وهو مذهبُ جميعِ العلماءِ من الصَّحابةِ والتَّابعينَ وعلماءِ الدِّينِ، إلَّا سعيدَ بنَ المسيَّبِ(٤)؛ فإنَّه ذهبَ إلى أنَّه إن عقدَ عليها آخرُ ولم يطأْها، حلَّتْ للزَّوجِ الأوَّلِ؛ عملًا بظاهرِ قولِهِ تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ﴾ [البقرة: ٢٣٠]، قالَ: النِّكاحُ للعقدِ حقيقةً، ولم يذهَبْ إلى ذلك إلَّا طائفةٌ من الخوارِجِ، وهو مخالفٌ للكتابِ والسُّنَّةِ والإجماعِ.

ولو وطِئَها في فاسدِ النِّكاحِ لم تحلَّ على الصَّحيحِ من مذهبِ الشَّافعيِّ(٥).

---

(١) في (م): «ما تجهر به هذه».

(٢) انظر: «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» للعيني (١٣/ ١٩٧).

(٣) انظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير (٣/ ٢٣٧).

(٤) روى سعيد بن منصور في «سننه» (٢/ ٧٥) (١٩٨٩) عن سعيد بن المسيب، قال: «أما الناس فيقولون: حتى يجامعها، وأما أنا فإني أقول: إذا تزوجها تزويجًا صحيحًا لا يريد بذلك إحلالًا لها، فلا بأس أن يتزوَّجها الأول».

(٥) في «بحر المذهب» للروياني (١٠/ ١٩١): فإذا أصابها بنكاح صحيح فغيَّب الحشفة في فرجها فقد ذاق العسلية، ظاهره يقتضي أن الإصابة بنكاح صحيح شرط في الإباحة وهو قوله الجديد، وإذا =

وقولُ خالدٍ: (ألا تسمَعُ هذِه ما تجهَرُ به) المرادُ به التَّعجُّبُ من تصريحِهَا وجهرِهَا بما هو مظنَّةُ الحياءِ عادةً.

١٣٧٧ـ (ق): البراءُ بنُ عازِبٍ رضي الله عنه: «أتعجبُونَ مِن لينِ هذه؟ لَمَنادِيلُ سعدِ بن مُعاذٍ في الجنَّةِ خيرٌ منهَا وألينُ». [خ: ٣٥٩١] [م: ٢٤٦٨]

*قالَ: أُهدِيَتْ لرسولِ اللهِ ﷺ حُلَّةُ حريرٍ، فجعلَ أصحابُه يمَسُّونَها ويتعجَّبونَ من لِينِها، فقالَ: «**أتعجبُونَ...**» إلى آخرِه.

والمناديلُ: جمع مِنديلٍ ـ بكسرِ الميمِ ـ في المفردِ، وهو الَّذي يُحمَلُ في اليدِ.

وفي الحديثِ إشارةٌ إلى عظَمِ منزلةِ سعدٍ في الجنَّةِ؛ فإنَّ أدنى ثيابِهِ فيها خيرٌ من هذهِ؛ لأنَّ المنديلَ أدنى الثِّيابِ؛ لأنَّه يُعَدُّ للوسَخِ والامتهانِ، فغيرُه أفضلُ منه لا محالةَ.

وفيه: إثباتُ الجنَّةِ لسعدٍ رضي الله عنه.

١٣٧٨ـ (ق): أبُو بَكرةَ رضي الله عنه: «أرأيتَ إنْ كانَ أسلمُ وغفارُ ومُزَينةُ وجُهَينةُ خيرًا مِن بني تميمٍ، وبني عامرٍ وأسدٍ وغطَفانَ، أخابُوا وخَسِرُوا؟ قالَ: نعمْ، قالَ: فوالَّذِي نفسِي بيدِهِ إنَّهم لأخيرُ منهُم». [خ: ٣٣٢٤] [م: ٢٥٢٢]

قالَهُ للأقرعِ بنِ حابسٍ حينَ قالَ: إنَّما بايعَكَ سُرَّاقُ الحَجِيجِ مِن أسلمَ وغِفارَ ومُزينةَ وجُهَينةَ.

= وطأها في نكاح فاسد لا تحصل الإباحة، وقال في القديم: تقع به الإباحة؛ لأنه في حكم النكاح الصحيح في المهر والعدة والنسب واسم النكاح.

*قد تقدَّمَ الكلامُ عليه في أوَّلِ هذا البابِ[١]، في قولِه[٢]: «الأنصارُ ومزينةُ وجُهَينةُ».

١٣٧٩ـ (ق): أنسٌ رضي الله عنه: «أرأيتَ إنْ مَنَعَ اللهُ الثَّمرَ، بِمَ تستَحِلُّ مالَ أخيكَ؟». [خ: ٢٠٩٤] [م: ١٥٥٥]

*قيلَ: سُئِلَ النَّبيُّ ﷺ عن السَّلَمِ في ثمرِ فلانٍ، فقالَ: «أمَّا في ثَمَر فلانٍ فلا، أرأيتَ لو منعَ اللهُ الثَّمرَ، بِمَ تستَحِلُّ مالَ أخيكَ؟».

وفي روايةٍ: «لو أذهبَ اللهُ الثَّمرَ بمَ يستَحِلُّ أحدُكم مالَ أخيهِ؟»[٣].

واستدلَّ به أصحابُنا على أنَّ السَّلَمَ في طعامِ رجلٍ بعينهِ لا يجوزُ.

والمرادُ بـ: (مالَ أخيهِ) رأسُ مالِ السَّلَمِ؛ أي: لو لم تحصُلِ الثَّمرةُ فبأيِّ طريقٍ يحلُّ رأسُ المالِ للمسلَمِ إليه؟ وقد رُويَ عن أنسٍ رضي الله عنه: «أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ نهى عن بيعِ الثِّمارِ حتَّى تُزهِيَ»، قيلَ: وما تُزْهِي؟ قالَ: «حتَّى تحمرَّ»، قالَ: «أرأيتَ إنْ منعَ اللهُ الثَّمرةَ بمَ يستَحِلُّ أحدُكُم مالَ أخيهِ؟»[٤].

قالَ ابنُ الأعرابيِّ: يقالُ: «زها النَّخلُ يَزهُو»: إذا ظهرَتْ ثمرَتُه، و«أزهَى يُزهِي»: إذا احمرَّ أو اصفرَّ[٥].

---

(١) في (ص): «الكتاب».

(٢) تقدم برقم: (١٢٥٦).

(٣) عند مسلم (١٥٥٥).

(٤) رواه البخاري (٢٠٨٦)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٦٠٧٢)، وابن حبان في «صحيحه» (٤٩٩٠).

(٥) انظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير (٢/ ٣٢٣).

وقالَ الخليلُ: «أزهَى النَّخلُ»: إذا بدا صلاحُه[١].

واستُدِلَّ به على عدمِ جوازِ بيعِ الثَّمرِ قبلَ بدوِّ الصَّلاحِ، وبدوُّ الصَّلاحِ: أن يأمنَ العاهَةَ؛ لأنَّه جاءَ في روايةٍ أُخرى: «**حتَّى يبدوَ صلاحُهُ، وتذهبَ عنهُ الآفةُ**»[٢]، وهو مذهبُ الشَّافعيِّ[٣]، وقالَ أصحابُه: الحديثُ حُجَّةٌ على أبي حنيفةَ وأصحابِه في جوازِ ذلكَ، وليسَ بشيءٍ؛ فإنَّه إذا باعَ ذلكَ بشرطِ القطعِ جازَ بالإجماعِ، وكذا إذا شرطَ القَطْعَ ثمَّ لَم يقطَعْ عندَهُم، فكانَ متروكَ الظَّاهرِ، ومثلُهُ لا يكونُ حُجَّةً، هذا إذا باعَ قبلَ بدوِّ الصَّلاحِ، وأمَّا إذا كانَ بعدَهُ فقد تقدَّم الكلامُ عليه في البابِ السَّادسِ، في قولِه[٤]: «إنْ بعتَ من أخيكَ ثمرًا».

١٣٨٠ ـ (م): أبو أُمامةَ رضي الله عنه: «أرأيْتَ حينَ خرجْتَ مِن بيتِكَ، أليسَ قَد توضَّأتَ فأحسنْتَ الوُضُوءَ؟ قالَ: بلى يا رسُولَ اللهِ، قالَ: ثُمَّ شهدْتَ الصَّلاةَ معنا، فقالَ: نَعَم يا رسولَ اللهِ، قالَ: فإنَّ اللهَ قد غفرَ لك حدَّك، أو ذنبَكَ». [م: ٢٧٦٥]

* قالَ: بينما رسولُ اللهِ ﷺ في المسجدِ ونحنُ قعودٌ معهُ إذ جاءَ رجلٌ فقالَ: يا رسولَ اللهِ؛ إنِّي أصبتُ حدًّا فأقِمْهُ عليَّ، فسكتَ عنهُ رسولُ اللهِ ﷺ، ثمَّ أعادَ فقالَ: يا رسولَ اللهِ؛ إنِّي أصبتُ حدًّا، فأقِمْهُ عليَّ، فسكتَ عنهُ[٥]، وقالَ ثالثةً، فأُقيمَتِ الصَّلاةُ،

---

(١) انظر: «شرح النووي على مسلم» (١٠/ ١٧٨).

(٢) رواه مسلم (١٥٣٤).

(٣) انظر: «المجموع شرح المهذب» للنووي (١١/ ٤١٠).

(٤) تقدم برقم: (١١٦١).

(٥) في (ص) زيادة: «رسول الله».

فلمَّا انصرفَ نبيُّ اللهِ ﷺ قالَ أبو أُمامةَ: فاتَّبعَ الرَّجلُ رسولَ اللهِ ﷺ حين انصرفَ، وتَبِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ أنظرُ ما يردُّ على الرَّجلِ، فلحِقَ الرَّجلُ رسولَ اللهِ ﷺ فقالَ: يا رسولَ اللهِ؛ إنِّي أصبتُ حدًّا فأقِمْهُ عليَّ، قال أبو أُمامةَ: فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**أرأيْتَ حينَ خرجتَ...**» إلى آخرِه.

وعن عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ رضي الله عنه: أنَّ رجلًا أصابَ من امرأةٍ قُبلةً، فأتى النَّبيَّ عليه السَّلامُ فذكرَ لهُ ذلك، قالَ: فنزلَتْ: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾ [هود: ١١٤]، فقالَ الرَّجلُ: ألي هذهِ يا رسولَ اللهِ؟ قالَ: «**لِمَن عَمِلَ بها من أمَّتي**»(١).

والمرادُ بـ﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾ في هذهِ الآيةِ: الصَّلواتُ الخمسُ، كذا نُقِلَ عن أكثرِ المفسِّرينَ(٢)، وقالَ مجاهدٌ: هو قولُ العبدِ: سبحانَ اللهِ، والحمدُ للهِ، ولا إلهَ إلَّا اللهُ، واللهُ أكبرُ(٣)، والأوَّلُ أنسبُ للحديثِ.

وقولُه: ﴿وَزُلَفًا﴾ أي: ساعاتٍ، ويدخلُ في صلاةِ ﴿طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ﴾ الصُّبحُ والظُّهر والعصرُ ﴿وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ﴾ المغربُ والعشاءُ.

وقولُه: (**أصبتُ حدًّا**) أي: شيئًا هو سببٌ له، وسمَّاه حدًّا؛ لعدمِ علمِهِ بموجِبِهِ، ولمَّا كانَ ذلك صغيرةً كفَّرَتْها الصَّلاةُ، بخلافِ ما لو كانَتْ كبيرةً.

قالَ القرطبيُّ في «شرحِ مسلمٍ»(٤): قيل: إنَّ هذا الرَّجلَ هو عَمرُو بنُ غَزيَّةَ(٥)،

---

(١) رواه البخاري (٤٤١٠)، ومسلم (٢٧٦٣).

(٢) انظر: «التفسير الوسيط» للواحدي (٢/ ٥٩٤)، و«التيسير في التفسير» لأبي حفص النسفي (٨/ ٢٨٢).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٥١٤) (١٨٦٦٧).

(٤) انظر: «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» للقرطبي (٧/ ٨٨).

(٥) هو: عمرو بن غَزِيَّة ـ بغين معجمة مفتوحة، ثمَّ زاي مكسورة، وتحتانية ثقيلة ـ ابن عمرو بن ثعلبة بن =

كان يبيعُ التَّمرَ، فقالَ لامرأةٍ: في البيتِ تمرٌ أجودُ من هذا، فدخلَتْ، فوثَبَ عليها وقبَّلَها، ثمَّ تركَها نادمًا، فجاءَ باكيًا إلى رسولِ اللهِ ﷺ، فنزلَتِ الآيةُ[1].

١٣٨١ـ (ق): ابنُ عُمرَ رضيَ اللهُ عنهما: «أرأيتكُم ليلتكُم هذهِ، فإنَّ رأسَ مئةِ سنةٍ منها لا يبقَى ممَّن هوَ على ظهرِ الأرضِ أحدٌ». [خ: ١١٦] [م: ٢٥٣٧]

* قالَ: صلَّى بنا رسولُ اللهِ ﷺ ذاتَ ليلةٍ صلاةَ العشاءِ في آخرِ حياتِه، فلمَّا سلَّمَ قالَ: «أرأيتكُم...» إلى آخرِه.

قيلَ: معناهُ: أنَّ كلَّ نَفسٍ موجودةٍ تلكَ اللَّيلةَ على الأرضِ لا تعيشُ بعدَها أكثرَ من مئةِ سنةٍ، سواءٌ قلَّ عُمرُها بعدَ ذلكَ أو لا، وليسَ فيه تعرُّضٌ لِمَن يوجدُ بعدَ تلكَ اللَّيلةِ بنفيِ أن يعيشَ فوقَ مئة سنةٍ.

= خنساء بن النجار الأنصاري، يقال: إنه شهد العقبة وبدرًا، وذكر الكلبيّ في تفسيره، عن أبي صالح، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ....﴾ [هود: ١١٤] قال: نزلت في عمرو بن غزيّة، وكان يبيع التمر فأتته امرأة تبتاع منه تمرًا ... الحديث في نزول الآية. انفرد الكلبي بتسميته غزيّة بن عمرو.

ووردت القصة لنبهان التمار، ولأبي اليسر كعب بن عمرو. وأغربَ الثعلبي في «تفسيره»، فسمَّى أبا اليسر: عمرو بن غزيّة، كأنه رأى القصَّة وردَتْ لهما، فظنَّه واحدًا، فإن كان ضبطه حُمل على أن عَمرو بن غزيَّة كان يكنى: أبا اليسر أيضًا، فيستدرك على مصنِّفي المشتبه، فإنَّهم لم يذكروا من الصَّحابة إلَّا أبا اليسر كعب بن عمرو. «الإصابة في تمييز الصحابة» لابن حجر العسقلاني (٤/ ٥٥٣).

(١) رواه أبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٤/ ٢٠٢٥) (٥٠٩٠).

ورواه الترمذي (٣١١٥)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١١٨٤)، والبزار في «مسنده» (٢٣٠٠) عن أبي اليسر كعب بن عمرو رضي الله عنه بنحوه وأنها نزلت فيه. وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

وقد احتجَّ بهذا الحديثِ من قالَ: الخضِرُ ميِّتٌ، والجمهورُ على أنَّه حيٌّ(١)، وتأوَّلوا هذا الحديثَ وما في معناهُ بأنَّه كانَ في ذلكَ الوقتِ على البحرِ، لا على الأرضِ، واللهُ أعلمُ.

١٣٨٢ـ (ق): ابنُ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهما: «أرأيْتِ لو كانَ على أُمِّكِ دَينٌ فقَضَيتِهِ(٢)، أكانَ يُؤدَّى عنها؟ قالَتْ: نَعَم، قال: فصُومِي عن أُمِّكِ». [خ: ١٧٥٤] [م: ١١٤٨]

* قالَه لامرأةٍ قالَتْ: يا رسولَ اللهِ؛ إنَّ أمِّي ماتَتْ وعليها صومُ نذرٍ، أَفأصومُ عنها؟ وقد تقدَّمَ الكلامُ عليهِ في البابِ الأوَّلِ، في قولِه(٣): «مَن ماتَ وعليهِ صيامٌ صامَ عنه وليُّه».

١٣٨٣ـ (ق): أبو هُريرةَ رضي الله عنه: «أرأيتُم لو أنَّ نهرًا ببابِ أحدِكُم يغتَسِلُ منهُ كُلَّ يومٍ خمسَ مرَّاتٍ، هل يبقَى من درَنِهِ؟ قالُوا: لا يبقَى مِن درَنِهِ شيءٌ، قالَ: فذلكَ مثَلُ الصَّلواتِ الخمسِ يمحُو اللهُ بهنَّ الخطايَا». [خ: ٥٠٥] [م: ٦٦٧]

* قولُه: (**ببابِ أحدِكُم**) إشارةٌ إلى سهولةِ تأتِّيه، **والدَّرَنُ**: الوسَخُ.

وقولُه: (**هل يبقَى مِن درَنِهِ**) قيلَ: كلمةُ: (مِن) زائدةٌ في غيرِ الموجَبِ، وتقديرُه: هل يبقَى درنُهُ، وقيلَ: الفاعلُ محذوفٌ، تقديرُه: هل يبقَى من دَرَنِه شيءٌ؟ بدليلِ الثَّاني، ورُدَّ: بأنَّ حذفَ الفاعلِ لا يجوزُ.

---

(١) انظر: «تفسير القرطبي» (١١/ ٤١)، و«شرح النووي على مسلم» (١٥/ ١٣٥).

(٢) في (ك): «فقضيتيه».

(٣) تقدم برقم: (١٧١).

وظاهرُ هذا الحديثِ: أنَّ الصَّلواتِ بانفرادِها تستقلُّ بتكفيرِ جميعِ الذُّنوبِ، كبائرِهَا وصغائرِهَا، وليسَ كذلكَ؛ لاشتراطِهِ في الحديثِ الآخَرِ اجتنابَ الكبائرِ، وهذا إذا أُريدَ بالخطايا مطلقُ الذُّنوبِ، وإن أُريدَ بها الصَّغائرُ فلا حاجةَ إلى شيءٍ.

١٣٨٤ـ (ق): جابرٌ رضي الله عنه: «أركعتَ ركعَتَين؟ قال: لَا، قال: قُمْ فاركعْهُما»، ويُروى: «قُمْ فاركعْ ركعتينِ، وتجوَّزْ فيهمَا». [خ: ٨٨٨] [م: ٨٧٥]

قالَهُ لسُلَيكٍ الغَطَفانيِّ حينَ جاءَ يومَ الجُمعةِ وهُو قاعدٌ على المنبرِ، فقعَدَ سُليكٌ قبلَ أن يُصلِّيَ.

* ويُروى: (**قُمْ فاركَعْ ركعتَينِ، وتجوَّزْ فيهمَا**) قالَه لسُلَيْكٍ الغطَفَانيِّ حين جاءَ يومَ الجمعَةِ وهو قاعدٌ على المنبرِ، فقعَدَ سُلَيكٌ قبلَ أنْ يُصلِّيَ، الحديثَ.

قد تقدَّمَ الكلامُ عليهِ في البابِ الرَّابعِ، في قولِه عليه السَّلامُ[1]: «إذا جاءَ أحدُكُم يومَ الجمعَةِ فليركَعْ».

١٣٨٥ـ (ق): أبو هُريرةَ رضي الله عنه: «أصدقَ ذُو اليدَينِ؟». [خ: ٦٨٢٣] [م: ٥٧٣]

* قالَ: صلَّى لنا رسولُ اللهِ ﷺ صلاةَ العصرِ، فسلَّمَ في ركعتَينِ، فقامَ ذُو اليدَيْنِ فقالَ: أقُصِرَت الصَّلاةُ يا رسولَ اللهِ أم نسيْتَ؟ فقالَ رسولُ اللهِ: «**كلُّ ذلكَ لَم يَكُنْ**»، فقالَ: قد كانَ بعضُ ذلكَ يا رسولَ اللهِ، فأقبلَ رسولُ اللهِ ﷺ على النَّاسِ فقالَ: (**أصدقَ ذُو اليدَينِ؟**)، فقالُوا: نعم، يا رسولَ اللهِ، فأتمَّ رسولُ اللهِ ﷺ ما بَقِيَ من الصَّلاةِ، ثمَّ سجدَ سجدَتَيْن وهو جالسٌ بعدَ التَّسليمِ.

---

(١) تقدم برقم: (٧٨٢).

وقد اختلفَتِ الرِّواياتُ؛ ففي روايةٍ: «مِنَ الظُّهرِ»[١]، وفي الأُخرى: «إحدَى صَلاتَي العَشِيِّ، إمَّا الظُّهرَ وإمَّا العصرَ»[٢].

والعَشِيُّ ـ بفتحِ العينِ المهملةِ، وكسرِ الشِّينِ المعجمةِ، وتشديدِ الياءِ ـ: ما بينَ زوالِ الشَّمسِ وغُرُوبِها[٣].

وكلُّها تدلُّ على تركِ شفعٍ من رباعيَّةٍ ناسيًا، وأنَّ ذا اليدَيْن: خِرْبَاقُ بنُ عَمروٍ[٤] سألَهُ عن ذلك، فتكلَّمَ النَّبيُّ ﷺ مع القومِ عامدًا، وأجابَ القومُ بتصديقِ ذي اليدَينِ عامدًا، وأنَّه ﷺ عادَ إلى إتمامِ ما تركَ، ثمَّ سجدَ بعدَ السَّلامِ سجدَتَي السَّهو.

وفيها دلالةٌ على أمورٍ:

منها: جوازُ النِّسيانِ على الأنبياءِ عليهمُ السَّلامُ في العباداتِ.

---

(١) رواه مسلم (٥٧٣).

(٢) رواه مسلم المصدر السابق.

(٣) انظر: «لسان العرب» لابن منظور (١٥/ ٦٠).

(٤) قال القاري في «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٢/ ٨٠٣): قيل: اسمه: خرباق السُّلمي الحجازي، وقال الطِّيبي: خرباق لقب له، واسمه: عمير، ويكنى: أبا محمد، وقال ابن الأثير في «جامع الأصول»: إن ذا اليدين رجل من بني سليم، يقال له: الخرباق، صحابي حجازي، شهد النبي ﷺ، وقد سها في صلاته، وقيل له أيضًا: ذو الشمالين، فيما رواه مالك بن أنس عن الزهري، قال ابن عبد البر: ذو اليدين غير ذي الشمالين.

قال ابنُ عبد البر في «الدرر في اختصار المغازي والسير» (ص: ١٠٩): ذو الشِّمالين بن عبد عَمرو بن نَضْلَة الخُزاعيّ حليف بني زهرة وهو غير ذي اليدين ذاك سلمي اسمه: خرباق، وهو صاحب حديث السَّهو، ووهم فيه الزُّهريّ على جلالة قدره، لأنَّه بنى على أنه لقب واحد، واعتمد أبو العبَّاس المبرد ذلك من كلام ابن شهاب فغلط، ويحقق ذلك أن ذا اليدين روى حديثه أبو هريرة وكان إسلام أبي هريرة بعد قتل ذي الشمالين بسنين عدَّة.

ومنها: جوازُ السُّؤالِ عن أمرٍ حدثَ غيرِ معهودٍ خَفِيَ سببُه.

ومنها: عدمُ قَبُولِ واحدٍ في حادثةٍ وقعَتْ في جمعٍ كثيرٍ قبلَ السُّؤالِ عنها.

ومنها: إثباتُ سجودِ السَّهوِ، وبيانُ موضِعِها وكيفيَّتِها.

ومنها: أنَّ الكلامَ في الصَّلاةِ عامدًا ممَّن يظنُّ أنَّه ليسَ فيها لا يُبْطِلُها، وهو قولُ جماعةٍ من الصَّحابةِ والتَّابعينَ، وهو مذهبُ مالكٍ[1] والشَّافعيِّ[2] وأحمدَ[3] وجميعِ المحدِّثينَ.

قيلَ: فهو حجَّةٌ على أبي حنيفةَ وأصحابِه[4] والثَّوريِّ في قولِهِم ببطلانِ الصَّلاةِ بالكلامِ مطلقًا، وليسَ بشيءٍ؛ فإنَّه معارضٌ بحديثِ ابنِ مسعودٍ[5] وزيدِ بنِ أرقمَ[6] رضيَ اللهُ عنهما، فبقِيَ الاعتمادُ على الأدلَّةِ القاطعةِ الدَّالَّةِ على بُطلانِها بإدخالِ ما ليسَ منها فيها، والظَّنُّ لا يُغنِي منَ الحقِّ شيئًا، ألَا يُرى أنَّه لو صلَّى مُحدِثًا بظنِّ الطَّهارةِ وجبَتِ الإعادةُ؟

---

(١) انظر: «الجامع لمسائل المدونة» لابن يونس الصقلي (٢/ ٦٤٠).

(٢) انظر: «الحاوي الكبير» للماوردي (٢/ ١٧٩)، و«بحر المذهب» للروياني (٢/ ١٠٩).

(٣) انظر: «التعليقة الكبيرة» لأبي يعلى (١/ ٢٠٦).

(٤) انظر: «البناية شرح الهداية» للعيني (٢/ ٤٠٤).

(٥) روى أبو داود (٩٢٤)، والنسائي (١٢٢١)، وأحمد في «مسنده» (٤١٤٥)، وابن حبان في «صحيحه» (٢٢٤٣) عن عبد الله، قال: كنا نتكلم في الصلاة، ويسلِّم بعضنا على بعض، ويوصِي أحدنا بالحاجة، فأتيت النبي ﷺ، فسلمتُ عليه وهو يصلي، فلم يردَّ عليَّ، فأخذَني ما قَرُبَ وما بَعُدَ، فلمَّا صلى قال: «إن الله عز وجل يحدِث من أمره ما شاء، وإنه قد أحدث أن لا تكلَّموا في الصلاة».

(٦) روى البخاري (٤٢٦٠)، ومسلم (٥٣٩) عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: «كنَّا نتكلَّم في الصَّلاة، يكلِّم الرجل صاحبَه وهو إلى جنبه في الصَّلاة حتى نزلَتْ: ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، فأُمرنا بالسُّكوتِ، ونُهينا عن الكلام».

ومنَ النَّاسِ مَن أجابَ: بأنَّ هذه القضيَّةَ كانت في الابتداءِ، ثمَّ نُسِخَتْ.

ورُدَّ: بأنَّ نسخَ الكلامِ كانَ بمكَّةَ، وهذه كانَتْ بالمدينةِ؛ لأنَّ روايةَ أبي هريرةَ متأخِّرةٌ؛ لتأخُّرِ إسلامِهِ.

وأُجِيبَ: بأنَّ بعضَ الصَّحابةِ كانَ يروي من بعضٍ آخرَ، فتكونُ هذهِ من ذلكَ؛ لئلَّا يتكرَّرَ النَّسخُ مع إمكانِ غيرِه.

وممَّا يُبطِلُ قولَهم؛ أنَّ ذا اليدَيْنِ وأصحابَهُ لم يتكلَّمُوا معَ رسولِ اللهِ ﷺ على ظنٍّ أنَّهم ليسُوا في الصَّلاةِ، فكانَ يجبُ بطلانُ صلاتِهِم.

وجوابُ بعضِهم عن ذلك: بأنَّه كانَ خطابًا وجوابًا معَ رسولِ اللهِ ﷺ وله، وهو المرويُّ عن ابنِ سيرينَ[1]، وذلكَ غيرُ مبطلٍ؛ لقولِهِ تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ ﴾ [الأنفال: ٢٤] الآيةَ؛ ساقطٌ؛ لأنَّه يدلُّ على وجوبِ الإجابةِ إذا دعاهُم، وليسَ ما نحنُ فيهِ كذلكَ، بل كانَ كلامًا عامدًا مبتدأً من غيرِ دعاءٍ.

ومنها: أنَّ سجدةَ السَّهوِ إنَّما تكونُ بعدَ السَّلامِ[2]، وهو حجَّةٌ على الشَّافعيِّ[3] في جعلِها قبلَه.

---

(١) جاء في «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» للقاري (٢/ ٨٠٥): أمَّا كلام القوم فقد روي عن ابن سيرين أنهم أومأوا بنعم، ولو صحَّ أنهم قالوه بألسنتهم، لكان ذلك جوابًا للنبي ﷺ، وإجابة الرسول لا تبطل الصَّلاة، لما روي: أنه عليه السلام مرَّ على أُبي بن كعبٍ وهو في الصلاة فدعاه فلم يجبْه، ثمَّ اعتذرَ إليه بالصَّلاة، فقال له عليه السلام: «ألم تسمع إلى قوله تعالى: ﴿ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]» ويدل عليه أنك تخاطبه في الصَّلاة بالسَّلام، فتقول: السلامُ عليك أيُّها النبي ﷺ، وهذا الخطابُ مع غيره يبطلُ الصَّلاة.

(٢) انظر: «المبسوط» للسرخسي (١/ ٢١٩).

(٣) انظر: «الحاوي الكبير» للماوردي (٢/ ٢١٤).

ومنها: جوازُ ذكرِ الإنسانِ باللَّقبِ في موضعِ التَّعريفِ، لا للاستهجانِ.

واعلمْ أنَّ هذا الحديثَ يدلُّ على أنَّ صدقَ الخبرِ عبارةٌ عن مطابقَتِه لاعتقادِ المخبرِ وإن كانَ خطأً، وليسَ ذلكَ مذهبُ الجمهورِ، ولا معوَّلَ عليهِ؛ وذلكَ لأنَّ قولَه ﷺ: (**كلُّ ذلكَ لَم يكُنْ**) خبرُ صدقٍ لا محالةَ، وليسَ مُطابقًا للواقعِ لا محالةَ، بل هو مطابقٌ لاعتقادِه عليهِ السَّلامُ.

ولا يُدفعُ بأن يُقالَ: معناهُ: لم يكُنْ قصرًا ولا نسيانًا، بل كانَ سهوًا؛ لأنَّ السَّهوَ ما يتنبَّه صاحِبُه بأدنى تنبيهٍ، ولم يكُنِ الأمرُ كذلكَ، وهو ظاهرٌ.

ولا بأن يُقال: لم يكُنْ قصرًا ولا نسيانًا، بل كانَ إنساءً منَ اللهِ؛ لأنَّ الإنساءَ إذا تحقَّقَ تحقَّقَ النِّسيانُ البتَّةَ، فلا يصحُّ نفيُه؛ ولأنَّه عليه السَّلامُ سأَلَ أبا بكرٍ وعُمرَ، فلو كانَ مرادُه عليه السَّلامُ الإنساءَ لما كانَ للسُّؤالِ فائدةٌ، وهو أيضًا ظاهرٌ.

والجوابُ الصَّحيحُ: أنَّ قولَه عليهِ السَّلامُ لم يكن مجازًا لقولِه: (**لَم أشعُر**)؛ لأنَّ عدمَ كونِ الشَّيءِ يستلزمُ عدمَ الشُّعورِ بهِ عقلًا، فكانَ ذكرُ الملزومِ وإرادةُ اللَّازمِ، واللهُ أعلمُ بالصَّوابِ.

١٣٨٦ـ (ق): كعبُ بنُ عُجرَةَ رضي الله عنه: «أيُؤذِيكَ هوامُّ رأسِكَ؟ قلتُ: نَعَم، قالَ: فاحلِقْ، وصُمْ ثلاثةَ أيَّامٍ، أو أطعِمْ ستَّةَ مسَاكينَ، أو انسُكْ نَسِيكَةً، لا أَدْرِي بأَيِّ ذلكَ بدأَ». [خ: ٣٩٥٤] [م: ١٢٠١]

قالهُ لهُ[1] زمنَ الحُديبيةِ.

---

(١) «له»: ليس في (ب).

* قالَ: أتى عليَّ رسولُ اللهِ ﷺ زمنَ الحديبيةِ وأنا أوقدُ تحتَ قدرٍ لي، والقَمْلُ يتناثرُ على وجهِي، فقالَ: «**أيُؤذِيكَ هوامُّ رأسِكَ؟**»، قلتُ: نعم، قالَ: «**فاحلِقْ...**» إلى آخرِه.

وقد تقدَّمَ الكلامُ عليه في البابِ الخامسِ، في قولِه(١): «ما كنتُ أرى الجهدَ بلغَ بكَ ما أرى».

فإن قيل: المذكورُ هناك: حُمِلتُ إلى رسولِ اللهِ، وهنا: (**أتى عليَّ رسولُ اللهِ**)، وبينهما تنافٍ؟

أُجيبَ: بأنَّ القَدْرَ المشتركَ ـ وهو الوصولُ إليهِ عليه السَّلامُ في الوقتِ الخاصِّ ـ ثابتٌ، ولا معتبرَ باختلافِ الألفاظِ.

١٣٨٧ـ (م): أبو هُريرةَ رضي الله عنه: «أيُحبُّ أحدُكُم إذا رجعَ إلى أهلِهِ أنْ يجِدَ فيه ثلاثَ خَلِفاتٍ عظَامٍ سِمَانٍ؟ قلنا: نَعَم قال: فثلاثُ آياتٍ يقرأُ بهنَّ أحدُكُم في صلاتِهِ خيرٌ لهُ مِن ثلاثِ خَلِفَاتٍ عِظامٍ سِمانٍ». [م: ٨٠٢]

***الخَلِفَات**: بفتحِ الخاءِ المعجمةِ وكسرِ اللَّامِ، الحواملُ من الإبلِ إلى أن يأتِي عليها نصفُ أمدِها، ثمَّ هي عشارٌ، الواحدةُ: خَلِفةٌ، وعَشْرَاءُ(٢).

وفي الحديثِ: بيانُ عِظَمِ ثوابِ القرآنِ في الصَّلاةِ، واستُدلَّ به على وجوبِ القراءةِ على المقتدي؛ إحرازًا لهذهِ الفضيلةِ بإطلاقِه، وليسَ بشيءٍ؛ لأنَّه ليسَ فيه ما يدلُّ على الوجوبِ، وإحرازُ الفضيلةِ ليس بدليلٍ على ذلك، ولأنَّه معارضٌ لقولِه تعالى: ﴿وَإِذَا

---

(١) تقدم برقم: (٩٠٢).

(٢) انظر: «المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث» للمديني (١/ ٦٠٨).

﴿قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ﴾ [الأعراف: ٢٠٤] الآية، سلَّمناهُ، لكنَّ المقتدِي قارٍ محرزٌ لهذهِ الفضيلةِ؛ لقولِه عليهِ السَّلامُ: «مَنْ كانَ له إمامٌ فقراءةُ الإمامِ قراءةٌ له»(١).

وقد تقدَّمَ الكلامُ قريبًا في وجهِ القِرانِ بين الآيةِ والنَّاقةِ(٢).

١٣٨٨ـ (خ): أبو سعيدٍ رضي الله عنه: «أيعجزُ أحدُكُم أنْ يقرَأَ ثُلُثَ القُرآنِ في ليلةٍ؟». [خ: ٤٧٢٧]

* قالَ: قالَ النَّبيُّ عليهِ السَّلامُ لأصحابِه: «**أيعجَزُ أحدُكُم أنْ يقرأَ بثُلُثِ القرآنِ في ليلةٍ؟**»، فشقَّ ذلك عليهم، وقالوا: أيُّنا يطيقُ ذلك يا رسولَ اللهِ؟ فقال: اللهُ الواحدُ الصَّمدُ ثلُثُ القرآنِ».

وفي حديثِ أبي الدَّرداءِ قال: «﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدلُ ثلُثَ القرآنِ»(٣).

ومعناهُ ـ واللهُ أعلمُ ـ: تعدلُ ثُلثَ القرآنِ من غيرِ أن يكونَ فيه: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، وإلَّا لزمَ أن يكونَ ثُلثَ نفسِه أيضًا، ونظيرُه قولُه تعالى: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القدر: ٣] ومعناهُ: من ألفِ شهرٍ ليسَ فيها ليلةُ القدرِ، وإلَّا لزمَ تفضيلُ الشَّيءِ على نفسِه بثلاثٍ وثمانين مرَّةً.

وقيل: وفيه دلالةٌ على جوازِ تأخيرِ البيانِ إلى وقتِ الحاجةِ.

---

(١) رواه ابن ماجه (٨٥٠)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (١٢٩٤)، والدارقطني في «سننه» (١٢٣٣)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٢٨٩٨) من حديث جابر رضي الله عنه.
ورواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٧٥٧٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.
وصححه الكمال ابن الهمام في «فتح القدير» (١/ ٣٣٨).

(٢) تقدم تحت حديث برقم: (١٣٦٣).

(٣) رواه مسلم (٨١١).

وقد تقدَّمَ الكلامُ على معنى هذا الحديثِ في البابِ الثَّاني، في قولِه عليه السَّلامُ(١): «إنَّ اللهَ جزَّأَ القرآنَ ثلاثةَ أجزاءٍ».

١٣٨٩ـ (م): سعدُ بنُ أبي وقَّاصٍ رضي الله عنه: «أيعجَزُ أحدُكُم أنْ يكسِبَ في كُلِّ يومٍ ألفَ حَسَنةٍ؟ فسَألهُ سَائِلٌ مِن جُلسَائِهِ: كيفَ يكسَبُ أحدُنا ألفَ حَسَنةٍ؟ قالَ: يُسَبِّحُ مئةَ تَسْبِيحَةٍ، فيُكتَبُ لهُ ألفُ حسَنَةٍ، أو يُحَطُّ عنهُ ألفُ خَطِيئةٍ ـ ويُروى: ويُحَطُّ ـ». [م: ٢٦٩٨]

* المعنى على روايةِ الواو: لقولِه تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠]، وقولِه: ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٦١]، ويجعلُ «أو» في الرِّوايةِ الأُخرى بمعنى: الواو.

(١) تقدم برقم: (٢٥٦).

فصلٌ

فصَلَ هذا عمَّا قبلَهُ لذلكَ؛ لكونهِ مصدَّرًا بكلمةِ: (ألا).

١٣٩٠ـ (ق): أبُو هُريرةَ رضي الله عنه: «ألا أُحدِّثُكُم حديثًا عنِ الدَّجَّالِ ما حدَّثَ بهِ نبيٌّ قومَهُ؟ إنَّه أعورُ، وإنَّه يجيءُ بمثالِ الجنَّةِ والنَّارِ، فالَّتي يقولُ إنَّها الجنَّةُ هي النَّارُ، وإنِّي أُنذرُكُم كمَا أنذرَ به نُوحٌ قومَهُ». [خ: ٣١٦٠] [م: ٢٩٣٦]

*قد تقدَّمَ الكلامُ على حديثِ الدَّجَّالِ في غيرِ موضعٍ.

١٣٩١ـ (م): أبُو ذرٍّ رضي الله عنه: «ألا أُخبرُكم بأحبِّ الكلامِ إلى اللهِ؟ إنَّ أحبَّ الكلامِ إلى اللهِ: سُبحانَ اللهِ وبحمْدِهِ». [م: ٢٧٣١]

قالَهُ لهُ.

* وقد تقدَّمَ الكلامُ عليه أيضًا في البابِ الخامسِ[1]، في قولِه[2]: «ما اصطفَى اللهُ لملائكتِهِ».

١٣٩٢ـ (ق): عليٌّ رضي الله عنه: «ألا أُخبرُكِ ما هوَ خيرٌ لكِ منهُ؟ تُسبِّحِينَ اللهَ ثلاثًا وثلاثينَ، وتحمَدِينَ اللهَ ثلاثًا وثلاثِينَ، وتُكبِّرينَ اللهَ أربعًا وثلاثينَ». [خ: ٥٠٤٧] [م: ٢٧٢٧]

قالَهُ لفاطمَةَ رضي الله عنها حينَ سألَتْهُ خادِمًا.

---

(١) في (ن): «السادس».

(٢) تقدم برقم: (٩٥٥).

*قالَ: إنَّ فاطمةَ اشتكَتْ ما تلقَى منَ الرَّحَى في يدِها، وأتت النبيَّ عليهِ السَّلامُ، فلم تجدْهُ، ولقيَتْ عائشةَ فأخبرَتْها، فلمَّا جاءَ النبيُّ ﷺ أخبرَته عائشةُ بمجِيء فاطمةَ إليه، فجاءَ النبيُّ ﷺ وقد أخذْنا مضاجِعَنا، فذهَبْنا نقومُ، فقالَ النبيُّ ﷺ: «على مكانِكُما»، فقعَدَ بيننا حتَّى وجدْتُ بَرْدَ قَدمِه على صدرِي، ثمَّ قالَ: **«ألَا أُعلِّمُكُما خيرًا ممَّا سألتُما؟ إذا أخذْتُما مضاجِعَكُما ـ وفي روايةٍ: إذا أخذْتُما مَضْجَعَكُما ـ مِنَ اللَّيلِ أن تكبِّرا اللهَ أربعًا وثلاثينَ، وتسبِّحاهُ ثلاثًا وثلاثينَ، وتحمَداهُ ثلاثًا وثلاثينَ، فهو خيرٌ لكُما مِن خادمٍ»**.

وفي روايةٍ[١]: قال عليٌّ: ما تركتُه منذُ سمعتُه من رسولِ اللهِ ﷺ، فقيل لهُ: ولا ليلةَ صِفِّينَ؟ ولا ليلةَ صِفِّينَ.

هذه روايةُ عليٍّ رضي الله عنه، وأمَّا المذكورُ في الكتابِ من قولِه: «تسبِّحينَ ثلاثًا وثلاثينَ...» إلى آخرِه، فهو روايةُ أبي هريرةَ رضي الله عنه[٢]، وفي روايتِهِ: أنَّ فاطمةَ أتتِ النَّبيَّ عليه السَّلامُ تسألُه خادمًا، وشكَتِ العملَ، فقال: «ما ألفيتِهِ عندنا»، وقال: «ألَا أدلُّكِ على ما هو خيرٌ لكِ من خادمٍ؟ تسبِّحينَ...» إلى آخرِه.

ولا شكَّ أنَّ خيريَّةَ التَّسبيحِ إنَّما هي بالنِّسبةِ إلى الآخرةِ، وكانَ ذلكَ من باب أنَّه عليه السَّلامُ أحبَّ لابنتِهِ ما كانَ يحبُّ لنفسِهِ ـ إذ كانَتْ بضعةً منهُ ـ من إيثارِ الفقرِ، وتحمُّلِ شدَّتِه، والصَّبر عليه.

وفي الحديث: بيانُ ما كان عليه الصَّدرُ الصَّالحُ من شَظَفِ العيشِ[٣] وشدَّةِ

---

(١) من تتمة الرواية عند البخاري ومسلم.

(٢) عند مسلم (٢٧٢٨).

(٣) شظف العيش: يُبْسُ العيش وشدَّتُه. انظر: «تاج العروس من جواهر القاموس» لمرتضى الزبيدي (٢٣/ ٥١٢).

الحالِ، وأنَّ اللهَ تعالى حماهُم الدُّنيا مع أنَّ اللهَ تعالى مكَّنَهم منها، وهي سنَّةُ اللهِ في الأنبياءِ والأولياءِ.

وفيه: دليلٌ على جوازِ قعودِ الرَّجلِ بين بنتِهِ وزوجِها في مضجعِهما إذا لم يكن اطِّلاعٌ على عورةٍ أو إلى أمرٍ ممتنعٍ شرعًا.

قيل: وفيه دليلٌ على أنَّ المرأةَ وإن كانَتْ شريفةً فإنَّ عليها أن تخدِمَ بيتَ زوجِها، وتقومَ بعمَلِه الخاصِّ به وبها.

وقال بعضُهم: ليسَ عليها شيءٌ مِن ذلك، وهو مذهبُنا، وما فعلَتْ فاطمةُ رضي الله عنها كانَ تبرُّعًا منها، ولا خلافَ في استحبابِ التَّبرُّعِ بذلك؛ معونةً للزَّوجِ.

١٣٩٣ـ (م): سلمَةُ بنُ الأكوَعِ رضي الله عنه: «ألا أُخبرُكُم بأشدَّ حرًّا منهُ يومَ القيامةِ؟ هذَيْنِكَ الرَّجُلَينِ الرَّاكبينِ المُقَفِّيَيْنِ». [م: ٢٧٨٣]

* قال: عُدنا معَ رسولِ اللهِ ﷺ رجلًا مَوعُوكًا، فوضعْتُ يدِي عليه، فقلتُ: واللهِ ما رأيتُ كاليومِ رجلًا أشدَّ حرًّا، فقال النَّبيُّ عليهِ السَّلام: «**ألا أُخبرُكُم...**» إلى آخرِه.

الموعوكُ: المحمومُ، و(**المُقَفِّيَينِ**) أي: المولِّيَينِ المنصرفينَ من القَفَا.

وتمامُ الحديثِ: لرجلينِ يومئذٍ من أصحابِه، ويحتاجُ إلى تأويلٍ؛ لأنَّ في الحديثِ أنَّهما من أهلِ النَّارِ، فقيل في تأويلِهِ: إنَّهما كانا يُظهرانِ الصُّحبةَ، لا أنَّهما ممَّا نالَتْه فضيلةُ الصُّحبةِ؛ فإنَّهما كانا منافِقَينِ.

وأقولُ: ليسَ في الحديثِ ما يدلُّ على الخلودِ، فيجوزُ أنْ يكونا في ذلك زمانًا لطيفًا، وحرارةُ الحمَّى والزِّيادةُ فيها إلى غايتِها لا يُوصَفُ صاحبُها بأنَّه من أهلِ النَّارِ.

١٣٩٤ـ (ق): حارثَةُ بنُ وَهْبٍ الخُزاعيُّ رضي الله عنه: «**أَلَا أُخبرُكم بأهلِ الجنَّةِ؟ كلُّ ضعيفٍ مُتَضَعَّفٍ لو يُقسِمُ على اللهِ لأبرَّهُ، أَلَا أُخبرُكم بأهْلِ النَّارِ؟ كلُّ عُتُلٍّ جوَّاظٍ مُسْتكْبِرٍ**». [خ: ٤٦٣٤] [م: ٢٨٥٣]

***المتضعَّفُ**: بفتحِ العينِ، هو المشهورُ، ومعناهُ: الَّذي يستَضْعِفُه النَّاسُ ويحتقرونَهُ؛ لضَعْفِ حالِه في الدُّنيا، وقيل: هو الَّذي استضعفَهُ الفقرُ ورثاثةُ الحالِ، ورُوي بكسرِ العينِ، ومعناه: المتواضعُ الخاضِعُ، الذَّليلُ في نفسِه.

ومعنى قولِهِ: (**لو يُقسِمُ عَلى اللهِ لأَبَرَّهُ**) لو حلفَ يمينًا طمَعًا في كرمِ اللهِ بما يريدهُ لأبرَّه، وقيل: معناهُ: لو دعاهُ لأجابَه، يقالُ: بررتُ قسَمَهُ، وأبرَرْتُه[١].

والعُتُلُّ: بضمِّ العينِ المهملةِ، والتَّاءِ المثنَّاةِ فوقُ، وتشديدِ اللَّامِ، قيل: هو الجافي الشَّديدُ الخصُومةِ[٢]، وقيل: هو الأكُولُ الشَّرُوبُ الظَّلومُ، من العَتَلَةِ[٣]، وهي عمودُ الحديدِ يُهْدَمُ به البُنْيانُ.

والجَوَّاظُ: بفتحِ الجيمِ، وتشديد الواوِ، وبالظَّاءِ المعجمةِ، الجَمُوعُ المنوعُ، وقيل: الكثيرُ اللَّحمِ، المختالُ في مِشْيَتِه، وقيل: القصيرُ البَطِنُ، وقيلَ: الفاجرُ[٤].

وليسَ المرادُ بكلٍّ واحدٍ من الفريقينِ الحصرَ، بل كأنَّه إنَّ أغلبَ أهلِهما هؤلاء.

---

(١) انظر: «شرح النووي على مسلم» (١٧/ ١٨٧).

(٢) انظر: «مشارق الأنوار على صحاح الآثار» للقاضي عياض (٢/ ٦٥).

(٣) انظر: «مقاييس اللغة» لابن فارس (٤/ ٢٢٣).

(٤) انظر: «مشارق الأنوار على صحاح الآثار» للقاضي عياض (١/ ١٦٥).

١٣٩٥ـ (م): زيدُ بنُ خالدٍ الجُهنيُّ رضي الله عنه: «ألا أُخبِركُم بخيرِ الشُّهداءِ؟ الَّذي يأتي بشهادتِهِ قبلَ أن يُسألَهَا». [م: ١٧١٩]

* قد تقدَّمَ الكلامُ عليه في البابِ السَّادسِ في قولِه(١): «خيرُ أمَّتي القَرْنُ الَّذي بُعِثْتُ فيه».

١٣٩٦ـ (ق): أبُو واقدٍ اللَّيثيُّ رضي الله عنه: «ألا أُخبِركُم عنِ النَّفرِ الثَّلاثةِ؟ أمَّا أحدُهُم فأوَى إلى اللهِ، فآواهُ اللهُ، وأمَّا الآخرُ فاستحيَا، فاستحيَا اللهُ منهُ، وأمَّا الآخَرُ فأعرَضَ، فأعرَضَ اللهُ عنهُ». [خ: ٦٦] [م: ٢١٧٦]

* قال: إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ بينما هو جالسٌ في المسجدِ والنَّاسُ معه إذ أقبلَ نفرٌ ثلاثةٌ، فأقبلَ اثنانِ إلى رسولِ اللهِ ﷺ وذهبَ واحدٌ، قال: فوقَفا على رسُولِ اللهِ ﷺ، فأمَّا أحدُهُما فرأى فُرْجَةً في الحلْقَةِ فجلسَ فيها، وأمَّا الآخرُ فجلسَ خلفَهم، وأمَّا الثَّالثُ فأدبرَ ذاهِبًا، فلمَّا فرغَ رسولُ اللهِ ﷺ قال: «**ألا أُخبِركُم...**» إلى آخرِه.

الفُرْجَةُ: بضمِّ الفاءِ وفتحِها لغتان، وهي الخلَلُ بينَ الشَّيئينِ(٢).

والحلْقَةُ: بإسكانِ اللَّامِ، هو المشهورُ، وحكَى الجوهريُّ فتحَها(٣)، وقد تقدَّمَ الكلامُ في (آوى) ممدودًا ومقصورًا، ولازمًا ومتعدِّيًا.

وقولُه: (**أوى إلى اللهِ**) أي: لجأَ إليهِ.

وقولُه: (**فآواهُ اللهُ**) أي: ضمَّه إليهِ.

---

(١) تقدم برقم: (١١٨٢).

(٢) انظر: «المخصص» لابن سيده (١/ ٥١٣).

(٣) انظر: «الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية» للجوهري (٤/ ١٤٦٢).

قالَ القاضي: وعندي أنَّ معناهُ: دخلَ في مجلسِ ذكرِ اللهِ، أو جلسَ مجلسَ ذكرِ رسولِ اللهِ ﷺ ومجلسَ أوليائِه، وانضمَّ إليه فقبلَهُ اللهُ وقرَّبَه. وقيل: آواهُ إلى جنَّتِه؛ أي: كتبَها له[١].

وقولُه: (**وأمَّا الآخرُ فاستحيَا**) أي: تركَ المزاحمةَ والتَّخطِّي؛ حياءً من اللهِ ورسُولِهِ والحاضرين، فرحِمَه، ولم يعذِّبْه. وقيل: جازاهُ بالثَّوابِ، ولم يلحَقْ بدرجةِ الأوَّلِ إذ آواهُ، وبسطَ له اللُّطفَ، وقرَّبَه.

وقولُه في الثَّالثِ: (**فأعرضَ، فأعرضَ اللهُ عنه**) لم يرحَمْهُ، وقيل: سَخِطَ عليهِ[٢]، وهو محمولٌ على مَن ذهبَ مُعرِضًا لا لعذرٍ وضرورةٍ.

وفيه دليلٌ على جوازِ تكرارِ لفظِ: الآخَرِ ـ بفتحِ الخاءِ ـ في الكلامِ، بخلافِ ما إذا كان مكسُورًا؛ فإنَّه يُستعمَلُ في مقابلةِ الأوَّلِ، وهو لا يتكرَّرُ.

وفيه دليلٌ على فضيلةِ العلمِ؛ فإنَّه مدحَ الجالسين لسماعِ كلامِه، والاقتباسِ منه، وذمَّ المُعرِضَ.

١٣٩٧ ـ (م): **أبو هُريرةَ رضي الله عنه: «ألَا أدلُّكُم على ما يمحُو اللهُ بهِ الخطايَا، ويرفعُ بهِ الدَّرجاتِ؟ قالُوا: بلَى يا رسولَ اللهِ، قال: إسباغُ الوضوءِ على المكارِهِ، وكثرَةُ الخُطا إلى المسَاجدِ، وانتظارُ الصَّلاةِ بعدَ الصَّلاةِ، فذلكُمُ الرِّباطُ»**. [م: ٢٥١]

* جاءَ في روايةٍ أُخرى: «**فذلكُمُ الرِّباطُ**» مرَّتينِ[٣]، وذكرَ مالكٌ في «الموطَّأ»[٤] مكرَّرًا ثلاثَ مرَّاتٍ.

---

(١) انظر: «إكمال المعلم بفوائد مسلم» للقاضي عياض (٧/ ٦٧).

(٢) في (ص): «عنه».

(٣) عند مسلم.

(٤) رواه مالك في «الموطأ/ رواية أبي مصعب الزهري» (٧٧).

محـوُ الخطَايـا: غُفرَانُهـا، وقيل: محوُهَـا مِن كتـابِ الحفظَةِ، وهـو أيضًا دليلٌ علـى غفرانِهـا، ومعناهُ: بعـدَ اجتنـابِ الكبائـرِ، أو المـرادُ بالخطايا: الصَّغائـرُ، كما تقدَّمَ(١).

ورفعُ الدَّرجاتِ: إعلاءُ المنازلِ في الجنَّةِ.

و(**إسباغُ الوضُوءِ**) إتمامُه. و(**المكارِهِ**) شدَّة البردِ، والماءُ الباردُ في الشِّتاءِ، أو حالُ إعوازِ الماءِ، والحاجةُ إلى طلبِه، وابتياعُه بالثَّمنِ الغالي.

و(**كثرَةُ الخُطَا**) قد تكونُ لبُعدِ الدَّارِ، وقد تكونُ لتكْرارِ المشي.

و(**انتظارُ الصَّلاةِ**) قد يكونُ بالسَّبقِ إلى المسجدِ، وقد يرادُ به الاعتكافُ.

وقولُه: (**فذلكمُ الرِّباطُ**) أتى بالمسندِ إليه اسمَ إشارةٍ؛ إشارةً إلى تعظيمِهِ بالبُعْدِ، كما في قولِه تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ﴾ [البقرة: ٢]، وتكرارُه على ما في بعضِ الرِّواياتِ للاهتمامِ.

وأصلُ الرِّباطِ: الحبْسُ على الشَّيءِ(٢)، ويرادُ به الملازمَةُ على ثَغْرِ العدوِّ.

والمعنى: أنَّ هذه الأعمالَ هي الرِّباطُ العظيمُ؛ لأنَّها تمنعُ النَّفسَ وتحبسُها عن قَبولِ الوساوسِ واتِّباعِ الشَّهواتِ.

قيل: ويُحتمَلُ أن يُرادَ أنَّه الرِّباطُ الميسَّرُ الممكنُ من أنواعِ الرِّباطِ، وذلك لا يتأتَّى إلَّا إذا جُعِلَ اسمُ الإشارةِ للتَّحقيرِ، والمقامُ ينبُو عنه.

---

(١) تقدم تحت رقم: (١٣٨٣).

(٢) انظر: «شرح النووي على مسلم» (٣/ ١٤١).

١٣٩٨ـ (ق): عائشةُ رضي الله عنها: «أَلَا أستَحِي ممَّن تستَحِي منهُ الملائكَةُ؟». [م: ٢٤٠١][(١)]

يعني: عُثمانَ بنَ عفَّانٍ رضي الله عنه.

* قد تقدَّمَ الكلامُ عليه في البابِ الثَّاني، في قوله[(٢)]: «إنَّ عثمانَ رجلٌ حَيِيٌّ».

١٣٩٩ـ (خ): أبُو بكرةَ[(٣)] رضي الله عنه: «أَلَا أُنبِّئُكُم بأكبرِ الكبائرِ؟ قُلنا: بلى يا رسُولَ اللهِ، قالَ: الإشراكُ باللهِ، وعقوقُ الوالدَينِ، وكانَ مُتَّكِئًا، فجلسَ فقالَ: أَلَا وقولُ الزُّورِ، وشهادةُ الزُّورِ، أَلَا وقولُ الزُّورِ، وشهادةُ الزُّورِ، أَلَا وقولُ الزُّورِ، وشهادةُ الزُّورِ، فما زالَ يقولُها حتَّى قلتُ: لا يسكتُ». [خ: ٥٦٣١] [م: ٨٧]

* وقد تقدَّمَ الكلامُ عليه أيضًا في هذا البابِ، في قولِه[(٤)]: «الكبائرُ: الإشراكُ باللهِ».

١٤٠٠ـ (م): ابنُ مَسعودٍ رضي الله عنه: «أَلَا أُنبِّئُكُم ما العَضْهُ؟ هي النَّمِيمَةُ القَالةُ بينَ النَّاسِ». [م: ٢٦٠٦]

* العَضْهُ: يُروى في كتبِ الحديثِ بفتحِ العينِ المهملةِ وسكونِ الضَّادِ المعجمةِ؛ كالوَجهِ، والَّذي جاء في كتُبِ الغريبِ: بكسرِ العينِ وفتحِ الضَّادِ؛ كالعِدَةِ[(٥)].

---

(١) قلت: الحديث تفرَّد به مسلمٌ.

(٢) تقدم برقم: (٣٤٦).

(٣) في أكثر أصول كتاب المشارق والشرح: «أبو هريرة».

(٤) تقدم برقم: (١٣٢٣).

(٥) انظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير (٣/ ٢٥٤).

وفسَّرهُ النبيُّ عليه السَّلامُ بالنَّميمةِ، وهي نقلُ الحديثِ من بعضٍ إلى بعضٍ على جهةِ الإفسادِ.

و(**القالةُ بين النَّاسِ**) هي كثرةُ القولِ، وإيقاعُ الخصُومةِ بينَهم.

وذكرَ في «الفائق»: العِضَةُ: أصلُها العِضْهَة، فِعْلةٌ من العَضْهِ، وهو البَهْتُ، فحُذِفَتْ لامُه كما حُذفت من السَّنةِ[1] والشَّفَةِ، ويُجمَعُ على عِضِينَ[2].

١٤٠١ـ (ق): عمرُو بنُ العاصِ رضي الله عنه: «أَلَا إِنَّ آلَ أبي فُلانٍ ليسُوا لي بأولياءَ، وإنَّما وليِّيَ اللهُ وصالحُ المُؤمنِين». زادَ البُخاريُّ: «ولكنْ لهُم رحِمٌ أَبُلُّها ببَلَالِها». [خ: ٥٦٤٤] [م: ٢١٥]

* ذكرَ في بعضِ الشُّروحِ أنَّ الرَّاوي قالَ: سمعتُ النَّبيَّ عليه السَّلام جهارًا غيرَ سرٍّ يقولُ: «**إنَّ آل أبي سفيانَ ليسُوا لِي بأولياءَ...**» ثمَّ ساقَ الحديثَ.

ورُوِيَ أنَّه أرادَ بـ(**صالحُ المؤمنينَ**) الأنبياءَ، وقيل: أبا بكرٍ وعُمرَ، وقيل: عليَّ بنَ أبي طالبٍ، وكلُّ ذلك محتملٌ صحيحٌ، وحقٌّ لِمَن كان هاديًا وقدوةً أن يكونَ صالحَ المؤمنينَ، قال عليه السَّلامُ: «**أصحَابي كالنُّجومِ، بأيِّهم اقتديتُم اهتديتُم**»[3].

---

(١) أي: أصلها: السَّنْهَة.

(٢) انظر: «الفائق في غريب الحديث» للزمخشري (٢/ ٤٤٣).

(٣) رواه عبد بن حميد في «المنتخب من مسنده» (٧٨٣)، والآجري في «الشريعة» (١١٦٧)، وابن بطة في «الإبانة الكبرى» (٧٠١)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (١٧٥٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وقال ابن عبد البر: وهذا إسناد لا يصح.

وقد روي هذا الحديث بأسانيد كثيرة، وقال البيهقي في «المدخل» (ص: ١٦٣) (١٥٤): هذا =

وقولُه: (ولكنْ لهُم رحِمٌ أَبُلُّها ببَلَالِها) بفتحِ الباءِ، وقيل: بِلالِها: بكسرِ الباءِ، والعربُ تستعملُ البلَّ لمعنى[1] الوَصْلِ، واليَبَسَ لمعنى القطيعةِ[2].

والرَّحِمُ: القرابةُ، قيل: معنى: (أَبُلُّها ببَلَالِها) أصلُكُم في الدُّنيا، ولا أُغنِي عنكُم منَ اللهِ شيئًا.

١٤٠٢ـ (ق): أَبُو مَسعودٍ عُقبةُ بنُ عَمرٍو الأنصارِيُّ رضي الله عنه: «ألا إنَّ الإيمانَ ههُنا، وإنَّ القَسْوةَ وغِلَظَ القُلوبِ في الفدَّادينَ عندَ أُصُولِ أذنابِ الإبلِ حيثُ يطلعُ قرنَا الشَّيطانِ في ربيعةَ ومُضَرَ». [خ: ٣١٢٦] [م: ٥١]

* (ههُنا) إشارةٌ إلى جهةِ اليمنِ؛ لأنَّهم آمنُوا بمجرَّدِ الدَّعوةِ، والأنصارُ من جُملَتِهم؛ لأنَّهم قَدِمُوا منها وسكَنُوا المدينةَ.

وقولُه: (في الفدَّادينَ) تقدَّمَ الكلامُ عليهِ في هـذا البابِ، في قولِه[3]: «الفخرُ والخُيَلاءُ في الفدَّادينَ».

وقولُه: (حيثُ يطلعُ قرنَا الشَّيطانِ) إشارةٌ إلى مَن نبَّهَ عليه من أهلِ نجدٍ وربيعةَ ومُضَرَ؛ لأنَّهم الَّذين عانَدُوا النُّبوَّةَ، وقسَوا عن إجابةِ الحقِّ.

= حديث متنه مشهور، وأسانيده ضعيفة، لم يثبت في هذا إسناد والله أعلم. انظر: «الكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف» لابن حجر (ص: ٩٥).

(١) في (ك) هنا والموضع التالي: «بمعنى».

(٢) انظر: «الفائق في غريب الحديث» للزمخشري (١/ ١٢٧).

(٣) تقدم برقم: (١٣٢١).

١٤٠٣ـ (م): عُقبةُ بنُ عامرٍ رضي الله عنه: «ألَا إنَّ القوَّةَ الرَّميُ، ألَا إنَّ القوَّةَ الرَّميُ، ألَا إنَّ القوَّةَ الرَّميُ». [م: ١٩١٧]

قالَهُ على المنبرِ لمَّا قرأ: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠].

* هذا تصريحٌ بتفسيرِ قولِه تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾، وردٌّ لما يحكيهِ المفسِّرونَ منَ الأقوالِ سواه[1].

وكرَّرَ الكلامَ للاعتناءِ بشأنِ الرَّمي بنيَّةِ الجهادِ، وكفى به قوَّةُ النَّصرِ على العدوِّ من بعيدٍ.

وقد تقدَّمَ الكلامُ على فضيلةِ الرَّمِي، وعلى ذمِّ مَن تركَهُ بعدَ تعلُّمِه في البابِ الأوَّلِ[2].

١٤٠٤ـ (ق): المسوَرُ بنُ مَخرَمَةَ رضي الله عنه: «ألَا إنَّ بَني هشامِ بنِ المغيرَةِ استأذَنوني أن يُنكِحُوا ابنتَهم عليَّ بن أبي طالِبٍ، فلا آذَنُ لهُم، ثُمَّ لا آذَنُ لهُم، ثُمَّ لا آذَنُ لهُم، إلَّا أنْ يُحبَّ ابنُ أبي طالِبٍ أنْ يُطلِّقَ ابنَتِي، وينكِحَ ابنتَهُم، فإنَّما ابنتِي بِضْعَةٌ منِّي، يريبُني ما رَابَها، ويُؤذِيني مَا آذاهَا». [خ: ٤٩٣٢] [م: ٢٤٤٩]

* قد تقدَّمَ الكلامُ عليهِ في البابِ الثَّاني، في قولِه[3]: «إنَّ فاطمةَ بضعةٌ منِّي».

---

(١) جاء في «تفسير الماوردي» (٢/ ٣٢٩): فيه خمسة أقاويل: أحدها: أن القوة ذكور الخيل، ورباط الخيل إناثها، وهذا قول عكرمة. والثاني: القوة السلاح، قاله الكلبي. والثالث: القوة التصافي واتفاق الكلمة. والرابع: القوة الثقة بالله تعالى والرغبة إليه. والخامس: القوة الرمي.

(٢) تقدم حديث رقم: (١٢٢).

(٣) تقدم برقم: (٣٥٠).

١٤٠٥ـ (ق): فاطمَةُ رضي الله عنها: «ألَا ترضَينَ أنْ تكُوني سيِّدَةَ نساءِ المؤمِنينَ، أو سيِّدَةَ نساءِ هذِهِ الأمَّةِ؟». [خ: ٥٩٢٨] [م: ٢٤٥٠]

قالَهُ لها.

* قالَتْ عائشةُ رضي الله عنها: اجتمعَ نساءُ النبيِّ ﷺ فلم تُغادِر منهنَّ امرأةٌ، فجاءَت فاطمةُ تمشِي كأنَّ مِشْيَتَها مِشْيَةُ رسولِ اللهِ ﷺ، فقالَ: **«مرحبًا بابنَتِي»**، فأجلَسَها عن يمينِهِ، أو عن شمالِهِ، ثمَّ أسرَّ إليها حديثًا، فبكَتْ فاطمةُ، ثمَّ إنَّه سارَّهَا فضَحِكَتْ، فقلتُ لها: ما يُبكِيك؟ فقالَتْ: ما كنتُ لأفشِي سرَّ رسولِ اللهِ ﷺ، فقلتُ: ما رأيتُ كاليومِ فرحًا أقربَ من حزنٍ. فقلتُ لها حينَ بكَتْ: أخَصَّكِ رسولُ اللهِ بحديثِهِ دوننَا ثمَّ تبكِينَ؟ وسألتُها عمَّا قالَ، فقالَتْ: ما كنتُ لأُفشِي سرَّ رسولِ اللهِ ﷺ، حتَّى إذا قُبِضَ سألتُها، فقالَتْ: **«إنَّه كانَ حدَّثني أنَّ جبريلَ كان يُعارِضُه بالقرآنِ**(١) **مرَّةً، وأنَّه عارضَهُ به في العامِ مرَّتينِ، ولا أُراني إلَّا قد حضرَ أجلِي، وإنَّك أوَّلُ أهلِي لحوقًا بي، ونِعْمَ السَّلفُ أنا لكِ»**، فبكَيْتُ لذلكَ. ثمَّ إنَّه سارَّني فقالَ: **«ألَا ترضَيْن أن تكونِي سيِّدة نساءِ المؤمنينَ ـ أو سيِّدَةَ نساءِ هذهِ الأمَّةِ ـ »** وفي بعضِ طُرُق البخاريِّ: **«أو سيِّدَةَ نساءِ أهلِ الجنَّةِ»**، فضَحِكْتُ لذلكَ.

ويُعلمُ أنَّ بكاءها في أوَّل الأمرِ كانَ حُزنًا على رسولِ اللهِ ﷺ لِمَا أعلمَهَا بقُرْبِ أجَلِه، وضَحِكُهَا بما بشَّرَها بما لها عندَ اللهِ من الكرامةِ. واستدلالُهُ بتكرارِ العَرضِ من حيثُ كونُه على خلافِ العادةِ.

وفي الحديثِ معجزةٌ بالإخبارِ عن المغيَّبِ بحياتِها بعدَه، وأنَّها أوَّلُ أهلِهِ لحُوقًا بـه ﷺ.

---

(١) في (ن): زيادة «في كل عام».

١٤٠٦ـ (ق): ابنُ عُمرَ رضي الله عنه: «ألَا تسمعُونَ؟ إنَّ اللهَ لا يُعذِّبُ بدمعِ العينِ، ولا بحُزنِ القلبِ، ولكن يُعذِّبُ بهذا ـ وأشارَ إلى لسَانِه[1] ـ أو يرحَمُ». [خ: ١٢٤٢] [م: ٩٢٤]

* قالَ: اشتكَى سعدُ بن عُبادَةَ، فأتى رسولُ اللهِ ﷺ يعودُه ومعه عبدُ الرَّحمنِ بنُ عوفٍ، وسعدُ بنُ أبي وقَّاصٍ، وعبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ رضي الله عنهم، فلمَّا دخلَ عليه وجدَهُ في غشيةٍ، فقالَ: «أقَد قضى؟»، قالوا: لا يا رسولَ اللهِ، فبكَى رسولُ اللهِ ﷺ، فلمَّا رأى القومُ بكاءَ رسُولِ اللهِ ﷺ بَكَوا، فقالَ: **«ألَا تسمَعُونَ؟ إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ لا يُعذِّبُ بدَمعِ العَينِ، ولا بحُزنِ القَلْبِ، ولكن يُعذِّبُ بهذا ـ وأشارَ إلى لسانِه ـ أو يرحمُ».**

والغَشِيَّةُ: هو بفتحِ الغينِ المعجمةِ وكسرِ الشِّين المعجمةِ وتشديدِ الياء. قال القاضِي: هكذا روايةُ الأكثرينَ، وروى البخاريُّ: «في غاشيةٍ»[2]، وفيه قولانِ: أحدُهما: في جماعةٍ ممَّن يغشاهُ مِن أهلِه. والثَّاني: ما يغشاهُ من كرْبِ الموتِ. وقولُه: «أقَدْ قَضَى؟»؛ أي: ماتَ[3].

وفي الحديثِ دليلٌ على استحبابِ عيادةِ المريضِ، وعيادةِ الفاضلِ المفضُولَ، وعلى أنَّ البكاءَ الَّذي لا يصحَبُه صوتٌ ولا نياحةٌ جائزٌ مطلقًا، بل قد يقالُ: إنَّه مندوبٌ إليه؛ لأنَّه ﷺ قالَ فيه (رحمةً)، ولا شكَّ في كونِها مندُوبًا إليها، وإنَّما المحرَّمُ من البكاءِ النِّياحةُ الَّتي كانت أهلُ الجاهليَّةِ تفعَلُها، من تعديدِ خصالِ الميِّتِ، والثَّناءِ عليهِ، والصُّراخِ المفضِي إلى السَّخَطِ، وضربِ الخدُودِ، وشقِّ الجيُوبِ وغيرِها.

---

(١) «وأشار إلى لسانه»: سقطت من (ك) و(ن).

(٢) عند البخاري (١٢٤٢).

(٣) انظر: «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» للقرطبي (٢/ ٥٧٦).

١٤٠٧ـ (خ): أبو هُريرةَ رضي الله عنه: «ألَا تعجبُونَ كيفَ يصرِفُ اللهُ عنِّي شتمَ قُريشٍ ولعنَهُم؟ يشتمُونَ مُذمَّمًا، ويلعنُونَ مُذمَّمًا، وأنا مُحمَّدٌ». [خ: ٣٣٤٠]

المذمَّمُ: هو المذمومُ جدًّا.

* والمعنى: (**يشتمُونَ**) رجلًا مذمَّمًا بإجراءِ صفاتٍ عليه يستحقُّ مَن قامَتْ بـه الذَّمَّ مِن السِّحرِ والكذبِ والكهانةِ وغيرِها، وليسَتْ بقائمةٍ بي، بل القائمةُ بي صفاتٌ يستحقُّ مَن قامَتْ به الحمدَ الكثيرَ، فهُم (**يشتمونَ مُذَمَّمًا... وأنا محمَّدٌ**)، فأنَّى ينصرِفُ إليَّ شتمُهم ولعنُهُم؟ بل ينصرفُ إلى مُتصوَّرِهم.

١٤٠٨ـ (م): حذيفَـةُ بـنُ اليمَـانِ رضـي الله عنه: «ألَا رجُـلٌ يأتينا بخبـرِ القومِ، جعلَـهُ اللهُ معِـي يومَ القيامـةِ». [م: ١٧٨٨]

قالَها ثلاثًا ليلةَ الأحزَابِ.

* عن يزيدَ بن شريكٍ التَّيميِّ، قالَ: كنَّا عندَ حذيفةَ رضي الله عنه فقالَ رجلٌ: لو أدركتُ رسولَ اللهِ ﷺ قاتلتُ معه فأبلَيْت[1]، قالَ حذيفةُ: أنت تفعلُ ذلك؟ لقد رأيتُنا معَ رسولِ اللهِ ﷺ ليلةَ الأحزابِ وأخذَتْنا ريحٌ شديدةٌ وقُرٌّ، فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**ألَا رجُلٌ يأتينا بخبرِ القومِ**»، قالَها ثلاثَ مرَّاتٍ، فلم يُجبْه منَّا أحدٌ، ثمَّ قالَ: «**قُم يا حُذَيفَةُ فَأْتِنَا بخَبرِ القَوْمِ...**» إلى آخرِه، فلم أَجِدْ بدًّا إذ دعانِي باسمِي أن أقومَ، قال: «**اذهَبْ فَأْتِنِي بخبرِ القَوْمِ، ولا تَذْعَرْهُمْ عليَّ**»، فلمَّا ولَّيتُ مِن عندِهِ جعلتُ كأنَّما أمشِي في

(١) في هامش (ص): «من أبليته معروفًا، أو من البلية، وهي الناقة التي كانت يحفر لها حفيرة عند قبر صاحبها إذا مات وتترك فيها إلى أن تموت؛ لأنهم كانوا يزعمون أن الناس يحشرون ركبانًا على البلايا، فكأنه يقول: كنت أقبرهم وأقبر ناقتهم عند قبرهم».

حمَّامٍ حتَّى أتيتُهم، فرأيتُ أبا سفيانَ يُصلِي ظهرَهُ بالنَّارِ، فوضَعْتُ سهمًا في كبدِ القوسِ فأردتُ أن أرميهِ، فذكرتُ قولَ رسولِ اللهِ ﷺ: «**لا تَذْعَرْهُم عليَّ**»، ولو رميتُهُ لأصَبْتُه، فرجعْتُ وأنا أمشِي في مِثلِ الحمَّامِ، فلمَّا أتيتُهُ فأخبرتُه خبرَ القومِ وفرغْتُ قُرِرْتُ، فألْبَسَنِي رسولُ اللهِ ﷺ من فضلِ عباءةٍ كانت عليهِ يُصلِّي فيها، فلم أزَلْ نائمًا حتَّى أصبحْتُ، فلمَّا أصبحتُ قالَ: «**قُم يا نَوْمَانُ**».

كأنَّ الرَّجلَ أرادَ بقولِهِ: لو أدركتُ رسولَ اللهِ قاتلْتُ، المبالغةَ في نصرهِ زيادةً على ما فعلَهُ الصَّحابةُ، فأخبرَ حذيفةُ ببعضِ ما فعلَ في نصرهِ عليه السَّلامُ ردًّا له، وزجرًا عن ظنِّ أنَّه يفعلُ أكثرَ من الصَّحابةِ رضي الله عنهم.

والقُرُّ ـ بضمِّ القافِ ـ: البردُ، وقرِرْتُ ـ بكسرِ الرَّاءِ ـ؛ أي: بردْتُ[1].

وقولُه عليه السَّلامُ: (**ولا تَذْعَرْهُم**) بالتاءِ المثنَّاةِ فوقُ، والذَّالِ المعجمةِ؛ أي: لا تُفزِعْهم، ولا تُحرِّكْهم عليَّ؛ فإنَّهم إن أخذوكَ كانَ ضَررًا عليَّ؛ لأنَّك رسُولِي وصاحبي.

وقولُه: (**كأنَّما أمشِي في حمَّامٍ**) يعني: لم أجدْ من البردِ ما يجدُه النَّاسُ، وهذهِ من معجزاتِهِ عليه السَّلامُ؛ فإنَّ اللهَ عافاهُ من ذلك لطاعتِهِ.

و(**كبدُ القوسِ**) مَقْبَضُه، **والعباءةُ** ـ بالمدِّ وزيادةِ التَّاءِ ـ والعبايةُ، لغتانِ مشهورَتانِ[2].

و(**نَوْمانُ**) بفتحِ النُّونِ وسكونِ الواو: الكثيرُ النَّومِ[3]، وأكثرُ ما يُستعمَلُ في النِّداءِ.

---

(١) انظر: «تاج العروس من جواهر القاموس» لمرتضى الزبيدي (١٣/ ٤٠٧).

(٢) انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (٣/ ١٤٩).

(٣) انظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير (٥/ ١٣٠).

وفي الحديثِ دليلٌ على أنَّه ينبغِي للإمامِ وأميرِ الجيشِ أن يبعثَ الجواسيسَ والطَّلائعَ لكشفِ خبرِ العدوِّ.

١٤٠٩ـ (م): جابرٌ رضي الله عنه: «أَلَا لَا يَبِيْتَنَّ رجُلٌ عندَ امرأةٍ ثيِّبٍ، إلَّا أنْ يكُونَ نَاكِحًا، أو ذَا محرَمٍ». [م: ٢١٧١]

* الخَلْوةُ بالمرأةِ الأجنبيَّةِ حرامٌ باتِّفاقِ العلماءِ ليلًا كانَتْ أو نهارًا، ثيِّبًا كانَتْ أو بِكْرًا، والتَّقييدُ بالثَّيِّبِ إخراجُ الكلامِ على الغالبِ؛ فإنَّ البكرَ في العادةِ مصُونةٌ عن دخولِ الرِّجالِ عليهنَّ.

١٤١٠ـ (خ): ابنُ عُمرَ رضي الله عنه: «أَلَا مَنْ كانَ حالفًا؛ فلا يحلِفْ إلَّا باللهِ». [خ: ٣٦٢٤]

* قد تقدَّمَ الكلامُ عليه في البابِ الأوَّلِ، في قولِه[١]: «مَنْ كانَ حالِفًا فليحلِفْ باللهِ».

١٤١١ـ (م): جُندبُ بنُ عبدِ اللهِ رضي الله عنه: «أَلَا وإنَّ مَن كانَ قبلَكُم كانُوا يتَّخذُونَ قُبُورَ أنبيائهِم وصَالحيهِم مسَاجدَ، أَلَا فلَا تتَّخِذُوا القُبورَ مسَاجدَ، إنِّي أنهَاكُم عَن ذلكَ». [م: ٥٣٢]

* وقد تقدَّمَ أيضًا في البابِ السَّادسِ، في قولِه[٢]: «لعنَ اللهُ اليهودَ والنَّصارى».

---

(١) تقدم برقم: (١٥٠).

(٢) تقدم برقم: (١١١٦).

فصلٌ

فصَلَ عمَّا قبلَهُ؛ لوقوعِ: (ألم) في أوَّلِه.

١٤١٢ـ (ق): عبدُ اللهِ بنُ عَمرٍو رضي الله عنه: «**أَلَم أُخبرْ أنَّك تصُومُ ولا تُفطِرُ، وتُصلِّي اللَّيلَ، فلا تفعَلْ، فإنَّ لعينَيْكَ حظًّا، ولنفسِكَ حظًّا، ولأهلِكَ حظًّا، فصُمْ وأفطِرْ، وصَلِّ ونَمْ، وصُمْ مِن كلِّ عشرةِ أيَّامٍ يومًا، ولكَ أجرُ تسعَةٍ**». ويُروى: «**فإنَّكَ إذَا فعلْتَ ذلكَ هجَمَتْ عينَاكَ، ونَفِهَتْ نفسُكَ**»[١]. [خ: ١٨٧٦] [م: ١١٥٩]

* قال: بلغ النَّبيَّ ﷺ أنِّي أصومُ أسردُ، وأصلِّي اللَّيلَ، فإمَّا أرسلَ إليَّ وإمَّا لقيتُه، فقالَ لي: «**ألَم أُخبَرْ...**» إلى آخرِه.

(أُخبَرْ) على بناءِ المفعولِ.

وتمامُه: قال: إنِّي أجدُنِي أقوى من ذلكَ يا نبيَّ اللهِ، قال: «**فصُمْ صيامَ داودَ**»، قال: وكيفَ كان داودُ يصومُ يا نبيَّ اللهِ؟ قال: «**كانَ يصومُ يومًا ويفطرُ يومًا، ولا يفرُّ إذا لاقَى**»، قالَ: مَن لي بهذهِ يا نبيَّ اللهِ؟ قال عطاءٌ ـ وهو أحدُ الرُّواةِ ـ: فلا أدري كيفَ ذكرَ صيامَ الأبدِ؟ فقال النبيُّ ﷺ: «**لا صامَ مَنْ صامَ الأبدَ**» ثلاثًا.

واستدلَّ الظَّاهريَّةُ بهذا الحديثِ على عدمِ جوازِ صيامِ الدَّهرِ، وجوَّزَه أبو حنيفةَ[٢] ومالكٌ[٣] والشَّافعيُّ[٤] وغيرُهم، وأجابُوا عن الحديثِ بأجوبةٍ:

---

(١) قلت: هذه الرِّواية عند مسلمٍ.

(٢) في المذهب جائز مع الكراهة، انظر: «بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع» للكاساني (٢/ ٧٩).

(٣) انظر: «مواهب الجليل في شرح مختصر خليل» للحطاب (٢/ ٤٤٣).

(٤) انظر: «بحر المذهب» للروياني (٣/ ٣٠٨).

أحدُها: أنَّه محمولٌ على حقيقتِهِ، وهو أن يصومَ كلَّ السَّنةِ بالعيدينِ وأيَّامِ التَّشريقِ، وبهذا أجابَتْ عائشةُ رضي الله عنها[١].

والثَّاني: أنَّه محمولٌ على من تضرَّر بهِ، أو فوَّتَ حقًّا.

والثَّالثُ: أنَّ النَّهي كانَ خاصًّا لعبدِ اللهِ؛ لقولِه عليهِ السَّلامُ في بعضِ الرِّواياتِ: «فإنَّك لا تستطيعُ ذلك»[٢]، وقد جاءَ في «صحيحِ مسلمٍ»: أنَّه عجزَ في آخرِ عمرِهِ، وندمَ على أنَّه لم يقبَلِ التَّخفيفَ[٣]، ولذلكَ أقرَّ حمزةَ بنَ عَمروٍ الأسلميَّ[٤]؛ لعلمهِ أنَّه لا يعجَزُ عن ذلكَ.

والرَّابعُ: أنَّ معناهُ: أنَّه لا يجدُ من المشقَّةِ؛ لتعوُّدِه بالصَّومِ ما يجدُ غيرَه مِنَ الصَّومِ، وعلى هذا يكونُ قولُه عليهِ السَّلامُ: «لا صامَ» خبرًا لا غيرَ، بخلافِ الوجوهِ الباقيةِ؛ فإنَّه فيها يصلحُ أن يكونَ خبرًا ودُعاءً.

وقولُه: (**هجَمَتْ عينَاكَ**) أي: غارَتْ ودخلَتْ.

وقولُه: (**نَفِهَت**) بفتحِ النُّونِ وكسرِ الفاءِ؛ أي: أَعْيَت وكَلَّتْ[٥]، ورُوي: «نَهِكَتْ» أي: ضَنِيَتْ[٦].

وقولُه: (**ولا يفرُّ إذَا لاقَى**) أي: في الجهادِ.

وقولُه: (**مَنْ لِي بهذِهِ؟**) معناهُ: أنَّ هذه الخصلةَ صعبةٌ، فمَنْ يكفُلُ لي بتحصِيلِها؟

---

(١) رواه الطبري في «تهذيب الآثار» (٥٠٧).

(٢) رواه البخاري (١٨٧٥)، ومسلم (١١٥٩).

(٣) عند مسلم المصدر السابق.

(٤) حديثه رواه مسلم (١١٢١)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٢٦٢٩).

(٥) انظر: «العين» للخليل الفراهيدي (٤/ ٥٨).

(٦) انظر: «شرح النووي على مسلم» (٨/ ٤٥).

وفي الحديثِ: بيانُ رِفْقِه ﷺ بأمَّتِه، وشفقَتِه عليهم، وإيثارِ مصالِحِهم، وحثِّهم على ما يطيقُونَ عليه، ونهيِهم عمَّا يُخافُ عليهم المللُ بسببِه.

١٤١٣ـ (م): عُقبةُ بنُ عامرٍ رضي الله عنه: «ألَم ترَ آياتٍ أُنزِلَتْ هذِه اللَّيلةَ لم يُرَ مثلُهنَّ قطُّ: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ﴾، و﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾». [م: ٨١٤]

* (﴿ٱلۡفَلَقِ﴾) الصُّبح، وقيل: وادٍ في جهنَّمَ، وقيل غيرُ ذلكَ، ومعنى الحديثِ ظاهرٌ.

وفيه: بيانُ عِظَمِ فضيلةِ هاتَينِ السُّورَتينِ.

وفيه: أنَّ لفظَةَ: (﴿قُلۡ﴾) في أوَّلِ السُّورتينِ من القرآنِ.

وفيه: أنَّ السُّورتينِ من القرآنِ، ورُدَّ على مَنْ نسبَ إلى ابنِ مسعودٍ خلافَ ذلك(١).

١٤١٤ـ (م): أبو هُريرةَ رضي الله عنه: «ألَم ترَوا الإنسانَ إذا ماتَ شخصَ بصرُهُ؟ قالُوا: بلى، قالَ: فذلكَ حينَ يتبَعُ بصرُهُ نفسَهُ». [م: ٩٢١]

* قد تقدَّمَ الكلامُ عليه في البابِ الثَّاني، في قولِه(٢): «إنَّ الرُّوحَ إذا قُبِضَ تَبِعَه البصرُ» الحديثَ.

---

(١) رواه البخاري (٤٦٩٣)، وأحمد في «مسنده» (٢١١٨١)، وابن حبان في «صحيحه» (٤٤٢٩) ولفظه عند ابن حبان: «عن زر بن حبيش قال: لقيت أبيَّ بن كعب، فقلت له: إن ابن مسعود كان يحك المعوذتين من المصاحف، ويقول: إنهما ليستا من القرآن فلا تجعلوا فيه ما ليس منه. قال أبي: قيل لرسول الله ﷺ، فقال لنا، فنحن نقول».

(٢) تقدم برقم: (٢٣٥).

١٤١٥ـ (ق): عائشةُ رضي الله عنها: «أَلَم تَرَي أَنَّ قومَكِ حينَ بنَوا الكعبةَ اقتصَرُوا عن قواعدِ إبراهيمَ، فقلتُ: يا رسولَ اللهِ؛ أَلَا ترُدُّها على قواعدِ إبراهيمَ؟ قالَ: لولَا حِدْثانُ قومِكِ بالكفرِ لفعلتُ». [خ: ١٥٠٦] [م: ١٣٣٣]

*قالَ العلماءُ: بُنِيَ البيتُ خمسَ مرَّاتٍ: بَنَتْهُ الملائكةُ، ثمَّ إبراهيمُ، ثمَّ قريشٌ في الجاهليَّةِ، وحضرَ النَّبيُّ ﷺ هذا البناءَ وعمرهُ خمسٌ وثلاثونَ، وقيل: خمسٌ وعشرونَ سنةً، ثمَّ بناهُ عبدُ اللهِ بن الزُّبيرِ، ثمَّ الحجَّاجُ، وهو على بنائهِ اليومَ.

وذكروا أنَّ هارونَ الرَّشيدَ سألَ مالكًا أن يهدمَهُ ويرُدَّهُ إلى بناءِ ابنِ الزُّبيرِ؛ لكونِه على قواعدِ إبراهيمَ بالأحاديثِ الدَّالَّةِ على ذلك، فقال مالكٌ: أُنشِدُك اللهَ يا أميرَ المؤمنينَ أنْ تجعلَ هذا البيتَ ملعبةً للمُلوكِ، لا يشاءُ أحدٌ إلَّا نقضَهُ وبناهُ، فتذهَبُ هَيْبَتُه من صُدورِ النَّاسِ(١).

والحِدْثانُ ـ بكسرِ الحاءِ وسكون الدَّالِ ـ: قربُ العَهدِ(٢).

وفي الحديثِ دلالةٌ على أمورٍ:

منها: أنَّه إذا تعارضَتِ المصلحةُ والمفسدَةُ قد تُتركُ المصلحةُ للمفسدَةِ، فإنَّ نقضَ البيتِ وردَّه إلى ما كانَ عليه من قواعدِ إبراهيمَ حسنٌ مصلحةٌ، لكن يعارِضُه خوفُ فتنةِ من أسلمَ قريبًا لما كانوا يعتقدُونَ فضلَ البيتِ عظيمًا، وكانوا يرونَ تغييرَهُ منكرًا عظيمًا.

ومنها: فكرُ أولي الأمرِ في مصالحِ رعيَّتِه، واجتنابُه ما يُخافُ أن يتولَّدَ منه ضررٌ عظيمٌ في دينٍ أو دُنيا، إلَّا الأمورَ الشَّرعيَّةَ؛ كالزَّكاةِ وإقامةِ الحدودِ ونحوِ ذلك.

---

(١) انظر: «التمهيد» لابن عبد البر (٦/ ٤٧٨)، و«شرح النووي على مسلم» (٩/ ٨٩).

(٢) انظر: «الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية» للجوهري (١/ ٢٧٩).

ومنها: تأليفُ قلوبِ الرَّعيةِ؛ لئلَّا ينفرُوا.

فإن قيل: هذا الحديثُ روَتْه عائشةُ رضي الله عنها، ولا شكَّ لأحدٍ من المسلمينَ في ضبطِها، ولا ريبَ في حفظِها، فما معنى قولِ ابن عمرَ رضي الله عنه: لَئِن كانت عائشةُ سمعَتْ هذا مِن رسولِ اللهِ ﷺ ما أُرَى رسولَ اللهِ ﷺ تركَ استلامَ الرُّكنينِ الَّذين يليَانِ الحجرَ إلَّا أنَّ البيتَ لم يُتمَّمْ على قواعدِ إبراهيمَ، ذكرَهُ في «الصَّحيحينِ»(١).

أُجِيبَ: بأنَّه خارجٌ مخرجَ ما يقعُ في كلامِ العربِ من صُورةِ التَّشكيكِ، والمرادُ به اليقينُ، ومثلهُ قولُه تعالى: ﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [الأنبياء: ١١١].

١٤١٦ـ (ق): أبو بكرٍ رضي الله عنه: «ألم يأنِ للرَّحيلِ». [خ: ٣٤١٩] [م: ٢٠٠٩]

قالَهُ له بعدَ خرُوجهِ إلى المدينةِ.

*عن البراءِ بن عازبٍ، قال: جاءَ أبو بكرٍ إلى أبي في منزلِه، فاشترى منه رَحْلًا، فقالَ لعازبٍ: ابعَثْ معي ابنكَ يحملُه معِي إلى منزلِي، فقالَ لي أبي: احملهُ، فحملتُهُ، وخرجَ أبي ينتقِدُ ثمنَهُ، فقال أبي: يا أبا بكرٍ؛ حدِّثني كيف صنعتُمَا ليلةَ سريْتَ معَ رسولِ اللهِ ﷺ؟

قالَ: أسرَيْنا ليلَتَنا كلَّها حتَّى قامَ قائمُ الظَّهيرةِ، وخلا الطَّريقُ فلا يمرُّ فيه أحدٌ، حتَّى رُفِعَتْ إلينا صخرةٌ طويلةٌ لها ظلٌّ لم يأتِ عليهِ الشَّمسُ بعدُ، فنزَلْنا عندها، فأتيتُ الصَّخرةَ فسوَّيت بيدِي مكانًا ينامُ فيهِ النَّبيُّ عليهِ السَّلامُ في ظلِّها، ثمَّ بسطتُ فروةً، ثمَّ قلتُ: يا رسولَ اللهِ؛ نَمْ، وأنا أنفضُ لك ما حولَكَ، فنامَ وخرجْتُ أنفُضُ

---

(١) رواه البخاري (١٥٠٦)، ومسلم (١٣٣٣).

ما حولَهُ، فإذا أنا براعٍ مقبلٍ بغنمِهِ إلى الصَّخرةِ يريدُ منها الَّذي أردنا، فقلتُ: لِمَن أنتَ؟ فقالَ: لرجلٍ من أهلِ المدينَةِ، قلتُ له: أفِي غَنَمِكَ لبنٌ؟ قالَ: نعم، قلتُ: أفتَحْلِبُ لي؟ قال: نعم، فأخذَ شاةً، فقلتُ له: انفضِ الضِّرعَ من الشَّعرِ والتُّرابِ والقَذَى، فحلبَ لِي في قَعْبٍ معه كُثْبَةً من لبنٍ، قال: ومعِي إداوةٌ أرتَوِي فيها للنَّبيِّ عليهِ السَّلامِ؛ ليشربَ منها ويتوضَّأَ.

قالَ: فأتيتُ النَّبيَّ ﷺ وكرِهْتُ أن أُوقِظَهُ من نومِهِ، فوافَيْتُه قد استيقظَ، فصبَبْتُ على اللَّبنِ من الماءِ حتَّى برَدَ أسفلُه، فقلتُ: يا رسولَ اللهِ؛ اشرَبْ من هذا اللَّبنِ، قالَ: فشربَ حتَّى رَضِيتُ، ثمَّ قالَ: «**ألم يأنِ للرَّحيلِ؟**»، قلتُ: بلى، قالَ: فارتحَلْنا بعدَ ما زالتِ الشَّمسُ، واتَّبعَنا سراقةُ بنُ مالكٍ، قالَ: ونحنُ في جَلَدٍ من الأرضِ، فقلتُ: يا رسولَ اللهِ؛ أُتِيْنا، قالَ: «**لا تحزَنْ، إنَّ اللهَ معَنا**»، فدعا عليهِ رسولُ اللهِ ﷺ فارتطَمَتْ فرسُهُ إلى بطنِها أُرَى، فقال: إنِّي قَد علمتُ أنَّكما دعوتُما عليَّ، فادعوا لِي، فاللهُ لكُما أنْ أردَّ عنكُما الطَّلَبَ، فدعا اللهَ فنجَا، فرجعَ لا يلقَى أحدًا إلَّا قالَ: قد كفيتُكُم ما ههنا، فلا يلقَى أحدًا إلَّا ردَّهُ.

قالَ: فقدِمْنَا المدينةَ ليلًا، فتنازَعُوا أيُّهم ينزِلُ عليهِ، فقالَ: «**أنزلُ على بني النَّجَّارِ أخوالِ بني عبدِ المطَّلبِ أكرِمُهم بذلكَ**»، فصعدَ الرِّجالُ والنِّساء فوقَ البيوتِ، وتفرَّقَ الغلمانُ والخَدَمُ في الطُّرقِ ينادونَ: يا محمَّدُ، يا رسولَ اللهِ.

قولُه: (**ينتقِدُ**) أي: يستوفِيه.

وقولُه: (**ليلةَ سَرَيتَ**) يقالَ: سريتُ وأسريتُ بمعنًى.

وقولُه: (**قامَ قائمُ الظَّهيرَةِ**) هو حالُ استواءِ الشَّمسِ في نصفِ النَّهارِ.

وقولُه: (**رُفِعَتْ إلينا صخرَةٌ**) أي: ظهرَتْ.

(والفروةُ) معروفةٌ، وقيل: المرادُ به: الحشيشُ، ويردُّه قولُه في بعضِ رواياتِ البخاريِّ: «فروةً معي»(١).

وقولُه: **(أنفُضُ لكَ ما حولَكَ)** أي: أفتِّشُه؛ لئلَّا يكونَ ثمَّةَ عدوٌّ.

وقولُه: **(لرجلٍ من أهلِ المدينةِ)** يريدُ مكَّةَ؛ لأنَّ مدينةَ النبيِّ عليهِ السَّلامُ لم تُسمَّ مدينةً إذ ذاك، وإنَّما كانَتْ تسمَّى يثربَ، ويندفعُ بهذا قولُ القاضِي(٢): ذكْرُ المدينةِ وَهْمٌ.

والقَعْبُ: قصعةٌ مِن خشبٍ(٣).

والكُثْبةُ ـ بضمِّ الكافِ وإسكانِ المثلَّثةِ والباء الموحَّدةِ ـ: قَدْرُ الحَلْبَةِ، وقيل: هي اللَّبنُ القليلُ(٤).

والإداوةُ: كالرَّكْوَةِ. فإن قيل: كيف شَرِبا من ذلك اللَّبنِ بغيرِ إذنِ صاحبِه؟

أُجِيبَ من أوجهٍ:

الأوَّلُ: أنَّه محمولٌ على عادةِ العربِ؛ فإنَّهم يأذنونَ للرُّعاةِ بسقيِ من يمرُّ عليهم من ضيفٍ أو عابرِ سبيلٍ.

الثَّاني: أنَّه كان صديقًا لهم يدلُّونَ عليه.

الثَّالثُ: أنَّه مالٌ حربيٌّ لا أمانَ له.

الرَّابعُ: لعلَّهم كانوا مضطرِّينَ.

---

(١) رواه البخاري (٣٧٠٤).

(٢) انظر: «إكمال المعلم بفوائد مسلم» للقاضي عياض (٦/ ٤٧٦).

(٣) انظر: «التلخيص في معرفة أسماء الأشياء» للعسكري (ص: ١٩٨).

(٤) انظر: «شرح النووي على مسلم» (١٨/ ١٤٩).

والجوابُ الأوَّلُ أظهرُ[(١)].

وقولُه: (**حتى برَدَ أسفلُه**) بفتح الرَّاءِ، وقيل: بالضمِّ.

(**والجَلَد**) بفتحِ الجيمِ واللَّامِ، الأرضُ الصُّلبةُ[(٢)].

وقولُه: (**فارتطَمَتْ فرسُهُ**) أي: غاصَتْ قوائِمُها في تلكَ الأرضِ.

وفي الحديثِ معجزةٌ ظاهرةٌ لرسولِ اللهِ ﷺ، وفضيلةٌ لأبي بكرٍ رضي الله عنه من وجوهٍ.

وفيهِ: خدمةُ التَّابعِ للمتبوعِ.

وفيهِ: استحبابُ حملِ الرَّكوةِ والإبريقِ ونحوِهِما في السَّفرِ للطَّهارةِ والشُّربِ.

وفيهِ: بيانُ التَّوكُّلِ على اللهِ وحُسنِ عاقبَتِه.

وفيهِ: فضلُ الأنصارِ؛ لفرحِهِم بقدومِ رسولِ اللهِ ﷺ، وفضلُ صلةِ الرَّحمِ في قريبِ القَرابةِ وبعيدِها، وأنَّ الرَّجُلَ الجليلَ إذا نزلَ بلدًا له فيه أقاربُ نزلَ عندَهُم، وأكرَمَهم بذلك.

---

(١) في هامش (ص): «والأولى أن يحمل على أن الراعي صاحب الغنم».

(٢) انظر: «الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية» للجوهري (٢/ ٤٥٨).

فصلٌ

وفصَلَ هذا عمَّا قبلَهُ؛ لكونه نوعًا آخرَ بوقوعِ: (أفَلَا) في صدرِ الكلامِ.

١٤١٧ـ (ق): أَبو هُريرةَ رضي الله عنه: «أفلَا أُعلِّمُكُم شيئًا تُدرِكُونَ بهِ مَن سبقَكُم، وتسبقُونَ بهِ مَن بعدَكُم، ولا يكُونُ أحدٌ أفضلَ منكُم إلَّا مَن صنَعَ مثلَ مَا صنعتُم؟ قالوا: بلى يا رسولَ اللهِ، قال: تُسبِّحُونَ، وتُكبِّرُونَ وتُحمِّدُونَ دُبُر كلِّ صلاةٍ ثلاثًا وثلاثِينَ مرَّةً». [خ: ٨٠٧] [م: ٥٩٥]

*قالَ: فقراءُ المهاجرينَ أَتَوا رسولَ اللهِ ﷺ فقالُوا: ذهبَ أهلُ الدُّثورِ بالدَّرجاتِ العُلى، والنَّعيمِ المقِيم، فقالَ: «**وما ذاكَ؟**»، قالُوا: يصلُّون كما نصلِّي، ويصُومونَ كما نصومُ، ويتصدَّقُونَ ولا نتصدَّقُ، ويُعتِقُونَ ولا نُعتِقُ، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «**أفلا أُعلِّمُكم**»... إلى آخرِه، قال: فرجعَ فقراءُ المهاجرينَ إلى رسولِ اللهِ ﷺ فقالُوا: سمعَ إخوانَنا أهلُ الأموالِ بما فعلنَا، ففعلُوا مثلَه، فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**ذلكَ فضلُ اللهِ يؤتيهِ مَن يشاءُ**».

قولُه: (**تُدرِكُون بهِ مَنْ سَبقَكُم**) يُحتملُ أن يُرادَ به السَّبقُ بالشَّرفِ؛ أي: في الفضيلةِ، ويُحتملُ أن يرادَ به السَّبقُ بالزَّمانِ، وكذلك قولُه: (**مِنْ بعدِكُم**)، قيل: ولعلَّ الأوَّل أقربُ؛ فإنَّ سُؤالَهم كان عن أمرِ الفضِيلَةِ وتقدُّمِ الأغنياءِ فيها.

وقولُه: (**ولا يكُونُ أحَدٌ أفضَلَ منكُم إلَّا مَن صَنَعَ مثلَ مَا صنَعْتُم**) يدلُّ على ترجيحِ هذه الأذكارِ على فضيلةِ المالِ.

وقولُه: (**تسبِّحُون**)... إلى آخرِه: يُحتملُ أن يكونَ المرادُ: ثلاثًا وثلاثينَ من المجموعِ، فيكونُ كلُّ واحدٍ أحدَ عشرَ، ويُحتملُ أن يكون المرادُ: يسبِّحُ ثلاثًا

وثلاثينَ مرَّةً، ويحمدُ كذلك، ويكبِّرُ كذلك، وقد ذكرَ مسلمٌ أحاديثَ ظاهرُها يدلُّ على ذلك.

١٤١٨ـ (ق): عائشةُ رضي الله عنها: «أفَلا أكُونُ عبدًا شكورًا؟». [خ: ٤٥٥٧] [م: ٢٨٢٠]

قالَهُ حينَ قيلَ لهُ: أتكلَّفُ هذا، وقَد غفرَ لكَ مَا تقدَّمَ من ذنبكَ وما تأخَّرَ؟

* قالت: كانَ رسولُ اللهِ ﷺ إذا صلَّى قامَ حتَّى تفطَّرَ رجلاهُ، فقلتُ: يا رسولَ اللهِ؛ أتصنَعُ هذا وقد غُفِرَ لك ما تقدَّم من ذنبكَ؟ ـ وفي لفظٍ: وما تأخَّرَ؟ ـ فقالَ: «يا عائشةُ؛ أفلا أكونُ عبدًا شكورًا؟»، وفي بعضِ طرقِ البخاريِّ: «حتَّى تتفطَّر قدماهُ»(١)، وعن المغيرةِ بن شعبةَ: «حتَّى انتفخَتْ قدمَاهُ»(٢).

وقولُه: (**تفطَّرَتْ**) بمعنى: تشقَّقَتْ.

والمرادُ **بالشَّكورِ** ههنا: هو الحامِدُ على النِّعمَةِ بقلبِهِ ولسانِهِ وجوارِحِهِ، وإذا أُطلِقَ على اللهِ كان معناهُ المجازِي للعبيدِ في مقابلةِ أفعالِهِم مضاعفًا للثَّوابِ.

١٤١٩ـ (م): عبدُ الله بنُ جعفرِ بنِ أبي طالبٍ رضي الله عنه: «أفَلا تتَّقِي اللهَ في هذه البهيمَةِ الَّتي ملَّكَكَ اللهُ إيَّاها؟ فإنَّهُ يشْكُو إليَّ أنَّكَ تُجِيعُهُ، وتُدئبُهُ»(٣).

---

(١) رواه البخاري (٤٥٥٧).

(٢) رواه مسلم (٢٨١٩)، والترمذي (٤١٢).

(٣) قلت: أصل الحديث في «صحيح مسلم» (٣٤٢) دون ذكر هذا اللَّفظ، وهذا اللَّفظ إنَّما رواه أبو داود (٢٥٤٩) والحاكم في «المستدرك» (٢/ ١٠٩) وقال: حديثٌ صحيح الإسناد ولم يخرِّجاه.

قـالَـهُ لرجلٍ مـنَ الأنصارِ حينَ دخلَ حائطَهُ، فإذا فيهِ جملٌ، فلمَّا رآهُ جرجَرَ وذَرَفَتْ عيناهُ.

* قالَ: أردَفَنِي رسـولُ اللهِ ﷺ ذاتَ يومٍ خلفَهُ، فأسرَّ إليَّ حديثًا لا أحدِّثُ بـه أحدًا منَ النَّاسِ، وكان أحبَّ ما استترَ بهِ رسولُ اللهِ ﷺ لحاجَتِه هدفٌ أو حائشُ نخلٍ، قال: فدخلَ حائطًا لرجلٍ مِن الأنصارِ، فإذا فيه جملٌ، فلمَّا رأى النَّبيَّ ﷺ جَرْجَرَ وذرفَتْ عيناهُ[1]، فأتاهُ النَّبيُّ ﷺ فمسَحَ ذِفْرَيهِ[2] فسكتَ، فقالَ: «مَن ربُّ هذا الجَملِ؟ لِمَن هذا الجملُ[3]؟»، فجاءَ فتًى من الأنصارِ، فقالَ: هذا لي يا رسولَ اللهِ، قالَ:... ثمَّ ذكرَ الحديثَ.

جرجرَ البعيرُ: أي: صوَّتَ عندَ الصَّخرةِ[4].

وفيه: معجزةٌ ظاهرةٌ لرسولِ اللهِ ﷺ.

١٤٢٠ـ (ق): أَنَسٌ رضي الله عنه: «أفَلا تخرجُونَ معَ رَاعِينَا في إبلِه، فتُصِيبُون مِن أبوالِهَا وألبَانِهَا؟». [خ: ٢٣١] [م: ١٦٧١]

قالَهُ لنَفرٍ مِن عُكْلٍ أو عُرَينَةَ.

* قد تقدَّمَ هذا الحديثُ في أوَّلِ البابِ الخامسِ[5].

---

(١) في (ن) و(ص) و(م) زيادة: «قال».

(٢) في هامش (ع) و(ص) و(ك): «ذفري البعير: هي الموضعُ الذي يَعْرَقُ مِن قفَاه، ويُجعل فيه القطران، وهما ذفريان».

(٣) قوله: «لمن هذا الجمل»: ليس في (ن) و(ص).

(٤) انظر: «معجم متن اللغة» لأحمد رضا (١/ ٥٠٧).

(٥) تقدم برقم: (٨٧٧).

فصلٌ

وفصلَ عمَّا قبلَهُ لذلكَ؛ لكونِ: (أليسَ) أو (أو) وقعَ في صدرِ الكلامِ.

١٤٢١ـ (ق): أنسٌ رضي الله عنه: «أَلَيسَ الَّذي أمشَاهُ على رجلَيهِ في الدُّنيَا قادِرًا على أنْ يُمشِيهِ على وجهِهِ يومَ القيامَةِ؟». [خ: ٦١٥٨] [م: ٢٨٠٦]

*قالَ: إنَّ رجلًا قالَ: يا رسولَ اللهِ؛ كيفَ يُحشَرُ الكافرُ على وجهِهِ يومَ القيامةِ؟ فقالَ: «**أَلَيسَ الَّذي أمشَاهُ...**» إلى آخرِه.

ظاهرُه: أنَّه يمشِي على وجهِهِ حقيقةً، وقال بعضُهم: هو مثلٌ للكافرِ والمؤمنِ، أنَّ هذا ضالٌّ، وهذا مهتدٍ، وهذا قولُ مجاهدٍ في تفسيرِ[1] قولِه تعالى: ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ﴾ [الملك: ٢٢]، والأوَّلُ قولُ قتادةَ في تفسيرِ الآيةِ[2]، وظاهرُ الحديثِ حجَّةٌ له.

١٤٢٢ـ (م[3]): أنسٌ رضي الله عنه: «أليسَ يشهَدُ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ وأنِّي رسولُ اللهِ؟». [م: ٣٣]

يعني: مالكَ بنَ الدُّخشُمِ، قالوا: إنَّهُ يقولُ ذلكَ ومَا هو في قلبِهِ، قالَ: لا يشهَدُ أحدٌ أنَّهُ لا إلهَ إلَّا اللهُ وأنِّي رسولُ اللهِ، فيدخُلَ النَّارَ، أو تطعَمَهُ.

* عن أنسٍ، عن محمودِ بنِ الرَّبيعِ، قالَ: قَدِمتُ المدينةَ، فلقيتُ عتبانَ بنَ مالكٍ، فقلتُ: حديثٌ بَلَغَني عنكَ، قالَ: أصابَنِي في بصرِي بعضُ الشَّيءِ، فبعثتُ إلى

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥١٦).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥١٦).

(٣) في (ب): «ق».

رسولِ اللهِ ﷺ: إنِّي أحبُّ أن تأتِيَني تصلِّي في منزلي، فأتَّخِذَهُ مصلًّى، قالَ: فأتى[١] النَّبيُّ ﷺ ومن شاءَ اللهُ مِن أصحابِهِ رضي الله عنهم، فدخلَ فهو يصلِّي في منزلِي وأصحابُه يتحدَّثونَ بينَهم، ثمَّ أسندُوا عُظْمَ ذلك وكُبْرَه إلى مالكِ بنِ الدُّخْشُمِ، قالَ: ودُّوا أنَّه دعا عليه فهلَكَ، ودُّوا أنَّه أصابَهُ شرٌّ، فقضَى رسولُ اللهِ ﷺ صلاتَهُ، وقالَ: «**أليسَ يشهَدُ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ وأنِّي رسولُ اللهِ؟**»، قالوا: إنَّه يقولُ ذلك وما هوَ في قلبِه، قالَ: «**لا يشهَدُ أحدٌ أنَّهُ لا إلهَ إلَّا اللهُ وأنِّي رسولُ اللهِ...**» إلى آخرِه.

قال أنسٌ: فأعجَبني هذا الحديثُ، فقلتُ لابني: اكتُبْه، فكتَبَهُ.

قيل: اجتمعَ في هذا الحديثِ ثلاثةٌ مِن الصَّحابةِ، وهم: أنسٌ، ومحمودٌ، وعتبانُ، يروي بعضُهم عن بعضٍ، وفيه روايةُ الأكابرِ عن الأصاغرِ؛ فإنَّ أنسًا أكبرُ من محمودٍ سنًّا وعلمًا ومرتبةً.

و(**عِتْبانُ**) بكسرِ العينِ المهملةِ بعدَها مثنَّاةٌ فوقُ ساكنةٌ، ثمَّ باءٌ موحَّدةٌ هو المشهورُ، ورُوي: بضمِّ العينِ[٢].

وقولُه: (**أصَابَني في بَصَرِي بعضُ الشَّيءِ**) وفي روايةٍ: «عميَ»[٣] يُحتملُ أن يريدَ بإصابةِ بعضِ الشَّيء: العَمَى، ويُحتملُ ضعفَ البصرِ، وذهابَ معظَمِه.

وقولُه: (**ثمَّ أسندُوا عُظْمَ ذلك**) بضمِّ العينِ وسكونِ الظَّاءِ؛ أي: مُعظَمَه.

و(**كُبرَه**) بكسرِ الكافِ وضمِّها: أكبرَهُ.

ومعناهُ: أنَّهم تحدَّثُوا وذكرُوا شأنَ المنافقينَ، وأفعالَهُم القبيحةَ، وما يلقونَ

---

(١) في (ب): «فأتاني».

(٢) انظر ترجمته في: «الإصابة في تمييز الصحابة» لابن حجر العسقلاني (٤/ ٣٥٨).

(٣) رواه مسلم (٣٣).

منهم، ونَسَبُوا معظمَ ذلك إلى مالكِ بن الدُّخْشُمِ ـ بضمِّ الدَّالِ، وسكونِ الخاءِ المعجمةِ، وضمِّ الشينِ المعجمةِ، وبالميمِ، وقد رُوي بالنُّونِ، وقد رُوي بهما مكبَّرًا ومصغَّرًا ـ وهو رجلٌ من الأنصارِ، شهدَ بدرًا وما بعدَها من المشاهِدِ، وكانَ بعضُ الصَّحابةِ يظنُّ أنَّه منافقٌ، ولكن لم يصحَّ ذلك عنهُ، فقد ظهرَ من حُسنِ إسلامهِ ما يمنعُ من اتِّهامِه(١).

ألا ترى إلى روايةِ البخاريِّ: «ألا تراهُ قالَ: لا إلهَ إلَّا اللهُ يبتَغِي بها وجهَ اللهِ؟»؛ فإنَّه شهادَةٌ من رسولِ اللهِ ﷺ أنَّه قالَها مصدِّقًا بها، مُعتَقدًا صِدْقها، متقرِّبًا بها إلى اللهِ تعالى، وشهادَتُه ﷺ لأهلِ بدرٍ معروفةٌ، فلا يُشكُّ في صدقِ إيمانِه.

وفي الحديثِ دليلٌ على التَّبرُّكِ بآثار الصَّالحينَ.

وفيه: زيارةُ العلماءِ أتباعَهُم.

وفيه: جوازُ استدعاءِ المفضُولِ للفاضلِ لمصلحةٍ تَعرِضُ.

وفيه: جوازُ الكلامِ بحضرةِ المصلِّينَ ما لم يشغلْهُم ويُدخِلُ عليهم لبسًا في صلاتِهم.

وفيه: ذكرُ من يُتَّهَمُ بريبةٍ أو نحوِها للأئمَّةِ.

وفيه: جوازُ الكتابةِ للحديثِ، وقد تقدَّمَ بيانُ الاختلافِ في جوازِها في غيرِ القرآنِ.

---

(١) انظر ترجمته في: «الإصابة في تمييز الصحابة» لابن حجر العسقلاني (٥/ ٥٣٤).

١٤٢٣ ـ (م[1]): أَبو ذرٍّ رضي الله عنه: «أولَيسَ قَد جعلَ اللهُ لكُم ما تصَدَّقُونَ؟ إنَّ بكلِّ تسبيحَةٍ صدقَةً، وبكُلِّ تكبيرَةٍ صدقةً، وكلُّ تحميدَةٍ صدقَةٌ، وكلُّ تهليلَةٍ صدقةٌ، وأمرٌ بمعرُوفٍ صدَقةٌ، ونهيٌ عن مُنكرٍ صدقَةٌ، وفي بُضعِ أحدِكُم صدقَةٌ، قالوا: يا رسولَ اللهِ؛ أيأتِي أحدُنَا شهوَتَهُ، ويكُونُ له فيها أجرٌ؟ قالَ: أرأيتُم لو وضعَهَا في حرَامٍ أكانَ عليهِ فيها[2] وزرٌ؟ فكذلكَ إذا وضعَهَا في الحلَالِ كانَ له أجرٌ». [م: ١٠٠٦]

قالَهُ لناسٍ مِن أصحابِهِ، قالوا: يا رسولَ اللهِ؛ ذهَبَ أهلُ الدُّثُورِ بالأجُورِ، يصلُّونَ كما نُصلِّي، ويصُومُونَ كما نصُومُ، ويتصَدَّقُونَ بفضُولِ أموالِهِم.

* قالَ: إنَّ ناسًا من أصحابِ النبيِّ عليهِ السَّلامُ قالوا للنَّبيِّ ﷺ: يا رسولَ اللهِ؛ ذهبَ أهلُ الدُّثورِ بالأجورِ، يصلُّونَ كما نُصلِّي، ويصُومونَ كما نصُومُ، ويتصدَّقونَ بفضُولِ أموالِهِم، قالَ: «أَوَليسَ قَد جعلَ اللهُ لكم...» إلى آخرِه.

قولُه: (إنَّ بكلِّ تسبيحَةٍ صدقَةً) تقديرُه: إنَّ بسببِ كلِّ تسبيحةٍ أجرًا كأجرِ صدقةٍ، حُذِفَ كافُ التَّشبيهِ للمُبالغةِ، ثمَّ حُذِفَ (أجرًا)، فبقِيَ: أجرُ صدقةٍ، ثمَّ حُذِفَ المضافُ، وأقيمَ المضافُ إليه مقامَه، وأُعرِبَ بإعرابِه.

وقولُه: (وبكُلِّ تكبيرَةٍ صَدقةً) رُوي بنصبِ (صدقةً) ورفعِها، فوجهُ النَّصبِ ما تقدَّمَ، ووجهُ الرَّفعِ أنَّه لا يُجعلُ معطوفًا على الجملةِ المصدَّرةِ بـ: (أن) وقد شُبِّهَتْ التَّحميدةُ بالصَّدقةِ تشبيهَ محسُوسٍ بمحسُوسٍ بجامعٍ عقليٍّ، وهو ترتُّب الثَّوابِ على كلٍّ منهما.

---

(١) في كثير من أصول المتن والشرح: «ق». والصواب ما أثبته كما في (ك) و(ت)، فمسلم تفرد بحديث أبي ذر رضي الله عنه، والبخاري روى المتن بنحوه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه برقم: (٨٠٧).

(٢) «فيها»: ليست في (ب).

وكذلك حكمُ ما بعدَه إلى قولِه: (وفي بُضعِ أحدِكُم) البضعُ: يُطلَقُ ويُرادُ به الفَرْجُ، ويُطلق ويُرادُ به الجماعُ[١]، وإرادةُ كلٍّ منهما ههنا صحيحةٌ.

وإنَّما قالَ: (وفي بُضْعِ أحدِكُم) دونَ أن يقولَ: وبضعُ أحدِكُم صدقةٌ كالباقِينَ[٢]؛ إشارةً إلى أنَّ فيه جهةً أخرى غيرَ جهةِ كونِه عبادةً، وهي الالتذاذُ والشَّهوةُ، وعلى تلك الجهةِ لا تكونُ صدقةً، وإنَّما تكونُ عبادةً إذا نوى قضاءَ حقِّ الزَّوجةِ ومعاشرَتِها بالمعروفِ، أو طلَبَ ولدٍ صالحٍ، أو عفافَ نفسِهِ أو زوجتِه، ومنعِهِما جميعًا من النَّظرِ الحرامِ، أو الفِكْرِ فيه، ولمَّا كانت الشَّهوةُ البهيميَّةُ هي الغالبةُ على أغلبِ النَّاسِ اعتُدَّ بها جهةً.

وقولُه: (قالوا: يا رسولَ اللهِ) فيه دليلٌ على شرعيَّةِ الاستفتاءِ فيما خفيَ على النَّاسِ.

وفي قولِه: (أرأيتُم) دليلٌ على إقامةِ الدَّليلِ على ما يخفَى على المُستَفتي إذا سأَلَ عن ذلكَ.

وفيهِ دليلٌ على فضيلةِ الأمورِ المذكورةِ فيه.

وفيهِ: جوازُ الغبطةِ والمنافسَةِ في الفضيلةِ، لا في حبِّ المالِ في ذاتِه، ولهذا أمرَهُم ﷺ بالتَّسبيحِ وأمثالِه؛ إحرازًا للفضيلةِ دونَ المالِ.

وفيهِ: جوازُ القياسِ، فيكونُ حجَّةً على نُفاةِ القياسِ.

(١) انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (١/ ٣٠٩).

(٢) في (م): «كالباقية».

١٤٢٤ـ(م): أَبُو سعيدٍ رضي الله عنه: «أَوَ كُلَّما انطلَقنَا غُزاةً في سبيلِ اللهِ تخلَّفَ رجُلٌ في عيالِنَا لهُ نبيبٌ كنبِيْبِ التَّيسِ؟ عليَّ ألا أُوتَى برجُلٍ فعلَ ذلكَ إلَّا نكَّلتُ بهِ». [م: ١٦٩٤]

* قال: إنَّ رجلًا من أسلَم ـ يقالُ لهُ: ماعزُ بن مالكٍ ـ أتى رسولَ اللهِ ﷺ فقالَ: إنِّي أصبتُ فاحشَةً، فأقِمْهُ عليَّ، فردَّه رسولُ اللهِ ﷺ مرارًا، ثمَّ سألَ قومَه، فقالوا: ما نعلَمُ به بأسًا، إلَّا أنَّه أصابَ شيئًا يُرى أنَّه لا يُخرِجُه منه إلَّا أن يُقامَ فيه الحدُّ، قال: فرجعَ إلى رسولِ اللهِ ﷺ فأمَرَنا أن نَرْجُمَه، قال: فانطلَقْنا به إلى بقيعِ الغرقَدِ، قالَ: فما أوثقناهُ ولا حفرنا له، قال: فرميناهُ بالعظامِ والمدَرِ والخزفِ، قال: فاشتدَّ واشتدَدْنا خلفَه حتَّى أتى عرضَ الحرَّةِ، فانتصَبَ لنا فرميناهُ بجلاميدِ الحرَّةِ ـ يعني: الحجارةَ ـ حتَّى سكنَ، ثمَّ قامَ رسولُ اللهِ ﷺ خطيبًا من العشيِّ فقالَ: «**أَوَ كُلَّما انطلَقنَا غُزاةً في سَبيلِ اللهِ**[1] **تخلَّفَ رجُلٌ**...» إلى آخرِه.

قالَ الرَّاوي: فما استغفرَ له ولا سبَّهُ.

النَّبيبُ: صوتُ التَّيسِ عندَ السِّفادِ[2].

والتَّنكِيلُ: مِن النَّكالِ، وهو العقوبةُ[3]، والباءُ في (به) للسَّببيَّةِ؛ أي: نكَّلْتُه بسببِ ذلك الفعلِ.

و(**غزاةً**) نصبٌ على الحالِ.

(١) «في سبيل الله»: ليست في (ب).

(٢) انظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير (٥/ ٤).

(٣) انظر: «الغريبين في القرآن والحديث» للهروي (٦/ ١٨٨٧).

١٤٢٥ـ (ق): أَبُـو هُريـرةَ رضـي الله عنـه: «أولكُلِّكُـم ثوبَـانِ؟». [خ: ٣٥١] [م: ٥١٥]

قالَهُ لسائلٍ سألَهُ عنِ الصَّلاةِ في ثوبٍ واحدٍ.

* قالَ: إنَّ سـائلًا سـألَ رسُـولَ اللهِ ﷺ عن الصَّـلاةِ في ثوبٍ واحـدٍ، فقال:... الحديث.

قالَ الخطَّابي: هذهِ لفظةُ استخبارٍ، ومعناهُ: الإخبارُ عن الحالِ التي كانَ عليها من ضيقِ الثِّيابِ، وفي ضمنِها الفتوى من طريقِ الفَحْوى؛ أي: إذا كانَ سترُ العورةِ واجبًا، لا سيَّما في الصَّلاةِ، وليسَ لكُلِّكم ثوبانِ، فكيفَ لم تعلمُوا جوازَها في الثَّوبِ الواحدِ؟![1]

١٤٢٦ـ (م): عائشةُ رضي الله عنها: «أوَمَا شعَرتِ أنِّي أمَرتُ النَّاسَ بأَمرٍ، فإذَا هُمْ يتردَّدُونَ.

١٤٢٧ ـ (ق): وَلَوْ أَنِّي اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ مَا سُقْتُ الهَدْيَ مَعِي حَتَّى أَشْتَرِيَهُ، ثُمَّ أَحِلُّ كَمَا حَلُّوا». [م: ١٢١١] [خ: ٦٨٠٢]

* قالَتْ: قَدِمَ رسولُ اللهِ ﷺ مكَّةَ لأربعٍ مضيْنَ من ذي الحجَّةِ أو خمسٍ، فدخلَ عليَّ وهو غضبانُ، فقلتُ: مَن أغضبكَ يا رسولَ اللهِ أدخلَهُ اللهُ النَّارَ؟ قالَ: «**أوَمَا شعَرتِ أنِّي أمَرتُ النَّاسَ بأمرٍ، فإذا هُم يتردَّدُونَ**...» إلى آخرِه.

قولُـه: (**أوَمَا شـعَرتِ**) بيانُـه: أنَّ النَّبيَّ عليهِ السَّـلامُ أمرَهُم بالحلقِ والإحلالِ،

---

(١) انظر: «أعلام الحديث» للخطابي (١/ ٣٤٩).

وفسخِ الحجِّ إلى عمرةٍ(١)، فترَدَّدُوا في ذلكَ منتَظِرينَ تحلُّلَهُ عليهِ السَّلامُ، وقد تقدَّمَ(٢).

وقولُه: (**ولَو أَنِّي استقبَلْتُ**) قيل: يدلُّ على أنَّه عليه السَّلامُ ما أحرمَ به متحتِّمًا متعيِّنًا عليهِ، وأنَّه كانَ مُخيَّرًا بينَ أنواعِ الإحرامِ، فأحرمَ بأحدِها، ثمَّ لمَّا قلَّدَ الهديَ لم يمكنهُ أن يتحلَّلَ حتَّى ينحرَهُ يومَ النَّحرِ بمحلِّه، فمعنى الكلامِ حينئذٍ: لو ظهرَ لي قبلَ الإحرامِ ما ظهرَ عند دخولِ مكَّةَ مِن توقُّفِ النَّاسِ بالعمرةِ، لأحرمْتُ بعمرةٍ، ولما سُقْتُ الهدْيَ، وإنَّما قالَ ذلك تطييبًا لنفوسِهم، وتسكينًا لهم.

وقولُه: (**حَتَّى أَشْتَرِيَهُ**) يعني: بمكَّةَ، أو ببعضِ جهاتِها، واستشكلَ بعضُهم هذه الرِّوايةَ؛ لأنَّها قالت: (**لأربعٍ مَضَيْن من ذي الحجَّةِ أو خمسٍ**)، وقد جاءَ عنها في روايةٍ أُخرى في «الصَّحيحِ» أنَّها قالت: «خرجنَا مُوافِينَ له لهلالِ ذي الحجَّةِ»(٣)، وبينَ مكَّةَ والمدينةِ أكثرُ من خمسةِ أيَّامٍ وستَّةٍ وسبعةٍ.

وأُجِيبَ: بأنَّه لا إشكالَ فيها؛ لأنَّ قولَها: (مُوافينَ) معناهُ: مُشرِفينَ مُطلِّينَ، يُقالُ: وافى على ثنيَّةٍ كذا؛ أي: شارَفَه وأطلَّ عليه، ولا يلزمُ من هذا الدُّخولُ في الشَّهرِ.

ويؤيِّدُه قولُها في روايةٍ أُخرى: «خرجنَا معَ رسولِ اللهِ ﷺ لخمسٍ بقينَ من ذي القعدَةِ»(٤)، وكذلك كانَ. و«قدمَ النبيُّ عليهِ السَّلامُ مكَّةَ لأربعٍ مَضَيْنَ من ذي الحجَّةَ أو خمسٍ»(٥)، فكانَ مدَّةُ مقامِهِ في الطَّريقِ تسعةَ أيَّامٍ أو عشرةً، فقد زالَ الاستشكالُ.

---

(١) في (ب): «العمرة».

(٢) تقدم برقم: (١١٥٥).

(٣) رواه البخاري (٣١١)، ومسلم (١٢١١).

(٤) رواه البخاري (١٦٢٣)، ومسلم (١٢١١).

(٥) رواه مسلم المصدر السابق.

وأمَّا دعاءُ عائشةَ رضي الله عنها على المغضِبِ فبناءً على ظنِّها أنَّ مُغْضِبَ النَّبيِّ عليه السَّلامُ لا يكونُ إلَّا منافقًا، فدعَتْ عليه.

واعلمْ أنَّه في عامَّةِ نُسخِ «المشارقِ» وقعَ علامةُ الاتِّفاق هكذا: (ق) «ولو أنِّي استقبَلتُ من أمرِي»، وليسَ ذلك لوقوعِهِ في غيرِ هذا الموضعِ بيانًا أنَّه حديثٌ آخرُ متَّفقٌ عليه؛ لأنَّ صدرَهُ ليسَ بمناسبٍ لأحاديثِ هذا الفصلِ، بل هو حديثٌ واحدٌ من قولِه: «أوَما شعرتِ...» إلى قولِهِ: «ثمَّ أحلَّ كما حلُّوا»، وإنَّما فصَلَ بينَهما بكلمةِ: (ق) بيانًا أنَّ قولَه: «أوَما شعرتِ» إلى قولِهِ: «ولو أنِّي استقبلْتُ» روايةُ مسلمٍ فقط، وقولُه: «لو أنِّي استقبلْتُ...» إلى آخرِه روايةُ مسلمٍ والبخاريِّ جميعًا، فعُلِمَ بعلامةِ الاتِّفاقِ فيه إشارةً إلى أنَّ أوَّلَ الحديثِ ليس باتِّفاقِ روايَتِهما، وآخرَه باتِّفاقِ روايَتِهما.

فصلٌ

وفصَلَ هذا عمَّا قبلَهُ لذلكَ؛ لكونهِ مُصدَّرًا بكلمةِ: (أمَا).

١٤٢٨ـ(ق): جابرٌ رضي الله عنه: «أمَا إنَّكَ قادِمٌ، فإذَا قَدِمتَ: فالكَيْسَ الكَيْسَ».

[خ: ١٩٩١] [م: ٧١٥]

قالَهُ لهُ.

* قالَ: خرجتُ معَ النَّبيِّ ﷺ في غزاةٍ فأبطأَ بي جَمَلي، فأتى عليَّ رسولُ اللهِ ﷺ فقالَ لي: «يا جابر» قلتُ: نعم، قال: «ما شأنُكَ؟» قلتُ: أبطأَ بي جَمَلي وأَعْيا فتخلَّفْتُ، فنزلَ فحَجَنه بمحجَنِه، ثمَّ قالَ: «اركَبْ» فركِبتُ، فلقد رأيتَني أكفُّه عن رسولِ اللهِ ﷺ، فقالَ: «أتزوَّجتَ؟»، قلتُ: نعم، قالَ: «أَبِكرًا أم ثيِّبًا؟»، قلتُ: «بل ثيِّبًا»، قالَ: «فهلَّا جارِيةً تُلاعِبُها وتُلَاعِبُكَ؟»، قلتُ: إنَّ لي أخواتٍ، فأحببْتُ أن أتزوَّجَ امرأةً تجمعُهُنَّ وتمشُطُهنَّ، وتقومُ عليهنَّ، قالَ: «أمَا إنَّكَ قادِمٌ...» إلى آخرِه.

قيل: (الكَيْسَ) الجماعُ، و(الكَيْسَ) العقلُ في الأصلِ[١]، وكأنَّه جعلَ الجماعَ لطلبِ الولدِ عقلًا، وهو منصوبٌ بفعلٍ مقدَّرٍ؛ أي: فباشرِ الكيسَ.

وقولُه: (فهلَّا جارِيةً) يشيرُ إلى فضيلةِ تزوُّجِ الأبكارِ[٢]، وملاعبةِ الرَّجلِ أهلَهُ.

وفيه: سؤالُ الإمامِ والكبيرِ أصحابَه عن أحوالِهم، وإرشادُهم إلى مصالِحهم.

وفيه: فضيلةُ جابرٍ رضي الله عنه، وإيثارُه مصلحةَ أخواتِهِ على حظِّ نفسِه.

---

(١) انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (١٠/ ١٧٢).

(٢) في (ب): «البكر».

١٤٢٩ـ(ق): ميمُونَـةُ بنـتُ الحـارِثِ رضـي الله عنهـا: «أمَـا إنَّكِ لـو أعطَيتِهَا أخوالَـكِ كانَ أعظَـمَ لأجـرِكِ». [خ: ٢٤٥٤] [م: ٩٩٩]

قالَهُ لها لمَّا أعتقَتْ وليدَةً.

* عن ميمونةَ بنتِ الحارثِ: أنَّها أعتقَتْ وليدةً لها، ولم تستأذنِ النبيَّ ﷺ، فلمَّا كانَ يومَها الَّذي يدورُ عليها فيه قالَتْ: أشعرتَ يا رسولَ اللهِ أنِّي أعتقْتُ وليدَتي؟ قالَ: «أوَفعلْتِ؟»، قالَتْ: نعم، قال: «**أمَا إنَّكِ لو أعطَيتِهَا...**» إلى آخرِه.

فيه: جوازُ تبرُّعِ المرأةِ بمالِها بغيرِ إذنِ زوجِها قليلًا كانَ أو كثيرًا، وهو مذهبُ أبي حنيفةَ[١]، وقال مالكٌ: لها أن تتصدَّقَ بما دونَ الثُّلُثِ[٢].

وفيه: أنَّ التَّصدُّقَ على الأقاربِ المحتاجِ أفضَلُ.

وفيه: تلويحٌ إلى الاعتناءِ بالأقاربِ من جهةِ الأمِّ؛ إكرامًا لها.

١٤٣٠ـ(م): أبُو قتادَةَ رضي الله عنه: «أمَا إنَّه ليسَ في النَّومِ تفرِيطٌ، إنَّما التَّفرِيطُ على مَن لم يُصلِّ الصَّلاةَ حتَّى يَجِيءَ وقتُ الصَّلاةِ الأُخرَى، فمَن فعَلَ ذلكَ فليُصلِّهَا حينَ ينتبِهُ لهَا، فإذَا كانَ الغَدُ، فليُصَلِّها عندَ وقتِهَا». [م: ٦٨١]

قالَهُ غدَاةَ ليلَةِ التَّعرِيسِ بعدَما صَلَّى الفَجرَ.

* وقد تقدَّمَ الكلامُ عليه في البابِ الثَّاني، في قولِه[٣]: «إنَّكم تسيرونَ عشيَّتكم وليلتكُم».

(١) انظر: «اختلاف العلماء للطحاوي» اختصار الجصاص (٢/ ٣٤١).

(٢) انظر: «المدونة» لمالك بن أنس (٤/ ١٢٣).

(٣) تقدم برقم: (٤٨٢).

١٤٣١ـ (ق): ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنه: «أمَا إنَّهما يُعذَّبَانِ، وما يُعذَّبانِ في كبيرٍ، أمَّا أحدُهُما فكانَ يمشِي بالنَّميمَةِ، وأمَّا الآخرُ فكانَ لا يستَتِرُ مِن بَولِهِ»، ويُروَى: «لا يَستَنزِهُ». [خ: ٢١٣] [م: ٢٩٢]

* قيل: ليسَ المرادُ أنَّهما من الصَّغائرِ؛ لأنَّه وردَ في «الصحيح»: «وإنَّه لكبيرٌ»[١]، فيُحملُ قولُه: (**وَمَا يُعذَّبانِ في كَبِيرٍ**) على أنَّه كان يسهُلُ عليهما التَّوقِّي عنه.

وقولُه: (**لا يستَتِرُ**) له حقيقةٌ؛ وهي ضدُّ الانكشَافِ، ومجازٌ؛ وهو الاحترازُ عن الشَّيءِ، فمنهُم من ذهَبَ إلى أنَّ الحقيقةَ مرادةٌ؛ لأنَّها الأصلُ، ومعناهُ: فكان لا يستترُ عن الأعيُنِ، فكانَتْ عورَتُه تنكَشِفُ، فيكونُ العذابُ على كشفِ العورةِ.

ورُدَّ: بأنَّه يستلزمُ إلغاءَ ذكرِ البولِ؛ لأنَّ كشفَ العورةِ مذمُومٌ سببٌ مستقلٌّ للعذابِ، سواءٌ كانَ ثمَّةَ[٢] بولٌ أو لم يكُنْ، وذكرُ كلمةِ: (من) وهيَ لابتداءِ الغايةِ يردُّ أيضًا ذلكَ؛ لأنَّها تقتَضِي أن يكونَ ابتداءُ التَّسترِ منَ البولِ، فكانَ لهُ مدخلٌ في البَيْنِ.

ومنهم من ذهبَ إلى أنَّ المجاز مرادٌ؛ لأنَّه جاءَ في روايةٍ أُخرى: «**لا يستَنْزِه**»[٣]، وفي أُخرى: «لا يتوقَّى»[٤]، وكلامُ النَّبيِّ عليه السَّلامُ يُفسِّر بعضَهُ بعضًا.

ومُجَوِّزُ المجازِ الاستلزامُ، وهو أنَّ الاستتارَ عن البولِ هو أن يجعلَ بينَهُ وبينَ بولِهِ ساترًا يسترُه عنه؛ لئلَّا ينتضِحَ على بدنهِ أو ثيابِه، وعندهُ يحصلُ الاستنزاهُ والتَّوقِّي عنه، فكان الاستتارُ مستلزمًا للاستنزاهِ، وذكرُ الملزومِ وإرادةُ اللَّازمِ مجازٌ.

---

(١) رواه البخاري (٥٧٠٨).

(٢) في (ب): «به».

(٣) رواه مسلم (٢٩٢).

(٤) رواه أبو الشيخ في «التوبيخ والتنبيه» (٢٠٦)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٥١٣).

وفي الحديثِ: دليلٌ على عِظَمِ أمرِ النَّميمَةِ والتَّلطُّخِ بالبولِ، ومَنْ شاهدَ البهيمةَ تبولُ احترازَها مع عدمِ كونِها عاقلًا ومكلَّفًا(١) شهدَ بذلك بديهةً.

وفي الحديثِ: دلالةٌ على ثبوتِ عذابِ القبرِ، وعليه إجماعُ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ رضوانُ اللهِ عليهم أجمعينَ.

١٤٣٢ـ (م): **أَبو سَعيدٍ رضي الله عنه: «أَمَا إنِّي لم أستحلِفْكُم تُهمَةً لكُم، ولكنَّهُ أتاني جبريلُ فأخبرَني أنَّ اللهَ يُبَاهِي بكُمُ الملائكَةَ»**. [م: ٢٧٠١]

قالَهُ حينَ خرجَ على حلقَةٍ مِن أصحابِهِ، فقال: مَا أجلسَكُم؟ قالُوا: جلسنَا نذكُرُ اللهَ ونحمَدُهُ على مَا هدانَا للإسلَام ومنَّ بهِ علينَا، قال: آللهِ مَا أجلسَكُم إلَّا ذاكَ؟! قالوا: آللهِ مَا أجلسَنَا إلَّا ذاكَ.

***التُّهَمةُ**: بضمِّ التَّاءِ وفتحِ الهاءِ، وهو اللُّغةُ المشهورةُ، وحُكيَ سكونُه، وقيل: هو خطأٌ(٢)، ونصبُها على أنَّه مفعولٌ لهُ.

والمباهاةُ: المفاخَرةُ، قيل: هو مِنَ البهاءِ، وهو الحسنُ والجمالُ، وفلانٌ يُباهي بأهلِه ومالِه؛ أي: يفتخرُ بهم على غيرِهم، ويُظهِرُ حسنَهُم(٣).

و(آللهِ) بالمدِّ والجرِّ على القسَمِ، وبالنَّصبِ من غيرِ مدٍّ على حذفِ حرفِ الجرِّ وإعمالِ فعلِ القسمِ، كقولِه(٤):

---

(١) في (ع) و(ن) و(م): «عاقلة ومكلفة».

(٢) انظر: «المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث» للمديني (١/ ٢٥٠).

(٣) انظر: «الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية» للجوهري (٦/ ٢٢٨٨).

(٤) قال سيبويه في «الكتاب» (٣/ ٦١): قال الآخر، ويقال وضعه النحويون:

إِذَا مَا الخُبْزُ تَأْدُمُهُ بِلَحْمٍ ... فَذَاكَ أَمَانَةَ اللهِ الثَّرِيدُ

فَــذَاكَ أَمَانَــةَ اللَّــهِ الثَّــرِيدُ

وقولُهم: (آللهِ مَا أجلَسْنا) بالجرِّ والمدِّ، والنَّصبِ من غيرِ مدٍّ على ما مرَّ، وكلُّ ذلكَ مرويٌّ ههنا.

١٤٣٣ـ (ق): سعدُ بنُ أبِي وقَّاصٍ رضي الله عنه: «أمَا تَرضَى أنْ تكُونَ منِّي بمنزلَةِ هارُونَ مِن مُوسَى، غيرَ أنَّهُ لا نَبِيَّ بَعدِي؟». [خ: ٣٥٠٣] [م: ٢٤٠٤]

قالَهُ لعلِيٍّ عندَ خرُوجِهِ إلى غزوَةِ تبوكَ.

* قد تقدَّمَ الكلامُ عليه في البابِ الخامسِ، في قولِه[1]: «يا عليُّ، أنت منِّي بمنزلةِ هارونَ من موسى».

١٤٣٤ـ (م): عَمروُ بنُ العاصِ رضي الله عنه: «أمَا علمْتَ أنَّ الإسلامَ يَهدِمُ ما كانَ قبلَهُ، وأنَّ الهجرَةَ تَهدِمُ ما كانَ قبلَهَا، وأنَّ الحجَّ يَهدِمُ ما كانَ قبلَهُ؟». [م: ١٢١]

قالَهُ لهُ حينَ قبَضَ يدَهُ عنِ البيعَةِ، فقالَ: ما لكَ يا عَمروُ؟ قال: أردْتُ أنْ أشترِطَ، قال: تشترِطُ ماذَا؟[2] قال: أنْ يُغفرَ لِي.

* عن عبدِ الرَّحمنِ بنِ شَمَاسَةَ المَهْرِيِّ، قالَ: حضَرْنا عَمروُ بن العاصِ وهو في سياقةِ الموتِ، فبكَى طويلًا، وحوَّلَ[3] وجهَهُ إلى الجدارِ، فجعلَ ابنُه يقولُ له[4]: ما

---

(١) تقدم برقم: (١٠٠٩).

(٢) في هامش (ك) و(ب): في نسخة: «بماذا».

(٣) في (أ): «فحول».

(٤) «له»: ليس في (ب).

يُبكِيكَ يا أبتاهُ؟ أمَا بشَّركَ رسولُ اللهِ ﷺ بكذا؟ أمَا بشَّركَ رسولُ اللهِ ﷺ بكذا؟ فأقبلَ بوجهِه فقالَ: إنَّ أفضلَ ما نُعِدُّه شهادةُ أن لا إلهَ إلَّا الله وأنَّ محمدًا رسولُ اللهِ، إنِّي كنتُ على أطباقٍ[١] ثلاثةٍ، لقد رأيتُني وما أحدٌ أشدُّ بُغْضًا لرسولِ اللهِ ﷺ منِّي، ولا أحبَّ إليَّ أن أكونَ قد استمكَنْتُ منهُ فقتلتُهُ، فلو متُّ على تلكَ لكنتُ من أهل النَّارِ.

فلمَّا جعلَ اللهُ عزَّ وجلَّ الإسلامَ في قلبِي أتيتُ النَّبيَّ ﷺ فقلتُ: ابسُطْ يمينَكَ فلأُبايعْكَ، فبسطَ يمينَهُ، قالَ: فقبضْتُ يدِي، قالَ: «**ما لكَ يا عَمرُو؟**»، قلتُ: أردْتُ أَن أشترِطَ، قالَ: «**تشترِطُ ماذَا[٢]؟**»، قلتُ: أن يُغفَرَ لي، قالَ: «**أمَا علمْتَ أنَّ الإسلامَ يهدِمُ ما كانَ قبلَهُ، وأنَّ الهجرَةَ تَهدِمُ ما كانَ قبلَهَا، وأنَّ الحجَّ يهدِمُ ما كانَ قبلَهُ؟**»، وما كانَ أحدٌ أحبَّ إليَّ من رسولِ اللهِ ﷺ ولا أجلَّ في عينِي منهُ، وما كنتُ أُطيقُ أن أملأَ عيني منه إجلالًا لهُ، ولو سُئِلتُ أنْ أصِفَه ما أطقْتُ؛ لأنِّي لم أَكُنْ أملأُ عيني منه، ولو متُّ على تلكَ الحالِ لرجوتُ أن أكونَ من أهلِ الجنَّةِ، ثمَّ ولينا أشياءَ، ما أدري ما حالِي فيها، فإذا أنا متُّ فلا تصحَبْني نارٌ ولا نائحةٌ، فإذا دفنتُمُونِي فسنُّوا عليَّ التُّراب سنًّا، ثمَّ أقيمُوا حولَ قبرِي قدرَ ما ينحرُ جزورًا ويقسمُ لحمُها؛ حتَّى أستأنِسَ بكُم، وأنظُرَ ماذا أراجعُ به رُسلَ ربِّي.

(**شَمَاسَه**[٣]) بفتحِ الشِّينِ المعجمَةِ وضمِّها، وتخفيفِ الميمِ، وسينٍ مهملةٍ، ثمَّ هاءٍ.

(**والمَهْري**) بفتحِ الميمِ وسكونِ الهاءِ، منسوبٌ إلى مَهْرةَ بنِ حَيْدانَ[٤].

---

(١) في (م): «طباق».

(٢) في (ب): «بما».

(٣) في (ب): «شماسته».

(٤) انظر: «المصباح المنير في غريب الشرح الكبير» للفيومي (٢/ ٥٨٣).

وقولُه: (**في سِياقَةِ الموتِ**) هو بكسرِ السينِ؛ أي: حالَ حضُورِ الموتِ.

وقولُه: (**أفضَلَ ما نُعِدُّ**) بضمِّ النونِ.

وقولُه: (**على أطباقٍ ثلاثةٍ**) أي: أحوالٍ، قالَ اللهُ تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ [الانشقاق: ١٩].

وقولُه: (**تشترِطُ بماذَا؟**) بإثباتِ الباءِ، وهو المذكورُ في النُّسخِ، فقيل: يجوزُ أن تكون زائدةً للتَّوكيدِ، وقيل: ضمَّنَ (**تشترطُ**) معنى: تحتاطُ؛ أي: تحتاطُ بماذا؟

وقولُه: (**الإسلامَ يهدِمُ ما كانَ قبلَهُ**) أي: يُسقِطُه ويمحُو أثرَهُ، استُعِير لمعنى الإذهابِ والإزالَةِ؛ لأنَّ الجدارَ إذا انهدَمَ فقد زالَ وضعُه، وقد عبَّرَ عنه في الرِّوايةِ الأُخرى بالجَبِّ، فقالَ: «يجبُّ»(١)؛ أي: يقطَعُ، وهما بمعنًى واحدٍ.

والمقصودُ: أنَّ الذُّنوبَ السَّالفةَ(٢) تُحبَطُ بالإسلامِ والهجرةِ والحجِّ، صغيرةً كانَتْ أو كبيرةً، ويتناولُ حقوقَ اللهِ وحقوقَ العبادِ بالنِّسبةِ إلى الحربيِّ؛ فلأنَّه(٣) إذا أسلمَ لا يطالبُ بشيءٍ منها، حتَّى لو قتَلَ وأخذَ المالَ وأحرزَهُ بدارِ الحربِ ثمَّ أسلمَ لم يُؤاخَذْ بشيءٍ من ذلكَ، وعلى هذا كانَ الإسلامُ كافيًا في تحصيلِ مرادِهِ.

ولكن ذكرَ ﷺ الهجرةَ والحجَّ؛ تأكيدًا في بشارَتِه، وترغيبًا في مبايعتِهِ؛ فإنَّ الهجرةَ والحجَّ لا يُكفِّرانِ المظالِمَ، ولا يُقطَعُ فيهما بمحوِ الكبائرِ، وإنَّما يكفِّرانِ الصَّغائرَ، ويجوزُ أن يُقالَ(٤): والكبائرَ الَّتي ليسَتْ من حقوقِ العبادِ أيضًا، كالإسلامِ من أهلِ الذِّمَّةِ، وحينئذٍ لا يشكُّ أنَّ ذكرَهما كان للتَّأكيدِ.

---

(١) رواه أحمد في «مسنده» (١٧٧٧٧).

(٢) في (م): «السابقة».

(٣) «فلأنه»: ليست في (ب).

(٤) في (ب): «يقول».

وإنَّما نهى عَمرٌو عن النَّارِ والنَّائحةِ؛ لأنَّ اتِّباعَ الميِّت بالنَّارِ من شعارِ الجاهليَّةِ؛ ولأنَّ فيه تطيُّرًا بأنَّه من أهلِ النَّارِ، وبالنَّائحةِ؛ لأنَّ النِّياحةَ حرامٌ.

وقولُه: (فسنُّوا) بالسينِ المهملةِ؛ أي: فصُبُّوا، ورُوي بالمعجمةِ؛ أي: فرِّقوا.

وفي الحديثِ: بيانُ عِظَمِ موقعِ الإسلامِ والهجرةِ والحجِّ.

وفيه: استحبابُ تنبيهِ المتحضِّرِ على إحسانِ ظنِّه باللهِ، وذكرِ آياتِ الرَّجاءِ وأحاديثِ العفوِ، وتبشيرِهِ بما أعدَّ اللهُ للمسلمينَ، وذكرِ حُسْنِ أعمالِه عنده؛ ليُحسِنَ ظنَّه باللهِ تعالى ويموتَ عليه.

١٤٣٥ـ (م): أَبُو هُرَيرَةَ رضي الله عنه: «أَمَا لو قلتَ حينَ أمسَيْتَ: أعوذُ بكلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِن شرِّ مَا خلقَ، لم تضُرَّكَ». [م: ٢٧٠٩]

قالَهُ لرجُلٍ قالَ: يا رسُولَ اللهِ؛ ما لَقِيتُ مِن عَقرَبٍ لَدَغَتْني البَارِحَةَ.

* قد تقدَّمَ الكلامُ على الكلماتِ التَّامَّاتِ في البابِ الأوَّلِ، في قولِه(١): «مَن نزلَ منزلًا».

قال بعضُ الشَّارحينَ: هذا مقامُ من بقيَ له التفاتٌ إلى غيرِ اللهِ، فأمَّا إذا تغلغلَ العبدُ في بحرِ التَّوحيدِ، وتوغَّلَ في قعرِ الحقائقِ، وصارَ بحيثُ لا يَرى في الوجودِ أحدًا إلَّا اللهَ، لم يستعِذْ إلَّا باللهِ، ولم يلتَجِئْ إلَّا إليهِ، ولم يُعوِّلْ إلَّا عليهِ، ولم يستَعِنْ إلَّا بِهِ، ألا يُرى أنَّ النَّبيَّ عليه السَّلامُ لما ترقَّى عن هذا المقامِ قالَ: «أعوذُ بكَ منكَ؟»(٢)،

---

(١) تقدم برقم: (١٧٨).

(٢) رواه مسلم (٤٨٦)، وأبو داود (٨٧٩)، والترمذي (٣٥٦٦)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١٥٨)، وابن ماجه (٣٨٤١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

فلمَّا ترقَّى عن هذا قال: «لا أُحصِي ثناءً عليكَ أنتَ كما أثنيتَ على نفسِكَ؟»[١].

وأقولُ: هذا الَّذي ذكرَه إنَّما هو في مقامِ الفناءِ، وأمَّا إذا ترقَّى إلى البقاءِ بعدَ الفناء فيعودُ إلى الكلماتِ وغيرِها من الأرواحِ المقدَّسةِ ممَّا تتقوَّى الرُّوحُ بتصوُّرِه أو مشاهدَتِه.

١٤٣٦ـ (ق): أبو هُريرةَ رضي الله عنه: «أمَا وأبيكَ لَتُنبَّأَنَّهُ: أنْ تصدَّقَ وأنتَ صَحِيحٌ شَحِيحٌ تَخشَى الفَقرَ، وتأمُلُ الغنَى ـ زادَ مسلمٌ: وتأمُلُ البقاءَ، ثمَّ اتَّفقَا ـ: ولَا تُمهِلُ حتَّى إذا بلَغتِ الحلقُومَ، قلتَ: لفُلانٍ كذَا، ولفُلانٍ كذَا، وقد كانَ لفُلَانٍ». [خ: ١٣٥٣] [م: ١٠٣٢]

تفرَّد مُسلمٌ بقولِهِ: «أمَا وأبيكَ»[٢].

* قالَ: أتى رسولَ اللهِ ﷺ رجلٌ، فقالَ: يا رسولَ اللهِ؛ أيُّ الصَّدقةِ أعظمُ أجرًا؟ قالَ: «**أمَا وأبيكَ...**» إلى آخرِه. تفرَّد مسلمٌ بلفظَينِ:

أحدُهما: قولُه: (**أمَا وأبيكَ لَتُنبَّأَنَّهُ**). والثَّاني: لفظُ (**البقاءَ**) في موضعِ: (**الغِنَى**).

وقولُه: (**لَتُنبَّأَنَّهُ**) جوابُ القسمِ، ومعناهُ: لتخبرَنَّ مَا سألتَهُ.

قالَ الخطَّابيُّ: وكأنَّ الشُّحَّ جنسٌ، والبُخلَ نوعٌ، وقيلَ: البخلُ في أفرادِ الأمورِ، والشُّحُّ عامٌّ كالوصفِ اللَّازمِ[٣].

---

(١) هذا الحديث تتمة لما سبقه.

(٢) في «شرح النَّوويِّ على مسلم» (٧/ ١٢٤): قد يقال: حلف بأبيه، وقد نهى عن الحلف بغير الله، وعن الحلف بالآباء، والجواب: أنَّ النَّهي عن اليمين بغير الله لمن تعمَّده، وهذه اللَّفظة الواقعة في الحديث تجري على اللِّسان من غير تعمُّد، فلا تكون يمينًا، ولا منهيًّا عنها.

(٣) انظر: «معالم السنن» للخطابي (٢/ ٨٣).

ومعنى الحديثِ: أنَّ الشُّحَّ غالبُ حال الصِّحَّةِ، فإذا سمحَ فيها وتصدَّقَ كان أصدقَ في نيَّتِه، وأعظمَ لأجرِه، بخلافِ مَن أشرَفَ على الموتِ، وأَيِسَ من الحياةِ، ورأى مصيرَ المالِ إلى غيرِه؛ فإنَّ صدقَتَهُ حينئذٍ ناقصةٌ بالنِّسبةِ إلى حالِ الصِّحَّةِ والشُّحِّ ورجاءِ البَقاءِ وخوفِ الفقرِ.

ومعنى: (**بلغَتِ الحلقُومَ**) قاربَتِ الرُّوحُ بلوغَ الحلقومِ؛ فإنَّه إذا بَلَغَتْه حقيقةً لم تصِحَّ وصيَّتُه، ولا صدقَتُه، ولا شيءٌ من تصرُّفاتِه، كذا في بعضِ الشُّروحِ(١).

والأولى أن تكونَ على حقيقتِهِ، ولا تصحَّ.

(**لفُلانٍ كذَا ولفُلانٍ**) أي: الوَصَايا المتفرِّقةِ؛ فإنَّ المالَ قد كان لفلانٍ الوارثِ، فالتَّصرُّفُ(٢) فيه زائدًا على الثُّلُثِ غيرُ جائزٍ.

فإن قيلَ: كيفَ حلفَ بأبيهِ وقد نَهى عن الحلفِ بغيرِ اللهِ، وعن الحلفِ بالآباءِ؟

أُجِيبَ: بأنَّ النَّهيَ لمن تعمَّدَه، وهذا اللَّفظُ الواقعُ ههنا يجرِي على اللِّسانِ من غيرِ تعمُّدٍ، فلا يكونُ يمينًا ولا منهيًّا عنهُ، وذلك لأنَّ النَّهيَ عن الحلفِ به نهيٌ عن تعظيمِهِ بإيقاعهِ مُقْسَمًا عليهِ، والتَّعظيمُ إنَّما يكونُ إذا حلفَ به عَمْدًا.

١٤٣٧ـ (ق): المسيَّبُ بنُ حَزنٍ رضي الله عنه: «أمَا واللهِ لأستغفِرَنَّ لكَ مَا لم أُنهَ عنكَ، فأنزَلَ اللهُ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا﴾ إلى قولِه: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣]». [خ: ٣٦٧١] [م: ٢٤]

قالَهُ لأبي طالِبٍ عندَ وفاتِهِ.

---

(١) انظر: «شرح النووي على مسلم» (٧/ ١٢٣).

(٢) في (ن) و(م): «فإن التصرف».

* تقدَّمَ الكلامُ عليه في البابِ الخامسِ، في قولِه عليه السَّلامُ[١]: «أيْ عمِّ، قلْ: لا إلهَ إلَّا اللهُ».

١٤٣٨ ـ (ق): أبو هُريرةَ رضي الله عنه: «أمَا يخشَى أحدُكُم إذا رفعَ رأسَهُ قبلَ الإمامِ أنْ يحوِّلَ اللهُ رأسَهُ رأسَ حمَارٍ، أو يجعَلَ اللهُ صُورتَهُ صُورَةَ حمَارٍ». [خ: ٦٥٩] [م: ٤٢٧]

* معناهُ ظاهرٌ، وفيه: دليلٌ على منعِ تقدُّمِ المأمومِ على الإمامِ في رفعِ الرَّأسِ من الرُّكوعِ والسُّجودِ؛ لأنَّه وعيدٌ، فلا يلحقُ إلَّا على ممنوعٍ، ويُقاسُ عليه السَّبْقُ في الخفضِ إلى الرُّكوعِ والسُّجودِ بجامعِ المخالفَةِ.

وفيه: أنَّ فاعلَ ذلك متعرِّضٌ لوقوعِ المتوعَّدِ به، وليسَ فيه دلالةٌ على الوقوعِ، ويقتضِي تغييرَ الصُّورةِ الظَّاهرةِ، ومنهم مَن حملَه على المجازِ عن الجهلِ؛ فإنَّ الحمارَ موصُوفٌ بالبلادةِ، فاستُعيرَ للجاهِلِ بما يجبُ من فرضِ الصَّلاةِ ومتابعةِ الإمامِ، ومنهم من رجَّحَ هذا المجازَ بأنَّ التَّحويلَ في الصُّورةِ الظَّاهرةِ لم يقعْ مع كثرةِ الفاعلينَ لذلك.

ورُدَّ بما ذكرنا أنَّه لا يدلُّ على الوقوعِ، وإنَّما الفاعلُ متعرِّضٌ للوقُوعِ، ولا يلزمُ من التَّعرُّضِ لشيءٍ وقوعُه.

فإن قيل: فما معنى قولِه: (**يحوِّلُ اللهُ رأسَهُ رأسَ حمارٍ، أو يجعلُ اللهُ صورتَهُ صُورةَ حمارٍ**) على تقديرِ المجازِ؟

أُجِيبَ: بأنَّه لا يُعتدُّ بما فعلَ من الصَّلاةِ، كما لا يُعتدُّ بأفعالِ الجاهلِ بالفروضِ الصَّلواتيَّةِ.

---

(١) تقدم برقم: (١٠٣٢).

فصلٌ

وفصَلَ عمَّا قبلَهُ لذلكَ؛ لكونِ كلمةِ: (مثل) مصدَّرًا بها.

١٤٣٩ـ (ق): أبُو هُريرةَ رضي الله عنه: «مثلُ البخِيلِ والمتصَدِّقِ مثلُ رجلَينِ عليهمَا جُنَّتَانِ ـ أو: جُبَّتَانِ ـ مِن حديدٍ، إذا همَّ المتصدِّقُ بصدقَةٍ اتَّسَعَت عليهِ حتَّى تُعَفِّيَ أثرَهُ، وإذا همَّ البخيلُ بصدقَةٍ تقلَّصَت عنهُ، وانضمَّتْ يداهُ إلى تَرَاقيه، وانقبَضَتْ كلُّ حلقَةٍ إلى صاحبَتِهَا، فيجهَدُ أنْ يوسِّعَهَا، فلا يستطِيعُ»، ويُروى: «فلا تتَّسعُ». [خ: ٢٧٦٠] [م: ١٠٢١]

* **البُخْلُ**: كلمةٌ تحملُ الإنسانَ على الامتناعِ عن البرِّ الماليِّ، و(**البخِيلُ**) هو مَن قامَتْ به، و(**المتصَدِّقُ**) خلافُه.

والجُنَّةُ ـ بالنُّونِ ـ: ما استترتَ به مِن سلاحٍ، والمعنيُّ به ههنا الدِّرعُ(١)، **والجُبَّةُ** ـ بالباءِ الموحَّدةِ ـ معروفةٌ.

وقولُه: (**تُعَفِّيَ أثرَهُ**) أي: تمحُو أثرَ مشيتِهِ لطولِه(٢).

والتَّقلُّصُ: هو الانضِمامُ؛ أي: الاجتماعُ(٣).

والتَّراقِي: جمعُ تَرْقُوةٍ، وهي العَظْمُ الَّذي بينَ ثغرةِ النَّحرِ والعاتقِ(٤).

واعلمْ أنَّ هذا الحديثَ قد وقعَ فيه أوهامٌ كثيرةٌ من الرُّواةِ، وتصحيفٌ وتحريفٌ، وتقديمٌ وتأخيرٌ، والمصنِّفُ رحمَه اللهُ ذكرَ ما هو الصَّحيحُ منها خلا قولَه: (**جبَّتانِ**)

---

(١) انظر: «العين» للخليل الفراهيدي (٦/ ٢٢).

(٢) انظر: «مشارق الأنوار على صحاح الآثار» للقاضي عياض (٢/ ٩٨).

(٣) انظر: «لسان العرب» لابن منظور (١٢/ ٥١٨).

(٤) انظر: «العين» للخليل الفراهيدي (٥/ ١٢٦).

بالباءِ الموحَّدةِ؛ فإنَّهم قالُوا: إنَّه تصحيفٌ، والصَّحيحُ بالنُّونِ، قال بعضُهم: لأنَّ الجُبَّةَ ـ بالباءِ الموحَّدةِ ـ من حديدٍ شيءٌ لم يُعرَفْ في كلامِهم؛ ولأنَّ في بعضِ طرقِ هذا الحديثِ: «درعَانِ» مكانَ: «جُنَّتانِ»، ولقولِه: (**تقلَّصَت عنهُ... وانقبَضَتْ كلُّ حلقةٍ إلى صاحبَتِها**)، ورُدَّ: بأنَّ الجُبَّةَ ـ بالباءِ ـ يقالُ لما لا يكونُ قُدَّامَه مُفرَّجًا، والدِّرعُ كذلك، وعلى هذا لا تكونُ روايةُ: «درعانِ» منافيةٌ لجبَّتانِ ـ بالباءِ ـ واستقامَ قولُه: (تقلَّصَتْ عنهُ... وانقبَضَتْ كلُّ حلقةٍ إلى صاحِبَتها).

ومعنى الحديثِ: أنَّ المنفِقَ[1] إذا همَّ بنفقةٍ اتَّسعَ لذلكَ صدرُهُ، وطاوعَتْهُ نفسُه، وانبسَطَتْ بالعطاءِ يداه، كالَّذي لبسَ درعًا فاسترسلَتْ عليه، وأخرجَ منها يديهِ، فانبسطَتْ حتَّى خلصَتْ إلى ظُهورِ قدمَيْه، فحصَّنَتْه.

وأنَّ البخيلَ إذا أرادَ الإنفاقَ حَرِجَ بهِ صدرُهُ، واشمأَزَّتْ منهُ[2] نفسُهُ، وانقبضَتْ عنه يداهُ، كالَّذي أرادَ أن يستجنَّ بالدِّرعِ وقد غُلَّتْ يداهُ إلى عُنُقِه، فحالَ ما ابتُلِيَ بهِ بينَه وبينَ ما يبتَغِيه، فلا يزيدُه لبسُها إلَّا ثِقْلًا والتزامًا في العُنُقِ وأخذًا بالتَّرقُوةِ.

وقيلَ: معنى: **تمحو أثرَه**: تذهبُ خطاياهُ وتَمحُوها.

وقيل: قولُه في البخيلِ: تقلَّصَتْ ولَزِقَتْ كلُّ حلْقَةٍ مكانَها؛ أي: يُحمَى عليها يومَ القيامةِ فيُكْوَى بها، والصَّوابُ هو الأوَّلُ؛ لأنَّ الحديثَ جاء على التَّمثيلِ، لا على الخبرِ عن أمرٍ كائنٍ.

وقيل: ضُرِبَ المَثَلُ بهما؛ لأنَّ المنفقَ يستُرُه اللهُ تعالى بنفقَتِه، ويستُرُ عوراتِهِ في الدُّنيا والآخرةِ كسترِ هذهِ الجُبَّةِ، والبخيلُ كلابسِ جُبَّةٍ إلى ثَدْيَيه، فيَبْقَى مكشُوفًا

(١) في (م) و(ك): «الموفق».

(٢) في (م) و(ك): «عنه».

باديَ العورَةِ، مفتَضحًا في الدُّنيا والآخرةِ، وقولُه: «مِن حديدٍ» لا يُناسِبُ هذا القِيلَ.

١٤٤٠ـ (م): أَبُو مُوسَى رضي الله عنه: «مَثَلُ البيتِ الَّذي يُذْكَرُ اللهُ فيهِ، والبيتُ الَّذي لا يُذْكرُ اللهُ فيه مثَلُ الحيِّ والميِّت». [م: ٧٧٩]

* قيل: هو تشبيهُ (البيتِ) بالحيِّ والميِّتِ من حيثُ وجودُ الذِّكرِ فيه وعدمُه، وقيل: هو بتقديرِ مضافٍ؛ أي: مثلَ ساكنِ بيتٍ يُذكَرُ فيه، وفيه نظرٌ؛ لأنَّه حيٌّ لا مثلَ حيٍّ.

١٤٤١ـ (م): جابرٌ رضي الله عنه: «مَثَلُ الصَّلواتِ الخَمسِ، كمثَلِ نهرٍ جارٍ غَمْرٍ[1] على بابِ أحدِكُم يغتَسِلُ منه كلَّ يومٍ خمسَ مرَّاتٍ». [م: ٦٦٨]

* قد تقدَّمَ الكلامُ عليه في هذا البابِ، في قولِه عليه السَّلامُ[2]: «أرأيتُم لو أنَّ نهرًا ببابِ أحدِكُم».

١٤٤٢ـ (خ): النُّعمانُ بنُ بشيرٍ رضي الله عنه: «مثَلُ القائمِ في حُدُودِ اللهِ والواقِعِ فيها، كمَثَلِ قومٍ استهَمُوا على سفينةٍ، فأصابَ بعضُهُم أعلاهَا، وبعضُهُم أسفلَهَا، فكانَ الَّذين في أسفلِهَا إذا استَقَوا من الماءِ مرُّوا على مَن فوقَهُم، فقالُوا: لو أنَّا خَرقنَا في نصيبِنَا خَرقًا ولم نُؤذِ مَن فوقَنَا، فإنْ ترَكُوهُم وما أرادُوا هلكُوا جميعًا، وإن أخَذُوا على أيدِيهِمْ نَجَوا، ونَجَوا جميعًا». [خ: ٢٣٦١]

---

(١) جار غمر: أي: كثير الماء.

(٢) تقدم برقم: (١٣٨٣).

* (القائمِ في حُدُودِ اللهِ) هو الآمِرُ بالمعروفِ، والنَّاهي عن المنكَرِ.

(والواقِعِ فيهَا) أي: الآتِي بالمنكرِ، التَّاركُ للمعروفِ.

والاستهامُ: الاقتراعُ، وجوابُ (لو) محذوفٌ، وتقديرُه: لو أنا خرَقنا في نصيبِنا ولم نؤذِ من فوقَنا كانَ فعلًا حسنًا، أو مَرضِيًّا، أو ما يُشبِهُ ذلك.

(فإنْ ترَكُوهُم) أي: تركَ الأعلونَ الأسفَلِين (وما أرادُوا هلَكُوا جَميعًا، وإنْ أخَذُوا على أيدِيهِمْ) أي: منعُوهُم عمَّا يريدونَ (نَجَوا، ونَجَوا) أي: نجا الأعلونَ والأسفَلُونَ.

ففي الحديثِ كما ترى تشبيهُ طائفةٍ مشتملةٍ على العاصِي والنَّاهي عن المعصيةِ بطائفةٍ مشتملةٍ على راكِبي سفينةٍ، بعضُهم في العُلُو، وبعضُهم في السُّفْلِ.

والمرادُ به: أنَّ القومَ إذا كانَ فيهِم مَن يتعاطَى المُحرَّماتِ، وتركَهُ الباقونَ على ما أرادَ، ولم ينهَوهُ عن ذلك؛ عادَ وبالُ ذلك عليهم أيضًا فهلَكُوا، وإذا أخذُوا بيدِه؛ أي: نهوهُ عن ذلكَ؛ نَجَوا ونجا الفاعلُ أيضًا.

وإنَّما قالَ: (قومٍ استهَمُوا) إشارةً إلى استحبابِ القرعةِ بينَ الرَّاكبينَ إذا تشاجَرُوا على الجلوسِ في الأعلى والأسفَلِ، وذلك إذا نزلُوا بها جملةً، وإذا نزلُوا متفرِّقينَ فمَن سبقَ منهُم إلى مكانٍ فهو أحقُّ به من غيرِه، وليسَ لأحدٍ أن يُقيمَه منه.

١٤٤٣ـ (ق): ابنُ عُمرَ رضي الله عنه: «مثَلُ القرآنِ مثَلُ الإبلِ المُعَقَّلَةِ: إنْ عقلَهَا صاحِبُهَا أمسكَهَا، وإنْ تركَهَا ذهَبَتْ». [خ: ٤٧٤٣] [م: ٧٨٩]

* معناهُ: مثَلُ القرآنِ مثَلُ الإبلِ الَّتي اعتادَتْ بالعِقَالِ، إن عَقَلَها مالِكُها أمسَكَها إذا احتاجَ إلى المَسْكِ سَرَعت(١)، وإن تَركَها ذهبَتْ.

(١) في (ك): «سُرعَةً».

وإنَّما شَبَّهَ بالإبلِ المعقَّلَةِ إشارةً إلى أنَّها وإنْ كانَتْ معوَّدَةً بالعِقَالِ إذا تُرِكَتْ ذهبَتْ.

١٤٤٤ـ (ق): أَبُو مُوسى رضي الله عنه: «مثلُ المؤمنِ الَّذِي يقرَأُ القرآنَ مثلُ الأُترُجَّةِ ريحُهَا طيِّبٌ وطعمُهَا طيِّبٌ، ومَثلُ المؤمنِ الَّذي لا يقرَأُ القرآنَ مثلُ التَّمرةِ لا رِيحَ لهَا وطَعمُهَا حُلوٌ، ومثَلُ المنافِقِ الَّذي يقرَأُ القُرآنَ مثلُ الرَّيحانَةِ ريحُها طيِّبٌ وطعمُهَا مُرٌّ، ومثَلُ المنافِقِ الَّذي لا يقرَأُ القُرآنَ كمثَلِ الحَنظَلَةِ ليسَ لها رِيحٌ وطعمُها مرٌّ». [خ: ٥١١١] [م: ٧٩٧]

* قالَ بعضُ شارحِي هذا الحديثِ: إنَّما يضربُ المثَلُ؛ لكشفِ الغِطَاء، وكان عليه السَّلامُ يُخاطِبُ العربَ، ولم يُوجدْ منَ الثِّمارِ الشَّجريَّة الَّتي أنشأَتْها العربُ في بلادِهم أبلغُ في هذا المعنَى من الأُتْرُجَّة؛ لكونِها أفضلَ الثِّمارِ وأجْدَى؛ **لأسبابٍ كثيرةٍ:**

منها: كِبَرُ الجِسْمِ[١]، وحُسْنُ المنظَرِ.

ومنها: أنَّها طيِّبُ المطعَمِ، ليِّنُ الملمَسِ، ذكيُّ الأرَجِ[٢]، فاقِعٌ لونُها، تسرُّ النَّاظرينَ، وتتوقُ إليها النَّفسُ قبلَ التَّناولِ، يفيدُ أكلُها بعدَ التذاذٍ طيب نكهةٍ وقوَّةَ هضْمٍ.

ومنها: أنَّ أجزاءَها تنقسِمُ طبائعَ؛ فإنَّ قِشرَها حارٌّ يابسٌ، ولحمَها حارٌّ رطْبٌ أو باردٌ رطْبٌ، وحامِضُها[٣] باردٌ يابِسٌ، وبِزْرها حارٌّ مجفِّفٌ، وتدخُل بهذه الأجزاءِ

---

(١) في (ن) و(ك): «الجرم».

(٢) في «العين» للخليل الفراهيدي (٦/ ١٧٤): الأرجُ: نفحةُ الرِّيح الطَّيِّبة.

(٣) في (ك): «وحُمَّاضُها».

في الأدويةِ للأدواءِ المُزْمنَةِ، والأوجاعِ المقلقَةِ، فأيَّةُ ثمرةٍ تبلغُ هذا المبلغَ في كمالِ الخلقَةِ وشمولِ المنفعةِ؟!

ثمَّ إنَّه عليه السَّلامُ أشارَ بضربِ هذا المثلِ إلى معانٍ:

منها: أنَّه ضرَبَهُ بما يخرجُهُ الشَّجرُ؛ للمشابَهةِ الَّتي بينَهُ وبينَ الأعمالِ؛ فإنَّها من ثمراتِ النُّفوسِ، وإن ضربَ للمؤمنِ نفسَه فإنَّ العِبْرَة فيه بالعملِ الَّذي يصدرُ منه؛ لأنَّه الكاشِفُ عن حقيقةِ الحالِ.

ومنها: أنَّه ضربَ مثلَ المؤمنِ بما يخرجُهُ الشَّجرُ، وضربَ مثلَ المنافقِ بما تُنْبتُه الأرضُ؛ تنبيهًا على علوِّ شأنِ المؤمنِ، وارتفاعِ عمَلِه، ودوامِ ذلك ما لم تيبَسِ الشَّجرةُ، وتوقيفًا على صفةِ شأنِ المنافقِ، وإحباطِ عمَلِه، وقلَّةِ جدواهُ، وسقوطِ منزلتِه.

ومنها: أنَّ الأشجارَ المثمِرةَ لا تخلُو عمَّن يغرسُها ويسقِيها ويُربِّيها، كذا المؤمنُ، يقيِّضُ اللهُ تعالى له من يؤدِّبه ويعلِّمه ويهذِّبه، ولا كذلك الحنظَلةُ المهملةُ المتروكَةُ بالعراءِ.

١٤٤٥ ـ (ق): جابرٌ رضي الله عنه: «مَثلُ المؤمنِ مثَلُ السُّنبُلةِ تحرِّكُها الرِّيحُ، فتقُومُ مرَّةً وتقَعُ أُخرَى، ومثَلُ الكافِرِ مثَلُ الأرْزَةِ لا تزَالُ قائمَةً حتَّى تنقَعِرَ».

[خ: ٧٠٢٨] [م: ٢٨٠٩][1]

---

(١) قلت: الحديث روياه عن أبي هريرة، لا عن جابرٍ رضي الله عنهما. ولفظ البخاريِّ: «مثلُ المُؤمن كمثلِ الخامَةِ من الزَّرعِ، مِن حيثُ أتتْها الرِّيحُ كفأتْها، فإذا اعتدلَتْ تكفَّأُ بالبلاءِ، والفاجرُ كالأرْزَةِ، صمَّاءَ مُعتَدِلةً، حتَّى يَقْصِمها اللَّه إذا شاء»، ولفظ مسلم: «مثلُ المؤمنِ كمثَلِ الزَّرعِ لا تزالُ الرِّيحُ =

* **(السُّنبُلة)** معروفةٌ.

و**(الأَرْزة)** بفتحِ الهمزةِ، وراءٍ ساكنةٍ، ثمَّ زايٍ، هو المشهورُ والمعروفُ في الرِّواياتِ وكتُبِ الغَريبِ، وهو شجرٌ معروفٌ، يقالُ له: شجرُ الأَرْزَنِ، وهو يشبهُ شجرَ الصَّنَوبرِ. وقيل: هو شجرُ الصَّنوبَرِ(١).

ومعنى الحديثِ: أنَّ المؤمنَ كثيرُ الآلامِ في بدنِهِ ومالِه، وهو مكفَّرٌ لسيِّئاتهِ، ورافعٌ لدرجاتِهِ، وأمَّا الكافرُ فقليلُ الآلامِ فيهما، لا يحصُل له منها شيءٌ حتَّى ينقلِعَ من أصلِهِ(٢) بالموتِ، وإن أصابَهُ شيءٌ من ذلك لم يكفِّرْ شيئًا من سيِّئاتِه، بل يأتي بها كاملةً يومَ القيامةِ.

وذكرَ بعضُ الشَّارحينَ أنَّه لم يَجِدْ روايةَ هذا الحديثِ على ما ذكرهُ المصنِّف عن جابرٍ، لا في «الجمعِ بين الصَّحيحينِ» لعبدِ الحقِّ، ولا في «جامعِ الأصولِ» لابنِ الأثيرِ، ولا في «الصَّحيحينِ»، وذكرَ لفظَ البخاريِّ(٣) عن أبي هريرةَ رضي الله عنه، قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «مَثَلُ المؤمنِ كمَثَلِ الزَّرعِ، لا تزالُ الرِّيح تُمِيلُه، ولا يزالُ المؤمنُ يُصيبهُ البلاءُ، ومثَلُ الكافرِ كمثلِ شجرِ الأرزِ، لا يهتَزُّ حتَّى تُسْتَحْصَدَ»، وقد رُوِيَ عنه بألفاظٍ غيرِ هذا.

= تُمِيلُه، ولا يزالُ المؤمنُ يُصِيبُهُ البلاءُ، ومثلُ المنافِق كمثلِ شجرَةِ الأرْزِ، لا تهتزُّ حتَّى تُستحْصِدَ».
واللفظ المذكور عن جابرٍ رواه القضاعيُّ في «مسنده» (١٣٦٠).

(١) انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (١٣/ ١٧١).

(٢) في (ص): «بأصله»، وفي الهامش: في نسخة: «من أصله».

(٣) كذا نسبه للبخاري، والصواب أنه عند مسلم كما تقدم تخريجه.

١٤٤٦ـ (م): النُّعمانُ بنُ بشيرٍ رضي الله عنه: «مثَلُ المؤمنِينَ في توادِّهِم وتراحُمِهِم، كمثَلِ الجسَدِ إذَا اشتكَى بعضُهُ تَدَاعَى سائِرُهُ بالسَّهرِ والحُمَّى». [م: ٢٥٨٦]

* **التَّوادُّ**: مصدَرُ توادَدَ يتوادَدُ، وقد وقعَ في أكثرِ النُّسخِ: (**في توادِّهِم**)، وفي بعضٍ منها: «توادِّهِم» بدونِ كلمةِ (في)، فتكونُ بدلًا، ومعناهُ: مَثَلُ توادِّ المؤمنينَ، واللَّفظُ وإن كان لفظَ خبرٍ، لكن معناهُ الحضُّ على ما يتعيَّنُ على المؤمنِ من محبَّةِ المؤمنِ ونُصحِهِ، والاهتمامِ بأمرِه، والتَّراحُمِ والملاطفةِ والتَّعاضُدِ.

وقولُه: (**تَدَاعَى**) أي: دعَا بعضُه[1] بعضًا آخرَ إلى المشاركَةِ.

١٤٤٧ـ (م): ابنُ عُمرَ رضي الله عنه: «مثَلُ المنافِقِ كمَثَلِ الشَّاةِ العائرَةِ بينَ الغَنَمينِ، تَعِيرُ إلى هذِهِ مرَّةً، وإلى هذِهِ مرَّةً». [م: ٢٧٨٤]

* **النِّفاقُ**: مشتقٌّ من النَّافقاءِ، أحدِ حُجْرَي اليربُوعِ، إذا طُلِبَ من واحدٍ هرَبَ إلى الآخَرِ وخرجَ منه، وهو القاصِعاءُ[2].

و(**المنافِقِ**) في الاصطلاحِ: من يستُرُ الكفرَ ويُظهِرُ الإيمانَ، فهو يخرجُ من الإيمانِ من غيرِ الوجهِ الَّذي دخلَ فيه، وهو اسمٌ إسلاميٌّ لم تعرِفْه العربُ بالمعنى المذكورِ.

و(**العائرَةِ**) بالعينِ المهملةِ، المتردِّدَةِ بينَ قطيعَيْنِ، لا تدرِي أيَّتَهما تتبَعُ[3].

---

(١) في (ع) و(ن): «بعضهم».

(٢) انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (٩/ ١٥٦).

(٣) انظر: «الفائق في غريب الحديث» للزمخشري (٢/ ٢٤).

١٤٤٨ـ(ق): جابرٌ رضي الله عنه: «مَثَلِي ومَثلُ الأنبيَاءِ، كرجُلٍ بَنى دَارًا، فأكملَهَا وأحسَنَهَا، إلَّا موضِعَ لبِنَةٍ، وجعلَ النَّاسُ يدخلُونَهـا، ويعجبُونَ، ويقولُونَ: لولَا موضِعُ اللَّبنَةِ». زادَ مسلِمٌ: «فأَنَا موضِعُ اللَّبنَةِ حيثُ ختمْتُ الأنبيَاءَ». [خ: ٣٣٤١] [م: ٢٢٨٧]

* وقد تقدَّمَ الكلامُ عليه في البابِ الثَّاني، في قولِه[1]: «إنَّ مَثَلِي ومثلَ الأنبياءِ كمَثَلِ رجلٍ بنى دارًا».

١٤٤٩ـ(م): جابرٌ رضي الله عنه: «مَثَلِي ومثَلُكُم، كمَثَلِ رجُلٍ أوقَدَ نارًا، فجَعَلَ الجنَادِبُ والفرَاشُ يقَعْنَ فيهَا، وهوَ يَذُبُّهنَّ عنها، وأنَا آخِذٌ بحُجَزِكُمْ عنِ النَّارِ، وأنتُم تَفَلَّتُونَ مِن يَدِي». [م: ٢٢٨٥]

* وقد تقدَّمَ الكلامُ عليه في البابِ الثَّاني أيضًا، في قولِهِ عليه السَّلامُ[2]: «إنَّما مَثَلِي ومَثَلُ أمَّتِي».

---

(١) تقدم برقم: (٣٨٣).

(٢) تقدم برقم: (٥١٣).

فصلٌ

فصَلَ هذا عمَّا قبلَه لذلك؛ لتصدُّر: (إيَّاكم) في الكلامِ.

١٤٥٠ـ (ق): أبو سعيدٍ رضيَ اللهُ عنه: «إيَّاكُم والجُلُوسَ في الطُّرُقاتِ، فقالوا: يا رسُولَ اللهِ؛ ما لنا مِن مجَالِسِنا بُدٌّ نتحَدَّثُ فيهَا، فقَالَ رسُولُ اللهِ ﷺ: فإذَا أبَيتُم إلَّا المجلِسَ؛ فأَعطُوا الطَّرِيقَ حقَّهُ، قالوا: وما حَقُّ الطَّريقِ يا رسُولَ اللهِ؟ قالَ: غَضُّ البصَرِ، وكَفُّ الأذَى، وردُّ السَّلامِ، والأمرُ بالمعرُوفِ، والنَّهيُ عَنِ المنكَرِ». [خ: ٢٣٣٣] [م: ٢١٢١]

*معناه ظاهرٌ، وفيه فوائدُ:

منها: أنَّه ينبغِي اجتنابُ الجلوسِ على[1] الطُّرقاتِ، ووجوبُ كفِّ الأذى، ويدخلُ فيه الغيبةُ، وظنُّ السُّوءِ، واحتقارُ بعضِ المارِّين، وتضييقُ الطَّريقِ، وكذا إذا كان ممَّن يهابُه بعضُ المارَّةِ أو يخافُه، فيمتنعون من أشغالِهم؛ لكونِهم لا يجدون طريقًا إلَّا من ذلك الموضعِ أو أقربَ منه، وهذه الحقوقُ كلُّها واجبةٌ على مَن قعدَ على طريقٍ.

ولمَّا كانَ القعودُ على الطَّريقِ يُفضِي إلى أنْ تتعلَّقَ به هذه الحقوقُ، ولعلَّه لا يقومُ ببعضِها، فيتعرَّضُ لذمِّ اللهِ ولعقُوبتِه؛ كُرِهَ القعودُ فيها، وغُلِّظَ بالزَّجرِ والإنكارِ، فإنْ دَعَتْ إلى ذلك حاجةٌ؛ كالاجتماعِ في مصالحِ الجيرانِ، وقضاءِ حوائجِهم، وتفقُّدِ أمورِهم، إلى غيرِ ذلك؛ قعَدَ بمقدارِ الحاجةِ.

١٤٥١ـ (ق): عُقبةُ بنُ عامرٍ رضيَ اللهُ عنه: «إيَّاكُم والدُّخولَ على النِّساءِ،

---

(١) في (ن): «في».

فقـالَ رجـلٌ منَ الأنصـارِ: يا رسُـولَ اللهِ؛ أفَرَأيـتَ الحَمْوَ؟ فقـالَ: الحَمْـوُ الموتُ». [خ: ٤٩٣٤][م: ٢١٧٢]

* اتَّفقَ أهلُ اللُّغةِ على أنَّ الأحماءَ أقاربُ زوجِ المرأةِ[١]؛ كابنِه وأخيه وعمِّه وابنِ عمِّه ونحوِهم، والأَخْتانُ أقاربُ زوجةِ الرَّجلِ، والأصهارُ تقعُ على الفريقَين[٢]، والمرادُ بالحموِ ههنا: أقاربُ الزَّوجِ غيرَ الأبِ والابنِ؛ فإنَّ الآباءَ والأبناءَ من المحارمِ، فلا يكونونَ داخلينَ تحت التَّحذيرِ.

وأمَّا قولُه: (**الحَمْوُ الموتُ**) فمعناه: أنَّ الخوفَ منه أكثرُ من غيرِه، والشَّرُّ يتوقَّعُ منه أكثرُ؛ لتمكُّنِه من الوصُولِ إلى المرأةِ، بخلافِ الأجنبيِّ.

وقد ذكرَ البخاريُّ أنَّ المرادَ بالحموِ ههنا: أبو الزَّوجِ[٣]، فمحملُه أنَّه إذا حُذِّرَ منه وهو مَحْرمٌ، فكيف بمَن ليس كذلك؟ وهو بعيدٌ؛ لأنَّه يستلزمُ توهُّمَ الحرمَةِ في دخُولِه، وليس كذلك، وكذلك ما نقلَهُ القاضِي عن أبي عُبيدٍ أنَّ معناه: فليَمُتِ الحموُ، ولا يفعلْ هذا[٤].

١٤٥٢ـ (ق): أبُو هُريرةَ رضيَ اللهُ عنه: «إيَّاكُم والظَّنَّ؛ فإنَّ الظَّنَّ أكذَبُ الحدِيثِ». [خ: ٤٨٤٩][م: ٢٥٦٣]

---

(١) انظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير (١/ ٤٤٨).

(٢) انظر: «تحرير ألفاظ التنبيه» للنووي (ص: ٢٨٦).

(٣) لم أقف عليه عن البخاري، وقاله الخليل في «العين» (٣/ ٣١١)، وذكره في «تهذيب اللغة» للأزهري (٥/ ١٧٦) عن الليث. وذكره في «كشف المشكل من حديث الصحيحين» لابن الجوزي (٤/ ١٣٩) لأبي عبيد.

(٤) انظر: «غريب الحديث» لابن الجوزي (١/ ٢٤٥).

*قيل: معناه: التَّحذيرُ عن الظَّنِّ السُّوءِ وتحقيقِهِ دونَ مبادئِ الظُّنونِ التي لا تُملَكُ؛ لأنَّ اللهَ تعالى قالَ: ﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢]، لم يجعَلْه كلَّه إثمًا.

وحُكي عن سفيانَ الثَّوريِّ أنَّه قال: الظنُّ ظنَّانِ: ظنُّ إثمٍ، وظنٌّ ليس بإثمٍ، فأمَّا[1] الذي هو إثمٌ؛ فالذي يظنُّ ظنًّا ويتكلَّمُ به، والذي ليس بإثمٍ؛ فالذي يظنُّ ولا يتكلَّمُ به[2].

وقالَ البغويُّ[3]: فأمَّا استعمالُ الظنِّ السُّوء إذا كان على وجهِ الحذَرِ وطلبِ السَّلامةِ من شرِّ النَّاسِ؛ فلا يأثمُ به الرَّجلُ؛ لأنَّ دفعَ الشَّرِّ واجبٌ، فالذي قد يُفضِي إليه إنْ لم يكنْ مُستحبًّا؛ فلا أقلَّ من لا بأسَ[4].

١٤٥٣ـ (ق): أبو هُريرةَ رضيَ اللهُ عنه: «إيَّاكُم والوصَالَ ـ (خ) ـ: إيَّاكُم والوصَالَ». [خ: ١٨٦٥] [م: ١١٠٣]

*تقدَّمَ الكلامُ عليه في البابِ الثَّاني في قولِه[5]: «إنَّكم لستُمْ مِثْلِي».

(خ: **إيَّاكم والوصالَ**) الحديثُ، وقد تقدَّمَ الكلامُ فيه، وكأنَّ اختلافَ الرَّقمِ

---

(١) في (ص): «فأما الظن».

(٢) رواه الترمذي (١٩٨٨)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» (٧/ ١٦).

(٣) انظر: «شرح السنة» للبغوي (١٣/ ١١١).

(٤) في (ن) زيادة: «به».

(٥) تقدم برقم: (٤٩٠).

لاختلافِ التَّخريجِ(١)؛ فإنَّ البخاريَّ أخرجَه من حديثِ همَّامٍ عن أبي هريرةَ، ومسلمًا أخرجَه من حديثِ أبي زرعةَ عن أبي هريرةَ(٢).

١٤٥٤ـ (خ): أنسٌ رضيَ اللهُ عنه: «إيَّاكُم ودعوَةَ المظلُومِ وإنْ كانَ كافِرًا»(٣).

* قد تقدَّمَ الكلامُ في أوَّلِ هذا الشَّرحِ في فائدةِ الدُّعاءِ، والأسبابِ المفضيَةِ إلى الإجابةِ؛ كالأماكنِ المتبرَّكةِ، والأزمانِ المباركةِ، وأنَّ ذلك يعدُّ النَّفسَ للتَّأثُّرِ والتَّأثيرِ، والظُّلمُ ممَّا يحصلُ به للنُّفوسِ حدَّةٌ واحتراقٌ، وقد تكونُ نفسُ المظلومِ نفسًا قويَّةً، فتستعدُّ به للإجابةِ أشدَّ استعدادًا للتَّضرُّعِ واللُّجوءِ والتَّوجُّهِ الصِّرْفِ الخالصِ إلى جنابِ القُدْسِ، فيُوشِكُ أن يُستَجابَ له(٤).

١٤٥٥ـ (م): أبُو قتادةَ رضيَ اللهُ عنه: «إيَّاكُم وكثرَةَ الحلِفِ في البَيعِ؛ فإنَّهُ يُنفِّقُ، ثمَّ يمحَقُ». [م: ١٦٠٧]

* وقد تقدَّمَ الكلامُ عليه في هذا البابِ في قولِه عليه السَّلامُ(٥): «اليمينُ الكاذبةُ مَنْفَقَةٌ للسِّلعةِ، مَمْحَقَةٌ للبركَةِ».

---

(١) قلت: هو إشارة منه إلى تكرارها في لفظ البخاري دون مسلم.

(٢) هكذا وجَّهها المصنِّف رحمه الله، وتقدَّم توجيه الكلام وسببه.

(٣) قلت: حديث أنس رواه أحمد في «مسنده» (٣/ ١٥٣)، والقضاعي في «مسنده» (٩٦٠)، ولم يخرجه البخاري.

(٤) في (م): «لهم».

(٥) تقدم برقم: (١٣٥٣).

١٤٥٦ـ (م): أبُو هُريرةَ رضيَ اللهُ عنه: «إيَّاكَ والحَلُوبَ». [م: ٢٠٣٨]

قالَهُ لأبي الهيثَمِ بنِ التَّيِّهانِ(١).

* قـالَ: إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ خرجَ ذاتَ يومٍ أو ليلةٍ، فإذا هو بأبي بكرٍ وعمرَ رضي الله عنهما، فقال: «**ما أخرجَكُما مِن بيوتِكُما هذِه السَّاعةَ؟**»، قالا: الجوعُ يا رسولَ اللهِ، قال: «**وأنا والَّذي نفسِي بيدِه لأخرَجَني الَّذي أخرَجَكُما، قُومَا**»، فقامَا معَه، فأتى رجلًا من الأنصارِ يقالُ له: أبو الهيثمِ بنُ التَّيِّهانِ، فإذا هو ليسَ في بيتِه، فلمَّا رأَتْه المرأةُ قالَتْ: مرحبًا وأهلًا، فقالَ لها: «**أين فلانٌ؟**»، قالَتْ: ذهبَ يستعذِبُ لنا من الماءِ، إذ جاءَ الأنصاريُّ، فنظرَ إلى رسولِ اللهِ وصاحبَيه، ثمَّ قال: الحمدُ للهِ، ما أحدٌ اليومَ أكرمَ أضيافًا منِّي، فانطلقَ فجاءَهُم بعِذْقٍ فيه بُسْرٌ ورُطَبٌ وتمرٌ، فقال: كُلُوا، وأخذَ المُدْيَةَ، فقال له رسولُ اللهِ ﷺ: «**إيَّاك والحَلُوبَ**» أي: وذبْحَ الحَلوبِ، فذبحَ لهم، فأكلُوا من الشَّاةِ ومن العِذْقِ، وشربُوا، فلمَّا شَبِعُوا ورَوُوا قال رسولُ اللهِ ﷺ لأبي بكرٍ وعمرَ: «**والَّذي نفسِي بيدِه؛ لَتُسألُنَّ عن هذا النَّعيمِ يومَ القيامةِ، أخرَجَكُم من بيوتِكُم الجوعُ، ثمَّ لم ترجِعُوا حتَّى أصابَكُم هذا النَّعيمُ**».

والعِذْقُ ـ بكسرِ العينِ المهملةِ، وسكونِ الذَّالِ المعجمةِ ـ: الكِبَاسَةُ، وهي من التَّمرِ بمنزلةِ العنقودِ من العنبِ(٢).

وفي الحديثِ: بيانُ ما كانَ عليه النبيُّ عليه السَّلامُ وكبارُ أصحابِه من التَّقلُّلِ من الدُّنيا، والصَّبرِ على الجوعِ وضيقِ العيشِ.

وزعمَ ناسٌ أنَّ هذا كانَ قبلَ فتحِ الفتوحِ عليهم، وليس بقويٍّ؛ لأنَّ الرَّاوي أبو هريرةَ، وإسلامُه متأخِّرٌ كانَ بعد فتحِ خيبرَ.

---

(١) انظر: «الإصابة في تمييز الصحابة» لابن حجر العسقلاني (٧/ ٣٦٥).

(٢) انظر: «العين» للخليل الفراهيدي (١/ ١٤٨).

لا يقالُ: جازَ أنْ يكونَ رواه ممَّن سمعَ النبيَّ ﷺ أو من غيره؛ لأنَّ النبيَّ عليه السَّلامُ لم يزلْ يتقلَّبُ في اليسارِ والقلَّةِ حتَّى تُوفِّيَ، وقد ثبتَ في «الصَّحيحِ» أنَّه ﷺ خرجَ من الدُّنيا ولم يشبَعْ من خبزِ الشَّعيرِ[١].

وعن عائشةَ رضي الله عنها، قالت: «ما شبعَ آلُ محمَّدٍ منذ قدمَ المدينةَ من طعامٍ ثلاثةَ أيَّامٍ تِباعًا حتَّى قُبِضَ»[٢]، و«تُوفِّيَ ودِرْعُه مرهُونةٌ على شعيرٍ استدانَه لأهلِه»[٣].

وكانَ عليه السَّلامُ يُوسرُ في وقتٍ، ثمَّ ينفدُ ما عندَه؛ لإخراجِه في وجوهِ البرِّ، وكذلك كان خُلُقُ صاحبَيه، بل أكثرُ أصحابِه رضوانُ الله عليهم.

وقولُه: ﴿لَتُسْأَلُنَّ عَنْ هَذَا النَّعِيمِ﴾ قيل: سؤالَ تعدادِ النِّعمِ والامتنانِ، لا سؤالَ توبيخٍ وتقريعٍ ومحاسبةٍ.

وقال القاضِي: المرادُ به: السُّؤالُ عن القيامِ بحقِّ[٤] الشُّكرِ[٥].

---

(١) رواه البخاري (٥٠٩٨).

(٢) رواه البخاري (٦٠٨٩)، ومسلم (٢٩٧٠).

(٣) رواه البخاري (٢٧٥٩)، والنسائي (٤٦٥١)، وابن ماجه (٢٤٣٨).

(٤) في (ص) و(ك): «الحق».

(٥) انظر: «إكمال المعلم بفوائد مسلم» للقاضي عياض (٦/ ٥١٢).

فصلٌ

وفصَلَ هذا عمَّا قبلَه لذلك؛ لكونِ أوَّل الكلامِ: (أنا).

١٤٥٧ـ (ق): البرَاءُ بنُ عازِبٍ رضيَ اللهُ عنه: «أنا النَّبيُّ لا كَذِبْ، أنا ابنُ عبدِ المطَّلِبْ، اللَّهُمَّ نَزِّلْ نَصْرَكَ». [خ: ٢٧٠٩] [م: ١٧٧٦]

قالَهُ يومَ حُنينٍ.

*قالَ: جاءَ رجلٌ إلى البراءِ، فقال: أَكُنْتُم ولَّيْتُم يومَ حُنينٍ يا أبا عُمارةَ؟ فقال: أشهَدُ على النبيِّ عليه السَّلامُ أنَّه ما ولَّى، ولكنَّه انطلقَ أَخِفَّاءُ مِن النَّاسِ وحُسَّرٌ إلى هذا الحيِّ من هوازنَ ـ وهم قومٌ رُماةٌ ـ فرمَوه برشقٍ من نبلٍ كأنَّها رِجلُ جرادٍ، فانكشَفُوا، فأقبلَ القومُ إلى رسولِ اللهِ ﷺ وأبو سفيانَ يقودُ به بغلتَه، فنزلَ فدَعا واستنصرَ وهو يقولُ: «**أنا النَّبيُّ لا كَذِبْ، أنا ابنُ عبدِ المطَّلِبْ، اللَّهُمَّ نَزِّلْ نَصْرَكَ**». قالَ البراءُ: كنَّا واللهِ إذا احمرَّ البأسُ نتَّقِي به، وإنَّ الشُّجاعَ منَّا الذي يُحاذِي به؛ يعني: النبيَّ عليه السَّلامُ.

كأنَّ البراءَ فَهِمَ من قولِ القائلِ تَوَلِّي النبيِّ ﷺ، فقالَ: أشهدُ على النبيِّ أنَّه ما ولَّى.

والأخفَّاءُ: جمع خفيفٍ، **والحُسَّرُ** ـ بضمِّ الحاءِ وفتح السينِ المهملتينِ ـ: مَن لا دِرْعَ له، وقد فُسِّرَ في بعضِ الرِّواياتِ؛ فقيل: ليس لهم سلاحٌ أو كثيرُ سلاحٍ(١).

وقولُه: **(برَشقٍ)** بفتحِ الرَّاء: مصدرٌ، وبكسرِها: اسمٌ للسِّهامِ التي ترميها الجماعةُ دفعةً واحدةً، وهو المرادُ ههنا(٢).

---

(١) انظر: «غريب الحديث» الخطابي (١/ ٥٨).

(٢) انظر: «شرح النووي على مسلم» (١٢/ ١١٨).

ومعنى: (انكشَفُوا) انهزَمُوا وفارَقُوا مواضعَهم وكشَفُوها.

وقولُه: (إذَا احمرَّ البَأسُ) هو كنايةٌ عن شدَّةِ الحربِ، استُعيرَ ذلك من حمرةِ الدِّماءِ الحاصلةِ فيها عادةً.

والاستنصَارُ هُهنا: الدُّعاء بالنَّصرِ.

وقولُـه: (أنـا النَّبيُّ لا كَـذِبْ) كلامٌ مـوزونٌ مُقفًى، فيَصدُقُ عليه تعريفُ الشِّـعرِ، وليس بشِـعرٍ بإجمـاعِ المسـلمينَ؛ لقولِـه تعالـى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾ [يس: ٦٩].

واختلفَ النَّاسُ في جوابِه، فمنهم مَن قال: هذا رجَزٌ، والرَّجزُ ليس بشعرٍ، وهو مذهبُ الأخفشِ(١)، واحتجَّ به على فسادِ مذهبِ الخليلِ في جعلِ الرَّجزِ شعرًا(٢).

ومنهم مَن قالَ: الرَّجَزُ شعرٌ ـ كما ذهبَ إليه الخليلُ ـ ولكنْ شرطُ الشِّعرِ أنْ يكونَ القائلُ قصدَ إيقاعَه موزونًا ومقفًّى، والذي وقعَ من النَّبيِّ عليه السَّلامُ لم يكنْ بقصدِه، ولهذا لا يسمَّى ما وقعَ في ألفاظِ القرآنِ من مثلِه؛ كما في قولِه تعالى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢] شعرًا بالإجماعِ؛ لأنَّه لم يقصدْ فيه الوزنَ ولا التَّقفيةَ، وعلى هذا يحتاجُ الشِّعرُ إلى قصدِ التَّكلُّمِ بكلامٍ موزونٍ مقفًّى، فإن انتفى أحدُ هذه الأمورِ الثَّلاثةِ لم يكنْ شعرًا، ألَا يُرى أنَّه إذا صدرَ عن شخصٍ من غيرِ قصدٍ كلامٌ موزونٌ مقفًّى لا يسمِّيه الشُّعراءُ ولا العربُ ولا الأدباءُ شعرًا، كما إذا صدرَ بقصدٍ غيرَ موزونٍ أو غيرَ مقفًّى.

فإن قيلَ: ما وجهُ انتسابِه وافتخارِه ﷺ بجدِّه دونَ أبيه؟

---

(١) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» للزجاج (٢/ ٢٠٥).

(٢) انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (١٠/ ٣٢٣)، و«المعلم بفوائد مسلم» للمازري (٣/ ٣٠).

أُجِيبَ: بأنَّ شهرتَه بجدِّه كان أكثرَ؛ لأنَّ أباهُ عبدَ اللهِ ماتَ شابًّا في حياةِ أبيه عبدِ المطَّلبِ، وكان عبدُ المطَّلبِ مشهورًا شهرةً ظاهرةً، فإنَّه كان سيِّدَ أهلِ مكَّةَ، وكان كثيرٌ من النَّاسِ يقولونَ لرسولِ اللهِ ﷺ: يا ابنَ عبدِ المطَّلبِ.

وأمَّا نداؤُه وتعريفُ نفسِه في ذلك فلأمورٍ:

منها: التَّنبيهُ على أنَّه هو النبيُّ الذي يظهرُ على الأعداءِ ويُنصَرُ عليهم؛ فإنَّ عبدَ المطَّلبِ كان بُشِّرَ بأنَّ النبيَّ[1] عليه السَّلامُ سيظهرُ ويكونُ له شأنٌ عظيمٌ، وكانَ سيفُ بنُ ذي يزنٍ أخبرَه بذلك[2]، وكان عليه السَّلامُ مشهورًا عندَهم بذلك، فأرادَ التَّذكيرَ والتَّنبيه بذلك.

ومنها: تعريفُ أصحابِه بأنَّه ثابتٌ في مكانِه لم يولِّ؛ تطمينًا لقلوبِهم، وتقويةً لنفُوسِهم.

ومنها: تعريفُ مكانِه عليه السَّلامُ؛ ليرجعُوا إليه.

ومعنى قولِه: (**أنا النَّبيُّ لا كذبْ**) أنا النبيُّ حقًّا لا كذبَ فيه؛ لأنِّي باقٍ.

وفيه إشارةٌ إلى أنَّه لو فرَّ كانَ كاذبًا في النُّبوَّةِ، حيث لا يجوزُ على أحدٍ من النَّاسِ الفرارُ عن الزَّحفِ، وإنَّه مِن الكبائرِ فضْلًا على الأنبياءِ.

وفي الحديثِ دليلٌ على استحبابِ الدُّعاءِ في الحربِ.

وفيه جوازُ قولِ الإنسانِ فيها: أنا فلانٌ أو ابنُ فلانٍ؛ للتَّخويفِ، لكونِه رجلًا مشهورًا مبارزًا، أو لتعريفِ مكانِه؛ لينحازَ إليه الهاربُ، أو لإعلامِ أصحابِه بثباتِه تقويةً لنفوسِهم.

---

(١) في (ن): «بأنه».

(٢) انظر: «المنمق في أخبار قريش» لمحمد بن حبيب (ص: ٤٣٠)، و«أخبار مكة» للأزرقي (١/ ١٤٩).

١٤٥٨ـ (م): أنسٌ رضيَ اللهُ عنه: «أَنَا أَوَّلُ شَفِيعٍ فِي الجنَّةِ، لم يُصدَّقْ نبيٌّ مِنَ الأنبياءِ مَا صُدِّقْتُ، وإنَّ منَ الأنبيَاءِ نبيًّا ما يُصَدِّقُهُ مِن أُمَّتِهِ إلَّا رجلٌ واحدٌ». [م: ١٩٦]

* **الشَّفاعةُ**: هي السُّؤالُ في التَّجاوزِ عن الذُّنوبِ.

وفي الحديثِ: بيانُ عِظَمِ قدرِ نبيِّنا عليه السَّلامُ، وأنَّه أوَّلُ الشُّفعاءِ، وأنَّه أكثرُ الأنبياءِ تبعًا.

١٤٥٩ـ (ق): أبو هُريرةَ رضيَ اللهُ عنه: «أَنَا أَولَى النَّاسِ بابنِ مريمَ، الأنبيَاءُ أولَادُ عَلَّاتٍ، وليسَ بيني وبينَهُ نبيٌّ». [خ: ٣٢٥٨] [م: ٢٣٦٥]

* **(أَوْلَى)** أي: أخصُّ وأقربُ، أمَّا أنَّه أخصُّ فبيَّنَه بقولِه: **(الأنبياءُ أولادُ علَّاتٍ)**، وأولادُ العلَّاتِ: أخوةٌ أبوهم واحدٌ وأمَّهاتُهم شتَّى، سُمُّوا بذلك؛ لأنَّهم أولادُ الضَّرائرِ، والعلَّاتُ: هي الضَّرائرُ(١).

وإنَّما كانت الأنبياءُ أولادُ العلَّات؛ لأنَّ دينَهم واحدٌ وشرائعَهم مختلفةٌ، فكانَ الأبُ هو الدِّينُ، بدليلِ أنَّه عليه السَّلامُ لمَّا قال: «أنا أَولى بعيسى بنِ مريمَ في الدُّنيا والآخرةِ»، وقالوا: كيفَ يا رسولَ اللهِ؟ قال: «الأنبياءُ إخوةٌ من علَّاتٍ، أمَّهاتُهُم شتَّى ودينُهم واحدٌ»(٢)، لمَّا كان الدِّينُ هو الأصلُ جعلَه أبًا، فتعيَّنَ أن تكونَ الشَّرائعُ أمَّهاتٍ؛ لاختلافِها.

والمرادُ بالدِّين: أصلُ التَّوحيدِ، وبالشَّرائع: الفُروعُ.

وأمَّا أنَّه أقربُ فلِما قالَ: **(ليسَ بَيني وبينَه نَبيٌّ)**.

---

(١) انظر: «إكمال المعلم بفوائد مسلم» للقاضي عياض (٧/ ٣٣٧).

(٢) رواه البخاري (٣٢٥٩).

وفيه دليلٌ على إبطالِ قولِ مَن يقولُ: إنَّه كانَ بعدَ عيسَى أنبياءُ ورسلٌ، فإنَّ بعضَ النَّاسِ قالوا: إنَّ الحوارِيِّين كانوا أنبياءَ أُرسِلوا إلى النَّاسِ بعد عيسى، وهو قولُ أكثرِ النَّصارى(١).

١٤٦٠ـ (ق): أبـو هُريرةَ رضيَ اللهُ عنه: «أنَا أَوْلَى بالمؤمنِين مِن أنفسِـهِم، فمَن تُوُفِّـي مِن المؤمنيـنَ فترَكَ دَينًا فعلَيَّ قضَـاؤُهُ، ومَنْ تركَ مـالًا فلِوَرَثَتِهِ». [خ: ٢١٧٦] [م: ١٦١٩]

*قالَ: كانَ رسولُ اللهِ ﷺ يُؤتَى بالرَّجلِ الميِّتِ عليه دَينٌ(٢)، فيُسأَلُ: «**هل تركَ لدَينِه من قضاءٍ؟**»، فإنْ حُدِّثَ أنَّه تركَ وفاءً صلَّى عليه، وإلَّا قالَ: «**صلُّوا على صاحِبِكم**»، فلمَّا فتحَ اللهُ عليه الفتوحَ قالَ: «**أنا أَوْلى...**» إلى آخرِه.

قيل: وإنَّما كانَ يتركُ الصَّلاةَ على مَن عليه دينٌ؛ تحريضًا على قضاءِ الدَّينِ حالَ حياتِهم توصُّلًا منهم إلى براءةِ الذِّمَّةِ، فلمَّا فتحَ اللهُ عليه الفتوحَ التزمَ ما يبرِّئُ به ذمَّتَهم شفقةً عليهم، فصلَّى.

واختلفوا في أنَّه كانَ يقضِي ذلك من مصالحِ المسلمين ـ يعني: بيت المالِ ـ أو من خالصِ مالِه؟ فقيلَ بالأوَّلِ، وقيلَ بالثَّاني.

واختلفُوا أيضًا بأنَّه كانَ واجبًا عليه أو كانَ تبرُّعًا؟ فقيلَ بالأوَّلِ، وقيلَ بالثَّاني.

وقيلَ: في إطلاقِ الحديثِ دليلٌ على توريثِ ذوي الأرحامِ.

---

(١) انظر: «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» للقرطبي (٦/ ١٧٦).

(٢) في (ن) و(ص) و(م): «الدين».

وقيل: فيه حجَّةٌ على أبي حنيفةَ في عدمِ تجويزِ الكفالةِ عن الميِّتِ المفلسِ[١]، فإنَّ في بعضِ رواياتِ هذا الحديثِ أنَّه ﷺ أُتِيَ بجنازةٍ، فقالوا: صلِّ عليها يا رسولَ اللهِ، قالَ: «هل تركَ شيئًا؟»، قالوا: لا، قال: «فعليه دَينٌ؟»، قالوا: ثلاثةُ دنانيرَ، قالَ: «صلُّوا على صاحبِكم»، قالَ أبو قتادةَ: صلِّ عليه يا رسولَ اللهِ وعليَّ دَينُه، فصلَّى عليه، خرَّجَه البخاريُّ[٢]؛ وليس بشيءٍ؛ لأنَّ أبا قتادةَ تبرَّعَ بذلك، لا أنَّه كَفَلَ به.

١٤٦١ـ (م): أبو هُريرةَ رضيَ اللهُ عنه: «أنا سيِّدُ ولدِ آدمَ يومَ القيامَةِ، وأوَّلُ مَن ينشَقُّ عنهُ القبرُ، وأوَّلُ شافعٍ، وأوَّلُ مُشَفَّعٍ». [م: ٢٢٧٨]

*قالَ الهرويُّ: **السَّيِّدُ**: هو الذي يفوقُ قومَه في الخيرِ[٣]، وقيلَ: هو الذي يُفزَعُ إليه في النَّوائبِ والشَّدائدِ، فيقومُ بأمرِهم، ويتحمَّلُ عنهم مكارِهَهم، ويدفَعُها عنهم.

وإنَّما قالَ: (**يومَ القيامةِ**) وهو سيِّدُهم في الدُّنيا والآخرةِ؛ لأنَّ سؤدُدَه يظهرُ في الآخرةِ ظهورًا غيرَ مدافعٍ، بخلافِ الدُّنيا، فإنَّ بعضَ عُتاةِ الكفَرةِ وزعماءِ المشركين كانُوا ينازِعُون[٤] في ذلك، وهو كقولِه تعالى: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٦]، فإنَّ الملكَ له في الدُّنيا والآخرةِ، وقد قيَّدَه بقولِه: ﴿ٱلْيَوْمَ﴾ لأنَّ في الدُّنيا مَن كانَ يزعمُ أنَّه الملكُ، وأنَّ المُلْكَ مضافٌ إليه، بخلافِ الآخرةِ؛ لانقطاعِ ذلك كلِّه في الآخرةِ.

وقولُه: (**أنا سيِّدُ ولدِ آدمَ**) قيل: لم يقلْه فخرًا، بدليلِ أنَّه جاءَ في روايةٍ أخرى:

---

(١) انظر: «الاختيار لتعليل المختار» لابن مودود الموصلي (٢/ ١٧٠).

(٢) رواه البخاري (٢١٦٨).

(٣) انظر: «الغريبين في القرآن والحديث» للهروي (٣/ ٩٤٧).

(٤) في (ن) و(ص) و(ك): «ينازعونه».

«أنا سيِّدُ ولدِ آدمَ ولا فخرَ»(١)، وفيه كلامٌ يذكرُ مشافهةً لأهلِه، وإنَّما قالَه **لوجهين**:

أحدُهما: امتثالُ الأمرِ بقولِه تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١١].

والثَّاني: أنَّه ممَّا يجبُ تبليغُه إلى أمَّتِه؛ ليعرفُوه فيعتقدُوه، ويعملُوا بمقتضى الاعتقادِ، فيعزِّرُوه ويوقِّرُوه.

قيل: وفيه بيانُ تفضيلِه على الخَلْقِ كلِّهم؛ لأنَّ خواصَّ البشرِ خيرٌ من خواصِّ الملائكةِ، والنَّبيُّ أفضلُ خواصِّ البشرِ، ففيه دلالةٌ على مذهبِ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ في هذه المسألةِ.

فإن قيلَ: ما التَّوفيقُ بين هذا الحديثِ وبين قولِه: «مَن قالَ: أنا خيرٌ من يونسَ بنِ متَّى فقد كذبَ»؟(٢)

فالجوابُ: قد تقدَّمَ في البابِ الأوَّلِ في هذا الحديثِ ما يصلُحُ جوابًا، وجوابٌ آخرُ ههنا: أنَّ المتكلِّمَ لا يلزمُ أن يدخُلَ في كلامِه، ألا ترى أنَّ مَن قالَ: دخلتُ الدَّارَ وضربتُ مَن فيها لا يلزمُ أن يكونَ ضربَ نفسَه؟

وقولُه: (**وأوَّلُ مَنْ ينشَقُّ عنهُ القبرُ**) معناه: أنَّه أوَّلُ مَن يُعجَّلُ إخراجُه؛ مبالغةً في إكرامِه وتخصِيصًا له في تعظيمِه.

وإنَّما قالَ: (**أوَّلُ مُشفَّعٍ**) بعدَما قال: «أوَّلُ شَفِيعٍ» في حديثِ أنسٍ(٣)؛ إشارةً إلى أنَّه قد يشفَعُ اثنانِ متعاقبانِ ويشفَعُ الثَّاني منهما، فيكونُ الأوَّلُ أوَّلَ شفيعٍ،

---

(١) رواه ابن ماجه (٤٣٠٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
ورواه الترمذي (٣١٤٨) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. وقال: هذا حديث حسن.

(٢) رواه البخاري (٤٣٢٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه مسلم (١٩٦)، وأحمد في «مسنده» (١٢٤١٩).

والثَّاني أوَّلَ مُشفَّعٍ، وحينئذٍ لا يظهرُ للأوَّلِ فضيلةٌ، فقالَ: «وأوَّل مُشفَّعٍ» دفعًا لذلك التَّوهُّم.

١٤٦٢ـ (خ): جابرٌ رضيَ اللهُ عنه: «**أنا شهيدٌ على هؤلاءِ يومَ القيامَةِ**». [خ: ١٢٧٨]

يعني: قتلى أُحُدٍ.

*قالَ: كانَ النَّبيُّ عليه السَّلامُ يجمعُ بين الرَّجلَين من قتلى أحدٍ في ثوبٍ واحدٍ، ثمَّ يقولُ: «**أيُّهم أكثرُ أخذًا للقرآنِ؟**»، فإذا أُشيرَ إلى أحدِهما قدَّمَه في اللَّحدِ، وقالَ: «**أنا شهيدٌ...**» إلى آخرِه، وأمرَهم بدفنِهم في دمائِهم، ولم يُصلِّ عليهم.

وفي لفظٍ آخرَ: «وأمرَ بدفنِهم في دمائِهم، ولم يغسِّلْهم»[(١)].

وفيه دليلٌ على جوازِ تكفينِ الرَّجلين في ثوبٍ واحدٍ، ودفنِهما في قبرٍ واحدٍ للضَّرورةِ، وللضَّروراتِ أحكامٌ.

وفيه: تفضيلُ قارئِ القرآنِ بالتَّقديمِ في اللَّحدِ.

قيل: وفيه دليلٌ على أنَّ الشَّهيدَ لا يُغسَّلُ، ولا يُصلَّى عليه، وبه قالَ فقهاءُ كثيرةٌ، فيكونُ حُجَّةً على ابنِ المسيِّبِ والحسنِ البصريِّ في إيجابِ الغسلِ والصَّلاةِ[(٢)]، وعلى أبي حنيفةَ وأصحابِه في إيجابِ الصَّلاةِ[(٣)]، وكذلك القياسُ حجَّةٌ عليهم؛ لأنَّ

---

(١) رواه البخاري (١٢٨٢).

(٢) رواه عنهما عبد الرزاق في «مصنفه» (٦٦٥٠)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٢٨٢٠). وانظر: «البيان في مذهب الإمام الشافعي» للعمراني (٣/ ٨٠).

(٣) انظر: «فتح القدير» للكمال ابن الهمام (٢/ ١٤٣).

هذا منعَ فرضَ الغسلِ، فيمنعُ فرضَ الصَّلاةِ، كعدمِ الاستهلالِ في السَّقطِ، وليس ذلك بصحيحٍ من وجهَين:

الأوَّلُ: أنَّه جاءَ في لفظٍ للبُخاريِّ: «ولم يغسِّلْهم»(١) من غيرِ تعرُّضٍ لذكرِ الصَّلاةِ.

والثَّاني: روى(٢) ابنُ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنه: «أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ كانَ يوضعُ بين يدَيه يومَ أحدٍ عشرةٌ، فيُصلِّي عليهم وعلى حمزةَ، ثمَّ عشرةٌ، فيُصلِّي عليهم وعلى حمزةَ»(٣).

وجهُ الأوَّلِ: أنَّه لم يذكرِ الصَّلاةَ، ولو كانَ لذكرَ؛ إذ لا يُظَنُّ بهم التَّقصيرُ، لا سيَّما في موضعِ البيانِ.

ووجهُ الثَّاني: أنَّ جابرًا لا يعادلُ ابنَ عبَّاسٍ في الفقهِ والاجتهادِ، فيُترَكُ حديثُه بحديثِه سلَّمْنَاه، ولكنْ حديثُ ابنِ عبَّاسٍ مثبِتٌ، والمثبِتُ أَوْلى من النَّافي سلَّمناه، لكنْ يسقطان بالتَّعارُضِ، ويجبُ العملُ بما بعدَه، وهو القياسُ؛ لأنَّ الواجبَ في الميِّتِ الغيرِ الشَّهيدِ الغسلُ والصَّلاةُ، وقد سقطَ في الشَّهيدِ الغسلُ بالنَّصِّ على خلافِ الأصلِ(٤)، فتبقَى الصَّلاةُ كما في غيرِه.

ولا يُقال: قياسُهم يُعارِضُ قياسَكُم؛ لأنَّ قياسَهم فاسدٌ؛ وذلك لأنَّهم قالوا: هذا منعَ فرضَ الغسلِ.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) في (ص) و(م): «ما روى»، وفي هامش (ص): «في نسخة: عن».

(٣) روى الطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٢٨٨٥).

(٤) في (ص): «القياس».

قلنا: ممنوعٌ على مذهبِ ابنِ المسيِّبِ والحسنِ البصريِّ.

وقالوا: كعدمِ الاستهلالِ في السَّقطِ.

قلنا: لا نسلِّمُ عدمَ الغسلِ عند عدمِ الاستهلالِ.

فإن قيل: لا يصحُّ أنْ يستدلَّ أبو حنيفةَ وأصحابُه بحديثِ ابن عبَّاسٍ؛ لأنَّ من أصلِهم أنَّ ما يعمُّ به البلوى لا يقبلُ فيه خبرُ الواحدِ[1].

فالجوابُ: أنَّه صحيحٌ، ولهذا لم يعملوا بحديثِ جابرٍ في تركِ الصَّلاةِ، فإنَّه ممَّا عمَّ به البلوى، فلا يجوزُ العملُ فيه[2] بخبرِ الواحدِ.

وقولُه: (**أنا شهيدٌ على هؤلاءِ**) قيل: معناه: رقيبٌ عليهم، ضمَّنَ الشَّهيدَ معنى: الرَّقيبِ، فعُدِّيَ تعدِيَته، وقيل: معناه: أنا شهيدٌ لهؤلاء أنَّه لم يُعجَّلْ لهم شيءٌ من أجرِهم في الدُّنيا؛ يعني: أنَّهم لم يصيروا مرتثِّين، فيكونُ (على) بمعنى: اللَّام؛ لأنَّ حروفَ الجرِّ ينوبُ بعضُها عن بعضٍ.

١٤٦٣ـ (ق): جابرٌ رضيَ اللهُ عنه: «أَنَا فَرَطُكُم على الحوضِ». [م: ٢٣٠٥][3]

* قد تقدَّمَ الكلامُ عليه في البابِ الثَّاني في قولِه[4]: «إنِّي فرط لكم».

---

(١) انظر: «كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي» لعلاء الدين البخاري (٣/ ١٦).

(٢) في (ن): «به»، وفي (ص): «فيه العمل».

(٣) قلت: الحديث تفرَّد به مسلمٌ. والفرطُ: الَّذي يتقدَّم الواردين ليصلح لهم حياض المياه ونحو ذلك.

(٤) تقدم برقم: (٤٢٢).

١٤٦٤ـ (م): أبو مُوسى رضيَ اللهُ عنه: «أنا محمَّدٌ، وأحمدُ، والمقفَّى، ونبيُّ التَّوبةِ، ونبيُّ الرَّحمةِ». [م: ٢٣٥٥]

وفي «أطرَافِ أبي مَسعُودٍ»: «ونبيُّ الرَّحمةِ، ونبيُّ الملحمَةِ»، ولم يذكُرْ: «ونبيُّ التَّوبةِ»[١].

*(محمَّدٌ) اسمُ مفعولٍ من حمَّدَ ـ المثقَّل للتَّكثيرِ ـ فيكونُ معناه: الذي كثُرَ الحمدُ له، وهو ظاهرٌ، فإنَّ اللهَ تعالى حمدَه بما لم يحمدْ به أحدًا من خَلقِه، وقد حمدَه أهلُ السَّموات والأرضِ في الدُّنيا والآخرةِ.

و(أحمدُ) أفعلُ التَّفضيلِ، من الحمْدِ، فيكونُ أشدَّ أو أكثرَ أو أعظمَ حمدًا من غيرِه، وهو كذلك، فإنَّه حَمِدَ اللهَ بمحامدَ لم يحمَدْ بها غيرُه، ويلهمُه يومَ القيامةِ من المحامدِ ما لا يُلهمُ أحدًا من خلْقِه، وأخبرَ عن نفسِه عليه السَّلام أنَّ بيدِه لواءَ الحمدِ[٢]، وهو المعبَّرُ عنه عند المحقِّقين بحمدِ الحمدِ، وهو نهايةُ الحمدِ لا مزيدَ عليه.

و(المقفَّى) قيل: هو بمعنى «العاقِب» في الرِّوايةِ الأخرى[٣]، بمعنى: أنَّه آخِرُ الأنبياءِ وخاتمُهم، أتى في الدُّنيا عقيبَهم وفي قَفاهُم؛ أي: أثرَهُم.

---

(١) قوله: «نبيُّ الملحمة» رواه الطَّيالسيُّ في «مسنده» (٤٩٤)، وأحمد في «المسند» (١٩٥٢٥)، وأبو يعلى في «مسنده» (٧٢٤٤)، وابن حبَّان في «صحيحه» (٦٣١٤)، والطَّبراني في «المعجم الأوسط» (٤٣٣٨) من حديث أبي موسى الأشعريِّ رضي الله عنه.

(٢) رواه أحمد في «مسنده» (٢٥٤٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنه. ورواه الترمذي (٣٦١٥) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاري (٣٣٣٩)، ومسلم (٢٣٥٤) من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه.

وقيل: المُقَفِّي: هو المتَّبِعُ للنَّبيِّين قبلَه، يقالُ: «قَفَوْته وقَفَّيْته»: إذا تَبِعْتَه[١]، ومنه قولُه تعالى: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا﴾ [الحديد: ٢٧] الآية.

وقولُه: (ونبيُّ التَّوبةِ) قيلَ: أي: الذي تكثرُ التَّوبةُ في أُمَّتِه وتعمُّ حتى لا يوجد فيما ملكَتْه أمَّتُه إلَّا تائبٌ من الكفرِ، وقيل: معناه: أنَّ أمَّتَه لمَّا كانَتْ أكثرَ الأممِ كانَتْ توبتُهم أكثرَ من توبةِ غيرِهم، وقيلَ: معناه: أنَّ توبةَ أمَّتِه أبلَغُ من توبةِ غيرِهم، حتى يكونَ التَّائبُ منهم من الذَّنبِ كمَنْ لا ذنبَ له[٢]، ولا يؤاخَذُ في الدُّنيا ولا في الآخرةِ، وغيرُهم يُؤاخَذُ في الدُّنيا وإنْ لم يُؤاخَذْ في الآخرةِ.

وقولُه: (ونبيُّ المرحمةِ) وفي روايةٍ: «ونبيُّ الرَّحمةِ»[٣]، قيل: معناه: إفاضةُ النِّعمةِ على المخلصِين والشَّفقةُ عليهم واللُّطفُ بهم، ونبيُّنا ﷺ وأمَّتُه أوفَرُ حظًّا منها من غيرِهم، أَلَا ترى إلى قولِه تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وأيُّ رحمةٍ أعظمُ من أنْ يُعبَّرَ عن المرحومِ بنفسِ الرَّحمةِ؟

وقيل: معناه: أنَّه الذي كانَ سببَ الرَّحمةِ، وهو الوجودُ؛ كما قالَ: «لولاكَ لَمَا خلقتُ الأفلاكَ»[٤].

وأمَّا قولُه: (ونبيُّ الملحَمَةِ) فقيل: معناه: أنَّه يُفني بالسَّيفِ والانتقامِ مَن خالفَه من جميعِ الأنامِ، وقيل: معناه: أنَّه بُعِثَ بالقتالِ.

---

(١) انظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير (٤/ ٩٥).

(٢) روى ابن ماجه (٤٢٥٠) عن أبي عبيدة بن عبد الله عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: «التائب من الذَّنب كمَن لا ذنبَ له».

(٣) رواه مسلم (٢٣٥٥).

(٤) موضوع كما في «الموضوعات» للصغاني (ص: ٥٢).

وقد جاء في بعضِ الرِّوايات: «وأنا الحاشرُ»[(١)]، وهو اسمُ فاعلٍ مِن حشرَ؛ أي: جمعَ، فمعناه: أنَّه يُحشَرُ الخلقُ يومَ القيامةِ على أثرِه الذي ليس بينَه وبين القيامةِ نبيٌّ آخرُ، وهذا كما قالَ: «بُعِثْتُ أنا والسَّاعةُ كهاتَين»، وقَرَنَ بين أُصْبُعَيه السَّبَّابةِ والوُسطَى[(٢)]، وهذا على روايةِ: «الذي يُحشَرُ النَّاسُ على عَقِبي»[(٣)]، وجاءَ في روايةٍ أُخرى: «على قَدَمِي»[(٤)] بتخفيفِ الياءِ على الإفرادِ، وبتشديدِها على التَّثنيةِ، فقيلَ: معناه: بعدِي، فيكونُ بمعنى: عَقِبي، وقيل: على سُنَّتِي.

فإن قيلَ: ما وجهُ تخصيصِ هذه الأسماءِ بالذِّكرِ وأسماؤُه أكثرُ من جميعِ ذلك؟

قالَ أبو بكرٍ ابنُ العربيِّ في «شرحِه لكتابِ التِّرمذيِّ»: إنَّ للهِ تعالى ألفَ اسمٍ، وللنَّبيِّ ﷺ ألفَ اسمٍ[(٥)].

أُجيبَ بوجهَين:

أحدُهما: أنَّ هذه الأسماءَ هي التي كانَتْ مكتوبةً في الكتبِ المتقدِّمةِ، وكانَتْ أعرفَ عند الأممِ السَّالفةِ.

والثَّاني: أنَّه يجوزُ أنْ يكونَ الموحَى إليه في ذلك الوَقتِ هذه الأسماءَ المذكورةَ فقط، فإنَّه ما كانَ يُسمَّى إلَّا بما سمَّاه اللهُ تعالى.

---

(١) رواه البخاري (٣٣٣٩)، ومسلم (٢٣٥٤) من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (٦١٣٩)، ومسلم (٢٩٥١) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) في حديث الجبير بن مطعم عند مسلم كما تقدم.

(٤) عند البخاري (٣٣٣٩) من حديث الجبير.

(٥) انظر: «شرح النووي على مسلم» (١٥/ ١٠٤).

١٤٦٥ـ (م): سهلُ بنُ سعدٍ رضيَ اللهُ عنه: «أنَا وكافِلُ اليتِيمِ كهاتَينِ في الجنَّةِ»، وأشارَ بالسَّبَّابَةِ والوُسطَى. [خ: ٥٦٥٩](١)

*(**اليتِيم**) في الإنسانِ: هو فاقدُ الأبِ.

وفي الحديثِ دليلٌ على أنَّ كافلَ اليتيمِ مع النَّبيِّ عليه السَّلام في الجنَّة بحضرتِه لا على درجتِه؛ فإنَّ أحدًا لا يبلُغُ درجةَ الأنبياءِ، ولا الأنبياءُ درجةَ نبيِّنا ﷺ.

وأقولُ: يجوزُ أنْ يكونَ ما روى الرَّاوي: (أنَّه عليه السَّلام فرَّجَ بين الأُصبُعين شيئًا) إشارةً إلى ذلك.

والمرادُ بـ(**كافِلِ اليتيمِ**) مَن يَعُولُه ويقومُ بمصالِحِه من نفقةٍ وكُسْوَةٍ وتأديبٍ وتربيةٍ، لا فرقَ في ذلك بين أنْ يكونَ اليتيمُ له بأنْ يكونَ قريبًا منه؛ كجدِّه وأمِّه وجدَّتِه وأخيه وأخته وعمِّه وخالِه، أو لغيرِه كالأجنبيِّ، وكذا لا فرقَ بين مَن فعلَ ذلك من مالِه أو مالِ(٢) اليتيمِ.

قيل: وإنَّما فاقَ كفالةُ اليتيمِ على سائرِ الأعمالِ؛ لأنَّ اليتيمَ فقَدَ برَّ أبيه ولُطْفَه ومصالحَ أمورِه، واللهُ تعالى وليُّ ذلك كلِّه يجريها على الأسبابِ، فإذا قُبِضَ أبوه فهو الوليُّ لذلك اليتيمِ في جميعِ أمورِه، فمَن مدَّ يدَه إلى كفالتِه فإنَّما ذلك عملٌ يُعمَلُ عن اللهِ تعالى، كما أنَّ الرُّسلَ عليهم السَّلامُ يعملُونَ عن اللهِ تعالى، فلذلك صارَ بالقربِ منه في الدَّرجةِ.

---

(١) قلت: الحديث رواه البخاريُّ لا مسلم.

(٢) في (م): «من مال».

فصلٌ

وفصَلَ هذا عمَّا قبلَه لذلك لكونِه إغراءً.

١٤٦٦ـ (ق): عائشةُ رضيَ اللهُ عنها: «دُونكُم يَا بنِي أرْفِدَةَ». [خ: ٩٠٧] [م: ٨٩٢]

قالَهُ يومَ عيدٍ للسُّودانِ، وكانُوا يلعبُونَ بالدَّرَقِ والحِرَابِ.

* قالَتْ: كانَ يومُ عيدٍ يلعبُ السُّودانُ بالدَّرَقِ والحِرابِ، فإمَّا سألتُ رسولَ اللهِ ﷺ، وإمَّا قالَ: «**تشتهينَ تَنْظُرين؟**»، فقلتُ: نعم، فأقامَني وراءَه، خَدِّي فوقَ خدِّهِ، وهو يقولُ: «**دونكم يا بني أرفدةَ**»، حتى إذا مللْتُ قالَ: «**حسبُكِ؟**»، قلتُ: نعم، قالَ: «**فاذهَبِي**».

وفيه: جوازُ اللَّعبِ بآلاتِ الحربِ.

وفيه: جوازُ نظرِ المرأةِ إلى لعبِ الرِّجالِ.

وفيه: بيانُ ما كانَ النَّبيُّ عليه السَّلامُ عليه من الرَّحمةِ والرَّأفةِ، وحُسْنِ الخُلُقِ، والعشرةِ بالمعروفِ مع الأهلِ والأزواجِ وغيرِهم.

وقيل: فيه دليلٌ على إباحةِ الرَّقصِ الذي يُسمَّى سماعًا إذا لم يكُنْ فيه الملاهِي والصَّنجُ والمزمارُ، وليس بشيءٍ؛ لأنَّ الأصلَ كان لعبًا بآلةِ الحرابِ، وجُوِّزَ تمرينًا على الحربِ، والسَّماعُ ليس في معناه.

وقولُه: (دونكُم) إغراءٌ، وحُذِفَ المُغرى به، تقديرُه: عليكم بهذا اللَّعبِ الذي أنتم فيه لا تقطَعُوه في الحالِ.

و(أَرْفَدَةَ) بفتحِ الهمزةِ وإسكانِ الرَّاء وفتحِ الفاءِ وكسرِها: لقبُ أهلِ الحبشةِ.

١٤٦٧ـ (ق): عائشةُ رضي الله عنها: «عَلى رِسْلِكَ؛ فإنِّي أرجُو أنْ يُؤذَنَ لِي». [خ: ٢١٧٥][(١)]

قالَهُ لأبِي بكرٍ قبلَ الهجرَةِ.

* قالَتْ: لم أَعْقِلْ أَبَوَيَّ قطُّ إلَّا وهما يَدِينان الدِّينَ، ولم يمرَّ علينا يومٌ إلَّا يأتينا فيه رسولُ اللهِ ﷺ طرَفَي النَّهارِ بُكْرةً وعشيَّةً، فلمَّا ابتُلِيَ المسلمون خرجَ أبو بكرٍ مُهاجِرًا إلى نحوِ أرضِ الحبشةِ، حتى إذا بلغَ بَرْكَ الغِمادِ لقيَه ابنُ الدُّغُنَّةِ ـ وهو سيِّدُ القارةِ ـ فقالَ: أين تريدُ يا أبا بكرٍ؟ قالَ أبو بكرٍ: أخرجَني قومِي فأريدُ أنْ أَسِيحَ في الأرضِ وأعبُدَ ربِّي، فقال ابنُ الدُّغُنَّةِ: إنَّ مِثْلَكَ يا أبا بكرٍ لا يخرُجُ ولا يُخرَجُ، إنَّك تُكْسِبُ المعدومَ، وتَصِلُ الرَّحمَ، وتحمِلُ الكلَّ، وتَقْرِي الضَّيفَ، وتُعين على نوائبِ الحقِّ، فأنا لك جارٌ، فارجعْ واعبُدْ ربَّكَ في بلدِك، فرجعَ وارتحلَ معه ابنُ الدُّغُنَّة، فطافَ ابنُ الدُّغُنَّة عشيَّةً في أشرافِ قريشٍ، فقالَ لهم: إنَّ أبا بكرٍ لا يُخرَجُ مثلُه ولا يخرُجُ، أَتُخرِجُون رجلًا يُكْسِبُ المعدومَ، ويصلُ الرَّحِمَ، ويحمِلُ الكَلَّ، ويَقْرِي الضَّيفَ، ويُعينُ على نوائبِ الحقِّ؟ فلم تكذبْ قريشٌ بجوارِ ابنِ الدُّغُنَّةِ، وقالوا لابنِ الدُّغُنَّةِ: مُرْ أبا بكرٍ فلْيَعبُدْ ربَّه في دارِه، فلْيُصَلِّ فيها ولْيَقْرَأْ ما شاءَ، ولا يُؤذِينا بذلك، ولا يستَعْلِنْ به، فإنَّا نخشَى أنْ تُفتنَ نساؤُنا وأبناؤُنا، فقالَ ذلك ابنُ الدُّغُنَّةِ لأبي بكرٍ، فلَبِثَ أبو بكرٍ بذلك يعبدُ ربَّه في دارِه، ولا يستعْلِنُ بصلاتِه، ولا يقرأُ في غيرِ دارِه.

ثمَ بدا لأبي بكرٍ فابتَنى مسجدًا بفناءِ دارِه، فكان يُصلِّي ويقرأُ القرآنَ، فيتقَصَّفُ عليه نساءُ المشركين وأبناؤُهم يعجَبُون منه وينظُرون إليه، وكانَ أبو بكرٍ رجلًا بكَّاءً لا يملكُ عينَيه إذا قرأَ القرآنَ، وأفزعَ ذلك أشرافَ قريشٍ من المشركين، فأرسلُوا إلى

---

(١) قلت: الحديث تفرَّد به البخاريُّ.

ابنِ الدُّغُنَّةِ، فقَدِمَ عليهم، فقالوا: إنَّا كنَّا أجَرْنا أبا بكرٍ بجوارِكَ على أنْ يعبدَ ربَّه في دارِه، فجاوزَ ذلك، فابتنى مسجدًا بفناءِ دارِه، فأعلَنَ بالصَّلاة والقراءةِ فيه، وإنَّا قد خشينا أنْ تُفتنَ نساؤُنا وأبناؤُنا، فأتِه فانهَه، فإنْ أحَبَّ أنْ يقتصِرَ على أنْ يعبدَ ربَّه في دارِه فعل، وإنْ أبى إلَّا أنْ يُعلِنَ بذلك فاسأَلْه أنْ يردَّ إليكَ ذِمَّتَكَ؛ فإنَّا قد كرِهْنا أنْ نُخْفِرَكَ، ولَسْنا مُقِرِّين لأبي بكرٍ الاستعلانَ.

قالَتْ عائشةُ: فأتى ابنُ الدُّغُنَّةِ إلى أبي بكرٍ فقالَ: قد علمتَ الذي عاقدْتُ لكَ عليه، فإمَّا أنْ تقتصرَ على ذلك، وإمَّا أنْ تُرجِعَ إليَّ ذِمَّتي؛ فإنِّي لا أحبُّ أنْ تسمعَ العربُ أنِّي أُخْفِرْتُ في رجلٍ عقدْتُ له، فقال أبو بكرٍ: فإنِّي أردُّ إليك جِوارَكَ وأرضَى بجوارِ اللهِ.

ورسولُ اللهِ ﷺ يومئذٍ بمكَّةَ، فقالَ النَّبيُّ عليه السَّلامُ للمسلمينَ: «**إنِّي رأيتُ دارَ هِجرَتِكم ذاتَ نخلٍ بينَ لابَتَيْنِ**»، وهما الحرَّتانِ، فهاجرَ مَن هاجرَ إلى المدينةِ، ورجعَ عامَّةُ مَن كانَ هاجرَ بأرضِ الحبشةِ إلى المدينةِ، وتجهَّزَ أبو بكرٍ قِبَلَ المدينةِ، فقالَ له رسولُ اللهِ ﷺ: «**على رِسْلِكَ؛ فإنِّي أرجُو أنْ يُؤْذَنَ لي**»، فقالَ أبو بكرٍ: وهل ترجُو ذلك بأبي أنتَ؟ قالَ: «**نعم**»، فحبسَ أبو بكرٍ نفسَه على رسولِ اللهِ ﷺ ليصحَبَه، وعَلفَ راحلتَين كانتا عندَه ورقَ السَّمُرِ ـ وهو الخبَطُ ـ أربعةَ أشهرٍ.

هذا ما يتعلَّقُ بفهمِ ما ذُكِرَ في المتنِ، وبقيَّةُ الكلامِ في الهجرةِ يُعلَمُ في مكانٍ آخرَ إنْ شاءَ اللهُ تعالى.

(**بَرْك الغِمَادِ**) بفتحِ الباءِ الموحَّدةِ وكسرِ الغينِ[١]، وقيلَ: بضمِّها، اسمُ موضعٍ بينه وبين مكَّةَ خمسُ ليالٍ ممَّا يلِي ساحلَ البحرِ، وقيلَ: هو بلدٌ يمانٍ[٢].

---

(١) في (ص) و(م) زيادة: «المعجمة».

(٢) انظر: «الأماكن، ما اتفق لفظه وافترق مسماه» للحازمي (ص: ٧٢٥).

و(ابن **الدُّغُنَّة**) بضمِّ الدَّالِ المهملةِ، والغينِ المعجمةِ المضمومتَين وتشديدِ النُّونِ.

وقولُها: (**وهو سيِّد القارَة**) القارَة: قبيلةٌ سمِّي أبوهُم بذلك[١].

وقولُه: (**إنَّك تكسِبُ المعدُومَ**) فيه وجهان:

أحدُهما: أنَّه لسعدِه وحظِّه من الدُّنيا لا يتعذَّرُ عليه كسبُ كلِّ شيءٍ معدومٍ مُتَعذِّرٍ على مَن سواه.

والثَّاني: أنَّه يُملِّكُ الشَّيءَ المعدومَ المتعذِّرَ مَن لا يقدرُ عليه، فهو يصفُ إحسانَه وكرمَه وعمومَ فضلِه، يقالُ: كسبْتُ مالًا وكسَّبْتُ فلانًا مالًا.

وقولُه: (**وتَصِلُ الرَّحمَ**) أي: لا تمنعُ قرابتَك من خيرِك.

وقولُه: (**وتحمِلُ الكَلَّ**) الكَلُّ: ما يثقلُ حملُه من صلاتِ الأرحامِ والقيامِ بالعيالِ وقِرى الأضيافِ ونحو ذلك.

وقولُه: (**وتَقْرِي الضَّيفَ**) أي: تأتيه بالقِرَى، وقيل: تجمعُه إليك، مِن قَرَيْتُ الماءَ في الحوضِ؛ أي: جمعْتُه[٢].

وقولُه: (**وتعينُ على نوائبِ الحقِّ**) أي: على ما ينوبُ الإنسانَ من المغارمِ وقضاءِ الحقُوقِ؛ أي: تعينُ بما تقدرُ عليه مَن أصابَه ذلك.

وقولُه: (**أنا جارٌ لك**) أي: حامٍ وناصرٌ ومدافعٌ.

---

(١) انظر: «جمهرة الأمثال» للعسكري (١/ ٥٥)، و«مشارق الأنوار على صحاح الآثار» للقاضي عياض (٢/ ٢٠٠).

(٢) انظر: «غريب الحديث» لأبي عبيد (٤/ ٣٧٥).

وقولُه: (فلم تكذِبْ قريشٌ بجوارِ ابنِ الدُّغُنَّة) أي: لم تَرُدَّه؛ فإنَّ مَن كذبَ بشيءٍ فقد ردَّه.

وقولُـه: (فيَتَقَصَّـفُ عليـه نسـاءُ المشـركين) أي: يزدَحِمْنَ، وأصـلُ القصفِ: الكسـرُ[1]، وقد جـاءَ فـي روايةٍ: «فينقـذف»[2].

وقالَ أبو سليمانَ: لا وجهَ له إلَّا أنْ يُجعلَ من القذفِ؛ أي: يتدافعون فيقذفُ بعضُهم بعضًا فيتساقطونَ عليه، قال: وفيه بُعدٌ[3].

وقولُه: (فإنَّا قد كرِهْنا أنْ نُخْفِرَك): بضمِّ النُّونِ؛ أي: نَنْقُضَ عهدَكَ، يقالُ: «أَخْفَرْتُ»: إذا نقضتُ العهدَ، و«خَفَرْتُ»: إذا وَفَيْتُ به[4].

وقولُه: (على رَسْلِكَ) هو بفتحِ الرَّاء؛ أي: أمهِلْ ولا تعجَلْ. قالَ ابنُ الأثيرِ: كأنَّ الرَّسْلَ ـ بالفتحِ ـ الهِيْنَةُ، وبالكسرِ: التُّؤْدَةُ[5]، واللهُ أعلمُ.

١٤٦٨ـ (ق): صفيَّةُ بنتُ حُيَيٍّ رضيَ اللهُ عنها: «عَلى رِسْلِكُمَا، إنَّهَا صفيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ». [خ: ١٩٣٠] [م: ٢١٧٥]

* قد تقدَّمَ الكلامُ عليه في البابِ الثَّاني في قولِه عليه السَّلامُ[6]: «إنَّ الشَّيطانَ يَجْرِي من ابنِ آدمَ مجرى الدَّمِ».

---

(١) انظر: «الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية» للجوهري (٤/ ١٤١٦).

(٢) رواه البخاري (٣٦٩٢).

(٣) انظر: «أعلام الحديث» للخطابي (٣/ ١٦٩٠).

(٤) انظر: «تاج العروس من جواهر القاموس» لمرتضى الزبيدي (١١/ ٢٠٧).

(٥) انظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير (٢/ ٢٢٢).

(٦) تقدم برقم: (٢٤٢).

١٤٦٩ـ (ق): أَبو مُوسى رضيَ اللهُ عنه: «عَلى رِسْلِكُمْ، أُعْلِمُكُم وأَبْشِرُوا أنَّ مِن نعمةِ اللهِ عليكُم أَنَّهُ ليسَ أحدٌ من النَّاسِ يُصلِّي هذِهِ السَّاعةَ غيرَكُم، أو قالَ: مَا صلَّى هذِهِ السَّاعةَ أحدٌ غيرُكُم». [خ: ٥٤٢] [م: ٦٤١]

قالَهُ حينَ أعتَمَ بالصَّلاةِ.

* قالَ: كنتُ أنا وأصحابي الذين قَدِمُوا معي في السَّفينةِ نزولًا في بقيعِ بُطْحانَ، وكانَ رسولُ اللهِ ﷺ بالمدينةِ، وكانَ يتناوبُ رسولَ اللهِ ﷺ عند صلاةِ العشاءِ كلَّ ليلةٍ نفرٌ منهم.

قالَ أبو موسى: فوافَقنا رسولَ اللهِ ﷺ أنا وأصحابي وله بعضُ الشُّغلِ في أمرِه حتى أعتَمَ بالصَّلاةِ حتى ابْهَارَّ اللَّيلُ، ثمَّ خرجَ رسولُ اللهِ ﷺ فصلَّى بهم، فلمَّا قضى صلاتَه قالَ لِمَن حضرَ: «**على رِسْلِكُم...**» إلى آخرِه.

وقولُه: (**أو قالَ**) شكٌّ من الرَّاوي.

قالَ أبو موسى: فرجَعْنا فرِحِين بما سمعْنا من رسولِ اللهِ ﷺ.

قيلَ: (**أنَّ مِن نعمَةِ اللهِ**) هو بفتحِ (أنَّ) معمولًا لقولِه: (**أُعْلِمُكم**)، وكذلك قولُه: (**أنَّه ليسَ أحدٌ**) بالفتحِ.

وفيه: جوازُ الحديثِ بعد العشاءِ إذا كانَ في خيرٍ.

وقد تقدَّمَ الكلامُ في شرحِه في البابِ الثَّاني في قولِه[1]: «إنَّ النَّاسَ قد صلُّوا وناموا»، وفي البابِ الخامسِ في قولِه[2]: «ما ينتظرُها أحدٌ من أهلِ الأرضِ غيرُكم».

---

(١) تقدم برقم: (٣١٠).

(٢) تقدم برقم: (٩٣٩).

١٤٧٠ـ (م): أبو هُريرةَ رضيَ اللهُ عنه: «عليكَ السَّمعَ والطَّاعةَ في عُسْرِكَ ويُسْرِكَ، ومَنْشَطِكَ ومَكْرَهِكَ، وأثرَةٍ عليكَ». [م: ١٨٣٦]

* (**العُسرُ**) الضِّيقُ، و(**المَنْشَطُ**) مصدرٌ كالنَّشاطِ، و(**المَكْرَهُ**) ضدُّه، وهو أيضًا مصدرٌ، يقالُ: «فلانٌ يفعلُ كذا على المكرَهِ والمنشَطِ»؛ أي: على كلِّ حالٍ.

و(**الأَثَرَةُ**) بفتحِ الهمزةِ والثَّاءِ، الاسمُ من «آثَرَهُ»: إذا قدَّمَ عليه غيرَه(١).

وقولُه: (**وأَثَرَةٍ عليكَ**) أي: في حالةٍ يؤثرُ فيها عليك غيرك.

وفي الحديثِ دليلٌ على وجوبِ الطَّاعةِ فيما يشقُّ على النُّفوسِ وتكرَهُه ممَّا ليسَ بمعصيةٍ، ومعناه: اسمعُوا وأطِيعُوا وإن اختصُّوا بالدُّنيا ولم تصلُوا إلى حقِّكُم ممَّا عندَهم.

وقالَ القاضِي(٢): أجمعَ المسلمونَ على وجوبِ الطَّاعةِ في غيرِ معصيةٍ، وعلى تحريمِها فيها، وسببُ ذلك اجتماعُ كلمةِ المسلمينَ؛ فإنَّ الاختلافَ سببٌ لفسادِ الأحوالِ في الدِّينِ والدُّنيا.

١٤٧١ـ (م): ثوبانُ رضيَ اللهُ عنه: «عليكَ بكثرَةِ السُّجُودِ للهِ؛ فإنَّكَ لن تَسْجُدَ للهِ سجدَةً(٣) إلَّا رفعَكَ اللهُ بها درجَةً وحَطَّ عنكَ بها خطيئَةً». [م: ٤٨٨]

قالَه لهُ.

* عن معدانَ بنِ أبي طلحةَ اليعمريِّ قالَ: لقيتُ ثوبانَ مولى رسولِ اللهِ ﷺ

---

(١) انظر: «العين» للخليل الفراهيدي (٨/ ٢٣٧).

(٢) انظر: «إكمال المعلم بفوائد مسلم» للقاضي عياض (٦/ ٢٤٢).

(٣) في (م): «لن تسجد سجدة لله».

فقلتُ: أخبِرْني بعملٍ أعمَلُه يُدْخِلُني اللهُ به الجنَّةَ ـ أو قالَ: قلتُ: بأحبِّ الأعمالِ إلى اللهِ ـ فسكتَ، ثمَّ سألتُه فسكتَ، ثمَّ سألتُه فسكتَ الثَّالثةَ، فقالَ: سألتُ عن ذلك رسولَ اللهِ ﷺ فقالَ: «**عليك بكثرةِ السُّجودِ للهِ...**» إلى آخرِه.

قالَ معدانُ: ثمَّ لقيْتُ أبا الدَّرداءِ، فسألتُه، فقالَ لي مثلَ ما قالَ لي ثوبانُ.

وقد استدلَّ به طائفةٌ على أنَّ كثرةَ السُّجودِ أفضلُ من طولِ القيامِ، وقد تقدَّمَ الكلامُ في ذلك في البابِ السَّادسِ في قولِه عليه السَّلامُ[1]: «**أقربُ ما يكونُ العبدُ من ربِّه وهو ساجدٌ**».

١٤٧٢ ـ (م): **جابرٌ رضيَ اللهُ عنه: «عليكُم بالأسوَدِ البهِيمِ ذِي الطُّفْيَتَينِ[2]؛ فإنَّه شيطَانٌ». [م: ١٥٧٢]**

يعني: الكلبَ.

*قالَ جابرُ بنُ عبدِ اللهِ: أمرَنا رسولُ اللهِ ﷺ بقَتْلِ الكلابِ، حتى إنَّ المرأةَ تَقْدَمُ من الباديةِ بكلبِها فنقتُلُه، ثمَّ نهَى النَّبيُّ عليه السَّلامُ عن قتلِها، فقالَ: «**عليكم بالأسودِ البهيمِ...**»، إلى آخرِه.

قيلَ: اختلفوا في قَتْلِ ما لا ضرَرَ فيه من الكلابِ، فقالَ إمامُ الحرمَين: أمرَ النَّبيُّ

---

(١) تقدم برقم: (١٢٠٦).

(٢) في «صحيح مسلم»: «ذي النقطتين» ولم يشر النووي في شرحه لرواية غيرها، وعليها شرح، فقال (١٠/ ٢٣٧): «وأمَّا النُّقطتان فهما نقطتان معروفتان بيضاوانِ فوقَ عينيهِ، وهذا مشاهدٌ معروفٌ».
والللفظ المذكور جاء في «مستخرج أبي عوانة» وغيره.

ﷺ أوَّلًا بقتلِها كلِّها، ثمَّ نُسِخَ ذلك ونهى عن قتلِها إلَّا الأسودَ البهيمَ، ثمَّ استقرَّ الشَّرعُ على النَّهي عن قتلِ جميعِ الكلابِ سوى الأسودِ[١].

وذهبَتْ طائفةٌ إلى الأخذِ بالحديثِ في قتلِ الكلابِ إلَّا ما استُثْنِيَ من كلبِ الصَّيدِ وغيرِه، وهو مذهبُ مالكٍ وأصحابِه[٢]، ومنهم مَن ذهبَ إلى عدمِ جوازِ قتلِه مُطلقًا؛ لجوازِ الانتفاعِ به من غيرِ ضررٍ[٣].

و(**البهيمُ**) شديدُ السَّوادِ[٤]، و(**الطُّفْيَة**) خُوصَةُ المُقلِ في الأصلِ، وجمعُها: طُفًى[٥]، شبَّهَ الخطَّين على وجهِ الكلبِ بخُوصةٍ من خُوصِ المُقلِ[٦].

وقولُه: (**فإنَّه شيطانٌ**) احتجَّ به أحمدُ[٧] وبعضُ أصحابِ الشَّافعيِّ[٨] على أنَّه لا يجوزُ الاصطيادُ به، فإنَّما يحلُّ صيدُ الكلبِ، وهذا شيطانٌ، وقالَ الشَّافعيُّ: ليسَ المرادُ إخراجُه عن جنسِ الكلابِ، ولهذا لو ولَغَ في إناءٍ وجَبَ غسلُه كما يجبُ من وُلُوغِ الكلبِ الأبيضِ، فيَحِلُّ صيدُه[٩].

---

(١) انظر: «شرح النووي على مسلم» (١٠/ ٢٣٥).

(٢) انظر: «إكمال المعلم بفوائد مسلم» للقاضي عياض (٥/ ٢٤٢). وفي «التاج والإكليل لمختصر خليل» (٦/ ٧٠): قال مالك: يقتل من الكلاب المؤذي منها وما يكون بموضع لا ينبغي.

(٣) انظر: «الاستذكار» لابن عبد البر (٨/ ٤٩٦).

(٤) انظر: «كتاب الألفاظ» لابن السكيت (ص: ٣٠٣).

(٥) انظر: «غريب الحديث» لأبي عبيد (١/ ٥٥).

(٦) انظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير (٣/ ١٣٠).

(٧) انظر: «شرح الزركشي على مختصر الخرقي» (٦/ ٦١٦).

(٨) انظر: «الحاوي الكبير» للماوردي (١٥/ ٦).

(٩) انظر: «شرح النووي على مسلم» (١٠/ ٢٣٧).

١٤٧٣ـ (ق): جابرٌ رضيَ اللهُ عنه: «عليكُم بالأسوَدِ منهُ، فإنَّهُ أطيَبُ، قالَ جابرٌ: قُلْتُ: أكنْتَ ترعَى الغنمَ؟ قالَ: نَعَم، وهلْ مِن نبيٍّ إلَّا رعاهَا». [خ: ٣٢٢٥][م: ٢٠٥٠]

*قالَ جابرُ بنُ عبدِ اللهِ: كنَّا مع النَّبيِّ عليه السَّلامُ بمرِّ الظَّهرانِ ونحن نجنِي الكَبَاثَ، فقالَ النَّبيُّ عليه السَّلامُ... الحديث.

(**مَرُّ الظَّهرانِ**) بفتحِ الميمِ: وادٍ بين مكَّةَ وعسفانَ[١].

و(**الكَبَاث**) بفتحِ الكافِ والباءِ الموحَّدةِ والثَّاءِ المثلَّثةِ، وهو النَّضيجُ من ثمرِ الأراكِ[٢]. قيل: ويُقالُ له: البريرُ، سُمِّيَتْ بذلك لتحوُّلِه وتغيُّرِه إلى حالِ النَّضِيجِ، يقالُ: «كَبَثَ اللَّحمُ»: إذا باتَ مغمومًا؛ أي: مُغطًّى فتغيَّرَ[٣].

وقد تقدَّمَ الكلامُ عليه في البابِ الخامسِ في قولِه[٤]: «ما بعثَ اللهُ نبيًّا إلَّا ورعَى الغنَمَ».

١٤٧٤ـ (م): أبو هُريرةَ رضيَ اللهُ عنه: «عليكُم منَ الأعمَالِ بما تُطِيقُونَ، فإنَّ اللهَ لا يمَلُّ حتَّى تمَلُّوا»[٥].

* (**الملالُ**) فُتورٌ يَعرِضُ للنَّفسِ من كثرةِ مُزاولةِ شيءٍ، فيُوجِبُ الإعراضَ

---

(١) انظر: «معجم البلدان» لياقوت الحموي (٤/ ٦٣).

(٢) انظر: «الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية» للجوهري (١/ ٢٩٠).

(٣) انظر: «الفائق في غريب الحديث» للزمخشري (٣/ ٢٤٣).

(٤) تقدم برقم: (٨٨٧).

(٥) قلت: هذا لفظ حديث عائشة رواه البخاريُّ (١١٠٠)، ومسلم (٧٨٢)، والنسائي (١٦٤٢).

وأمَّا حديث أبي هريرة فرواه القضاعيُّ في «مسنده» (٧٥٨).

ورواه البخاريُّ (١٨٦٥)، ومسلم (١١٠٣) عنه بلفظ: «فاكلفوا من العمل ما تطيقون».

عنه[١]، وهذا كما ترى يستحيلُ على اللهِ تعالى، فيكونُ معناه مُنتهاه؛ أي: إنَّ اللهَ لا يُعْرِضُ عن قبولِ طاعتِكُم حتى تملُّوا، فتأتي الطَّاعةُ منكم حينئذٍ بفتورٍ وعدمِ نشاطٍ ورغبةٍ، فإنَّه تعالى يُعرِضُ حينئذٍ عن قَبولِها قبولَ ما لم يكنْ كذلك.

قالَ بعضُ الشَّارحينَ: هذا الحديثُ رواه البخاريُّ ومسلمٌ والنَّسائيُّ عن عائشةَ قالَتْ: كانَتْ عندي امرأةٌ من بني أسدٍ، فدخلَ رسولُ اللهِ ﷺ فقالَ: «مَن هذه؟»، قلتُ: فلانةُ لا تنامُ اللَّيلَ، قال: «مَهْ، عليكم من الأعمالِ...» إلى آخرِه.

وذكرَه المصنِّفُ بروايةِ مسلمٍ عن أبي هريرةَ، واللهُ أعلمُ[٢].

وقد تقدَّمَ الكلامُ عليه في البابِ السَّادسِ في قولِه[٣]: «أَحَبُّ الأعمالِ إلى اللهِ أَدْوَمُها».

١٤٧٥ـ (خ): عائشةُ رضيَ اللهُ عنها: «مَهْلًا يا عائشَةُ! عليكِ بالرِّفقِ، وإيَّاكِ والعُنْفَ والفُحْشَ». [خ: ٥٦٨٣]

* قالَه لها حين قالَتْ لليهودِ: عليكم السَّامُ واللَّعنةُ.

وقد تقدَّمَ الكلامُ عليه في البابِ الخامسِ في قولِه[٤]: «يا عائشةُ؛ لا تكوني فاحشةً»، وفي البابِ الثَّاني في قولِه[٥]: «إنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الفُحْشَ والتَّفَحُّشَ».

و(مَهْلًا) بسكونِ الهاءِ، وهو منصوبٌ بفعلٍ؛ أي: أَمْهِلِي مَهْلًا.

---

(١) انظر: «تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة» للبيضاوي (١/ ٣٦٧).

(٢) تقدم عزوه، والتنبيه على مخرجه.

(٣) تقدم برقم: (١١٩٣).

(٤) تقدم برقم: (١٠٥٨).

(٥) تقدم برقم: (٢٧٢).

فصلٌ

وفصَلَ هذا عمَّا قبلَه لذلك بدخولِ (لامِ الجرِّ) في صدرِه.

١٤٧٦ـ (ق): جابرٌ رضيَ اللهُ عنه: «لكَ الثَّمنُ، ولكَ الجمَلُ، لكَ الثَّمَنُ، ولكَ الجمَلُ». [خ: ٢٣٣٨] [م: ٧١٥]

قالَه لهُ.

* وقد تقدَّمَ الكلامُ عليه في البابِ السَّادسِ في قولِه[1]: «قد أخذْتُ جملَكَ».

١٤٧٧ـ (م): أبو مسعودٍ عقبةُ بنُ عمرٍو الأنصارِيُّ رضيَ اللهُ عنه: «لكَ بهَا يومَ القيامَةِ سبعُمئةِ ناقَةٍ كلُّهَا مخطُومَةٌ». [م: ١٨٩٢]

قالَه لرجلٍ جاءَ بناقَةٍ مَخطُومةٍ، فقالَ: هذِهِ في سبيلِ اللهِ.

* أخبرَ ﷺ عن هذه الحسنةِ بأنَّها تُضاعَفُ إلى سبعمئةٍ، وأصلُه قولُه تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ﴾ [البقرة: ٢٦١].

وقولُه: (**مخطومةٌ**) يعني: التي لها خطامٌ، وهو نحو الزِّمامِ.

وقولُه: (**لكَ بهَا يومَ القيامَةِ**) يحتملُ أنْ يكونَ المرادُ به: أنَّ أجرَ ذلك أجرُ سبعمئةٍ، ويحتملُ أنْ يكونَ على ظاهرِه وأنَّ له في الجنةِ سبعَمئةِ ناقةٍ مخطُومةٍ، فيركبهنَّ حيث يشاءُ للتَّنزُّه، كما جاءَ في خيلِ الجنَّةِ.

(١) تقدم برقم: (١٢٢٤).

١٤٧٨ـ (م): جابرٌ رضيَ اللهُ عنه: «لكُلِّ داءٍ دوَاءٌ، فإذَا أُصِيْبَ دوَاءُ الدَّاءِ بَرِئَ بإذنِ اللهِ». [م: ٢٢٠٤]

*بَرِئَ من المرضِ بَرْءًا ـ بالفتحِ ـ، وقد تقدَّمَ الكلامُ عليه في البابِ الخامسِ في قولِه(١): «ما أنزلَ اللهُ دَاءً إلَّا أنزلَ له شفاءً».

١٤٧٩ـ (ق): ابنُ مسعودٍ وأنسٌ رضيَ اللهُ عنهما: «لكُلِّ غادرٍ لواءٌ يومَ القيامَةِ بقَدْرِ غَدْرَتِهِ». [حديث ابن مسعود: خ: ٦٥٦٥، م: ١٧٣٦] [وحديث أنس: خ: ٣١٨٦، م: ١٧٣٧]

* وقد تقدَّمَ معنى الغدرِ ولواءِ الغادرِ في قولِه(٢): «إذا جمعَ اللهُ الأوَّلين والآخِرين»، خلا قولِه: (بقدرِ غَدْرتِه) يعني: إنْ كانَتْ غَدْرَتُه كبيرةً عظيمةً يُرفَعُ له لواءٌ كبيرٌ عظيمٌ مرتفعٌ حتى يعرِفَه بذلك من قَرُبَ منه ومَن بعُدَ.

فإنْ قيلَ: قد وقعَ في بعضِ الرِّواياتِ: «لواءٌ عند اسْتِهِ يومَ القيامةِ»(٣) فما معناه؟

أُجيبَ: بأنَّ معناه ـ واللهُ أعلمُ ـ عندَ مقعدِه؛ أي: يلزمُ اللِّواءَ بحيث لا يقدِرُ على مفارقتِه ليمرَّ به النَّاسُ فيَرَوه ويعرفُوه، فيزدادُ خجلًا وفضيحَةً عند كلِّ مَنْ مرَّ به.

قيلَ: في الحديثِ تلويحٌ إلى نهي الرَّعيَّةِ عن الغدرِ بالإمامِ، فلا يشقُّ عليه العصا مخافةَ حصولِ فتنةٍ بسببِه، وقيل: إذا لم يكنْ خائنًا أو فاسقًا.

---

(١) تقدم برقم: (٨٨٦).

(٢) تقدم برقم: (٧٨٦).

(٣) عند مسلم (١٧٣٨).

١٤٨٠ـ (ق): أَبُـو هُريـرةَ رضـيَ اللهُ عنه: «لـكُلِّ نبيٍّ دعـوَةٌ يدعُوهَـا، فأُرِيدُ إنْ شـاءَ اللهُ أنْ أختَبِـئَ دعوَتِي شـفَاعةً لأمَّتِي يـومَ القيامَـةِ». [خ: ٧٠٣٦] [م: ١٩٨]

*هذا الحديثُ رُوي بألفاظٍ مختلفةٍ، والمصنِّفُ أخذَ[(١)] بعضَ الألفاظِ من روايةٍ وبعضَها من أخرى، فمنها: ما رُوي: «لكلِّ نبيٍّ دعوةٌ يدعو بها، فأُريدُ أنْ أختبئَ دعوتي شفاعةً لأُمَّتي يومَ القيامةِ»[(٢)]، وليس في هذه لفظةُ: (**إنْ شاءَ اللهُ**).

ومنها: «لكلِّ نبيٍّ دعوةٌ دعا بها في أُمَّتِه فاستُجِيبَ له، وإنِّي أُريدُ إنْ شاءَ اللهُ أنْ أُؤَخِّرَ[(٣)] دعوتي شفاعةً لأُمَّتي يومَ القيامةِ»[(٤)]، وفي هذه لفظةُ: (إنْ شاءَ اللهُ)، وكذا غيرهما من الرِّوايات، بعضها فيه: (إنْ شاءَ اللهُ) دون بعضٍ.

وإنَّما تعرضْتُ لذلك تنبيهًا على غيرِ هذا الموضعِ من المواضعِ التي عملَ فيها كذلك، وبعضُ هذه الرِّواياتِ يفسِّرُ بعضَها، ومعناها: أنَّ كلَّ نبيٍّ له دعوةٌ متيقَّنةُ الإجابةِ، وهو على يقينٍ من إجابتِها يدعو بها فيُستجاب له عالمًا بالإجابةِ، وأمَّا بقيَّةُ دعواتِهِم فهم فيها على طمعٍ من إجابتِها، وبعضُها يُستَجابُ له وبعضُها لا، وهذا لأنَّا نعلَمُ بيقينٍ أنَّ نبيَّنا ﷺ قد استُجِيبَ له كثيرٌ من الدَّعواتِ، فقد دعا لأُمَّتِه بأنْ لا يسلِّطَ عليهم عدوٌّ من غيرِهِم، وأنْ لا يهلكَهُم بسنةٍ عامَّةٍ، فاستُجيبَ له، وكذا قد استُجِيبَ له في مواقعِ الحربِ وغيرِها ممَّا دعا به لأفرادِ أمَّتِه، وذلك دليلٌ على أنَّ الذي اختبأَه إنَّما هو الذي تيقَّنَ عليه السَّلامُ بإجابتِه، والبواقِي كانَ فيها على طمعٍ ورجاءٍ من الإجابةِ فيها، فمنها ما تحقَّقَ ومنها غيرُه.

---

(١) في (ع): «يأخذ».

(٢) رواه البخاري (٧٠٣٦)، ومسلم (١٩٨).

(٣) في (ص): «أدخر».

(٤) رواه مسلم (١٩٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وفي الحديثِ بيانٌ لكمالِ شفقتِه عليه السَّلامُ على أمَّتِه ورأفتِه بهم واعتنائِه بالنَّظرِ إلى مصالحِهِم، فإنَّه أخَّرَ دعاءَه المتيقَّنَ بإجابتِه إلى أعظمِ أوقاتِ حاجتِهم.

وقولُه: (إنْ شاءَ اللهُ) ذكرَه للتَّبرُّكِ، لا للشَّكِّ، والاقتداءُ بما في القرآنِ المجيدِ من قولِه تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىۡءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الكهف: ٢٣ ـ ٢٤].

١٤٨١ ـ (خ): مَعنُ بنُ يزيدَ رضيَ اللهُ عنه: «لكَ مَا نَوَيْتَ يا يزِيدُ، ولكَ مَا أَخَذْتَ يا مَعنُ». [خ: ١٣٥٦]

*قالَ: بايعتُ رسولَ اللهِ ﷺ أنا وأبي وجدِّي، وخطبَ عليَّ فأنكَحَني وخاصمْتُ إليه، كانَ أبي ـ يزيدُ ـ أخرَجَ دنانيرَ يتصدَّقُ بها، فوضَعَها عند رجلٍ في المسجدِ، فجِئْتُ فأخذتُها، فأتيتُه بها، فقالَ: واللهِ ما إيَّاكَ أردْتُ، فخاصمتُه إلى رسولِ اللهِ ﷺ، فقالَ: «**لكَ ما نويتَ يا يزيدُ، ولكَ ما أخذْتَ يا معنُ**».

قولُه: (**وخطبَ عليَّ فأنكَحَني**) يريدُ به رسولَ اللهِ ﷺ، وهذه فضيلةٌ له.

وقولُه: (**كانَ أَبِي**) فصَلَه عمَّا قبلَه؛ لأنَّه بيانُ قولِه: (**وخاصمْتُ إليه**)، وفيه: جوازُ خُصومةِ الابنِ مع الأبِ، ولم يُرِدْ بالخصُومةِ سوى بيانِ حكمِ الحادثةِ شرعًا، وأمَّا غيرُ ذلك فليس بجائزٍ، قالَ اللهُ تعالى: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ [الإسراء: ٢٣].

وفيه: جوازُ التَّصدُّقِ على الابنِ، فإنْ كانَتْ تطوُّعًا فلا كلامَ فيه، وإنْ كانت فرضًا فمنهم مَن جوَّزَه إذا كانَ نوى غيرَه ولم يكنْ في عيالِه؛ عملًا بظاهرِ الحديثِ، ومنهم مَن حملَه على الاختصاصِ؛ فإنَّ النَّبيَّ عليه السَّلامُ كانَ يخصِّصُ بعضَ

أصحابِه بأشياءَ؛ كما خصَّصَ عبدَ الرَّحمنِ بنَ عوفٍ بلبسِ الحريرِ لحكَّةٍ به(١).

وقالَ أبو حنيفةَ ومحمَّدٌ رحمَهما اللهُ(٢): إذا دفعَ الزَّكاةَ إلى أبيه أو ابنِه في ظلمةٍ لم يعرِفْهما لم تجبْ عليه الإعادةُ، وكذا إذا دفعَ وكيلُ الأبِ أو الابنِ بظاهرِ الحديثِ.

١٤٨٢ـ (خ): عائشةُ رضيَ اللهُ عنها: «لكِنَّ أفضَلَ الجهَادِ حجٌّ مبرُورٌ».
[خ: ١٤٤٨]

*قالت: قلتُ: يا رسولَ اللهِ؛ نرى الجهادَ أفضلُ الأعمالِ، أفلا نجاهِدُ؟ فقالَ... الحديث.

و(**الحجُّ المبرورُ**) هو المقبولُ المقابلُ بالبرِّ والثَّوابِ.

وفيه: بيانُ فضيلةِ الحجِّ، وأنَّه في حقِّ النِّساءِ أفضَلُ من الجهادِ؛ لأنَّها عورةٌ، والجهادُ يُفضِي إلى أمورٍ تُنافِيها.

١٤٨٣ـ (ق): أبو هُريرةَ رضيَ اللهُ عنه: «للعبدِ المملُوكِ المصلِحِ أجرَانِ».
[خ: ٢٤١٠] [م: ١٦٦٥]

* عن سعيدِ بنِ المسيِّبِ، عن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنه أنَّه قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**للعبدِ المملوكِ المصلِحِ أجرانِ**»، والذي نفسُ أبي هريرةَ بيدِه لو لا الجهادُ في سبيلِ اللهِ والحجُّ وبرُّ أمِّي لأحببْتُ أنْ أموتَ وأنا مملوكٌ، قالَ: وبلغَنا أنَّ أبا هريرةَ لم يكُنْ يحجُّ حتى ماتَتْ أمُّه لصحبَتِها.

---

(١) رواه البخاري (٢٧٦٣)، ومسلم (٢٠٧٦) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) انظر: «الهداية في شرح بداية المبتدي» للمرغيناني (١/ ١١٢).

في الحديثِ فضيلةٌ ظاهرةٌ للمملوكِ المصلحِ؛ أي: النَّاصحِ لسيِّدِه القائمِ بعبادةِ ربِّه، وأنَّ له أَجْرَين؛ لقيامِه بحقَّينِ، ولانكسارِه بالرِّقِّ.

وقولُ أبي هريرةَ: (لولا الجهادُ في سبيلِ اللهِ والحجُّ وبرُّ أمِّي) إشارةٌ إلى أنْ لا حجَّ على المملوكِ ولا جهادَ؛ لأنَّه غيرُ مستطيعٍ، ولا يجبُ عليه برُّ أمِّه على معنى القيامِ بمصالحِها في النَّفقةِ والمؤنِ والخدمةِ ونحوِ ذلك ممَّا لا يمكنُ فِعْلُه من الرَّقيقِ.

فإنْ قيلَ: قد ثبتَ أنَّ أبا هريرةَ رضي الله عنه حجَّ حجَّةَ الإسلامِ في زمنِ النبيِّ عليه السَّلامُ وجاهدَ جهادَ فرضٍ، فكانَ معنى قوله: (الجهادُ في سبيلِ اللهِ، والحجُّ، وبرُّ أمِّي) التَّطوُّعَ بها، وذلك يتحقَّقُ من العبدِ المملوكِ.

فالجوابُ: أنَّ التَّطوُّعَ بها وإنْ أمكنَ أنْ يتحقَّقَ من المملوكِ لكنْ بإذنِ مولاه، وقد لا يأذنُ بذلك، فتفوتُ فضيلتُها، بخلافِ الحرِّ؛ فإنَّ تحقُّقَ ذلك منه لا يتوقَّفُ على إذنِ غيرِه.

وإنَّما قالَ: (للعبدِ المملوكِ) والمقصودُ يتمُّ بأحدِهما إشارةً إلى السَّببِ المؤثِّرِ في ذلك، فإنَّه إنَّما يتحقَّقُ التَّضعيفُ في الأجرِ لكونِه في الملكيَّةِ، وهو يقومُ بحقِّ المالكِ وحقِّ ربِّه.

١٤٨٤ ـ (م): أَبو هُريرةَ رضيَ اللهُ عنه: «للمملُوكِ طعامُهُ وكسوَتُهُ، ولا يُكلَّفُ منَ العمَلِ إلَّا ما يُطِيقُ». [م: ١٦٦٢]

* يعني: يجبُ على السَّيِّدِ طعامُ مملوكِه وكسوَتُه بما تندَفِعُ الضَّرورةُ، والزِّيادةُ على ذلك مندوبٌ إليه، فإن امتنَعَ عن الإنفاقِ وكانَ للعبدِ كسبٌ اكتسبَ وأنفَقَ على

نفسِه نظرًا للجانبَين، حتى يبقى المملوكُ حيًّا ويبقى فيه حقُّ المالكِ، وإنْ لم يكنْ له كسبٌ بأنْ كانَ زمِنًا أو جاريةً لا تؤجَّرُ مثلها أُجبِرَ المولى على بيعِه؛ لأنَّه من أهلِ الاستحقاقِ، وفي البيعِ إبقاءُ حقِّه وإبقاءُ حقِّ المولى بالخلفِ.

وقولُه: (**ولا يُكلَّفُ منَ العمَلِ إلَّا ما يُطِيقُ**) سندُ الإجماعِ على عدمِ جوازِ تكليفِه بما لا يُطيقُ، فإنْ كلَّفَه ذلك لزمَه إعانتُه، كما مرَّ في حديثٍ آخرَ(١).

وفي الحديثِ: بيانُ عِظَمِ شفقَتِه ﷺ ورحمتِه بأمَّتِه.

١٤٨٥ـ (ق): جبيرُ بنُ مطعَمٍ رضيَ اللهُ عنه: «لِي خمسَةُ أسماءٍ: أنا محمَّدٌ، وأحمَدُ، وأنَا الماحِي الَّذي يمحُو اللهُ بي الكُفرَ، وأنا الحاشِرُ الَّذي يُحْشَرُ النَّاسُ على قَدَمِي، وأنا العاقِبُ». [خ: ٣٣٣٩] [م: ٢٣٥٤]

* قد تقدَّمَ الكلامُ عليه قريبًا في قولِه عليه السَّلامُ(٢): «أنا محمَّدٌ وأحمدُ».

---

(١) روى البخاري (٣٠)، ومسلم (١٦٦١) من حديث أبي ذر رضي الله عنه وفيه: «... ولا تُكلِّفوهم ما يغلبهم، فإن كلَّفتُموهم فأعينوهم».

(٢) تقدم برقم: (١٤٦٤).

فصلٌ

وفصَلَ هذا عمَّا قبلَه، فإنَّه وقعَ في أوَّلِ الكلامِ: (لم) أو (لن).

١٤٨٦ـ (خ): أبو هريرةَ رضيَ اللهُ عنه: «لَم يَبْقَ منَ النُّبوَّةِ إلَّا المبشِّراتِ، قالوا: ومَا المبشِّراتُ؟ قالَ: الرُّؤيَا الصَّالحَةُ». [خ: ٦٥٨٩]

* يريدُ ﷺ: لم يبقَ بعدي من النُّبوَّةِ إلَّا المبشِّراتُ، وقد جاءَ في روايةٍ أُخرى: «لم يبقَ بعدِي مِن النُّبوَّةِ»[1]، ومعناه: أنَّ الوحيَ المتلوَّ والظَّاهرَ ينقطعُ بوفاتِه عليه السَّلامُ، ولا يبقَى ممَّا يستدلُّ به الإنسانُ على بعضِ أحوالِه إلَّا الرُّؤيا الصَّالحةُ.

وقد تقدَّمَ الكلامُ على الرُّؤيا الصَّالحةِ، وأنَّها جزءٌ من النُّبوَّةِ[2].

١٤٨٧ـ (ق): أبو هريرةَ رضيَ اللهُ عنه: «لَم يتكلَّمْ في المَهْدِ إلَّا ثلاثَةٌ: عيسَى بنُ مريمَ، وصاحِبُ جُرَيجٍ، وبينَا صَبيٌّ يرضَعُ». [خ: ٣٢٥٣] [م: ٢٥٥٠]

* «كانَ جُريجٌ رجلًا عابدًا، فاتَّخذَ صومعةً، فكان فيها، فأَتَتْه أمُّه وهو يصلِّي، فقالَتْ: يا جريجُ، قال: يا ربِّ، أمِّي وصلاتي! فأقبلَ على صلاتِه فانصرفَتْ، فلمَّا كانَ من الغدِ أَتَتْه وهو يصلِّي، فقالَتْ: يا جريجُ، فقالَ: يا ربِّ، أمِّي وصلاتي! فأقبلَ على صلاتِه، فانصرفَتْ، فلمَّا كان من الغدِ أَتَتْه وهو يصلِّي فقالَتْ: يا جريجُ، فقالَ: يا ربِّ، أمِّي وصلاتي! فأقبلَ على صلاتِه فانصرفَتْ، فلمَّا كان من الغدِ أَتَتْه وهو يصلِّي فقالَتْ: يا جريجُ، فقال: يا ربِّ، أمِّي وصلاتي! فقالت: اللَّهمَّ لا تُمِتْه حتى ينظُرَ إلى وجهِ الموِمسَاتِ، فتذاكرَ بنو إسرائيلَ جُريجًا وعبادتَه، وكانت امرأةٌ بغيٌّ

---

(١) رواه الطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٥٧٦١).

(٢) تقدم برقم: (١٢٨٩).

يتمثَّلُ بحُسْنِها، فقالَتْ: إنْ شِئْتُم لأفتنَنَّه لكم، قالَ: فتعرَّضَتْ له فلم يلتفِتْ إليها، فأتَتْ راعيًا كان يأوِي إلى صومعتِه، فأمكنَتْه من نفسِها، فوقعَ عليها فحملَتْ، فلمَّا ولدَتْ قالَتْ: هو من جُريجٍ، فأتَوه فاستنزلُوه وهدَمُوا صومعتَه وجعلُوا يضربونَه، فقالَ: ما شأنُكم؟ قالوا: زَنَيْتَ بهذه البغيِّ فولدَتْ منك، فقالَ: أين الصَّبيُّ؟ فجاؤُوا به، فقالَ: دَعُوني أُصلِّي، فصلَّى، فلمَّا انصرفَ أُتِيَ بالصَّبيِّ، فطعنَ في بطنِه وقال: يا غلامُ؛ مَن أبوك؟ قالَ: فلانٌ الرَّاعي، قال: فأقبَلُوا على جريجٍ يُقبِّلُونه ويتمسَّحُون به، وقالوا: نبني لك صومعتَكَ من ذهبٍ، قالَ: لا، أَعِيدُوها من طينٍ كما كانَتْ، ففَعَلُوا، وبينا صبيٌّ يرضعُ من أمِّه فمرَّ رجلٌ راكبٌ على دابَّةٍ فارهةٍ وشارةٍ حسنةٍ، فقالَتْ أُمُّه: اللَّهمَّ اجعَلْ ابني مثلَه، فتركَ الثَّديَ وأقبلَ عليه، فنظرَ إليه فقالَ: اللَّهمَّ لا تجعلني مثلَه، ثمَّ أقبلَ على ثديِه فجعلَ يرتضِعُ، قال: فكأنِّي أنظرُ إلى رسولِ اللهِ ﷺ وهو يحكي ارتضاعَه بإصبعِه السَّبَّابةِ في فمِه، فجعلَ يمصُّها. قالَ: ومرُّوا بجاريةٍ وهم يضربونَها ويقولونَ: زنيْتِ سرقْتِ، وهي تقولُ: حسبيَ اللهُ ونعمَ الوكيلُ، فقالت أمُّه: اللَّهمَّ لا تجعلْ ابني مثلَها، فتركَ الرَّضاعَ ونظرَ إليها فقالَ: اللَّهمَّ اجعلني مثلَها، فهناك تراجَعَا الحديثَ، فقالَتْ: حَلْقَى! مرَّ رجلٌ حَسَنُ الهيئةِ، فقلْتُ: اللَّهمَّ اجعَلْ ابني مثلَه، فقلْتَ: اللَّهمَّ لا تجعلني مثلَه، ومرُّوا بهذه الجاريةِ وهم يضربُونها وهم يقولون: زنيتِ سرقتِ، فقلتُ: اللَّهمَّ لا تجعلْ ابني مثلَها، فقلْتَ: اللَّهمَّ اجعلني مثلَها؟ قالَ: إنَّ ذلك الرَّجلَ كانَ جبَّارًا، فقلتُ: اللَّهمَّ لا تجعلني مثلَه، وإنَّ هذه يقولون لها: زنيتِ ولم تَزْنِ، وسرقتِ ولم تسرِقْ، فقلتُ: اللَّهمَّ اجعلني مثلَها».

(المَهْدُ) كلُّ محلٍّ[1] مُسوًّى معدَّلٍ، من «مَهَدْتُه»: إذا سوَّيْتُه وعدَّلْتُه، فمَهْدُ

---

(١) في (ص): «مكان».

الصَّبيِّ: هو المحلُّ المسوَّى له، سواءً كانَ سريرَه أو حجْرَ أمِّه إذا لم يبلُغْ حدَّ التَّكلُّم(١).

فإنْ قيلَ: ظاهرُ الحديثِ يقتَضِي أنَّه لم يوجَدْ صغيرٌ تكلَّمَ في المهدِ إلَّا هؤلاء الثَّلاثةُ: عيسى وصبيُّ جُريجٍ، وبَيْنَا...، وقد جاءَ في «صحيحِ مسلمٍ» في قصَّةِ أصحابِ الأخدودِ: «أنَّ امرأةً جِيءَ بها لتُلقَى في النَّارِ على إيمانِها ومعها صبيٌّ لها - وفي غيرِ: كتابِ مسلمٍ: يرضعُ - فتقاعسَتْ أنْ تقعَ في النَّارِ، فقالَ لها: يا أمَّهْ، اصبري؛ فإنَّكِ على الحقِّ»(٢).

وقالَ ابنُ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنه: كانَ شاهدُ يوسفَ عليه السَّلامُ صبيًّا في المهدِ(٣).

وقالَ الضَّحَّاكُ: تكلَّمَ في المهدِ ستَّةٌ: شاهدُ يوسفَ عليه السَّلامُ، وصبيُّ ماشطةِ ابنةِ فرعونَ، وعيسى، ويحيى، وصاحبُ جريجٍ، وصاحبُ الأخدودِ(٤).

فأسقطَ الضَّحَّاكُ صبيَّ الجبَّارِ، وذكرَ يحيى مكانَه، وعلى هذا لا يكونُ الحصرُ ثابتًا.

أُجِيبَ: بجوابَين:

أحدُهما: أنَّ المذكورينَ في الحديثِ هم الذين صحَّ أنَّهم تكلَّموا في المهدِ ولم يُختلَفْ فيهم، واختُلِفَ فيمَن عداهم، فقيلَ: إنَّهم كانوا كبارًا بلغُوا حدَّ الكلامِ.

---

(١) انظر: «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» للقرطبي (٦/ ٥١١).

(٢) رواه مسلم (٣٠٠٥). والرواية المشار إليها رواها أحمد في «مسنده» (٢٣٩٣١).

(٣) روى أحمد في «مسنده» (٢٨٢١)، وأبو يعلى في «مسنده» (٢٥١٧)، وابن حبان في «صحيحه» (٢٩٠٤)، والطبري في «تفسيره» (١٦/ ٥٤) (١٩٠٩٩) قال ابن عباس: تكلم أربعة صغار: عيسى ابن مريم عليه السلام، وصاحب جريج، وشاهد يوسف، وابن ماشطة ابنة فرعون.

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٩/ ١٦٢)، والقرطبي في «تفسيره» (٤/ ٩١).

والثَّاني: أن يكونَ النبيُّ عليه السَّلامُ أخبرَ بما كانَ في علمِه ممَّا أُوحِيَ إليه في تلك الحالِ، ثمَّ بعد ذلك أعلمَه اللهُ تعالى بما شاءَ من ذلك، فأخبرَ به.

وقولُ جريجٍ: (**يا ربِّ، أمِّي وصلاتي!**) قالَ القرطبيُّ: قولُه هذا يدلُّ على أنَّه كانَ عابدًا جاهلًا؛ إذ بأدنى فكرةٍ يُدرِكُ أنَّ صلاتَه كانَتْ ندبًا، وإجابةُ أمِّه كانَتْ عليه واجبةً، فلم يكُنْ ثمَّةَ تعارُضٌ يُوجِبُ إشكالًا، فكانَ يجبُ عليه تخفيفُ صلاتِه أو قطعُها وإجابةُ أمِّه، وهو الصَّحيحُ إنْ لم تختلفِ الشَّرائعُ في برِّ الوالدينِ، لكنَّ الاختلافَ فيه بعيدٌ[(١)].

ودعاءُ أمِّه يدلُّ على فضلِها وعلمِها؛ فإنَّها تحرَّزَتْ في دعائِها فقالَتْ: (**اللَّهمَّ لا تُمِتْه حتى ينظرَ إلى وجهِ الموسَاتِ**)، قالَتْ: (حتى ينظرَ) ولم تقُلْ غيرَها، وقد جاء في طريقٍ أُخرى: «ولو دعَتْ عليه أنْ يُفتَنَ لَفُتِنَ»[(٢)].

وقد اعتُذِرَ لجريجٍ بأنَّه إنَّما لم يلتفِتْ إلى أمِّه خشيةَ أنْ تدعوَه إلى مفارقةِ صَوْمَعتِه والعَوْدِ إلى الدُّنيا ومتعلَّقاتِها، فيَضْعُفَ عزمُه فيما نواه وعَهِدَ عليه، وهذا إنَّما يصحُّ أنْ لو نذرَ بذلك، وكانَ النَّذرُ في شريعتِهم واجبَ الوفاءِ؛ ليكونَ مقابلَةُ الواجبِ بالواجبِ إنْ لم يكنْ برُّ الوالدةِ[(٣)] أوجَبَ.

وقولُه: (**وهناك تراجَعَا الحديثَ**) أي: أقبلَتِ المرضعةُ على الرَّضيعِ تُحدِّثُه، وكانَتْ أوَّلًا لا تراه أهلًا، فلمَّا تكرَّرَ منه الكلامُ علمَتْ أنَّه أهلٌ، فسألَتْه عن ذلك وراجعَتْه.

---

(١) انظر: «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» للقرطبي (٦/ ٥١٢).

(٢) رواه مسلم (٢٥٥٠).

(٣) في (ن): «الوالدين».

فقالت: (حَلْقَى) وهي كلمةٌ جرَتْ في الكلامِ مجرى المثلِ، وأصلُها فيمَن أُصيبَ حَلْقُها[١] بوجعٍ، وقد تقدَّمَ[٢].

بقيَ الكلامُ في أنَّ تكلُّمَ هذه الصِّغارِ كانَ من حيث إنَّ اللهَ تعالى خلقَ فيهم إدراكًا كالبالغين العاقلين الذين يعرفُون ما يأتون به وما يَذَرُونه، أو أُجْرِيَ على لسانِهم ذلك الكلامُ وهو لا يعقِلُه، كما خلقَ في الجماداتِ كلامًا له معنًى صحيحٌ مع كونِها باقيةً على جمادِيَّتِها.

فأمَّا عيسى صلواتُ اللهِ عليه وسلامُه فقد قيلَ فيه: إنَّ اللهَ خلقَ فيه في مهدِه ما خلقَ للأنبياءِ عليهم السَّلامُ في حالِ كمالِهم من العقلِ المستفادِ، وقد شهدَ له القرآنُ بذلك، وأمَّا غيرُه فكلٌّ من الوجهَين فيه سائغٌ؛ إذ الكلامُ في مقامِ خَرقِ العادةِ، فهو ممكنٌ في نفسِه، والمانعُ عنه ـ وهو العادةُ ـ مُنْتَفٍ.

وفي الحديثِ دليلٌ على خَرقِ العادةِ لغيرِ الأنبياءِ، فيكونُ دليلًا على وجودِ الكراماتِ للأولياءِ على ما هو مذهبُ أهلِ الحقِّ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ.

ومن النَّاسِ مَن زعمَ أنَّ فيه دليلًا على أنَّ الزِّنا يحرِّمُ كما يحرِّمُ الوطءُ الحلالُ، فلا تحلُّ أمُّ المزنيِّ بها ولا بناتُها للزَّاني، قالَ: وذلك لأنَّ النَّبيَّ ﷺ قصَّ ما عملَ جريجٌ من نسبةِ الولدِ إلى الزَّاني مادحًا له مُظهرًا لكرامتِه، فلو لم تكُن النِّسبةُ صحيحةً لَمَا فعلَ ذلك، وشرائعُ مَن قبلَنا إذا قصَّ اللهُ أو رسولُه من غيرِ إنكارٍ كانت شريعةً لنا، فضلًا عن أنْ يَقُصَّه مادحًا.

وعُورِضَ: بأنَّه لو كانَ كذلك لَثبَتَ اللَّوازمُ؛ كالولايةِ والإرثِ وغيرِ ذلك.

---

(١) في (ص) و(ك): «حلقه».

(٢) تحت حديث رقم: (١٠٥٠).

وأجابَ: بأنَّ القياسَ يقتَضِي عدمَ ذلك، والشَّرعُ أثبتَه في النَّسبِ، فانتهينا عندَه.

١٤٨٨ـ (ق): أَبو هُريرةَ رضيَ اللهُ عنه: «لَم يكذِبْ إبراهِيمُ النَّبيُّ عليهِ السَّلامُ قطُّ إلَّا ثلاثَ كِذْبَاتٍ: ثِنْتَينِ في ذاتِ اللهِ، قولُهُ: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ٨٩]**، وقولُهُ: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾** [الأنبياء: ٦٣]**، وواحدَةٌ في شأنِ سارةَ».** [خ: ٣١٧٩] [م: ٢٣٧١]

*اعلَمْ أنَّ الكذبَ في الخبرِ راجعٌ إلى عدمِ مطابقتِه للواقعِ، ولم يقَعْ من إبراهيمَ صلواتُ اللهِ وسلامُه عليه شيءٌ من الإخبارِ ما لا يُطابقُ الواقعَ إلَّا ما استثناه النَّبيُّ عليه السَّلامُ، والاستثناءُ من النَّفي إثباتٌ، فظاهرُ الكلامِ يقتَضِي كونَ المستثنى كذبًا من إبراهيمَ، وإلَّا كانَ كذبًا من النَّبيِّ عليه السَّلامُ، والكذبُ لا يجوزُ على الأنبياءِ عليهم السَّلامُ، وقد كثُرَ كلامُ العلماءِ في ذلك في كتبِ التَّفسيرِ والحديثِ والكلامِ وغيرِها.

وأقولُ: هذا الكلامُ يمكنُ أنْ يُتصوَّرَ على أربعةِ أوجهٍ:

أحدُها: أنْ يكونَ المرادُ بالمستثنى والمستثنى منه كليهما حقيقةَ الكذبِ على ما ذكَرْناها.

والثَّاني: أنْ يكونَ المرادُ بهما صورةَ الكذبِ لا حقيقتَه، والاستثناءُ في هذين الوجهَين متَّصلٌ.

والثَّالث: أنْ يكونَ المرادُ بالمستثنى منه حقيقةَ الكذبِ، وبالمستثنى صورتَه.

والرَّابع: بالعكسِ، والاستثناءُ في هذين الوجهَين منقطعٌ.

والأوَّلُ والرَّابعُ: يحتاجُ إلى المعذرةِ، والثَّاني والثَّالثُ: يحتاجان إلى التَّأويلِ، فأمَّا المعذرةُ فهو ما قِيلَ: قد أجمَعْنا أنَّ الكذبَ لإصلاحِ ما بين الفئتَين جائزٌ، وكذا

إذا جاءَ ظالمٌ(١) يطلبُ إنسانًا مختفِيًا ليقتُلَه، أو يطلُبُ وديعةَ إنسانٍ ليأخُذَها غصبًا، وسألَ عن ذلك، وجبَ على مَن علمَ ذلك إخفاؤُه وإنكارُ العلمِ به، فكانَ الكذبُ في ذلك واجبًا، وهو في دفعِ ضررٍ خاصٍّ عن بعضِ الأشخاصِ، فما ظنُّكَ في إلزامِ الحجَّةِ على الكفَرةِ المعاندين للحقِّ المتعدِّي ضررُهم إلى أكثرِ العالمِ قرنًا بعد قرنٍ؟ وفي دفعِ الزِّنا الذي هو من أعظمِ الكبائرِ عن حليلةِ أبي الأنبياءِ عليه وعليهم السَّلامُ؟!.

وأمَّا التَّأويلُ فهو ما ذُكِرَ أنَّ قولَه: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ٨٩] كانَ في وقتٍ كانَ يأتيه الحمَّى.

وقيلَ: هو من بابِ المجازِ بالحذفِ؛ أي: إنَّ قلبي سقيمٌ، وقيلَ: مرادُه: إنِّي سأسقَمُ، استعمَلَ المشتقَّ في المستقبلِ إمَّا حقيقةً على قولِ مَن يقولُ به، وإمَّا مجازًا على المشهورِ، والمذكورُ في القصَّةِ يُنْبِئُ عنه ـ على ما سنذكرُ ـ إلَّا التَّأويلُ الثَّاني، وأنَّ قولَه: ﴿فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ﴾ [الأنبياء: ٦٣] أرادَ به: طريقَ التَّسبُّبِ، كما وُجِدَ قتيلُ سَوءٍ، فسئلَ عمَّن قتَلَه، فقيلَ: عمائلُه وفسادُه، ولمَّا كانَ الكبيرُ هو الحاملُ لإبراهيمَ عليه السَّلامُ أسندَ الفعلَ إليه.

وقيلَ: علَّقَ بما بعدَه، وتقديرُه: بل فعلَه كبيرُهم إنْ كانوا ينطِقُون، لكن لم ينطقُوا، فما فعلَه كبيرُهم، وهو كلامُ صِدْقٍ، لا يقالُ: استثناءُ نقيضِ المقدَّمِ غيرُ مُنْتجٍ؛ لأنَّ الملازمةَ بين النُّطقِ وهذا الفعلِ الخاصِّ مساويةٌ، فكان مُنْتِجًا، وقولُه: ﴿فَسْـَٔلُوهُمْ﴾ [الأنبياء: ٦٣] جملةٌ اعتراضيَّةٌ؛ كما في قولِ الشَّاعرِ(٢):

---

(١) في (ص): «إنسان».

(٢) البيت من قصيدة لحسان بن ثابت رضي الله عنه. كما في «سيرة ابن هشام» (٢/ ٥٦٤) وتمامه:

سَـجِيَّةٌ تلكَ منهُم غيـرُ مُحدَثَـةٍ ... إنَّ الخلائقَ فاعلَمْ شـرُّها البدَعُ.

.... إنَّ الخلائــقَ فاعلَـمْ شــرُّها البِـدَعُ

وقيل: قالَ استهزاءً بهم، لا جِدًّا؛ كما قالَ لآلهتِهم: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ [الصافات: ٩١]، وكانَ غرضُه من ذلك بيانَ عدمِ استحقاقِهم العبادةَ لعجزِهم، وإلزامَ الحُجَّةِ عليهم إرشادًا إلى سواءِ السَّبيلِ، وقد التزمُوا حيث نُكِّسُوا على رؤوسِهم متحيِّرينَ، وعلِمُوا أنَّها لا تنطقُ ولا تبطشُ فقالوا: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٥]، ولم يكُنِ الإحراقُ بعد ذلك إلَّا على توبيخِه إيَّاهم بقولِه: ﴿أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ۝٦٦ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٦ ـ ٦٧].

وأمَّا قولُه عن سارةَ: (أختي) فقد عُلِمَ تأويلُه من إبراهيمَ عليه السَّلامُ، وذلك أنَّ الجبَّار لمَّا أرسلَ إليه: أنْ يا إبراهيمُ، مَن هذه التي معكَ؟ قالَ: أختي، ثمَّ رجَعَ إلى سارةَ فقالَ: لا تُكذِّبي حدِيثي؛ فإنِّي أخبرتُهم أنَّكِ أختي، واللهِ إنْ[١] على الأرضِ مؤمنٌ غيري وغيرَكِ، أخبرَها أنَّه أرادَ أخوَّةَ الإسلامِ.

وإنَّما قالَ عليه السَّلامُ: (**ثِنْتَين في ذاتِ اللهِ**)، (**وواحدةٌ في شأنِ سارةَ**)؛ لأنَّ الأولَيَين إنَّما كانتا في محضِ حقِّ اللهِ لا يشُوبُه ولا أحدًا غيرَهُ نفعٌ، والثَّالثةَ كانَ له فيها ولحليلتِه نفعٌ طبيعيٌّ وعقليٌّ وشرعيٌّ، واللهُ أعلمُ.

وأمَّـا قصَّةُ هـؤلاء الأمـورِ الثَّلاثةِ فمذكـورةٌ في الكتـبِ، ولا علينـا أنْ نذكرَها مختصرةً إتمامًـا للفائدةِ:

أمَّا قصَّةُ الأُولَيين فهي ما روى الثَّعلبيُّ عن السُّدِّيِّ رحمَهما اللهُ، قالَ[٢]: كانَ

---

(١) في (ن) زيادة: «ما».

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٨/ ١٤١).

لقومِ إبراهيمَ عيدٌ في كلِّ سنةٍ، وكانُوا إذا رجَعُوا من عيدِهم دخَلُوا على الأصنامِ فسجدُوا لها ثمَّ عادوا إلى منازِلِهم، فلمَّا كانَ ذلك العيدُ قالَ أبو إبراهيمَ له: يا إبراهيمُ؛ لو خرجتَ معنا إلى عيدِنا لَأَعْجَبَكَ دِينُنا، فخرجَ معهم إبراهيمُ، فلمَّا كانَ ببعضِ الطَّريقِ ألقى نفسَه وقالَ: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ يقولُ: أشتكِي رجلي، فوطِئُوا رِجلَيه وهو صريعٌ، فلمَّا مضَوا نادى في آخِرِهم وقد بقيَ ضعفاءُ النَّاس: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ﴾ [الأنبياء: ٥٧]، فسَمِعُوا ذلك منه.

ثمَّ رجعَ إبراهيمُ إلى بيتِ الآلهةِ فإذا هي في بَهْوٍ عظيمٍ مُستقبِلُ بابِ البَهْوِ صنمٌ عظيمٌ إلى جنبِه أصغرُ منه، قيل: كانوا اثنَين وسبعين صنمًا، بعضُها من ذهبٍ، وبعضُها من فضَّةٍ، وبعضُها من حديدٍ وغيرُ ذلك، وإذا هم قد جعلُوا طعامًا فوضعُوه بين يدَي(١) الآلهةِ، وقالوا: إذا كانَ حين نرجعُ رجَعْنا وقد برَّكَ الآلهةُ في طعامِنا فأكَلْنا، فلمَّا نظرَ إليهم إبراهيمُ وإلى ما بين أيدِيهم من الطَّعامِ قالَ لهم على طريقِ الاستهزاءِ: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾، فلمَّا لم يُجِيبُوه قالَ: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾ [الصافات: ٩١ ـ ٩٣]، وجعلَ يكسرُها بفأسٍ بيدِه حتى إذا لم يبقَ إلَّا الصَّنمُ الأكبرُ علَّقَ عليه الفأسَ ثمَّ خرجَ، فذلك قولُه تعالى: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ [الأنبياء: ٥٨] فيسألونَه(٢).

فلمَّا جاءَ القومُ من عيدِهم إلى بيتِ الآلهةِ ورأَوا أصنامَهم ﴿قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا﴾ [الأنبياء: ٥٩ ـ ٦٠] يعني: الذين سمعُوا إبراهيمَ يقولُ: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم﴾: ﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾ [الأنبياء: ٦٠] هو الذي نظنُّ أنَّه صنعَ هذا، فبلغَ ذلك نمرودَ الجبَّارَ وأشرافَ قومِه، ﴿قَالُوا فَأْتُوا بِهِ

(١) في (ص): «أيدي».

(٢) في (ن): «ليسألونه».

﴿عَلَىٰٓ أَعۡيُنِ ٱلنَّاسِ﴾، قيلَ: معناه: على رؤوسِ النَّاسِ، وقيل: بمرأًى منهم، وإنَّما أرادوا بذلك ليظهَرُوا الذي فعلَ للنَّاسِ، ﴿لَعَلَّهُمۡ يَشۡهَدُونَ﴾ [الأنبياء: ٦١] ما يُصنَعُ به.

فلمَّا أتَو به ﴿قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلۡتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا﴾ [الأنبياء: ٦٢ _ ٦٣]، غضبَ من أنْ تعبدُوا معه هذه الصِّغارَ وهو أكبرُ منها فكسرهنَّ، وإنَّما أرادَ إبراهيمُ بذلك إقامةَ الحجَّةِ بذلك، ولهذا قالَ: ﴿فَسۡـَٔلُوهُمۡ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٣] حتى يخبِرُوكم بمَن فعلَ هذا بهِم، والمعنى: إنْ قَدِرُوا على النُّطقِ قَدِرُوا على الفعلِ، لكنَّهم ليسُوا بقادِرين على النُّطقِ على ما مرَّ، فلم يقدِرُوا على الفعلِ، وفي ضمنِه: إنِّي فعلْتُ، ﴿فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ وتذكَّرُوا بقلوبِهِم، ﴿فَقَالُوٓاْ﴾: ما نراه إلَّا كما قالَ، ثمَّ قالوا: ﴿إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٤] لعبادتِكُم الأوثانَ الصِّغارَ مع هذا الكبيرِ، ﴿ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ﴾ متحيِّرين، فقالوا: ﴿لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٥]، فلمَّا رأى إبراهيمُ قيامَ الحُجَّةِ عليهم وعجزَهم عن الجوابِ عادَ مُوبِّخًا لهم بقولِه: ﴿أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يَضُرُّكُمۡ ﴿٦٦﴾ أُفّٖ لَّكُمۡ وَلِمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٦ _ ٦٧]، فحصلَ لهم من ذلك حنقٌ وغيظٌ، و﴿قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ﴾ [الأنبياء: ٦٨]، ثم كانَ من القصَّة ما كانَ.

وأمَّا قصَّةُ الثَّالثةِ: فما رُوِيَ عن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنه: «أنَّ إبراهيمَ قَدِمَ أرضَ جبَّارٍ ومعه سارةُ، وكانَتْ أحسنَ النَّاسِ، فقالَ لها: إنَّ هذا الجبَّارَ إنْ يعلَمْ أنَّكِ امرأتي يَغْلِبْني عليكِ، فإنْ سألَكِ فأخبريه أنَّكِ أختِي؛ فإنَّكِ أختي في الإسلامِ، فإنِّي لا أعلَمُ مؤمنًا غيري وغيركِ، فلمَّا دخلَ أرضَه رآها بعضُ أهلِ الجبَّارِ، وأتاه فقالَ: قدمَ أرضكَ امرأةٌ لا ينبغِي لها أنْ تكونَ إلَّا لكَ، فأرسَلَ إليها فأُتِيَ بها، فقامَ إبراهيمُ إلى

الصَّلاةِ، فلمَّا دخلَتْ عليه لم يتمالَكْ أنْ بسطَ يدَه إليها، فقُبِضَتْ يدُه قبضةً شديدةً، فقالَ لها: ادعِي اللهَ أنْ يُطلِقَ يدي ولا أَضُرُّكِ، ففعلَتْ، فعادَ، فقُبِضَتْ أشدَّ من القبضةِ الأولى، فقالَ لها مثلَ ذلك ففعلَتْ، فعاد فقُبِضَت أشدَّ من القبضتَين الأُولَيين، فقال: ادعِي اللهَ(١)، فلكِ اللهَ أنْ لا أضرَّكِ، ففعلَتْ فأُطْلِقَتْ يدُه، فدعا الَّذي جاءَ بها فقالَ: إنَّكَ إنَّما أتيتَني بشيطانٍ ولم تأتِني بإنسانٍ، فاخرُجْ بها من أرضِي وأَعْطِها هاجرَ، قالَ: فأقبلَتْ تمشِي، فلمَّا رآها إبراهيمُ انصرفَ فقالَ لها: مَهْيَم؟ فقالَتْ: خيرًا، كفَّ اللهُ يدَ الفاجرِ وأَخْدَمَ خادمًا»، قالَ أبو هريرةَ: فتلكَ أُمُّكم يا بني ماءِ السَّماءِ(٢).

قولُه: (فلكِ اللهَ) أي: شاهدٌ أو ضامنٌ أنِّي لا أضرُّكِ.

وقولُه: (مَهْيَم) بفتحِ الميمِ وإسكانِ الهاءِ؛ أي: ما شأنُكِ وما خبرُكِ؟

وقولُها: (وأخدَمَ خَادِمًا) أي: وهَبَني خادمًا وهي هاجرُ، ويقالُ: آجرُ - بالألف - والخادمُ: يقعُ على الذَّكرِ والأنثَى.

وقولُه: (فتلكَ أُمُّكُم يا بني ماءِ السَّماءِ) قالَ الأكثرون: المرادُ به: العربُ كلُّهم؛ لخلوصِ نسبِهم وصفائِهم، وقيلَ: لأنَّ أكثرَهم أصحابُ المواشي، وعيشُهم مِن المرعَى وما ينبتُ من(٣) السَّماءِ.

وقالَ القاضِي: الأظهرُ عندي أنَّهم الأنصارُ خاصَّةً، نسبُهم إلى جدِّهم عامرِ بنِ حارثةَ بنِ امرئِ القيسِ بنِ ثعلبةَ بنِ مازنِ بنِ الأزدِ، وكان يُعرَفُ بماءِ السَّماءِ، والأنصارُ كلُّهم من ولدِ حارثةَ بنِ ثعلبةَ المذكورِ(٤)، واللهُ تعالى أعلمُ.

---

(١) في (م) زيادة: «أن يطلق يدي».

(٢) رواه البخاري (٣١٧٩)، ومسلم (٢٣٧١).

(٣) في (م): «من ماء».

(٤) انظر: «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» للقرطبي (٦/ ١٨٨).

١٤٨٩ـ (ق): ابنُ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنه: «لم يكُنْ لهم يومئذٍ حَبٌّ، ولو كانَ لهم لَدَعَا لهم فيهِ». [خ: ٣١٨٤] [م: ١٣٦٠]

يعني: لأهلِ مكَّةَ حينَ دَعا لهم إبراهِيمُ عليه السَّلامُ.

* اتَّفقا على الرِّوايةِ عند قولِه: (ولو كانَ لهم) يعني: لأهلِ مكَّةَ حبوبٌ كالحنطةِ والشَّعيرِ ونحوِهما (لدعا لهم فيه)؛ أي: في زيادتِه؛ يعني: لأهلِ مكَّةَ حينَ دعا لهم إبراهيمُ عليه السَّلامُ ببركةِ ثمارِهم بقولِه: ﴿وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

١٤٩٠ـ (ق): أَبو هُريرةَ رضيَ اللهُ عنه: «لن يُدخِلَ أحدًا منكُمْ عملُهُ الجنَّةَ، قالُوا: ولا أنتَ يا رسُولَ اللهِ؟ قالَ: ولَا أَنا، إِلَّا أنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُ منهُ بفضْلٍ ورحمَةٍ». [خ: ٦٠٩٨] [م: ٢٨١٦]

* قد تقدَّمَ الكلامُ عليه في البابِ الثَّالثِ في قولِه[1]: «لن يُدخِلَ أحدًا منكم عملُه الجنَّةَ»، سوى قولِه: (**إلَّا أنْ يتغَمَّدَني اللهُ**) فإنَّه مأخوذٌ مِن غَمَدَ سيفَه؛ أي: إلَّا أنْ يستُرَني اللهُ ويُغَشِّيَني بفضلٍ منه ورحمةٍ.

(١) تقدم برقم: (٦٦٩).

فصلٌ

وفصَلَه عمَّا قبلَه لذلك لوقوعِ: (لمَّا) في أوَّل الكلامِ.

١٤٩١ـ (م): أنسٌ رضيَ اللهُ عنه: «لمَّا صوَّرَ اللهُ آدمَ في الجنَّةِ تركَهُ ما شاءَ أنْ يترُكَهُ، فجعَلَ إبليسُ يُطِيفُ به وينظرُ ما هُو[١]، فلمَّا رآهُ أجوَفَ عرَفَ أنَّه خُلِقَ خَلْقًا[٢] لا يتمَالَكُ». [م: ٢٦١١]

* **أطافَ به**؛ أي: ألَمَّ به وقاربَه، **والأجوَفُ**: ما له جوفٌ، **والخلْقُ**: بمعنى: المخلوقِ.

وقولُه: **(لا يتَمَالكُ)** أي: لا يتماسَكُ، إذا وُصِفَ الإنسانُ بالخفَّةِ والطَّيشِ، قيلَ: لا يتمالكُ.

قيلَ: ومعنى الحديثِ: أنَّ اللهَ تعالى لمَّا صوَّرَ طِينةَ آدمَ وشكَّلَها بشكلِه على ما سبقَ في عِلمِه تركَها مدَّةً، فلمَّا رآها إبليسُ أطافَ بها وجعلَ ينظرُ في كيفيَّتِها وأمرِها، فلمَّا رآها ذاتَ جوفٍ وقعَ له أنَّها مُفتقِرةٌ إلى ما يسُدُّ جوفَها، وأنَّها لا تَمالكُ في تحصيلِ ما تحتاجُ إليه من أغراضِها وشهواتِها ودفعِ الوسواسِ عنها، وكانَ الأمرُ كما وقعَ له.

١٤٩٢ـ (ق): جابرٌ رضيَ اللهُ عنه: «لمَّا كذَّبَنِي قُريشٌ قُمْتُ في الحِجْرِ، فجَلَّى اللهُ لي بيتَ المقدِسِ، فطَفِقْتُ أُخْبِرُهُم عن آياتِه وأنَا أنظُرُ إليه». [خ: ٣٦٧٣] [م: ١٧٠]

---

(١) في (ك): «وينظر إليه»

(٢) في (ك): «أنه خلق».

* قد تقدَّمَ الكلامُ عليه في البابِ السَّادسِ في قولِه[1]: «لقد رأيتني في الحِجْرِ»، واللهُ أعلمُ.

(١) تقدم برقم: (١٢٣٨).

فصلٌ

وفصَلَه عمَّا قبلَه لذلك لوقوعِ: (أمَّا) في أوَّلِ الكلامِ.

١٤٩٣ـ (ق): فاطمةُ بنتُ قيسٍ رضيَ اللهُ عنها: «أمَّا أَبُو جهمٍ فلا يضَعُ عصَاهُ عن عاتقِهِ، وأمَّا معاوِيَةُ فصُعلُوكٌ لا مالَ لهُ، اِنْكِحِي أُسامَةَ». [م: ١٤٨٠][(١)]

* قالَـهُ لهـا لمَّـا طلَّقَهـا زوجُهَا أَبُـو عَمرِو بـنُ حفصٍ البتَّـةَ، فخطَبَهـا أَبُو جَهمٍ ومعاويـةُ بنُ أَبِي سـفيانَ.

وقد تقدَّمَ الكلامُ عليه في البابِ الثَّاني في قولِه عليه السَّلامُ[(٢)]: «إنَّ أمَّ شريكٍ».

١٤٩٤ـ (ق): المِسْوَرُ بنُ مَخْرَمَةَ ومروانُ بنُ الحكَمِ رضيَ اللهُ عنهما: «أمَّا الإسلامُ فأقبَلُ، وأمَّا المالُ فلَسْتُ منهُ في شيءٍ». [خ: ٢٥٨١][(٣)]

قالَهُ المغيرةُ بنُ شُعْبَةَ حينَ أسلَمَ.

*وقد تقدَّمَ الكلامُ عليه في البابِ الثَّاني في قولِه[(٤)]: «إنَّا لم نَجِئْ لقتالِ أحدٍ».

١٤٩٥ـ (ق): عبدُ اللهِ بنُ سلَامٍ رضيَ اللهُ عنه: «أمَّا الطُّرُقُ الَّتي رأيتَ عن يسارِكَ فهيَ طُرُقُ أصحَابِ الشِّمالِ، وأمَّا الطُّرُقُ الَّتي رأيتَ عن يمينِكَ فهيَ طُرُقُ أصحَابِ اليمِينِ، وأمَّا الجبَلُ فهو منزِلُ الشُّهداءِ ولن تنالَهُ، وأمَّا العمُودُ فهو عمُودُ الإسلامِ،

---

(١) قلت: الحديث تفرَّد به مسلم.

(٢) تقدم برقم: (٣١٦).

(٣) قلت: الحديث تفرَّد به البخاريُّ.

(٤) تقدم برقم: (٤٤٩).

وأمَّا العُروَةُ فهيَ عُروةُ الإسلامِ، ولَن تزالَ مُتمَسِّكًا بهِ حتَّى تموتَ». [خ: ٦٦١٢] [م: ٢٤٨٤]

*عن خرشةَ بنِ الحرِّ قالَ: كنتُ جالسًا في حلقةٍ في مسجدِ المدينةِ وفيها شيخٌ حسنُ الهيئةِ وهو عبدُ اللهِ بنُ سلامٍ، قالَ: فجعلَ يحدِّثُهم حديثًا حسنًا، فلمَّا قامَ قالَ القومُ: مَن سرَّهُ أنْ ينظُرَ إلى رجلٍ من أهلِ الجنَّةِ فلْيَنْظُرْ إلى هذا، قال: فقلْتُ: واللهِ لَأَتْبَعَنَّه ولَأَعْلَمَنَّ مكانَ بيتِه، فتَبِعْتُهُ وانطلقَ حتى كادَ يخرُجُ من المدينةِ، ثمَّ دخلَ منزلَه، قالَ: فاستأذَنْتُ عليه فأذِنَ لي، فقالَ لي: ما حاجتُكَ يا ابنَ أخي؟ فقلْتُ له: سمعْتُ القومَ يقولونَ لكَ لمَّا قُمْتَ: مَن سرَّهْ أنْ ينظُرَ إلى رجلٍ من أهلِ الجنَّةِ فلْيَنْظُرْ إلى هذا، فأعجَبَني أنْ أكونَ معكَ.

قالَ: اللهُ أعلمُ بأهلِ الجنَّةِ، وسأحدِّثكَ ممَّا قالُوا ذلك، إنِّي بينما أنا نائمٌ إذ أتاني رجلٌ فقالَ: قُمْ، فأخذَ بيدي فانطلقْتُ معه، فإذا أنا بجوادَّ عن شمالي، قالَ: فأخذْتُ لآخذَ فيها، فقالَ: لا تأخُذْ فيها؛ فإنَّها طرقُ أصحابِ[1] الشِّمالِ، قالَ: وإذا جوادُّ مَنْهَجٍ عن يمِينِي، فقالَ: خُذْ ههنا، قالَ: فأتى جبلًا فقال لي: اصْعَدْ، فجعلْتُ إذا أردْتُ أنْ أصعدَ خَرَرْتُ على استِي، حتى فعلْتُ ذلك مرارًا.

قالَ: ثمَّ انطلَقَ بي حتى أتى بي عمودًا رأسُه في السَّماءِ وأسفلُه في الأرضِ، في أعلاه حلقةٌ، فقالَ لي: اصعَدْ فوق هذا، قلتُ: كيف أصعَدُ هذا ورأسُه في السَّماءِ؟ قالَ: فأخذَ بيدي فزجلَ بي فإذا أنا متعلِّقٌ بالحلقةِ، قالَ: ثمَّ ضربَ العمودَ فخرَّ وبقيْتُ متعلِّقًا بالحلقةِ حتى أصبحْتُ، فأتيْتُ النَّبيَّ عليه السَّلامُ فقصَصْتُها عليه، فقالَ... الحديثَ.

---

(١) في (ن) و(م): «أهل».

(**الجوادُّ**) بتشديدِ الدَّالِ المهملةِ، جمع جادَّةٍ؛ بالجيمِ، وهي: الطَّريقُ.

والمنهجُ: الاستقامةُ، والمنهجُ: الطَّريقُ الواضحُ، ويقالُ أيضًا: طريقٌ مسلوكٌ، وهو معنى وضوحِ الطَّريقِ.

وقولُه: (**فزجَلَ**) بالزَّاي والجيمِ، ومعناه: رمَى بي.

و(**العروةُ**) الشَّيءُ الذي يُتعلَّقُ به، حبلًا كانَ أو غيرَه، ومنه: عروةُ الدَّلو والكُوزِ[(١)].

وإخبارُه عليه السَّلامُ عن عبدِ اللهِ أنَّه لا ينالُ الشَّهادةَ، وأنَّه لا يزالُ على الإسلامِ؛ وقعَ كما أخبرَ، فإنَّ عبدَ اللهِ ماتَ بالمدينةِ مُلازِمًا للأحوالِ المستقيمةِ.

١٤٩٦ـ (ق): يعلَى بنُ أميَّةَ رضيَ اللهُ عنه: «أمَّا الطِّيبُ الَّذي بكَ فاغسِلْهُ ثلَاثَ مرَّاتٍ، وأمَّا الجُبَّةُ فانْزِعْهَا، ثمَّ اصْنَعْ في عُمْرَتِكَ ما تَصْنَعُ في حَجِّكَ». [خ: ٤٠٧٤] [م: ١١٨٠]

قالَهُ لرجلٍ جاءَهُ بالجِعْرَانَةِ قد أَهَلَّ بالعُمرةِ وهو مُصَفِّرٌ لحيتَهُ ورأسَهُ، وعليهِ جُبَّةٌ، فقالَ: إنِّي أحرمتُ بعُمرةٍ، وأنَا كما تَرَى.

* وقد تقدَّمَ الكلامُ عليه في البابِ الخامسِ في قولِه[(٢)]: «**ما كنتَ صانعًا في حجِّكَ**».

خلا ما قيلَ: في الحديثِ دلالةٌ على أنَّ المحرِمَ إذا لبسَ المخيطَ وتطيَّبَ ناسيًا أو جاهلًا فلا فديةَ عليه؛ لأنَّ الرَّجلَ السَّائلَ كانَ جاهلًا بالحُكمِ، قريبَ العهدِ

---

(١) انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (٣/ ١٠٢).

(٢) تقدم برقم: (٩٥٩).

بالإسلامِ، ولم يأمُرْه النَّبيُّ عليه السَّلام بالفِدْيةِ، والنَّاسي في معنى الجاهلِ، وهو قولُ عطاءٍ[(١)]، وبه قالَ الشَّافعيُّ[(٢)]، فكان حجَّةً على أبي حنيفةَ وأصحابِه في قولِهم: لا فَرْقَ بين العامدِ والنَّاسي في شيءٍ من محظوراتِ الإحرامِ[(٣)]؛ وليس بشيءٍ؛ لأنَّ هيئةَ الإحرامِ مذكِّرةٌ للنَّاسِي، بخلافِ الجاهلِ؛ فإنَّه لا بدَّ له من تعليمِ الحُكمِ.

ويجوزُ أنْ يُقالَ: لم يكنْ حُكمُ العُمرةِ بالنِّسبةِ إلى الطِّيبِ ولبسِ المخيطِ نازلًا في ذلك الوقتِ؛ لما ذكَرْنا[(٤)] ثمَّةَ: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ لمَّا سُئِلَ عن ذلك سكتَ، فجاءَه الوحيُ، فلمَّا سُرِّيَ عنه طلبَ السَّائلَ وقالَ له: (ما كنتَ صانعًا في حجِّكَ اصنَعْ في عُمْرَتِكَ)، فكيف يلزمُ عليه الفِديةُ؟

هذا على تقديرِ أن لا يكونَ قولُه عليه السَّلامُ: (ثمَّ اصنَعْ في عمرتِكَ ما تصنعُ في حجِّكَ)، متناولًا لأداءِ الكفَّارةِ، أمَّا إذا كان دالًّا باعتبارِ الحوالةِ على الحجِّ، والكفَّارةُ كانت معلومةً للسَّائلِ، فيصيرُ دليلًا لأبي حنيفةَ وأصحابِه على مَن خالَفَهم.

١٤٩٧ـ (ق): جُبيرُ بنُ مطعمٍ رضيَ اللهُ عنه: «أمَّا أنا فأُفيضُ على رَأسِي ثلاثَ أَكُفٍّ». [خ: ٢٥١] [م: ٣٢٧]

وقال البُخاريُّ: ثلاثًا، وأشارَ بيدَيهِ كلتَيهِما.

---

(١) انظر: «شرح السنة» للبغوي (٧/ ٢٤٨).

(٢) انظر: «التنبيه في الفقه الشافعي» للفيروزآبادي (ص: ٧٢)، و«المجموع شرح المهذب» للنووي (٧/ ٣٤٢).

(٣) انظر: «الهداية في شرح بداية المبتدي» للمرغيناني (١/ ١٦٥).

(٤) في (ن): «لما ذكرنا في ذلك الوقت».

قالَهُ حينَ تَمارَوْا في الغُسْلِ عندَهُ، فقالَ بعضُ القومِ: أمَّا أنا فإنِّي أغسِلُ رَأسِي بكذَا وكذَا.

* (تَمَارَوْا) أي: تنازَعُوا في الغُسْلِ (عندَه) أي: عند النَّبيِّ عليه السَّلامُ، فقالَ بعضُهم: صفتُه كذا، وآخرونَ: صفتُه كذا. وفيه: جوازُ المناظرةِ والمباحثةِ في العلمِ في حضُورِ إمامِهم وكبيرِهم.

والمرادُ بقولِه: (أمَّا أنَا فأَفِيضُ على رأسِي ثلَاثَ أكُفٍّ) أي: ثلاثَ حَفْناتٍ، كلُّ واحدةٍ منهنَّ مِلْءُ الكفَّين جميعًا.

وفيه: استحبابُ إفاضةِ الماءِ على الرَّأسِ ثلاثًا.

١٤٩٨ـ (ق): عائشةُ رضيَ اللهُ عنها: «أمَّا أنَا فَقَد عافَانِي اللهُ، وكَرِهْتُ أنْ أُثِيرَ على النَّاسِ شرًّا». [خ: ٦٠٢٨] [م: ٢١٨٩]

*وقد تقدَّمَ الكلامُ عليه في البابِ الخامسِ في قولِه عليه السَّلامُ[١]: «يا عائشَةُ، أَشَعَرْتِ أنَّ اللهَ أفتاني؟».

١٤٩٩ـ (ق): عبدُ اللهِ بنُ سلامٍ رضيَ اللهُ عنه: «أمَّا أوَّلُ أشرَاطِ السَّاعةِ فنارٌ تحشُرُ النَّاسَ مِن المشرِقِ إلى المغرِبِ، وأمَّا أوَّلُ طعامٍ يأكلُهُ أهلُ الجنَّةِ فزيَادَةُ كَبِدِ حُوتٍ، وإذَا سبَقَ ماءُ الرَّجُلِ ماءَ المرأةِ نزَعَ الولَدَ، وإذا سبَقَ ماءُ المرأةِ ماءَ الرَّجُلِ نَزَعَتْ». [خ: ٣١٥١][٢]

---

(١) تقدم برقم: (١٠٥٦).

(٢) قلت: الحديث تفرَّد به البخاريُّ.

* أجابَهُ بها حينَ سألَهُ عنها قبلَ إسلامِهِ.

وقد تقدَّمَ الكلامُ عليه في البابِ الثَّاني في قولِه عليه السَّلامُ[1]: «إنَّ ماءَ الرَّجلِ غليظٌ أبيضُ».

١٥٠٠ـ (م): أبو سعيدٍ رضيَ اللهُ عنه: «أمَّا أهلُ النَّارِ الَّذينَ هُم أهلُهَا فإنَّهم لا يموتُونَ فيها ولَا يحيَونَ، ولكِن أناسٌ أصابتهُمُ النَّارُ بذنُوبِهِم ـ أو قالَ: بخَطايَاهُم ـ فأمَاتَهُم إماتةً، حتَّى إذا كانُوا فَحمًا أُذِنَ بالشَّفاعَةِ، فيَجِيءَ بهِم ضَبَائرَ ضَبَائرَ، فبُثُّوا على أنهارِ الجنَّةِ، ثمَّ قيلَ: يا أهلَ الجنَّةِ؛ أفِيضُوا عليهِم، فينبتُونَ نباتَ الحِبَّةِ تكونُ في حَميلِ السَّيلِ». [م: ١٨٥]

* (ضَبائرَ) بالضَّادِ المعجمةِ والباءِ الموحَّدةِ، جمعُ: ضَبارةٍ ـ بفتحِ الضَّادِ وكسرِها لغتان ـ بمعنى: جماعاتٍ[2]، ولفظُ الحديثِ وقعَ مكرَّرًا، وهو منصوبٌ على الحالِ.

وبُثُّوا: بمعنى: نُشِرُوا وفُرِّقُوا، من «بُثَّ»: إذا نُشِرَ[3].

و(**الحِبَّة**) بكسرِ الحاءِ المهملةِ والباءِ الموحَّدةِ: بزورُ البقلِ، وقيلَ: هي نبتٌ صغيرٌ ينبتُ في الحشيشِ، جمعُها: حِبَبٌ[4].

والحميلُ: ما حملَه السَّيلُ من طينٍ أو غثاءٍ، فعيلٌ بمعنى: مفعولٍ، فإذا أُنْقِعَتْ

---

(١) تقدم برقم: (٣٨١).

(٢) انظر: «غريب الحديث» لأبي عبيد (١/ ٧٢).

(٣) انظر: «لسان العرب» لابن منظور (٢/ ١١٤).

(٤) انظر: «جمهرة اللغة» لابن دريد (٢/ ٩٩٩).

فيه حبَّةٌ واستقرَّتْ على مجرى السَّيلِ تنبتُ في يومٍ وليلةٍ، شبَّه بها سرعةَ عودِ أبدانِهم إليهم بعد الإحراقِ.

ومعنى الحديثِ ـ واللهُ أعلمُ ـ: أنَّ الكفَّارَ الذين هم أهلُ النَّارِ المستحقُّون لها وللخلودِ فيها لا يموتونَ فيها فيستريحونَ، ولا يحيَونَ حياةً ينتفعونَ بها؛ كما قالَ اللهُ تعالى: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾ [فاطر: ٣٦]، وقالَ: ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ [طه: ٧٤]، وهو مذهبُ أهلِ الحقِّ.

(**ولكِنْ أناسٌ أصابتهُمُ النَّارُ بذنُوبِهِم**) وهم من المؤمنينَ يميتُهم اللهُ إماتةً بعد أنْ يُعذَّبُوا المدَّةَ التي أرادَها اللهُ، ثمَّ يخرجونَ من النَّارِ موتى قد صارُوا فحمًا، فيُحمَلُون جماعاتٍ جماعاتٍ كما تحمَلُ الأمتعةُ، ويُلقَون على أنهارِ الجنَّةِ، فيُصَبُّ عليهم ماءُ الحياةِ، فيَحيَون وينبتُون نباتَ الحِبَّةِ في حميلِ السَّيلِ في سرعةِ نباتِها، فيخرجون ضُعفاء صُفَراءَ، ثم تشتدُّ قوَّتُهم بعدَ ذلك ويصيرون إلى منازِلِهم.

وتكلَّمُوا في هذه الإماتةِ بوجهين:

أحدُهما: أنَّها إماتةٌ حقيقيَّةٌ.

والثَّاني: أنَّه ليسَ بموتٍ حقيقةً، ولكنْ يغيبُ عنهم إحساسُهم بالآلامِ، فيكونون محبُوسِين في النَّارِ من غيرِ إحساسِ المدَّةِ التي قدَّرَها اللهُ، ثمَّ يخرجون كما ذكَرْنا.

١٥٠١ـ (م): زيدُ بنُ أرقَمَ رضيَ اللهُ عنه: «أمَّا بعدُ، ألَا أيُّها النَّاسُ؛ فإنَّما أنَا بشرٌ يُوشِكُ أنْ يأتِيَني رسولُ ربِّي فأُجِيبَ، وأنا تارِكٌ فيكُم ثقَلَينِ: أوَّلُهما كتابُ اللهِ، فيهِ النُّورُ والهُدى، فخُذُوا بكتَابِ اللهِ واستمسِكُوا بهِ، وأهلُ بيتِي، أُذكِّرُكُم اللهَ في أهلِ بيتِي، أُذكِّرُكُم اللهَ في أهلِ بيتِي، أُذكِّرُكُم اللهَ في أهلِ بيتِي». [م: ٢٤٠٨]

وفي روايَةٍ: «**كتَابُ اللهِ فيهِ الهُدَى والنُّورُ، مَن استمسَكَ بهِ وأخذَ بهِ كانَ على الهُدى، ومَن أخطأَهُ ضلَّ**».

وفي روايَةٍ: «**هوَ حبلُ اللهِ، مَنِ اتَّبَعَهُ كانَ على الهُدَى، ومَنْ ترَكَهُ كانَ على ضلالَةٍ**».

* عن يزيدَ بنِ حيَّانٍ، قالَ: انطلقتُ أنا وحصينُ بنُ سبرةَ وعمروُ بنُ مسلمٍ إلى زيدِ بنِ أرقمَ، فلمَّا جلستُ إليه قالَ له حصينٌ: لقد لقيتَ يا زيدُ خيرًا كثيرًا[1]، رأيتَ رسولَ اللهِ ﷺ، وسمعتَ حديثَه، وغزَوْتَ معه، وصلَّيتَ معه[2]، لقد لقيتَ يا زيدُ خيرًا كثيرًا، حدِّثنا يا زيدُ ما سمعتَ من رسولِ اللهِ ﷺ، قالَ: يا ابنَ أخي؛ واللهِ لقد كَبِرَ سِنِّي، وقَدُمَ عهدِي، ونسيتُ بعضَ الذي كنتُ أَعِي من رسولِ الله ﷺ، فما حدَّثتُكم فاقبَلُوا، وما لا فلا تكلِّفُونيه.

ثمَّ قالَ: قامَ رسولُ اللهِ ﷺ يومًا فينا خطيبًا بماءٍ يُدعَى خُمًّا بين مكَّةَ والمدينةَ، فحَمِدَ اللهَ وأثنى عليه، ووعظَ وذكَّرَ، ثمَّ قالَ: «**أمَّا بعدُ: ألا أيُّها النَّاسُ؛ فإنَّما أنا بشرٌ يُوشِكُ أنْ يأتِيَني رسولُ ربِّي فأُجِيبَ، وأنا تارِكٌ فيكُم ثَقَلَينِ: أوَّلُهما: كتَابُ اللهِ فيه الهدى والنُّورُ، فخُذُوا بكتَابِ اللهِ واستمسِكُوا بهِ**»، فحثَّ على كتابِ اللهِ ورغَّبَ فيه، ثمَّ قالَ: «**وأهلُ بيتِي، أُذكِّرُكُم اللهَ في أهلِ بيتِي**» ثلاثًا.

فقالَ له حصينٌ: ومَن أهلُ بيتِه يا زيدُ؟ أليسَ نساؤُه من أهلِ بيتِه؟ قالَ: نساؤُه من أهلِ بيتِه، ولكنَّ أهلَ بيتِه مَن حُرِمَ الصَّدقةَ بعدَه، قالَ: ومَنْ هم؟ قالَ: هم آلُ عليٍّ، وآلُ عقيلٍ، وآلُ جعفرٍ، وآلُ عبَّاسٍ، قالَ: كلُّ هؤلاء حُرِمَ الصَّدقةَ؟ قالَ: نعم.

---

(١) في (ن): «كثيرًا كثيرًا».

(٢) في (ص) و(م) و(ك): «خلفه».

وفي الرِّوايةِ الأخيرةِ: قُلنا: مَن[1] أهلُ بيتِه؟ نساؤُه؟ قالَ: لا وايمُ اللهِ، إنَّ المرأةَ تكونُ مع الرَّجلِ العصرَ من الدَّهرِ، ثمَّ يُطلِّقُها فترجعُ إلى أبيها وقومِها، أهلُ بيتِه أصلُه وعصَبَتُه الذين حُرِمُوا الصَّدقةَ بعدَه.

(خُمّ) بضمِّ الخاءِ المعجمةِ، وتشديدِ الميمِ: اسمٌ لغيضةٍ على ثلاثةِ أميالٍ من الجُحْفَةِ[2].

والمرادُ من (رسولِ الرَّبِّ) ملكُ الموتِ عليه السَّلامُ.

والثَّقلانِ: في اللُّغةِ: الإنسُ والجنُّ[3]؛ لأنَّ التَّكليفَ عليهما، وما سواهما لا وزنَ له ولا يُعبأُ به، فكأنَّه لا ثِقَلَ له، والشَّرعُ نقلَ هذا الاسمَ إلى الكتابِ وأهلِ البيتِ؛ لأنَّ الأخذَ والعملَ بهما ثقيلٌ.

وذكرَ أبو عمر الزَّاهدُ[4]: أنَّ أصلَ الكلمةِ من النَّفاسةِ، لا من الثِّقلِ[5]، والثَّقَلُ: بيضُ النَّعامةِ؛ لاستوائِه ونقائِه، ويقالُ لكلِّ خاطرٍ نفيسٍ: ثقلٌ، فسمَّاهما ثَقَلَين إعظامًا لقدرِهما، وتفخيمًا لشأنِهما[6].

والمرادُ **بالصَّدقةِ**: الزَّكاةُ.

قولُه: (فقلنا: مَن أهلُ بيتِه، نساؤُه؟ قالَ: لا) فيه دليلٌ على أنَّ النِّساءَ لسْنَ من أهلِه، وقولُه في الرِّوايةِ الأولى: (نساؤُه مِن أهلِ بيتِه، ولكنَّ أهلَ بيتِه مَن حُرِمَ

---

(١) في هامش (ص): «معًا»: أي: بفتح الميم وكسرها.

(٢) انظر: «مشارق الأنوار على صحاح الآثار» للقاضي عياض (١/ ٢٥١).

(٣) انظر: «الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية» للجوهري (٤/ ١٦٤٧).

(٤) المشهور بثعلب.

(٥) انظر: «جمل الغرائب» للنيسابوري (ص: ٢٤٥).

(٦) انظر: «لسان العرب» لابن منظور (١١/ ٨٨).

الصَّدقةَ) يتناقضان ظاهرًا، والمعروفُ في معظمِ الرِّوايات في غيرِ مسلمٍ أنَّه قال: «نساؤُه لسنَ من أهلِ بيتِه»[1]، وتأويلُ الرِّوايةِ الأولى: أنَّهنَّ من أهلِ البيتِ الذين يُساكِنُونه ويَعُولُهُم، وأمَرَنا باحترامِهم وإكرامِهم، وسمَّاهم ثقلًا، ووعظَ في حفظِ حقوقِهم وذكَّرَ، ولسنَ من أهلِ البيتِ الذين حُرِمُوا الصَّدقةَ إلَّا إنْ كانت هاشميَّةً.

وقولُه: **(كتاب الله، حبل الله)** قيل: المرادُ بـ(حبل الله): عهدُه، وقيلَ: السَّببُ الموصِلُ إلى رضاه ورحمتِه، وقيلَ: نوره: هو الذي يُهتَدَى به.

والعصرُ من الدَّهرِ: هو القطعةُ منه.

١٥٠٢ـ (ق): **المِسورُ بنُ مَخرمَةَ ومروانُ بنُ الحكَمِ رضيَ اللهُ عنهمَا: «أمَّا بعدُ: فإنَّ إخوانكُم قد جاؤُونَا تائِبينَ، وإنِّي قد رَأيتُ أنْ أرُدَّ إليهم سَبْيَهُم، فمَنْ أحبَّ منكم أنْ يُطيِّبَ ذلك فلْيَفعَلْ، ومَن أحبَّ منكُم أنْ يكُونَ على حظِّهِ حتَّى نُعطِيَهُ إيَّاهُ مِن أوَّلِ مَا يفِيءُ اللهُ علينَا فلْيَفْعَلْ»**. [خ: ٢١٨٤][2]

يعني: وفدَ هوازِنَ.

* وقد تقدَّمَ الكلامُ عليه في البابِ الثَّاني في قولِه عليه السَّلامُ[3]: **«إنَّا لا ندري مَن أَذِنَ منكم في ذلك»**.

(١) روى نحوه الطبراني في «المعجم الكبير» (٥/ ١٨٢) (٥٠٢٦)، ومعظم الروايات التي وقفت عليها توافق رواية مسلم.

(٢) قلت: الحديث تفرَّد به البخاريُّ.

(٣) تقدم برقم: (٤٤٧).

١٥٠٣ـ (م): جريرٌ رضيَ اللهُ عنه: «أمَّا بعدُ: فإنَّ اللهَ أنزلَ في كتابِهِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١]، **﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾** [الحشر: ١٨]، **تصدَّقَ رَجلٌ مِن دِينَارِه، مِن دِرْهمِهِ، مِن ثوبِهِ، مِن صَاعِ بُرِّهِ، مِن صاعِ تمرِهِ، حتَّى قالَ: ولو بِشِقِّ تمرَةٍ»**. [م: ١٠١٧]

* وقد تقدَّمَ الكلامُ عليه في البابِ الأوَّلِ في قولِه عليه السَّلامُ[1]: «مَن سنَّ في الإسلامِ سُنَّةً حسنةً».

١٥٠٤ـ (م): جابرٌ رضيَ اللهُ عنه: «أمَّا بعدُ: فإنَّ خيرَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وخيرَ الهُدى هُدَى محمَّدٍ، وشرَّ الأُمورِ مُحدَثَاتُها، وكلُّ بِدعَةٍ ضلالَةٌ». [م: ٨٦٧]

* قالَ: كانَ رسولُ اللهِ ﷺ إذا خطبَ[2] احمرَّتْ عيناه، وعلا صوتُه، واشتدَّ غضبُه، حتى كأنَّه[3] مُنذِرُ جيشٍ يقولُ: «**صبَّحكم ومسَّاكم**»، ويقولُ: «**بُعِثْتُ أنا والسَّاعةُ كهاتَين**»، ويقرنُ بين أُصبُعَيه السَّبَّابةِ والوسطى، ويقولُ: «**أمَّا بعدُ؛ فإنَّ خيرَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وخيرَ الهُدَى هُدْى محمَّدٍ، وشرُّ الأمورِ مُحْدَثَاتُها، وكلُّ بِدْعةٍ ضلالةٌ**»، ثمَّ يقولُ: «**أنا أَوْلى بكلِّ مؤمنٍ مِن نفسِه، مَن تركَ مالًا فلأهلِه، ومَن تركَ دينًا أو ضياعًا فإليَّ وعليَّ**».

---

(١) تقدم برقم: (٩٦).

(٢) في (ب): «غضب».

(٣) في (ب): «كان».

قال القرطبيُّ رحمَه اللهُ: إنَّما كانَ عيناه عليه السَّلامُ تحمرُّ وصوتُه يعلُو، ويشتدُّ غضبُه في حالِ الخطبةِ بالنِّسبةِ إلى أحوالٍ وأزمانٍ[١].

وفيه: إشعارٌ بأنَّ من حقِّ الواعظِ أنْ يكونَ وَعْظُه مناسبًا للمقامِ الذي يتكلَّمُ فيه، فإذا رأى انتهاكَ حُرمةٍ من حُرُماتِ الشَّرعِ يُشدِّدُ في كلامِه، ويشتدُّ غضبُه، وإذا رأى أمرًا دونَ ذلك يعلو صوتُه وتحمرُّ عيناه.

ومنذرُ الجيشِ: هو المخبِرُ بجيشِ العدوِّ الذي يُخافُ منه.

وقولُه: (**أنا والسَّاعةُ**) رُوي مرفوعًا على العطفِ، ومنصوبًا على المفعولِ معه، ومعناه: أنَّ ما بين زمانِ النبيِّ عليه السَّلامُ وقيامِ السَّاعة كما بين السَّبَّابةِ والوسطَى.

وقولُه: (**أمَّا بعدُ**) هو عبارةٌ عن فصلِ الخطابِ، وقد ذكَرْناه في «شرح التَّلخيص».

وقولُه: (**وخيرَ الهُدى هُدَى محمَّدٍ**) (**الهُدَى**) بضمِّ الهاءِ وفتحِ الدَّالِ: هو الإرشادُ والدلالةُ[٢]، وبفتحِ الهاءِ وسكونِ الدَّال معناه: الطَّريقُ[٣]، ومعناه: خيرُ الإرشادِ إرشادُ محمَّدٍ، أو: خير الطَّريقِ طريقُ محمَّدٍ، يقالُ: فلانٌ حسَنُ الهدي؛ أي: حسَنُ الطَّريقةِ والمذهبِ.

وقولُه: (**وكلُّ بِدعَةٍ ضلالَةٌ**) عامٌّ مخصوصٌ، والمرادُ به: الغالبُ. قال أهلُ اللُّغة: البدعةُ: كلُّ عَملٍ عُمِلَ على غيرِ مثالٍ سَبَقَ[٤].

---

(١) انظر: «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» للقرطبي (٢/ ٥٠٦).

(٢) انظر: «الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية» للجوهري (٦/ ٢٥٣٣).

(٣) انظر: «مشارق الأنوار على صحاح الآثار» للقاضي عياض (٢/ ٢٢٣).

(٤) انظر: «الكليات» لأبي البقاء الكفوي (ص: ٢٢٦).

وقـالَ العلمـاءُ رحمَهـم اللهُ: البدعةُ خمسـةُ أقسـامٍ: واجبـةٌ ومندوبـةٌ ومحرَّمةٌ ومكروهـةٌ ومباحةٌ:

فمـن الواجبـةِ: نظمُ أدلَّـة المتكلِّمين؛ للرَّدِّ علـى الملاحدةِ والمبتدعِين وشـبه ذلك.

ومن المندوبةِ: تصنيفُ كتبِ العلمِ، وبناءُ المدارسِ والرُّبُطِ[1] وغيرِ ذلك.

ومن المباحةِ: البَسطُ في ألوانِ الأطعمةِ وغير ذلك.

وأمَّا الحرامُ والمكروهةُ[2] فظاهرتان.

ويُؤيِّدُ هذا قولُ عمرَ في التَّراويحِ: «نعمَتِ البدعةُ هي»[3]، فلا مانعَ من كونِ الحديثِ عامًّا مخصوصًا.

فإن قيلَ: العامُّ إذا أُكِّدَ لم يحتملِ التَّخصيصَ، وهذا كذلك لوقوعِ كلمة (كل) في أوَّلِهِ؟

فالجوابُ: أنَّ العُمومَ حصلَ به، لا أنَّه[4] أُكِّدَ به.

وقولُه: (أنا أَوْلى بكلِّ مُؤمنٍ مِن نفسِهِ) يحتملُ أن يكونَ اقتباسًا من قولِه تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ﴾ [الأحزاب: ٦]، كأنْ يَحِلَّ له إن اضطُرَّ إلى طعامٍ

---

(١) الرُّبُط: الخيل تربط بالأفنية وتُعلف، واحدها: ربيط. انظر: «تاج العروس من جواهر القاموس» لمرتضى الزبيدي (١٩/ ٣٠٣).

(٢) في (ص) و(م): «والمكروه».

(٣) رواه البخاري (١٩٠٦)، ومالك في «الموطأ/ رواية محمد بن الحسن الشيباني» (ص: ٩١) (٢٤١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٩٩٩).

(٤) في (ب): «به لأنه».

غيرِه مثلًا أنْ يأخُذَه وإنْ كانَ المالكُ أشدَّ اضطرارًا، ويجبُ عليه بَذْلُه، لكنَّه ما وقعَ.

وقولُه: (مَن تركَ دينًا أو ضَياعًا) بفتحِ الضَّادِ المعجمةِ: العيالُ، قيلَ: هو مصدرُ ضَاعَ يَضِيعُ[١]؛ أي: مَن تركَ أطفالًا وعيالًا ذوي ضَياعٍ، فأوقعَ المصدرَ موقعَ الاسمِ.

وقد تقدَّمَ أنَّه عليه السَّلامُ ما كانَ يُصلِّي على مَن ماتَ وعليه دينٌ ولم يخلِّفْ له وفاءً[٢]، فلمَّا فتحَ اللهُ بالفتوحِ قالَ: (مَنْ تركَ دينًا...) إلى آخرِه.

١٥٠٥ـ (خ)[٣]: ابنُ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهما: «أمَّا بعدُ: فإنَّ هذَا الحيَّ منَ الأنصَارِ يَقِلُّونَ ويَكْثُرُ النَّاسُ، فمَن وَلِيَ شيئًا مِن أمَّةِ محمَّدٍ فاستطَاعَ أنْ يَضُرَّ فيهِ أحدًا، أو ينفَعَ فيهِ أحدًا، فلْيَقْبَلْ مِن مُحْسِنِهِم، ويتجَاوَزْ عن مُسِيْئِهِم». [خ: ٨٨٥]

*قالَ: صَعِدَ رسولُ اللهِ ﷺ المنبر ـ وكانَ آخر مجلسٍ جلسَه[٤] ـ متعطفًا ملحفةً على مَنْكِبَيه قد عصبَ رأسَه بعصابةٍ دَسِمَةٍ، فحَمِدَ اللهَ، وأثنى عليه، ثمَّ قال: «**أيُّها النَّاس إليَّ**»، فثابُوا[٥] إليه، ثمَّ قال: «**أمَّا بعدُ، فإنَّ هذَا الحيَّ منَ الأنصَارِ يَقِلُّونَ...**» إلى آخرِه.

الدَّسِمَةُ: السَّوداء، وقيلَ: التي أخذَ فيها العرَقُ والغبارُ[٦].

---

(١) انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (٣/ ٤٧).

(٢) تقدم برقم: (١٤٦٠).

(٣) في أصول «المشارق» رمز له بـ: (م) واعتمدت ما جاء ببعض نسخ الشرح هنا لتوافقها مع الصحيح.

(٤) في (ب): «جلس».

(٥) في (ن): «فقاموا».

(٦) انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (١٢/ ٢٦١).

وقولُه: (فإنَّ هذَا الحيَّ منَ الأنصَارِ يَقِلُّونَ) سببُه: أنَّ الأنصارَ هم الذين آوَوْا ونصرُوا رسولَ اللهِ ﷺ، وذلك أمرٌ قد انقضى لا يلحقُهم فيه أحدٌ، وكلَّما ماتَ واحدٌ منهم(١) ذهبَ عن غيرِ بدلٍ، فيكثرُ غيرُهم من المسلمين وهم يَقِلُّون.

وقولُه: (فليقبَلْ) مجزومٌ، و(يتجَاوَزْ) معطوفٌ على المجزومِ، فهو مجزومٌ، ومعناه: فيما سوى الحدودِ.

وفيه: فضيلةٌ ظاهرةٌ للأنصارِ.

١٥٠٦ـ (خ): عَمروُ بنُ تغلِبَ رضيَ اللهُ عنه: «أمَّا بعدُ: فوَاللهِ إنِّي لأُعطي الرَّجُلَ وأَدَعُ الرَّجُلَ، والَّذي أَدَعُ أحبُّ إليَّ منَ الَّذي أُعطِي، ولكنِّي أُعطِي أقوامًا(٢) لِمَا أرى في قُلوبِهم منَ الجزَعِ والهَلَعِ، وأَكِلُ أقوامًا إلى مَا جعلَ اللهُ في قُلوبِهِم مِنَ الغِنَى والخيرِ، فيهِم(٣) عَمرُو بنُ تغلِبَ». [خ: ٨٨١]

* عن الحسنِ البصريِّ رحمه الله، قال: حدَّثنا عمرُو بنُ تغلِبَ: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ أُتِيَ بمالٍ أو بِسَبْيٍ، فقسَمَه، فأعطَى رجالًا وتركَ رجالًا، فبلغَه أنَّ الذين تُرِكُوا عَتبُوا عليه، فحَمِدَ اللهَ، وأثنى عليه، ثمَّ قالَ: **«أمَّا بعدُ، فواللهِ إنِّي لأُعطِي الرَّجُلَ...»** إلى آخره، قال: فواللهِ ما أحبُّ أنَّ لي بكلمةِ رسولِ اللهِ ﷺ حُمُرَ النَّعَمِ.

قد تقدَّمَ أنَّه عليه السَّلامُ كان يعملُ ذلك تحبيبًا للإيمانِ إليهم.

---

(١) «منهم»: ليست في (ب).

(٢) في (ب): «قومًا».

(٣) في (م): «منهم».

وقولُه: (**عتبُوا**) أي: لامُوه. وفيه: جوازُ القَسَمِ للصَّادقِ وإن كان غيرَ متَّهمٍ؛ للتَّوكيدِ.

وقولُه: (**لِمَا أرى في قُلوبِهِم**) أي: أعلمُ(١)، و(**الهَلَعُ**) شدَّةُ الخوفِ.

وقولُه: (**أَكِلُ أقوامًا**) أي: أتوكَّلُ فيهم بما جعلَ اللهُ في قلوبِهم من القناعةِ والخيرِ.

وقولُ عمرٍو: (**ما أحبُّ أنَّ لي...**) إلى آخرِه: كلمةٌ يقولونها في الأثرِ العظيمِ؛ كقولِهم: لو أنَّ لي الدُّنيا وما فيها، وقيل: المرادُ: أحبُّ إليَّ من أنْ يكونَ لي حُمُرُ النَّعَمِ فأتصدَّقَ بها، ويكونَ لي أجرُ ذلك.

١٥٠٧ـ (ق): عائشةُ رضيَ اللهُ عنها: «أمَّا بعدُ: يا عائشةُ فإنَّهُ بلَغَني عنكِ كذَا وكذَا، فإنْ كُنْتِ بريئةً، فسَيُبَرِّئُكِ اللهُ، وإنْ كُنتِ أَلْمَمْتِ بذَنبٍ، فاستغفِري اللهَ وتُوبِي إليهِ؛ فإنَّ العبدَ إذَا اعترَفَ بذَنْبِهِ، ثُمَّ تابَ، تابَ اللهُ عليهِ». [خ: ٢٥١٨] [م: ٢٧٧٠]

* وقد تقدَّمَ الكلامُ عليه في البابِ الخامسِ في قولِه عليه السَّلامُ(٢): «يا معشرَ المسلمين؛ مَن يَعْذِرُني مِن رجلٍ بلَغَني أذاهُ في أهلِ بيتِي؟».

١٥٠٨ـ(خ): أبو الدَّرداءِ رضيَ اللهُ عنه: «أمَّا صاحِبُكُم فقَدْ غامَرَ». [خ: ٤٣٦٤]

يعني: أبا بَكرٍ رضيَ اللهُ عنه.

---

(١) في (ب): «علم».

(٢) تقدم برقم: (١٠٢٥).

* وقد تقدَّمَ الكلامُ عليه في البابِ الثَّاني في قولِه عليه السَّلامُ[١]: «إنَّ اللهَ بعثَني إليكم».

١٥٠٩ـ (ق): كعبُ بنُ مالكٍ رضيَ اللهُ عنه: «أمَّا هذَا[٢] فقَد صدَقَ، فقُمْ حتَّى يَقْضِيَ اللهُ فيكَ». [خ: ٤١٥٦] [م: ٢٧٦٩]

قالَه لهُ[٣].

*وقد تقدَّمَ الكلامُ عليه في البابِ الخامسِ في قولِه عليه السَّلامُ[٤]: «ما خلَّفَكَ؟ ألَم تكُنِ ابتَعْتَ ظهرَكَ؟»، واللهُ أعلمُ.

---

(١) تقدم برقم: (٢٥٤).

(٢) في (ب): «بعد».

(٣) حين قال: والله ما كان لي من عذرٍ حين تخلَّفت عنك، وهو أحد الثَّلاثة الَّذين تخلَّفوا عن غزوة تبوك.

(٤) تقدم برقم: (٩٤٦).

الباب الثَّامن

رتَّبه المصنِّفُ رحمَه اللهُ على خمسةِ فصولٍ:

الأوَّلُ: في العددِ.

والثَّاني: ما في أوَّله واوٌ.

والثَّالثُ: في قولِه: (واللهِ).

والرَّابعُ: في الفعلِ المستقبلِ.

الخامسُ: في الفعلِ المضارعِ، ثمَّ ذكرَ في آخرِه ما لم يُسمَّ فاعلُه.

فصلٌ في العددِ

١٥١٠ ـ (م): المقدادُ رضيَ اللهُ عنه: «إحدَى سوآتِكَ يَا مِقْدَادُ». [م: ٢٠٥٥]

قالَهُ لهُ لمَّا ضحِكَ المقدَادُ إلى أنْ وقَعَ إلى الأرضِ؛ لشُربِهِ حصَّةَ النَّبيِّ ﷺ مِن اللَّبنِ، وحَلْبِهِ الأَعنُزَ الثَّلاثَ مرَّةً ثانيةً.

* تقدَّمَ الكلامُ عليه في البابِ الخامسِ في قولِه عليه السَّلامُ[1]: «ما هذه إلَّا رحمةٌ».

---

(١) تقدم برقم: (٩٣٦).

١٥١١ـ (م): أَبُو هُريرة رضيَ اللهُ عنه: «اثنتَانِ في النَّاسِ هُما بِهِم كُفرٌ: الطَّعنُ في النَّسَبِ، والنِّياحَةُ على الميِّتِ». [م: ٦٧]

* اختلفَ العلماءُ رحمَهم اللهُ في معنى الحديثِ على أقوالٍ: أصحُّها أنَّ معناه: هما من أعمالِ الكفرةِ، وأخلاقِ الجاهليَّةِ.

والثَّاني: أنَّها تؤدِّي إلى الكفرِ.

والثَّالثُ: كفرانُ النِّعمةِ والإحسانِ.

والرَّابعُ: أنَّ ذلك في المستحِلِّ.

وفي الحديثِ: تغليظُ تحريمِ الطَّعنِ في النَّسبِ والنِّياحةِ، وقد وردَ في كلٍّ منهما نصوصٌ معروفةٌ.

١٥١٢ـ (ق): أَبُو مُوسى رضيَ اللهُ عنه: «جنَّتَانِ من فضَّةٍ آنيتُهُمَا وما فيهِمَا، وجنَّتَانِ مِن ذَهبٍ آنيتُهُمَا وما فيهِمَا، وما بينَ القومِ وبينَ أنْ ينظُرُوا إلى ربِّهِم إلَّا رداءُ الكبريَاءِ على وجهِهِ في جنَّةِ عَدْنٍ». [خ: ٤٥٩٧] [م: ١٨٠]

* ذكرَ بعضُ الشَّارحين ناقلًا عن «نوادرِ الأصولِ»: عن عبدِ اللهِ بنِ قيسٍ، عن النَّبيِّ عليه السَّلامُ: «جنان الفردوسِ أربعٌ: جنتان من فضَّةٍ آنيتُهما وما فيهما...»، الحديث[1].

قال: وهذا تأويلُ قولِه تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦]، وقولِه: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٦٢].

(١) «نوادر الأصول في أحاديث الرسول» للحكيم الترمذي (١/ ٤٢٤).

وقولُه: (وما بينَ القومِ وبينَ أنْ ينظُرُوا...) إلى آخرِه: بيانُ (جنَّةِ عَدنٍ) أي: دارِ إقامةٍ، مِن «عَدَنَ بالمكانِ»: إذا لزمَه[١] لم يبرَحْ[٢]، وإنَّ الرُّؤيةَ تكونُ[٣] فيها، فجنَّةُ عدنٍ دارُ الرَّحمنِ ومقصورتُه، والإضافةُ للاختصاصِ بجهةٍ لا يعلمُها إلَّا هو، والفردوسُ مِن جنَّاتِ الأنبياءِ والأولياءِ بقربِ جنَّةِ عدنٍ، فجنَّةُ عدْنٍ كالمدينةِ، وفردوسٌ كالقرى حولَها، فإذا تجلَّى الرَّبُّ بالرُّؤيةِ لأهلِ الفردوسِ رفعَ الحجابَ الذي هو رداءُ الكبرياءِ، فينظرون إليه ويرَونه رؤيةَ بصرٍ[٤].

و(الكبريَـاء) قيل[٥]: عبارةٌ عـن كمالِ الذَّاتِ وكمالِ الوجـودِ، ولا يوصفُ بها إلَّا اللهُ تعالى.

وقال المحقِّقون: جنَّةُ الأعمالِ مئةُ درجةٍ لا غير، كما أنَّ النَّارَ مئةُ دركةٍ[٦]، غير أنَّ كلَّ درجةٍ تنقسمُ إلى منازلَ، ولنذكر منازلَها ما يكونُ لهذه الأمَّة المحمَّديَّةِ، وهذه المئةُ درجةٍ في كلِّ جنَّةٍ[٧] من الجنَّاتِ الثَّمانيةِ، وصورتُها: جنَّةٌ في جنَّةٍ، أعلاها جنَّةُ عدنٍ، وهي قصبةُ الجنَّةِ، فيها الكثيبُ الذي يكونُ اجتماعُ النَّاس فيه لرؤيةِ الحقِّ تعالى وتقدَّسَ، وهي أعلى جنَّةٍ في الجنَّاتِ، وهي في الجنَّاتِ بمنزلةِ دارِ الملكِ يدورُ عليها ثمانيةُ أسوارٍ، بين كلِّ سورَين جنَّةٌ، فالتي تَلِي جنَّةَ عدنٍ إنَّما هي جنَّةُ

---

(١) في (ن): «إذا قام به».

(٢) انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (٢/ ١٢٩).

(٣) في (ع) و(ك): «لا تكون».

(٤) رواه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (٥٥٢) وما ساقه المصنف من شرح استفاده منه.

(٥) في (ص) زيادة: «هي».

(٦) في (ب): «درك».

(٧) في (م): «درجة».

الفردوسِ، وهي أوسطُ التي دون جنَّةِ عدنٍ وأفضلُها، ثمَّ جنَّةُ الخُلدِ، ثمَّ جنَّةُ النَّعيمِ، ثمَّ جنَّةُ المأوى، ثمَّ دارُ السَّلام، ثمَّ دارُ المقامةِ.

وأمَّا الوسيلةُ فهي أعلى درجةٍ في جنَّةِ عدنٍ، وهي لرسولِ اللهِ ﷺ حصلَتْ له بدعاءِ أمَّتِه، فعلَ ذلك الحقُّ سبحانه وتعالى لحكمةٍ أخفاها، فإنَّا بسببِه نِلْنا السَّعادةَ من اللهِ بإخبارِه من اللهِ لنا، ومن جملةِ ما أخبرَنا: أمرُ اللهِ لنا أنْ ندعوَ له بالوسيلةِ؛ حتى ينزلَ فيها، وينالَها بدعاءِ أمَّتِه.

فإذا أرادَ اللهُ تعالى أنْ يتجلَّى لعبادِه نادى منادِي الحقِّ في الجنَّاتِ كلِّها: يا أهلَ الجِنَانِ؛ حيَّ على المنَّةِ العُظمَى والمنظرِ الأعلى، هلمُّوا إلى زيارةِ ربِّكُم في جنَّةِ عدنٍ، فيُبادرون(١) إلى جنَّةِ عدنٍ، فيدخلون، وكلُّ طائفةٍ تعرفُ مرتبتَها ومنزلتَها، فيجلسُون، ثم يُؤمَرُ لهم بما لا عينٌ رأَتْ ولا أذنٌ سمعَتْ ولا خطَرَ على قلبِ بشرٍ من المأكولِ والمشروبِ والملبوسِ، فإذا فرَغُوا من ذلك قامُوا إلى كثيبٍ من المسكِ الأبيضِ، فأخذُوا منازلَهم فيه على قدرِ علمِهم باللهِ، ولا يكونُ بينهم وبينه إلَّا رداءُ الكبرياءِ على وجهِهِ، فيحُولُ الحجابُ، فلم تَصِلْ إليه الرُّؤيةُ، وما وصلَتِ الأعينُ إلَّا إلى الرِّداءِ، وهو الكبرياءُ.

والمرادُ بالوجهِ: هو الذَّاتُ، وبالرِّداءِ: هو الكبرياءُ، وهذا مأخذُ المعتزلةِ ومَن يَقْفُو أثرَهم في نَفْيِ الرُّؤيةِ؛ فإنَّ كلَّ مُرْتدٍ محتَجِبٌ بردائِه عن إدراكِ الأبصارِ، قالَ اللهُ تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]؛ لاحتجابِه بردائِه عنها، لكنَّهم حُجِبُوا من أنَّ المرتَدِي لا يحتجبُ عن الحجابِ، والحجابُ هو الكبرياءُ، والكبرياءُ هو العبدُ الكاملُ المخلوقُ على الصُّورةِ الجامعِ(٢) للحقائقِ الإمكانيَّةِ والإلهيَّةِ، والرِّداءُ

---

(١) في (ن): «فيتبادرون».

(٢) في (ع) و(ن): «الجامعة».

هو الكبرياءُ، وأضافَه[1] إليه للبيانِ، ومعناه: الكبرياءُ رداؤُه الذي يُلبِسُه عقولَ العلماءِ باللهِ.

وجعلَه رداءً لا ثوبًا؛ لأنَّ الرِّداءَ كمِّيَّةٌ واحدةٌ، والثَّوبُ مؤلَّفٌ من كمِّيَّاتٍ مختلفةٍ ضُمَّ بعضُها إلى بعضٍ كالقميصِ، وإذا عُرِفَ هذا ظهرَ مأخذُ علماءِ أهلِ السُّنَّةِ في تجويزِهم الرُّؤيةَ، ولا أزيدُ على الحكايةِ.

١٥١٣ـ (م): أبو هُريرةَ رضيَ اللهُ عنه: «صِنفَانِ من أهلِ النَّارِ لم أَرَهُمَا: قومٌ معهُم سِياطٌ كأذنَابِ البقَرِ يضرِبُونَ بها النَّاسَ، ونساءٌ كاسِياتٌ عارِيَاتٌ، مُمِيلَاتٌ مائِلَاتٌ، رُؤُسُهُنَّ كأسنِمَةِ البُخْتِ المائِلَةِ، لا يَدخُلْنَ الجنَّةَ، ولا يَجِدْنَ رِيْحَهَا، وإنَّ رِيْحَهَا لَتُوجَدُ مِن مسيرَةِ كذَا وكذَا». [م: ٢١٢٨]

***الصِّنفُ**: هو الطَّائفةُ من كلِّ شيءٍ.

وقولُه: **(لم أرَهُمَا)** يعني: في عصرِه؛ لطهارةِ ذلك العصرِ الكريمِ، ويتضمَّنُ ذلك أنَّ الصِّنفَين سيُوجَدان، وكذلك كانَ؛ فإنَّه حدثَ قومٌ يلازمون السِّياطَ المؤلمةَ التي لا يجوزُ أنْ يُضرَبَ بها في الحدودِ قصدًا لتعذيبِ النَّاسِ، فإنْ أُمِرُوا بإقامةِ حدٍّ أو تعزيرٍ تعَدَّوا المشروعَ في الكمِّ والكيفِ، وربما أفضى بهم الهوى وما جُبِلُوا عليه من الظُّلمِ إلى إهلاكِ المضروبِ، كما هو أحوالُ الشُّرَطِ والعوانيَةِ.

وقولُه: **(كاسِياتٌ عارِيَاتٌ)** قيلَ في هذا قولان:

أحدُهما: أنَّهنَّ كاسياتٌ بلباسِ الأثوابِ الرِّقاقِ الرَّفيعةِ التي لا تسترُ منهنَّ

(١) في (ك): «وإضافته».

عورةً[1]، أو تُبدِي من محاسنهنَّ ما لا يحلُّ لهنَّ أنْ يُبْدِينَه، كما تفعلُ البغايا و المعلناتُ بالفسقِ.

والثَّاني: أنَّهنَّ كاسياتٌ من الثِّياب، عارياتٌ من لباسِ التَّقوى الذي[2] قالَ اللهُ تعالى: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: ٢٦].

وقولُه: **(مُميلَاتٌ مائلَاتٌ)** هكذا وُجِدَتْ الروايةُ بتقديمِ (مميلاتٌ) على (مائلاتٌ)، وكلاهما من الميلِ، ومعنى المميلات: يُمِلْنَ إلى أنفسهنَّ قلوبَ الرِّجالِ، ومعنى المائلاتِ: يَمِلْنَ في أنفسِهنَّ؛ تثنِّيًا وتصنُّعًا.

قيل: وعلى هذا كان حقُّ الكلامِ تقديمَ المائلاتِ على المميلاتِ؛ لأنَّ ميلهنَّ في أنفسِهنَّ لكونِه سببًا للإمالةِ متقدِّمٌ عليها، وقيل: صحَّ ذلك؛ لأنَّ الصِّفاتِ المجتمعةَ لا يلزمُ ترتُّبُها، أَلَا ترى أنَّها تعطَفُ بالواو، والواوُ جامعةٌ، لا مرتِّبةٌ؟ وفيه نظرٌ؛ لأنَّ ذلك فيما لا يكونُ بينهما سببيَّةٌ، أمَّا إذا كانت فالتَّرتيبُ.

نعم، يجوزُ أنْ يجعلَ: (مائلاتٌ) خبرَ مبتدأٍ، ويكونَ الفصلُ للاستئنافِ، كأنَّ قائلًا قال: وكيف هنَّ مميلاتٌ؟ قال: لأنهنَّ مائلاتٌ.

وقيل: معنى (المميلاتِ): أنَّهنَّ يُملْنَ المقانعَ عن رؤوسهنَّ؛ لتظهرَ وجوهُهنَّ وشعورُهنَّ، وحينئذٍ لا يُحتاجُ إلى تكلُّفٍ.

وقولُه: **(رؤسُهُنَّ كأسنِمَةِ البُخْتِ)** الأسنمةُ: جمع سَنامٍ، وسنامُ كلِّ شيءٍ: أعلاه[3]، و(البختُ): جمع بختيةٍ، وهي ضربٌ من الإبلِ، عِظامُ الأسنِمَةِ، كثيرُ الوَبَرِ[4].

---

(١) في (ب): «عورتهن».

(٢) في (ص) زيادة: «فيه»، وفوقها إشارة: نسخة.

(٣) انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (١٣/ ١٣).

(٤) في هامش (ص): نسخة: «الشعر».

شبَّهَ رؤوسهنَّ بها لِمَا رفعْنَ من ضفائرِ شعورهنَّ على أوساطِ رؤوسِهنَّ؛ تزيُّنًا وتصنُّعًا.

و(**المائلةُ**) الرِّوايةُ فيها بالياءِ مِن «الميلِ»؛ يعني: أعلى السَّنامِ يميلُ لكثرةِ شحمِه، وقال بعضُهم: صوابُه بالثاءِ المثلَّثةِ؛ أي: المرتفعةُ الظَّاهرةُ.

وقولُه: (**لا يدخُلْنَ الجنَّةَ...**) إلى آخرِه: معناه: إذا استحلَّتْ حرامًا من ذلك مع عِلْمِها بتحريمِه فتكونُ كافرةً ومخلَّدةً في النَّارِ، فلا يدخلْنَ[1] الجنَّةَ أبدًا.

ويجوزُ أنْ يقالَ: إنَّها لا تدخلُها أوَّل الأمرِ مع الفائزين، واللهُ أعلمُ.

١٥١٤ـ (ق): أبُو هُريرةَ رضيَ اللهُ عنه: «كلمَتَانِ خفيفَتَانِ على اللِّسانِ، ثقيلَتَانِ في الميزَانِ، حبيبَتَانِ إلى الرَّحمنِ: سبحَانَ اللهِ وبحمدِهِ، سبحَانَ اللهِ العظيمِ». [خ: ٦٠٤٣] [م: ٢٦٩٤]

* قد تُطلقُ (الكلمةُ) على الكلامِ الاصطلاحيِّ، يقالُ: كلمةُ الحويدرةِ[2] لقصيدَتِه.

وسبحانَ اللهِ والحمدُ للهِ كلمتانِ خفيفتانِ على اللِّسانِ؛ إذ ليس في حروفِه حروفٌ متباعدةُ المخارجِ، فيستثقلُه اللِّسانُ، وهما ثقيلتان في الميزانِ؛ لأنَّه جاءَ في حديثٍ آخرَ: «والحمدُ للهِ تملأُ الميزانَ، و[3]سبحانَ اللهِ والحمدُ للهِ تملآن ما بين

---

(١) في (ن) و(ص) و(ك): «فلا تدخل».

(٢) هو: قطبة بن أوس بن محصن بن جرول المازني الفزاري الغطفانيّ، شاعر جاهلي مقلّ، يلقب بالحادرة (الضخم) أو الحويدرة. انظر: «الأعلام» للزركلي (٥/ ٢٠٠).

(٣) قوله: «والحمد لله يملأ الميزان و»: ليست في (ب).

السَّمواتِ والأرضِ»[١]، وذلك لاشتمالِهما على كمالِ الثَّناءِ، والتَّعريفِ بالصِّفاتِ الذَّاتيَّةِ والفعليَّةِ الظَّاهرةِ الآثارِ في السَّمواتِ والأرضِ وما بينهما، وإذا كان الحمدُ للهِ وحدَه يملأُ الميزانَ، كما جاءَ في ذلك الحديثِ، فما ظنُّكَ بهما إذا اجتمعا وهما حبيبتان إلى الرَّحمنِ؟! لِمَا تقدَّمَ من قولِه عليه السَّلامُ: «**لا أحدَ أحبُّ إليه المدحُ مِن اللهِ...**».

وفيهما مدحٌ بالصِّفاتِ السَّلبيَّةِ التي يدلُّ عليها التَّنزيهُ، وبالصِّفاتِ الثُّبوتيَّةِ التي يدلُّ عليها التَّحميدُ، فكانتا حبيبتَين إلى الرَّحمنِ.

١٥١٥ـ (خ): ابنُ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنه: «نعمتَانِ مَغْبُونٌ[٢] فيهمَا كثيرٌ منَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ، والفَراغُ». [خ: ٦٠٤٩]

* قيل: إنَّما كانَ كذلك؛ لأنَّهما من معدَّات العباداتِ ومقدِّمات تحصيلِ المرضاةِ، وأكثرُ النَّاسِ يُهملونهما عن ذلك، بل يستعملونَهما فيما هو من التَّبعاتِ والفُسوقِ المفضيةِ إلى العقوباتِ، ولا إخالُ غبينةً أعظمَ من ذلك، واللهُ أعلمُ.

١٥١٦ـ (م): أبُو هُريرةَ رضي الله عنه: «ثلاثٌ إذَا خرَجْنَ لا ينفَعُ نفسًا إيمانُهَا لم تكُنْ آمنَتْ مِن قبلُ أو كسَبَتْ في إيمانِهَا خيرًا: طُلُوعُ الشَّمسِ مِن مَغْرِبِهَا، والدَّجَّالُ، ودابَّةُ الأرضِ». [م: ١٥٨]

---

(١) تقدم برقم (١٣١٢).

(٢) مغبون: الغبن هو الخسران في المعاملة.

* قد تقدَّمَ الكلامُ على(١) قولِه تعالى: ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا﴾ [الأنعام: ١٥٨] في البابِ الثَّالثِ في قولِه(٢): «لا تقومُ السَّاعةُ حتى تطلُعَ الشَّمسُ من مغرِبِها»، وكذا على الدَّجَّالِ ودابَّةِ الأرضِ فيما تقدَّمَ.

١٥١٧ـ (ق): أَبُو هُريرةَ رضيَ اللهُ عنه: «ثلاثَةٌ لا يكلِّمُهُمُ اللهُ يومَ القيامَةِ، ولا ينظُرُ إليهم، ولا يُزكِّيهِم، ولهُم عذَابٌ أليمٌ: رجُلٌ على فضلِ ماءٍ بالفَلَاةِ يمنعُهُ مِن ابنِ السَّبيلِ، ورجلٌ بايَعَ رجلًا بسِلْعَةٍ بعدَ العصرِ، فحَلَفَ لهُ باللهِ لَأَخَذَهَا بكذَا وكذَا، فصَدَّقَهُ وهو على غيرِ ذلكَ، ورجُلٌ بايعَ إمامًا لا يُبايِعُهُ إلَّا لِدُنيَا، فَإِنْ أعطَاهُ منها وَفَى، وإنْ لم يُعْطِ منها لم يَفِ». [خ: ٢٥٢٧] [م: ١٠٨]

* المرادُ بقولِه: (فضلِ ماءٍ) ماءٌ فضلَ عن كفايةِ السَّابقِ إلى ماءٍ(٣) بعد أخذِ حاجتِه، و**الفلاةُ**: الصَّحراءُ.

و(**السَّبيلُ**) الطَّريقُ، و(**ابنِ السَّبيلِ**) المسافرُ، سُمِّيَ بذلك؛ لأنَّ الطَّريقَ تُبرِزُه، فكأنَّها ولَدَتْه.

وقولُه: (**ورجلٌ بايَعَ رجلًا بسلعَةٍ**) رُوي بالباءِ الموحَّدةِ وبغيرِها، وعلى روايةِ الباءِ يكونُ (بايعَ) بمعنى: ساومَ، فتكونُ الباءُ بمعنى: عن، وعلى روايةِ إسقاطِها يكونُ (بايعَ) بمعنى: باعَ، فيتعدَّى بنفسِه، و(سلعةً): مفعولٌ.

وقولُه: (**فحلَفَ لهُ باللهِ لأخذَهَا بكذَا وكذَا**) يعني: كذبَ، فزادَ في الثَّمنِ الذي

---

(١) في (ن): «في».

(٢) تقدم برقم: (٥٩١).

(٣) في (ك): «الماء».

به اشترى، وفجرَ باليمينِ باللهِ كاذبًا، وأخذَ مالَ غيرِه ظلمًا في وقتِ ارتفاعِ الأعمالِ، وربَّما لا يقدرُ على تدارُكِ ذلك.

واختلفوا في معنى قولِه: (**لا يكلِّمُهُمُ اللهُ**) فقيلَ: معناه: لا يكلِّمُهم كلامَ أهلِ الخيرِ وبإظهارِ الرِّضا، بل يكلِّمُهم(١) بكلامِ أهلِ السُّخطِ والغضبِ، وقيل: معناه: الإعراضُ عنهم.

قيل: والأوَّلُ أظهرُ؛ لِمَا ورد في روايةِ البخاريِّ: «**فيقولُ اللهُ: اليومَ أمنعُك فضْلِي كما منعْتَ فضْلَ ما لم تملكْ يداكَ**»(٢).

ومعنى: (**لا ينظُرُ إليهم**) يتركُ رحمتَه ولطفَه بهم، فإنَّ نظرَه إليهم عبارةٌ عن ذلك.

ومعنى: (**لا يُزكِّيهم**) لا يطهِّرُهم مِن دَنَسِ ذنوبِهِم(٣)، وقيل: لا يُثْنِي عليهم.

(**ولهُم عذَابٌ أليمٌ**) أي: مُؤلِمٌ. قال الواحديُّ رحمَه اللهُ: هو العذابُ يخلصُ إلى قلوبِهِم وَجَعُه(٤).

وإنما استحقَّ هؤلاء الفِرَقُ هذا الوعيدَ العظيمَ(٥): أمَّا مانعُ الماءِ: فلأنَّه منعَ ما أباحَه اللهُ ووسَّعَه على عبادِه، وضيَّقَ عليهم مِن غيرِ حاجةٍ له إليه، على أنَّه لم يملِكْه؛ فإنَّ النَّاسَ مشتركون فيه.

---

(١) في (ك): «كلمهم».

(٢) رواه البخاري (٢٢٤٠).

(٣) في (ك): «الذنوب»، وقال في الحاشية: «ذنوبهم».

(٤) انظر: «التفسير الوسيط» للواحدي (١/ ٨٨).

(٥) في (ص): «العذاب الأليم».

وأمَّا بائعُ السِّلعةِ: فلارتكابِه الكذبَ، واليمينَ الفاجرةَ، واقتطاعِه حقَّ الغيرِ ظُلمًا في وقتٍ عظيمٍ.

وأمَّا مُبايعُ الإمامِ: فلعدمِ إقامتِه بما وجبَ عليه من الإخلاصِ في العبادةِ التي يجبُ فيها النِّيَّةُ والأخلاقُ، وهو البَيعةُ مع الإمامِ الحقِّ لغرضٍ دُنيويٍّ، وبه يصيرُ غاشًّا للإمامِ، ومُثيرًا للفتنِ؛ لخلاصِ نفسِه عمَّا يكرهُه من البيعةِ التي كانَتْ لأمرٍ لم يحصلْ.

١٥١٨ـ (م): أبو هُريرةَ رضيَ اللهُ عنه: «ثلاثةٌ لا يكلِّمُهم اللهُ يومَ القيامَةِ، ولا ينظرُ إليهِم، ولا يُزكِّيهِم، ولهُم عذابٌ أليمٌ: شيخٌ زانٍ، ومَلِكٌ كذَّابٌ، وعائِلٌ مُسْتكْبِرٌ». [م: ١٠٧]

* قيلَ: **الكذبُ** ينقسمُ إلى قسمَين: قسمٌ ذاتيٌّ، وقسمٌ صفاتيٌّ؛ فالصِّفاتيُّ محصورٌ في موجبَين: **أحدُهما**: الرَّغبةُ، **والآخَرُ**: الرَّهْبةُ، والملكُ في الظَّاهرِ محلُّ الرَّغبةِ والرَّهبةِ، وليس حكمُه مع رعيَّتِه بصورةِ رهبةٍ منهم أو رغبةٍ فيما عندهم توجِبُ الإقدامَ على الكذبِ، فإذا كان الملكُ كذَّابًا، فلا موجبَ له إلَّا لَأُمَةُ الطَّبعِ، فكان كذبُه ذاتيًّا، والأوصافُ الذَّاتيَّةُ الجِبلِّيَّةُ تستلزمُ نتائجَ تناسبُها.

وأمَّا **الشَّيخ الزَّاني**: فالسِّرُّ فيه أنَّ الزِّنا من الشَّابِّ لعُذرٍ ما، فإنَّ الطَّبيعةَ تُنازِعُه وتتقاضَاه إمضاءُ الشَّهوةِ، فهو معذورٌ طبعًا، وعدمُ الصُّدورِ منه عجبٌ، ولهذا قالَ عليه السَّلامُ: «تعجَّبَ ربُّكُم من الشَّابِّ ليس له صَبْوَةٌ»[1]، وأمَّا الشَّيخُ فشهوتُه وقواه

---

(١) رواه أحمد في «مسنده» (١٧٣٧١)، والحارث في «بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث» (١٠٩٩)، والخرائطي في «اعتلال القلوب» (٥٣٧)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٧/ ٣٠٩) (٨٥٣)، والشهاب القضاعي في «مسنده» (٥٧٦) من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه. =

منحطَّةٌ، فإذا كان زانيًا فليس ذلك إلَّا لكونِه مُفسدًا بالطَّبعِ، فهو كالمجبولِ على الفسادِ، فذلك كوصفٍ ذاتيٍّ له، فيستلزمُ النَّتيجةَ الرَّديَّةَ.

وأمَّا **العائلُ المستكبِرُ**: فالعائلُ: هو الفقيرُ[1]، والمستكبرُ: هو الذي يتعانى التَّكبُّرَ.

وهذا أيضًا ينقسمُ إلى قسمَين: ذاتيٌّ وصفاتيٌّ، فالصِّفاتِي: محصورٌ في موجبَين: المالُ، والجاهُ، فالتَّكبُّرُ من النَّاسِ وإن كانَ قبيحًا عقلًا وشرعًا، فإنَّ لأصحابِ المالِ والجاهِ عُذرًا، وأمَّا الفقيرُ العديمُ المالِ والجاهِ إذا تكبَّرَ فلا عُذرَ له بوجهٍ ما، فالتَّكبُّر منه إذن صفةٌ ذاتيَّةٌ، فلا جرمَ ينتجُ نتيجةً رديَّةً جدًّا.

وليس المرادُ بقولِه: (ذاتيًّا) فيما قالَ أنَّه داخلٌ في ماهيَّتِه؛ فإنَّ ماهيَّةَ الإنسانِ من حيث هي لا تستلزمُ شيئًا من ذلك، وإنَّما معناه: أنَّه يصدُرُ عنه مع انتفاءِ ما يُوجِبُه، فكان كالذي تَقتَضِيه الذَّاتُ، واللهُ أعلمُ.

١٥١٩ـ (م): أبُو ذرٍّ رضيَ اللهُ عنه: **«ثلاثَةٌ لا يكلِّمُهُمُ اللهُ يومَ القيامَةِ، ولا ينظرُ إليهِم، ولا يُزكِّيهِم، ولهُم عذابٌ أليمٌ، قالَ: فقرَأَها رسولُ اللهِ ﷺ ثلاثَ مرَّاتٍ، قالَ أبو ذرٍّ: خابُوا وخَسِرُوا، مَن هُم يا رسولَ اللهِ؟ قالَ: المُسْبِلُ، والمنَّانُ، والمُنْفِقُ سِلْعَتَهُ بالحَلِفِ الكاذِبِ»**. [م: ١٠٦]

* **(المسبِلُ)** هو الذي يُرخِي إزارَه، لكن بشرطِ أنْ يكونَ إسبالُه خُيلاءَ ـ أي:

= قال الهيثمي في «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد» (١٠/ ٢٧٠): رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني وإسناده حسن.

(١) انظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير (٣/ ٣٣٠).

للتَّكبُّرِ ـ كما جاءَ مُفسَّرًا في روايةٍ أُخرى: «لا ينظرُ اللهُ إلى مَنْ يجُرُّ ثوبَه خُيلاءَ»[١]، وممَّا يدلُّ على ذلك: ما تقدَّمَ أنَّ النبيَّ عليه السَّلامُ رخَّصَ لأبي بكرٍ في ذلك[٢]؛ إذ كانَ إسبالُه وجرُّهُ لغيرِ الخُيلاءِ.

وذِكْرُ الإزارِ لا ينفِي غيرَه، فإنَّ حُكمَ القميصِ والعمامةِ حكمُه؛ روى سالمُ بنُ عبدِ الله بنِ عمرَ، عن أبيه رضي الله عنهم، عن النبيِّ عليه السَّلامُ، قالَ: «الإسبالُ في الإزارِ والقميصِ والعمامةِ، مَن جرَّ شيئًا خيلاءَ لم ينظُرِ اللهُ إليه يومَ القيامةِ»، رواه أبو داود والنَّسائيُّ وابنُ ماجه[٣].

و(**المنَّانُ**) فعَّال من المنِّ، وقد فسَّرَه النبيُّ عليه السَّلامُ بقولِه: «الذي لا يُعطِي شيئًا إلا منَّةً»[٤]، وقيل: المرادُ به ههنا: المنُّ بمعنى: القطعِ، كما في قولِه تعالى: ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [فصلت: ٨]: أي: غيرُ مقطوعٍ.

و(**المُنْفِقُ سلعَتَهُ بالحَلِفِ**[٥] **الكاذِبِ**) تقدَّمَ معناه، إلَّا أنَّه هناك كانَ مُقيَّدًا بكونِه (بعد العصرِ) والرَّاوي مختلفٌ، فكانا حديثَين، والأوَّلُ أشدُّ إثمًا؛ لِمَا تقدَّم من فضيلةِ الوقتِ.

ويجوزُ أن يقالَ: إنَّ ذلك القيدَ خرجَ مخرجَ ما عليه عادةُ التُّجَّارِ؛ فإنَّ ذلك

---

(١) رواه البخاري (٥٤٤٦)، ومسلم (٢٠٨٥)، وأبو داود (٤٠٨٥)، ومالك في «الموطأ/ رواية يحيى» (٢/ ٩١٤) (١١)، وأبو يعلى في «مسنده» (٥٦٤٤) من حديث ابن عمر رضي الله عنه.

(٢) روى البخاري (٥٧١٥) عن ابن عمر رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ حين ذكر في الإزار ما ذكر، قال أبو بكر: يا رسول الله، إن إزاري يسقط من أحد شقيه؟ قال: «إنَّك لست منهم».

(٣) رواه أبو داود (٤٠٩٤)، والنسائي (٥٣٣٤)، وابن ماجه (٣٥٧٦).

(٤) رواه مسلم (١٠٦).

(٥) في (ص): «باليمين».

الوقتَ وقتُ ضمِّ المتاعِ لرفعِ الدُّكانِ، والحرصُ فيه غالبٌ؛ لمفارقتِه محبوبَه إلى وقتٍ آخرَ قد يتَّفقُ له مُشترٍ لتلك السِّلعةِ وقد لا يتَّفقُ له، فتروجُ سلعتُه إذ ذاك باليمينِ الكاذبةِ.

وإنَّما استحقَّت هذه الفِرَقُ هذا الوعيدَ الشَّديدَ؛ أمَّا المسبلُ: فلمَّا ذُكِرَ[١] مِن خُيلائِه، وأمَّا المنَّانُ: فلأنَّه يصدُرُ منه[٢] المنَّةُ عن بخلٍ وعُجْبٍ وكِبْرٍ، ونسيانٍ لمنَّةِ اللهِ تعالى عليه فيما أنعمَ، فقد جمعَ خصالًا ذميمةً استحقَّه بها، وأمَّا المنفِقُ سلعتَه: فلِمَا مرَّ في حديثِ أبي هريرةَ رضي الله عنه من المعاني الموجبةِ لذلك.

١٥٢٠ـ (ق): أَبو مُوسى رضيَ اللهُ عنه: «ثلاثَةٌ لهم أجرَانِ: رجلٌ مِن أهلِ الكتَابِ آمنَ بنبيِّهِ، وآمنَ بمحمَّدٍ ﷺ، والعبدُ المملُوكُ إذا أدَّى حقَّ اللهِ وحقَّ مواليهِ، ورجلٌ كانَتْ عندَه أَمَةٌ يَطؤُهَا، فأدَّبها فأَحْسَنَ تأدِيبَهَا، وعَلَّمَها فأَحْسَنَ تعلِيمَهَا، ثمَّ أعتَقَهَا فتزوَّجَها، فلَهُ أجرَانِ». [خ: ٩٧] [م: ١٥٤]

* قيل: **(أهلِ الكتَابِ)** هم الذين بقُوا على ما[٣] بُعِثَ به نبيُّهم عليه السَّلامُ من غيرِ تبديلٍ ولا تحريفٍ[٤]، فمَن بَقِيَ على ذلك حتى بُعِثَ نبيُّنا محمَّدٌ ﷺ، فآمَنَ به، فله الأجرُ مرَّتَين، ومَن بدَّلَ منهم أو حرَّفَ لم يبقَ له أجرٌ في دينِه، فليس له أجرٌ إلَّا بإسلامِه بمحمَّدٍ ﷺ.

وقيل: يُحتملُ إجراؤُه على عمومِه؛ إذ لا يبعدُ أنْ يكونَ طريانُ الإيمانِ به سببًا

---

(١) في (ن): «ذكرنا».

(٢) في (ن): «عنه».

(٣) في (ك): «من».

(٤) في (ص): «من غير تحريف ولا تبديل».

لإعطاءِ الأجرِ مرَّتين: مرَّةً على أعمالِهم الخيرِ الذي فعلُوها في ذلك الدِّينِ، وإنْ كانوا مبدِّلين محرِّفين، فإنَّه قد جاءَ أنَّ مبرَّاتِ الكفَّارِ وحسناتِهم مقبولةٌ بعدَ الإسلامِ، ومرَّةً على الإيمانِ بمحمَّدٍ ﷺ.

وأمَّا (**المملُوكُ إذَا أدَّى حَقَّ اللهِ**) وهو الصَّلواتُ الخمسُ والصَّومُ بالشَّرائطِ التي تحتاجُ إليها الصَّلاةُ، فقد استحقَّ الأجرَ لذلك، فإذا أدَّى معَ ذلك حقَّ مَولاه استحقَّه ثانيةً[1].

وأمَّا الرَّجلُ المتزوِّجُ بأمَتِه الموطوءةِ له: فقد يستحقُّ الأجرَ لتعليمِها وتأديبِها وأمثالِهما، فإذا أعتقَها وتزوَّجَها فقد استحقَّه ثانيةً، ويجوزُ أن يقالَ: للعتقِ مرَّةً، وللتزوُّجِ[2] ثانيةً، ولمَّا كانت الجهةُ فيه متعدِّدةً، وكانت مظنَّةَ أنْ يستحقَّ الأجرَ أكثرَ من ذلك، أعادَ قولَه: (**فلَهُ أجرَانِ**) إشارةً إلى أنَّ المعتبرَ مِن الجهاتِ أمران.

١٥٢١ـ (م): أبُو قتادَةَ رضيَ اللهُ عنه: «ثلاثَةٌ مِن كلِّ شهرٍ، ورمضَانُ إلى رمضَانَ، فهَذَا صِيَامُ الدَّهرِ كلِّهِ، وصِيَامُ يومِ عرَفَةَ أَحْتَسِبُ على اللهِ أنْ يُكَفِّرَ السَّنةَ الَّتي قبلَهَا والسَّنةَ الَّتي بعدَهَا، وصِيَامُ يومِ عاشُورَاءَ أَحْتَسِبُ على اللهِ أنْ يُكَفِّرَ السَّنةَ الَّتي قبلَهُ». [م: ١١٦٢]

* قال: جاءَ رجلٌ إلى النبيِّ عليه السَّلامُ، فقالَ: يا رسولَ اللهِ؛ كيفَ تصومُ؟ فغضبَ رسولُ اللهِ ﷺ من قولِه، فلمَّا رأى عمرُ غضبَه قال: رَضِينا باللهِ ربًّا، وبالإسلامِ دِينًا، وبمحمَّدٍ نبيًّا، نعوذُ باللهِ من غضبِ اللهِ وغضبِ رسولِه، فجعلَ عمرُ يردِّدُ الكلامَ

---

(١) في (ن): «ثانيًا».

(٢) في (ن): «وللتزويج»، وفي (ص) زيادة: «مرة».

حتى سكنَ غضبُه، فقال عمرُ: يا رسولَ اللهِ؛ وفي لفظٍ آخرَ: وبمحمَّدٍ رسولًا، وببيعَتِنا بيعةً، وقال: فسُئِلَ عن صيامِ الدَّهرِ ـ ولم يذكرْ أنَّ عمرَ سألَه ـ فقيل: يا رسولَ اللهِ؛ كيف مَن يصومُ الدَّهرَ كلَّه؟ قالَ: «**لا صامَ ولا أفطرَ**»، أو قالَ: «**لم يَصُمْ ولم يُفْطِرْ**»، أو قالَ: «**ما صامَ وما أفطرَ**»، قالَ: كيف مَن يصومُ يومَين ويفطرُ يومًا؟ قالَ: «**ويطيقُ ذلك أحدٌ؟**»، قالَ: كيف مَن يصومُ يومًا ويفطرُ يومًا؟ قالَ: «**ذلك صومُ داودَ**»، قالَ: كيف مَن يصومُ يومًا ويفطرُ يومَين؟ قالَ: «**وددْتُ أنِّي طُوِّقْتُ ذلك**»، ثمَّ قالَ رسولُ الله ﷺ: «**ثلاثةٌ مِن كلِّ شهرٍ...**» إلى آخرِه.

فإن قيل: جاء في حديثِ أبي هريرةَ: «مَنْ صامَ رمضان وأتبعَه ستًّا من شوَّالٍ كانَ كصيامِ الدَّهرِ كلِّه»(١)، وذلك لتكونَ الحسنةُ بعشرةِ(٢) أمثالِها، وههنا ذكرَ صومَ رمضانَ وثلاثةٍ من كلِّ شهرٍ؟

أُجيبَ بمثلِ ما تقدَّمَ غيرَ مرَّةٍ: أنْ يكونَ صومُ رمضانَ وستٍّ من شوَّالٍ بعدَ هذا الحديثِ، فكانَ الكثيرُ كصيامِ الدَّهرِ، ثمَّ صارَ القليلُ كذلك؛ مرحمةً على عبادِه، ويجوزُ أنْ يكونَ السِّتُّ من شوَّالٍ في الفضيلةِ كصيامِ ثلاثةِ أيَّامٍ مِن كلِّ شهرٍ، فيتماثلانِ.

وقيل في سببِ غضبِه عليه السَّلامُ حين سألَه الرَّجلُ: إنَّه كره مسألتَه؛ لاحتياجِه إلى أنْ يُجيبَه، ويخشَى أنْ يعتقدَ الوجوبَ، أو يستقلَّ عملَه، أو يقتصِرَ عليه، وكان حالُه يقتضِي أكثرَ منه، فإنَّه عليه السَّلامُ كان يقتصرُ على ذلك؛ لاشتغالِه بمصالحِ النَّاسِ وحقوقِهم، وحقوقِ أزواجِه وأضيافِه والوافدينَ عليه، ولئلَّا يقتدِيَ به كلُّ أحدٍ

---

(١) رواه مسلم (١١٦٤) من حديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه.

(٢) في (ك): «بعشر».

فيتضرَّرَ، وكان الحقُّ في السُّؤالِ أن يقولَ: كيف أصومُ؟ أو كم أصومُ؟ ليجيبَه بما يقتضِيه حالُه، كما أجابَ غيرَه.

وقولُه في صومِ يومٍ وإفطارِ يومَين: (وددْتُ أنِّي طُوِّقْتُ ذلك) أي: أُقْدِرْتُ عليه، وذلك لأنَّ النَّبيَّ عليه السَّلامُ كان عليه الحقوقُ التي ذكرت آنفًا، فكانَ يتوقَّعُ[1] أنْ يضعُفَ عنها أو عن بعضِها إن التزمَ ذلك، فيقعَ فيها خللٌ، فتمنَّى أنْ يُقدِّرَه اللهُ على ذلك مع الوفاءِ بالحقوقِ المذكورةِ.

فإنْ قيلَ: فقد كانَ قادرًا على الوصالِ، وهو أشقُّ، ولم يضعفْ عن القيامِ بشيءٍ منها؟

أُجِيبَ: بأنَّ وصاله لم يكُنْ دائمًا، بل في وقتٍ دون وقتٍ، بخلافِ ما تمنَّى؛ فإنَّه تمنَّاه دائمًا.

وقولُه: (صيامُ يومِ عرفَةَ...) إلى آخرِه معناه: يكفِّرُ ستتَين عمَّن صامَه، قالوا: والمرادُ به: الصَّغائرُ، فإنْ لم يكنْ له صغائرُ رُجيَ تخفيفُ الكبائرِ، فإنْ لم يكنْ رُفِعَتْ له الدَّرجاتُ.

(وصِيَامُ يومِ عاشُورَاءَ) يكفِّرُ ذنوبَ السَّنةِ التي قبلَه.

واختلفوا في الأيَّامِ الثَّلاثةِ في كلِّ شهرٍ[2]؛ فقال جماعةٌ من الصَّحابةِ والتَّابعين: إنَّها الأيَّامُ البيضُ: الثَّالثُ عشرَ، والرَّابعُ عشرَ، والخامسُ عشرَ، منهم عمرُ[3] وابنُ مسعودٍ[4] وأبو ذرٍّ[5].

---

(١) في (ص): «يخاف»، وقال في هامش (ك): في نسخة: «يخاف».

(٢) انظر: «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» للقرطبي (٣/ ٢٣٣).

(٣) رواه الطبري في «تهذيب الآثار/ مسند عمر» (١٢١٠).

(٤) رواه الطبري في «تهذيب الآثار/ مسند عمر» (١٢١٣).

(٥) رواه الطبري في «تهذيب الآثار/ مسند عمر» (١٢١٤).

=

وقالَتْ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها: هي ثلاثةُ أيّامٍ في أوّلِه، واختارَتْه(١).

ومنهم مَن قال: صومُ السَّبتِ والأحدِ والاثنين من كلِّ شهرٍ، ثمَّ الثُّلاثاءِ والأربعاءِ والخميسِ من الشهرِ الذي بعدَه(٢)، وقيل: أوَّلُ اثنين من الشَّهرِ، وخميسانِ بعدَه(٣)، وغيرُ ذلك(٤).

وذُكِرَ في بعضِ الشُّروحِ ورودُ الأحاديثِ الدَّالَّةِ على بعضِ هذه الاختياراتِ، وذلك في النَّسائيِّ وأبي داودَ والتِّرمذيِّ، فلْيُطْلَبْ ثمَّةَ.

وأمَّا الكلامُ على صيامِ الدَّهرِ فقد تقدَّمَ في البابِ السَّابعِ في قولِه عليه السَّلام(٥): «ألم أُخْبَرْ».

= وروى النسائي (٢٤٢٣) عن أبي ذر قال: «أمرنا رسول الله ﷺ أن نصوم من الشهر ثلاثة أيام البيض؛ ثلاث عشرة، وأربع عشرة، وخمس عشرة».

(١) لم أقف عليه، وروى مسلم (١١٦٠) عن معاذة العدوية أنها سألت عائشة زوج النبي ﷺ: أكان رسول الله ﷺ يصوم من كل شهر ثلاثة أيام؟ قالت: نعم، فقلت لها: من أي أيام الشهر كان يصوم؟ قالت: لم يكن يبالي من أي أيام الشهر يصوم.

وروى النسائي (٢٣٦٨) عن عبد الله بن مسعود قال: «كان رسول الله ﷺ يصوم ثلاثة أيام من غُرَّة كلِّ شهرٍ».

(٢) روى الترمذي (٧٤٦) عن عائشة قالت: «كان رسول الله ﷺ يصوم من الشهر السبت والأحد والاثنين، ومن الشهر الآخر الثلاثاء والأربعاء والخميس». وقال: هذا حديث حسن.

(٣) روى النسائي (٢٤١٤) عن ابن عمر: «أن رسول الله ﷺ كان يصوم ثلاثة أيام من كل شهر؛ يوم الاثنين من أول الشهر، والخميس الذي يليه، ثم الخميس الذي يليه».

(٤) روى النسائي (٢٤١٩) عن أم سلمة قالت: «كان رسول الله ﷺ يأمر بصيام ثلاثة أيام؛ أول خميس والاثنين والاثنين».

(٥) تقدم برقم: (١٤١٢).

١٥٢٢ـ (م): أمُّ سلمةَ رضيَ اللهُ عنها: «ثلاثٌ للثَّيِّبِ، وسبعٌ للبِكْرِ». [م: ١٤٦٠]

* قد تقدَّمَ الكلامُ عليه في البابِ الثَّاني في قولِه عليه السَّلامُ[1]: «إنَّه ليس بك على أهلِك هَوَانٌ».

١٥٢٣ـ (ق): أنسٌ رضيَ اللهُ عنه: «ثلاثٌ مَن كُنَّ فيهِ وجَدَ حلاوَةَ الإيمَانِ: مَن كانَ اللهُ ورسولُهُ أحبَّ إليهِ ممَّا سِواهُما، وأنْ يُحِبَّ المرءَ لا يُحِبُّهُ إلَّا للهِ، وأنْ يكرَهَ أنْ يعُودَ في الكُفرِ بعدَ أنْ[2] أنقَذَهُ اللهُ منهُ كمَا يكرَهُ أنْ يُقْذَفَ في النَّارِ». [خ: ١٦] [م: ٤٣]

* مِن النَّاسِ مَن قالَ: أرادَ الشَّارعُ صلواتُ اللهِ عليه من الحلاوةِ: اللذَّةَ، وعبَّرَ عنها **بالحلاوةِ**؛ لأنَّها أظهرُ اللَّذائذِ، وليس ببعيدٍ، لكن يحتاجُ فيه إلى أنْ يُقالَ: شبَّهَ اللَّذَّةَ العقليَّةَ بالحلاوةِ التي هي محسُوسةٌ، فكانَ تشبيه معقولٍ بمحسُوسٍ، ثمَّ حذفَ المشبَّهَ، فكان استعارةً تصريحيَّةً، والقرينةُ هي المضافُ إليه.

وأمَّا **حبُّ العبدِ للهِ ورسُولِهِ**: فقد تقدَّمَ في هذا الشَّرحِ في البابِ الثَّالثِ في قولِه[3]: «لا يؤمنُ أحدُكم حتى أكونَ أحبَّ إليه».

وذكرَ في بعضِ الشُّروحِ أنَّه عليه السَّلامُ جمعَ في قولِه: **(ممَّا سواهما)** بين اسمِ اللهِ تعالى وبين اسمِه تحت الكنايةِ، وقد كرهَ مثلَ ذلك في قولِه في حديثِ عديٍّ: جاءَ رجلانِ إلى النَّبيِّ عليه السَّلامُ فخطبا، فقالَ أحدُهما: مَن يُطعِ اللهَ ورسولَه

---

(١) تقدم برقم: (٤٦٤).

(٢) في (ب): «إذ».

(٣) تقدم برقم: (٦٤١).

فقد رشدَ، ومَن يعصِهما فقد غوَى، فقالَ عليه السَّلامُ: «قُمْ، فبِئْسَ خطيبُ القومِ أنتَ»[١]، ووجهُ التَّوفيقِ هو أنَّ في قولِه: (ومَن يعصِهما) سوى الجمعِ بينَ الاسمَين شيئًا آخرَ، وهو المعنى المفضِي إلى التَّسويةِ والتَّشريكِ في أمرِ الطَّاعةِ والعصيان، ومِن حقِّ التَّوحيدِ أنْ يُفرِدَ ذكرَه سبحانَه وتعالى في حقِّ الرُّبوبيَّةِ وأحكامِ العبادةِ ثمَّ يزيدَ عليه ذكرَ رسولِه.

وقولُه: (ممَّا سواهُما) يشابهُ قولَ القائلِ: ومَن يعصِهما، ولا يُشاكِلُه في المعنى المفضِي إلى التَّسويةِ والتَّشريكِ في حقِّ الرُّبوبيَّةِ وأحكامِ العبادةِ.

وممَّا يقربُ في المعنى من حديثِ أنسٍ هذا حديثُ أبي هريرةَ رضي الله عنه في قضيَّةِ[٢] الأنصارِ يومَ الفتحِ: «فإنَّ اللهَ ورسولَه يصدِّقانِكُم ويعذُرانِكُم»[٣]، وذلك يؤيِّدُ ما ذكَرْنا ويُوهِنُ قولَ مَن يرى[٤] وجهَ الكراهةِ في حديثِ عديٍّ: إدخالَ الاسمَين تحت حرفِ الكنايةِ لا غيرُ، إلى هذا مقتضَى كلامِه.

وقيل: فيه نظرٌ؛ لأنَّ التَّشريكَ قد لا ينتفِي بإفرادِ كلِّ واحدٍ من الشَّيئين في الذِّكرِ، أَلَا ترى لو قالَ كافرٌ: اللهُ والصَّنمُ ربِّي، كانَ مشركًا[٥]؟ والطَّاعةُ للنَّبيِّ عليه السَّلامُ ذُكِرَتْ في الكتابِ كأنَّها عينُ طاعةِ اللهِ تعالى في قولِه تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ﴾ [النساء: ٨٠]، ولم يكنْ محذورًا فضلًا عن ذكرِهما بلفظِ التَّثنيةِ.

وأقولُ: وجهُ الكراهةِ في حديثِ عديٍّ رضي الله عنه أنَّ الخطيبَ تركَ مقتضَى

---

(١) رواه مسلم (٨٧٠).

(٢) في (ص): «قصة».

(٣) رواه مسلم (١٧٨٠).

(٤) في (ص): «رأى».

(٥) «مشركًا»: ليست في (ب).

الحالِ إلى مقتضَى الظَّاهرِ، وذلك يُنافي البلاغةَ المطلوبةَ في الخطبِ، ولهذا قالَ عليه السَّلامُ: (بئسَ خطيبُ القومِ)، تعرَّضَ لخطابتِه في الذَّمِّ.

وبيانُ ذلك: أنَّ ذكرَ اللهِ ورسولِه لما تقدَّمَ في قوله: ﴿مَنْ يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ كانَ مقتَضَى الظَّاهرِ ما فعلَه من ذِكرِ الضَّميرِ، ولكنَّ الحالَ كانت تقتضِي أنْ يذكُرَ كلًّا منهما بلفظٍ على حِدَةٍ؛ تقويةً لداعِي التَّحذيرِ عن الوقوعِ في معصيةِ اللهِ ورسولِه، كما إذا قالَ: الخليفةُ أميرُ المؤمنينَ يرسمُ بكذا[1] بدلَ قولِه: أنا أرسمُ بكذا، واللهُ أعلمُ.

والعودُ في الكفرِ: عبارةٌ عن الارتدادِ.

١٥٢٤ـ (م): أَبُو مالكٍ الأشعريُّ رضيَ اللهُ عنه: «أربَعٌ في أُمَّتي مِن أمرِ الجاهلِيَّةِ لا يَترُكُونهُنَّ: الفَخرُ بالأحسَابِ، والطَّعنُ في الأنسَابِ، والاستسقَاءُ بالنُّجُومِ، والنِّياحَةُ». [م: ٩٣٤]

* (**أمرِ الجاهلِيَّةِ**) هو ما كانوا عليها قبلَ الإسلامِ مِن الجهلِ باللهِ ورسولِه، وشرائعِ الدِّينِ، والكِبْرِ والتَّجبُّرِ، وغيرِها.

ومعنى: (**لا يتركُونهُنَّ**[2]) غالبًا.

و(**الفَخرُ بالأحسَابِ**) هو الافتخارُ بالآباءِ الكبراءِ والرُّؤساءِ، و(**الحَسَبُ**)[3] ما يعُدُّه الإنسانُ من مآثرِه ومآثرِ آبائِه.

و(**الطَّعنُ في الأنسَابِ**) احتقارُها وعَيْبُها.

---

(١) في (ن) و(م): «كذا».

(٢) في (ب): «ومعنى لا يتركونها لا يتركونها».

(٣) في (ن) زيادة: «فإن»، وفي (ص) و(م): «فإن الحسب».

و(الاستسقَاءُ) طلبُ السَّقي، وكأنَّهم كانوا يسألونَ من النُّجومِ أنْ تسقيَهم؛ بناءً على اعتقادِهم الفاسدِ من تأثيرِ النُّجومِ في الكائناتِ[١]، وقيلَ: (الاستسقَاءُ بالنُّجُومِ) قولُهُم: مُطِرْنا بنوءِ كذا، وقد تقدَّمَ الكلامُ في ذلك في البابِ الخامسِ في قولِه[٢]: «ما أنزلَ اللهُ من السَّماءِ من بركةٍ إلَّا أصبحَ فريقٌ من النَّاسِ بها كافرين».

و(النِّيَاحَةُ) هي الإبكاءُ على الميتِ بذِكْرِ محاسنِه.

وفي الحديثِ دلالةٌ على تحريمِ هذه الأمورِ.

١٥٢٥ـ (ق): عبدُ اللهِ بنُ عَمرٍو رضيَ اللهُ عنه: «أربعٌ مَنْ كنَّ فيهِ كانَ مُنافقًا خالصًا، ومَن كانَت فيهِ خَصْلةٌ منهنَّ كانَتْ فيهِ خَصْلةٌ مِن النِّفاقِ حتَّى يَدَعَهَا: إذا اؤْتُمِنَ خانَ، وإذا حدَّثَ كذَبَ، وإذا عاهَدَ غدَرَ، وإذا خاصَمَ فجَرَ». [خ: ٣٤] [م: ٥٨]

* **الخَصْلةُ**: الخلَّةُ، وفي لفظٍ[٣]: «خلَّةٌ»[٤]، **والخيانةُ**: ضدُّ الأمانةِ، **والغدرُ**: تركُ الوفاءِ.

وأصلُ **الفجورِ**: الميلُ عن القصدِ.

وقولُه: (**إذا خاصَمَ فجَرَ**) أي: مالَ عن الحقِّ، وقالَ الباطلَ وكذبَ.

واستشكلَ جماعةٌ من أهلِ العلمِ هذا الحديثَ، قالَ: هذه الخصالُ[٥] قد

---

(١) في (م): «الكنايات».

(٢) تقدم برقم: (٨٨٥).

(٣) في (ن) زيادة: «الحديث».

(٤) عند مسلم (٥٨).

(٥) في (ن): «الخصلة».

تُوجَدُ في المسلمِ المصدِّقِ الذي ليس فيه شكٌّ، وقد أجمعَ العلماءُ على أنَّ مَن كانَ مُصدِّقًا بقلبِه مُقرًّا بلسانِه، وفعلَ هذه الخصالَ، لا يُحكَمُ عليه بكفرٍ، ولا هو منافقٌ يُخلَّدُ في النَّارِ.

وقال جماعةٌ منهم: المرادُ به: المنافقونَ الذين كانوا في زمنِ النبيِّ عليه السَّلامُ، فحدَّثوا بإيمانِهم فكذبُوا، وائتُمِنوا على دينِهم فخانوا، ووعدُوا في أمرِ الدِّينِ ونصرِه فأخلَفُوا، وفَجَرُوا في خصُوماتِهم، وهو قولُ سعيدِ بنِ جبيرٍ وعطاءِ بنِ أبي رباحٍ، ورجعَ إليه الحسنُ البصريُّ بعد أنْ كانَ على خلافِه، وهو مرويٌّ عن ابنِ عبَّاسٍ وابنِ عمرَ رضي الله عنهم، وروياه أيضًا عن النَّبيِّ ﷺ[1]، وعلى هذا لا إشكالَ ولا اعتمادَ على غيرِه ممَّا ذكرَ في الجوابِ.

فإنْ قيل: الاعتبارُ لعمومِ[2] اللَّفظِ دون خصوصِ السَّببِ.

أُجِيبَ: بأنَّ ذلك في مقامِ الاستدلالِ على الأحكامِ الشَّرعيَّةِ، لا في بيانِ الاصطلاحِ، سلَّمناه، لكن إذا لم يكن العدولُ من الخصُوصِ إلى العمومِ لمعنًى غيرِ تعميمِ الحكمِ، أمَّا إذا كانَ فإنَّه يمنعُ اعتبارَ العمومِ، وما نحن فيه ليس كذلك؛ فإنَّه عليه السَّلامُ صارَ إلى العمومِ لغيرِ معنى التَّعميمِ لمعانٍ:

منها: أنَّ منهم مَن علمَ ﷺ أو توقَّعَ أنَّه سيتوبُ عن نفاقِه، فلم يردْ ثَبْتَه في جريدَةِ المنافقينَ وتشهيرَه بهذا الاسمِ.

ومنها: أنَّ عدمَ التَّعيينِ أدلُّ على شفقتِه عليه السَّلامُ.

ومنها: أنْ لا ييئسُوا عمَّا يُنافقونَ لأجلِه، فيُظهِرُوا المخاصمةَ، ويلتحقُوا بالمحارِبين.

---

(١) انظر: «شرح النووي على مسلم» (٢/ ٤٧)، و«سنن الترمذي» (٥/ ١٩) تحت رقم: (٢٦٣٢).

(٢) في (ص) و(ك): «بعموم».

ومنها: التَّحذيرُ للمسلمين أنْ يعتادُوا هذه الخصالَ التي يخافُ عليهم منها.

وعلى هذا ما ذكرَه بعضُهم أنَّ معناه: التَّشبيهُ؛ يعني: أنَّ هذه الخصالَ خصالُ نفاقٍ، وصاحبُها[1] يُشبِهُ المنافقينَ في هذه الخصالِ، ومتخلِّقٌ بأخلاقِهم؛ فإنَّ النِّفاقَ إظهارُ ما بطنَ[2] خلافُه، وهذا المعنى موجودٌ في صاحبِ هذه الخصالِ، ويكونُ نفاقُه في حقِّ مَن حدَّثَه ووعدَه وائتمَنَه وخاصمَه وعاهدَه من النَّاسِ، لا أنَّه منافقٌ في الإسلامِ، فيظهرُه وهو يُبْطِنُ الكفرَ.

ولم يردْ عليه السَّلامُ بهذا أنَّه منافقٌ نفاقَ الكفَّارِ المخلَّدينَ في الدَّركِ الأسفلِ من النَّارِ، وكانَ معنى قولِه: (**مُنافقًا خالصًا**) شديدَ الشَّبهِ بالمنافقينَ بسببِ هذه الخصالِ، لا يُعوَّل عليه؛ **لوجوهٍ**:

الأوَّلُ: أنَّ ذلك رواه الصَّحابةُ[3] رضي الله عنهم عن النبيِّ ﷺ، وتابعَهم التَّابعون فيه.

الثَّاني: أنَّه قال: النِّفاقُ: إظهارُ ما يبطنُ خلافَه، وهذا المعنى موجودٌ في صاحبِ هذه الخصالِ يقتضِي أنْ يكونَ منافقًا، لا شبيهًا به، وإنْ أرادَ ما يبطنُ خلافَه من الكفرِ؛ فقد اختلَّ كلامُه بتركِ ما هو العمدةُ فيه.

الثَّالثُ: أنَّ قولَه: ويكونُ نفاقُه... إلى آخرِه: اعترافٌ بكونِه نفاقًا بعد قولِه بالتَّشبيهِ.

الرَّابعُ: أنَّ قولَه: (**ومَن كانَتْ فيه خَصْلةٌ منهنَّ كانَتْ فيه خَصْلةٌ مِن النِّفاقِ**)

---

(١) في (م) و(ك): «وصاحبه».

(٢) في (ن) و(ص) و(م): «ما يبطن».

(٣) في (ن) و(م): «الصحابي».

يقتَضِي أنْ يكونَ معناه[١]: كانَتْ فيه خصلةٌ شبيهةٌ لخصالِ النِّفاقِ، وهو لا يتجزَّأُ.

الخامسُ: أنَّ تفسيرَ قولِه: نفاقًا خالصًا، بقولِه: شديدَ الشَّبهِ بالمنافقينَ؛ غيرُ صحيحٍ.

فإن قيل[٢]: جاءَ في روايةٍ أخرى عن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنه: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ: «آيةُ المنافق ثلاثٌ: إذا حدَّثَ كذبَ، وإذا وعدَ أخلَفَ، وإذا اؤتُمِنَ خانَ»[٣]، فما التَّوفيقُ بينهما؟

أُجِيبَ: بأنَّ المرادَ بحديثِ أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنه: غيرُ الخالصِ القريبِ إليه، وبحديثِ عبدِ اللهِ رضيَ اللهُ عنه: الخالصُ منه، كما يدلُّ عليه لفظُه.

فإنْ قيلَ: كانَ الواجبُ أنْ يكونَ الخالصُ مَن كانَ على خمسٍ من الخصائلِ؛ فإنَّه ذكرَ في حديثِ أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنه: «وإذا وعدَ أخلَفَ»، ولم يذكرْه في حديثِ عبدِ اللهِ؟

أُجِيبَ: بأنَّ قولَه: (**وإذَا عاهَدَ غدَرَ**) هو في معنى: (إذا وعدَ أخلفَ)، ذُكِرَ أحدُهما في حديثِ أبي هريرةَ، والآخرُ في حديثِ عبدِ اللهِ، فكانَ أربعًا.

١٥٢٦ـ (ق): طلحةُ بنُ عُبيدِ اللهِ رضيَ اللهُ عنه: «خمسُ صلوَاتٍ في اليومِ واللَّيلةِ». [خ: ٤٦] [م: ١١]

قالَهُ لرجُلٍ سألَهُ عن الإسلامِ، فقالَ: هل عليَّ غيرُهُنَّ؟ فقالَ: «لا، إلَّا أنْ تَطَوَّعَ»،

(١) في (ص): «معنى».

(٢) في (ن) و(م) زيادة: «قد».

(٣) رواه البخاري (٣٣)، ومسلم (٥٩).

[وَسَأَلَهُ عَنِ الصَّوْمِ؟]، قالَ: «وصِيَامُ شهرِ رمضَانَ»، فقالَ: هل عليَّ غيرُهُ؟ فقالَ: «لا، إلَّا أنْ تَطَّوَّعَ»، وذكرَ له رسُولُ اللهِ ﷺ الزَّكاةَ، فقالَ: هلْ عليَّ غيرُهَا؟ فقالَ: «لَا، إلَّا أنْ تَطَّوَّعَ»، فأدبَرَ الرَّجلُ وهو يقولُ: واللهِ لا أزيدُ على هذَا ولا أُنقِصُ منهُ، فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «أَفْلَحَ إنْ صَدَقَ».

ويُروى: «أفلَحَ وأبِيهِ إنْ صَدَقَ»، أو: «دخَلَ الجنَّةَ وأبيهِ إنْ صَدَقَ».

* قال: جاء رجلٌ إلى النبيِّ ﷺ من أهلِ نجدٍ ثائرَ الرَّأسِ، نسمعُ دويَّ صوتِه، ولا نفقَهُ ما يقولُ، حتى دنا من رسولِ اللهِ ﷺ، فإذا هو يسألُ عن الإسلامِ، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «خمسُ صلوَاتٍ في اليومِ واللَّيلةِ...» إلى آخرِه.

(ثائرَ) بالثَّاء المثلَّثةِ: قائمٌ شعرُه مُنتَفِشٌ.

(نَسمعُ) و(نَفْقَه) رُوي بفتحِ النُّونِ هو المشهورُ، ورُوي بياءٍ مثنَّاة تحت مضمُومةٍ.

و(الدَّوِيُّ) بفتحِ الدَّال وكسرِ الواو، ورُوي بضمِّ الدَّالِ، وهو شدَّةُ صوتٍ لا يُفهَمُ[١].

وقولُه: (إلَّا أنْ تَطَّوَّعَ) المشهورُ فيه تشديدُ الطَّاءِ على إدغامِ إحدى التَّاءين في الطَّاءِ، والاستثناءُ: منقطعٌ، ومن الفقهاءِ مَن جعلَه متَّصلًا، واستدلَّ به على وجُوبِ النَّفلِ بالشُّروعِ فيه، وهو مذهبُ أصحابِنا رحمَهم اللهُ.

وقولُه: (أفلَحَ إنْ صَدَقَ) قيلَ: هو متعلِّقٌ بقولِه: (لا أُنقِص) خاصَّةً، وقيل: بالمجموعِ، ومعناه: أنَّه إذا لم يُنقِصْ ولم يَزِدْ أفلحَ، فإذا لم يُنقِصْ وزادَ فهو أَوْلى بالفلاحِ.

---

(١) انظر: «غريب الحديث» لابن الجوزي (١/ ٣٥٣).

فإن قيلَ: كيف قالَ: (**لا أزيدُ على هذا**)، ولم يكنْ في الحديثِ ذِكرُ جميعِ الواجباتِ؟

أُجِيبَ: بأنَّه جاءَ في روايةِ البخاريِّ في آخرِ هذا الحديثِ زيادةٌ توضِّحُ المقصُودَ؛ فإنَّه قالَ: وأخبرَه رسولُ اللهِ ﷺ بشرائعِ الإسلامِ، فأدبرَ الرَّجلُ وهو يقولُ...[١].

وقيل: معناه: لا أزيدُ بتغييرِ صفةِ الفرضِ بأن أُصلِّيَ الظُّهرَ خمسًا، وهو بعيدٌ.

وقيل: معناه: لا أزيدُ من النَّوافلِ شيئًا، وهو مفلحٌ بإتيانِ الفرائضِ وإنْ كانَ تَرْكُ السُّننِ مذمُومًا.

وأقولُ: أسندَ الزِّيادةَ والنُّقصانَ إلى نفسِه، وهو صحيحٌ؛ لأنَّه ليسَ بقادرٍ على شيءٍ من ذلك، وأمَّا أنَّه إذا تركَ آيةً في فرضيَّةِ أمرٍ، أو نسْخِ فرضٍ، أو أمرَ الرَّسولَ بذلك، فليسَ ذلك بداخلٍ في كلامِهِ.

ومِن النَّاسِ مَن استدلَّ بالحديثِ على عدمِ وجوبِ الوترِ؛ فإنَّه عليه السَّلامُ لم يذكُرْه؛ وهو فاسدٌ؛ لجوازِ أنَّه لم يكنْ فرضًا في ذلك الوقتِ كالحجِّ، فإنَّه لم يُذكَرْ في الحديثِ، ولأنَّ الكلامَ في الواجبِ علمًا، وهو الفرضُ، والوترُ ليسَ مِن ذلك.

وأمَّا الجوابُ عن الحلفِ بأبيه مع النَّهي عن الحلفِ بغيرِ اللهِ فقد تقدَّمَ[٢].

وفيه: أنَّ وجوبَ صلاةِ اللَّيلِ منسُوخٌ، وهو في حقِّ الأمَّةِ بالاتِّفاقِ[٣]، وأمَّا في حقِّه عليه السَّلامُ فقد اختُلِفَ فيه.

وفيه: نسخُ صومِ عاشوراءَ.

---

(١) رواه البخاري (٤٦).

(٢) تقدم برقم: (٥٤٢).

(٣) انظر: «شرح النووي على مسلم» (١/ ١٦٨).

وفيه: أنْ لا حقَّ في المالِ سوى الزَّكاةِ، وأمَّا صدقةُ الفطرِ فليسَتْ بفرضٍ.

١٥٢٧ـ (ق): عائشةُ رضيَ اللهُ عنها: «خمسٌ منَ الدَّوابِّ كلُّهُنَّ فاسِقٌ يُقتَلْنَ في الحِلِّ والحَرَمِ: الغُرَابُ، والحِدَأةُ، والعَقرَبُ، والفَأرَةُ، والكَلْبُ العقُورُ».
[خ: ١٧٣٢] [م: ١١٩٨]

* هذا الحديث رُوي بألفاظٍ، فمنها: ما ذُكر في الكتابِ.

ومنها: ما رَوَتْ أنَّه عليه السَّلامُ قال: «أربعٌ كلُّهُنَّ فاسِقٌ[(١)]»[(٢)]، وذكرت هذه الأشياءَ إلَّا (العَقرَب).

ومنها: ما رَوَتْ أنَّها خمسُ فواسقٍ، وذكرت: (الحيَّة) في موضعٍ: (العقرب)[(٣)]، وذكر في لفظٍ آخرَ: «والغرابُ الأَبْقَع[(٤)]»[(٥)]، فالمنصوصُ عليه ستٌّ: الغرابُ الأبقَعُ، والحِدَأةُ، والحيَّةُ، والعقربُ، والكلبُ العَقُورُ، والفأرةُ، فهذه الأشياءُ يحلُّ قَتلُها في الحِلِّ والحَرمِ، وزادَ أصحابُنا الحنفيَّةُ: الذِّئبَ[(٦)]، لا بطريقِ الإلحاقِ بل باعتبارِ أنَّه وجَدُوه في روايةٍ[(٧)]، فيكونُ عملًا بها، وما عدا ذلك ممَّا لا يُؤكَلُ لحمُه من الصَّيدِ

---

(١) في هامش (ك): في نسخة: «فواسق».

(٢) رواه مسلم (١١٩٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) رواه مسلم (١١٩٨)، والنسائي (٢٨٨٢)، وابن ماجه (٣٠٨٧)، وأحمد في «مسنده» (٢٤٦٦١).

(٤) قيل للغراب: الأبقع، إذا كان فيه بياض. انظر: «غريب الحديث» لأبي عبيد (٥/ ٢٣٢).

(٥) هي في الرواية السابقة.

(٦) انظر: «البناية شرح الهداية» للعيني (٤/ ٣٩٢).

(٧) رواه الطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٣٧٥٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وانظر: «نصب الراية» للزيلعي (٣/ ١٣٦).

كالسِّباعِ ونحوها، فعلى القاتلِ المحرمِ الجزاءُ؛ لأنَّه صيدٌ، فيكونُ على المحرمِ حرامًا، ولم يستثْنِه الشَّرعُ كالفواسقِ، ولا يجوزُ القياسُ عليها؛ لِمَا فيه من إبطالِ العددِ، ولا الإلحاقُ بالدَّلالةِ؛ لأنَّه ليس في معناها، لتلبُّسها بالآدميِّ دونه، إلَّا إذا صالَ على المحرِمِ فقتلَه؛ فإنَّه لا شيءَ عليه(١).

فإن قيلَ: ما معنى قولِ الحنفيَّةِ في كتبِهم: الخمسُ الفواسقُ، وهم يستحلُّون قتلَ أكثرَ من ذلك؟

أُجيبَ: بأنَّه ذكرَ الرِّوايةَ المشهورةَ لا غيرُ، وأمَّا عملُهم فإنَّما هو بجميعِ ما استثناه الشَّرعُ كما ذُكِرَ آنفًا.

قولُه: (**خمسٌ فواسقٌ**) رُوِيَ بتنوينِ: (خمسٌ)، وهو المشهورُ، ورُوِي بالإضافةِ.
قيلَ: وبين التَّنوينِ والإضافةِ فرقٌ دقيقٌ في المعنى، وذلك أنَّ الإضافةَ تقتضِي الحكمَ على خمسٍ من الفواسقِ بالقتلِ، وربما أشعرَ التَّخصِيصُ بخلافِ الحكمِ في غيرِها بطريقِ المفهومِ، أمَّا مع التَّنوينِ فإنَّه يقتضِي وصفَ الخمسِ بالفسْقِ من جهةِ المعنى، وقد يُشعِرُ بأنَّ الحكمَ المرتَّبَ على ذلك ـ وهو القتلُ ـ معلَّلٌ بما جُعِلَ وصفًا، وهو الفِسقُ، فيقتضِي ذلك التَّعميمَ لكلِّ فاسقٍ من الدَّوابِّ، وهو ضدُّ ما اقتضاه الأوَّلُ من المفهومِ، وهو التَّخصِيصُ.

---

(١) في «الهداية في شرح بداية المبتدي» للمرغيناني (١/ ١٦٩): وإن اضطر المُحرم إلى قتل صيد فقتله فعليه الجزاء.

وعند المالكية قال في «الإشراف على نكت مسائل الخلاف» لعبد الوهاب المالكي (١/ ٥٠١): إذا صال الصيد على المحرم فقتله دفعًا عن نفسه فلا جزاء عليه.

وفي «أحكام القرآن» للكيا الهراسي الشافعي (٣/ ١٠٥): الصيد إذا صال على المُحرم وقتله دفعًا عن نفسه فلا ضمان.

وأقولُ: كلامٌ حسنٌ، لكن لا يتعلَّقُ بما نحن فيه؛ لأنَّ التَّعميمَ ليسَ من حيث اللَّفظُ لا محالةَ، فيكونُ من حيث التَّعديةُ، وقد تبيَّنَ بطلانُه آنفًا.

١٥٢٨ـ (ق): أَبو هُريرةَ رضي الله عنه: «سبعةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ في ظلِّهِ يومَ لا ظلَّ إلَّا ظلُّهُ: إمامٌ عَدلٌ، وشابٌّ نشأَ في عبادَةِ اللهِ، ورجُلٌ قلبُهُ مُعلَّقٌ بالمساجِدِ، ورجلَانِ تحابَّا في اللهِ اجتمَعَا عليهِ وتفرَّقَا عليه، ورجُلٌ دَعتهُ امرأَةٌ ذاتُ منصِبٍ وجمالٍ، فقالَ: إنِّي أخافُ اللهَ، ورجُلٌ تصدَّقَ بصدقَةٍ، فأخفَاهَا حتَّى لا تعلَمَ شمالُهُ ما تنفِقُ يمينُهُ، ورجُلٌ ذكَرَ اللهَ خاليًا ففاضَتْ عيناهُ». [خ: ٦٢٩] [م: ١٠٣١]

*حقيقةُ **(الظِّل)** معلومةٌ، وأرادَها مَن قالَ: معنى الحديثِ: في ظلِّ العرشِ، كما جاءَ في حديثٍ آخرَ(١)؛ يعني: يومَ القيامةِ إذا قامَ النَّاسُ لربِّ العالمينَ، ودنَتْ منهم الشَّمسُ، واشتدَّ عليهم حرُّها، وأخذَهم العَرقُ، فلا ظلَّ هناك إلَّا ظلُّ العرشِ.

وقيل: المرادُ به: نعيمُ الجنَّةِ، والكونُ فيها كما قالَ تعالى: ﴿وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ [النساء: ٥٧]، وقيلَ: المرادُ به: الكنفُ، يقالُ: فلانٌ في ظلِّ فلانٍ؛ أي: كَنَفِه وحمايتِه، وقيل: هو أولى الأقوالِ.

وإنَّما بدأَ **بالإمامِ العادلِ**؛ لأنَّ فضلَه مُتعدٍّ.

و**(شابٌّ نشأَ)** أي: ابتدأَ ونبتَ؛ يعني: لم يكنْ له صَبْوةٌ، وهو الذي جاءَ في الحديثِ فيه: «يعجَبُ ربُّكم(٢)...

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «العرش» (٥٦)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٩/ ٦٣) (٩١٣١)، وابن عبد البر في «التمهيد» (٢/ ٣١٢).

(٢) في (م): «ربك».

من الشَّابِّ[١] ليسَتْ له صَبْوةٌ»[٢]، وإنما يكونُ ذلك لغلبةِ التَّقوى في طبعِه.

قولُه: (ورجلٌ قلبُه معلَّقٌ بالمسَاجدِ) في أكثرِ النُّسخِ، وفي بعضِها: «في المساجدِ»[٣]، ومعناه: شديدُ الحبِّ للمَساجدِ، ملازمًا لجماعتِها، وفُسِّرَ في بعضِ الرِّوايات بقولِه عليه السَّلامُ: «إذا خرجَ منه حتَّى يعودَ إليه»[٤].

وقولُه: (ورجلَانِ تحابَّا في اللهِ) أي: اجتمَعا على حبِّ بعضِهم بعضًا لله دون أمرٍ آخرَ، أو: أنَّهما اجتمعا في حبِّهما اللهَ، فكانَ ذلك سببَ اجتماعِهما، ولم يزولا عنه حتى تفرَّقا مِن مجلسِهما ذلك، والفرقُ بين المعنيَين يُعلم بأحكامِ الحِبَّين بالنَّظرِ إلى ما تقدَّمَ في هذا الشَّرحِ في البابِ الثَّالثِ[٥].

وقولُه: (ورجُلٌ دَعتْهُ امرأةٌ ذاتُ منصِبٍ وجمَالٍ) أي: عرضَتْ عليه نفسَها للفاحشَةِ، وذاتُ المنصبِ: هي ذاتُ الحسبِ والنَّسبِ الشَّريفِ.

وقولُه: (إنِّي أخافُ اللهَ) وفي لفظٍ: «أخافُ اللهَ ربَّ العالمين»[٦]، يحتملُ أنْ

---

(١) في (ن): «من صبي».

(٢) رواه أحمد في «مسنده» (١٧٣٧١)، وأبو يعلى في «مسنده» (١٧٤٩)، والخرائطي في «اعتلال القلوب» (٥٣٧)، والطبري في «المعجم الكبير» (٨٥٣)، وابن عدي في «الكامل في ضعفاء الرجال» (٥/ ٢٤٣)، من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه.

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد» (١٠/ ٢٧٠): رواه أحمد، وأبو يعلى، والطبراني، وإسناده حسن.

(٣) عند البخاري (٦٢٩)، ومسلم (١٠٣١).

(٤) عند مسلم في المصدر السابق.

(٥) تقدم برقم: (٧٣٨).

(٦) رواه الطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (١٥/ ٧١) (٥٨٤٥)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٩/ ٦٣) (٩١٣١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧٧٣).

يكـونَ قـال ذلك باللِّسـانِ، ويحتمـلُ أنْ يكونَ قالَه فـي قلبِه؛ لزجرِ[١] نفسِـه.

وقولُه: (**ورجُلٌ تصدَّقَ...**) إلى آخرِه: قيل: هذا في التَّطوُّعِ؛ لأنَّه أقربُ إلى الإخلاصِ، وأبعدُ من الرِّياءِ، وأمَّا الزَّكاةُ[٢] فإعلانُها أفضلُ، وكذلك الصَّلاةُ المفروضَةُ، والنَّوافلُ إخفاؤُها أفضلُ.

وقولُه: (**حتَّى لا تعلَمَ شمالُهُ ما تُنفِقُ يمينُهُ**) قيل: أُريدَ به المبالغةُ في الإخفاءِ، وضربُ المثَلِ بهما؛ لقُربِ اليمينِ مِن الشِّمالِ، وملازمتِها لها، ومعناه: لو قَدَّرْتَ الشِّمالَ رجلًا مُتيقِّظًا لما علمَ بصدقةِ اليمينِ.

وقيل: المرادُ به: مَن عن يمينِه وشمالِه من النَّاسِ.

وقولُـه: (**ورجُـلٌ ذكَـرَ اللهَ خاليًـا**) أي: عـن الخلـقِ، وقيـل: عن الالتفـاتِ إلى ما سـوى اللهِ.

وفيضُ العينِ: بكاؤُه، وذلك إنَّما يكونُ بحسَبِ[٣] سلطنةِ الاسمِ الحاكمِ عليه في ذلك الوقتِ، فإنْ كانَ مِن أسماءِ الجلالِ فاضَتْ خوفًا وخشيةً وحياءً، وإنْ كانَ مِن أسماءِ الجمالِ فاضَتْ عن محبَّةٍ وشوقٍ وإدلالٍ، واللهُ أعلمُ.

١٥٢٩ـ (م): عائشةُ رضيَ اللهُ عنها: «عشرٌ منَ الفطرَةِ: قصُّ الشَّاربِ، وإعفاءُ اللِّحيةِ، والسِّواكُ، واستنشَاقُ الماءِ، وقصُّ الأظفَارِ، وغسْلُ البَرَاجِمِ، ونَتْفُ الإبطِ، وحَلْقُ العانَةِ، وانتقَاصُ الماءِ، قالَ الرَّاوي: ونَسِيتُ العاشرَةَ، إلَّا أنْ تكُونَ المضمضَةَ». [م: ٢٦١]

---

(١) في (ص): «يزجر» وفي (م) و(ك): «ليزجر».

(٢) في (ن) و(م): «وأما زكاتها».

(٣) في (ص): «بحسبه بسبب».

* قد تقدَّمَ معنى: (**الفطرَة**) و(**قصُّ الشَّاربِ**)، و(**قصُّ الأظفَارِ**) أي: تقليمُها، و(**نَتفُ الإبطِ**) و(**حلقُ العانَةِ**) وهو المعنيُّ بالاستحدادِ في البابِ السَّابعِ في قولِه عليه السَّلامُ[(١)]: «الفطرةُ خمسٌ».

ولا تنافي بين قولِه ههنا: (**عشرٌ**)، وبين قولِه هناك: «خمسٌ»؛ لاحتمالِ أنَّه عليه السَّلامُ أعلمَ بخمسٍ أوَّلًا، ثمَّ بما زادَ على ذلك.

والظَّاهرُ أنَّ: (**من**) في قولِه: (**مِنَ الفطرَةِ**) للتَّبعيضِ، ولهذا لم يذكُرْ فيها الختانَ.

و(**إعفاءُ اللِّحْيةِ**) توفيرُها وتكثيرُها، يقالُ: «أعفيتُ الشَّيءَ»: إذا أكثرتَه، و«عفا»: إذا كثُرَ[(٢)].

و(**البرَاجِمِ**) بفتح الباءِ الموحَّدةِ والجيمِ، جمع: بُرجمَة ـ بضمِّها ـ وهي عقدُ الأصابعِ، ومفاصلُها كلُّها، غسلُها[(٣)] سنَّةٌ مستقلَّةٌ ليست مختصَّةً بالوضُوءِ.

قيل: ويلحقُ به الوسَخُ المجتمعُ في الأنفِ، وفي أيِ موضعٍ كانَ من البدنِ بالعرقِ والغبارِ.

وقولُه: (**انتقَاصُ الماءِ**) بالقافِ، قالَ أبو عبيدٍ: انتقاصُ البولِ بالماءِ: هو غسلُ مذاكيرِه[(٤)]، وقيلَ: هو أنْ يغسلَ مذاكيرَه ليرتدَّ البولُ؛ لأنَّه إذا لم يغسلْ نزلَ منه شيءٌ بعدَ شيءٍ، فيعسرُ استبراؤُهُ، ولا يخلُو من أنْ يكونَ المرادُ بالماءِ: البولَ، فيكونُ المصدرُ مضافًا إلى المفعولِ، أو يكونَ المرادُ به: الماءَ الذي يغسلُ به، فيكونُ مضافًا إلى الفاعلِ على معنى: وانتقاصُ الماءِ البولَ.

---

(١) تقدم برقم: (١٣٢٢).

(٢) انظر: «مشارق الأنوار على صحاح الآثار» للقاضي عياض (٢/ ٩٧).

(٣) في (ك): «وغسلها».

(٤) انظر: «غريب الحديث» لأبي عبيد (٢/ ٣٨).

وقيل: هو بالفاء، والأوَّلُ تصحيفٌ، وهو نضحُ الماءِ على الذَّكَرِ، ذكرَ أبو داودَ في كتابِه: (الانتضاحَ)[1] بدل: (الانتقاصِ).

وقيل: هو الاستنجاءُ بالماءِ.

١٥٣٠ـ (خ): عبدُ اللهِ بنُ عَمرٍو رضي الله عنهما: «أربعُونَ خَصْلَةً أعلَاهَا منيحَةُ العَنزِ، ما مِن عامِلٍ يعمَلُ بخصلَةٍ منها رجَاءَ ثوابِهَا، وتصدِيقَ مَوعُودِهَا، إلَّا أدخلَهُ اللهُ بها الجنَّةَ». [خ: ٢٤٨٨]

* (منيحَةُ العَنزِ) أنْ يعطيَها رجلًا ينتفعُ بلبنِها زمانًا، ثمَّ يردُّها، وكذلك الضَّأنُ والنَّاقةُ، وقد يستعملُ في أرضٍ يزرَعُها ثمَّ يردُّها[2].

قال حسَّانُ بنُ عطيَّةَ ـ أحدُ الرُّواةِ ـ: فعدَدْنا ما دون منيحةِ العَنْزِ من ردِّ السَّلامِ، وتشميتِ العاطسِ، وإماطةِ الأذى عن الطَّريقِ، ونحوه[3]، فما استطعنا أنْ تبلغَ خمسةَ عشرَ خصلةً[4].

(١) رواه أبو داود (٥٤).

(٢) انظر: «مشارق الأنوار على صحاح الآثار» للقاضي عياض (١/ ٣٨٤).

(٣) في (ن): «ونحوها».

(٤) انظر: «صحيح البخاري» (٣/ ١٦٦) (٢٦٣١).

فصل

فصَلَ هذا عمَّا قبله لكونِه نوعًا آخر من الكلامِ بوقوعِ: «والذي نفسي بيدِه» في أوَّل الحديثِ.

١٥٣١ـ (م): أَبو هُريرة رضي الله عنه: «والَّذي نفسُ محمَّدٍ بيدِهِ لا يسمَعُ بي أحَدٌ مِن هذِهِ الأُمَّةِ يهودِيٌّ، ولا نصرانِيٌّ، ثُمَّ يموتُ ولا يؤمِنُ بالَّذي أُرسِلتُ بِهِ، إلَّا كانَ من أصحَابِ النَّارِ». [م: ١٥٣]

* **(الأُمَّةِ)** في اللغة: الجماعةُ[(١)]، وإذا أُطلقتْ على النَّاس في وقت نبيٍّ فقد يُراد بها: مَنْ أجابَه وآمنَ به، وهو أُمَّةُ الإجابةِ، وقد يُرادُ بها مَنْ دعاهُ النبيُّ آمنَ به أو لم يؤمنْ، ويُسَمَّى أمَّةَ الدَّعوةِ، وهي المرادةُ ههنا، ولذلكَ ذكرَ **اليهوديَّ والنَّصرانيَّ**؛ فإنَّه يكون بدلًا عن **(أحَدٍ)** أو صفةً له.

ومعناه: كلُّ مَن سمعَ بي ووصلَ إليه دعوَتِي، وتبيَّنَ له معجِزَتي، ولم يؤمنْ بي، كان من أصحابِ النَّار المخلَّدين فيها؛ لأنَّ الإيمانَ به عندَ ذلك صارَ فرضًا عليه، فمَنْ جحدَه كان كافرًا من أهلِ النَّار، خالدًا مخلَّدًا فيها.

وإنَّما ذكر (اليهوديَّ) و(النصرانيَّ) بالتَّخصيصِ؛ للتَّنبيهِ على أنَّهم إذا كان حالُهم ذلك ولهم نبيٌّ وكتابٌ، فلأنْ يكونَ حالُ غيرهم وليسَ لهم ذلك كان أَوْلى.

وفي الحديثِ: دليلٌ على أنَّ القسَمَ بالاسمِ المبهَم يُفهَمُ اللهُ[(٢)] تعالى منه جائزٌ.

قيل: وفيه دليلٌ على أنَّ مَن لم تبلغْه الدَّعوةُ لا عقابَ عليه؛ وليس بشيءٍ؛ لأنَّ المسألةَ مِن القطعيَّاتِ، وخبرُ الواحدِ لا يفيدُ القطعَ.

---

(١) انظر: «لسان العرب» لابن منظور (١٢/ ٢٨).

(٢) أي: فيه دلالة على أن المراد الله تعالى.

١٥٣٢ـ (م): أَبُو هُريرة رضي الله عنه: «والَّذي نفسُ محمَّدٍ بيدِهِ؛ ليأتيَنَّ على أحدِكُم يومٌ ولا يرَانِي، ثمَّ لأن يرَانِي أحبُّ إليهِ مِن أهلِهِ ومالِهِ مَعَهم». [م: ٢٣٦٤]

* اختلف النَّاسُ في تقديرِ هذا الحديثِ، فقال أبو إسحاقَ: عندِي أنَّ فيه التقديمَ والتأخيرَ، وتقديرُه: ليأتيَنَّ على أحدِكُم يومٌ لأنْ يراني معهم أحبُّ إليه من أهلِه ومالِه، ولا يرانِي، ولعلَّ معناه: لأنْ يَراني فيه معَ أهلِه أحبُّ إليه مِن أهلِه ومالِه حال كونِه لا يَراني(١)، وفيه تعقيدٌ لفظِيٌّ كما ترى، وتضييعٌ لمعنى (ثمَّ).

وقال(٢) القاضِي أيضًا(٣): معناه على التَّقديمِ والتَّأخيرِ، وتقديره: ليأتينَّ على أحدِكُم يومٌ لأنْ يراني معهم أحبُّ إليه من أهلِه ومالِه، ثمَّ لا يَراني.

قال: وكذا جاءَ مفسَّرًا في «مسند سعيد بنِ منصورٍ»: «ليأتينَّ على أحدِكُم يومٌ لأنْ يراني أحبُّ إليه من أنْ يكونَ له مثلُ أهلِه ومالِه ثمَّ لا يراني»(٤)، ففي هذا تقديمُ لفظ: (ثمَّ) على (لا يرانِي)، وتقديمُ: (لأنْ يرانِي) إلى آخرِه على قوله: «لا يرانِي»، ويكونُ (لأن يرَانِي) صفةُ (يوم)، والظرف محذوفٌ؛ أي: لأنْ يراني فيه، وتقديمُ: (مَعَهُم) إلى ما يلي (لأنْ يرَانِي) والتقييدُ اللفظيُّ باقٍ، وكلمةُ (ثمَّ) على التراخِي الرُّتبيِّ، وأمَّا تقديمُ: (مَعَهم) فلعلَّه ليس بواضحٍ، ويحمَلُ كلامُه على معنى: ليأتينَّ على أحدِكم يومٌ لأنْ يراني فيه أحبُّ إليه مِن أهلِه ومالِه مع أهلِه، ثمَّ لا يراني؛ أي: بعُدَتْ مرتبةُ رُؤيتي عندَ ذلك عن مرتبةِ الأهلِ والمالِ، ويكونُ صدورُ الكلامِ للحثِّ

---

(١) انظر: «شرح النووي على مسلم» (١٥/ ١١٨).

(٢) في (ب): «قال وقال».

(٣) انظر: «إكمال المعلم بفوائد مسلم» للقاضي عياض (٧/ ٣٣٦).

(٤) وانظر: «شرح النووي على مسلم» (١٥/ ١١٨).

على مجلسِه الكريم، ومشاهدَةِ أخلاقِه[١] العظيمةِ، وتعلُّمِ شرائعِه المفضِي إلى لقاء الملِك الرَّحيمِ قبلَ فواتِه[٢] فواتًا لا يمكنُ تحصيلُه.

وهو إخبارٌ عن الغيبِ، وقد وقعَ؛ فإنَّ ساعةَ موتِه اختلفَتْ[٣] الآراءُ، وتظاهرَتْ الأهواءُ، ووقعَتْ الكُرَبُ، فكلَّما وقعَ واحدٌ منهم في كربةٍ وَدَّ لو أنَّه رأى رسولَ الله ﷺ بكلِّ ما معه من أهلٍ ومالٍ ونسبٍ؛ ليذكرَ ما فاتَ من سعادَةِ[٤] مشاهدَتِه.

١٥٣٣ ـ (م): حَنظَلَةُ الأُسَيدِيُّ رضي الله عنه: «والَّذي نَفسِي بيدِه أنْ لو تدومُونَ على مَا تكونُونَ عندِي وفي الذِّكرِ؛ لصَافحَتْكُم الملائكَةُ على فرُشِكُم، وفي طُرُقِكُم، ولكِن يا حَنظَلَةُ ساعَةً وساعَةً»، ثلاثَ مرَّاتٍ. [م: ٢٧٥٠]

* قال: لقيني أبو بكرٍ رضي الله عنه، فقال: كيف أنتَ يا حنظَلةُ؟ قال: قلتُ: نافقَ حنظَلَةُ، فقال: سبحان الله! ما تقولُ؟ قال: قلتُ: نكون عندَ رسولِ الله يُذكِّرنا بالنَّارِ وبالجنَّة[٥] حتى كأنَّا رأي عينٍ، فإذا خرجنا من عندِ رسول الله عافَسْنا الأزواجَ والأولادَ والضَّيعاتِ نسينا كثيرًا. قال أبو بكرٍ: فواللهِ إنَّا لنلقَى مثلَ هذا، فانطلقْتُ أنا وأبو بكرٍ حتى دخلنا على رسولِ الله ﷺ، فقلتُ: نافقَ حنظلةُ يا رسولَ الله، فقال رسولُ الله ﷺ: «وما ذاك؟»، قلتُ: يا رسولَ الله؛ نكونُ عندك تذكِّرنا بالنَّار والجنَّةِ حتى كأنَّا رأي عينٍ، فإذا خرجْنَا مِنْ عندك

---

(١) في (ع) و(م): «خلقه».

(٢) في هامش (ك): في نسخة: «وفاته».

(٣) في (ب): «اختلف».

(٤) في (ن): «ساعة».

(٥) في (ن): «والجنة».

عافسْنَا الأزواجَ والأولادَ والضَّيعاتِ نسينا كثيرًا، فقال رسولُ الله ﷺ: **«والَّذي نفسِي بيدِه...»** إلى آخره.

قولُه: **(نافقَ حنظَلَةُ)** إنكارٌ منه على نفسِه بما وجدَ منها في غيرِ حضرة النبيِّ عليه السلام؛ مخافةَ أنْ يكونَ ذلك من النِّفاقِ، وإظهارٌ منه إرادة استدامةِ تلك الحالة التي كان يجدُها في حضرتِه ﷺ.

وقولُه: **(كأنَّا رأيَ عينٍ)** قال القاضِي رحمه الله: ضبطنَاه بنصبِ (رأيَ عينٍ) على المصدر، كأنَّه قال: كأنَّا نراهما رأيَ عينٍ[1].

وقولُه: **(عافسْنَا)** بالعينِ المهملة والفاءِ والسِّينِ المهملة، ومعناه: عالجْنا وحاولْنا[2]؛ يعني: اشتغلْنا بهذِه الأمور اشتغالًا فاقدًا لتلك الحالةِ الشريفةِ التي كانت بحضرةِ النبيِّ عليه السَّلام.

وروى الخطابيُّ: «عانسْنا» بالنُّون؛ أي: لاعبْنا، وروى القتيبيُّ[3]: «عانشْنا» بالنُّون والشِّين المعجمة؛ أي: عانقْنا. قيل: والأوَّلُ أولى روايةً ومعنًى[4].

و**(الضَّيْعَات)** جمعُ ضيعةٍ، وهي ما يكون معاشُ الرجلِ منه من مالٍ أو حرفةٍ أو صناعةٍ.

وقوله: **(ولكن يا حنظلةُ ساعةً وساعةً)** قيل: معناه: فعلى العاقلِ أنْ تكونَ له ساعاتٌ: ساعةٌ يناجِي فيها ربَّه، وساعةٌ يحاسبُ فيها نفسَه، وساعةٌ يتفكَّرُ فيها في

---

(١) انظر: «إكمال المعلم بفوائد مسلم» للقاضي عياض (٨/ ٢٤٩).

(٢) انظر: «لسان العرب» لابن منظور (٦/ ١٤٤).

(٣) في (ص): «القتبي».

(٤) انظر: «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» للقرطبي (٧/ ٦٧)، و«شرح النووي على مسلم» (١٧/ ٦٦).

صنعِ الله، وساعةٌ يخلو فيها لحاجتِه من المطعمِ والمشربِ[1]؛ فإنَّ جمعيَّةَ الإنسان تُنافي الدَّوامَ على حالةٍ من الحالات، والكاملُ الذي أكملَ اللهُ دينَه وأتمَّ عليه نعمتَه، ورضيَ له الإسلامَ دينًا، أشارَ بقوله: (ولكنْ يا حنظَلَةُ سَاعةً وسَاعةً) إلى ذلك.

١٥٣٤ـ (ق): أنسٌ رضي الله عنه: «والَّذي نَفسِي بيدِهِ؛ إنَّكُم لأحَبُّ النَّاسِ إليَّ» مرَّتينِ. [خ: ٣٥٧٥] [م: ٢٥٠٨]

يعني: الأنصارَ.

* قال: جاءَتْ امرأةٌ من الأنصار ـ وفي طريقٍ للبُخاريِّ[2]: معها أولادُها ـ إلى رسولِ الله ﷺ، فخلا بها رسولُ الله ﷺ وقال: «**والَّذي نَفسِي بيدِهِ...**» إلى آخره.

قوله: (**فخلَا بهَا**) هذه المرأة إمَّا أنْ كانت مَحْرَمًا؛ كأمِّ سليمٍ وأختها، وإمَّا أنْ يكونَ المرادُ بالخلوةِ: أنها سألته سؤالًا خفيًّا بحضرةِ ناسٍ، فلم تكُنْ خلوةً مطلقةً.

وقوله: (**إنَّكم لأحَبُّ النَّاسِ**) يقتَضِي عمومَ الناسِ، فيدخلُ فيه أبو بكرٍ وعمرَ وغيرُهما، إلَّا إذا كان الكلامُ بمحضرِ ناسٍ ليسُوا فيهم، فيكون معناه: إنَّكم أحبُّ هؤلاء الناسِ، وفي الجملةِ: ففيه بيانُ فضلِ الأنصارِ رضي الله عنهم.

١٥٣٥ـ (خ): أبُو سعيدٍ وقتادةُ بنُ النُّعمانِ رضي الله عنهما: «والَّذي نَفسِي بيدِهِ؛ إنَّها لتَعدِلُ ثُلُثَ القرآنِ». [خ: ٦٩٣٩]

يعني: سورَةَ الإخلَاصِ.

---

(١) في (ن): «والمشروب».

(٢) رواه البخاري (٦٢٦٩).

* قال: إنَّ رجلًا سمعَ رجلًا يقرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ يردِّدُها، فلمَّا أصبحَ جاء إلى النبيِّ عليه السلام، فذكر ذلك ـ وكأنَّ الرجل يتقالُّها ـ فقال رسول الله ﷺ: «والَّذي نَفسِي بيدِهِ...» إلى آخره.

وقد تقدَّم الكلام عليه في الباب الثاني في قوله[1]: «إنَّ اللهَ جزَّءَ القرآن ثلاثةَ أجزاءٍ».

١٥٣٦ـ (م): أَبـو ذرٍّ رضـي الله عنـه: «والَّـذي نفسِـي بيـدِهِ؛ لآنيتُـهُ أكثـرُ مِـن عـددِ نجـومِ السَّـماءِ وكواكِبِهـا، أَلَا فـي اللَّيلـةِ المظلمَـةِ المُصْحِيَـةِ، آنيـةُ الجنَّةِ مَن شَـرِبَ منهـا لم يظمَـأْ آخرَ مَـا عليهِ، يشـخَبُ فيـه مِيْزَابانِ مـنَ الجنَّةِ، مَن شَـرِبَ منهُ لـم يظمَـأْ، عرْضُـهُ مثـلُ طُولِهِ مـا بينَ عمَّـانَ إلـى أيْلَةَ، مـاؤُهُ أشـدُّ بياضًا مِـنَ اللَّبنِ، وأحلى مِـنَ العسَـلِ». [م: ٢٣٠٠]

قالهُ[2] حينَ قالَ: يا رسُولَ اللهِ؛ ما آنيَةُ الحوضِ؟

* قال: قلتُ: يا رسولَ الله؛ ما آنيةُ الحوضِ؟ قال: «والَّذي نفسِي بيدِهِ...» إلى آخره.

وظاهرُ الحديث يتراءى منه أنَّ جوابَه ﷺ غيرُ مطابقٍ للسُّؤال؛ لأنَّه قال: ما آنيةُ الحوضِ؟ ولم يقلْ: كم آنيةُ الحوضِ؟ ولكنَّه عليه السلام سلكَ في جوابِه أسلوبَ الحكيمِ، فقال: (**لآنيتُهُ أكثرُ**)، يعني: الذي يُحتاج إليه في معرفةِ عِظَمِ الحوضِ وتفخيمِ آنيتِه هو السؤالُ عن كمِّيتِه؛ فإنَّه هو الذي ممَّا يقضَى منه العجبُ، حتى كادَ أنْ يخرجَ من حيِّزِ الإمكانِ على ما تبيَّن.

---

(١) تقدم برقم: (٢٥٦).

(٢) في (ب) زيادة: «له».

ثمَّ أجابَ عن سؤاله بقوله: (**آنيةُ الجنَّةِ**) أي: لآنيتُه آنيةُ الجنَّة.

وقوله: (**نجومِ السَّماءِ وكواكِبِهَا**) إمَّا أنْ يكونا مترادِفَين، وإمَّا أنْ يرادَ بالنُّجومِ الصِّغارُ، وبالكواكبِ الكبارُ، أو بالعكسِ.

وقوله: (**أَلَا في اللَّيلةِ**) هي كلمةُ تنبيهٍ، وكأنَّه فُصِلَ عمَّا قبلَه استئنافًا، كأنَّ قائلًا قال: هي مثلُ نجومٍ في أيِّ وقتٍ، فإنَّها تبانُ قليلًا وكثيرًا بحسَبِ الأوقاتِ، قال: إلَّا في اللَّيلةِ التي ليسَتْ بمقمرَةٍ وليسَتْ بمتغيِّمةٍ[١]؛ فإنَّها فيها تُرى في نهايةِ الكثرةِ.

وقوله: (**آنيةُ الجنَّةِ**) خبرٌ بعد الخبرِ، وهو الجوابُ في الحقيقةِ للسُّؤال.

وقوله: (**مَن شرِبَ منها**) فصَلَه أيضًا لذلك، كأنَّ قائلًا قال: ماذا يكون حالُ من شربِ منها؟

قال: (**مَنْ شربَ منها لم يظمأْ**) أي: لم يعطشْ.

وقوله: (**آخرَ مَا عليهِ**) نصبٌ على الظَّرفِ، ويجوز أنْ يكونَ بنزعِ الخافضِ؛ أي: لم يظمأْ إلى آخرِ ما عليه من الدهورِ والأزمانِ المقدَّرة؛ فإنَّها لا نهايةَ لها، فلا تكونُ إلَّا مقدَّرة.

وقوله: (**يشخُبُ**) بالشِّين المعجمةِ والخاء المعجمةِ المضمُومة أو المفتوحَةِ، والشَّخبُ: السَّيلانُ[٢]، وأصله: ما يخرجُ من تحتِ يدِ الحالبِ عند كلِّ غمزةٍ وعصرةٍ لضرعِ الشَّاةِ[٣].

والمئزاب: مهموزٌ، وقد تُقلَبُ ياءً.

---

(١) في (ن): «بمتغمية».

(٢) انظر: «المحكم والمحيط الأعظم» لابن سيده (٥/ ٣٤).

(٣) انظر: «لسان العرب» لابن منظور (١/ ٤٨٥).

وفُصِلَ (**يشخُبُ**) عمَّا قبله للاستئناف، كأنَّ قائلًا قال: فهذه صفةُ الآنية، فما صفةُ الحوضِ؟ قال: (**يشخبُ فيه ميزابان من الجنَّة، مَنْ شرب منه لم يظمأْ**)، ولا يُظنَّ فيه تكرارٌ، فلعلَّه إشارةٌ إلى أنَّ مَن شرِبَ منه بالأواني لم يظمَأْ، ومَن شربَ مِن الحوضِ بغيرِها كالاغترافِ ونحوه لم يظمأْ أيضًا.

وفُصِلَ قولُه: (**عرْضُهُ مثلُ طُولِهِ**) أيضًا للاستئنافِ، كأنَّ قائلًا قال: فما طولُه وعرضُه؟ قال: (**عرْضُهُ مثلُ طُولِهِ**).

وقد تقدَّم الكلام على الحوضِ واختلافِ رواياتِه في البابِ الثاني[1]، فلا نعيدُه.

١٥٣٧ـ (ق): أَبو هُريرة رضي الله عنه: «والَّذي نفسِي بيدِهِ؛ لأذُودَنَّ رجالًا عَن حَوضِي، كمَا تُذادُ الغريبةُ مِن الإبلِ عنِ الحَوضِ». [خ: ٢٢٣٨] [م: ٢٣٠٢]

* وقد تقدَّم الكلام عليه في البابِ الثاني في قوله عليه السَّلام[2]: «إنَّ حوضِيَ لأبعدُ مِن أَيْلةَ إلى عدنٍ».

١٥٣٨ـ (م): أَبو هُريرةَ رضي الله عنه: «والَّذِي نفسِي بيدِهِ؛ لا تدخُلونَ الجنَّة حتَّى تؤمنُوا، ولا تؤمنُونَ حتَّى تحابُّوا، أَوَلا أدلُّكُم على شيءٍ إذا فعلتُمُوهُ تحابَبْتُم؟ أفشُوا السَّلامَ بينكُم». [م: ٥٤]

* قوله: (**لا تدخُلونَ الجنَّة حتَّى تؤمنُوا**) على ظاهرِه؛ فإنَّ الإيمانَ شرطُ دخول الجنَّة.

---

(١) تقدم برقم: (٣١٣).

(٢) تقدم برقم: (٣٣٠).

وأما قوله: (**ولا تؤمِنُونَ حتَّى تحابُّوا**) فيحتاجُ إلى التَّأويلِ؛ لأنَّ التَّحابَّ ليس بشرطٍ للإيمانِ، ولا داخلٍ فيه، فقيل: معناه: لا يكملُ إيمانُكم حتى تحابُّوا، وقيل: لا يصلحُ حالُكم في الإيمانِ حتى تحابُّوا، ثمَّ عرضَ لهم بما يدلُّ على شيءٍ يوجِبُ فعلُه التَّحابَّ رأفةً على أمَّتِه، فقالوا: نعم.

قال: (**أفشُوا السَّلامَ بينكُم**) والإفشاءُ يكون بشيئين: بإسماعِه المسلَّمَ عليه، وبأنْ يُسلِّمَ على مَن يعرفُ وعلى مَن لا يعرفُ، وهو مفتاحُ استجلابِ المحبَّةِ، ورفعُ غبارٍ وتهاجرٍ إنْ وقعَ بين المتحابِّين.

١٥٣٩ـ (خ): أَبُو هُريرةَ رضي الله عنه: «والَّذي نفسِي بيدِهِ لا يؤمِنُ أحدُكُم حتَّى أكُونَ أحبَّ إليهِ مِن ولدِهِ، ووالدِهِ[1] ». [خ: ١٤]

* وقد تقدَّم الكلامُ عليه في البابِ الثالثِ في قوله عليه السَّلام[2]: «**لا يؤمِنُ أحدُكم**».

١٥٤٠ـ (م): أنسٌ رضي الله عنه: «والَّذي نفسِي بيدِهِ؛ لا يؤمِنُ عبدٌ حتَّى يُحبَّ لجارِهِ، أو لأخِيهِ، ما يُحبُّ لنفسِهِ». [م: ٤٥]

* وقد تقدَّم هذا أيضًا في ذلك البابِ[3].

---

(١) في (ب): «والد وولده».

(٢) تقدم برقم: (٦٤١).

(٣) تقدم برقم: (٦٤٢).

١٥٤١ـ (م): أَبُو هُرَيرةَ رضي الله عنه: «والَّذي نفسِي بيدِهِ؛ لتُسْأَلُنَّ عن هذَا النَّعيمِ يومَ القيامَةِ، أخرجَكُم من بيوتِكُم الجُوعُ، ثمَّ لم ترجِعُوا حتَّى أصابَكُم هذَا النَّعيمُ». [م: ٢٠٣٨]

قالَهُ لأبي بكرٍ وعُمرَ رضي الله عنهما.

* وقد تقدَّم الكلامُ عليه أيضًا في قوله عليه السلام[1]: «إيَّاك والحلوب».

١٥٤٢ـ (م): أنسٌ رضي الله عنه: «والَّذي نفسِي بيدِهِ لتضربُونَهُ إذا صدقَكُمْ، ولتتركُونَهُ إذا كذبَكُم». [م: ١٧٧٩]

يعني: غلامًا أسوَدَ لبني الحجَّاجِ كانَ على رَوَايا قُريشٍ يومَ بدرٍ.

*قال: شاورَ رسولُ الله ﷺ أصحابَه حين بلغه قتالُ أبي سفيان، قال: فتكلَّم أبو بكرٍ فأعرضَ عنه، ثم تكلَّم عمرُ فأعرضَ عنه، فقام سعدُ بنُ عبادةَ فقال: إيَّانا تريدُ يا رسولَ الله؟ والذي نفسِي بيدِه؛ لو أمرْتَنا أنْ نُخِيضَها البحرَ لأخضْنَاها، ولو أمرْتَنا[2] أنْ نضربَ أكبادَها[3] إلى بَرْك الغِمَادِ لفعلنا، قال: فندبَ رسولُ الله ﷺ الناسَ، فانطلقُوا حتى نزلوا بدرًا، ووردَتْ عليهم رَوايا قريشٍ وفيهم غلامٌ أسودُ لبني الحجَّاج، فأخذُوه، وكان أصحابُ رسول الله ﷺ يسألونه عن أبي سفيانَ وأصحابِه، فيقول: ما لي علمٌ بأبي سفيانَ، ولكنَّ هذا أبو جهلٍ وعُتبةُ وشَيبةُ وأميةُ بنُ خَلَفٍ[4]، فإذا قال ذلك ضَربوه، فقال: نعم، أنا أخبرُكم، هذا أبو سفيان، فإذا تركوه فسألوه،

---

(١) تقدم برقم: (١٤٥٦).

(٢) في (ب): «أمرت».

(٣) في (ب): «أكبادنا».

(٤) في (ص) زيادة: «لعنهم الله».

قال: ما لي علمٌ بأبي سفيان، ورسولُ الله ﷺ قائمٌ يُصلِّي، فلمَّا رأى ذلك انصرفَ وقال: «**والَّذي نفسِي بيدِه...**» إلى آخرِه.

قال: فقالَ رسول الله ﷺ: «**هذا مصرعُ فلانٍ**»، ويضعُ يدَه ههنا وههنا[١] على الأرضِ، قال: فما ماطَ[٢] أحدُهم عن موضعِ يدِ رسولِ الله ﷺ.

قال العلماء: إنَّما قصدَ عليه السلام اختيارَ الأنصار؛ لأنَّه لم يكُنْ بايعَهم على أنْ يخرجُوا معه للقتالِ وطلبِ العدوِّ، وإنَّما بايعُوه على أنْ يمنعُوه ممَّنْ يقصِدُه، فلمَّا عرَضَ الخروجَ لعيرِ أبي سفيان أرادَ أنْ يعلَمَ أنَّهم موافِقُوه على ذلك، فأجابُوه أحسنَ جوابٍ[٣] بالموافقَةِ التَّامَّة في هذه المرَّة[٤] وغيرِها.

والضَّميرُ في: (**نخيضها**) للخيلِ.

و(**بَرْك الغِمَادِ**) بفتحِ الباء الموحَّدة وإسكانِ الرَّاء، هو المشهورُ، **والغِمَاد** ـ بكسرِ الغين المعجمَةِ وضمِّها ـ موضعٌ، كما تقدَّم[٥].

وفيه معجزتان:

إحداهما: إخبارُه بأنَّ الغلامَ الذي كانوا يضرِبُونه يصدقُ إذا تركوهُ، ويكذبُ إذا ضرَبُوه.

---

(١) «وههنا»: ليست في (ب).

(٢) في (ع) و(ن): «ناط».

(٣) في (ن): «الجواب».

(٤) في (ن): «المدة».

(٥) بكسر الغين المعجمة، وقال ابن دريد: بالضم، والكسر أشهر، وهو موضع وراء مكة بخمس ليال مما يلي البحر، وقيل: بلد باليمن دفن عنده عبد الله بن جدعان التيمي القرشي. انظر: «معجم البلدان» لياقوت الحموي (١/ ٣٩٩).

والثانية: الإخبارُ بمصارعِ جبابرَتِهم، فلم يتعدَّ أحدٌ منهم مصرَعه.

وقوله: (فما ماطَ) أي: ما تباعدَ[١].

وفي الحديث أيضًا: دليلٌ على المشاورةِ مع الأصحابِ.

قيل: وفيه أنَّ إقرارَ المضروبِ غيرُ معتَبرٍ؛ لجوازِ أنْ يكونَ مخافةَ إعادَةِ الضَّربِ.

١٥٤٣ـ (ق): أَبُو هُريرةَ رضي الله عنه: «والَّذي نفسِي بيدِهِ؛ ليوشِكَنَّ أن ينزِلَ فيكُم ابنُ مريَمَ حكَمًا مُقسِطًا، فيكسِرَ الصَّليبَ، ويقتُلَ الخنزِيرَ، ويضعَ الجزيَةَ، ويفيضُ المالُ حتَّى لا يقبَلَهُ أحدٌ». [خ: ٢١٠٩] [م: ١٥٥]

*(**ليُوشِكَنَّ**) بضمِّ الياء وكسر الشِّين المعجمةِ، معناه: ليَقربَنَّ.

وقوله: (**فيكُم**) أي: في هذه الأُمَّة، وإنْ كان خطابًا لبعضِها ممَّنْ لا يدرِكُ نزولَه.

وقوله: (**حكَمًا مُقسِطًا**) أي: حاكمًا عدلًا بهذِه الشَّريعةِ، لا برسالةٍ أو نبوَّةٍ مستقلَّةٍ وشريعةٍ ناسخَةٍ.

وقوله: (**فيكسِرَ الصَّليبَ**) يجوز أنْ يُرادَ به حقيقةُ الكسرِ بيانًا لكونِه أمرًا باطلًا، ويجوزُ أنْ يرادَ ملزومُه، وهو إبطالُ النَّصرانيَّة.

وكذلك **قتلُ الخنزيرِ**: يجوز أنْ تكونَ الحقيقةُ مرادةً؛ إبطالًا لما يزعمُه النَّاسُ من حِلِّ الاقتناءِ وغيره، ويجوزُ أنْ يكونَ كنايةً عمَّا ذكرنا.

وقوله: (**ويضعَ الجزيَةَ**) أي: يجعلُها موضُوعةً متروكةً، لا تُعتَبرُ في دفعِ قتلِ كافرٍ، بل لا يقبلُ منهم إلَّا[٢] الإسلامُ أو القتلُ[٣]، وقيل: إنَّه يضعُ الجزيةَ على كلِّ

---

(١) انظر: «المصباح المنير في غريب الشرح الكبير» للفيومي (٢/ ٥٨٧).

(٢) «إلا»: ليست في (ب).

(٣) في (ب): «يقتل».

كافرٍ؛ لأنَّه لا يُقابلُه أحدٌ من أهلِ الكُفرِ بالحربِ، بل بالسلم[١] وقَبولِ الجزيةِ، فيكثرُ المالُ ويفيضُ[٢]، حتى إذا طُلِبَ أحدٌ لأخذِ شيءٍ منه لا يقبَلُه؛ لكثرتِه عندَه بتكثُّرِ البركاتِ ونماءِ الخيراتِ بسببِ العدلِ وقلَّةِ الرَّغباتِ؛ لعلمِهم بقُربِ القيامةِ بنزولِ عيسَى عليه السلام؛ فإنَّه عَلَمٌ من أعلامِ السَّاعة.

قيل: والأوَّلُ هو الصَّوابُ، واعتُرِضَ عليه: بأنَّكم ذكرتُم أنَّه لا يحكمُ إلَّا بهذه الشَّريعةِ، ورَدُّ الجزيةِ عن الكتابي ليسَ منها؛ فإنَّه إذا بذَلَ الجزيةَ وجبَ قَبولُها وتركُ قتلِه، إذ[٣] لا إكراهَ في الدِّين.

وأُجِيبَ: بأنَّ هذا الحكمَ أيضًا من هذه الشَّريعةِ، دلَّ عليه الأحاديثُ الصَّحيحةُ بنسخِه، فكان النبيُّ عليه السلام مُبيِّنًا أنَّه سيُنسَخُ في زمنِ نزولِ عيسى عليه السَّلام، فدلَّ على أنَّ الامتناعَ عن قَبولِ الجزيةِ في ذلك الوقت إنَّما هو شرعُ نبيِّنا[٤] ﷺ.

واعتُرِضَ أيضًا: بأنَّه جاءَ أنَّه ينزلُ المسيحُ فيقتلُ الخنزيرَ، ويكسِرُ الصَّليبَ، ويزيدُ في الحلالِ، ولو كانَ حكمًا على هذه الشَّريعةِ لم يزدْ في الحِلِّ؛ لقوله عليه السَّلام: «الحلالُ ما جرى على لسَاني إلى يومِ القيامَةِ»[٥].

---

(١) في (ك): «بالتسليم»، وقال في الهامش: في نسخة: «بالسلم».

(٢) في (ك) زيادة: «المال».

(٣) في (ب): «و».

(٤) في (ب): «إنما هو بنبينا».

(٥) لم أقف عليه مرفوعًا، وإنما روى الدارمي في «مسنده» (٤٤٧) عن عبيد الله بن عمر: أن عمر بن عبد العزيز رحمه الله، خطب فقال: «يا أيها الناس إن الله لم يبعث بعد نبيكم نبيًّا، ولم ينزل بعد هذا الكتاب الذي أنزل عليه كتابًا، فما أحلَّ الله على لسان نبيه فهو حلال إلى يوم القيامة، وما حرَّم على لسان نبيه فهو حرامٌ إلى يوم القيامة، ألا وإني لست بقاضٍ، ولكنِّي منفذ، ولست بمبتدعٍ، ولكنِّي متَّبعٌ، ولست بخيرٍ منكم، غير أني أثقلكم حملًا، ألا وإنه ليس لأحد من خلق الله أن يطاع في معصيةِ الله، ألا هل أسمعت؟».

وأُجِيبَ: بأنَّ معناه: أنَّه ينزلُ في آخر الزَّمان، ويتزوجُ امرأةً، وذلك زيادةٌ فيما كانَ أحلَّ الله له؛ لأنَّه ما كانَ له النِّكاحُ، فما نكحَ حتى رفعَه[١] إليه، وبذلك يوقنُ كلُّ نصرانيٍّ أنَّه بشرٌ، وأنَّه لله عبدٌ.

١٥٤٤ـ (ق): سعدُ بنُ أبي وقَّاصٍ وأبو هُريرةَ رضي الله عنهما: «والَّذي نفسِي بيَدِهِ؛ مَا لقيكَ الشَّيطانُ سالِكًا فجًّا قطُّ، إلَّا سلكَ فجًّا غيرَ فجِّكَ». هذِهِ روايةُ سعدٍ، وفي روايةِ أبي هُريرةَ: «قَطُّ سالِكًا فجًّا». [حديث سعد: خ: ٣١٢٠، م: ٢٣٩٦] [حديث أبي هريرة: م: ٢٣٩٧][٢]

قالَهُ لعُمرَ بنِ الخطَّابِ.

* قال سعدٌ: استأذن عمرُ على رسول الله ﷺ وعنده نساءٌ[٣] من قريشٍ يكلِّمْنَه ويستكْثِرْنَه، عاليةً أصواتُهنَّ، فلمَّا استأذنَ عمرُ قُمْنَ يبتدرْنَ الحجابَ، فأذنَ له رسولُ الله ﷺ، ورسولُ الله ﷺ يضحكُ، فقال عمرُ: أضحكَ الله سنَّك يا رسولَ الله، فقال رسولُ الله ﷺ: «**عجبْتُ مِن هؤلاء اللَّاتي كُنَّ عندِي، فلمَّا سمعْنَ صَوتَك ابتدرْنَ الحجابَ**»، قال عمرُ: فأنت أحقُّ يا رسولَ الله أنْ يهَبْنَ، ثمَّ قال عمرُ: أيْ عدوَّاتِ أنفسِهنَّ؛ أتهبْنَني ولا تهبْنَ رسولَ الله ﷺ؟ قلْنَ: نعم، أنت أغلظُ وأفَظُّ مِن رسولِ الله، قال رسولُ الله ﷺ: «**والَّذي نفسِي بيَدِهِ...**» إلى آخره.

قوله: (**يُكلِّمْنَه ويستكثِرْنَه**) أي: يطلبْنَ كثيرًا مِن جوابه وكلامِه؛ لكثرةِ حوائجِهنَّ وفتاويهنَّ.

---

(١) في (ن): «رفع».

(٢) قلت: حديث أبي هريرة تفرَّد به مسلمٌ.

(٣) في (ك): «نسوة».

وقولـه: (**عاليـةً أصواتُهنَّ**) يعنـي: على صوته عليه السَّـلام، وهـو المرويُّ في روايةٍ[١].

وقد ذكر لذلك **احتمالاتٍ**:

منها: أنَّه كان قبْلَ النَّهيِ عن رفعِ الأصواتِ فوقَ صَوتِه عليه السَّلام.

ومنها: أنَّ علوَّ صوتِهنَّ كانَ لكثرتهنَّ، لا أنَّ كلامَ كلٍّ[٢] واحدةٍ منهنَّ بانفرادِه كان أعلى مِن صوتِه عليه السَّلام.

ومنها: أنَّه كان فيهنَّ مَنْ هنَّ جهوريَّاتُ الأصواتِ، لا يقدرْنَ على خفضِها[٣].

وقولهنَّ: (**أنت أغلظُ وأفَظُّ**) كلاهما بمعنى واحدٍ، وهو شدَّةُ الخُلقِ، وخشونةُ الجانبِ، قيل: و(أفعَلُ) ههنا ليس للزيادةِ، بل هو بمعنى الفَظِّ والغليظِ، ولعلَّه تَفَادٍ مِن إطلاقِ الفظِّ والغليظِ على رسولِ الله ﷺ، وليس بواضحٍ؛ لأنَّ جمعيَّتَه عليه السلام تقتضِي وجودَ ذلك فيه، ألا ترى أنَّه عليه السَّلام كان مأمورًا بذلك؛ لقوله تعالى: ﴿وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡ﴾ [التوبة: ٧٣]؟ وكان عليه السلام يُغلظُ عند انتهاكِ حُرُماتِ الله.

وقوله: (**ما لقيَكَ الشيطانُ سالكًا فجًا قَطُّ**[٤]) أي: طريقًا واسعًا إلَّا تركَه من هيبتِه، وسلك طريقًا آخرَ، وهذا على ظاهرِه. وقيل: معناه: ضَرْبُ المثلِ لبُعْدِ الشيطانِ وأعوانِه منه؛ لأنَّه كان في جميعِ أمورِه سالكًا للسَّدادِ، مخالفًا لما يأمرُ به الشَّيطانُ.

---

(١) هذا اللفظ عند البخاري (٣٤٨٠).

(٢) «كل»: ليست في (ب).

(٣) في (ب): «حفظها».

(٤) في (ب): «قط سالكًا فجًّا».

وفي الحديثِ دليلٌ على علوِّ شأنه رضي الله عنه؛ حيث لا يقدرُ الشيطانُ أنْ يسلكَ طريقًا يسلك فيه وهو واسعٌ، فكيف إذا كان ضيِّقًا؟ وكيف يُتَصوَّرُ أنْ يجريَ منه مجرى الدَّمِ وأنْ يوسوسَ في صدرِه؟

وفيه دليلٌ على صلابتِه في الدِّين، واستمرارِ حالِه على الحقِّ المحضِ.

١٥٤٥ـ (ق): أَبو هُريرةَ رضي الله عنه: «والَّذي نفسِي بيَدِهِ؛ مَا مِن رجلٍ يدعُو امرأَتَهُ إلى فراشِهِ، فتأبَى عليه إلَّا كانَ الَّذي في السَّماءِ سَاخِطًا عليهَا حتَّى يَرضَى عنها». [خ: ٤٨٩٧] [م: ١٤٣٦]

* فيه دليلٌ على تحريمِ امتناعِ المرأةِ إذا أرادَها، وقد تقدَّمَ ذلك في البابِ الرابعِ في قوله[(١)]: «إذا باتَتْ المرأةُ مهاجرةً». قيل: وهل يكونُ الزوجُ كذلك إذا أرادَتْه وامتنعَ أو لا؟

وأُجِيبَ: بأنَّه لا يكونُ إلَّا أنْ يقصدَ بالامتناعِ مضارَّتَها؛ وذلك لأنَّ الزوجَ مالكٌ، فليسَ للمملوكَةِ عليه مطالبةٌ في ملكِهِ عليها.

وقوله: (**إلَّا كانَ الَّذي في السَّماءِ**)[(٢)] يجوزُ أنْ يكونَ المرادُ به هو اللهُ تعالى، فيكون تأويلُه كقوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [تبارك: ١٦]، ويجوزُ أنْ يُرادَ به الملائكةُ؛ كما جاء في الروايةِ الأخرى: «إلَّا لعنَتْها الملائكةُ حتى تصبحَ»[(٣)].

وقوله: (**ساخِطًا**) خبرُ (**كان**).

---

(١) تقدم برقم: (٧٧٤).

(٢) في (ب) زيادة: «ساخطًا عليها».

(٣) رواه البخاري (٣٠٦٥)، ومسلم (١٤٣٦).

فصل

وفصَلَ عمَّا قبلَه لذلك لوقوعِ: (والله) في أوَّلِ الحديثِ.

١٥٤٦ـ (خ): أَبُو هُريرةَ رضي الله عنه: «واللهِ إنِّي لأستغفِرُ اللهَ، وأتوبُ إليهِ[1] **في اليومِ أكثرَ مِن سبعينَ مرَّةً»**. [خ: ٥٩٤٨]

* قد تقدَّم الكلامُ عليه في البابِ الثاني في قوله عليه السلام[2]: «إنَّه ليغَانُ على قلبِي».

١٥٤٧ـ (ق): المِسوَرُ بنُ مخرَمَةَ ومروانُ بنُ الحكَمِ رضي الله عنهما: «واللهِ إنِّي لرسُولُ اللهِ، وإنْ كذَّبتُمُوني، اكتُبْ: محمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ». [خ: ٢٥٨١][3]

قالهُ زمنَ الحُدَيبية.

* وقد تقدَّم الكلامُ عليه أيضًا في البابِ الثاني في قولِه عليه السَّلام[4]: «إنَّا لم نجئْ لقتال أحدٍ».

١٥٤٨ـ (ق): أَبُو هُريرةَ رضي الله عنه: «واللهِ لأنْ يَلجَّ أحدُكُم بيمينِهِ في أهلِهِ آثمُ لهُ عندَ اللهِ مِن أنْ يُعطِيَ كفَّارَتَهُ الَّتي فرَضَ اللهُ عليه». [خ: ٦٢٥٠][م: ١٦٥٥]

---

(١) «إليه»: ليست في (ب).

(٢) تقدم برقم: (٤٦٥).

(٣) قلت: الحديث تفرَّد به البخاريُّ.

(٤) تقدم برقم: (٤٤٩).

* **اللِّجاجُ**: الإصرارُ على الشَّيءِ، واللِّجاجُ في اليمين: هو المضيُّ على مقتضاها(١).

وقوله: (آثَمُ) بمدِّ الهمزةِ؛ أي: أكثرَ إثمًا.

والمعنى: إنَّ أحدَكُم إذا حلفَ على شيءٍ يتعلَّقُ بأهلِه، ورأى أنَّ غيرَه خيرٌ منه، ويقيمُ على يمينِه ولا يحنَثُ؛ فذلك أكثرُ إثمًا له عندَ الله مِن أنْ يحنثَ ويُعطِيَ كفَّارةَ اليمينِ.

قيل: واشتُرِطَ أنْ لا يكونَ المحلوفُ عليه من المعاصِي، وليس في الحديثِ ما يدلُّ عليه.

ورأى أنَّ تفسيرَه بقوله: ورأى أنَّ غيرَه خيرٌ منه، يُغني عن هذا الشَّرطِ؛ لأنَّ المسلمَ لا يرى المعصيةَ خيرًا؛ فيكون ذلك ثابتًا بقوله عليه السلام: «مَنْ حلفَ على يمينٍ ورأى غيرَها خيرًا منها...»(٢) الحديث.

١٥٤٩ـ (خ): أبو هُريرةَ وأبو شُريحٍ الخُزاعيُّ رضي الله عنهما: «واللهِ لا يؤمِنُ، واللهِ لا يؤمِنُ، واللهِ لا يؤمِنُ، قيل: مَن يا رسولَ اللهِ؟ قال: الَّذي لا يأمَنُ جارُهُ بوائقَهُ». [خ: ٥٦٧٠ من حديث أبي شريح](٣)

---

(١) انظر: «المصباح المنير في غريب الشرح الكبير» للفيومي (٢/ ٥٤٩).

(٢) رواه مسلم (١٦٥٠).

(٣) قلت: حديث أبي هريرة رواه مسلم (٤٦) وذكره البخاريُّ تعليقًا عقب حديث أبي شريح.

بوائقه: جمع: بائقة، وهي الأذى.

* وقد تقدَّم الكلامُ عليه في البابِ الثالثِ في قوله عليه السَّلام[١]: «لا يدخلُ الجنَّةَ عبدٌ لا يأمنُ جارُه بوائقَه».

١٥٥٠ـ (ق): البراءُ بنُ عازبٍ رضي الله عنه: «والله لولَا اللهُ ما اهتدَينَا، ولا تصدَّقنَا ولا صلَّينَا، فأنزِلَنْ سكينةً علينَا، وثبِّتِ الأقدامَ إن لاقينَا، إنَّ الأُلى قد بغَوا علينَا، إذا أرادُوا فتنةً أبينَا». [خ: ٣٨٧٨] [م: ١٨٠٢]

* قال: كان رسولُ الله ﷺ يومَ الأحزابِ ينقل معنا التُّرابَ، ولقد وارى الترابُ بياضَ بطنِه وهو يقولُ: «**والله لولا اللهِ ما اهتدَيْنا...**» إلى آخره.

وعنه: لمَّا كان يومُ الأحزابِ وخَنْدَقَ رسولُ الله ﷺ، رأيتُه ينقلُ من ترابِ الخندقِ حتى وارى عنِّي[٢] الغبارُ جلدةَ بطنِه ـ وكان كثيرَ الشَّعرِ ـ فسمعتُه يرتجزُ بكلماتِ عبدِ الله بنِ رواحةَ وهو ينقلُ من التُّرابِ.

---

(١) تقدم برقم: (٦٧٠).

(٢) في هامش (ص): «عنه، أصح»، وهي رواية (ك).

فصل

وفصَلَ هذا عمَّا قبلَه لذلك، لوقوعِ سين الاستقبالِ في أوَّله.

١٥٥١ـ (م): عُقبةُ بنُ عامرٍ رضي الله عنه: «ستُفتَحُ عليكُمْ أَرَضُونَ، ويكفِيكُم الله، فلا يعجِزُ أحدُكُم أنْ يلهُوَ بأسهُمِهِ». [م: ١٩١٨]

* (**أَرَضُونَ**) بفتح الرَّاء على المشهورِ، وحكى الجوهريُّ إسكانَها(١).

و(**يعجِزُ**) بكسر الجيمِ على المشهورِ، وحُكِيَ الفتحُ.

وقوله: (**ويكفِيكُم الله**) أي: أمْرَ العدوِّ بالظُّهورِ عليهم والتمكُّنِ منهم.

وقيل: معناه أنَّ النعمةَ تتَّسعَ عليكم، فلا تحتاجُون في طلبِ القُوتِ إلى كدٍّ وتعبٍ، ويبقَى أحدُكم لا شغلَ له، فلا يعجز أنْ يلعبَ بنباله، والمرادُ به: المرامَاتِ، وجازَ هذا اللعبُ؛ لأنَّه معينٌ على قتالِ العدوِّ.

١٥٥٢ـ (ق): أَبُو هُريرةَ رضي الله عنه: «ستكُونُ فتنَةٌ القاعِدُ فيها خيرٌ منَ القائِمِ، والقائِمُ فيها خيرٌ منَ الماشِي، والماشِي فيها خيرٌ منَ السَّاعِي، مَن تشرَّفَ لها تستَشْرِفُهُ، ومَن وجَدَ مَلْجأً أو مَعَاذًا، فليَعُذْ بهِ». [خ: ٦٦٧٠] [م: ٢٨٨٦]

* قيل: قوله: (**مَنْ تَشَرَّفَ**) مرويٌّ على وجهين مشهورين:

أحدهما: فتحُ المثنَّاة فوق، والشين المعجمة والرَّاء.

والثاني: ضمُّ الياء المثنَّاة تحت، وإسكان الشين وكسر الرَّاء، من الإشرافِ، وهو التَّطلُّعُ؛ أي: مَنْ تطلَّعَ لها دعتْه إلى الوقوعِ فيها، يقال: «استشرفْتَ الشَّيءَ»:

---

(١) انظر: «الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية» للجوهري (٣/ ١٠٦٣).

إذا رفعْتَ رأسَك فنظرْتَ إليه، أو معناه: مَنْ انتصَبَ لها انْتُصِبَتْ له وصرعَتْه، مِن «استشرفْتَ الشَّيءَ»: إذا علوْتَه(١).

والملجأُ والمعاذُ: هو الموضعُ الذي يُعْتَصَمُ به.

والحديثُ يتضمَّنُ الإخبارَ عن وقوعِ فتنٍ هائلةٍ عظيمةٍ بعدَه، والإرشادَ إلى الكفِّ عنها والفرارِ منها، وقد رُوي: أنَّ جماعةً من أهل بدرٍ لزموا بيوتهم لمَّا قُتِلَ عثمانُ رضي الله عنه، فما خرجوا منها إلَّا إلى قبورِهم(٢).

١٥٥٣ـ (ق): أَبُو حُميدٍ السَّاعديُّ رضي الله عنه: «ستهُبُّ اللَّيلةَ ريحٌ شديدَةٌ، فلا يَقُم فيها أحدٌ، فمَن كانَ له فيها بعيرٌ، فليشُدَّ عِقالَهُ». [خ: ١٤١١] [م: ١٣٩٢]

قالهُ بتبُوكَ.

* قال: فهبَّتْ ريحٌ شديدةٌ، فقام رجلٌ فحملتْه الريحُ حتى ألقتْه بجبلي(٣) طيِّئٍ.

١٥٥٤ـ (ق): عليٌّ رضي الله عنه: «سيخرُجُ قومٌ في آخرِ الزَّمانِ حُدَثاءُ الأسنانِ، سفهاءُ الأحلَامِ، يقولُونَ من قولِ خيرِ البريَّةِ، يقرؤُونَ القرآنَ لا يُجاوزُ إيمانُهم حناجِرَهُم، يمرُقُونَ منَ الدِّينِ، كما يمرُقُ السَّهمُ منَ الرَّميَّةِ، فأينما لقيتُمُوهُم فاقتُلُوهُم؛ فإنَّ في قتلِهِم أجرًا لمَن قتلَهُم عندَ اللهِ يومَ القيامَةِ». [خ: ٦٥٣١] [م: ١٠٦٦]

---

(١) انظر: «لسان العرب» لابن منظور (٩/ ١٧٢).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «العزلة والانفراد» (ص: ١٩)، وابن بطة في «الإبانة الكبرى» (٢/ ٥٩٦) (٧٦٣)، وابن عبد البر في «التمهيد» (١١/ ٢٧٧).

(٣) في (ن): «بجبل».

* **(حُدَثاءُ الأسنَانِ)** أي: صغارُ السِّنِّ.

(سفهاءُ الأحلَامِ) أي: خفيفُو العقولِ.

(يقولونَ مِن قَولِ خَيرِ البَرِيَّة) يعني: في ظاهرِ الأمرِ، مثلُ ما يقولون: «لا حُكْمَ إلَّا للهِ ولرسولِه»[(١)]، ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ﴾ [آل عمران: ١٦٧].

(لا يُجاوزُ إيمانُهم[(٢)] حناجِرَهُم) أي: لا يصلُ إلى صدورِهم، ولا يؤثِّرُ[(٣)] في قلوبِهم.

(يمرُقُونَ) أي: يخرجُون مِن الدِّين كما يخرجُ السَّهم مِن الرَّميَّة، و**(الرَّميَّةِ)** كلُّ دابَّةٍ مرميَّةٍ، شبَّههم في دخولِهم في الإسلامِ، ثمَّ خروجُهم منه لم يتشبَّثوا مِن علائقِه بشيءٍ، بسهمٍ[(٤)] أصابَ الرَّميَّةَ ونفذَ منها لم يتعلَّقْ به لسرعةِ نفوذِه شيءٌ مِن فرثِها ودمِها.

(فأينمَا لقيتُمُوهُم فاقتُلُوهُم) يوجبُ قتلَهم؛ لإطلاقِ الأمرِ. قيل: المرادُ بهم الخوارجُ والبغاةُ، وقد أجمعَ العلماءُ على أنَّهم إذا خرجُوا على الإمامِ وجبَ قتالُهم بعدَ الإنذارِ.

ورُدَّ: بأنَّه ليسَ في هذا الحديثِ ما يدلُّ على هذا التقييدِ، بل الدالُّ على ذلك قولُه تعالى: ﴿فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [الحجرات: ٩]، وإنَّما مدلولُ الحديث

---

(١) روى مسلم (١٠٦٦) أن الحرورية لما خرجت وهو مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه قالوا: لا حكم إلا لله، قال علي: كلمة حق أريد بها باطل.

(٢) «إيمانهم»: ليست في (ب).

(٣) في (ع) و(م): «ولا يوقر».

(٤) في (ص): «من السهم».

أعمُّ من ذلك، والشُّروعُ في بيانِ ذلك وتفصيلِ أحوالِهم ـ لا سيَّما في عصرِنا هذا ـ يُفضِي إلى أمورٍ لا يكادُ يُتفصَّى عنها[1]؛ لعدَمِ مَن يعينُ الحقَّ وينصرُه.

١٥٥٥ ـ (م): أَبُو هُريرةَ رضي الله عنه: «سيكُونُ في آخرِ أمَّتي أُناسٌ يُحَدِّثُونكُم بما لم تسمَعُوا أنتُم ولا آباؤُكُم، فإيَّاكُم وإيَّاهُم». [م: ٦]

* وفي لفظٍ آخرَ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «يكونُ في آخرِ الزَّمانِ دجَّالون كذَّابون، يأتونكم من الأحاديثِ بما لم تسمعوا أنتم، فإيَّاكم وإيَّاهم، لا يضلُّونكم ولا يفتنونكم»[2].

أخبرَ عليه السَّلام فيه بظهورِ الأهواءِ والبدعِ، فعلى المسلمِ إذا رأى رجلًا يتعاطَى شيئًا من ذلك معتقدًا، أو يتهاونُ بشيءٍ من السُّننِ، أنْ يهجُرَه إلى[3] أنْ يتركَ بدعتَه.

والنَّهيُ عن الهجرانِ فوقَ ثلاثةِ أيَّامٍ إنَّما هو فيما يقعُ بينَ الشَّخصَين بسببِ التَّقصيرِ في حقوقِ الصُّحبَةِ والعِشْرةِ، وغيرِ ذلك من الأمورِ الدُّنياويَّة، وقد وُجِدَ من السَّلفِ من هجرَ أخاه المسلمَ في أمرٍ كرهَه عنه من أمورِ الدِّين السَّنةَ والسَّنينَ، ومنهم من هجرَ صاحبَه في ذلك عمرَه، ورأوا أنفسَهم في فسحَةٍ من ذلك ما لم يعُدِ المهجورُ عمَّا ابتدعَه.

---

(١) أصل التفصِّي: أن يكون الشيءُ في مضيق، ثمَّ يخرج إلى غيره، ويقال: أفصَى: إذا تخلص من خير أو شرٍّ. انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (١٢/ ١٧٥).

(٢) رواه مسلم (٧).

(٣) في (ك): «حتى»، وفي هامشها: نسخة: «إلى».

والدَّجَّال: هو الكذَّابُ، وقيل: هو المموِّهُ بكذبِهِ المُلبِّسُ به، يقال: «**دجلَ الحقَّ بباطله**»: **إذا غطَّاه**[١].

وفيه: الإخبارُ أنَّه سيوجَدُ بعده كذَّابون عليه، يُضلُّون الناسَ بما يضعونَه ويختلقُونَه، وأمرَ بالاجتنابِ عنهم مخافةَ إضلالِهم وفتونِهم.

(١) انظر: «المصباح المنير في غريب الشرح الكبير» للفيومي (١/ ١٨٩).

فصل

في الفعلِ المضارعِ

١٥٥٦ ـ (م): أنسٌ رضي الله عنه: «آتي بابَ الجنَّةِ يومَ القيامَةِ، فأستفتِحُ، فيقولُ الخازِنُ: مَن أنتَ؟ فأقولُ: محمَّدٌ، فيقولُ: بكَ أُمِرتُ، لا أفتحُ لأحدٍ قبلكَ». [م: ١٩٧]

* قوله: (بك أمِرْتُ) أي: بالفتحِ لك، وفيه: بيانُ كرامتِه على اللهِ تعالى.

١٥٥٧ ـ (ق): ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنه: «آمرُكُم بأربعٍ، وأنهَاكُم عن أربَعٍ: الإيمانُ باللهِ شهادَةُ أن لا إلهَ إلَّا اللهُ وأنَّ محمَّدًا رسولُ اللهِ، وإقامُ الصَّلاةِ، وإيتاءُ الزَّكاة، وأن تُؤدُّوا خُمسَ ما غنِمتُم، وأنهاكُم عن الدُّبَّاءِ، والحنتَمِ، والنَّقيرِ، والمقيَّرِ». [خ: ٥٠٠] [م: ١٧]

قالهُ لوفدِ عبدِ القيسِ.

* قد تقدَّم الكلامُ عليه في البابِ الثاني في قوله عليه السَّلام[1]: «إنَّ فيك لخصلتين».

وفي الحديث دليلٌ على أنَّ الإيمانَ والإسلام واحدٌ؛ حيثُ وقعَ[2] فيه ما كان تفسيرَ الإسلام في حديثِ جبريلَ تفسيرًا للإيمانِ بطريقِ البدلِ.

(١) تقدم بقوله: (٣٦٢).

(٢) في (ن) و(ص) و(ك): «أوقع».

١٥٥٨ـ (م): ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنه: «أبكِي للَّذِي عَرَضَ عليَّ أصحابُكَ مِن أخذِهمُ الفدَاءَ، لقَدْ عُرِضَ عليَّ عذابُهُم أدنى مِن هذِهِ الشَّجرةِ». [م: ١٧٦٣]

قالَه لعمرَ بعدَ يوم بدرٍ.

* عن ابنِ عبَّاسٍ، عن عمرَ بنِ الخطَّابِ رضي الله عنهم، قال: لمَّا كان يومُ بدرٍ نظرَ رسولُ الله ﷺ إلى المشركين وهم ألفٌ وأصحابُه ثلاثُمئةٍ وسبعةَ عشَرَ رجلًا، فاستقبلَ رسولُ الله ﷺ القِبلةَ، ثمَّ مدَّ يديه، ثمَّ جعلَ يهتفُ بربِّه: «**اللَّهمَّ أنجزْ لي ما وعدْتَني، اللَّهمَّ آتني ما وعدْتَني، اللَّهمَّ إنْ تُهْلِكْ هذِه العصَابةَ مِن أهلِ الإسلامِ لا تُعبَدْ في الأرضِ**»، فما زال يهتفُ بربِّه مادًّا يديه مستقبلَ القِبلةِ حتَّى سقطَ رداؤُه عن منكبيهِ، فأتاه أبو بكرٍ رضي الله عنه فأخذَ رداءَه فألقاهُ على منكبيْه، ثمَّ الْتزمَه مِن ورائهِ، وقال: يا نبيَّ الله؛ كفاكَ مناشدَتُك ربَّك؛ فإنَّه سينجزُ لك ما وعدَك، فأنزلَ اللهُ تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩]، فأمدَّه اللهُ بالملائكةِ، فقتلوا[١] سبعينَ، وأسرُوا سبعين.

قال ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: فلمَّا أسروا الأسارى قال رسولُ الله ﷺ لأبي بكرٍ وعمرَ: «**ما ترَوْنَ في هؤلاء الأسارى؟**»، فقالَ أبو بكرٍ رضي الله عنه: يا رسولَ اللهِ؛ هم بنو العمِّ والعشيرةِ، أرى أنْ تأخذَ منهم فديةً، فتكونُ لنا قوَّةً على الكفَّارِ والمشركين[٢]، فعسى اللهُ أنْ يهديَهم للإسلامِ، فقال رسولُ الله ﷺ: «**ما ترى يا ابنَ الخطَّابِ؟**»، قلتُ: لا والله يا رسولَ الله؛ ما أرى الذي رآه أبو بكرٍ، ولكنْ أرى أنْ تمكِّنَنا فنضربُ أعناقَهم، فتمكِّنُ عليًّا من عقيلٍ، فيضربُ عنقَه، وتُمَكِّنِّي من فلانٍ ـ

---

(١) في (ن) و(ك): «فقتل منهم».

(٢) في (ص) و(ك): «الكفار المشركين».

لنسيبٍ لعمرَ ـ فأضربُ عنقَه؛ فإنَّ هؤلاء أئمَّةُ الكفرِ وصنادِيدُها[١]، فهوى رسولُ الله ﷺ ما قال أبو بكرٍ، ولم يهوَ ما قلتُ، فلمَّا كان من الغدِ جئتُ، فإذا رسولُ الله وأبو بكرٍ قاعدان يبكيان، قلتُ: يا رسولَ الله؛ أخبرني من أيِّ شيءٍ تبكي أنت وصاحبُك؟ فإنْ وجدتُ بكاءً بكيتُ، وإنْ لم أجدْ بكاءً تباكيتُ لبكائكُما، فقالَ رسولُ الله ﷺ: «**أبكِي للَّذِي عَرَضَ عليَّ...**» إلى آخره، الحديث. فأنزل اللهُ تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ إلى قوله: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ [الأنفال: ٦٧ ـ ٦٩]، فأحلَّ الله الغنيمةَ لهم.

(**بدر**) موضعٌ معروفٌ.

وقوله: (**يهتِفُ**) معناه: يصيحُ ويستغيثُ بالدُّعاءِ.

وقوله: (**اللَّهمَّ أنجزْ لي مَا وعدْتَني**) أيْ: عجِّلْ لي من النُّصرةِ ما وعدْتَني، وكأنَّه عليه السَّلام لم يبيَّنْ له وقتَ نصرِه، فطلبَ تعجيلَه، ويجوزُ أنْ يقالَ: إنَّه عليه السلام عرفَ أنَّ حصولَ النَّصرِ كان موقوفًا على دعائهِ ذلك؛ لمَا تقدَّمَ في أوَّلِ هذا الشَّرحِ أنَّ حصولَ بعضِ الممكناتِ المقدَّرةِ[٢] قد يكون موقوفًا على شرطٍ؛ كالدُّعاءِ وغيره.

وقوله: (**اللهمَّ إنْ تَهْلِكْ هذه العِصابةُ منْ أهلِ الإسلامِ لا تُعبَدْ في الأرضِ**) ضبطوه بفتحِ التَّاء المثنَّاةِ فوق على بناءِ الفاعلِ، وبضمِّها على بناء المفعولِ[٣].

و(**العِصَابةُ**) منصوبٌ على الثَّاني، ومرفوعٌ على الأوَّل، والعِصابةُ: الجماعةُ، واعصَوصَبَ القومُ: صاروا عِصابةً[٤].

---

(١) في (ك): «وصناديده».

(٢) في (ن): «المقدورة».

(٣) في (ك): «أي على بناء الفاعل أيضًا».

(٤) انظر: «مختار الصحاح» للرازي اللغوي (ص: ٢١٠).

قال بعضُ الناسِ: هذا الحديثُ مشكِلٌ؛ لأنَّه عليه السلام أشارَ إلى أصحابهِ مِن أهل بدرٍ فقال: (**إنْ تَهْلِكْ هذه العِصابةُ**)، والحالُ أنَّ الإسلامَ قد كان منتشرًا بمكَّةَ والمدينةَ، وكثُرَ أهلُه في مواضعَ كثيرةٍ بحيث كان أهلُ بدرٍ بالنسبةِ إليهم قليلًا، فإنْ هلكوا كيف (**لا تُعبَدُ في الأرضِ**) مع بقاءِ غيرِهم مِن أهلِ مكَّةَ والمدينةِ وغيرِهما؟ وعلى تقديرِ أنْ يكونَ المرادُ بـ(**هذه العصَابةُ**) المسلمين كلُّهم، كيف (**لا تعبدُ في الأرضِ**) وفي الإمكانِ أنْ يُوجِدَ اللهُ قومًا آخرين يعبدُونه؟

وقد رسخَ هذا السُّؤالُ في خيالِ من ضاقَ عطنُه في العلمِ حتى تفيْهَقَ بأنَّ هذه الكلمةَ بادِرةٌ بدرَتْ من رسولِ الله عليه السلام، ولم يوفِّقِ اللهُ هذا الرجلَ للنَّظرِ إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣ ـ ٤]، فيجوزُ أنْ يكونَ اللهُ أوحَى إليه أنْ يقولَ كذا، ولم يعلمْ وجهَه إلَّا هو، كما في المتشَابهاتِ.

ويجوزُ أنْ يقالَ: لو هلكَتْ تلك العصابةُ في ذلك الوقتِ على أيدِي عدوِّهم جازَ أنْ يفتتنَ غيرُهم، ولا نبيَّ بعدَه، فلا يبقَى على الأرضِ مسلمٌ يعبدُه قطعًا.

وقوله: (**فما زالَ يهتِفُ بربِّهِ**) قد تقدَّمَ بيانُ سببِهِ من توقُّفِ حصُولِ النَّصرِ عليه، ويجوزُ أنْ يكونَ تعليمًا لأمَّتِه أنْ يلجؤوا إلى ربِّهم عندَ الشَّدائدِ والكُربِ بما يؤثِّرُ في أبدانِهم مِن شدَّةِ التَّوجُّهِ؛ فإنَّه أدعَى إلى الاستجابَةِ.

ولا يُظَنُّ أنَّ الدُّعاءَ كان لارتيابِه في إنجازِ الله له وعدَه(١)؛ لأنَّه عليه السَّلام أخبرَ أصحابَه قبلَ ذلك بأنَّ اللهَ ينصرُه على عدوِّه، ذلك حينَ أراهم مصارِعَهم واحدًا واحدًا وعيَّنَه، بل كانَ ذلك مثلُ دعائه عليه السَّلام أنْ يدخلَه الجنَّةَ وينجِّيَه من النَّارِ، ويغفرَ ذنوبَه، ولا يَشُكُّ أحدٌ في أنَّه عليه السَّلام لم يكنْ له شَكٌّ في ذلك؛ لثبوتِ نبوَّتِه عليه السَّلام، وهي تُنافي دخولَ النَّارِ؛ لعصمَتِهم.

---

(١) في (ص): «بدر»، وفي الهامش: في نسخة: «نصره».

ألا ترى إلى قولِ أبي بكرٍ: (**كفاكَ مُناشدَتُكَ ربَّك**) أي: سؤالُك برفعِ صوتِك (**فإنَّهُ سينجزُ لكَ ما وعدَكَ**) كيف عَلِمَ إنجازَ الوَعدِ؟ فما ظَنُّك بنبيِّ الله؟

وقولـه: (﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾) أيْ: تطلبـون منه الغـوثَ، وهـو النصرُ ﴿فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم﴾ أي: أجـابَ لكـم أنّـي مقوّيكـم ومعينكم ﴿بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩] بفتـح الـدَّال؛ يعنـي: أردفَ اللهُ بهـم المسـلمين، وقُـرِئ: بكسـر الـدَّال[١]؛ أي: مُردِفيـن مثلَهـم، أو جائيـن بعدَكُـم، مِن قولهـم: بنو فـلانٍ مردِفُونـا؛ أي: يجيـؤون بعدَنـا مِـن فورِهم.

وفي الحديثِ دليلٌ على استحبابِ استقبالِ القِبْلَة في الدُّعاءِ، وعلى استحبابِ شدَّةِ التَّوجُّه واللجاءِ إلى اللهِ تعالى، والتَّضرُّع إليه بحيث يذهلُ عمَّا يكونُ في ظاهرِه؛ كسقوطِ ردائِه ﷺ عن منكبيهِ، وعلى وجوبِ مراعاة الصَّاحبِ الصَّاحبَ في أحوالِه، وما يأتي عليه مِن المضَائقِ، وتطمينِ قلبِه، كما فعله الصِّدِّيقُ رضي الله عنه.

وأمَّا مشاورةُ النَّبيِّ عليه السَّلام أصحابَه في الأسارى، وميلُه إلى قولِ أبي بكرٍ رضي الله عنه، فإمَّا أنْ يكونَ بوحْيٍ، أو برأْيٍ، لا سبيلَ إلى الأوَّلِ؛ لنزولِ[٢] العتابِ بقوله تعالى: ﴿لَّوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ﴾ [الأنفال: ٦٨] الآية، فتعيَّنَ الثاني.

ويتأتَّـى الخـلافُ المشـهورُ بيـنَ العلمـاءِ فـي جـوازِ الخطـأِ عليـه فـي الـرَّأيِ وعَدمِـه، وقـد ذكرْنَـا ذلـكَ في «التقرير شـرح الأصـول» لفخـرِ الإسـلامِ رحمَه الله، والأحسـنُ أنْ يقـالَ: القـولُ الأوَّلُ كان حسـنًا، وقولُ عمرَ كان أحسـنَ، والعتابُ نزلَ

---

(١) قرأ أبو جعفر ونافع ويعقوب: (مُرْدَفِينَ) بفتح الدال، وكذلك روى المعلى بن منصور عن أبي بكر عن عاصم، وقرأ الباقون: بكسر الدال. انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٣٠٤)، و«المبسوط في القراءات العشر» لابن مهران (ص: ٢٢٠).

(٢) في (ن): «بنزول».

علـى تركِ الأحسـنِ؛ فـإنَّ المقرَّبيـن يُعاتَبون علـى ذلك؛ كمـا قيل: حسـناتُ الأبرار سـيِّئاتُ المقرَّبيـن، والله أعلم.

١٥٥٩ـ (ق): ابنُ عُمر رضي الله عنهما: «أرى رُؤياكُم قد تَواطأَتْ في السَّبعِ الأواخِرِ، فمَن كانَ مُتحرِّيها، فليتَحرَّهَا في السَّبعِ الأواخِرِ». [خ: ١٩١١] [م: ١١٦٥]

* قال: إنَّ رجالًا مِن أصحابِ النَّبيِّ عليه السَّلام أُروا ليلةَ القدرِ في المنامِ في السَّبعِ الأواخرِ، فقال رسولُ الله ﷺ: **«أرى رُؤياكُم...»** إلى آخره.

(تَواطـأَتْ) بالهمـزةِ، معنـاه: توافقَـتْ، وأصلُه: أنْ يطـأَ الرجلُ برجلِـه مَوطِئَ صاحبِهِ[(١)].

والتَّحرِّي: القصدُ، يقال: «تحرَّى الشيْءَ»: إذا قصدَ حرَاه؛ أي: جانبَه[(٢)]. والمعنى: فمَنْ كان يقصدُ تلك الليلةَ ويتوخَّاها فليتوخَّها في السَّبع الأواخرِ.

وقد تقدَّم الكلامُ على ليلةِ القدرِ في البابِ الأوَّل في قولِه عليه السَّلام[(٣)]: «مَنْ قامَ ليلةَ القدرِ»، وقوله[(٤)]: «مَنْ كانَ اعتكفَ فليرجِعْ إلى معتكفِه».

١٥٦٠ـ (خ): أبو هُريرةَ رضي الله عنه: «أرَاكُم يا بَني حارثَةَ قَد خرَجتُم مِن الحرَمِ، ثمَّ التفتَ فقالَ: بَل أنتُم فيهِ». [خ: ١٧٧٠]

---

(١) انظر: «لسان العرب» لابن منظور (١/ ١٩٩).

(٢) انظر: «تاج العروس من جواهر القاموس» لمرتضى الزبيدي (٣٧/ ٤٢٠).

(٣) تقدم برقم: (١٣٨).

(٤) تقدم برقم: (١٤٧).

١٥٦١ـ وخرَّجَ مسلمٌ عن أبِي هُريرةَ: أنَّ النَّبيَّ ﷺ جعَلَ اثني عشرَ ميلًا حولَ المدينَةِ حمًى. [م: ١٣٧٢]

* قال: قال رسولُ الله ﷺ: «حُرِّمَ ما بينَ لابتَي المدينَةِ على لسَاني»، قال: وأتى النَّبيُّ عليه السَّلام بني حارثَةَ فقال: «أرَاكُم...» إلى آخرِه.

وقد تقدَّمَ الكلامُ على حرمِ المدينةِ في البابِ الثاني في قوله عليه السَّلام(١): «وإني أُحرِّمُ ما بينَ لابَتيها».

و(**حارثةُ**) هو: ابنُ الحارثِ بنِ الخزرجِ، بطنٌ من الأنصارِ.

وأمَّا **الحِمَى**: وهو المرعَى، فقد روى الصَّعبُ بنُ جثَّامةَ، قال: سمعت رسولَ الله ﷺ يقول: «لا حِمَى إلَّا للهِ ورسولِه»(٢)، وهذا الحديثُ يدلُّ على أنَّه كان جائزًا للنَّبيِّ عليه السلام أنْ يجعلَ حمًى، ولكنَّه لخاصَّة نفسِه أو لمصالحِ المسلمين، لا دلالةَ فيه على ذلك، ولكنَّهم اتَّفقُوا على جوازِ ذلك لنفسِه خاصَّة، واختلفوا فيمَنْ بعدَه من الأئمَّة، فقالوا: لا يجوز أنْ يعملَ ذلك لنفسِه.

واختلفوا في أنَّه هل يَحمِي لمصالحِ المسلمين؟ فمنهم من لم يُجوِّزْ؛ للحديثِ، ومنهم مَن جوَّزَ ذلك على نحو ما حمى رسولُ الله ﷺ النقيعَ(٣) لمصالحِ المسلمين؛ بحيث لا يكونُ ضررًا على مَن حماهُ عليه، وهو قولُ الأكثرين(٤).

---

(١) تقدم برقم: (٤١٧).

(٢) رواه البخاري (٢٢٤١).

(٣) النقيع: هو موضع حماه لنعم الفيء وخيل المجاهدين، فلا يرعاه غيرها، وهو موضع قريب من المدينة، كان يستنقع فيه الماء؛ أي: يجتمع. انظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير (٥/ ١٠٨).

(٤) انظر: «التهذيب في فقه الإمام الشافعي» للبغوي (٥/ ٢٢٠)، و«التجريد» للقدوري (٨/ ٣٧٦٤).

ومحملُ الحديثِ أنْ يعملَ ذلك لخاصَّة نفسِه؛ فإنَّ عمرَ رضي الله عنه قد حمَى بعدَ رسولِ الله ﷺ لذلك[1].

١٥٦٢ـ (م): أبو هُريرة رضي الله عنه: «أشهَدُ أن لا إلهَ إلَّا اللهُ وأنِّي رسولُ اللهِ، لَا يَلقَى اللهَ بهِمَا عبدٌ غيرَ شاكٍّ فيهمَا، إلَّا دخلَ الجنَّةَ». [م: ٢٧]

* قال: لما كانَ يوم غزوة تبوكٍ أصابَ الناسَ مجاعةٌ، فقالوا: يا رسولَ اللهِ؛ لو أذنْتَ لنا فنحرْنا نواضِحَنا، فأكلْنا وادَّهنَّا، فقال رسولُ الله ﷺ: «**افعلوا**»، قال: فجاءَ عمرُ رضي الله عنه فقال: يا رسولَ الله؛ إنْ فعلْتَ قَلَّ الظَّهْرُ، ولكنْ ادعُهم بفضلِ أزوادِهم، ثمَّ ادعُ اللهَ لهم بالبركةِ، لعلَّ اللهَ أنْ يجعلَ في ذلك، فقال رسولُ الله ﷺ: «**نعم**». فدعا بنطْعٍ فبسَطَه، ثمَّ دعا بفضلِ أزوادِهِم، فجعلَ الرجلُ يجيءُ بكفِّ ذرةٍ، وقال: وجعلَ الآخرُ يجيءُ بكفِّ تمرٍ، قال: وجعل الآخرُ يجيءُ بكسرةٍ، حتى اجتمعَ على النَّطعِ من ذلك شيءٌ يسيرٌ، قال: فدعا رسولُ الله ﷺ بالبركةِ، ثمَّ قال: «**خذُوا في أوعيتِكُم**»، قال: فأخذوا في أوعيتِهم حتَّى ما تركوا في العسكرِ وعاءً إلَّا ملؤوه، قال: فأكلُوا حتَّى شبعُوا، وفضلَتْ فَضْلَةٌ، فقال رسولُ الله ﷺ: «**أشهَدُ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ وأنِّي رسولُ اللهِ...**» الحديث.

قولُه: (**لمَّا كانَ يوم غزوةِ تبوكٍ**) المرادُ باليومِ: الوقتُ والزَّمانُ، لا بياضُ النهارِ.

---

(١) روى ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٣/ ٢٨٤): «كان عمر بن الخطّاب يحمي النقيع لخيل المسلمين، ويحمي الرَّبَذَةَ والشرَف لإبل الصدقة، يحمِلُ على ثلاثين ألف بعير في سبيل الله كلّ سنة».

وروى أبو عبيد في «الأموال» (ص: ٣٧٦) (٧٤١) قال عمر: البلاد بلاد الله، وتُحمى لنعم مال الله، يحمل عليها في سبيل الله.

والمجاعةُ: هي الجوعُ.

والنَّواضحُ مِن الإبلِ: هي التي يُستَقى عليها، الذَّكرُ منها ناضِحٌ، والأنثى ناضِحةٌ(١).

قوله: (**وادَّهنَّا**) أي: اتَّخذْنا دهنًا مِن شحمِها، ليس المقصودُ منه ما هو المعروفُ من الادِّهان، كذا قال صاحبُ «التحرير».

وجوابُ (**لو**) محذوفٌ؛ أي: لو أذنْتَ لنا كانَ ذلك مصلحةً أو رأيًا.

وفيه: إشارةٌ إلى أنَّه لا ينبغِي لأهلِ العسكرِ الغزاةِ أنْ يُضيِّعوا دوابَّهم التي يستعينون بها في القتالِ بغيرِ إذنِ الإمامِ، ولا يأذنُ لهم الإمامُ إلَّا إذا رأى مصلحةً.

وقولُ عمرَ: (**إنْ فعلْتَ قلَّ الظَّهْرُ**) فيه جوازُ الإشارةِ على الأئمَّةِ والرُّؤساءِ بالمصلحةِ.

وقوله: (**لعلَّ اللهُ أنْ يجعلَ في ذلك**) مفعولُ (جعل) محذوفٌ؛ أي: بركةً أو خيرًا.

١٥٦٣ ـ (خ): أنسٌ رضي الله عنه: «أُوصيكُم بالأنصارِ؛ فإنَّهُم كَرِشِي وعيبَتِي، وقَد قَضَوا الَّذي عليهِم، وبَقِي الَّذي لهم، فاقبَلُوا من مُحسِنهم، وتجاوَزُوا عن مُسيئِهِم». [خ: ٣٥٨٨]

* قال: مرَّ أبو بكرٍ والعباسُ بمجلسٍ من مجالسِ الأنصارِ وهم يبكونَ فقال(٢): ما يُبكيكُم؟ قالوا: ذكرْنا مجلسَ النبيِّ عليه السلام منَّا، فدخلَ على النَّبيِّ عليه

---

(١) انظر: «المصباح المنير في غريب الشرح الكبير» للفيومي (٢/ ٦٠٩).

(٢) في (ب): «فقال أبو بكر».

السَّلام، فأخبرَه بذلك، قال: فصعدَ المنبرَ، ولم يصعَدْ بعدَ ذلك اليوم، فحمدَ اللهَ وأثنى عليه، ثمَّ قال: «**أُوصيكُم بالأنصَارِ...**» إلى آخره.

ومعنى: (**كَرِشِي وعيبَتِي**) جماعَتِي وخاصَّتي الذين أثِقُ بهم وأعتَمدُ عليهم في أمورِهم. شبَّهَهم عليه السَّلام بما في باطنِهِ(١) وهو كرشُه، وبما في ظاهرِه وهو عَيْبَتُه، وهو وعاءٌ معروفٌ أكبرُ مِن المِخْلاةِ، يحفظُ الإنسانُ فيها ثيابَه وفاخرَ متاعِه.

والكَرِشُ: فيه لغتان: فتحُ الكافِ وكسرُ الرَّاءِ، وكسرُ الكاف وسكونُ الرَّاءِ، وقد يُطلَقُ ويُرادُ به العيالُ، من قول العربِ: تزوَّج فلانٌ بفلانةٍ، فنثرَتْ له بطنَها وكِرْشَها، وبه فسَّرَ مَن فسَّره بجمَاعتِي(٢).

و(**الَّذي عليهِم**) هو المحبَّةُ، والطَّاعةُ، والنُّصْرةُ، وغيرُ ذلك.

و(**الَّذي لهم**) هو الثَّوابُ، والقُربةُ، ونحو ذلك. وفيه: فضيلةٌ ظاهرةٌ للأنصارِ رضي الله عنهم.

١٥٦٤ـ (م): عائشةُ رضي الله عنها: «تأخُذُ إحداكُنَّ ماءهَا وسدرَتَهَا، فتطَهَّرُ فتُحسِنُ الطُّهورَ، ثمَّ تصُبُّ على رأسِهَا، فتَدلُكُه دلكًا شديدًا حتَّى تبلُغَ شُؤونَ رأسِهَا، ثمَّ تصُبُّ عليها الماءَ، ثمَّ تأخُذُ فرصَةً مُمسَّكَةً، فتطهَّرُ بهَا». [م: ٣٣٢]

قالَهُ لأسماءَ بنتِ شَكَلٍ حينَ سألَتْهُ عن غُسلِ المحيضِ.

* قالت: إنَّ أسماءَ بنتَ شكلٍ(٣) سألتِ النَّبيَّ عليه السلام عن غُسلِ المحيضِ،

---

(١) في (ع) و(ن): «بطنه».

(٢) انظر: «المصباح المنير في غريب الشرح الكبير» للفيومي (٢/ ٥٣٠).

(٣) قال ابن حجر في «تقريب التهذيب» (ص: ٧٤٣): أسماء بنت شكل الأنصارية صحابيّة، ويقال: =

فقال: «تأخُذُ إحداكُنَّ...» إلى آخره. فقالَتْ أسماءُ: وكيف أتطهَّرُ بها؟ فقال: «سبحانَ اللهِ! تَطَهَّري بها»، فقالت عائشةُ ـ كأنَّها تخفِي ذلك ـ: تَتَّبعينَ أثرَ الدَّمِ ـ وفي روايةٍ: قالتْ: كيف أَتَطَهَّرُ بها؟ ـ قال: «تَطَهَّري بهَا، سبحانَ اللهِ!»، واستترَ ـ وأشارَ سفيانُ بنُ عُيَينَةَ بيدِه على وجهِهِ ـ قالَتْ عائشةُ: فاجتذَبْتُها إليَّ، وعرفْتُ ما أرادَ النبيُّ ﷺ، فقلتُ: تَتبَّعي بها أثرَ الدَّمِ.

السِّدرُ: ورقُ النَّبَقِ، الواحدةُ: سدرةٌ، وكانت العادةُ الغُسلَ بها[١].

وقوله: (فتطَهَّرُ) أي: فتتطهَّرُ، حذفت إحدى التَّاءين.

و(سُورُ الرَّأسِ) أعلاه، وكلُّ مرتفعٍ سُورٌ. وقد رُوي: «شُؤونَ رأسِهَا»[٢]؛ أي: أصولَ شعرِها وطرائفَ[٣] رأسِها، وهي الرِّوايةُ المعروفةُ.

وقوله: (ثمَّ تأخُذُ فِرْصَةً) بكسرِ الفاءِ وإسكانِ الرَّاءِ وبالصَّادِ المهملةِ، وهي قطعةُ قطنٍ أو صوفٍ، من «فَرَصَ»: إذا قُطِعَ[٤].

و(مُمَسَّكَةً) بضمِّ الميمِ الأولى وفتحِ الثانية، وفتحِ السِّينِ المهملة المشدَّدةِ: هي الخَلَقُ الذي أُمسِكتْ كثيرًا، كأنَّه أرادَ أنْ لا تستعملَ الجديدَ[٥] للارتفاقِ به في الغزلِ وغيرِه؛ ولأنَّ الخَلَقَ أصلحُ لذلك وأوفقُ.

= إنها بنت يزيد ابن السكن، نسبت لجدّها وصُحِّف اسمه. وانظر: «الإصابة في تمييز الصحابة» لابن حجر العسقلاني (٨/ ١٢).

(١) انظر: «المصباح المنير في غريب الشرح الكبير» للفيومي (١/ ٢٧١).

(٢) رواه مسلم (٣٣٢).

(٣) في (ص) و(ك): «وطرائق».

(٤) انظر: «لسان العرب» لابن منظور (٧/ ٦٥).

(٥) في (ن): «الجديدة».

وقيل: هي المُطيَّبَةُ بالمِسكِ. وهذا نصٌّ في استعمالِ الفِرْصَةِ بعدَ الغسلِ إزالةً للرَّائحةِ الكريهَةِ[١]، وهو مستحبٌّ لكلِّ مغتسلةٍ مِن الحيضِ أو النِّفاسِ سواءٌ كانت ذاتَ زوجٍ أو غيرَها.

قال بعضُ المحدِّثين: المستحبُّ أنْ تكونَ الفِرْصةُ مُطيَّبَةً بمسكٍ، فإنْ لم تجدْ فبأيِّ طيبٍ كان، فإنْ لم تجدْ تستعملُ الطِّينَ أو نحوَه ممَّا يزيلُ الكراهةَ، فإنْ لم تفعلْ فالماءُ كافٍ[٢].

وقوله: (**سبحانَ اللهِ! تَطَهَّري بهَا**) صدرَ مِن تعجُّبٍ، ومعنى التعجُّبِ: أنَّه كيف يخفَى مثلُ هذا الظاهرِ الذي لا يحتاجُ الإنسانُ في إدراكِهِ إلى فكرٍ ورويَّةٍ؟

قوله: (**فقالَتْ عائشَةُ ـ كأَنَّها تُخفِي ذلكَ ـ: تَتَّبعينَ بهَا أثرَ الدَّمِ**) معناه: قالَتْ لها كلامًا خفيًّا تسمعُه المخاطبةُ ولا يسمعُه الحاضرون.

وقولها: (**تتَّبعينَ بها أثرَ الدَّمِ**) قال الجمهورُ: تعني: الفَرْجَ[٣].

والشَّكَل: بفتح الشِّين المعجمة والكافِ، هو الصحيحُ، وحُكِي فيه إسكانُ الكافِ[٤].

١٥٦٥ـ (ق): جابرٌ رضي الله عنه: «تَبكِيهِ أو لا تبكِيهِ ما زَالتِ الملائكَةُ تُظلُّهُ بأجنحَتِهَا حتَّى رفعتُمُوهُ». [خ: ٣٨٥٢] [م: ٢٤٧١]

يعني: عبدَ اللهِ أبا جابرٍ.

---

(١) انظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير (٣/ ٤٣١).

(٢) انظر: «المجموع شرح المهذب» للنووي (٢/ ١٨٨)، و«البناية شرح الهداية» للعيني (١/ ٦٣٥).

(٣) انظر: «شرح النووي على مسلم» (٤/ ١٥).

(٤) انظر: «تهذيب الأسماء واللغات» للنووي (٢/ ٣٠٤).

* قال: أُصِيبَ أبي يومَ أُحُدٍ، فجعلتُ أكشفُ الثوبَ عن وجهِه وأبكِي، وجعلوا ينهَونَنِي، ورسولُ الله ﷺ لا ينهَانِي، قال: وجعلَتْ فاطمَةُ بنتُ عَمرٍو تبكيهِ، فقال رسولُ الله ﷺ: «**تَبكِيهِ أو لا تبكِيهِ**...» إلى آخره.

قيل: أصلُه: «تبكينه»، فحُذفت النُّونُ تخفيفًا.

وقولـه: (**فمـا زالَـتْ الملائكَـةُ تظِلُّـه بأجنِحَتِها حتَّـى رفعتُمُوه**) قـال القاضِي: يحتمـلُ أنْ يكـونَ ذلـك لزحمتِها عليه لبشـارتِه بفضـلِ اللهِ ورضاه عنه، ومـا أُعِدَّ له مِـن الكرامَـةِ، أو ازدحمُـوا عليـه إكرامًـا لـه وفرحًا بـه، أو أظلُّـوه مِن حرِّ الشَّـمسِ؛ لئلَّا يتغيَّـرَ جسـمُه أو ريحُه[1].

ومعنى الحديث: البكاءُ وعدمُهُ سواءٌ؛ لأنَّه حصلَ له هذه الكرامةُ، فلا ينبَغِي البكاءُ على مثلِ هذا.

وفيه تسليةٌ لها.

١٥٦٦ـ (م): أبُو هُريرةَ رضي الله عنه: «تبلُغُ الحليَةُ مِن المؤمنِ حيثُ يبلُغُ الوَضُوءُ». [م: ٢٥٠]

*عن أبي حازمٍ، قال: كنتُ خلفَ أبي هريرةَ وهو يتوضَّأُ للصَّلاةِ، فكانَ يمدُّ يدَه حتَّى تبلغَ إبطَه، فقلت له: يا أبا هريرةَ؛ ما هذا الوضوءُ؟ فقال: يا بني فرُّوخٍ؛ أنتم ههنا؟ لو علمتُ أنَّكم ههنا ما توضَّأتُ هذا الوضوءَ، سمعْتُ خليلِي ﷺ يقول: «**تبلُغُ الحليَةُ**...» إلى آخره.

---

(١) انظر: «إكمال المعلم بفوائد مسلم» للقاضي عياض (٧/ ٥٠٠).

(فرُوخ) بالفاءِ والخاءِ المعجمةِ. قال صاحبُ «العين»: بلغَنا أنَّ فرّوخَ مِن وَلَدِ إبراهيم، كان بعدَ إسماعيلَ وإسحاقَ، كثُرَ نسلُهُ، ونمَى عددُه، والعجمُ الذين في وسطِ البلادِ مِن نسلِه[١].

وأرادَ أبو هريرةَ ههنا الموالِيَ.

وقال القاضي: إنَّما أرادَ أبو هريرةَ بكلامِه هذا أنَّه لا ينبَغِي لمن يُقتدَى به إذا ترخَّصَ في أمرٍ لضرورةٍ، أو تشدَّدَ فيه لوسوسَةٍ، أو لاعتقادِ مذهبٍ شذَّ به عن الناسِ أنْ يفعلَه بحضرَةِ العامَّة؛ لئلَّا يترخَّصُوا بترخُّصِه لغيرِ ضرورةٍ، أو يعتقدُوا أنَّ ما تشدَّدَ فيه هو الفرضُ اللازمُ[٢].

وسمّى ذلك (حِلية)؛ لأنَّها تحلِّي تلك الجوارحَ في أعيُنِ الناظِرينَ[٣]، قيل: والمرادُ منها ههنا هو التَّحجِيلُ من آثارِ الوضوءِ.

١٥٦٧ـ(م): أبُو هُريرةَ رضي الله عنه: «تبلُغُ المساكِنُ إهَابَ، أو يَهَابَ». [م: ٢٩٠٣]

*(إهَابَ) بكسرِ الهمزةِ، و(يَهَابَ) بياءٍ مثنَّاةٍ تحتُ مفتوحةٍ ومكسورةٍ، وكلمةُ (أو) إما للشَّكِّ من الراوي، أو كان يُدعى بكلا الاسمين، فذكرَهما للتَّخييرِ بينهما.

---

(١) انظر: «العين» للخليل الفراهيدي (٤/ ٢٥٣).

(٢) انظر: «إكمال المعلم بفوائد مسلم» للقاضي عياض (٢/ ٥٣).

(٣) انظر: «نوادر الأصول في أحاديث الرسول» للحكيم الترمذي (٢/ ٥).

وذكرَ القرطبيُّ[1] أنَّه عند ابنِ عيسى: «نِهاب» بالنُّون المكسورةِ، والمشهورُ الأوَّلُ، وهو موضعٌ بالقربِ من المدينةِ[2].

وهذا إخبارٌ منه عليه السلام بأنَّ الناسَ يكثرون بالمدينة، ويتَّسعون في مساكنِها وبنيانِها حتى يصلَ بنيانُهم ومساكنُهم إلى هذا الموضعِ، وقد كانَ ذلك في مدَّةِ بني أميةَ، ثمَّ بعدَ ذلك تغيَّرَ أمرُها حتى أقفرَتْ جهاتُها.

١٥٦٨ـ (ق): أَبُو هُرَيرَةَ رضي الله عنه: «تجدُونَ مِن شرِّ النَّاسِ ذَا الوجهَينِ الَّذي يأتِي هؤلَاءِ بوجهٍ، وهؤلَاءِ بوجهٍ». [خ: ٣٣٠٤] [م: ٢٥٢٦]

* لم أجِدْ هذا الحديث في نسخةٍ أُخرى من النُّسخ التي عندِي.

و(من) في قوله: «مِن شرِّ النَّاسِ» للتبعيضِ، ومعناهُ ظاهرٌ.

١٥٦٩ـ (ق): فاطمَةُ بنتُ قيسٍ رضي الله عنها: «تدرُونَ لم جمعتُكُم؟ قالوا: اللهُ ورسولُهُ أعلمُ، قال: إنِّي والله ما جمعتُكُم لرغبَةٍ ولا لرَهبَةٍ، ولكِن جمعتُكُم لأنَّ تميمًا الدَّاريَّ كانَ رجُلًا نصرانيًّا، فجاءَ فبايَعَ وأسلَمَ، وحدَّثني حديثًا وافقَ الَّذي كنتُ أحدِّثُكُم عن المسيحِ الدَّجَّالِ، حدَّثني أنَّه ركبَ في سفينَةٍ بحريَّةٍ معَ ثلاثينَ رجلًا مِن لخمٍ وجُذَام، فلعِبَ بهِمُ الموجُ شهرًا في البحرِ، ثمَّ أرفَؤُوا إلى جزيرَةٍ في البحرِ حتَّى مغرِبِ الشَّمسِ، فجلسُوا في أقرُبِ السَّفينَةِ، فدخَلُوا الجزيرَةَ، فلقيَتهُم دابَّةٌ أهلَبُ كثيرُ الشَّعرِ، لا يدرُونَ ما قُبُلُه مِن دُبُرِهِ مِن كثرَةِ الشَّعرِ، فقالُوا: ويلكِ مَا

---

(١) انظر: «المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم» للقرطبي (٧/ ٢٤٣).

(٢) انظر: «معجم البلدان» لياقوت الحموي (١/ ٢٨٣).

أنتِ؟ قالت: أنا الجسَّاسَةُ، قالوا: ومَا الجَسَّاسَةُ؟ قالت: أيُّهَا؛ القومُ انطلقُوا إلى هذَا الرَّجلِ في الدَّيرِ، فإنَّهُ إلى خبَرِكُم بالأشوَاقِ، قال: لمَّا سَمَّتْ لنَا رجلًا فَرِقنَا منها أنْ تكونَ شيطانَةً، قال: فانطلَقنَا سِرَاعًا حتَّى دخلْنَا الدَّيرَ، فإذَا فيهِ أعظَمُ إنسَانٍ رأيناهُ قطُّ خلقًا، وأشدُّهُ وَثاقًا، مجمُوعَةً يداهُ إلى عُنُقِهِ ما بينَ رُكبتيهِ إلى كعبيهِ بالحدِيدِ، قلنا: ويلكَ ما أنتَ؟ قال: قد قدِرتُم على خبَرِي، فأخبرُوني ما أنتُم؟ قالوا: نحن أناسٌ منَ العرَبِ ركبنَا في سفينَةٍ بحريَّةٍ، فصادَفنَا البحرَ حينَ اغتَلَمَ، فلعِبَ بنَا الموجُ شهرًا، ثمَّ أرفَأنَا إلى جزيرَتِكَ هذِهِ، فجلَسنَا في أقرُبِهَا، فدخَلنَا الجزيرَةَ، فلقَيتنَا دابَّةٌ أهلَبُ كثيرُ الشَّعرِ، لا نَدرِي ما قُبُلُه مِن دُبُرِهِ من كثرَةِ الشَّعرِ، فقلنَا: ويلَكِ ما أنتِ؟ فقالتْ: أنا الجَسَّاسَةُ، قلنَا: وما الجَسَّاسَةُ؟ قالتْ: اعمِدُوا إلى هذَا الرَّجلِ في الدَّيرِ؛ فإنَّهُ إلى خبَرِكُم بالأشوَاقِ، فأقبلْنَا إليكَ سِرَاعًا وفزعنَا منها، ولم نأمَن أن تكُونَ شيطَانَةً، فقال: أخبرُوني عن نَخلِ بَيْسَانَ؟ قلنَا: عن أيِّ شأنِهَا تستَخبِرُ؟ قال: أسألُكُم عن نخلِهَا هل تُثمِرُ؟ قلنَا لهُ: نَعم، قال: أمَا إنَّها تُوشِكُ ألَّا تُثمِرَ، قال: أخبِروني عن بُحَيرةِ طَبَرِيَّةَ، قلنَا: عن أيِّ شأنِهَا تستخِبرُ؟ قال: هل فيها ماءٌ؟ قالُوا: هي كثيرَةُ الماءِ، قال: إنَّ ماءَهَا يُوشِكُ أن يذهَبَ، قال: أخبِرُوني عن عَينِ زُغَرَ؟ قالوا: عن أيِّ شأنِها تستَخبِرُ؟ قال: هَل في العَينِ ماءٌ، وهل يزرَعُ أهلُهَا بماءِ العَينِ؟ قلنَا لهُ: نعم، هيَ كثيرَةُ الماءِ، وأهلُهَا يزرعُونَ من مائِهَا، قال: أخبِرُوني عن نبيِّ الأُمِّيِّينَ ما فعلَ؟ قالوا: قَد خرَجَ مِن مكَّةَ، ونزَلَ يثرِبَ، قال: أقاتلَتهُ العرَبُ؟ قلنَا: نَعم، قال: كيفَ صنعَ بهِم؟ فأخبرنَاهُ أنَّه قد ظهرَ على مَن يليهِ من العرَبِ فأطاعُوهُ، قال لهُم: قد كانَ ذلكَ؟ قلنَا: نَعم، قال: أما إنَّ ذلكَ خيرٌ لهم أن يطيعُوهُ، فإنِّي مُخبِرُكم عنِّي، إنِّي أنَا المسيحُ، وإنِّي أُوشِك أن يؤذَنَ لي في الخُرُوجِ، فأخرُجُ فأسِيرُ في الأرضِ، فلا أَدَعُ قريَةً إلَّا هبطتُها في الأربعِينَ ليلةً غيرَ مكَّةَ وطيبةَ، وهما مُحَرَّمتانِ عليَّ كلتاهُمَا، كلَّمَا أردتُ أن أدخُلَ

واحدَةً منهما استقبلَنِي ملكٌ بيدِهِ السَّيفُ صلتًا يصدُّني عنها، وإنَّ على كلِّ نقبٍ منها ملائكَةً يحرسُونَهَا، فطعَنَ رسولُ اللهِ ﷺ بمخصرَتِهِ في المنبرِ هذِهِ طيبةُ هذِهِ طيبَةُ، ألا هل كنتُ حدَّثتكُم ذلكَ؟ فقال النَّاسُ: نَعم، فإنَّه أعجبَني حديثُ تميمٍ أنَّه وافقَ الَّذي كنتُ أحدِّثُكُم عنهُ وعن المدينَةِ ومكَّةَ، ألا إنَّهُ في بحرِ الشَّامِ أو بحرِ اليمنِ، لا بَل من قبَلِ المشرقِ ما هو، من قبَلِ المشرقِ ما هو، من قبَلِ المشرِقِ ما هوَ، وأومَأَ بيدِهِ إلى المشرِقِ». [م: ٢٩٤٢][(١)]

* قالت: نكحتُ ابنَ المغيرةِ ـ وهو من خيارِ شبابِ قريشٍ يومئذٍ ـ فأُصيبَ في أوَّلِ الجهادِ مع رسولِ الله ﷺ، فلمَّا تأيَّمْتُ خطبَني عبدُ الرَّحمنِ بنُ عوفٍ في نفرٍ من أصحابِ رسولِ الله ﷺ، وخطبَني رسولُ الله على مَولاه أسامةَ بنِ زيدٍ، وكنتُ قد حُدِّثْتُ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «مَنْ أحبَّني فليحِبَّ أسامَةَ»، فلمَّا كلَّمني رسولُ الله ﷺ قلتُ: أمري بيدِك، فأنكِحْني مَنْ شئتَ، فقال: «انتقِلِي إلى أمِّ شَريكٍ»، وأمُّ شريكٍ امرأةٌ غنيَّةٌ من الأنصارِ، عظيمةُ النَّفقةِ في سبيلِ الله، ينزلُ عليها الضِّيفان، فقلتُ: سأفعلُ، فقال: «لا تفعلِي؛ إنَّ أمَّ شريكٍ امرأةٌ كثيرةُ الضِّيفَان، فإنِّي أكرَه أنْ يسقطَ عنك خمارُك أو ينكشِفَ الثَّوبُ عن ساقَيكِ، فيرى القومُ منك بعضَ ما تكرَهينَ، ولكنْ انتقِلِي إلى ابنِ عمِّك عبدِ الله بنِ عَمرِو بنِ أمِّ مكتومٍ»، وهو رجلٌ من بني فهرٍ؛ فهرِ قريشٍ، وهو من البطنِ الَّذي هي منه، فانتقلْتُ إليه. فلمَّا انقضَتْ عِدَّتي سمعتُ نداءَ المنادِي، منادِي رسولِ الله ﷺ ينادِي: الصَّلاةُ جامعةٌ، فخرجْتُ إلى المسجِدِ، فصلَّيْتُ معَ رسولِ الله ﷺ، فكنتُ في صفِّ النِّساء الذي يلي ظهورَ القومِ، فلمَّا قضَى رسولُ الله ﷺ صلاتَه جلسَ على المنبرِ وهو يضحَكُ، فقال: «لِيلزَمْ كلُّ إنسَانٍ مُصلَّاه»، ثمَّ قال: «أتدرون لمَ جمعتُكم؟...» إلى آخر الحديث.

---

(١) قلت: الحديث تفرَّد به مسلمٌ.

قولها: (**نكحْتُ ابنَ المغيرةِ، فأُصِيبَ في أوَّلِ الجهَادِ**) ليس معناه أَنَّه قُتل، بل معناه: أَنَه أُصِيبَ في مالِه، أو أُصِيبَ بجراحةٍ؛ فإنَّها إنَّما تأيَّمَتْ منه بطلاقِها البائنِ، كما وردَ مصرَّحًا به في كتابِ الطَّلاقِ في «صحيح البخاري» و«مسلم»(١).

والأَيِّمُ: هي التي لا زوجَ لها(٢)، وإنَّما أرادَتْ بذلك عدَّ فضائلِه، فابتدأَتْ بكونه خيرَ شبابِ قريشٍ، ثمَّ ذكرَتْ الباقِي.

وقد سبقَ شرحُ حديثِها في البابِ الثاني في قوله(٣): «إنَّ أمَّ شريكٍ».

قيل: قوله: (**إنَّها امرأةٌ غنيَّةٌ**(٤) **مِنَ الأنصارِ**) ليس بصحيحٍ؛ لأَنَّها من بني عامرِ بنِ لؤيٍّ.

وأُجِيبَ: بأَنَّهما ثنتان: قرشيَّةٌ، وأنصاريَّةٌ.

وكذا قولُه: (**ابن عمِّك**) وقوله: (**مِن البَطنِ الَّذي هيَ منهُ**) قال القاضِي: المعروفُ أَنَّه ليسَ بابنِ عمِّها، ولا مِن البطنِ الَّذي هي منه، فكان سَهوًا من الرَّاوي(٥).

وأُجِيبَ: بأَنَّه صحيحٌ، والمرادُ: ابنُ عمِّها مجازًا؛ لأَنَّه من قبيلتِها. والمرادُ بالبطنِ ههنا: القبيلةُ، لا البطنُ الذي هو أخصُّ منها.

وقولها: (**فلمَّا تأيَّمتُ خطبَني عبدُ الرَّحمنِ**) ظاهرُه أنَّ الخِطبةَ كانت في العدَّة، وليس كذلك، إنَّما كانت بعدَ انقضائِها، كما تقدَّمَ في البابِ الثاني، ويكونُ قوله:

---

(١) رواه مسلم (١٤٨٠). ولم أقف عليه في البخاري كما تقدم.

(٢) انظر: «غريب الحديث» لابن قتيبة (٢/ ٤٦).

(٣) تقدم برقم: (٣١٦).

(٤) في هامش (ص): في نسخة: «عتبة».

(٥) انظر: «إكمال المعلم بفوائد مسلم» للقاضي عياض (٥/ ٥٧).

(انتقلِي إلى أمِّ شريكٍ»، و(إلى[١] ابنِ أمِّ مكتومٍ) قبل الخِطبَة، لكنْ عطفَتْ جملةً على جملةٍ من غيرِ ترتيبٍ.

وقوله عليه السَّلام: (حدَّثَني تميمٌ الدَّاريُّ) عُدَّ من مناقبِ تميمٍ؛ لأنَّ النبيَّ عليه السَّلام روى عنه هذه القصَّةَ، وفيه: روايةُ الفاضلِ عن المفضولِ، والمتبوعِ عن التَّابعِ، وفيه: قَبولُ خبرِ الواحدِ.

و(لخمٍ وجُذَامٍ) أخوان، ابنا عديٍّ بنِ عَمرٍو.

وقوله: (ثمَّ أرفَؤُوا) بالهمزةِ؛ أي: نجَوا، ومرفأُ السَّفينةِ: حيث تَرسِي[٢].

وقوله: (في أقرُبِ السَّفينَةِ) بضمِّ الرَّاء، سفينةٌ صغيرةٌ تكون معَ الكبيرةِ كالجنبيَّة، تتفرَّقُ فيها ركَّابُ السَّفينةِ لقضاءِ حوائجِهم، الواحدُ قاربٌ، والجمعُ: قواربٌ، وأقرُبٌ أيضًا[٣].

وقولهم: (دابَّةٌ أهلَبُ) أي: غليظةُ الشَّعرِ، والهلبُ: ما غلُظَ من الشَّعرِ، ومنه الهُلْبَةُ: وهو من شعرِ الخنزيرِ ما يُخرَزُ به[٤]. وذُكِّرَ (أهلَبُ) نظرًا إلى المعنى، وهو الحيوانُ أو الشخصُ، ولو راعَى اللَّفظَ لقالَ: هلباءُ؛ كأحمرَ وحمراءَ.

وقوله: (مَا أنتِ؟) اعتقدوا أنَّها ممَّا لا يعقِلُ، فاستفهمُوا بـ(ما)، ثمَّ إنَّها بعدَ ذلك لمَّا كلَّمَتْهم كلامَ من يعقِلُ خافوا أنْ تكونَ شيطانةً.

وقولها: (أَنَا الجَسَّاسَةُ) بفتح الجيمِ، وتشديد السِّين المهملة الأولى، سُمِّيَتْ

---

(١) في (ن): «أو إلى».

(٢) انظر: «لسان العرب» لابن منظور (١/ ٨٧).

(٣) انظر: «شرح النووي على مسلم» (١٨/ ٨١).

(٤) انظر: «لسان العرب» لابن منظور (١/ ٧٨٦).

بذلك لتجسُّسها أخبارَ الدَّجّال، مِن التَّجسُّسِ ـ بالجيم ـ وهو التَّفحُّصُ عن الأخبارِ، ومنه الجاسوسُ[(١)].

وقد روي عن عبدِ الله بنِ عَمرِو بنِ العاص: أنَّها دابَّةُ الأرضِ التي تخرجُ في آخرِ الزمانِ، كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾ [النمل: ٨٢][(٢)].

وقولها: (إنَّه إلى خَبرِكُم بالأشوَاقِ) أي: كثيرُ الشَّوقِ إليه.

وقوله: (قَد قدِرتُم على خبَرِي) أي: اطَّلعتُم عليه، وقدرتُم على الوصُولِ إليه.

وقوله: (حينَ اغتَلَمَ) أي: هاجَ وجاوزَ حدَّه.

و(بَيْسَانَ) بفتحِ الباء، لا بالكسرِ، بلدةٌ قريبةٌ من الأردنِ، مِن ثُغورِ الشامِ[(٣)].

و(زُغَرَ) بضمِّ الزَّاي، والغينِ المعجمةِ، على وزن (عُمر)، قريةٌ معروفةٌ بالشَّام[(٤)]. قيل: إنَّه غيرُ منصرفٍ؛ كزُفَرَ.

و(نبيِّ الأمِّيِّينَ) أرادَ به محمَّدًا ﷺ؛ لأنَّه من العربِ، والغالبُ منهم لا يكتبُ ولا يحسبُ، فكأنَّهم باقون على أصلِ ولادةِ الأمِّ لهم، فنُسِبَ الأمِّيُّ إليها.

وقوله: (أَمَا إنَّ ذلكَ خيرٌ لهُم أنْ يطيعُوهُ) كلامُ مَنْ عَرفَ الحقَّ، والمخذولُ مِنَ البعدِ من اللهِ بمكانٍ، فوجهُهُ أنْ يقالَ: إنَّه أرادَ به الخيرَ في الدنيا؛ أي: طاعتُهم خيرٌ لهم في الدُّنيا؛ إذْ لو خالفُوه اجتاحَهم وأهلكَهُم.

---

(١) انظر: «لسان العرب» لابن منظور (٦/ ٣٨).

(٢) رواه أبو عمرو الداني في «السنن الواردة في الفتن» (٦/ ١٢٥٤) (٦٩٧).

(٣) انظر: «معجم البلدان» لياقوت الحموي (١/ ٥٢٧).

(٤) انظر: «معجم البلدان» لياقوت الحموي (٣/ ١٤٢).

ويجوزُ أنَّ اللهَ تعالى أجرَى على لسانِه هكذا.

وقوله: (بيدِهِ السَّيفُ صَلتًا) بفتحِ الصَّاد وضمِّها؛ أي: مجرَّدًا عن غِمْدِه.

والنَّقبُ: الطريقُ بين الجبلين.

والمِخْصَرةُ ـ بكسر الميم ـ: عصًا أو قضيبٌ كان يكونُ مع المَلِك إذا تكلَّمَ.

وقوله: (أَلَا إنَّهُ في بحرِ الشَّامِ)... إلى آخره: اختلفَ شارحُو هذا الحديثِ في معناه، فقال القرطبيُّ رحمه الله[١]: هذا كلُّه كلامٌ ابتُدِئَ على الظَّنِّ، ثمَّ عرضَ الشَّكُّ، أو قصدَ الإبهامَ[٢]، ثمَّ نَفى ذلك كلَّه، وأضربَ عنه بالتَّحقيقِ، فقال: (لا بَل مِن قبَلِ المشرقِ) ثمَّ أكَّدَ ذلك بـ(ما) الزائدةِ، وبالتَّكرارِ اللَّفظيِّ بـ(ما) فيه زائدةٌ، لا نافيةٌ، وهذا لا بُعْدَ فيه؛ لأنَّه عليه السلام بشرٌ يظُنُّ ويشُكُّ، كما أنَّه ينسَى ويسهو عليه الصَّلاة والسَّلام، إلَّا أنَّه لا يتمادَى ولا يُقِرُّ على ذلك من شيءٍ.

والحاصلُ: أنَّه عليه السلام ظنَّ أنَّ الدَّجَّالَ المذكورَ في بحرِ الشامِ؛ لأنَّ تميمًا إنَّما ركبَ بحرَ الشامِ، ثمَّ عرضَ له أنَّه في بحرِ اليمنِ؛ لأنَّه متَّصلٌ ببحرِ اليمنِ، فيجوزُ أنَّه قال ذلك، ثمَّ أطلعَه العليمُ الخبيرُ على تحقيقِ ذلك.

وقال بعضُ الشَّارحين: لمَّا حدَّثَهم عليه السَّلام بقول تميمٍ لم يرَ أنْ يبيِّنَ موطنَه كلَّ التَّبيينِ؛ لِما رأى في اللَّبْسِ من المصلحَةِ، فردَّدَ الأمرَ فيه بينَ كونِه في بحرِ الشام أو بحرِ اليمنِ، ولم تكُنِ العربُ يومئذٍ تسافرُ في هذين البحرين.

وقال آخرون: إنَّه أرادَ بـ(بحرِ الشَّامِ) ما يلي الجانبَ الشاميَّ، وبـ(بحرِ اليمنِ) ما يلي الجانبَ اليمنيَّ، والبحرُ واحدٌ، وهو الممتدُّ على أحدِ جوانبِ جزيرة العربِ،

---

(١) انظر: «المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم» للقرطبي (٧/ ٣٠٠).

(٢) في (ن): «الإيهام».

ثمَّ أضربَ عن القولين مع حصولِ اليقينِ في أحدِهما، فقال: (**لا، بل هو من قِبَلِ المشرقِ**)، وكرَّر ذلك مؤكِّدًا بـ(ما) المزيدةِ[١]، وهذا أيضًا حسنٌ.

وقال بعضُهم: (ما) موصُولةٌ، وتقديرُه: لا، بل من قِبَلِ المشرقِ الذي هو من قِبَلِ المشرقِ الذي هو مِن قبلِ المشرقِ، والتَّكرارُ للتَّأكيدِ، واللهُ أعلمُ.

١٥٧٠ ـ (م): أنسٌ رضي الله عنه: «تدمَعُ العينُ، ويحزَنُ القلبُ، ولا نقولُ إلَّا ما يُرضِي ربَّنا، واللهِ يا إبراهِيمُ إنَّا بكَ لمحزُونون». [م: ٢٣١٥][٢]

* قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**وُلِدَ لي اللَّيلةَ غلامٌ، فسمَّيتُه باسمِ أَبِي إبراهِيمَ**»، ثمَّ دفعَه إلى أمِّ سيفٍ ـ امرأةُ قينٍ يقال له: أبو سيفٍ ـ فانطلقَ يأتيهِ، فاتَّبعتُه، فانتهينا إلى أبي سيفٍ وهو ينفخُ بكيرِهِ، وقد امتلأَ البيتُ دخانًا، فأسرعْتُ المشيَ بين يديْ رسولِ الله ﷺ فقلتُ: يا أبا سيفٍ أَمسِكْ، جاء رسولُ الله ﷺ، فأمسَكَ، فدعا النبيُّ عليه السلام بالصَّبيِّ فضمَّه إليه، وقال ما شاءَ الله أنْ يقولَ.

قال أنسٌ: لقد رأيتُه وهو يَكْبِدُ بنفسِه بين يدَيْ رسولِ الله ﷺ، فدمعَتْ عينا رسولِ الله ﷺ، وقال: «**تدمَعُ العينُ...**» إلى آخره.

(**يكبِدُ**) بفتحِ الباءِ الموحَّدةِ: يجودُ بها، ومعناه: وهو في النَّزعِ[٣]، **والقين**: الحدَّادُ[٤].

---

(١) في (ك): «الزائدة»، وقال في هامشها: في نسخة: «المزيدة».

(٢) وهو في البخاري (١٢٤١).

(٣) انظر: «المحيط في اللغة» لابن عباد (٢/ ٣٧).

(٤) انظر: «جمهرة اللغة» لابن دريد (٢/ ٩٨٠).

وفي الحديثِ دليلٌ على جواز التَّسميةِ بأسماءِ الأنبياءِ عليهم السَّلام.

وفيه: استتباعُ العالِمِ والكبيرِ[(١)] بعضَ أصحابِهِ إذا ذهبَ إلى منزلِ قومٍ.

وفيه: الأدبُ معَ الكبارِ.

وفيه: جوازُ البكاءِ على المريضِ والحزنِ، وأنَّ ذلك لا يُنافي الرِّضا بالقضاءِ، بل هي رحمةٌ جعلَها اللهُ في قلوبِ عبادِه، وإنَّما المذمومُ: النِّياحةُ والدُّعاءُ بالويلِ والثُّبورِ ونحو ذلك، ولهذا قال عليه السَّلام: (**ولا نقولُ إلَّا ما يُرضِي ربَّنا**)[(٢)].

ورُوي: أنَّه عليه السلام لمَّا دمعَتْ عيناه قيلَ له عن ذلك، فقال: «ما رأيتُ اللهَ جعلَ الحزنَ عارًا على يعقوبَ عليه السلام»[(٣)].

قيل: ما جفَّتْ عينا يعقوبَ عليه السَّلام من وقتِ فراق يوسفَ عليه السلام إلى حينِ لقائهِ ثمانين عامًا، وما على وجهِ الأرضِ أكرمُ على اللهِ مِن يعقوبَ عليه السَّلام.

١٥٧١ ـ (ق): ابنُ عُمر رضي الله عنهما: «تُطعِمُ الطَّعامَ، وتقرأُ السَّلامَ على مَن عرَفْتَ ومَن لم تَعرِف». [خ: ١٢] [م: ٣٩]

قالهُ لرجلٍ قال: أيُّ الإسلامِ خيرٌ؟

* قال: سأل رجلٌ رسولَ الله ﷺ: أيُّ الإسلام خيرٌ؟ فقال: «**تُطعِمُ الطَّعامَ...**» إلى آخره.

---

(١) في (ص): «الكبير».

(٢) في (ص) و(ن): «يرضى به ربنا».

(٣) لم يثبت مرفوعًا وإنما رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٩/ ١٧٨): عن يونس بن عُبيد قال: لما مات سعيد بن أبي الحسن حزن عليه الحسن حزنًا شديدًا، وأمسك عن الكلام حتى عُرف ذلك في مجلسه وحديثه، قال: فكُلّم في ذلك فقال: الحمدُ لله الذي لم يجعل الحزن عارًا على يعقوب.

قالوا: معناه: أيُّ خصالِ دينِ الإسلامِ وأمورِه؟ فحُذِفَ المضافُ والمضافُ إليه، واكتُفِيَ بالمضافِ إليه الثاني، كما في قوله(١):

أَسَالَ البِحَارَ فانْتَحَى لِلْعَقِيقِ

أي: أسالَ سُقيا سحابةٍ، وفيه نظرٌ؛ للاستغناءِ عن تقديرِ الدِّين.

قال القرطبيُّ(٢): كأنَّه ﷺ فَهِمَ من هذا السَّائلِ أنَّه سأَلَ عن أفضلِ خصالِ المسلمين المتعدِّيةِ النفعِ إلى الغيرِ، فأجابَ بأعمِّ ذلك وأنفعِه في حقِّه؛ فإنَّه كان عليه السَّلامُ لا يجيب كلَّ سائلٍ إلَّا على حسبِ ما يفهمُ عنه، وبما هو الأهمُّ في حقِّه والأنفعُ له.

قوله: **(وتقرأُ السَّلامَ)** تقولُ: قرأَ عليه السَّلامَ، ولا تقولُ: أقرأَه السَّلامَ إلَّا في لغةٍ رَديَّةٍ(٣).

قيل: إنَّما جُمِعَ له بينَ الإطعامِ والإفشاءِ؛ لاجتماعِهما في استلزامِ المحبَّةِ الدِّينيَّة والألفةِ الإسلاميَّة، كما قال عليه السَّلام: «ألا أدلُّكُم على شيءٍ إذا فعلتُموه تحابَبْتُم؟ أفشُوا السَّلام بينكم»(٤).

وفيه دليلٌ على أنَّ السَّلام لا يقتصرُ على من يَعرِفُ، بل على المسلمين كافَّةً.

---

(١) هو أبو داود الإيادي، والشطر الأول منه: أيا مَنْ رأى لي رأيَ بَرْقٍ شريقِ. انظر: «شرح المفصل» لابن يعيش (٢/ ٢٠٠).

(٢) انظر: «المفهم لما أشكل من صحيح مسلم» للقرطبي (١/ ٢٢٢).

(٣) انظر: «تاج العروس من جواهر القاموس» لمرتضى الزبيدي (١/ ٣٦٦).

(٤) رواه مسلم (٥٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

١٥٧٢ـ (م): نافعُ بنُ عُتبةَ رضي الله عنه: «تغزُونَ جزيرَةَ العرَبِ، فيفتحُهَا اللهُ، ثمَّ تغزُونَ فارِسَ، فيفتحُهَا اللهُ، ثمَّ تغزُونَ الرُّومَ، فيفتحُهَا اللهُ، ثمَّ تغزُونَ الدَّجَّالَ، فيفتحُهُ اللهُ». [م: ٢٩٠٠]

*عن جابرِ بنِ سمرةَ، عن نافعِ بنِ عتبةَ رضي الله عنهما، قال: كنَّا مع النَّبيِّ عليه السَّلام في غزوةٍ، فأتى النبيَّ عليه السَّلام قومٌ من قِبَلِ المغربِ، عليهم ثيابُ صوفٍ، فواقفُوه عندَ أكمَةٍ؛ فإنَّهم لَقيامٌ ورسولُ الله ﷺ قاعدٌ، فقالَتْ لي نفسِي: ائْتِهم فقُمْ بينهم وبينه لا يغتالونَه، قال: ثمَّ قلتُ: لعلَّه نجيٌّ معهم، فأتيتُهم فقمْتُ بينهم وبينه، قال: فحفظْتُ منه أربعَ كلماتٍ أعُدُّهنَّ في يدِي، قال: «**تغزُونَ جزيرَةَ العرَبِ**...» إلى آخره.

قوله: (**قومٌ من قِبَلِ المغربِ**) أي: من قِبَلِ مغربِ المدينةِ، (**عليهم ثيابٌ من صوفٍ**): يعني: لباسَ أهلِ الباديةِ.

والأكمَةُ: القطعةُ الغليظةُ من الرَّمل[1]. **وواقفُوه**: أي: وقفوا أمامَه، فوقفَ لهم، أو استدعوا منه ذلك.

ومعنى (**يغتالونه**): يقتلونه غيلةً؛ أي: خديعةً[2].

والنَّجيُّ: المناجِي في خلوةٍ، والخطابُ لم يكنْ لهم خاصَّةً، بل لكلِّ من يتأتَّى منه كونُه مخاطبًا؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ﴾ [السجدة: ١٢] الآية، فيكونُ معناه راجعًا إلى معنى قولِه: «لا تزالُ طائفةٌ من أمَّتي يقاتلون على الحقِّ ظاهرين إلى قيامِ السَّاعةِ»[3].

---

(١) انظر: «المصباح المنير في غريب الشرح الكبير» للفيومي (١/ ١٨).

(٢) انظر: «مختار الصحاح» للرازي اللغوي (ص: ٢٣١).

(٣) رواه مسلم (١٥٦) من حديث جابر رضي الله عنه.

وقولُه: (**ثمَّ تغزُونَ الدَّجَّالَ، فيفتَحُه اللهُ**) بضمير المذكَّرِ في بعض النُّسخِ، فيجوزُ أنْ يعودَ إلى قتلِه؛ أي: فيفتحُ اللهُ قتلَ الدَّجَّالِ نفسِه على يدِ عيسى بنِ مريمَ عليه السَّلام، ويجوزُ أنْ يعودَ إلى ملكِه؛ أي: الأرضَ التي يغلبُ عليها، وفي بعضِها بضميرِ المؤنَّثِ، فيعودُ إلى مملكتِه، وهي الأرضُ المذكورةُ(١).

وقد تقدَّم (**جزيرَةَ العرَبِ**) في البابِ الثاني في قوله عليه السلام(٢): «إنَّ الساعةَ لا تكونُ حتى تكونَ عشرُ آيات».

١٥٧٣ـ (خ): أمُّ سلمةَ رضي الله عنها: «تقتُلُ عمَّارًا الفئَةُ الباغيَةُ». [م: ٢٩١٦](٣)

*قال بعضُ الشارحين: لم يُخرِّجُ البخاريُّ في قتلِ عمَّارٍ شيئًا، وقد علَّمَ المصنِّفُ رحمه الله على هذا الحديث علامةَ البخاريِّ، وتابعه على ذلك الشَّارحون، وكأنَّه وقع سهوًا من الكاتب في وضعِ العلامةِ.

قالوا: في الحديث شهادةٌ صادقةٌ على بغيِ معاويةَ وفئتِه؛ فإنَّهم هم الذين قتلوا عمَّارًا؛ فإنَّه كان بعسكرِ عليٍّ بصفين(٤)، وأبلى في القتال بلاءً عظيمًا، وحرَّضَ أصحابَ رسولِ الله ﷺ على قتالِ معاويةَ وأصحابه، وكان يقول(٥):

---

(١) انظر: «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» للقرطبي (٧/ ٢٣٨).

(٢) تقدم برقم: (٢٣٧).

(٣) قلت: الحديث رواه مسلمٌ لا البخاريُّ.

(٤) في هامش (ك): «صفين: هو موضع على شاطئ الفرات بالقرب من الرحبة، وهي وقعة مشهورة، وكانت في سنة سبع وثلاثين من الهجرة. ذكره ابن خلكان».

(٥) هذه الأبيات رواها الطبراني في «المعجم الكبير» (١٤/ ٣٦٦) (١٤٩٩٩)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٤/ ٣٢٣) عن عبد الله بن رواحة، وعمار رضي الله عنه كان يتمثل بها في وقعة صفين. وانظر: «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» لابن عبد البر (٣/ ١١٣٩).

نحــنُ ضَرَبْناكُــم علــى تنزيلِهِ فاليــومَ نضْرِبُكــم علــى تأويلِــهِ
ضَربًــا يُزِيــلُ الهــامَ عَــن مَقِيلِــهِ ويُذهِــبُ الخَليــلَ عَــن خَليلِــه
أو يرجِــعُ الحــقُّ إلــى سبيلِهِ

قال ابنُ عبدِ الرَّحمن السُّلمي: فلم أرَ أصحابَ محمدٍ قُتِلُوا في موطنٍ ما قُتِلُوا يومئذٍ[١].

قال عبدُ الرَّحمن بنُ أبزَى: شهدْنا صفِّين مع عليٍّ في ثمانمئةٍ ممَّنْ بايعَ بيعةَ الرِّضوان، قُتِلَ منهم ثلاثةٌ وستُّون منهم عمَّارُ بنُ ياسرٍ[٢].

وإذا ثبتَ أنَّ أصحابَ معاويةَ هم الذين قتلوا عمارًا ثبتَ أنَّهم البُغاةُ، وأنَّ المحقَّ هو عليٌّ رضي الله عنه؛ فإنَّ عليًّا كان أحقَّ بالإمامةِ في ذلك الوقتِ مِنْ كلِّ مَنْ كانَ على وجهِ الأرضِ من غيرِ نزاعٍ لا من معاويةَ ولا من غيرِه، وقد انعقدَتْ بيعتُه بأهلِ الحلِّ والعقدِ من أصحابِ محمَّدٍ ﷺ وأهلِ دار الهجرةِ، فوجبَ على أهل الشَّامِ والحجاز والعراقِ وغيرِهم مبايعتُه، وحرِّمَتْ عليهم المخالفةُ، فامتنعُوا عن بيعتِه، وعملوا على مخالفتِه فكانوا ظالمين، وعن حدِّ الحقِّ متجاوِزِين.

وما كفاهم كونُهم بغاةً حتى أقدمُوا على تحريفِ كلام النبيِّ عليه السَّلام؛ فإنَّه حُكي عن معاويةَ أنَّه قال: نقولُ بموجبِ الخبرِ، نحن الباغيةُ لدمِ عثمانَ؛ أي: الطَّالبةُ له، وقال: إنَّما قتله مَن أخرجَه للقتلِ وعرضَه عليه[٣].

---

(١) انظر: «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» للقرطبي (٧/ ٢٥٦).

(٢) رواه خليفة بن خياط في «تاريخه» (ص: ١٩٦).

(٣) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٣/ ٢٣٤)، وأحمد في «مسنده» (٦٤٩٩)، وأبو يعلى في «مسنده» (٧١٧٥).

أمَّا التَّأويلُ الأوَّل: فقد ذكر العلماءُ في بيانِ تحريفِه وجوهًا يطولُ ذكرُها، ولعلَّه لا يحتاجُ إلى ذلك؛ لأنَّ النَّبيَّ ﷺ لم يذكرْ الفئةَ الباغيةَ إلا في معرِضِ إظهارِ فضيلةِ عمَّارٍ وذمِّ قاتلِه؛ فإنَّه رُوِيَ عن أبي سعيدٍ في ذكرِ بناء المسجدِ، قال: كنَّا نحملُ لَبِنةً لبنةً، وعمَّارٌ يحملُ لبنتَين لبنتَين، فرآه النَّبيُّ عليه السلام، فنفضَ عنه الترابَ يقول: «ويحَ عمَّارٍ! يدعُوهم إلى الجنَّةِ، ويدعُونه إلى النَّارِ»[(١)]، وفي طريقٍ آخرَ: «يدعُوهم إلى اللهِ»[(٢)].

والبغيُ: بمعنى الطَّلَبِ للدَّمِ غيرُ مناسبٍ له أصلًا، فكان تحريفًا.

وقد ذهبَ عبدُ الله بنُ عمرو بنِ العاص[(٣)] وغيرُه يوم قُتِلَ عمَّارٌ وأكثرُ أهلِ العصرِ إلى حملِ اللَّفظِ على البغيِ المتعارفِ، ورأوا أنَّ ذلك التَّأويلَ تحريفٌ.

وأمَّا الثاني: فلأنَّ أصحابَ محمدٍ ﷺ لم يجبروا عمَّارًا على الخروجِ، بل هو خرَجَ بنفسِه ومالِه مجاهدًا في سبيلِ الله، قاصدًا لإقامةِ الفرضِ بدفعِ مَن بغَى على الإمام الحقِّ، وهذا أعرفُ في التَّحريفِ من الأوَّل.

والظاهرُ أنَّ هذين التأويلين افترَى بهما[(٤)] الناقلون عن معاويةَ عليه؛ فإنَّه أعقلُ من أنْ يقعَ في شيءٍ ظاهرِ الفسادِ على العامِّ والخاصِّ.

وفي الحديث معجزةٌ من أوجهٍ:

الأوَّل: أنَّ عمَّارًا يموتُ قتيلًا.

---

(١) رواه البخاري (٤٣٦)، وأحمد في «مسنده» (١١٨٦١).

(٢) رواه البخاري (٢٦٥٧).

(٣) انظر: «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٣/ ٢٣٤)، و«المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» للقرطبي (٧/ ٢٥٧).

(٤) في (ن): «افتراهما».

والثَّاني: أنَّ قتلتَه بُغَاةٌ.

والثَّالث: أنَّه يُقتَلُ على الدَّعوةِ إلى اللهِ وإلى الجنَّة. والله أعلم.

١٥٧٤ـ (م): أَبُو هُريرةَ رضي الله عنه: «تقومُ السَّاعةُ والرَّجلُ يحلُبُ اللَّقحةَ، فما يصلُ الإناءُ إلى فيهِ حتَّى تقومَ، والرَّجلانِ يتبايَعَانِ الثَّوب فما يتبايَعَانِهِ حتَّى تقومَ، والرَّجلُ يلُوطُ حوضَهُ، فما يصدُرُ عنهُ حتَّى تقومَ». [م: ٢٩٥٤]

* (**اللَّقْحَة**) قد تقدَّم معناها: أنَّها الناقةُ الغزيرةُ اللَّبنِ، القريبةُ العهدِ بالنَّتاجِ[١]، وفتحُ اللام وكسرها مرويَّان[٢].

وقوله: (**يلُوطُ حوضَهُ**) أي: يصلحُه، ووقعَ في البخاري: «**يُليط**»[٣] بضمِّ الياء، مِن ألاطَ.

قال في «الغريبين»: كلُّ شيءٍ لصقَ بشيءٍ فقد لاطَ به[٤].

ومعنى الحديث: بيانُ أنَّ الساعةَ تقومُ بغتةً؛ كما قال تعالى: ﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ [الأعراف: ١٨٧]، وقال: ﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ [النحل: ٧٧]. أخبرَ النَّبيُّ ﷺ بما يفجَأُ النَّاسَ من قيامِها حتى لا يُتِمَّ أحدٌ ما بيديهِ من نشرِ الثَّوبِ وطيِّه ولِيْطَةِ الحَوضِ وغيرِها.

---

(١) تقدم برقم: (٩٩٦).

(٢) في (ن): «مرويتان».

(٣) رواه البخاري (٦١٤١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. ولعل من حق الحديث أن يرمز له بـ: (ق)، ولكن اللفظ المساق لمسلم.

(٤) انظر: «الغريبين في القرآن والحديث» للهروي (٥/ ١٧١١).

وأقربُ من ذلكَ ما وقعَ في روايةِ البُخاريِّ: «ولتقومَنَّ الساعةُ وقد رفعَ أُكْلتَه إلى فيه، فلا يَطْعَمُها»[(١)].

والأُكلة ـ بالضمِّ ـ: هي اللُّقْمةُ[(٢)].

١٥٧٥ـ (م): المستورِدُ رضي الله عنه: «تقُومُ السَّاعةُ والرُّومُ أكثرُ النَّاسِ». [م: ٢٨٩٨]

* عن عليِّ بنِ رباحٍ، قال: قال المستوردُ القرشيُّ عند عَمرو بنِ العاصِّ: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**تقُومُ السَّاعةُ والرُّومُ أكثرُ النَّاسِ**»، فقال له: أبصرْ ما تقول، قال: أقولُ ما سمعتُ من رسول الله ﷺ، قال: لئن قلتَ ذلك إنَّ فيهم لخصالًا أربعًا: إنَّهم لأحلمُ الناسِ عند فتنةٍ، وأسرعُهم إفاقةً بعد مصيبةٍ، وأوشَكُهم كَرَّةً بعدَ فرَّةٍ، وخيرُهم لمسكينٍ ويتيمٍ وضعيفٍ، وخامسةٌ حسنةٌ جميلةٌ: وأمنَعُهم من ظُلْمِ الملوكِ.

وفي لفظٍ آخرَ: وأجبرُ النَّاسِ عندَ مصيبةٍ، وخيرُ النَّاسِ لمساكينِهم وضُعفائِهم.

قال القرطبيُّ رحمه الله: هذا الحديثُ صدَّقهُ الوجودُ؛ فإنَّهم اليوم أكثرُ مَنْ في العالم غيرَ يأجوجَ ومأجوجَ، إذ عَمروا من الشامِ إلى أقصَى مُنقَطعِ أرضِ الأندلُسِ، وقد اتَّسعَ دينُ النَّصارَى اتِّساعًا عَظِيمًا لم تتَّسِعْه أمَّةٌ من الأممِ، وكلُّ ذلك بقضاءِ اللهِ وقدَرِه[(٣)].

---

(١) تقدم تخريجه قريبًا.

(٢) انظر: «المصباح المنير في غريب الشرح الكبير» للفيومي (١/ ١٧).

(٣) انظر: «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» للقرطبي (٧/ ٢٣٦).

وهذا الَّذي ذكَرَه القُرطبيُّ رحمه الله ليس الرُّومُ، وإنَّما هو الإفرنجُ، وهما طائفتانِ مُتعادِيتان غالبًا وإنْ كانَتا في دينِ النَّصارى، ولو كانَ المرادُ الإفرنجَ؛ فإنَّه بالنسبةِ إلى الهندِ والسِّندِ وبلادِ خطاي[1] وما يلحَقُها، والتُّركُ أقلُّ قليلٍ، فيجوزُ أنْ يكونَ المرادُ: تكثُّرَهم في آخرِ الزمانِ.

قوله: (وأجبرُ النَّاسِ عندَ مصيبةٍ) بالجيم، من «جبرتُ العظمَ والرِّجلَ»: إذا شددْتَ مفاقِرَه[2]، وهو معنى قوله في الروايةِ الأُخرى: (وأسرَعُهم إفاقةً بعدَ مُصِيبةٍ).

١٥٧٦ـ (م): أَبُو هُرَيرةَ رضي الله عنه: «تَقِيءُ الأرضُ أفلَاذَ كَبِدِها أمثالَ الأسطُوَانِ مِنَ الذَّهبِ والفضَّةِ، فيَجِيءُ القاتلُ فيقولُ: في هذا قتَلتُ، ويجيءُ القاطعُ فيقولُ: في هذَا قطَعْتُ رَحِمِي، ويجيءُ السَّارقُ فيقولُ: في هذَا قُطِعَتْ يَدِي، ثمَّ يدَعُونه فلا يأخُذُون منهُ شيئًا». [م: ١٠١٣]

* استعارَ **القَيْءَ** للإخراجِ، وهي استعارةٌ تبعيَّةٌ مصرَّحٌ بها، والقَرِينةُ: الفاعلُ؛ أي: أنَّها تُخرِجُ الكنوزَ المدفونةَ فيها، ويجوزُ أنْ يرادَ به ما رسخَ فيها من العرُوقِ المعدنِيَّة.

والأفلاذُ: جمعُ فِلْذٍ، واحدَتُه: فِلْذَةٌ، وهي القطعَةُ المقطوعَةُ طولًا، وسُمِّيَ ما في الأرضِ كَبِدًا تشبيهًا بكبدِ البعيرِ[3].

---

(١) من بلاد تركستان. «سلم الوصول إلى طبقات الفحول» لحاجي خليفة (٤/ ٣٩٣). ورأيت في كتاب «المعجم العربي لأسماء الملابس» لرجب عبد الجواد إبراهيم (ص٣٧): الخُطائي نسبة إلى بلاد الخطا شمال الصين.

(٢) انظر: «الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية» للجوهري (٢/ ٦٠٧).

(٣) انظر: «مشارق الأنوار على صحاح الآثار» للقاضي عياض (٢/ ١٥٨).

قال ابنُ الأعرابيِّ: الفِلْذُ لا يكونُ إلَّا للبعيرِ، وخُصَّ الكبدُ؛ لأنَّه مِن أطايبِ الجَزورِ عندَ العربِ؛ فإنَّها تقولُ: أطايبُ الجَزورِ السَّنامُ والكَبِدُ(١).

وقوله: (في هذا قتَلْتُ) أي: بسببِ هذا.

١٥٧٧ـ (ق): أبو سعيدٍ رضي الله عنه: «تكونُ الأرضُ يومَ القيامَةِ خُبْزَةً واحدَةً، يكفؤُهَا الجبَّارُ بيدِهِ كما يكفَؤُ أحدُكُم خُبْزَتَهُ في السَّفرِ نُزُلًا لأهلِ الجنَّةِ». [خ: ٦١٥٥] [م: ٢٧٩٢]

*تمامُه: فأتى رجلٌ من اليهودِ، فقال: باركَ الرَّحمنُ عليك يا أبا القاسمِ، ألا أخبرُكَ بنُزُلِ أهلِ الجنَّة يومَ القيامة؟ قال: «بلى»، قال: تكونُ الأرضُ خبزَةً واحدةً، كما قال رسول الله ﷺ، فنظرَ رسولُ الله ﷺ إلينا، ثمَّ ضَحِكَ حتَّى بدَتْ نواجذُه، ثمَّ قال: ألا أخبرُكَ بإدامِهِم؟ قال: «بلى»، قال: إدامُهم بالَامُ ونونٌ، قالوا: وما هما؟ قال: ثورٌ ونونٌ، يأكلُ مِن زيادةِ كبدِهما سبعونَ ألفًا.

قال أهلُ اللغةِ: الخُبْزَةُ: الطُّلْمَةُ التي تُوضَعُ في المَلَّةِ(٢).

وقوله: (يتكفَّؤها) رُوي في غير مسلمٍ بالتاء(٣)؛ أي: يُميلُها من يدٍ إلى يدٍ حتى

---

(١) انظر: «الغريبين في القرآن والحديث» للهروي (٥/ ١٤٧٢)، و«الميسر في شرح مصابيح السنة» للتوربشتي (٤/ ١١٥٧).

(٢) انظر: «لسان العرب» لابن منظور (٥/ ٣٤٣).

وجاء في «التوضيح لشرح الجامع الصحيح» لابن الملقن (٣٠/ ١٠): والخبزة: الطُّلْمَةُ، وهي عجين يوضع في الحفرة بعد إيقاد النار فيها. قال الجوهري: والناس يسمون الخبزة: الملة، وإنما الملة: الحفرة نفسها، والتي تمل فيها هي الطُّلْمَةُ، والخبزة.

(٣) هي رواية البخاري.

تجتمِعَ وتستَوِي؛ لأنَّها ليسَتْ مُنْبَسِطةً كالرُّقاق(١) ونحوه. قيل: والصَّحيحُ روايةُ مسلمٍ، وهي: «يكفؤها» بلا تاء، وهما بمعنًى واحدٍ؛ أي: يميلُها ويقلِّبُها.

وقد تقدَّمَ الكلامُ على تأويلِ اليدِ.

قيل: ومعنى الحديثِ: أنَّ اللهَ تعالى يجعلُ الأرضَ كالطُّلْمَةِ والرَّغيفِ العَظيمِ، ويكون ذلك طعامًا نُزُلًا لأهلِ الجنَّة، وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ.

والنُّزُلُ ـ بضمِّ النُّون والزاي، وبإسكان الزَّاي ـ: ما يُعَدُّ للضَّيفِ عند نزولِه(٢)، هذا هو الظاهرُ من معنى الحديثِ.

وقال الإمامُ شهابُ الدِّين التُّورِبِشْتِي: نرى الحديثَ مُشْكلًا غيرَ مُسْتنكِرين شيئًا مِن صُنعِ الله تعالى، بل لعدَمِ التَّوفيقِ الذي يكونُ مُوجبًا للعلمِ في قلبِ جرمِ الأرضِ من الطَّبعِ الذي هي عليه إلى طبعِ المأكولِ، معَ ما وردَ في الآثارِ أنَّ هذه الأرضَ بَرُّها يمتلئُ نارًا في النشأةِ الثانيةِ، وتنضمُّ إلى جهنَّم، فنرى الوَجْه فيه أنَّ معنى قوله: «خُبزةً واحدَةً» كخبزةٍ واحدةٍ مِن نعتِها كذا وكذا، وهو مثلُ ما في حديثِ سهلٍ: «كقُرْصَةِ النَّقيِّ»(٣).

وإنَّما ضُرِبَ المثلُ بقُرْصَة النَّقيِّ لاستدارَتِها وبياضِها، واستواءِ أجزائها، وفي هذا الحديثِ ضُرِبَ المثلُ بخُبْزةٍ تشبهُ الأرضَ نعتًا وشَكلًا ومسَاحةً، فاشتملَ الحديثُ على معنيين:

أحدهما: بيانُ الهيئةِ التي تكون الأرضُ عليها يومئذٍ.

---

(١) في هامش (ص): «الرقاق: ما لان من الأرض واتسع. غريبين».

(٢) انظر: «لسان العرب» لابن منظور (١١/ ٦٥٨).

(٣) روى مسلم (٢٧٩٠) عن سهل بن سعدٍ رضي الله عنه مرفوعًا: «يحشر الناس يوم القيامةِ على أرضٍ بيضاءَ عفراءَ، كقُرْصَةِ النَّقِيِّ، ليس فيها علَمٌ لأحدٍ».

والآخر: بيانُ الخُبْزَةِ التي يُهَيِّئها الله تعالى نُزُلًا لأهلِ الجنَّة، وبيانُ عِظَمِ مِقْدارِها إبداعًا واختراعًا من القادرِ الحكيم. إلى هنا لفظُه(١)، والله أعلمُ.

وقولُه: **(بَالَامُ)** بباءٍ موحَّدةٍ مفتوحَةٍ وتخفيفِ اللام، وميمٍ مرفوعةٍ بلا تنوينٍ، واختُلِفَ في معناه، فقال القاضِي وغيرُه(٢): إنَّها لفظةٌ عبرانيةٌ معناها: ثورٌ، ولهذا سألوا اليهوديَّ عن تفسيرِها، ولو كانت عربيةً لعرفُوها من غيرِ سؤالٍ.

وقال الخطَّابيُّ: لعلَّ اليهوديَّ أرادَ التَّعميةَ عليهم، فقطعَ الهجاءَ، وقدَّمَ أحدَ الحرفَين على الآخرِ، وهو لام ألفٍ وياءٍ، يريدُ: (لأَى) على وزنِ: لعَا، وهو الثَّورُ الوحشِيُّ، فصحَّفَ الراوي الياءَ المثنَّاةَ فجعلها موحَّدةً. قال الخطَّابي: وهذا أقربُ ما يقعُ فيه(٣).

والنُّون: هو الحوتُ باتِّفاقِ العلماءِ. وقد تقدَّمَ الكلامُ(٤) في **(زيادةِ كبدِ الحوتِ)**.

وقوله: **(يأكلُ منها سبعُونَ ألفًا)** قال القاضِي: لعلَّهم الذين يدخلونَ الجنَّة بغيرِ حسابٍ، فخُصُّوا بأطيبِ النُّزُل، ويحتملُ أنْ يكونَ المرادُ به الكثرةَ، ولم يكنْ محصُورًا في ذلك المقدارِ، وهذا معروفٌ في كلامِ العربِ(٥).

١٥٧٨ـ (ق): أَبو هُريرةَ رضي الله عنه: «ننزلُ غدًا ـ إن شاءَ اللهُ ـ بخيفِ بني كِنَانةَ حيثُ تقاسَمُوا على الكُفرِ». [خ: ١٥١٢] [م: ١٣١٤]

---

(١) انظر: «الميسر في شرح مصابيح السنة» للتوربشتي (٤/ ١١٨٧).

(٢) انظر: «إكمال المعلم بفوائد مسلم» للقاضي عياض (٨/ ٣٢٤).

(٣) انظر: «أعلام الحديث» للخطابي (٣/ ٢٢٦٦).

(٤) تقدم رقم: (٣٨١).

(٥) انظر: «إكمال المعلم بفوائد مسلم» للقاضي عياض (٨/ ٣٢٤).

يعني: **المحَصَّبَ**.

* تحالف قريشٌ وبنو كنانةَ على بني هاشمٍ وبني المطَّلبِ أنْ لا يناكحُوهُم ولا يُبايعُوهم حتى يُسْلِمُوا[١] إليهم رسولَ الله ﷺ، فخرجوا إلى هذا الشِّعبِ ـ وهو خيفُ بني كنانةَ ـ وكتبُوا بينهم الصَّحِيفةَ المشهورةَ، كتبُوا فيها أنواعًا من الباطلِ وقطيعةِ الرَّحمِ، فأرسلَ اللهُ عليها الأَرَضَةَ، فأكلَتْ كلَّ ما فيها من كُفرٍ وباطلٍ وقطيعةِ رحمٍ، وتركَتْ ما فيها من ذكرِ اللهِ، فأخبرَ جبريلُ بذلك النَّبيَّ ﷺ، فأخبرَهُم النبيُّ عليه السَّلام بذلك، فوجدُوه كما أخْبرَ.

قال العلماءُ: كانَ نزولُه عليه السَّلام في ذلك المكانِ شكرًا لله على الظُّهور بعد الاختفاءِ، وعلى إظهارِ دينِ الله، فيُستحبُّ النزولُ فيه؛ اقتداءً برسولِ الله ﷺ.

و(**المحَصَّب**) بفتحِ الحاء والصَّاد المهملتين، والحَصْبةُ[٢]: بفتحِ الحاء وسكون الصَّادِ[٣].

والأبطحُ وخيفُ بني كنانةَ: كلُّه اسمٌ لشيءٍ واحدٍ. وأصلُ **الخيفِ**: كلُّ ما انحدرَ عن الجبلِ وارتفعَ عن المسيلِ[٤].

وقوله: (**إنْ شاءَ اللهُ**) امتثالٌ لقولِه تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ۝٢٣ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الكهف ٢٣ ـ ٢٤].

---

(١) في هامش (ص): «هو التسليم للهلاك خاصة».

(٢) في (ك): «والحصب».

(٣) انظر: «المصباح المنير في غريب الشرح الكبير» للفيومي (١/ ١٣٨).

(٤) انظر: «المصباح المنير في غريب الشرح الكبير» للفيومي (١/ ١٨٦).

١٥٧٩ـ(ق): أبُو هُريرةَ رضي الله عنه: «يأتِي الشَّيطانُ أحدَكُم، فيقولُ: مَنْ خلقَ كذَا؟ مَن خلقَ كذَا؟ حتَّى يقولَ: مَن خلقَ ربَّكَ؟ فإذَا بلغَهُ، فليستَعِذْ باللهِ ولْينتَهِ». [خ: ٣١٠٢][م: ١٣٤]

* وقد تقدَّم الكلامُ عليه في البابِ الثالث في قوله عليه السَّلام[1]: «لا يزالونَ يسألونَك».

١٥٨٠ـ(م): أبُو هُريرةَ رضي الله عنه: «يأتِي المسيحُ مِن قِبَلِ المشرقِ، وهمَّتُهُ المدينَةُ حتَّى ينزلَ دُبُرَ أُحُدٍ، ثمَّ تصرِفُ الملائكَةُ وجهَهُ قِبَلَ الشَّامِ، وهنالِكَ يهلِكُ». [م: ١٣٨٠]

* وقد تقدَّم الكلامُ على اسم الدَّجَّالِ، وعلى أنَّ المدينةَ محروسةٌ منه، وأنَّه يأتي سَبْخَها من دُبُر أُحُدٍ، فيضربُ هنالك رواقَه، فترجفُ المدينةُ بأهلها ثلاثَ رجَفاتٍ، فيخرجُ إليه منها كلُّ كافرٍ ومنافقٍ، ثمَّ يهمُّ بدخولِ المدينةِ، فتصرفُ الملائكةُ وجهَه إلى الشَّام، وهناك يهلكُ بقتلِ عيسى بنِ مريمَ عليهما السلام إيَّاه ببابِ لُدٍّ.

١٥٨١ـ(م): أبُو هُريرةَ رضي الله عنه: «يأتِي على النَّاسِ زمانٌ يدعُو الرَّجلُ ابنَ عمِّهِ وقريبَهُ هلُمَّ إلى الرَّخاءِ، هلُمَّ إلى الرَّخاءِ، والمدينةُ خيرٌ لهُم لو كانُوا يعلمُونَ، والَّذي نفسِي بيدِهِ؛ لا يخرُجُ منهم أحدٌ رغبَةً عنهَا، إلَّا أخلَفَ اللهُ فيها خيرًا منهُ، ألا إنَّ المدينَةَ كالكيرِ تُخرِجُ الخبيثَ، لا تقومُ السَّاعةُ حتَّى تنفِيَ المدينَةُ شرارَها، كما يَنفِي الكِيرُ خبثَ الحديدِ». [م: ١٣٨١]

---

(١) تقدم برقم: (٦٨٧).

* فيه: إشارةٌ إلى ما وقعَ من فتحِ الأمصارِ على المسلمين وكثرةِ الخيرات؛ فإنَّ الشَّامَ والعراق والدِّيارَ المصرية وغيرَ ذلك إذا فُتِحَتْ على المسلمين، وترادفَتْ عليهم الفتُوحات، ركنَ كثيرٌ ممَّنْ خرجَ من أرضِ الحجازِ وبلادِ العربِ إلى ما وُعِدَ من الخصْبِ والدَّعةِ[1] بتلك البلادِ المفتوحةِ، واتَّخذَها دارًا، ودَعا مَن كانَ بالمدينةِ من قرابتِه لشدَّةِ العيشِ بها وضيقِ الحالِ، فهو معنى قوله عليه السلام: **(يدعُو الرجلُ ابنَ عمِّه وقريبَه)**.

وأمَّا قولُه: **(والمدينةُ خيرٌ لهُم لو كانُوا يعلمُونَ)** إلى قوله: **(إلَّا أخلَفَ اللهُ فيها خيرًا منهُ)** فقد تقدَّم الكلامُ عليه في الباب السابع في حديث سعدٍ[2]: «المدينةُ خيرٌ لهم لو كانوا يعلمون».

وأمَّا قوله: **(ألا إنَّ المدينةَ كالكِيرِ)** فقد تقدَّم في البابِ الثاني في قوله[3]: «إنَّما المدينةُ كالكيرِ»، وأنَّ ذلك في كلِّ وقتٍ، لا في وقتٍ دون وقتٍ.

١٥٨٢ـ (ق): أبُو سعيدٍ رضي الله عنه: «يأتِي على النَّاسِ زمانٌ يغزُو فئامٌ مِن النَّاسِ، فيقالُ لهم: هل فيكُم مَن رأى رسولَ الله ﷺ؟ فيقولُونَ: نعم، فيُفتَحُ لهم، ثمَّ يَغزُو فئامٌ مِن النَّاسِ، فيقالُ لهم: هل فيكُم مَن رَأى مَن صَحبَ رسولَ اللهِ؟ فيقولُونَ: نعم، فيُفتَحُ لهم، ثمَّ يَغزو فئامٌ مِن النَّاسِ، فيقالُ لهم: هل فيكم مَن رَأى مَن صحبَ من صحبَ رسولَ الله؟ فيقولونَ: نَعم، فيُفتَحُ لهم». [خ: ٢٧٤٠] [م: ٢٥٣٢]

---

(١) الدَّعَةُ: الخفض في العيش والرّاحة. انظر: «العين» للخليل الفراهيدي (٢/ ٢٢٣).

(٢) تقدم برقم: (١٣٣٧).

(٣) تقدم برقم: (٥٠٠).

* **الفِئام** ـ بفاءٍ مكسُورةٍ ثمَّ همزةٍ ـ: الجماعةُ من الناسِ، ولا واحدَ له من لفظِهِ[١]. وحكى القاضِي تخفيفَ الياء بلا همزٍ[٢]، وقد حُكِيَ عن الخليلِ فتحُ الفاء[٣]، والمشهورُ هو الأوَّلُ.

وفي الحديثِ: إخبارٌ عن الغيب، وبيانٌ لفضيلةِ الصَّحابةِ والتَّابعين وتابعِيهم رضي الله عنهم أجمعِين، وهو مطابقٌ لقوله عليه السلام: «خيرُ القرونِ قَرنِي، ثمَّ الذين يلونَهم، ثمَّ الذين يلونَهم»[٤].

واختلفُوا في الصَّحابيِّ، والذي عليه الأكثرُ أنَّه كلُّ مَنْ رأى النَّبيَّ عليه السَّلام ولو مرَّةً واحدةً[٥].

١٥٨٣ـ (م): عُمرُ رضي الله عنه: «يأتِي عليكُم أُويسُ بنُ عامرٍ، مع أمدادِ أهلِ اليمنِ، من مُرادٍ، ثمَّ مِن قرَنٍ، كان بِهِ بَرَصٌ، فبرِئ منهُ إلَّا موضعَ درهمٍ، لهُ والدَةٌ هو بها بَرٌّ، لو أقسَمَ على اللهِ لأبرَّهُ، فإنْ استطعْتَ أنْ يستغفِرَ لكَ، فافعَلْ». [م: ٢٥٤٢]

* **(أُويسُ)** تصغيرُ أوسٍ، والأوسُ: الذئبُ، وبه سُمِّيَ الرجلُ، وقيل: إنَّه سُمِّي بأوسٍ الذي هو مصدرُ «أُسْتُ الرجلَ أَوْسًا»: إذا أعطيتَه؛ فالأوسُ: العطيَّةُ[٦].

---

(١) انظر: «لسان العرب» لابن منظور (١٢/ ٤٤٧).

(٢) انظر: «إكمال المعلم بفوائد مسلم» للقاضي عياض (٧/ ٥٦٩).

(٣) انظر: «مشارق الأنوار على صحاح الآثار» للقاضي عياض (٢/ ١٤٤).

(٤) رواه البخاري (٢٥٠٩)، ومسلم (٢٥٣٣) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه بلفظ: «خير الناس قرني...».

(٥) انظر: «الغاية في شرح الهداية في علم الرواية» للسخاوي (ص: ٢٣٢).

(٦) انظر: «لسان العرب» لابن منظور (١/ ٥٦)، و«مقاييس اللغة» لابن فارس (١/ ١٥٦).

و(**أمدادِ أهلِ اليمنِ**) جماعاتُهم، جمعُ مددٍ.

عن أُسَيرِ بنِ جابرٍ، قال: كان عمرُ بنُ الخطَّابِ رضي الله عنه إذا أتى عليه أمدادُ أهلِ اليمن سألهم: أفيكم أويسُ بنُ عامرٍ؟ حتى إذا أتى على أويسٍ، فقال له: أنت أويسُ بنُ عامرٍ؟ قال: نعم، قال: مِنْ مرادٍ ثم قَرَنٍ؟ قال: نعم، قال: وكانَ بك بَرَصٌ فبَرَأْتَ منه إلَّا موضعَ درهمٍ؟ قال: نعم، قال لك والدةٌ؟ قال: نعم، قال: سمعْتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**يأتِي عليكُم أُويسُ بنُ عامرٍ...**» إلى آخره، فقال: فاستغفِرْ لي، فاستغفرَ له، فقال عمرُ: أين تريدُ؟ فقال: الكوفةَ، قال: ألا أكتبُ لك إلى عاملِها؟ قال: أكونُ في غبراءِ الناسِ أحبُّ إليَّ.

فلمَّا كانَ مِن العامِ المقبلِ حجَّ رجلٌ مِن أشرافِهم، فوافَقَ عمرَ[1]، فسأله عن أُويسٍ؟ قال: تركتُه رَثَّ البيت قليلَ المتاعِ، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «يأتِي عليكُم أُويسُ...»، وذكرَ الحديثَ إلى آخره. فأتى أويْسًا فقال: استغفِرْ لي، قال: أنت أحدَثُ عهدًا بسفَرٍ صالحٍ، فاستغفِرْ لي، قال: استغفِرْ لي، قال: أنتَ أحدَثُ عهدًا بسفرٍ صالحٍ، فاستغفِرْ لي، قال: لقيتَ عمرَ؟ قال: نعم، فاستغفرَ له، ففطِنَ له الناسُ، فانطلقَ على وجهِهِ.

وأُويسٌ هذا من التابعينَ، أدركَ النَّبيَّ عليه السَّلام، ولم يرَه، ولم يسمَعْ منه، ورَوى مسلمٌ عن عمرَ رضي الله عنه قال: سمعْتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إنَّ خيرَ التَّابعين رجلٌ يقال له: أُويسٌ، وله والدةٌ، وكان به بياضٌ، فمرُوه فليستغفِرْ لكم»[2].

وكانَ من أولياءِ اللهِ المختَفِين الَّذين لا يُؤبهُ له، ولولا أنَّ النَّبيَّ عليه السَّلام أخبرَ

---

(١) قوله: «فوافق عمر»: ليس في (ن) و(ك)، وفي هامش (ص): في نسخة: «فوافى عمر».

(٢) رواه مسلم (٢٥٤٢).

عنه ووصفَهُ ونعتَهُ بعلامتِهِ لما عرفَهُ أحدٌ، وكانَ موجُودًا في حياةِ النبيِّ عليه السَّلام؛ لما مرَّ.

وقد اختُلِفَ في موتِه، فرُوي عن عبدِ الله بنِ مسلمٍ، قال: غزَوْنا أذربيجان زمنَ عمرَ بنِ الخطَّابِ ومعنا أويسٌ القَرَنيُّ، فلمَّا رجعنا مرِضَ معنا فحملناه، فلم يستمسِكْ فماتَ، فنزلنا فإذا قبرٌ محفورٌ، وماءٌ مسكوبٌ، وكفنٌ وحنوطٌ، فغسَّلناه وكفَّنَّاه، وصلَّينا عليه ودفنَّاه، فقال بعضنا لبعضٍ: لو رجعنا فعلَّمْنا قبرَه، فرجعنا فإذا لا قبرَ ولا أثرَ[1].

ورُوي عن عبدِ الرَّحمن بنِ أبي ليلى، قال: نادى رجلٌ من أهلِ الشَّام يوم صِفِّين: أفيكُم أويسٌ القَرَنيُّ؟ فقلنا: نعم، قال: إنِّي سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «أويسٌ القرنيُّ خيرُ التابعين بإحسانٍ»، وعطفَ دابَّتَه فدخلَ مع أصحابِ عليٍّ، فوجدُه في قتلى أصحابِ عليٍّ رضي الله عنه[2].

قوله: (إنِ استطعْتَ أَنْ يستغفرَ لكَ فافعلْ) لا يُفْهمُ منه أنَّه أفضلُ من عمرَ رضي الله عنه، ولا أنَّ عمرَ لم يكُنْ مغفورًا له؛ للإجماعِ على أنَّ عمرَ أفضلُ منه؛ لأنَّه صحابيٌّ، وهو أفضلُ من التابعيِّ بالإجماعِ، وإنَّما مضمونُ ذلك الإخبارُ أنَّ أويسًا ممَّنْ يُستجَابُ دعاؤُه، وإرشادُ عمرَ إلى طلبِ ازديادِ الخيرِ، واغتنامِ دعوةِ مَنْ يُرْتجَى إجابتُها، وهذا نحوٌ ممَّا أمرَنا به عليه السلام من الدُّعاء والصَّلاةِ عليه،

---

(١) رواه أحمد في «الزهد» (٢٠١٦)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٩/ ٤٥٥). قال ابن كثير في «مسند الفاروق» (٣/ ١٣٤): فهذا مخالف للخبر من أنَّه كان بصِفِّين، وهو أصحُّ من هذا، فإنَّ الهيثم بن عدي أخباري ضعيف، وزعم بعضهم أنَّه مات بالحيرة. وقيل: بصِفِّين.

(٢) رواه اللالكائي في «كرامات الأولياء» (٩/ ١١٤) (٥٨)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٧٢٥١)، وفي «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» (٢/ ٨٦).

وسؤالِ الوسيلةِ له، وإنْ كان سيِّدَ ولدِ آدمَ وأفضلَ الأنبياءِ عليهم السَّلام. وقد رُوي أنَّه عليه السَّلام قال لرجلٍ[١] خرجَ يعتمرُ: «أشرِكْنا في دعائِك يا أُخَيَّ»[٢].

فإنْ قيل: رُوي عن جماعةٍ من المحدِّثين كأحمدَ بنِ حنبلٍ وغيرِه: أنَّ أفضلَ التابعين سعيدُ بنُ المسيِّبِ[٣]، وهو مخالفٌ للحديثِ الصَّحيحِ المرويِّ آنفًا، ولما ذكرْتُم مِن فضَائلِه.

أُجِيبَ: بأنَّ مرادَهم أنَّ سعيدًا أفضلُ في العلومِ الشَّرعيَّةِ؛ كالتَّفسيرِ والحديثِ والفقهِ ونحوها، لا أنَّه خيرٌ عند الله.

وقوله: (أنتَ أحدثُ عهدًا) أي: أقربُ.

وقوله: (أكونُ في غَبْراءِ النَّاسِ) بفتحِ الغينِ المعجمةِ، وسكونِ الباء الموحَّدَة، وهمزةٍ ممدودةٍ، يريدُ به: فقراءَ الناسِ، والغبراءُ: الأرضُ، ويقال للفقراء: بنو غبراءَ[٤]، كأنَّ الفقرَ والحاجةَ ألصقَهُم بها.

وفي الحديثِ: برُّ الوالدينِ، وفضلُ العُزْلةِ والاختفاءِ من الناسِ.

١٥٨٤ـ (م): جابرٌ رضي الله عنه: «يأكُلُ أهلُ الجنَّةِ فيها ويشربُونَ، ولا

---

(١) في هامش (ص): «قيل: كان الرجل عمر بن الخطاب رضي الله عنه».

(٢) رواه أبو داود (١٤٩٨)، والترمذي (٣٥٦٢)، وابن ماجه (٢٨٩٤)، وأحمد في «مسنده» (١٩٥)، وأبو داود الطيالسي في «مسنده» (١٠)، والفاكهي في «أخبار مكة» (٨٧٥)، والبزار في «مسنده» (١١٩) من حديث عمر رضي الله عنه. قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(٣) انظر: «الجامع لعلوم الإمام أحمد» (١٧/ ١٣٠).

(٤) انظر: «لسان العرب» لابن منظور (٥/ ٥).

يتغوَّطُونَ، ولا يمتَخِطُونَ، ولا يبولُونَ، ولكن طعامُهُم ذلكَ جُشَاءٌ كَرشْحِ المسكِ، يُلهمُونَ التَّسبيحَ والحمدَ، كمَا يُلهمُونَ النَّفَسَ». [م: ٢٨٣٥]

* قوله: (**ولا يتغوَّطُونَ، ولا يمتَخِطُونَ**) قيل: إنَّما لم تصدرْ هذه الفضلاتُ عن أهلِ الجنَّة؛ لأنَّها أقذارٌ مستَخْبثةٌ، والجنَّةُ منزَّهةٌ عن ذلك، ولمَّا كانت أغذيةُ أهلِ الجنَّةِ في غايةِ اللَّطافَةِ لم يكنْ لها فَضْلةٌ تُستَقذَرُ، بل تُستطابُ.

وقوله: (**جُشَاءٌ كَرشْحِ المسْكِ**) يعني: أنَّ فضُولَ طعامِهم يخرجُ في الجُشاءِ، وهو تنفُّسُ المعدَةِ.

وقوله: (**يُلهمُونَ التَّسْبيحَ والحمدَ كمَا يُلهمُونَ النَّفَسَ**) قيل في وجه التَّشبيهِ: إنَّ تَنَفُّسَ الإنسانِ لا بُدَّ له منه، ولا كُلْفةَ ولا مشقَّةَ عليه في فعلِه، وآحادُ الأنفاسِ يكتسِبُها الإنسانُ، وجملتُها ضرُوريةٌ في حقِّه؛ إذ يتمكَّنُ من ضبطِ قليلِ الأنفاسِ، ولا يتمكَّنُ من جميعِها، فكذلك يكونُ ذكرُ اللهِ على ألسنَةِ أهلِ الخيرِ.

١٥٨٥ـ (م): **أَبو مسعودٍ عقبَةُ بنُ عَمرٍو الأنصَاريُّ رضي الله عنه: «يؤمُّ القومَ أقرؤُهُم بكتَابِ اللهِ، فإن كانُوا في القراءَةِ سواءً فأعلَمُهُم بالسُّنَّةِ، فإنْ كانُوا في السُّنَّةِ سواءً فأقدَمُهُم هجرَةً، فإنْ كانُوا في الهجرَةِ سواءً فأقدَمُهُم سِنًّا، ولا يؤمَّنَّ الرَّجلُ الرَّجُلَ في سُلطانِهِ، ولا يقعُدْ في بيتِهِ على تكرِمَتِهِ إلَّا بإذنِهِ»**. [م: ٦٧٣]

* ظاهرُ الحديث دليلٌ لأبي يوسفَ في تقديمِ الأقرأ في الإمامةِ على الأعلمِ بالسُّنَّة، وقال أبو حنيفةَ رحمه الله[1] وعامَّةُ العلماء رحمهم الله:

يقدَّمُ الأعلمُ بالسُّنَّة ـ أي: الفِقْه ـ لأنَّ الافتقارَ إلى القراءة إنَّما هو لأجلِها

(١) انظر: «بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع» للكاساني (١/ ١٥٧).

خاصَّة، وهي ركنٌ واحدٌ زائدٌ، والعلمُ يفتقرُ إليه لها ولسائرِ الأركانِ، وإنَّما قدَّمَ الأقرأَ لكتابِ الله في الحديثِ؛ لأنَّ أقرأَهم كان أعلمَهم؛ إذ كانوا يتلقَّونه بأحكامِه، ولا كذلك في زماننا، فيقدَّمُ الأعلمُ.

فإنْ تساووا فأورَعُهم؛ لأنَّه جاءَ في الحديثِ: (فإنْ تساوَوا فأقدَمُهم هجرةً)، ولم تبقَ الهجرةُ في زمانِنا، فجعلَ هجرانَ المعاصِي بمنزلةِ هجرةِ الأوطانِ.

فإنْ تساوَوا فأقدَمُهم سنًّا؛ لأنَّ في تقديمِهِ تكثيرَ الجماعَةِ.

والسُّلطانُ: مأخوذٌ من التَّسلُّطِ، وهو التَّمكُّنُ من القَهرِ.

وقولُه: (**ولا يُؤَمَّنَّ الرجلُ في سلطانَهِ**) أي: في محلِّ ولايتِه، أو فيما يملِكُه، فالوالي في محلِّ ولايتِه والمالكُ في ملكِه أولى بالإمامَةِ من غيرِهم؛ لأنَّها نوعُ سَلْطنةٍ، وفيه تنقيصٌ لمرتَبةِ الوالي والمالكِ، وتوهينٌ لأمرِ سلطتِه.

وقيل: أرادَ به الجُمُعاتِ والأعيادَ؛ لتعلُّقِها بالسَّلاطين.

(**ولا يقعُدْ في بيتِهِ على تكرِمَتِهِ**) أي: لا يُجلَسُ على سريرِهِ، والموضعِ الذي أُعِدَّ لإكرامِهِ مِن وِطاءٍ وفِراشٍ، وقيل: المرادُ بالتَّكْرِمَةِ: المائدةُ، وهي في الأصلِ مصدرُ كَرُمَ، أُطلِقَ لما يُكرَمُ به مجازًا.

١٥٨٦ ـ (م): أنسٌ رضي الله عنه: «يبقَى مِن الجنَّةِ مَا شاءَ اللهُ أنْ يَبقَى، ثمَّ يُنشِئُ اللهُ لها خلقًا ممَّا يشاءُ». [م: ٢٨٤٨]

* أي: يبقَى بعضُ الجنَّةِ خاليًا من الخلقِ.

والضَّمير في (**لها**) لبعضِ الجنَّةِ، والتأنيثُ لكونه مضافًا إلى الجنَّة.

وفيه: تنبيهٌ على سَعَةِ الجنَّة، وقد ذكرْنَا في البابِ الثالثِ في قوله عليه السَّلام[١]: «لا تزالُ جهنَّمُ تقولُ: هل من مزيدٍ، حتى يضعَ ربُّ العزَّةِ فيها قدمُه»، وفي فضلِ الجنَّة: «حتى يضعَ الرَّحمنُ فيها قدمَهُ» إنْ كانَ على ذُكْرٍ منك.

١٥٨٧ـ (م): أنسٌ رضي الله عنه: «يَتبعُ الدَّجَّالَ مِن يهُودِ أصبهَانَ سبعُونَ ألفًا عليهِم الطَّيالِسَةُ». [م: ٢٩٤٤]

* **(سبعُونَ ألفًا)** في أكثرِ النُّسخِ، وفي روايةِ ابنِ ماهان: «**تسعون**» بالتَّاء المثنَّاة[٢].

و**(أصبهَانَ)** بلدٌ معروفٌ.

و**(الطَّيالِسَةُ)** جمع طَيلسان ـ بفتحِ اللام ـ وهو معروفٌ، والتَّاءُ في الجمعِ للعُجمَةِ.

وفي الحديث: دليلٌ على أنَّ اليهودَ أكثرُ أتباعِ الدَّجَّالِ.

١٥٨٨ـ (ق): أنسٌ رضي الله عنه: «يتبَعُ الميِّتَ ثلاثةٌ: أهلُهُ، ومالُهُ، وعملُهُ، فيرجِعُ اثنانِ ويبقَى واحدٌ، يرجِعُ أهلُهُ ومالُهُ، ويَبقى عملُهُ». [خ: ٦١٤٩][م: ٢٩٦٠]

* معناه ظاهرٌ. وفيه: الحثُّ على تزكيةِ الأعمالِ؛ لأنَّ العملَ إذا كانَ صالحًا يُصوَّرُ له في صُورةٍ جميلةٍ تصحبُه، فيستأنِسُ به وينشرحُ، وإنْ كانَ بخلافِه فنعوذُ باللهِ منه.

---

(١) تقدم برقم: (٥٥٤).

(٢) انظر: «إكمال المعلم بفوائد مسلم» للقاضي عياض (٨/ ٥٠٤).

١٥٨٩ـ(ق): أَبُو هُرَيرةَ رضي الله عنه: «يتركُونَ المدينَةَ على خيرِ مَا كانَتْ لا يغشَاهَا إلَّا العَوافِي، وآخرُ مَن يُحشرُ راعيَانِ مِن مُزَينَةَ يريدَانِ المدينَةَ ينعقَانِ بغنمِهِمَا، فيجدَانِهَا وحُوشًا، حتَّى إذا بلغَا ثنيَّةَ الوداعِ خرَّا على وجُوهِهما». [خ: ١٧٧٥] [م: ١٣٨٩]

*(**العَوافِي**) هي السِّباعُ والطَّيرُ.

وقوله: (**لا يغشَاهَا**) أي: لا يسكنُها ولا يتردَّدُ إليها. ومعنى: (**ينعقَانِ**) يصيحان (**بغنمِهِمَا**) ليسُوقاها.

والضَّميرُ في (**يجدانها**) للمدينةِ؛ أي: يجدان المدينةَ خاليةً ليسَ بها أحدٌ.

وقوله: (**وحُوشًا**) أي: ذاتَ وحوشٍ، والوحشُ: كلُّ ما يتوحَّشُ من الحيوانِ.

وقيل: الضَّميرُ في (يجدانها) للغنَمِ؛ أي: وجدَا غنمَهما صارتْ وحُوشًا، إمَّا بأنْ تنقلبَ كذلك، والقدرةُ صالحةٌ، وإمَّا بأنْ تتوحَّشَ، فتنفرَ مِن أصواتِ الرُّعاةِ، والصَّوابُ الأولُ.

وقيل: معناهُ: يجدان فيها، كما في قولِه[(١)]:

ويومٍ شَهِدْناهُ سُلَيمًا وعَامِرًا

أي: شهدنا فيه.

واختلفوا في أنَّ هذا كان ومضَى، أو هو ممَّا سيأتي؟

قال القاضِي: جرى هذا في العصرِ الأوَّلِ وانقضَى، فتُركَتْ المدينةُ على أحسنِ ما كانت حين انتقلَ أهلُها عنها إلى العراقِ، فكانَتْ في ذلك الوقتِ أحسنَ ما كانت

---

(١) هو لرجل من بني عامر، والشطر الثاني منه: قليلٍ سوى الطَّعنِ النِّهالِ نَوافِلُه. انظر: «شرح المفصل» لابن يعيش (١/ ٤٣٣).

للدِّين والدُّنيا، أمَّا الدِّين: فلكثرَةِ العلماءِ، وأمَّا الدُّنيا: فلعمَّارِها واتِّساعِ حالِ أهلِها.

قال: وذكرَ أهلُ الأخبارِ في بعضِ الفتنِ التي جرَتْ بالمدينةِ وخافَ أهلُها أنَّه رحلَ عنها أكثرُ الناسِ، وبقيَتْ ثمارُها أو أكثرُها للعَوافِي، وخلَتْ مدَّةً ثمَّ تراجعَ الناسُ إليها[١].

وقال جماعةٌ: إنَّ هذا يكونُ في آخرِ الزَّمانِ عندَ قيام السَّاعةِ، والدليلُ: قصدُ الراعيين من مزينةَ؛ فإنَّهما يخرَّان على وجوهِهما ـ أي: يسقطانِ ميِّتين ـ حين تُدركهما السَّاعةُ، وهما آخرُ من يُحشرُ.

١٥٩٠ـ (ق): أَبُو هُريرةَ رضي الله عنه: «يتعاقَبُونَ فيكم ملائكَةٌ باللَّيلِ، وملائكَةٌ بالنَّهارِ، ويجتمعُونَ في صلَاةِ العصرِ وصلَاةِ الفجرِ، ثمَّ يعرُجُ الَّذينَ باتُوا فيكُم، فيسألُهُم ربُّهُم ـ وهو أعلمُ بهم ـ: كيفَ تركتُم عبَادِي؟ فيقولُونَ: تركنَاهُم وهم يصلُّونَ، وأتينَاهُم وهم يصلُّونَ». [خ: ٦٩٩٢] [م: ٦٣٢]

* **التَّعاقبُ**: هو التَّناوبُ.

وقوله: (**يتعاقَبُونَ فيكم ملائكَةٌ**) من باب: أكلوني البراغيثُ، ولغةُ بني الحارثِ جوازُ ذلك بلا تأويلٍ، وأنكرهُ سيبويه وغيرُه[٢] وقالوا: البراغيثُ بدلٌ من الضَّمير، وقيل: هو خبرُ مبتدأٍ محذوفٍ؛ أي: هم البراغيثُ، وقيل: هو جوابُ سؤالٍ؛ كأنَّه قيل: مَنْ أكلكَ؟ قال: البراغيثُ.

وأمَّا اجتماعُهم في صلاة العصرِ وصلاةِ الفجرِ؛ فلأنَّ الأولى وقتُ اشتغالِ

(١) انظر: «إكمال المعلم بفوائد مسلم» للقاضي عياض (٤/ ٥٠٧).

(٢) انظر: «شرح المفصل» لابن يعيش (٣/ ٨٧).

الناسِ بأمرِ دنياهُم، والثانية وقتُ رفاهيةِ أبدانِهم بالنَّوم، فهي في وقت نومٍ، وإذا شاهدَهم الملائكةُ في هذين الوقتَين مشغولين بعبادَةِ ربِّهم كان ذلك أدلَّ على إخلاصِهم في عبوديَّةِ ربِّهم، وما أكثَرَ فضلَ الله على عبادِه حيثُ تنزلُ عليهم الملائكةُ في وقتِ عبادتِهم إشهادًا لهم ليوم القيامَةِ، ويسترُ عليهم أحوالَهم في وقتِ اشتغالِهم بلذَّاتِهم الجِسْمانيَّة ونحوِها.

واختُلِفَ في هذه الملائكةِ؛ فمنهم مَن قال: هم الحَفَظةُ الكَتَبةُ، ويسألهم عمَّا أمَرَهم به مِن حفظِ أعمَالهم وكتبِهم إيَّاها، وقيل: هم غيرُ الحفظَةِ، وسؤالُه إنَّما هو على جهَةِ التَّوبيخِ على قولِهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: ٣٠]، وتقريرًا لقوله: ﴿إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠].

١٥٩١ ـ (ق): أَبو هُريرةَ رضي الله عنه: «يتقارَبُ الزَّمانُ، وينقُصُ العلمُ، ويُلقَى الشُّحُّ، وتظهَرُ الفتَنُ، ويكثُرُ الهرجُ، قالُوا: يا رسولَ اللهِ، أيُّما هو؟ قال: القَتلُ، القَتلُ».
[خ: ٥٦٩٠] [م: ١٥٧]

اختـلف النَّاسُ فـي معناه؛ فقيل: **تقاربُ الزَّمانِ**: اقترابُ زمـانِ السَّاعةِ؛ لأنَّ الشيءَ إذا قلَّ وتقاصَرَ تقاربَتْ أطرافُه، وقيل: هو قِصَرُ الأعمارِ وقلَّةُ البركةِ فيها، وقيل: قِصرُ الأيَّام والليالي حتى تكونَ السَّنةُ كالشهرِ، والشهرُ كالجمعةِ، والجمعةُ كاليوم، واليومُ كالسَّاعةِ، والسَّاعةُ كاحتراقِ السَّعَفَةِ(١).

وقال الخطَّابيُّ: أرادَ ـ والله أعلم ـ زمانَ خروجِ المهديِّ ووقوعِ الأمَنَةِ في

---

(١) انظر: «أعلام الحديث» للخطابي (٣/ ٢١٨١).

الأرضِ بما يُبسَط فيها من العدلِ، فيُستَلَذُّ العيشُ عندَ ذلك، وتُستقصَرُ مُدَّتُه، والنَّاسُ يَستقْصِرون مدَّةَ الرَّخاءِ وإنْ طالَتْ، ويستطيلونَ أيَّامَ المكروهِ وإنْ قَصُرَتْ(١).

(ويُلقَى الشُّحُّ) أي: يُوضَعُ البخلُ بأداءِ الحقوقِ في القلوبِ.

و(نقصُ العلمِ) غيرُ قبضِه، فيكونُ قبلَ قبضِه.

وأمَّا (الهَرْجُ) فقد فسَّره ﷺ بالقتلِ، وكرَّره دلالةً على الكَثْرةِ.

١٥٩٢ـ (ق): أنسٌ رضي الله عنه: «يجمَعُ اللهُ النَّاسَ يومَ القيامَةِ، فيهتمُّونَ لذلِكَ فيقولُونَ: لو استشفعنَا إلى ربِّنا حتَّى يُرِيحنَا مِن مكانِنَا هذا، فيأْتُونَ آدمَ فيقولُونَ: أنتَ آدمُ أبُو الخلقِ، خلقَكَ اللهُ بيدِهِ، ونفخَ فيكَ مِن رُوحه، وأمرَ الملائكَةَ فسجَدُوا لكَ، اشفَعْ لنا عندَ ربِّك حتَّى يُرِيحنَا من مكانِنَا، فيقول: لستُ هُناكُم، فيذكُرُ خطيئتَهُ الَّتي أصابَ، فيستَحِي ربَّهُ منها، ولكن ائتُوا نوحًا أوَّلَ رسولٍ بعثهُ اللهُ، فيأْتُونَ نوحًا، فيقولُ: لستُ هُناكم، فيذكُرُ خطيئتَهُ الَّتي أصابَ فيستَحِي ربَّهُ منها، ولكن ائتُوا إبراهيمَ الَّذي اتَّخذهُ اللهُ خليلًا، فيأْتُونَ إبراهيمَ، فيقولُ: لستُ هُناكم، ويذكُرُ خطيئتَهُ الَّتي أصابَ فيستَحِي ربَّهُ منها، ولكِن ائتُوا مُوسى الَّذي كلَّمهُ اللهُ وأعطاهُ التَّوراةَ، فيأْتُونَ مُوسى، فيقولُ: لستُ هُنَاكم، ويذكُرُ خطيئتَهُ الَّتي أصابَ فيستَحِي ربَّهُ منها، ولكن ائتُوا عِيسى رُوحَ اللهِ وكلمتَهُ، فيأْتُونَ عيسَى رُوحَ اللهِ وكلمتَهُ، فيقولُ: لستُ هُنَاكم، ولكن ائتُوا محمَّدًا عبدًا قد غُفِرَ لهُ ما تقدَّمَ مِن ذنبِهِ وما تأخَّرَ، فيأْتُوني، فأستأذِنُ على ربِّي، فيؤذَنُ لي، فإذَا أنا رأيتُهُ وقعتُ ساجدًا، فيَدَعُني ما شاءَ اللهُ أن يَدَعَني، فيقالُ: يا محمَّدُ ارفعْ رأسَكَ، قل يُسمَع، سَل تُعطَ، اشفَع تُشفَّع، فأرفعُ رأسِي، فأحمدُ ربِّي بتحمِيدٍ

(١) انظر: «غريب الحديث» للخطابي (١/ ٩٤).

يعلِّمُنِيه ربِّي، ثمَّ أشفَعُ فيحُدُّ لي حدًّا، فأخرجهُم من النَّارِ وأدخلُهُم الجنَّة، ثمَّ أعُودُ فأقَعُ ساجدًا فيَدَعُني ما شاءَ اللهُ أن يَدَعَني، ثمَّ يقالُ لي: ارفَعْ رأسكَ يا محمَّدُ، وقُل يُسمَع، وسَل تُعطَ، واشفَعْ تُشفَّع، فأرفَعُ رأسِي، فأحمَدُ ربِّي بتحميدٍ يعلِّمُنيهِ ربِّي، ثمَّ أشفَعُ فيحُدُّ لي حدًّا، فأخرجهُم من النَّارِ وأدخلُهُم الجنَّة، قال: فلا أدري في الثَّالثة، أو في الرَّابعةِ، قال: فأقُولُ: يا ربِّ؛ مَا بقيَ في النَّارِ إلَّا مَن حبسَهُ القرآنُ».

وفي روايةٍ: «ثمَّ آتيهِ الرَّابعةَ، أو أعودُ الرَّابعةَ»، وذكرُ مُوسى الَّذي تقدَّمَ هو في بعضِ رواياتِ البُخاريِّ. [خ: ٧٠٠٢] [م: ١٩٣]

* هـذا حديـثٌ عظيمٌ مشتملٌ على مسـائلَ عظيمةٍ مـن علم الـكلامِ، وذكرُها مـع جميـع مـا يتعلَّـقُ بهـا لا يليـقُ بهـذا الكتـابِ، ولكـن ذكرنـا كلًّا مـن ذلـك في محالِّهـا، فيُطلَـبُ[1] ثمَّـةَ، ونذكـرُ ههنا مـا يُحتـاجُ إليه بحسـبِ الحالِ.

قولـه: (فيهتمُّـونَ) قيـل: يغتمُّـون، وقيـل: يعتنـونَ، وفـي بعـضِ الرِّوايـات: «فيُلهمُـون»[2].

وقوله: (خلقَكَ اللهُ بيدِهِ، ونفخَ فيكَ مِن رُوحِه) إضافةُ تشريفٍ.

وقوله: (لسْتُ هُناكُم) تواضعٌ منه عليه السَّلام، أو إشارةٌ منه إلى أنَّ ذلك المقامَ لغيرِه، وهو بعيدٌ عنه.

وخطيئتَهُ التي أصابَ: قيل: هو أكلُ الشَّجرة.

وقوله: (ولكن ائتُوا نوحًا أوَّلَ رسُولٍ بعثَهُ اللهُ) فيه كلامٌ؛ فإنَّ أهلَ التاريخ ذكرُوا: أنَّ إدريسَ جدُّ نوحٍ، وقد أُرسِلَ قبلَه، ولا شكَّ في تقدُّمِ آدمَ وشيثٍ عليهما السَّلام، وقد كانا رسُولَين.

---

(١) في (ن): «فليطلب».

(٢) عند مسلم.

وأُجِيبَ: أمَّا عن إدريسَ فبجَوابين:

أحدهما: أنَّ قولَ أهلِ التَّواريخِ ليسَ في مُقابلةِ قولِه عليه السَّلام، وقد أُخبر أنَّه أوَّلُ رسولٍ بعثَه اللهُ.

والثاني: أنَّه إنْ ثبتَ أنَّ إدريسَ كانَ قبلَ نوحٍ، فيقال: إنَّه كانَ نبيًّا لا رسولًا، على أنَّه قد قيل: إنَّ إدريسَ هو إلياسُ، وكان نبيًّا في بني إسرائيلَ.

وأمَّا عن آدمَ وابنِه شيثٍ: فبأنَّ معنى قوله عليه السَّلام: **(أوَّلَ رسولٍ بعثهُ اللهُ)**؛ أوَّلَ رسولٍ بعثهُ اللهُ إلى الكفَّار، وهما ليسا كذلك، فإنَّ آدمَ كان رسولًا إلى بنيهِ، ولم يكونوا كفَّارًا، بل كانَ آدمُ مأمورًا بتبليغِ الإيمانِ إليهم، والدَّعوةِ إلى طاعةِ الله، وكذلك خَلَفَه بعدَه شيثٌ عليه السلام بخلافِ نوحٍ؛ فإنَّه كانَ رسُولًا إلى كفَّارِ أهلِ الأرضِ.

وقوله: **(ائتُوا إبراهيمَ الَّذي اتَّخذَهُ اللهُ خليلًا)** قد تقدَّمَ الكلامُ على معنى[١] الخُلَّة[٢].

وخطيئتَهُ التي أصابَ: التَّعريضَاتُ التي ظاهرُها الكذبُ كما تقدَّم، أو هي كذباتٌ لأعذارٍ قد تقدَّم ذكرُها.

وقوله: **(ائتُوا مُوسَى الَّذي كلَّمَهُ اللهُ)** كلامٌ على حقيقتِهِ؛ فإنَّ أهلَ السُّنَّة أجمعُوا على أنَّ اللهَ تعالى كلَّم موسى كلامًا مسموعًا بغير واسطة مَلَكٍ.

وخطيئتَهُ التي أصابَ: قيل: هي قتلُ القبطيِّ.

وقوله: **(ائتُوا عِيسَى رُوحَ اللهِ وكلمتَهُ)** سمَّاه روحًا؛ لأنَّ جسمَه خُلِق من نفخِ الرُّوحِ الأمينِ، لم يكنْ ماديًّا كالأجسامِ الطبيعيَّةِ.

---

(١) في (ك): «معاني».

(٢) تقدم برقم: (٣٩٢).

وسمَّاه «كلمةَ الله» بمعنى: حجَّةَ الله؛ لأنَّ الكلمةَ تُطلَقُ ويرادُ بها الحجَّةُ، قال الله تعالى: ﴿وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ [الأنفال: ٧]: أي: بحُجَجِه، وعيسى عليه السَّلام حجَّةُ الله على عبادِه؛ لأنَّه أبدعَه من غيرِ أبٍ، وأنطقَه في غيرِ أوانِه، وأحيا الموتَى على يديهِ.

وذكرَ في الحديثِ أنَّه يستَحْيي، ولم يذكرْ خطيئتَه، فكانَ استحياؤه مِن افتراءِ النَّصارَى عليه بأنَّه إلهٌ، أو ولدُ إلهٍ، أو ثالثُ ثلاثةٍ.

وأمَّا دفعُ كلِّ واحدٍ من الأنبياءِ عليهم السَّلام هذه الشَّفاعةَ، فذلك لما ذكرْنا مِن أحدِ الأمرين: إمَّا التواضعُ وهضمُ النَّفْسِ، وإمَّا علمُهم بأنَّ ذلك المقامَ ليسَ إلَّا لمحمدٍ ﷺ، وهذا هو الظَّاهرُ؛ لأنَّه لو كان للمعنى الأوَّل لما أقدمَ نبيُّنا عليه السلام على ذلك من غير توقُّفٍ؛ لأنَّه عليه السَّلام كان موصُوفًا بكمالِ التواضعِ، فإنْ لم يكنْ أكثرَ منهم تواضعًا لا يكون أقلَّ، ألا ترى إلى قوله: (**ائتوا محمدًا عبدًا**)(١)، وقوله: (**قد غفرَ الله له ما تقدَّم من ذنبِه**) يشيرُ إلى أنَّ له ذنبًا، فكان الواجبُ أن يمنعَه عن الإقدامِ.

وأُجِيبَ عنه: بأنَّه على سبيلِ الفرضِ والتقديرِ. وقيل: المتقدِّمُ ما كانَ قبلَ النبوَّةِ من الزَّلَّاتِ، والمتأخِّرُ عصْمَتُه عن ذلك. وقيل: المرادُ به: ذنوبُ أمَّتِه، والأوَّلُ أدفعُ.

وقولُه: (**فيحدُّ لي حدًّا**) أي: يُبيِّنُ لي في كلِّ طورٍ من أطوارِ الشَّفاعةِ حدًّا أقفُ عندَه، مثلُ أنْ يقولَ: شفَّعتُك فيمَنْ أخلَّ بالجماعاتِ، شفَّعتُك فيمَنْ أخلَّ بالجُمُعاتِ، شفَّعتُك فيمَنْ أخلَّ بالصَّلواتِ، شفَّعتُك فيمَنْ شربَ، ثمَّ فيمَنْ زنى، ليَظْهَرَ عُلوُّ الشَّفاعةِ في عِظَمِ الذَّنبِ.

---

(١) في هامش (ص): «ذكر العبد يدل على تواضعه».

وقوله: (**قَالَ: فَلَا أَدْرِي**) هو قولُ الرَّاوي.

وقوله: (**مَا بَقِيَ فِي النَّارِ إِلَّا مَن حبَسَهُ القرآنُ**) أي: وجَبَ عليه الخلودُ بقولِه تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ [النساء: ٤٨]، وغيرِها من الآياتِ الدَّالَّةِ على تخليدِ الكافرين في النَّارِ.

وفيه دليلٌ لمذهبِ أهلِ الحقِّ؛ أنَّه لا يخلدُ في النارِ أحدٌ ماتَ على التَّوحيدِ.

واعلمْ أنَّ هذه الشَّفاعةَ هي المقامُ المحمودُ الذي وعدَه ﷺ، وقد تقدَّم في هذا الشَّرحِ معنى المقامِ المحمودِ(١).

١٥٩٣ـ (م): أَبُو مُوسَى رضي الله عنه: «يجيءُ يومَ القيامَةِ ناسٌ منَ المسلمينَ بذنُوبٍ أمثالِ الجبالِ يغفرُهَا اللهُ لهم، ويضعُهَا على اليهودِ والنَّصارى» فيمَا أحسبُ، قال أبو روحٍ: لا أدرِي ممَّن الشَّكُّ. [م: ٢٧٦٧]

* قيل: معناه: يغفرُها الله لهم، ويضعُ مثلَها، على حذف مضافٍ؛ لأنَّ غُفْرانَها للمسلمين يقتَضِي محوَها وانعدامَها، فلم يبقَ منها شيءٌ يضعُه على اليهودِ، وإنَّما يضعُ مثلَها(٢).

فإنْ قيل: غفرانُها للمسلمين عبارةٌ عن نقلِها ووضعِها على اليهودِ.

أُجيبُ: بأنَّه مجازٌ، والكلامُ للحقيقَةِ، ورُدَّ بأنَّ حذفَ المضافِ أيضًا مجازٌ بالحذفِ، فلا يكونُ صحيحًا.

وأُجيبَ: بأنَّه مجازٌ موافقٌ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزۡرَ أُخۡرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤]،

---

(١) تقدم برقم: (٨١٨).

(٢) في (ك): «مثله».

فيُصارُ إليه؛ لقوله عليه السَّلام: «إذا رُوي لكم عنِّي حديثٌ فاعرضُوه على كتابِ الله تعالى، فما وافقَ فاقبَلُوه، وما خالفَ فرُدُّوه»[١].

ورُدَّ: بأنَّ الآيةَ تدلُّ على أنَّ مَنْ تحمَّلَ وِزْرَ غيرِه لا يُقبلُ منه، وليسَ الكلامُ فيه، وإنَّما الكلامُ في أنَّ الفاعلَ المختارَ إذا تصرَّفَ في ملكِه بوضعِ إثمِ أحدٍ على غيرِه جازَ أو لا؟ قلنا: جازَ؛ لأنَّه تصرُّفٌ في خالصِ مُلكِه، فلا يمنعُه مانعٌ.

وأُجِيبَ: بأنَّ جوازَه يستلزمُ جوازَ تخليدِ المؤمنِ في النَّارِ والكافرِ في الجنَّةِ؛ دفعًا للتَّحكُّم، وقد بُرهِنَ عليه في الكلامِ أنَّه خلافُ[٢] مقتضَى الحكمةِ.

ورُدَّ: بجوازِ ذلك عقلًا، كما ذهبَ إليه الأشعريُّ[٣].

وأُجيبَ: بأنَّ الأشعريَّ متناقضٌ كلامُه في هذا[٤]؛ لأنَّ مذهبَه أنَّ العقلَ ليس بحجَّةٍ أصلًا، فكيف يجعلُه حجَّةً في أعظمِ مسائلِ أصولِ الدِّينِ؟

والحقُّ: أنَّ التَّصرُّفَ في خالصِ الملك إنَّما يصحُّ إذا لم يخالفْ مقتضَى الحكمةِ، وبه يحصلُ الفرقُ بين ما ذُكِر في الحديثِ وتخليدِ المؤمنِ في النَّار.

و(أبو روحٍ) هو أحدُ رواةِ هذا الحديثِ[٥].

---

(١) الحديث ورد من طريق كلها ضعيفة وتالفة بيَّنها ابن الملقن في «تذكرة المحتاج إلى أحاديث المنهاج» لابن الملقن (ص: ٢٧). ونقل الشوكاني في «الفوائد المجموعة» (ص: ٢٩١): قال الخطابي: وضعته الزنادقة، ويدفعه حديث: «أوتيت الكتاب ومثله معه». كذا قال الصغاني. قلت: وقد سبقه إلى نسبة وضعه إلى الزنادقة: يحيى بن معين، كما حكاه عنه الذهبي.

(٢) في (ص): «يخالف».

(٣) انظر: «أبكار الأفكار في أصول الدين» للآمدي (٤/ ٣٥٥).

(٤) في (ن) زيادة: «الباب».

(٥) هو: حَرَمِيُّ بن عُمارةَ بن أبي حفصة نابت ـ ويقال: ثابت ـ العتكي، مولاهم البصري، أبو روح، صدوق يهم. انظر: «تهذيب التهذيب» لابن حجر العسقلاني (٢/ ٢٣٢).

١٥٩٤ـ (ق): ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: «يحرُمُ مِنَ الرَّضاعَة ما يحرُمُ مِنَ النَّسبِ». [خ: ٢٥٠٢] [م: ١٤٤٧]

* وقد تقدَّمَ الكلامُ على هذا في البابِ الثَّاني في قولِه عليه السَّلام[١]: «إنَّ الرَّضاعةَ تحرِّمُ ما يحرُمُ من الولادَةِ».

١٥٩٥ـ (ق): أبو هُريرةَ رضي الله عنه: «يخرِّبُ الكعبةَ ذُو السُّويقتَينِ مِنَ الحبشَةِ». [خ: ١٥١٤] [م: ٢٩٠٩]

* يعني: يخرِّبُ الكعبةَ رجلٌ مِن الحبشَةِ له ساقَانِ دقيقتَانِ. **والسُّويقَةُ**: تصغيرُ السَّاقِ، صُغِّرتْ لدقَّتِها وصِغَرِها[٢].

قيل: هذا الحديثُ لا يكاد يُؤخَذُ به؛ لمخالفتِه قولَ اللهِ تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا﴾ [العنكبوت: ٦٧]، ومثلُه متروكٌ؛ ولأنَّ اللهَ تعالى حبسَ الفيلَ عن مكَّةَ، ولم تكنْ الكعبةُ قبلةً إذْ ذاك، فكيف يسلِّطُ عليه ذا السُّويقتين ولم يحدثْ فيها شيءٌ سوى الشَّرفِ والتَّكريم؟

وأُجِيبَ: بأنَّه ليس في الآية ما يدلُّ على دوام ذلك دوامًا غير منقطعٍ، ونحن نعلم بيقينٍ أنَّه ينقطعُ بانقطاعِ أيَّام الدُّنيا، فيكونُ معناها ـ واللهُ أعلمُ ـ: آمنًا ما دام يوجدُ من يُعظِّمُه.

وذُو السُّويقتَينِ إنَّما يكون قريبَ قيامِ السَّاعةِ على شِرار الخَلْقِ، فلا يكون الحديثُ مخالفًا لمعناها.

---

(١) تقدم برقم: (٢٣٤).

(٢) انظر: «المصباح المنير في غريب الشرح الكبير» للفيومي (١/ ٢٩٦).

وبأنَّ حبسَ الفيلِ عن مكَّةَ إنَّما كان تشريفًا لها بأنْ تبقَى الكعبةُ قِبْلةً مطافًا للمؤمنين، وفي آخرِ الوقتِ قريبُ السَّاعة لا تكون كذلك، فيجوزُ أنْ يكونَ تخريبُها على يدِ الكفَرةِ تشريفًا لها؛ لئلا تبقَى مُهانةً بعدَ ما كانت مُعَظَّمةً مشرَّفةً، والله أعلم.

١٥٩٦ـ(خ): جابرٌ رضي الله عنه: «يخرُجُ قومٌ منَ النَّارِ بالشَّفاعَةِ». [خ: ٦١٩٠]

* عن حمَّادِ بنِ زيدٍ، قال: قلتُ لعَمروِ بنِ دينارٍ: سمعتَ جابرَ بنَ عبدِ اللهِ يحدِّثُ عن رسولِ اللهِ ﷺ: «أنَّ اللهَ يُخرجُ قومًا مِن النَّارِ بالشَّفاعةِ»؟ قال: نعم.

فيه حجَّةٌ على المعتزلةِ في نفي الشَّفاعَةِ، وعليهم وعلى الخوارجِ في أنَّ أهلَ الكبائرِ يخلَّدُون في النَّار؛ لأنَّ الصَّغائرَ معفوَّةٌ عندهم[1]، وعلى المرجئةِ في أنَّ المعاصِيَ لا تضرُّ مع الإيمانِ.

١٥٩٧ـ(ق): أنسٌ رضي الله عنه: «يخرُجُ منَ النَّارِ من قال: لا إلهَ إلَّا اللهُ، وكانَ في قلبِهِ منَ الخيرِ مَا يزِنُ شعيرَةً، ثمَّ يخرُجُ منَ النَّارِ من قال: لا إلهَ إلَّا اللهُ، وكانَ في قلبهِ منَ الخيرِ ما يزِنُ بُرَّةً، ثمَّ يخرُجُ منَ النَّارِ مَن قال: لا إلهَ إلَّا اللهُ، وكان في قلبِهِ مِن الخيرِ مَا يزِنُ ذرَّةً». [خ: ٤٤] [م: ١٩٣]

زادَ البُخارِي في روايةِ قتادَةَ عن أنسٍ: «مِن إيمَانٍ» مكانَ: «خيرٍ».

* قيل: قدَّم الشَّعيرةَ على البُرَّةِ؛ لأنَّها أكبرُ جرمًا منها، ولقُرب بعضِها من بعضٍ، وأخَّرَ الذَّرَّةَ لصغرِها.

---

(١) في (ن): «عنهم».

وقيل: في الحديثِ دليلٌ على زيادةِ الإيمانِ ونقصانِه؛ إذ المرادُ بالخيرِ في القلبِ هو الإيمانُ، كما في رواية البخاريِّ.

وأُجِيبَ: بأنَّ المرادَ بالإيمانِ في رواية البُخاريِّ هو الثَّمراتُ، كما في رواية أنسٍ: (مِن الخيرِ)، ولا نزاعَ في زيادةِ ثمراتِ الإيمانِ، والمرادُ بالثَّمراتِ القلبيَّةِ: مراتبُ العلومِ الحاصلةِ المستلزمةِ للتَّصديقِ بكلِّ واحدٍ من جزئيات الشرائعِ.

١٥٩٨ـ (خ): أبو سعيدٍ رضي الله عنه: «يخلُصُ المؤمنُونَ منَ النَّارِ، فيُحبسُونَ على قنطَرَةٍ بينَ الجنَّةِ والنَّارِ، فيُقتَصُّ لبعضِهم مِن بعضٍ مظالِمُ كانت بينَهُم في الدُّنيا، حتَّى إذا هُذِّبُوا ونُقُّوا، أُذِنَ لهم في دخُولِ الجنَّةِ، فوالَّذي نفسُ محمَّدٍ بيدِهِ؛ لأحدُهُم أهدَى بمنزِلِهِ في الجنَّةِ منهُ بمنزِلِهِ كانَ في الدُّنيا». [خ: ٦١٧٠]

* **القنطرةُ**: الجسرُ. و(**هُذِّبوا**) بالذَّال المعجمةِ، ومعناه: ما فسَّره بقوله: (**ونُقُّوا**)، ومعنى الحديث ظاهرٌ.

١٥٩٩ـ (م): أبو هُريرةَ رضي الله عنه: «يدخُلُ الجنَّةَ أقوامٌ، أفئدتُهُم مثلُ أفئدَةِ الطَّيرِ». [م: ٢٨٤٠]

* قيل: يريدُ بذلك ما جُبلوا عليه من لينِ الأفئدَةِ ورقَّتِها، وقيل: قلوبٌ هي في اللُّطفِ والرِّقةِ كأفئدَةِ الطَّيرِ، والطيرُ أكثرُ الحيواناتِ خوفًا وفزَعًا.

١٦٠٠ـ (ق): أبو هُريرةَ رضي الله عنه: «يدخُلُ الجنَّةَ مِن أُمَّتِي زُمرةٌ هُم سبعُونَ ألفًا تُضِيءُ وجوهُهُم إضاءَةَ القمَرِ ليلَةَ البدرِ». [خ: ٦١٧٦] [م: ٢١٦]

* قال: فقام عُكاشةُ بنُ مِحْصَنٍ الأسديُّ[١] فقال: يا رسولَ اللهِ؛ ادعُ اللهَ أنْ يجعلَني منهم، فقال رسولُ الله ﷺ: «اللَّهمَّ اجعلْهُ منهم»، ثمَّ قام رجلٌ من الأنصارِ، فقال: يا رسولَ اللهِ؛ ادعُ اللهَ أنْ يجعلَني منهم، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «سبقَكَ بها عُكاشةُ».

الزُّمرةُ: الجماعةُ[٢].

و(**عُكّاشة**) بضمِّ العين، وتشديد الكافِ وتخفيفها لغتان. و(**مِحصَن**) بكسر الميم وفتحِ الصَّاد المهملة.

١٦٠١ ـ (م): أَبُو هُريرةَ رضي الله عنه: «يدخُلُ الجنَّةَ مِن أُمَّتي سبعُونَ ألفًا زُمرةً واحدَةٌ منهُم على صُورةِ القمَرِ». [م: ٢١٧]

* معناه ظاهرٌ. وقد وقعَ في بعضِ نُسَخِ «المشارق» بروايةِ أبي هريرةَ: «يدخلُ من أمتِّي الجنَّةَ سبعونَ ألفًا بغيرِ حسابٍ»، وقيلَ في تمامِه: فقامَ رجلٌ فقال: يا رسولَ اللهِ؛ ادعُ اللهَ أنْ يجعلَني منهم، فقال: «اللَّهمَّ اجعلْه منهم»، ثمَّ قامَ آخرُ فقالَ: يا رسولَ اللهِ؛ ادعُ اللهَ أنْ يجعلَني منهم، قالَ: «سبقَكَ بها عُكاشةُ»، متَّفقٌ عليه[٣].

وقالوا: إنَّ الرجلَ الذي قال له: «سبقَك بها عُكاشةُ» لم يكنْ ممَّنْ يستحقُّ تلك المنزلةَ، ولا بصفةِ أهلها، فلم يَدْعُ له، بخلاف عُكاشةَ، وقيلَ: كانَ منافقًا؛ فأجابه عليه السَّلام بكلامٍ محتملٍ، ولم يصرِّحْ بأنَّه ليس منهم؛ محاسنةً للعِشرة،

(١) انظر ترجمته في: «أسد الغابة في معرفة الصحابة» لابن الأثير (٤/ ٧٤).

(٢) انظر: «مختار الصحاح» للرازي اللغوي (ص: ١٣٧).

(٣) تقدم قبله.

وقيل: يجوز أنْ يكونَ ﷺ أوحِيَ إليه أنَّه يُجابُ[(١)] له في عُكاشةَ دون الآخرِ.

وقيل: قد ذكر الخطيبُ البغداديُّ في كتاب «الأسماء المبهمة»[(٢)] أنَّ هذا الرجل هو سعدُ بنُ عبادةَ، فإنْ صحَّ هذا فقد بطلَ قولُ من يقول: كان الرجلُ منافقًا، والأظهرُ هو القولُ الأخيرُ، والله أعلم.

١٦٠٢ـ (ق): ابنُ عُمرَ رضي الله عنهما: «يُدخِلُ اللهُ أهلَ الجنَّةِ الجنَّةَ، وأهلَ النَّارِ النَّارَ، ثمَّ يقومُ مؤذِّنٌ بينهُم فيقولُ: يا أهلَ الجنَّةِ لَا موتَ، ويَا أهلَ النَّارِ لا موتَ، كلٌّ خالدٌ فيمَا هو فيهِ». [خ: ٦١٧٨] [م: ٢٨٥٠]

* وفي روايةٍ: «إذا صار أهلُ الجنَّةِ إلى الجنةِ وصار أهلُ النَّار إلى النَّار، أُتِيَ بالموت حتى يُجعَلَ بين الجنَّة والنَّار، ثمَّ يُذبَحُ، ثمَّ ينادي منادٍ[(٣)]: يا أهلَ الجنَّةِ لا موتَ، ويا أهلَ النَّارِ لا موتَ، فيزدادُ أهلُ الجنَّةِ فرحًا إلى فرحهم، ويزدادُ أهلُ النَّارِ حُزنًا إلى حُزنِهم»[(٤)].

الخلودُ: هو البقاءُ الذي لا ينقطعُ، ودلَّ الحديثُ لأهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ على مذهبِهم في خلودِ الفريقين.

وأمَّا ذبحُ الموتِ بعدَ صَيرورتِه كبشًا ـ كما جاء في روايةٍ أخرى[(٥)] ـ فقد استحالَه

---

(١) في (ص): «يستجاب».

(٢) انظر: «الأسماء المبهمة في الأنباء المحكمة» للخطيب البغدادي (٢/ ١٠٦).

(٣) في (ن): «ثم يقوم مؤذن بينهم فيقول».

(٤) رواه البخاري (٦١٨٢)، ومسلم (٢٨٥٠).

(٥) روى البخاري (٤٤٥٣) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح، فينادي منادٍ: يا أهل الجنة، فيشرئبُّون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ =

بعضُ الفقهاءِ ظاهرًا؛ لأنَّ العقلاءَ اتَّفقُوا على أنَّ الموتَ إمَّا عَرَضٌ موجودٌ، أو هو عدمُ الحياةِ عمَّا من شأنه أنْ يكونَ حيًّا، ولم يذهبْ أحدٌ إلى أنَّه من الحيوانات التي تُذبح ككبشٍ أو غيره، فانقلابُه كبشًا يستلزمُ قلْبَ الحقائقِ، وهو محالٌ.

وأوَّلَه آخرون بتأويلين:

أحدُهما: أنَّ اللهَ تعالى خلقَ صورةَ كبشٍ خلقَ فيها الموتَ، فلمَّا رآها أهلُ الجنَّةِ وأهلُ النَّارِ عرفوه، ثمَّ فعلَ اللهُ فيها فعلًا يشبهُ الذَّبحَ وأعدمَه[1]، وعند ذلك الفعلِ أمِنَ أهلُ الجنَّةِ، فازدادوا سرورًا إلى سرورِهم، ويَئِسَ أهلُ النَّارِ، فازدادوا حُزنًا إلى حُزنِهم، وعلى هذا يدلُّ باقي الحديثِ، ولا إحالةَ في شيءٍ من ذلك.

والثاني: أنَّه من قبيل التَّمثيلِ، شبَّه الموتَ في عدمِه في حقِّ هؤلاء الفريقين بكبشٍ، ثمَّ ذكرَ المشبَّهَ به وتركَ المشبَّهَ، وهو الموتُ، فكان استعارةً، والقرينةُ هو الذَّبحُ الذي هو من خصائصِ الحيوانِ، كما في قولهم: أنشبَتِ المنيَّةُ أظفارَها، وتسمَّى هذه المكنَّى عنها كما عُرِف في موضعِه. والأوْلى أنْ يُجعلَ تمثيلًا لا استعارةً[2]؛ لأنَّ الطَّرفين مذكوران.

وقيلَ في تخصيصِ صُورةِ الكبشِ: إنَّه هو الذي فُدِيَ به عن معرَّةِ ذَبْحِ إسماعيلَ، وحصلَ بذلك حياةُ من حييَ لأجله كلُّ مَن حييَ، فناسبَ أنْ يكونَ كالفداءِ عن موتِ الفريقين جميعًا؛ لأنَّ موتَ الإنسانِ الكاملِ كموتِ جميعِ الأحياءِ، والله أعلم.

= فيقولون: نعم، هذا الموت، وكلهم قد رآه. ثمَّ ينادي: يا أهل النار، فيشرئبُّون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت، وكلهم قد رآه، فيُذبح، ثمَّ يقول: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت».

(١) في (ك): «وعدمه».

(٢) في هامش (ص): في نسخة زيادة: «بالكناية»، وهي رواية (ك).

١٦٠٣ـ (م): أَبُو هُرَيرةَ رضي الله عنه: «يدخُلُ مِن أُمَّتِي الجنَّةَ سبعُونَ ألفًا بغيرِ حسابٍ». [م: ٢١٦]

* وقد تقدَّمَ الكلامُ عليه آنفًا.

١٦٠٤ـ (خ): ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنه: «يرحَمُ اللهُ أمَّ إسماعِيلَ! لَو تركَتْ زمزَمَ ـ أو قال: لو لَم تَغرِف مِن زمزَمَ ـ لكانَتْ زمزَمُ عينًا مَعينًا». [خ: ٢٢٣٩]

*قال: أقبلَ إبراهيمُ عليه السَّلام بإسماعيلَ وأمِّه وهي ترضعُه، معها شنَّةٌ، حتَّى وضعَهما عند البيتِ عند دوحةٍ فوقَ زمزمَ في أعلى المسجد، وليس بمكَّةَ يومئذٍ أحدٌ، وليس بها ماءٌ، فوضعَهما هنالك، ووضعَ عندهما جِرَابًا فيه تمرٌ، وسقاءً فيه ماءٌ، ثمَّ قفَّى إبراهيمُ منطلقًا، فتبعتْهُ أمُّ اسماعيلَ فقالت: أين تذهبُ وتتركُنا في هذا الوادي ليس فيه إنسٌ ولا شيءٌ؟ فقالت له ذلك مرارًا، فلم يلتفتْ إليها، فقالت: اللهُ أمركَ بهذا؟ قال: نعم، قالَتْ: إذنْ لا يضيِّعنا، ثمَّ رجعَتْ.

فانطلقَ إبراهيمُ حتَّى إذا كان عند الثنيَّةِ حيثُ لا يرونَه استقبلَ بوجهِه البيتَ، ثمَّ دعا بهؤلاء الدَّعواتِ، ورفعَ يديهِ، فقال: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ﴾... حتى بلغَ: ﴿يَشۡكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٧]، وجعلَتْ أمُّ إسماعيلَ ترضعُ إسماعيلَ وتشربُ من ذلك الماءِ[1] حتَّى إذا نفدَ ما في السِّقاءِ عَطِشَتْ، وعطشَ ابنَها، فجعلَتْ تنظرُ إليه يتلوَّى ـ أو قال: يتلبَّطُ ـ فانطلقَتْ كراهيةَ أنْ تنظرَ إليه، فوجدَتْ الصَّفا أقربَ جبلٍ في الأرضِ يليها، فقامَتْ عليه، ثمَّ استقبلَتْ تنظرُ حتى ترى أحدًا، فلم ترَ أحدًا، فهبطَتْ من الصَّفا حتى إذا بلغتِ الوادِي رفعَتْ طرَفَ

(١) في (ن): «اللبن».

دِرعها، ثمَّ سعَتْ سعْيَ الإنسانِ المجهودِ حتَّى جاوزَتْ الوادِي، ثمَّ أتَتِ المروَةَ فقامَتْ عليها ونظرَتْ هل ترى أحدًا؟ فلم ترَ أحدًا، ففعلَتْ ذلك سبعَ مرَّاتٍ. قال ابنُ عبَّاسٍ: قال النبيُّ عليه السَّلام: «**فلذلك سعَى النَّاسُ بينهما**».

فلمَّا أشرفَتْ على المروةِ سمعَتْ صوتًا، فقالَتْ: صَهْ ـ تريدُ نفسَها ـ ثمَّ تسمَّعَتْ فسمعَتْ أيضًا، فقالت: قد أسمعْتَ إنْ كان عندك غَواثٌ، فإذا هي بالمَلَك عند موضعِ زمزمَ يبحثُ بعقبِه ـ أو قال: بجناحِهِ ـ حتَّى ظهرَ الماءُ، فجعلَتْ تُحَوِّضُه وتقولُ بيدها هكذا، وجعلَتْ تغرفُ من الماء في سِقائها وهو يفورُ بعدَ ما تغرِفُ. قال ابنُ عبَّاسٍ: قالَ النَّبيُّ عليه السَّلام: «**يرحَمُ اللهُ أمَّ إسماعِيلَ...**» إلى آخره.

قال: فشربَتْ وأرضعَتْ ولدَها، فقال لها الملَكُ: لا تخافي الضَّيعَةَ؛ فإنَّ ههنا بيتَ اللهِ، يبنيهِ هذا الغلامُ وأبُوه، وإنَّ اللهَ لا يُضيِّعُ أهلَه. وكان البيتُ مرتفعًا من الأرضِ كالرَّابيَةِ، فتأتيه السُّيولُ فتأخذُ عن يمينِهِ وعن يسارِه، فكانت كذلك حتَّى مرَّتْ بهم رُفقةٌ من جُرْهُمٍ ـ أو: أهلُ بيتٍ من جُرهُمٍ ـ مُقبِلين من طريقِ كداءٍ، فنزلوا في أسفلِ مكَّةَ، فرأوا طائرًا عائِفًا، فقالوا: إنَّ هذا الطائرَ ليدورُ على ماءٍ، لعَهْدُنا بهذا الوادِي وما فيه ماءٌ، فأرسلوا جَرِيًّا أو جَرِيَّينِ، فإذا هم بالماءِ، فرجعوا فأخبرُوهم بالماءِ، فأقبَلوا.

قالَ: وأمُّ إسماعيلَ عندَ الماءِ، فقالوا: أتأذَنين لنا أنْ ننزِلَ عندَكِ؟ قالت: نعم، ولكنْ لا حقَّ لكم في الماءِ، قالوا: نعم. قالَ ابنُ عبَّاسٍ: قال النَّبيُّ عليه السَّلام: «فألفى[1] ذلك أمَّ إسماعيلَ وهي تحبُّ الأُنْسَ»، فنزلوا وأرسلوا إلى أهلِهم، فنزلوا معهم، حتَّى إذا كان بها أهلُ أبياتٍ منهم، وشبَّ الغلامُ، وتعلَّمَ العربيَّةَ منهم، وكان

(١) في هامش (ص): «في نسخة: «ألفت». ويجوز «ألفى» باعتبار وقوع الفاصل؛ أي: وجدت أم إسماعيل ذلك الكلام الذي تكلموا، ويجوز أن يكون ذلك الكلام وجد أم إسماعيل، مجازًا».

أنفسَهم وأعجبَهم حين شَبَّ، فلمَّا أدركَ زوَّجُوه امرأةً منهم، وماتَتْ أمُّ إسماعيلَ.

فجاءَ إبراهيمُ بعد ما تزوَّجَ إسماعيلُ يُطَالعُ تركتَه، فلم يجدْ إسماعيلَ، فسألَ امرأتَه عنه، فقالَتْ: خرجَ يبتغِي لنا، ثمَّ سألها عن عيشِهم وهيئتِهم، قالت: نحن بِشَرٍّ، في ضيقٍ وشدَّةٍ، فشكَتْ إليه، قالَ: فإذا جاءَ زوجُك اقرئي عليه السَّلام، وقولي له يغيِّرُ عتبةَ بابه، فلمَّا جاءَ إسماعيلُ كأنَّه آنسَ شيئًا، قالَ: هل جاءكُم مِن أحدٍ؟ قالت: نعم، جاءنا شيخٌ كذا وكذا، فسألَنا عنك فأخبَرْتُه، وسألني كيفَ عيشُنا، فأخبرتُه أنَّا في جَهْدٍ وشدَّةٍ، قالَ: فهلْ أوصاكِ بشيءٍ؟ قالت: نعم، أمرني أنْ أقرأَ عليك السَّلام، وقال لي: قولي له: غيِّرْ عتبةَ بابكَ، قال: ذلك أبي، وقد أمَرَني أنْ أفارقَكِ، الحَقِي بأهلك، فطلَّقَها وتزوَّجَ منهم أُخرى.

فلبثَ عنهم إبراهيمُ ما شاءَ اللهُ، ثمَّ أتاهُم بعدَ ذلك، فلم يجدْه، فدخلَ على امرأتِه، فسألها عنه، فقالَتْ: خرجَ يبتَغِي لنا، وسألها عن عيشِهم وهيئتِهم، فقالَتْ: نحن بخيرٍ وسَعَةٍ، وأثنَتْ على اللهِ، فقال: ما طعامُكُم؟ قالت: اللَّحمُ، قال: فما شرابُكُم؟ قالت: الماءُ، قال: اللَّهمَّ بارِكْ لهم في اللَّحمِ والماءِ. قالَ النَّبيُّ عليه السَّلام: «ولم يكُنْ لهم يومئذٍ حَبٌّ، ولو كان لهم لدَعا لهم فيه، فكانَتْ أكثرَ أرضِ الله حبًّا».

ثمَّ قالت له: انزلْ أغسِلْ رأسَك، فلم ينزلْ، فجاءتْهُ بالمقامِ فوضعَتْه عن شقِّه الأيمنِ، فوضعَ قدمَه عليه فغسلَتْ شقَّ رأسِه الأيمن، ثمَّ حوَّلَتْه إلى شِقِّه الأيسرِ فغسلَتْ شقَّ رأسِه الأيسرَ، فبقِيَ أثرُ قدمَيهِ عليه، فقالَ لها: فإذا جاءَ زوجُك فاقرئي عليه السَّلام، ومُريه يُثْبِتُ عتبةَ بابِه.

فلمَّا جاء إسماعيلُ قال: هل أتاكم من أحدٍ؟ قالت: نعم، أتانا شيخٌ حسنُ الهيئةِ، وأثنَتْ عليه، فسألنِي عنك فأخبرتُه، فسألني كيف عيشُنا؟ فأخبرتُه أنَّا بخيرٍ،

قال: فأوصَاك بشيءٍ؟ قالت: نعم، هو يقرأُ عليك السَّلام ويأمرُك أنْ تثبِتَ عتبةَ بابِكَ، قال: ذلك أبي، وأنتِ العتبَةُ، أمرَني أنْ أمسِكَك.

ثمَّ لبثَ عنهم ما شاءَ اللهُ، ثمَّ جاءَ بعدَ ذلك وإسماعيلُ يبري نبلًا له تحت دوحةٍ قريبًا من زمزمَ، فلمَّا رآه قامَ، فصنَعا كما يصنعُ الوالدُ بالولدِ والولدُ بالوالدِ، ثمَّ قالَ: يا إسماعيلُ؛ إنَّ اللهَ أمرني أنْ أبنيَ ههنا بيتًا، فأشارَ إلى أكمَةٍ[1] مرتفعةٍ على ما حولها، قال: فعندَ ذلك رفعَ القواعدَ من البيتِ، فجعلَ إسماعيلُ يأتي بالحجارةِ وإبراهيمُ يَبني، حتَّى إذا ارتفعَ البناءُ جاءَ بهذا الحجرِ فوضعَه له، فقامَ عليه يبني وإسماعيلُ يُناوله الحجارةَ، وهما يقولان: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧]، قالَ: فجعلا يبنيان حتَّى يدورا حولَ الكعبةِ، وهما يقولان: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾.

(**معها شنَّةٌ**) أي: قِرْبةٌ باليةٌ[2]. **والدَّوحةُ**: الشجرةُ العظيمةُ.

و(**زمزَم**) بئرٌ معروفةٌ، سُمِّيتْ بها لكثرةِ مائها، يقال: ماءٌ زمزمٌ؛ أي: كثيرٌ، وقيل: لأنَّ هاجرَ زمَّتْها فوضعَتْ الأحجارَ حولها؛ أي: سدَّتها، وقيل: لأنَّ جبريلَ صاحَ بصوتٍ كالزَّمزمَةِ، وهي صوتٌ لا تبينُ حروفُهُ[3].

وقوله: (**ثمَّ قفا**) أي: وَلَّى. وقوله: (**إذا نفدَ**) أي: فرغَ.

وقوله: (**يتلوَّى**) أي: ينقلبُ ظهرًا لبطنٍ، واللَّويُ: وجعٌ في البطنِ[4].

وقوله: (**فقالت: صَهْ**) يعني: أمرَتْ نفسَها بالسُّكوتِ؛ لتسمعَ ما فيه فرحٌ.

---

(١) هي القطعة الغليظة من الأرض. انظر: «المصباح المنير في غريب الشرح الكبير» للفيومي (١/ ١٨).

(٢) انظر: «مختار الصحاح» للرازي اللغوي (ص: ١٦٩).

(٣) انظر: «طلبة الطلبة» لأبي حفص النسفي (ص: ٣٣).

(٤) انظر: «لسان العرب» لابن منظور (١٥/ ٢٦٥).

وقوله: (**فتقولُ بيدِها**) أي: تأخذُ، والعربُ تستعملُ القولَ في غيرِ النُّطقِ، كما في قوله[1]:

وقالَتْ لَه العَيْنَانِ سَمْعًا وطَاعَةً

أي: أومأتْ.

وقولها: (**إنْ كانَ عندَك غَواثٌ**) بفتح الغينِ.

وقوله: (**فجعلَتْ تحوضُه**) أي: تجعله حوضًا؛ لئلَّا يذهبَ الماءُ.

وقوله: (**لكانَتْ زمزمُ عينًا مَعِينًا**) أي: جاريًا على وجهِ الأرضِ.

وقوله: (**طائرًا عائفًا**) العائفُ من الطَّير: هو الذي يتردَّدُ حولَ الماءِ يحومُ ولا يمضِي[2].

وقوله: (**جَرِيًّا أو جَرِيَّينِ**) الجريُّ: الرَّسولُ؛ لأنَّك تُجريهِ في حوائجك. وقال أبو عُبيد: هو الوكيلُ[3].

وقوله: (**كأنَّه آنسَ شيئًا**) أي: أحسَّ.

١٦٠٥ـ (ق): ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: «يرحَمُ اللهُ مُوسَى، لقَد أُوذِيَ بأكثَرَ مِن هذَا فصَبرَ». [خ: ٥٩٧٧] [م: ١٠٦٢]

قالهُ حينَ سَمعَ رجلًا قالَ يومَ حنينٍ: واللهِ إنَّ هذِهِ لقسمَةٌ مَا عُدِلَ فيها، ولا أُرِيدَ بهَا وجهُ اللهِ.

---

(١) وعجزه في «لسان العرب» لابن منظور (١١/ ٥٧٢) ودون نسبته لأحد: وحدَّرتا كالدُّرِّ لمَّا يُثَقَّب.
وعجزه في «الخصائص» لابن جني (١/ ٢٣): وأَبدتْ كَمِثْلِ الدُّرِّ لَمَّا يُثَقَّبِ.

(٢) انظر: «لسان العرب» لابن منظور (٩/ ٢٦٠).

(٣) انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (١١/ ١١٨).

* قال: لمَّا كان يومُ حنينٍ آثرَ رسولُ الله ﷺ ناسًا في القسمَةِ، فأعطَى الأقرعَ بنَ حابسٍ مئةً من الإبلِ، وأعطَى عُيينَةَ بنَ حصنٍ مثلَ ذلك، وأعطَى ناسًا من أشرافِ العربِ وآثرَهُم يومئذٍ في القسمَةِ، فقال رجلٌ: واللهِ إنَّ هذه لقسمَةٌ ما عُدِلَ فيها وما أُريدَ بها وجهُ الله، قال: فقلت: والله لأُخبرنَّ رسولَ الله ﷺ، قال: فأتيتُهُ فأخبرتُه، قال: فتغيَّر وجهُه حتَّى كانَ كالصَّرفِ، ثمَّ قال: **«فمَنْ يعدِلُ إذا لم يعدلِ اللهُ ورسولُهُ؟»**، ثمَّ قال: **«يرحَمُ اللهُ موسَى...»** إلى آخره.

وفي الحديثِ حجَّةٌ على من يقول: إنَّ سبَّ النبيِّ كفرٌ يُقتَلُ به، والعذرُ بأنَّه إنَّما لم يُقتَلْ؛ لأنَّه نقلَ عنه واحدٌ، وبشهادةِ الفردِ[1] لا يُراقُ الدَّمُ، ليسَ بصحيحٍ؛ لما جاءَ في «الصحيحين» أنَّه قال: اِعْدِلْ يا محمَّدُ، واتَّقِ اللهَ يا محمَّدُ، بحضرةِ الملأ، حتَّى أستأذنَ عمرُ في قتلهِ، فقال: «معاذَ الله أنْ يتحدَّثَ الناسُ أنَّ محمَّدًا يقتلُ أصحابَه»[2].

١٦٠٦ـ (ق): عائشةُ رضي الله عنها: «يرحمُهُ اللهُ! لقد أذكرَني كذَا وكذَا آيةً كنتُ أنسيتُهَا ـ ويروى: أسقطتُهَا ـ من سورةِ كذَا وكذَا». [خ: ٤٧٥١] [م: ٧٨٨]

قالَهُ حينَ سمعَ عبدَ اللهِ بنَ يزيدَ الخَطمِيَّ الأنصاريَّ يقرأُ مِن اللَّيلِ.

* قالت: سمعَ النَّبيُّ عليه السَّلام رجلًا يقرأ من الليلِ، فقال: **«يرحمُهُ اللهُ...»** إلى آخره.

قال المصنِّفُ رحمه الله: هو عبدُ الله بنُ يزيدَ الخطميُّ[3]، قال البخاريُّ: وزاد

---

(١) في (ن): «وبشهادة الواحد».

(٢) رواه البخاري (٤٦٢٤)، ومسلم (٢٥٨٤) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

(٣) انظر ترجمته في: «الإصابة في تمييز الصحابة» لابن حجر العسقلاني (٤/ ٢٢٧).

عبَّادُ بنُ عبدِ الله عن عائشةَ، قالت: تهجَّدَ النَّبيُّ عليه السَّلام في بيتي، فسمعَ صوتَ عبَّادٍ يصلِّي في المسجدِ، فقال: «يا عائشةُ؛ أصوتُ عبَّادٍ هذا؟»، قلتُ: نعم، قال: «اللَّهمَّ عبَّادًا»[(١)].

و(الخَطمِيُّ) بفتح الخاءِ المعجمةِ، منسوبٌ إلى خَطْمَةَ، مِن الأنصارِ، وهم بنو عبدِ الله بنِ مالكِ بنِ أَوسٍ[(٢)].

١٦٠٧ـ (ق): أبو هُريرةَ رضي الله عنه: «يسلِّمُ الرَّاكبُ على الماشِي، والماشِي على القاعِدِ، والقلِيلُ على الكثِيرِ». [خ: ٥٨٧٩] [م: ٢١٦٠]

* وزاد البخاريُّ: «والصَّغيرُ على الكبيرِ»[(٣)].

في الحديثِ: بيانُ أدبِ السَّلام، والابتداءُ به سُنَّةٌ. قيل: والأدبُ فيه أنْ يُسلِّمَ الذي هو أقوى حالًا على مَنْ دونه، فيبتدِئُ الراكبُ بالسَّلامِ على الماشِي؛ لعلوِّ مرتبتِه، وإظهارًا للتَّواضعِ.

والماشِي يسلِّمُ على القاعدِ: قيل: لذلك ورَدَ بمنع[(٤)] أنْ تكونَ مرتبةُ الماشِي أعلى، وقيل: لأنَّ القاعدَ على هيئة وقارٍ وثبوتٍ وسكونٍ، فله بذلك مزيَّةٌ على الماشِي.

وأمَّا ابتداءُ القليلِ بالسَّلام على الكثيرِ فللمُراعاةِ لكثرةِ المسلمينَ، وما زادَ البخاريُّ ظاهرٌ.

---

(١) رواه البخاري (٢٥١٢) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) انظر: «الأنساب» للسمعاني (٥/ ١٦٣).

(٣) رواه البخاري (٥٨٧٧).

(٤) في (ن): «بأمنع».

وإذا تساووا فأولاهُم بادئُهم، عن عمرَ بنِ الخطَّابِ رضي الله عنه أنَّه قال: إنَّما يُصفِّي لك وُدَّ أخيكَ ثلاثةٌ: أنْ تبدأه بالسَّلام إذا لقيتَه، وأنْ تدعُوه بأحبِّ أسمائه إليه، وأنْ توسِّعَ له في المجلسِ[1].

١٦٠٨ـ (م): أَبو ذرٍّ رضي الله عنه: «يصبحُ على كلِّ سُلَامى من أحدِكُم صدقَةٌ، فكلُّ تسبيحَةٍ صدقَةٌ، وكلُّ تحميدَةٍ صدقَةٌ، وكلُّ تهليلَةٍ صدقَةٌ، وكلُّ تكبيرَةٍ صدقَةٌ، وأمرٌ بالمعرُوفِ صدقَةٌ، ونهيٌ عنِ المنكَرِ صدقَةٌ، وتُجزِئُ من ذلكَ ركعتَانِ يركعهُمَا منَ الضُّحَى». [م: ٧٢٠]

* قد تقدَّم الكلامُ عليه في البابِ الثاني في قولِه عليه السَّلام[2]: «إنَّما خُلقَ كلُّ ابنِ آدمَ على ستين وثلاثمئةِ مِفصلٍ».

وقوله: (**وتُجزِئُ مِن ذلكَ**) أي: تكفِي من هذه الصَّدقاتِ المذكورةِ ركعتان في وقتِ الضُّحى؛ فإنَّ الصَّلاةَ عملٌ لجميعِ أعضاءِ البدنِ، فإذا صلَّى فقد قامَ كلُّ عضوٍ بوظيفتِه التي عليه.

وفيه دليلٌ على فضيلةِ الضُّحى، وكبرِ موقعِها.

١٦٠٩ـ (خ): أَبو هُريرةَ رضي الله عنه: «يُصَلُّون لكُم، فإنْ أَصابُوا فلكُم، وإنْ أخطؤوا فلكُم وعليهِم». [خ: ٦٦٢]

* الضَّميرُ في (**يُصَلُّون**) للأئمَّةِ، وهم وإنْ كانوا يُصلُّونَ للهِ تعالى، لكنَّهم من

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «مكارم الأخلاق» (٣١٦).

(٢) تقدم برقم: (٤٥٢).

حيثُ إنَّهم ضمناءُ لصلاتِهم كأنَّهم يصلُّون لهم، وهذا دليلٌ على أنَّ فسادَ صلاةِ الإمامِ يؤثِّرُ في فسادِ صلاةِ المأمومِ.

ورُدَّ: بأنَّ قولَه: (**فلكُم وعليهِم**) يُنافي ذلك؛ لأنَّ معناه: تصحُّ صلاتُكم، فيحصلُ لكم ثوابٌ، ووبالُ الخطأِ بإخلالِ ما يجبُ فيها بالسَّهو والنِّسيانِ، أو التَّعمُّدِ في التَّركِ عليهم، فيتعارَضان.

وقيل: معناه: إنْ أصابُوا الوقتَ، وكذلك إنْ أخطؤوا الوقتَ.

وقوله: (**فلكُم**) أي: صلاتُكم في بيوتِكُم، وعن هذا كان جماعةٌ من السَّلفِ يصلُّون في بيوتِهم في الوقتِ، ثمَّ يعيدُون معهم.

وفي معنى هذا الحديثِ قولُه ﷺ: «لعلَّكم ستُدرِكُونَ أقوامًا يصلُّون الصَّلاةَ لغيرِ وقتِها، فإذا أدركتُم فصلُّوا في بيوتِكُم في الوقتِ الذي تعرفُون، ثمَّ صلُّوها معهم، واجعلُوها سُبْحةً»[1]، وليسَ العملُ على هذا؛ لما تقدَّمَ أنَّ رسولَ الله ﷺ رأى رجلًا صلَّى قبلَ الظُّهرِ، فقال: «بأيِّ صلاتِكَ تعوِّلُ؟»[2]، ولأنَّ أداءَ الفرضِ مع الجماعةِ أفضلُ، ويفوتُ ذلك إذا عُملَ بالحديثِ هذا.

---

(١) رواه النسائي (٧٧٩)، وابن ماجه (١٢٥٥)، وأحمد في «مسنده» (٣٦٠١)، وابن خزيمة في «صحيحه» (١٦٤٠)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٦/ ١٠١) (٥٤٠٣) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) روى مسلم (٧١٢) عن عبد الله بن سرجس قال: «دخل رجل المسجد ورسول الله ﷺ في صلاة الغداة، فصلى ركعتين في جانب المسجد، ثم دخل مع رسول الله ﷺ، فلمَّا سلَّم رسول الله ﷺ قال: يا فلان، بأي الصلاتين اعتددت؟ أبصلاتك وحدك؟ أم بصلاتك معنا؟».

١٦١٠ـ (ق): ابنُ عُمرَ رضي الله عنهما: «يَطوِي اللهُ السَّمواتِ يومَ القيامَةِ، ثمَّ يأخذُهنَّ بيدِهِ اليُمنى، ثمَّ يقولُ: أنَا الملِكُ، أينَ الجبَّارُونَ؟ أينَ المتكبِّرونَ؟ ثمَّ يَطوِي الأرضينَ بشمالِهِ، ثمَّ يقولُ: أنَا الملِكُ، أينَ الجبَّارُونَ؟ أينَ المتكبِّرُونَ؟». [م: ٢٧٨٨](١)

*وعن عبدِ الله بنِ مقسمٍ في هذا الحديثِ: أنَّه نظرَ إلى عبدِ الله بنِ عمرَ كيف يحكي النَّبيَّ عليه السَّلام، قال: «يأخذُ اللهُ تعالى سماواتِه وأرضِيهِ بيديهِ(٢)، ويقول: أنا الملِكُ، ويقبضُ أصابعَهُ ويبسطُها أنا الملِكُ»، حتَّى نظرتُ إلى المنبرِ يتحرَّكُ من أسفلِ شيءٍ منه، حتَّى إنِّي لأقولُ: أساقطٌ هو برسولِ الله؟.

هذا الحديثُ من المتشابهات، وقد تبيَّنَ ممَّا تقدَّمَ مذهبُ السَّلفِ والخلفِ فيها، فلا نُعيده، وممَّا يُخَصُّ به هذا الحديثُ ما قال القاضِي(٣): فيه ثلاثةُ ألفاظٍ: «يقبض» و«يطوي» و«يأخذ»، وكلُّه بمعنى الجمعِ؛ لأنَّ السمواتِ مبسُوطةٌ، والأرضَ مدحوَّةٌ، ثمَّ يرجعُ ذلك إلى معنى الرَّفعِ والإزالةِ، وتبديلِ الأرضِ غيرَ الأرضِ والسَّمواتِ، فعادَ كلُّ ذلك إلى ضمِّها بعضِها إلى بعضٍ ورفعِها، وإبادَتِها وتبديلِها بغيرِ الأرضِ.

وقبضُه عليه السَّلام أصابعَه بعدَ بسطِها تمثيلٌ لصفةِ قبضِ هذه المخلوقاتِ وجمعِها بعدَ بسطِها، وحكايةٌ للمقبوضِ والمبسوطِ التي هي السَّماواتُ والأرضُ، لا عن القبضِ والبسطِ الذي هو صفةٌ للقابضِ الباسطِ(٤)، ولا عن الصِّفةِ المسمَّاةِ يدًا؛ يعني: أنَّه حكايةٌ عن المقبوضِ، لا عن القبضِ، ولا عن آلته(٥).

---

(١) قلت: الحديث تفرَّد به مسلمٌ.

(٢) في (ن) و(ك) و(أ): «بيده».

(٣) انظر: «إكمال المعلم بفوائد مسلم» للقاضي عياض (٨/ ٣١٩).

(٤) في (ن): «والباسط».

(٥) في (ع) و(م): «آليته».

وقوله: (مِن أسفَلِ شَيءٍ منه) أي: من أسفلِه إلى أعلاه؛ إذْ بحركةِ الأسفلِ يتحرَّكُ الأعلى.

وأمَّا حركةُ المنبرِ؛ فإنَّها تجوزُ أنْ تكونَ بسببِ حركتِه عليه السَّلام فوقَه، ويجوز أنْ يكونَ اللهُ خلقَ فيه الحركةَ ليهتابَ[١] لما سمعَه، كما حنَّ له الجذعُ عليه السَّلام[٢].

هذا ما يمكنُ أنْ يقالَ بحسَبِ دَلالَةِ الألفاظِ، وأمَّا حقيقَةُ ذلك فلا يطَّلِعُ عليها إلَّا اللهُ ومن اصطفاهُ من عبادِهِ.

١٦١١ـ (ق): أبُو هُريرةَ رضي الله عنه: «يعرَقُ النَّاسُ يومَ القيامَةِ حتَّى يذهَبَ عرقُهُم في الأرضِ سبعينَ ذراعًا، ويُلجِمُهُم حتَّى يبلُغَ آذانَهُم». [خ: ٦١٦٧] [م: ٢٨٦٣]

*وعن المقدادِ بنِ الأسودِ، قالَ: سمعتُ النَّبيَّ ﷺ يقول: «تدنو الشَّمسُ يومَ القيامةِ من الخلقِ حتَّى تكونَ كمقدَارِ ميلٍ». قال سليمُ بنُ عامرٍ ـ أحدُ رواةِ الحديث ـ فواللهِ لا أدرِي ما يعني بالميلِ، أمسافَةَ الأرضِ، أم الميلَ الَّتي تُكتَحَلُ بها العينُ؟ قال: «فيكونُ النَّاسُ على قَدْرِ أعمالِهم في العرَقِ، فمنهُم مَن يكونُ إلى كعبيهِ، ومنهم مَن يكونُ إلى ركبتَيهِ، ومنهُم مَن يكونُ إلى حَقْويهِ، ومنهُم مَن يُلجِمُه العرَقُ إلجَامًا»، وأشارَ رسولُ اللهِ ﷺ بيدِه إلى فيهِ، ولم يخرِّجْه البخاريُّ[٣].

عَرِقَ يَعْرقُ: من باب «عَلِمَ يَعْلَمُ».

---

(١) في (ن): «ليتأهب».

(٢) حديث حنين الجذع في البخاري (٣٣٩٠).

(٣) رواه مسلم (٢٨٦٤).

(**ويُلْجِمُهم**) بضمِّ الياءِ، مِن أَلْجَمَ؛ أي: يصلُ العرَقُ إلى أفواهِهِم، فيصيرُ بمنزلَةِ اللِّجامِ يمنعُهم عن الكلامِ. وهذا العرقُ يكونُ لشدَّةِ الضَّغْطِ، وحرِّ الشَّمسِ ودُنوِّها بحيث يغلي منها الهامُ[1]، وحرارةِ الأنفاسِ، وحرارةِ النارِ المحدِقَةِ بأرضِ المحشَرِ، يرشحُ إلى أن يغُوصَ في الأرضِ مقدارَ سبعين ذراعًا أو باعًا أو عامًا على اختلافِ الرِّواياتِ.

واعتُرِضَ: بأنَّه على هذا التَّقديرِ يجبُ أن يكونَ النَّاسُ في مثلِ البحرِ من العرَقِ، فيسْبَحُ كلٌّ منهم سَبْحًا واحدًا، فكيف يكونون فيه مُتفَاضِلين بعضُهم إلى عَقِبَيه إلى آخرِ ما ذُكِرَ؟

وأُجِيبَ: بأنَّه يجوزُ أنْ يخلُقَ اللهُ تعالى ارتِفاعًا في الأرضِ الَّتي تحتَ قدَمِ كلِّ إنسانٍ بحسَبِ عمَلِه، فيرتفِعُ عن الأرضِ بحسَبِ ارتفاعِ ما تحتَهُ، وبأنَّه يجوزُ أن يُحشَرَ النَّاسُ جماعاتٍ في تَفْرِقةٍ، فيُحْشَرَ كلُّ مَن يبلغُ عرقُه إلى كعبيهِ في جهَةٍ، وكلُّ مَن يبلغُ ركبتَيه إلى جهةٍ، وهلُمَّ جرًّا، والقدرةُ صالحةٌ لأنْ يمسكَ عرَقَ كلِّ إنسانٍ عليه بحسَبِ عمَلِه فلا يتَّصِلَ بغيرِه منه شيءٌ، وإن كانَ بإزائِهِ، كما أمسَكَ جَريَةَ البحرِ لموسى عليه السَّلام حيث طلبَ لقاءَ الخضرِ عليه السَّلام، ولبني اسرائيلَ لمَّا اتْبعُهم فرعون[2].

وقوله: (**تدنو الشَّمسُ يومَ القيامَةِ**) أي: تَقْرُبُ.

---

(١) في هامش (ك): «جمع هامة».

(٢) انظر: «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» للقرطبي (٧/ ١٥٧). وقال علي القاري في «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٨/ ٣٥١٧): المعتمد هو القول الأخير، فإن أمر الآخرة كله على وفق العادة، أما ترى أن شخصين في قبر واحد يعذَّبُ أحدهما وينعَم الآخر، ولا يدري أحدهما عن غيره، ونظيره في الدنيا نائمان، مختلفان في رؤياهما، فيحزن أحدهما ويفرح الآخر.

١٦١٢ـ (ق): عمرانُ بن حُصينٍ رضي الله عنه: «يعضُّ أحدُكُم يدَ أخيهِ، كمَا يعضُّ الفَحلُ، لا ديةَ لكَ». [خ: ٦٤٩٧] [م: ١٦٧٣]

*قالَ: قاتلَ يعلى بنُ مُنْيَةَ ـ أو أُميَّةَ ـ رجلًا، فعضَّ أحدُهما صاحبَه، فانتزَعَ يدَه مِن فمِه، فنزعَ ثنيَّتَه، فاختصَما إلى النَّبيِّ عليه السَّلام، فقال: «**أيعضُّ أحدُكم...**» إلى آخرِه.

(**مُنْيَة**) بضمِّ الميمِ وإسكانِ النُّون، وبعدها مثنَّاةٌ تحت، وهي أمُّ يعلى، وأمَّا (**أميَّةُ**) فهو أبوه، فنُسِبَ تارةً إلى أمِّه، وتارةً إلى أبيه(١).

وقوله: (**كمَا يعضُّ الفحلُ**) الظاهرُ أنَّه أرادَ الفحلَ من الإبلِ؛ لأنَّ عضَّه أقوى، فالتَّشبيهُ به أولى، وهو إشارةٌ إلى تحريمِ ذلك.

وفي الحديثِ دلالةٌ على أنَّه لا ضمانَ في ذلك، لكنْ إذا لم يكُنْ له خلاصٌ أسهلُ مِن ذلك، وهو مذهبُ أبي حنيفةَ(٢) والشَّافعيِّ(٣) والأكثرين رحمهم الله. وقال مالكٌ رحمه الله: يضمنُ(٤).

وقد علَّلَ القاضِي(٥) بأنَّ الرُّواةَ اختلفُوا فيه على عطاءٍ، وأنَّ ابنَ سيرين لم يصرِّحْ فيه بالسَّماعِ من عمرانَ، وأنَّ البخاريَّ لم يروِ لابنِ سيرينَ عن عمرانَ شيئًا، وليسَ في هذا ما يقتَضِي ضعفَ هذا الحديث؛ فإنَّ ابنَ سيرينَ معدودٌ فيمَن سَمِعَ من عمرانَ، ولو ثبَتَ ضعفُ هذا الطريقِ لم يلزمْ منه ضعفُ المتنِ؛ لجوازِ تصحيحِه بالطُّرقِ الباقيةِ.

---

(١) انظر ترجمته في: «الإصابة في تمييز الصحابة» لابن حجر العسقلاني (٦/ ٥٣٨).

(٢) انظر: «البناية شرح الهداية» للعيني (١٣/ ٢٦٨).

(٣) انظر: «مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج» للخطيب الشربيني (٥/ ٥٣١).

(٤) انظر: «مواهب الجليل في شرح مختصر خليل» للحطاب (٦/ ٣٢٢).

(٥) انظر: «إكمال المعلم بفوائد مسلم» للقاضي عياض (٥/ ٤٧٣).

واختلفُوا فيما إذا لم يمكنْ خلاصُه إلَّا بعملٍ في غيرِ الفَمِ؛ كبعْجِ البطنِ أو عصرِ الأُنثَيَين، فقيل: ليسَ له ذلك؛ لأنَّ القياسَ وجوبُ الضَّمانِ، وتُرِكَ في هذه الصُّورةِ بالنَّصِّ، فلا يُقاسُ عليها غيرُها، وقيل: يلحقُ بها غيرُها؛ لأنَّهما في معناه في مناطِ الحكمِ، وهو دفعُ ضررِه في يدِه بالعضِّ كعضِّ الفحلِ.

١٦١٣- (م): أَبو هُريرةَ رضي الله عنه: «يعمِدُ أحدُكُم إلى جمرَةٍ مِن نارٍ، فيجعلُهَا في يدِهِ». [م: ٢٠٩٠][(١)]

قالَهُ حينَ رأى خاتمًا مِن ذهَبٍ في يدِ رجلٍ، فنزعَهُ، فطرحَهُ، فقيلَ للرَّجلِ بعدَ مَا ذهَبَ رسولُ اللهِ ﷺ: خُذْ خاتَمكَ انتفِعْ بِه، فقال: لا واللهِ! لَا آخذُهُ أبدًا وقد طرحَهُ رسولُ اللهِ ﷺ.

*قيل: روى المصنِّفُ رحمه الله هذا الحديثَ عن أبي هريرةَ رضي الله عنه، والمشهورُ في الكتبِ الصِّحاح النقلُ عن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما.

وفيه دلالةٌ على تحريمِ خاتمِ الذَّهبِ على الرِّجالِ، وقد أجمعَ العلماءُ رحمهم الله على ذلك إلَّا ما حُكي عن ابنِ حزمٍ أنَّه أحلَّه لهم ولم يبالِ بخرقِ الإجماعِ، وتركِ العملِ بالأحاديثِ الصَّحيحَةِ المشهورةِ.

وفيه: إزالةُ المنكرِ باليدِ عند القُدرةِ عليها.

وقوله: (**لَا آخذُهُ أبدًا وقَد طرحَهُ رسولُ اللهِ**) مبالغةٌ في امتثالِ أمرِ رسولِ اللهِ ﷺ، والاجتنابِ عن نهيِه، ثمَّ إنَّه تركَه على سبيلِ الإباحةِ لمنْ أخذَه من الفقراءِ وغيرِهم، فمَنْ أخذَه جاز له أنْ يتصرَّفَ فيه، وإنْ أخذَه صاحبُه فكذلك.

---

(١) قلت: الحديث عنده عن ابن عباس لا عن أبي هريرة رضي الله عنهما.

١٦١٤ـ (ق): عائشةُ رضي الله عنها: «يغزُو جيشٌ الكعبةَ، فإذَا كانُوا ببيدَاءَ مِنَ الأرضِ يُخسَفُ بأوَّلِهِم وآخرِهِم، ويبعثُونَ على نيَّاتِهِم». [خ: ٢٠١٢] [م: ٢٨٨٤]

* وقالَتْ في روايةٍ أخرى: عبَثَ رسولُ الله ﷺ في منامِه، فقلنا: يا رسولَ اللهِ؛ صنعْتَ شيئًا في منامِكَ لم تكُنْ تفعلُه؟ قال: «**العجَبُ! إنَّ ناسًا مِن أمَّتِي يؤمُّون هذا البيتَ برجلٍ مِن قريشٍ قد لجأَ بالبيتِ، حتَّى إذا كانوا بالبيداءِ خُسِفَ بهم**»، فقلنا: يا رسولَ اللهِ؛ إنَّ الطريقَ قد يجمعُ النَّاسَ، قال: «**نعم، فيهم المستبصِرُ والمجبُورُ وابنُ السَّبيلِ، يهلِكُون مَهْلكًا واحدًا، ويصدُرونَ مصادرَ شتَّى، يبعثُهم اللهُ عزَّ وجلَّ على نيَّاتِهم**»[١].

وهذه الروايةُ تفسِّرُ الروايةَ الأولى في قوله: (**يُخسَفُ بأوَّلِهِم وآخرِهِم، ويُبعثُونَ على نيَّاتِهِم**).

والبيداءُ: أرضٌ ملساءُ لا شيءَ فيها[٢]. وهل المرادُ بيداءُ المدينةِ أو لا؟ اختُلِفَ فيه، قال بعضُهم: المرادُ به بيداءُ المدينةِ، وهو موضِعٌ بين مكَّةَ والمدينةِ، وقال آخرون: هو غيرُ ذلك.

وقولها: (**عبَثَ**) ضبطُوه بفتحِ الباءِ، ومعناه: أتى بكلماتٍ كأنَّها مختلِطةٌ[٣]، **وعبِثَ** ـ بالكسر ـ معناه: لعبَ. وقال النَّواويُّ: معنى (**عبثَ في منامِه**) تحرَّكَ واضطربَ جسمُه، وقيل: حرَّكَ أطرافَه كمَن يأخذُ شيئًا أو يدفعُه[٤].

وقولـه: (**فيهم المستبصرُ والمجبورُ وابنُ السَّبيلِ**)، أمَّا (**المستبصر**): فهو

---

(١) عند مسلم (٢٨٨٤).

(٢) انظر: «لسان العرب» لابن منظور (٣/ ٩٧).

(٣) انظر: «لسان العرب» لابن منظور (٢/ ١٦٦).

(٤) انظر: «شرح النووي على مسلم» (١٨/ ٦).

العارفُ بذلك والقاصدُ له عمدًا، وأمَّا (المجبورُ): فهو المكرَهُ، يقالُ: جبرتُه فهو مجبورٌ، والمشهورُ: أجبرتُه فهو مُجبَرٌ[1]، و(ابنُ السَّبيل): هو السَّالكُ في الطَّريقِ معهم وليسَ منهم.

١٦١٥ـ (خ): أبو هُريرةَ رضي الله عنه: «يقبِضُ اللهُ الأرضَ يومَ القيامَةِ، ويطوِي السَّماءَ بيمِينهِ، ثمَّ يقولُ: أنَا الملِكُ، أينَ ملوكُ الأرضِ؟». [خ: ٦١٥٤]

* وقد تقدَّم الكلامُ عليه قريبًا في هذا البابِ[2].

١٦١٦ـ (م): أبو هُريرةَ رضي الله عنه: «يقطَعُ الصَّلاةَ: الكلبُ، والمرأةُ، والحمَارُ، ويَقِي مِن ذلكَ مثلُ مُؤخِرَةِ الرَّحلِ». [م: ٥١١]

* وقد تقدَّم الكلامُ عليه أيضًا في البابِ الرابع في قوله عليه السَّلام[3]: «إذا قام أحدُكم يصلِّي».

١٦١٧ـ (م): عبدُ اللهِ بنُ الشِّخِّيرِ رضي الله عنه: «يقولُ ابنُ آدمَ: مَالي مَالي، وهل لكَ مِن مالكَ إلَّا ما أكلتَ فأفنَيْتَ، أو لبستَ فأبلَيْتَ، أو تصدَّقْتَ فأمضَيْتَ؟». [م: ٢٩٥٨]

---

(١) في (ع) و(م): «مجبورٌ».

(٢) تقدم برقم: (١٦١٠).

(٣) تقدم برقم: (٨٤٢).

* قال: أتيتُ النَّبيَّ عليه السَّلام وهو يقرأ: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾، قال: «**يقولُ ابنُ آدمَ...**» إلى آخره.

ومعنى قولِه تعالى: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ أي: شغلَكُم الإكثارُ من الدُّنيا والالتفاتُ إليها عمَّا هو الأَولى بكم من الاستعدادِ للآخرةِ، والخطابُ عامٌّ؛ لأنَّ طبيعةَ الإنسانِ مجبولةٌ على ذلك، قال اللهُ تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ﴾ [آل عمران: ١٤] الآية.

وقوله: (**فأمضَيْتَ**) أي: أنفذْتَ فيه عطاءَك.

١٦١٨ـ (م): أَبو هُريرةَ رضي الله عنه: «يقولُ العبدُ: مَالي مَالي، وإنَّما لهُ مِن مالِهِ ثلاثٌ: ما أكَلَ فأفنَى، أو لبسَ فأبلَى، أو أعطَى فاقتنَى، مَا سِوى ذلك فهو ذاهِبٌ وتاركُهُ للنَّاسِ». [م: ٢٩٥٩]

* قوله: (**مَالي مَالي**) أي: يغترُّ بنسبةِ المالِ إليه، وكونِه في يدِه، وربَّما يعجَبُ به[(١)] ويفتخرُ به، ولعلَّه ممَّنْ تعِبَ في تحصيلِه وجمعِه لغيرِه؛ لأنَّه الذي ينتفعُ به.

وقوله: (**فاقتنَى**) أي: أعطى الصَّدقةَ، فاقتنى الثَّوابَ لنفسِه، ورواه ابنُ ماهان: «فأقنى»[(٢)]؛ أي: أكسبَ[(٣)] غيرَه؛ كقولِه تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ﴾ [النجم: ٤٨].

وقوله: (**مَا سِوى ذلك**) (مَا) موصولةٌ، و(سِوى) بمعنى غير.

---

(١) في (ن): «تعجب منه».

(٢) انظر: «إكمال المعلم بفوائد مسلم» للقاضي عياض (٨/ ٥١٢).

(٣) في (ن): «أي كسب».

١٦١٩ـ (م): أَبو ذرٍّ رضي الله عنه: «يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ: مَن جاءَ بالحسنةِ فلهُ عشرُ أمثالِهَا وأَزِيدُ، ومَن جاءَ بالسَّيئةِ فجزَاؤُه سيِّئةٌ مثلُها أو أغفِرُ، ومَن تقرَّبَ منِّي شبرًا تقرَّبتُ منهُ ذراعًا، ومَن تقرَّبَ منِّي ذراعًا تقرَّبتُ منهُ باعًا، ومَن أتاني يمشِي أتيتُهُ هرولَةً، ومَن لقيَنِي بقُرَابِ الأرضِ خطيئةً لَا يشركُ بي شيئًا لقيتُهُ بمثلِهَا مغفرَةً». [م: ٢٦٨٧]

*قوله: **(عشرُ أمثالِهَا)** أي: عشرُ حسناتٍ أمثالِها، حُذِفَ الموصوفُ، وأُقيمَتْ صفةُ الجنسِ المميِّزِ مقامَه. وهذا أقلُّ ما وعدَ اللهُ تعالى من الأضعافِ، وقد وعدَ بالواحدَةِ سبعمئةٍ، ووعدَ بغيرِ حسابٍ، ومضاعفةُ الحسناتِ فضلٌ، ومكافآتُ السيِّئاتِ عدلٌ[١]، وغفرانُها رحمةٌ.

وقوله: **(ومَن تقرَّبَ منِّي شبرًا...)** إلى آخره: كلُّها أمثالٌ ضُرِبَتْ لمنْ عملَ[٢] الطَّاعات واشتغلَ بالصَّالحاتِ قاصدًا بذلك التَّقرُّبَ إلى اللهِ، يدلُّ على أنَّ اللهَ تعالى لا يضيِّعُ عملَ عاملٍ وإنْ قلَّ، بل يقبلُه ويجعلُ له ثوابًا مضاعفًا.

فإنْ قيلَ: ظاهرُ الحديثِ يقتَضِي أنَّ مَنْ عملَ حسنةً جُوزِيَ بمثلَيها[٣]؛ فإنَّ الذِّراعَ شبرانِ، والباعَ ذراعانِ، وقد تقرَّرَ في الكتابِ والسُّنَّةِ أنَّ أقلَّ ما يُجازَى في الحسنةِ عشرُ أمثالها، فكيفَ وجهُ الجمعِ؟

أُجِيبَ: بأنَّ هذا الحديثَ ما سيقَ لبيانِ مقدارِ الأجورِ وعددِ تضعيفِها، وإنَّما سيقَ لتحقيقِ أنَّ اللهَ لا يضيعُ عملَ عاملٍ قليلًا كان أو كثيرًا، وأنَّ اللهَ يسرعُ إلى قبُوله

---

(١) في (ن) زيادة: «بالواحدة».

(٢) في (ص): «عمل»، وفي (ع): «عمله».

(٣) في (ص): «بمثلها».

وإلى تضعيفِ الثَّوابِ عليه إسراعَ مَنْ جيءَ إليه بشيءٍ فبادرَ بأخذِه، وإذا عُلِمَ أنَّه من بابِ التَّمثيلِ تستدُّ طرقُ الشَّيطانِ في الإغواءِ والتَّحريشِ على القولِ بالتَّجسيمِ.

و(**الهرولةُ**) الإسراعُ في المشِي دون العَدْوِ وفوقَ المشِي[1].

وقُرابُ الأرضِ: بضمِّ القافِ على المشهورِ، وهو ما يُقارِبُ مِلئها[2]، وقيل: بكسرِ القافِ، نقله القاضي وغيرُه[3].

وفي الحديث: بيانُ عِظَمِ فضلِ الله تعالى وكرمِه، وإحسانه إلى عبادِه، وإنْ كثُرَ عصيانُهم.

١٦٢٠ـ (ق): أبو سعيدٍ رضي الله عنه: «يقولُ اللهُ: يا آدمُ، فيقولُ: لبَّيكَ وسعدَيكَ والخيرُ في يديكَ، فيقولُ: أخرِجْ بعثَ النَّارِ، قال: ومَا بعثُ النَّارِ؟ قال: مِن كلِّ ألفٍ تسعَمئةٍ وتسعةً وتسعِينَ، قال: فذلكَ حينَ يشيبُ الصَّغيرُ، وتضعُ كلُّ ذاتِ حملٍ حملَهَا، وتَرى النَّاسَ سُكارَى وما هُم بسكَارَى، ولكنَّ عذابَ اللهِ شديدٌ، قال: فاشتدَّ ذلكَ عليهِم، فقالُوا: يا رسُولَ اللهِ؛ أيُّنا ذلكَ الرَّجلُ؟ فقالَ: أبشِرُوا؛ فإنَّ مِن يأجُوجَ ومأجُوجَ ألفًا ومنكم رجلٌ، ثمَّ قالَ: والَّذي نَفسِي بيدِهِ؛ إنِّي لأرجُو أنْ تكونُوا رُبعَ أهلِ الجنَّةِ، قال: فحمِدنَا اللهَ وكبَّرنَا، ثمَّ قال: والَّذي نفسِي بيدِهِ؛ إنِّي لأرجُو أن تكونُوا ثلُثَ[4] أهلِ الجنَّةِ، فحَمِدنَا اللهَ وكبَّرنَا، ثمَّ قالَ: والَّذي نفسِي بيدِهِ؛ إنِّي لأرجُو

---

(١) انظر: «مختار الصحاح» للرازي اللغوي (ص: ٣٢٦).

(٢) في (ص): «مثلها»، وفي الهامش: «ملئها: أصح».

(٣) انظر: «إكمال المعلم بفوائد مسلم» للقاضي عياض (٨/ ١٨٥).

(٤) في (ك): «شطر».

أنْ تكونُوا شطرَ أهلِ الجنَّةِ، إنَّ مثلكُم في الأُمَمِ كمثَلِ الشَّعرةِ البيضَاءِ في جلدِ الثَّورِ الأسوَدِ، أو كالرَّقمَةِ في ذرَاعِ الحمَارِ». [خ: ٦١٦٥] [م: ٢٢٢]

*قوله: (أخرِجْ بعثَ النَّارِ) قيل: البعثُ بمعنى: المبعوثُ الموَجَّهُ إليها، ومعناه: ميِّزْ أهلَ النَّارِ من غيرِهم.

وقوله: (فذلكَ حينَ يشيبُ الصَّغيرُ) ويجوزُ أنْ يكونَ اقتباسًا من قولِه تعالى: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج: ١] الآية، وقولِه تعالى: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا﴾ [المزمل: ١٧].

وقد اختُلِفَ في وقتِ وضعِ الحملِ، فقيل: عندَ زلزلةِ السَّاعةِ قبل خروجِهم من الدُّنيا، وهذا القائلُ اعتبرَ الحقيقةَ، وقيل: هو في القيامةِ، فيكونُ مجازًا؛ لأنَّ القيامةَ ليس فيها حبلٌ ولا ولادةٌ، ويكونُ معناه: تنتَهِي بهم الأهوالُ والشَّدائدُ إلى أنَّه لو تصُوِّرَتْ الحواملُ هنالك[1] لوضعْنَ أحمالهنَّ.

وإنَّما خُصَّ آدمُ بهذا الخطاب؛ لأنَّه أصلُ الجميع، ويجوزُ أنْ يكونَ معنى (أخرِجْ): احضَرْ إخراجَهم، فكأنَّهم يُعرضُون عليه بأشخاصِهم وأسمائِهم.

وقوله: (ومَا بعثُ النَّارِ) قيل: وُضِعَت (ما) ههنا موضعَ (كم) العدديَّةِ؛ لأنَّها أُجِيبَ عنها بعددٍ، ولمَّا سمعَ أصحابُ النَّبيِّ عليه السَّلام أنَّ ألفًا إلَّا واحدًا للنَّارِ، وواحدًا للجنَّةِ، اشتدَّ خوفُهم لذلك، واستقلُّوا عددَ أهلِ الجنَّةِ، واستبعدَ كلُّ واحدٍ منهم أنْ يكونَ ذلك الواحدَ، فسكَّنَ النَّبيُّ عليه السَّلام خوفَهم، وطيَّبَ قلوبَهم، فقال: (أبشِرُوا).

والمرادُ بـالألفِ هنا: التِّسعمئةُ والتِّسعةُ والتِّسعونَ المتقدِّمةُ الذِّكر.

(١) في (ص): «هناك».

و(**يأجُوجَ ومأجُوجَ**) مهموزان، مِن أجيجِ النَّارِ، وهو صَوتُها وشرَرُها، سُمُّوا به لكثرَتِهم وشدَّتِهم، واضطرابِ بعضِهم في بعضٍ[(١)].

قالَ وهبُ بنُ منبِّهٍ: هم ولدُ يافثَ بنِ نوحٍ[(٢)]، وقالَ الضَّحَّاكُ: هم جيلٌ من التُّركِ[(٣)]، وقيل: هم قومٌ كفَّارٌ وراء سدِّ ذي القرنين.

والمرادُ في الحديثِ هم ومَن كان على كفرِهم، كما أنَّ المرادَ بقوله: (**منكم**) أصحابُه[(٤)]، ومَن كان على إيمانِهم، والدَّليلُ على ذلك: تعليلُ أهلِ الجنَّةِ من هذه الأمَّةِ بالنِّسبةِ إلى كثرةِ أهلِ النَّارِ من غيرِها من الأممِ، ألا ترى إلى قوله عليه السَّلام: «**إنَّ مثلَكُم في الأمَمِ كمَثَلِ الشَّعرةِ البيضاءِ في الثَّورِ الأسودِ، أو كالرَّقمَةِ في ذراعِ الحمَارِ**».

وأمَّا نسبةُ هذه الأمةِ إلى مَن يدخلُ الجنَّةَ مِن الأمَمِ فهي أنَّها شطرُ أهلِ الجنَّةِ؛ أي: نصفُها، كما نصَّ[(٥)] عليه.

و(**الرَّقْمَةُ في ذرَاعِ الحمَارِ**) هو الأثرُ الذي في باطنِ عضُدِه.

وقوله: (**إنِّي لأرجُو**) رجاءَ تحقُّقٍ له، قال اللهُ تعالى: ﴿**وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ**﴾ [الضحى: ٥]. وقد تقدَّم[(٦)] معنى (**لبَّيْكَ**) وأمثالِه.

---

(١) انظر: «المصباح المنير في غريب الشرح الكبير» للفيومي (١/ ٥).

(٢) انظر: «شرح النووي على مسلم» (٣/ ٩٨).

(٣) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٧/ ٢٦٨).

(٤) في (ص): «الصحابة».

(٥) في (ك): «دل».

(٦) في (ن) زيادة: «الكلام على».

١٦٢١ـ (ق): ابنُ عُمرَ رضي الله عنهما: «يقومُ النَّاسُ لربِّ العالمَينَ حتَّى يغيبَ أحدُهُم في رشحِهِ إلى أنصَافِ أذُنَيهِ». [خ: ٤٦٥٤] [م: ٢٨٦٢]

***الرَّشحُ**: العرقُ؛ لأنَّه يخرجُ شيئًا فشيئًا، كما يترشَّحُ الإناءُ، وقد تقدَّمَ الكلامُ عليه في هذا البابِ قريبًا(١).

١٦٢٢ـ (ق): جابرُ بنُ سمُرَةَ رضي الله عنه: «يكُونُ بعدِي اثنَا عشَر أميرًا ـ قال جابِرٌ: فقال كلمةً لم أسمعْهَا، فقالَ أبِي: إنَّه قالَ ـ: كُلُّهم مِن قريشٍ». [خ: ٦٧٩٦] [م: ١٨٢١]

* معناه ظاهرٌ، وقد اعترِضَ بوجهين:

أحدُهما: أنَّه جاءَ في حديثٍ آخرَ: «الخلافَةُ بعدِي ثلاثونَ سنةً، ثمَّ تكونُ مُلْكًا»(٢)، ولم يكنْ في الثَّلاثين إلَّا الخلفاءُ الرَّاشدونَ.

والثَّاني: أنَّه وَلِيَ بعدَه أكثرُ مِن هذا العدَدِ.

وأُجِيبَ عن الأوَّلِ: بأنَّ معنى قوله: «الخلافةُ بعدِي»: خلافةُ النُّبوَّةِ؛ كما جاءَ في حديثٍ آخرَ: «خلافةُ النُّبوَّة بعدِي ثلاثونَ سنةً، ثمَّ تكونُ مُلْكًا»(٣).

---

(١) تقدم برقم: (١٦١١).

(٢) رواه ابن الجعد في «مسنده» (٣٣٢٣)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٩٤٣)، والحاكم في «المستدرك» (٤٤٣٨)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٨/ ١٤٦٩) من حديث سفينة رضي الله عنه.

(٣) رواه يعقوب الفسوي في «مشيخته» (٤٧) عن سفينة. ورواه أبو داود (٤٦٤٧)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٧/ ٨٤) (٦٤٤٤) عن سفينة بلفظ: «خلافةُ النُّبوَّة ثلاثونَ سنة».

وعن الثَّاني: بأنَّه ليسَ في كلامِه ما يدلُّ على الحَصْرِ، فلا يدلُّ على انتفاءِ غيره، ولا يضرُّه وجودُ غيرِه، هذا إنْ كانَ المرادُ كلَّ والٍ، ويُحتمَل أنْ يكونَ المرادُ مستَحِقِّي الخلافةِ العادِلين، وقد مضَى منهم من عُلِمَ، ولا بدَّ من تمامِ هذا العدَدِ قبلَ قيام السَّاعةِ.

وقـال القرطبيُّ رحمه الله: هذا إخبارٌ عن الولاياتِ الواقعَةِ بعدَه وبعدَ أصحابِه رضي الله عنهم، وكأنَّه أشارَ بذلك إلى مدَّةِ ولايةِ بني أميَّةَ، وأوَّلُهم يزيدُ بنُ معاويةَ، ثمَّ ابنُه معاويةُ بنُ يزيدَ، ـ ولم يذكرْ ابنَ الزُّبَير؛ لأنَّه صحابيٌّ، ولا مروان؛ لأنَّه غاصبٌ لابنِ الزُّبير ـ ثمَّ عبدُ الملكِ، ثمَّ الوليدُ، ثمَّ سليمانُ، ثمَّ عمرُ بنُ عبد العزيز، ثمَّ هشامُ بنُ عبد الملك، ثمَّ يزيدُ بنُ عبد الملكِ، ثمَّ الوليدُ بنُ يزيدَ، ثمَّ يزيدُ بنُ الوليد، ثمَّ إبراهيمُ بن الوليدِ، ثمَّ مروانُ بن محمَّدٍ، فهؤلاء اثنا عشرَ، ثمَّ خرجَتِ الخلافةُ منهم إلى بني العبَّاسِ(١).

١٦٢٣ ـ (م): ابنُ عُمرَ رضي الله عنهما: «يكونُ كنزُ أحدِكُم يومَ القيامَةِ شُجَاعًا أقرَعَ». [م: ٩٨٨](٢)

* **المرادُ بالكنزِ:** مالٌ لم يؤدَّ زكاتَه، وقد جاءَ في الحديثِ مصرَّحًا: «كلُّ مالٍ لا يُؤدَّى زكاتُه فهو كنزٌ»(٣).

---

(١) انظر: «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» للقرطبي (٤/ ٨، ٩).

(٢) قلت: رواه عن جابرٍ، لا عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) رواه ابن عدي في «الكامل» (٤/ ٤٩٣)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٨٢٧٩)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٨/ ١٣) من حديث ابن عمر رضي الله عنه.

ورواه البيهقي في «السنن الكبرى» (٨/ ١٢) (٧٣١٠) عن ابن عمر موقوفًا. وقال: الصحيح =

والشُّجاعُ: الحيَّةُ[1].

والأقرعُ: الذي لا شعرَ له، والمرادُ: حيَّةٌ قد تمعَّطَ جلدُ رأسِه وتقشَّرَ؛ لكثرةِ سمِّه، وطولِ عمرِه[2].

١٦٢٤ ـ (م): جابرٌ رضي الله عنه: «يكُونُ في أُمَّتِي خليفَةٌ يَحْثِي المالَ حثيًا، لا يعدُّهُ عدًّا». [م: ٢٩١٣]

* (يَحْثِي المالَ حثيًا) أي: يحفنُه[3]، وفي روايةٍ: «يحثو»[4] والمصدرُ على خلافِ لفظِ الفعلِ، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا﴾ [نوح: ١٧]، ولم يذكرْ في «المشارق»: «في آخرِ أمَّتي» وذُكِرَ في بعض الرِّوايات: «في آخرِ أمَّتي»[5].

فعلى الرِّوايةِ الأولى: قيل: هذا الخليفةُ هو عمرُ بنُ الخطَّابِ رضي الله عنه؛ لأنَّه كثرَ عليه المالُ والعطاءُ لمَّا جاءته كنوزُ كسرى.

وعلى الرِّوايةِ الثَّانيةِ: لا يكونُ هو؛ لأنَّه لم يكُنْ في آخرِ الأمَّةِ؛ حتَّى قالَ

= موقوف. والموقوف رواه الشافعي في «مسنده» (ص٨٧)، وعبد الرزاق في «مصنفه» (٤/ ١٠٧) (٧١٤١)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢/ ٤١١) (١٠٥١٩)، والطبري في «تفسيره» (١٤/ ٢١٨) (١٦٦٥١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٧٨٨) (١٠٠٨١).

(١) انظر: «مقاييس اللغة» لابن فارس (٣/ ٢٤٨).

(٢) انظر: «مختار الصحاح» للرازي اللغوي (ص: ٢٥١).

(٣) في (ن): «يحفه».

(٤) رواه مسلم (٢٩١٤)، وأحمد في «مسنده» (١٤٤٠٦).

(٥) وهي عند مسلم.

الجريريُّ: قلتُ لأبي نضْرةَ وأبي العلاء: أترِيان أنّه عمرُ بنُ عبدِ العزيز؟ قالا: لا[١]؛ لأنَّه عليه السَّلام قال: «في آخرِ أمَّتي».

وذكرَ بعضُ الشَّارحِين: أنَّ الترمذيَّ وأبا داود رويا أحاديثَ صحيحةً في هذا الخليفةِ، وسمَّياه بالمهدي[٢]، دلَّتْ تلك الأحاديثُ على خروجِ هذا الخليفةِ الصَّالحِ في آخرِ الزَّمانِ، وهو يُنتظرُ؛ إذ لم يُسمَعْ من الخلفاءِ بمن كمُلَتْ فيه جميعُ تلك الأوصافِ التي تضمَّنتْها تلك الأخبارُ[٣]، والله أعلمُ بوقتِ خروجِهِ.

١٦٢٥ـ (ق): عبدُ اللهِ بنُ سلَامٍ رضي الله عنه: «يموتُ عبدُ اللهِ بنُ سلَامٍ وهو آخذٌ بالعُروةِ الوثْقَى». [خ: ٦٦٠٨] [م: ٢٤٨٤]

* وقد تقدَّم عليه الكلامُ في آخر البابِ السابعِ في قوله عليه السَّلام[٤]: «أمَّا الطَّرقُ».

١٦٢٦ـ (م): أبو هُريرةَ رضي الله عنه: «يُنَادي مُنادٍ: إنَّ لكم أنْ تصحُّوا فلَا تسقَمُوا أبدًا، وإنَّ لكُم أنْ تحيَوا فلا تمُوتُوا أبدًا، وإنَّ لكُم أنْ تشبُّوا فلا تهرَمُوا أبدًا، وإنَّ لكُم أنْ تنعَمُوا فلَا تبأَسُوا أبدًا، فذلكَ قولُهُ تعالى: ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣]». [م: ٢٨٣٧]

(١) وهذه ضمن رواية مسلم.

(٢) منها ما رواه أبو داود (٤٢٨٢)، والترمذي (٢٢٣٠) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي». قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(٣) انظر: «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» للقرطبي (٧/ ٢٥٢ ـ ٢٥٤).

(٤) تقدم برقم: (١٢٩٨).

* (**إنَّ لكُم**) بكسرِ الهمزَةِ؛ لأنَّها وقعَتْ بعدَ ما هو في معنى القولِ، وهو المناداةُ، وخطابُ (لكُم) لأهلِ الجنَّة، ونُصِبَ (**أبدًا**) على الظَّرفِ.

وقوله: (**أنْ تَنعَمُوا**) بفتحِ الأوَّل؛ أي: يدومَ لكم النَّعيمُ.

وقوله: (**فلا تبتئسُوا**) أي: لا يصيبُكم بأسٌ، وهو شدَّةُ الحالِ.

وقوله تعالى: (﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ﴾ [الأعراف: ٤٣]): ﴿أَن﴾: مخفَّفةٌ من الثَّقيلةِ، وضميرُ الشَّأنِ محذوفٌ، وهذه المناداةُ في الجنَّةِ، وقيل: إذا رأوها من بُعْدٍ.

١٦٢٧ـ (ق): حذيفةُ رضي الله عنه: «ينامُ الرَّجلُ النَّومةَ، فتُقبَضُ الأمانَةُ مِن قلبِهِ، فيظَلُّ أثرُهَا مثلَ الوَكْتِ، ثمَّ ينامُ النَّومَةَ، فتقبَضُ الأمانَةُ مِن قلبِهِ، فيظَلُّ أثرُهَا مثلَ المَجْلِ كجَمرٍ دحرجْتَهُ على رِجْلكَ فنَفِطَ، فترَاهُ مُنتَبِرًا ليسَ فيهِ شَيءٌ، فيصبِحُ النَّاسُ يتبايعُونَ لا يكَادُ أحدٌ يؤدِّي الأمانَةَ حتَّى يقالَ: إنَّ في بني فلانٍ رجلًا أمينًا، حتَّى يقالَ للرَّجلِ: مَا أجلدَهُ، مَا أظرفَهُ، مَا أعقلَهُ! ومَا في قلبِهِ مثقَالُ حبَّةٍ مِن خردَلٍ مِن إيمانٍ». [خ: ٦١٣٢] [م: ١٤٣]

* قال: حدَّثَنا رسولُ الله ﷺ حديثين قد رأيتُ أحدَهما، وأنا انتظرُ الآخرَ، حدَّثنا: «**أنَّ الأمانةَ نزلَتْ في جَذرِ قلوبِ الرِّجالِ، ثمَّ نزلَ القرآنُ، فعلِمُوا مِن القرآنِ، وعلِمُوا من السُّنَّةِ**»، ثمَّ حدَّثنا عن رفعِ الأمانةِ، قالَ: «**ينامُ الرجلُ النَّومةَ...**» إلى آخره. قالَ: ولقد أتى عليَّ زمانٌ وما أبالي أيُّكم بايعْتُ، لئن كانَ مسلمًا ليرُدَّنَّه عليَّ دينُه ـ وفي روايةٍ: عليَّ الإسلامُ ـ ولئن كانَ نصرانيًّا أو يهوديًّا فليرُدَّنَّه عليَّ ساعيهِ، وأمَّا اليومَ فما كنتُ أبايعُ إلَّا فلانًا أو فلانًا.

قوله: (حَدِيثَين) يعني: في الأمانَةِ، لا مطلقًا؛ لأنَّ رواياتِ حذيفةَ كثيرةٌ في

«الصَّحيحين» وغيرِهما، وعنى بأحدِ الحديثين قولَه: (**حدَّثنا: أنَّ الأمانةَ نزلَتْ في جَذرِ قلوبِ الرِّجالِ**)، وبالآخَرِ قوله: (**ثمَّ حدَّثنا عن رفعِ الأمانةِ**).

الجَذْرُ: بفتحِ الجيم وكسرِها، وبالذَّال المعجمة، لغتان، وهو الأصلُ(١).

واختُلِفَ في المرادِ بالأمانةِ، فقيل: الظاهرُ أنَّ المرادَ بها التَّكليفُ الذي كَلَّفَ اللهُ به عبادَهُ، والعهدُ الذي أخذَه عليهم، وقيل: هي الدِّينُ والدُّنيا كلُّها أمانةٌ، وقيل: هي ما أُمرُوا به ونُهوا عنه، وقيل: هي الطَّاعةُ والفرائضُ التي يتعلَّقُ بأدائها الثَّوابُ وبتضييعِهَا العقابُ، وقيل: هي عينُ الإيمانِ في الحديثِ، وفي قوله تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ [الأحزاب: ٧٢].

والوَكْتُ: بفتحِ الواو وإسكانِ الكافِ وبالمثنَّاة فوقُ، هو الأثرُ اليسيرُ، وقيل: هو سوادٌ يسيرٌ، وقيل: هو لونٌ مخالفٌ للَّونِ الذي كانَ قبلَه(٢).

و(**المَجْل**) بفتحِ الميمِ وإسكانِ الجيم وفتحِها، لغتان، والإسكانُ أشهرُ، وهو التنفُّطُ الذي يكون(٣) في اليدِ من العملِ بفأسٍ ونحوها، ويصيرُ كالقُبَّةِ فيه ماءٌ قليلٌ(٤).

وقوله: (**فنَفطَ**) بفتح النُّون، ارتفعَ.

وقوله: (**مُنْتَبِرًا**) أي: مرتفعًا، ومنه المنبرُ. وإنَّما قال: (نَفِطَ) ولم يؤنِّثْ وإن كان الرِّجلُ مؤنَّثةً؛ نظرًا إلى لفظ (الرِّجلِ)، أو ذكَّره باعتبارِ معنى العضوِ.

ومعنى الحديث: أنَّ الأمانةَ تزول عن قلوبِ النَّاس بالتَّدريجِ، فإذا زال أوَّلُ شيءٍ منها زالَ نورُها، وخَلَفَتْه ظُلْمةٌ كالوَكْتِ، فإذا زالَ شيءٌ آخرُ صارَ كالمَجْلِ،

---

(١) انظر: «المصباح المنير في غريب الشرح الكبير» للفيومي (١/ ٩٤).

(٢) انظر: «لسان العرب» لابن منظور (٢/ ١٠٨).

(٣) في (ك): «يصير».

(٤) انظر: «لسان العرب» لابن منظور (١١/ ٦١٦).

وهو أثرٌ محكمٌ لا يكادُ يزولُ إلَّا بعدَ مدَّةٍ(١)، وهذه الظُّلْمةُ فوقَ التي قبلَها، ثمَّ شبَّهَ زوالَ ذلك النُّور بعدَ وقوعِه في القلبِ وخروجِه بعدَ استقرارِه، واعتقابِ الظُّلْمَةِ إيَّاه بجمرٍ يُدحرجُه على رجلِه حتى يؤثِّرَ فيها، ثمَّ يزولُ الجمرُ ويبقَى التَّنَفُّطُ، وأخذُ الحصَاةِ ودحرجَتُه إيَّاها أرادَ به زيادَةَ البيانِ وإيضاحَ المذكورِ.

وقولُ حذيفةَ: (**ولقَد أتَى عَليَّ زمانٌ...**) إلى آخره معناه: إنِّي(٢) قبلَ هذا الوقت كنتُ أبايعُ النَّاسَ وأشترِي منهم مسلمًا كان أو غيرَه؛ لعلمي بأنَّ الأمانةَ لم ترتفِعْ، فإنْ كان مسلمًا فأمانتُه تمنعُه من الخيانَةِ، وإنْ كان غيرَه فساعِيه - وهو الوالي عليه - كانَ يقومُ بالأمانةِ في ولايتِهِ، فيستخرِجُ حقِّي منه، وأمَّا اليومَ فقد ذهبَتْ الأمانةُ، فما بقيَ لي وثوقٌ بمن أبايعُه ولا بالسَّاعِي في أدائهِمَا الأمانةَ، فما أبايعُ إلَّا أفرادًا من النَّاسِ أثقُ بهم.

ومِن النَّاسِ مَـن حملَ هذه المبايعةَ على بيعَةِ الخلافَةِ وغيرِها من المُعاقَدةِ والتَّحالفِ في أمور الدِّين، وقوله: (**ولئن كان نصرانيًّا أو يهوديًّا**) يبطلُ ذلك.

وقوله: (**حتَّى يقالَ للرَّجلِ: ما أجلَدَه**) يعني: يبقَى المدحُ فيما بينهم بأمورٍ ليس لها تعلُّقٌ بالإيمانِ والأمانةِ.

١٦٢٨ - (ق): أبُو هُريرةَ رضي الله عنه: «ينزِلُ ربُّنَا كلَّ ليلَةٍ إلى السَّماءِ الدُّنيا حينَ يبقَى ثلُثُ اللَّيلِ الأخِيرُ يقولُ: مَن يدعُونِي فأستجِيبَ لهُ؟ مَن يسألُني فأعطيَهُ؟ مَن يستغفرُنِي فأغفِرَ لهُ؟». [خ: ١٠٩٤] [م: ٧٥٨]

(١) في (ن): «كلمة».

(٢) في (ن): «معناه أني كنت».

* وقد تقدَّم الكلامُ عليه في البابِ الرابعِ في قوله عليه السَّلام[١]: «إذا مضى شطرُ اللَّيلِ».

١٦٢٩ـ (ق): أَبو هُريرةَ رضي الله عنه: «يوشِكُ الفراتُ أنْ يحسِرَ عن كنزٍ مِن ذهَبٍ، فمَن حضرَهُ فلَا يأخُذْ منهُ شيئًا». [خ: ٦٧٠٢] [م: ٢٨٩٤]

* وقد تقدَّم الكلامُ عليه في البابِ الثالثِ في قوله عليه السَّلام[٢]: «لا تقومُ السَّاعةُ حتى يحسرَ الفراتُ عن جبلٍ من ذهبٍ».

وإنَّما نُهِيَ عن الأخذِ لعدمِ الحاجةِ؛ لقربِ قيامِ السَّاعةِ من ذلك الوقتِ، فلا يتقلَّدِ العُهْدةَ بأخذِه من غيرِ أنْ يقدرَ على إنفاقِه.

ويجوزُ أنْ يكونَ النَّهيُ عن الأخذِ ليحترزَ عن الإقدامِ؛ فيسلَمَ من القتلِ، على ما مرَّ في ذلك الحديثِ.

١٦٣٠ـ (م): أَبو هُريرةَ رضي الله عنه: «يوشِكُ إنْ طالَتْ بكَ مدَّةٌ أنْ تَرى قَومًا في أيدِيهِم مثلُ أذنَابِ البقَرِ، يغدُونَ في غضَبِ اللهِ، ويروحُونَ في سخَطِ اللهِ». [م: ٢٨٥٧]

* قد تقدَّم الكلامُ على (أذنابِ البقرِ) في أوَّلِ هذا البابِ في قوله[٣]: «صنفان».
وقد تقدَّم وجهُ إطلاقِ الغضبِ على اللهِ. **والسَّخَطُ**: خلافُ الرِّضا.

---

(١) تقدم برقم: (٨٦٠).

(٢) تقدم برقم: (٦٠١).

(٣) تقدم برقم: (١٥١٣).

١٦٣١ـ (خ): أبُو سعيدٍ رضي الله عنه: «يوشِكُ أنْ يكونَ خيرُ مالِ المسلِمِ غنَمًا يتَّبعُ بهَا شَعَفَ الجبالِ ومواقِعَ القَطرِ، يَفرُّ بدينِهِ مِنَ الفتَنِ». [خ: ١٩]

*(**يوشِكُ**) من أفعالِ المقاربةِ. و(**يتَّبعُ**) بتشديدِ التَّاء.

والشَّعَفُ: بفتح الشِّينِ المعجمةِ والعينِ المهملة، جمعُ: شَعَفةٍ ـ بفتح العَين ـ وهي من كلِّ شيءٍ أعلاهُ[١]، والمرادُ به: رأسُ جبلٍ من الجبالِ.

و(**مواقِعَ القَطرِ**) البراري.

و(**يفرُّ**) حالٌ من الضمير في (يتَّبع)، أو جوابٌ لسؤالٍ مقدَّرٍ، وهو: لِمَ يفعلُ ذلك؟ وإنَّما خصَّ الغنمَ تنبيهًا على التَّواضعِ وتركِ الاستعلاءِ، وقد رعاهَا الأنبياءُ والصَّالحون.

وفي الحديثِ: ندبٌ إلى الاعتزالِ عندَ ظهورِ الفتنِ؛ طلبًا لسلامةِ الدِّينِ، وخشيةَ أنْ يحلَّ بهم عقوبةٌ فتنالَه، وقد اعتزل سلمةُ بنُ الأكوعِ عند قتلِ عثمانَ، وقالَ له الحجَّاجُ: ارتددْتَ على عقبِكَ، قال: «لا، ولكنَّ النَّبيَّ عليه السَّلام أَذِنَ لي في البَدْوِ»[٢].

فإنْ لم يخشَ على دينِهِ أو نفسِهِ فالمخالطةُ أولى؛ لأنَّه يحضرُ الجمعةَ والجماعةَ.

١٦٣٢ـ (ق): أنسٌ رضي الله عنه: «يهرَمُ ابنُ آدمَ، وتَشِبُّ منهُ اثنتَانِ: الحرصُ على المالِ، والحرصُ على العمُرِ». [خ: ٦٠٥٨] [م: ١٠٤٧]

* (**يهرَمُ**) بفتح الرَّاءِ، والهرمُ: كبرُ السِّنِّ، وروايةُ البخاري: «يكبرُ ابنُ آدمَ».

---

(١) انظر: «لسان العرب» لابن منظور (٩/ ١٧٧).

(٢) رواه البخاري (٦٦٧٦)، ومسلم (١٨٦٢).

و(**اثنتانِ**) أي: خصلتان اثنتانِ.

(**الحرصُ**) مرفوعٌ إمَّا بدلٌ[1]، وإمَّا خبرُ مبتدأٍ محذوفٍ. وقد عُرِّفَ بأنَّه لهَبَانُ الشَّهوةِ، والشَّهوةُ نارٌ ذاتُ دُخانٍ، فكلَّما زادَتْ النَّارُ وقُودًا ازدادَتْ قوَّةً وتلهُّبًا.

وسُمِّي (**المال**) مالًا؛ لأنَّه يميلُ بالقلبِ عن اللهِ.

و(**العمُرِ**) مدَّةُ عِمارةِ البدنِ بالحياةِ. وذَكَرَ المالَ[2] لأنَّ الشهواتِ إنَّما تُنالُ به، وذَكَر العمرَ لأنَّ بدوامِه تدومُ الشَّهواتُ.

ومعناه: إذا ضعُفَ العمرُ بقلَّتِه قَوِيَ شهوةُ المالِ والحياةِ؛ لأنَّ الإنسانَ مجبولٌ على حُبِّ الشَّهواتِ، قالَ اللهُ تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ [آل عمران: ١٤]، والشَّهوةُ إنَّما تُنالُ بالمالِ، فكلَّما تصوَّرَ قربَ الأجلِ زادَ حرصُه فيما زُيِّنَ له.

١٦٣٣ـ (ق): أبو هُريرةَ رضي الله عنه: «يُهلِكُ النَّاسَ هذَا الحيُّ مِن قريشٍ، قالوا: فمَا تأمُرُنا؟ قال: لو أنَّ النَّاسَ اعتزلُوهُم». [خ: ٣٤٠٩] [م: ٢٩١٧]

قال أبو هُريرةَ: لو شئتَ أن أُسمِّيهم بني فُلانٍ، وبَني فُلانٍ.

* خرَّجَ البخاريُّ عن عَمروِ بنِ يحيى بن سعيدٍ، قالَ: أخبرني جدِّي، قالَ: كنتُ جالسًا معَ أبي هريرةَ في مسجدِ النَّبيِّ ﷺ بالمدينةِ ومعنا مروانُ، قالَ أبو هريرةَ: سمعْتُ الصَّادقَ المصدوقَ يقول: «**هلَكَةُ أمَّتي على يَدَيْ غِلْمَةٍ مِن قُرَيشٍ**»، فقال مروانُ: لعنةُ الله عليهم غِلْمَةٌ، فقال أبو هريرةَ: لو شئتُ أنْ أقولَ: بني فلانٍ وبني فلانٍ

---

(١) في (ك): «بدلاً».

(٢) في (ن) زيادة: «والحياة».

لفعلتُ، فكنتُ أخرجُ مع جدِّي إلى بني مروانَ حين ملكُوا الشَّامَ فإذا رآهُم غلمانًا أحداثًا قال لنا: عسى أنْ يكونَ هؤلاءِ منهم، قلنا: أنت أعلمُ[١].

(الحيُّ) القبيلةُ، والمرادُ: بعضٌ، وهم الغِلْمةُ.

والمرادُ بـ**(النَّاس)** من كان في زمنِ ولايتهم، وإنَّما وقع هلاكُ الناس في زمنِ ولايتِهم؛ لأنَّهم كانوا صغارَ السِّنِّ، ولم يقعْ لهم تجربةٌ في الأمورِ، ولم يتمكَّنُوا في أمورِ الدِّين تمكُّنًا، لَعِبَ بعقولهم الشَّيطانُ، فتصرَّفوا بآرائهم النَّاقصَة وحِدَّةِ الشَّبابِ، فوقعَ الهلاكُ، فكأنَّهم ـ والله أعلم ـ يزيدُ بنُ معاويةَ وعُبيدُ اللهِ بنُ زيادٍ، ومَن نزلَ مَنْزِلَتَهم مِن ملوكِ بني أميَّةَ، فقَد صدرَ منهم ما صدرَ من قتلِ أهلِ بيتِ رسولِ الله ﷺ، وقتلِ خيارِ المهاجِرين بالمدينةِ وبمكَّةَ وغيرهما، وليس بخافٍ[٢] ما فعله الحجَّاجُ وسليمانُ بنُ عبد الملك وولدُه من سفكِ الدِّماء بالحجازِ والعراقِ وغيرِهما، وإتلافِ الأموالِ.

وقوله: **(لو أنَّ النَّاسَ اعتزلُوهُم)** جازَ أنْ تكونَ (لو) للتَّمنِّي، وجازَ أنْ يكونَ جوابُه محذوفًا، وتقديرُه: لكانَ خيرًا.

وقوله: **(لو شئتَ أنْ أُسمِّيهم)** جوابُه محذوفٌ؛ أي: لسمَّيتُهم.

و**(بَني فُلانٍ)** بدلٌ من الضَّميرِ المنصوبِ.

١٦٣٤ ـ (ق): ابنُ عُمرَ رضي الله عنهما: «يُهِلُّ أهلُ المدينةِ مِن ذِي الحُلَيفَةِ، ويُهِلُّ أهلُ الشَّامِ منَ الجُحفَةِ، ويُهِلُّ أهلُ نجدٍ مِن قَرنٍ». [خ: ١٣٣] [م: ١١٨٢]

---

(١) رواه البخاري (٦٦٤٩).

(٢) في (ن): «يخف».

* **الإهلالُ**: رفعُ الصَّوتِ بالتَّلبيةِ(١).

و(**الحُلَيفَة**) بضمِّ الحاءِ المهملةِ، تصغيرُ حلَفَةٍ ـ بفتح اللَّامِ، وقد تُكسَرُ ـ وهي واحدةُ الحلفَاءِ: نبتٌ في الماءِ، ثمَّ وُضِعَ لماءٍ من مياهِ بني جُشْمٍ على فرسَخَين من المدينةِ(٢).

و(**الجُحفَة**) موضعٌ بين مكَّةَ والمدينة من الجانبِ الشاميِّ يحاذِي ذا الحُلَيفةِ، وكان اسمُه مَهْيَعَةَ، فأجحَفَ السَّيلُ أهلَه ـ أي: ذهبَ به ـ فسُمِّي جُحْفَةً(٣).

و(**قَرْنٍ**) بفتحِ القافِ وسكونِ الراءِ: موضِعٌ على نحو مرحلتين من مكَّةَ(٤).

عيَّنَ النَّبيُّ عليه السَّلام هذه المواقيتَ لأهلِها ولمن مرَّ عليها، ولا يجوزُ للآفاقِيِّ أنْ يتجاوَزَها إلَّا مُحْرِمًا بحجَّةٍ(٥) أو عُمْرةٍ، ولو جاوزها بغيرِ إحرامٍ ثمَّ أحرمَ صحَّ ما أحرمَ، وعليه دمٌ.

---

(١) انظر: «لسان العرب» لابن منظور (١١/ ٧٠١).

(٢) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزآبادي (ص٨٠١، ٨٠٢).

(٣) انظر: «لسان العرب» لابن منظور (٩/ ٢١).

(٤) انظر: «تحرير ألفاظ التنبيه» للنووي (ص: ١٣٨).

(٥) في (ك): «لحجة».

فصلٌ
فيما لم يسمَّ فاعلُه

لمَّا فرغَ من ذكرِ الفعلِ المضارعِ المبني للفاعلِ ذكرَ منه ما لم يسمَّ فاعلُه.

١٦٣٥ـ (ق): ابنُ عُمرَ رضي الله عنهما: «أُرَاني في المنامِ أتسوَّكُ بسوَاكٍ، فجاءَنِي رجلَانِ أحدهُمَا أكبرُ منَ الآخرِ، فناولتُهُ الأصغرَ منهمَا، فقيلَ لي: كبِّرْ، فدفَعْتُهُ إلى الأكبرِ منهمَا» [خ: ٢٤٣] [م: ٢٢٧١]

*قوله: (كبِّرْ) أي: ادفعْه إلى الأكبرِ، قيل: واللَّامُ في (الأكبرِ) زائدةٌ خاليةٌ عن إفادَةِ التَّعريفِ، كما في قولهم: أرسَلَها العَراكَ؛ أي: مُعْتَرِكَةً[١]، أو أنَّه بمعنى: الكبيرِ؛ إذ لا يجوزُ أنْ يقالَ: زيدٌ الأفضلُ من عَمرٍو.

وأقولُ: يجوز أنْ يكونَ من بابِ قولِ الأعشَى[٢]:

ولسْتَ بالأكثَرِ مِنهُم حَصًى

ولو كانَ مِن التَّفضيلِ[٣] كانَ الدَّفعُ إلى غيرِهما، وليس كذلك.

قيل: السِّواكُ في المنامِ: تطهيرُ الفمِ من الغيبةِ والسَّبِّ والشَّتيمةِ ونحوها، وكونُه عليه السَّلام ناوَله لغيرِه هو الذي كان يأمرُ به أصحابَه ويحثُّهم عليه مِن تركِ فُحْشِ الكلامِ.

---

(١) انظر: «لسان العرب» لابن منظور (١٠/ ٤٦٥).

(٢) البيت للأعشى. انظر: «ديوانه» (ص: ١٠٤). وعجزه:

وإنَّما العِزَّةُ للكَاثِرِ

(٣) في (ك): «للتفضيل».

١٦٣٦ـ (ق): ابنُ عُمر رضي الله عنهما: «أَرَاني ليلةً عندَ الكعبةِ، فرأيتُ رجلًا: آدمَ كأحسَنِ مَا أنتَ راءٍ مِن أُدْمِ الرِّجالِ، له لِمَّةٌ كأحسَنِ ما أنتَ راءٍ منَ اللِّممِ، قد رجَّلَها فهيَ تقطرُ ماءً متَّكئًا على رجلينِ، أو على عواتِقِ رجلينِ يطوفُ بالبيتِ، فسألتُ مَن هذَا؟ فقيلَ: هذَا المسيحُ ابنُ مريَمَ، ثمَّ إذا أنا برجُلٍ جَعْدٍ قَطَطٍ أعوَرِ العينِ اليُمنى كأنَّها عِنبةٌ طافِيَةٌ، فسألتُ مَن هذَا؟ فقيلَ: هذَا المسيحُ الدَّجَّال». [خ: ٥٥٦٢] [م: ١٦٩]

* قيل: (أَرَاني) بفتحِ الهمزة، وهو منافٍ لما نحن فيه؛ لأنَّه لم يكنْ ممَّا لم يُسمَّ فاعلُه.

والأُدْمَةُ: هي السُّمرةُ الشَّديدةُ(١).

واللِّمَّةُ ـ بكسر اللَّام ـ: الشَّعرُ يجاوزُ شحمَةَ الأُذُنِ، فإذا بلغَتِ المنكبَين فهي «الجِمَّةُ»، واللِّمَمُ: جمعُها(٢).

وتَرجِيلُ الشَّعرِ: تسريحُه بمُشْطٍ مع ماءٍ أو غيره(٣).

وقوله: (**فهيَ تقطرُ ماءً**) قيل: يجوز أنْ يكونَ على ظاهرِه؛ أي: يقطرُ الماءُ الذي رجَّلَها به لقُرْبِ تَرجِيلِه، ويجوزُ أنْ يكونَ مجازًا عن نضارَتِه وطَراوَتِه.

والعَواتِقُ: جمعُ عاتقٍ، وهو ما بينَ المنكبِ إلى العنقِ(٤).

وأمَّا طوافُ عيسى عليه السَّلام فقد قال القاضيُ: إنْ كانت هذه الرُّؤيا رؤيةَ

---

(١) انظر: «لسان العرب» لابن منظور (١٢/ ١١).

(٢) انظر: «الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية» للجوهري (٥/ ٢٠٣٢).

(٣) انظر: «شرح النووي على مسلم» (٢/ ٢٣٣).

(٤) انظر: «مشارق الأنوار على صحاح الآثار» للقاضي عياض (٢/ ٦٦).

عينٍ فعيسى حيٌّ لا محالةَ، فلا امتناعَ في طوافِه حقيقةً، وإنْ كانت منامًا ـ كما صرَّح به في بعض الرِّوايات ـ فهو يحتملُ الحقيقةَ ويحتملُ الرُّؤيا(١)، وعلى هذا يُحمَل ما ذُكر من طوافِ الدَّجَّالِ؛ فإنَّ ذلك رؤيا؛ إذ وردَ في «الصَّحيح» أنَّه لا يدخل مكَّةَ ولا المدينة(٢). وقيل(٣): إنَّ امتناعَ دخولِه فيهما إنَّما هو في زمنِ فتنتِه(٤).

واختلفُوا في سببِ تسميةِ عيسى بالمسيحِ، فقيل: إنَّه معرَّبٌ وكانَ بالعَبرانيَّة: مشيحا(٥)، كما قالوا في موشى أو ميشا ـ بالشِّينِ المعجمةِ ـ: موسى ـ بالمهملة(٦) ـ وعلى هذا لا اشتقاقَ له.

وقيل: إنَّما سُمِّي به؛ لأنَّه ما مسحَ ذا عاهةٍ إلا بَرِئ، وهو مرويٌّ عن ابن عباسٍ(٧).

وقيل: المسيحُ: الصِّدِّيقُ، وقيل: لأنَّه ممسُوحُ أسفلِ القدَمين لا أخمصَ له. وقيل: لمسحِ زكريَّا إيَّاه، وغيرُ ذلك. وهو بفتحِ الميم وكسرِ السِّين المهملة.

وأمَّا (**الدَّجَّال**) فسُمِّي به؛ لأنَّه ممسُوحُ العين. وقيل: لأنَّه أعورُ، والأعورُ يُسمَّى: مَسِيحًا(٨).

---

(١) انظر: «إكمال المعلم بفوائد مسلم» للقاضي عياض (١/ ٥٢٢).

(٢) رواه البخاري (١٨٨١)، ومسلم (٢٩٤٣) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) انظر: «شرح النووي على مسلم» (٢/ ٢٣٤).

(٤) في (ن) و(ص) و(ب): «فتنة».

(٥) في (ص) و(ك) و(ب): «مشيخا». ووقعت كذلك في بعض المصادر وضبطها الشوكاني فقال: بمعجمتين. انظر: «فتح القدير» للكمال ابن الهمام (١/ ٣٩١).

(٦) انظر: «تفسير الطبري» (٩/ ٤١٧)، و«العين» للخليل الفراهيدي (٣/ ١٥٦).

(٧) انظر: «الأضداد» لابن الأنباري (ص: ٣٦١).

(٨) انظر: «شرح النووي على مسلم» (٢/ ٢٣٤).

واختلفُوا في صيغتِه، فقيل: هي مسيحٌ كما لعيسَى من غيرِ تفرقةٍ في الحروفِ أو الحركاتِ، فعيسى مسيحُ هدًى، وذاك مسيحُ ضلالةٍ[١].

وقيل: هو بكسرِ الميمِ وتشديدِ السِّين[٢]. وقيل: بكسرِ الميم وتشديدِ السِّين المهملة والخاء المعجمة. وقيل: هو بكسرِ الميم وتخفيفِ السِّين[٣].

والقَطَطُ ـ بفتح القافِ والطاء ـ: شديدُ الجعودةِ، وهي ضِدُّ السَّبْطِ[٤].

وقوله: **(أعوَرِ العينِ اليُمنى كأنَّها عِنبَةٌ طافِيَةٌ)** رُوي بالهمزِ وبغيرِها، ومعناه على الأوَّل: ذهبَ ضوؤُها، وعلى الثاني: ناتئةٌ بارِزةٌ.

ثمَّ إنَّه جاءَ ههنا: **(أعوَرِ العَينِ اليُمنَى)** وجاءَ في روايةٍ أخرى: «**أعورِ العينِ اليُسرى**»[٥]، وكلتاهما في «صحيح مسلم» وهذا ـ كما ترى ـ محتاجٌ إلى التوفيقِ في موضعين:

فالأوَّل: لأنَّه جاءَ في الحديثِ أنَّه ممسوحُ العينِ، وأنَّها ليسَتْ ناتئةً وأنَّها مطمُوسةٌ، وهذا حالُ حبَّةِ العنبِ إذا سالَ ماؤها، وهذا يُصحِّحُ روايةَ الهمزةِ، وجاءَ فيه: «لها حدَقةٌ جاحِظةٌ كأنَّها نخاعَةٌ في حائطٍ»[٦] فيصحِّحُ روايةَ تركِ الهمزةِ.

والثاني: لأنَّه وصَفَ كلَّ واحدٍ من العَينَين بالعَورِ، وليس كذلك.

والتوفيقُ في الأوَّلِ: أنْ تكونَ المطمُوسةُ والممسُوحةُ والتي ليسَتْ بناتئةٍ هي

---

(١) انظر: «إكمال المعلم بفوائد مسلم» للقاضي عياض (١/ ٥٢٠).

(٢) انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (٤/ ٢٠٢).

(٣) انظر: «إكمال المعلم بفوائد مسلم» للقاضي عياض (١/ ٥٢٠).

(٤) انظر: «غريب الحديث» لأبي عبيد (٣/ ٢٧).

(٥) رواه مسلم (٢٩٣٤) من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه.

(٦) رواه أبو يعلى في «المسند» (٢/ ٣٥٩).

العوراءُ الطَّافئةُ ـ بالهمزة ـ وهي العينُ اليمنى، ويكونَ الجاحظُ والتي كأنَّها نخاعةٌ هي الطَّافيةُ ـ بغير همزٍ ـ العينَ الأخرى.

وفي الثاني: أنَّه سمَّى كلَّ واحدٍ من اليمنى واليسرى (أعور)؛ لأنَّ العَوَرَ يرادُ به: العيبُ، والأعورُ من كلِّ شيءٍ: المعيبُ، لا سيَّما ما يختصُّ بالعينِ، وكلتا عينَي الدَّجَّالِ مَعِيبةٌ، فإحداهُما بذهابِها، والأُخرى بعيبِها.

١٦٣٧ ـ (م): المقدادُ رضي الله عنه: «تُدْنَى الشَّمسُ يومَ القيامَةِ منَ الخلقِ حتَّى تكونَ منهُم كمقدار ميلٍ، فيكونُ النَّاسُ على قدَرِ أعمالِهِم في العرَقِ، فمنهُم مَن يكونُ إلى كعبَيهِ، ومنهُم مَن يكونُ إلى ركبتَيهِ، ومنهم مَن يكونُ إلى حِقوَيهِ، ومنهم مَن يُلجِمُهُ العرَقُ إلجامًا». [م: ٢٨٦٤]

* وقد تقدَّم الكلامُ عليه في هذا البابِ قريبًا في قوله عليه السلام(١): «يعرقُ النَّاسُ يومَ القيامةِ».

١٦٣٨ ـ (م): حذيفةُ رضي الله عنه: «تُعرَضُ الفتَنُ على القلوبِ كالحصِيرِ عُودًا عُودًا، فأيُّ قلبٍ أُشرِبَها نُكِتَ فيهِ نُكتةٌ سوداءُ، وأيُّ قلبٍ أنكرَها نُكِتَ فيه نُكتةٌ بيضاءُ، حتَّى تصيرَ على قلبينِ: أبيضُ مثلُ الصَّفا، فلا تضرُّهُ فتنةٌ ما دامتِ السَّمواتُ والأرضُ. والآخرُ: أسودُ مُرْبَدٌّ كالكُوزِ مُجَخِّيًا، لَا يعرِفُ معرُوفًا، ولا ينكِرُ مُنكرًا، إلَّا ما أُشْرِبَ مِن هَواهُ».

الحديثُ متَّفقٌ عليه والسِّياقُ لمسلمٍ. [خ: ٥٠٢] [م: ١٤٤]

---

(١) تقدم برقم: (١٦١١).

* قال: كنَّا عند عمرَ رضي الله عنه فقال: أيُّكم سمعَ رسولَ الله ﷺ يذكرُ الفتنَ؟ فقال قومٌ: نحن سمعناهُ، فقال: لعلَّكُم تعنُونَ فتنةَ الرَّجلِ في أهلِه وجارِه؟ فقالوا: أجلْ، قال: تلك تكفِّرُها الصَّلاةُ والصِّيامُ والصَّدقةُ، ولكنْ أيُّكم سمعَ النبيَّ عليه السَّلام يذكرُ التي تموجُ كمَوجِ البحرِ؟ قال حذيفةُ: فأَسْكتَ القومُ، فقلتُ: أنا، قال: أنتَ للهِ أبوكَ، قال حذيفةُ: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «تُعرَضُ الفتنُ على القُلوبِ كالحصيرِ عُودًا عُودًا، فأيُّ قَلبٍ أُشْربَها نُكِتَتْ فيه نكتةٌ سوداءُ، وأيُّ قلبٍ أنكرَها نُكِتَتْ فيه نُكْتةٌ بيضاءُ حتى يصيرَ على قلبَين: أبيضُ مثلُ الصَّفا، فلا تضرُّه فتنةٌ ما دامَتْ السَّماواتُ والأرضُ، والآخرُ أسودُ مُرْبَدٌّ كالكُوزِ مُجَخِّيًا، لا يعرفُ معروفًا ولا ينكِرُ مُنكرًا إلَّا ما أُشْرِبَ مِن هواهُ».

قال حذيفةُ: وحدَّثْتُه أنَّ بينَك وبينها بابًا مغلقًا يوشكُ أنْ يُكسرَ، قال عمرُ: أكسرًا لا أبا لك؟ فلو أنَّه فُتِحَ لعلَّه كان يعادُ؟ قال: بل يُكسَرُ. وحدَّثتُه أنَّ ذلك البابَ رجلٌ يُقتَلُ أو يموتُ، حديثًا ليسَ بالأغاليطِ. هذا لفظُ مسلمٍ.

الفتنةُ في كلامِ العربِ: الابتلاءُ والامتحانُ والاختبارُ، ثمَّ صارَتْ في العُرف لكلِّ أمرٍ كشفَه الاختبارُ عن سوءٍ.

وفتنةُ الرجلِ من أهلِه وولدِه ضُرُوبٌ مِن فَرْطِ محبَّتِه لهم وشُحِّه عليهم وشُغْلِه بهم عن الخيرِ، كما قالَ الله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ﴾ [التغابن: ١٥]، أو لتفريطِه فيما يلزمُ من القيامِ بحقُوقِهم وتأدِيبِهم وتعليمِهم؛ فإنَّه راعٍ لهم ومسؤولٌ عنهم، وكذلك فتنتُه في جارِه مِن هذا.

فهذه كلُّها فتنٌ تقتضِي المحاسبةَ، ويحصلُ منها ذنوبٌ يُرجَى تكفيرُها بالحسناتِ، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود: ١١٤].

وقوله: (**تموجُ كما يموجُ البحرُ**) أي: تضطربُ ويدفعُ بعضُها بعضًا، وشبَّهَها بالبحرِ؛ لعِظَمِها وكثرَتِها.

وقولـه: (**فأَسْكتَ القـومُ**) بقطـعِ الهمـزةِ، قـال جمهـورُ أهـلِ اللغةِ: «سـكتَ وأسـكتَ»، لغتـان بمعنى: صمتَ[1]، وقال الأصمعيُّ: سـكتَ: صمتَ، وأسـكتَ: أطرقَ[2].

وإنَّما سكت القومُ؛ لأنَّهم ما كانوا يحفظون هذا النوعَ من الفتنةِ، وإنَّما حفظُوا النوعَ الأوَّل.

وقوله: (**للهِ أبوك**) كلمةُ مَدْحٍ يعتادُ العربُ الثناءَ بها، فإذا وُجِدَ من الولدِ ما يُحمَدُ عليه قيل: للهِ أبوكَ حيث أتى بمثلِك.

وقوله: (**عُودًا عُودًا**) اختُلِفَ في ضبطِهَما، فقيل: بفتحِ العينِ المهملةِ والذَّال المعجمَةِ، وقيل: بضمِّ العين والدَّالِ المهملَةِ[3]، وقيل: بفتحِ العين والدَّالِ المهملةِ[4].

ومعنى الأوَّل: طَلَبُ الإعاذة؛ كما يقال: غُفرًا غُفرًا وغُفْرانَك؛ أي: نسألُكَ أنْ تُعيذَنا مِن ذلك، وأنْ تغفرَ لنا.

ومعنى الثاني: أنَّ الفتنَ تَتوالى واحدةً بعدَ واحدةٍ؛ كنسجِ الحصيرِ عُودًا بإزاءِ عُودٍ.

---

(١) انظر: «المعلم بفوائد مسلم» للمازري (١/ ٣٢٠).

(٢) انظر: «شرح النووي على مسلم» (٢/ ١٧١).

(٣) نقل ابن قرقول الأول عن الصدفي، والثاني عن أبي بحر. انظر: «مطالع الأنوار على صحاح الآثار» لابن قرقول (٥/ ٥٧).

(٤) نقله النووي عن أبي الحسين بن سراج. انظر: «شرح النووي على مسلم» (٢/ ١٧١).

ومعنى الثالثِ قريبٌ مِن هذا؛ يعني: أنَّ الفتنةَ كلَّما مضَتْ عادَتْ؛ كما يفعلُ ناسجُ[١] الحَصيرِ، كلَّما فرغَ من موضعِ عُودٍ عادَ إلى مثلِه.

قيل: والمعنى الثاني أليقُ بالتَّشبيهِ.

وقوله: (**فأيُّ قلبٍ أُشرِبَها**) أي: دخلَتْ فيه دخولًا تامًّا، وحلَّتْ منه محلَّ الشَّرابِ؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ﴾ [البقرة: ٩٣]؛ أي: حبَّ العجلِ.

وقوله: (**نُكِتَ[٢] فيهِ نُكتةٌ سودَاءُ**) أي: نقطةٌ، قال ابنُ دُرَيْدٍ: كلُّ نقطَةٍ في شيءٍ يخالفُ لونَه فهو نكتٌ[٣].

ومعنى (**أنكرَهَا**): ردَّها.

وقوله: (**أبيضُ مثلُ الصَّفَا**) أي: قلبٌ أبيضُ، حُذِف الموصوفُ للعلمِ به، وليس تشبيهُه بالصَّفا من حيثُ البياضُ، بل من جهةِ صلابتِه على عقدِ الإيمانِ، وسلامتِه مِن الخَللِ؛ إذ لم تلصَقْ به الفتنُ، ولم تؤثِّرْ فيه كالصَّفا، وهو الحجَرُ الأملسُ الذي لا يتعلَّقُ به شيءٌ، بخلافِ القلبِ الآخرِ الذي شبَّهه بالكُوزِ الخاوِي؛ لأنَّه فارغٌ من الإيمانِ والأمانةِ.

و(**المُرْبَدُّ**) بضمِّ الميم وفتحِ الباء وتشديدِ الدَّال، من الرُّبْدَةِ، وهي لونُ الرَّمادِ[٤]، ومنهم مَن رواه: «مُرْبادًّا»[٥] مُفْعَالٌّ مِن «اربادَّ»، مثل: «مُصْفَارٍّ» من اصفَارَّ[٦].

وقوله: (**كالكُوزِ مُجَخِّيًا**) هو بضمِّ الميم، ثمَّ جيمٍ مفتوحةٍ، ثمَّ خاءٍ معجمةٍ

---

(١) في (ن) و(م): «نسج».

(٢) في (ك): «نكتت».

(٣) انظر: «جمهرة اللغة» لابن دريد (١/ ٤٠٩).

(٤) انظر: «الغريبين في القرآن والحديث» لأبي عبيد الهروي (٣/ ٧٠١).

(٥) رواه مسلم (١٤٤) من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه.

(٦) انظر: «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» لأبي العباس القرطبي (١/ ٣٥٩).

مكسورةٍ، ومعناه: مائلًا[١]، وفسَّرَه الرَّاوي في الكتاب بقوله: «منكُوسًا» وهو قريبٌ من معنى المائل.

وقيل: قوله: (كالكُوزِ مُجَخِّيًا) ليسَ تشبيهًا لما تقدَّمَ مِن سوَادِه، بل هو وصْفٌ آخرُ من أوصافِه بأنَّه قلبٌ مُنْتكِسٌ حتَّى لا يعلَقُ به خيرٌ ولا حكمَةٌ.

وقوله: (لَا يَعرِفُ معرُوفًا ولا ينكِرُ مُنكرًا) قيل: معناه: أنَّ الرَّجلَ إذا اتَّبعَ هواهُ وارتكبَ المعاصِي دخلَ قلبَه بكلِّ معصيةٍ يتعاطاها ظُلْمَةٌ، وإذا صارَ كذلك افتُتِن وزالَ عنه نورُ الإسلامِ، والقلبُ مثلُ الكوزِ، فإذا انكبَّ انصبَّ ما فيه، ولم يدخلْهُ شيءٌ بعدَ ذلك[٢].

وقوله: (إنَّ بينَك وبينَها بابًا مُغْلَقًا) معناه: أنَّ تلكَ الفتنَ لا يخرجُ منها شيءٌ في حياتِكَ.

وقوله: (أكَسْرًا) يعني: أَيُكسَرُ كسرًا؛ فإنَّ المكسُورَ يتعذَّر إعادتُه، بخلافِ المفتوحِ؛ ولأنَّ الكسرَ لا يقعُ غالبًا إلَّا عن إكراهٍ[٣].

وقوله: (لا أبا لكَ) كلمةٌ يذكرُها العربُ للحثِّ على فعلِ الشيءِ، ومعناه: أنَّ الإنسانَ إذا كان له أبٌ وحَزَبَه أمرٌ، أو وقعَ في شدَّةٍ، عاونَه أبوه ورفعَ عنه بعضَ الكَلِّ، فلا يحتاجُ إلى الجدِّ والاهتمامِ مثلَ ما يحتاجُ إلى ذلك حالةَ الانفرادِ وعدمِ الأبِ المعاونِ، فإذا قيل: (لا أبا لك) فمعناه: جِدَّ في هذا الأمرِ وشمِّرْ وتأهَّبْ تأهُّبَ مَن ليسَ له معاونٌ[٤].

وقوله: (وحدَّثْتُه أنَّ ذلكَ البابَ رجلٌ يُقتَلُ أو يموتُ) يحتمِلُ أنْ يكونَ حذيفةُ

---

(١) انظر: «تهذيب اللغة» لابن دريد (٧/ ١٩٤).

(٢) انظر: «شرح النووي على مسلم» (٢/ ١٧٣).

(٣) في (م) «كره».

(٤) انظر: «شرح النووي على مسلم» (٢/ ١٧٤).

رضي الله عنه سمِعَه من النبيِّ ﷺ هكذا على الشَّكِّ، ويحتمِلُ أنَّ حذيفةَ رضي الله عنه كان يعلمُ أنَّه يُقتَلُ، ولكنَّه كرِهَ أنْ يُخاطبَ عمرَ رضي الله عنه بالقتلِ؛ فإنَّ عمرَ كان يعلمُ أنَّه البابُ كما ذُكِرَ في روايةٍ أخرى أنَّه سُئل: هل كان عمرُ يعلمُ مَن البابُ؟ قال: نعم، كما يعلمُ أنَّ دونَ غدٍ الليلةَ[١]. فأتى حذيفةُ بكلامٍ حصلَ منه الغرَضُ مِن غيرِ أنْ يكونَ مخاطِبًا عمرَ بالقتلِ.

وقوله: (**ليسَ بالأغاليطِ**) هي جمعُ أُغلوطةٍ، وهي التي يُغالَطُ بها[٢]؛ يعني: حدَّثْتُه حديثًا صدقًا محقَّقًا ليس من تصحيفِ الكتَّاب، ولا من اجتهادٍ.

والحاصلُ أنَّ الحائلَ بين عمرَ - أي: بين الإسلام في زمن عمرَ - وبين الفتنِ بابٌ؛ وهو عمرُ رضي الله عنه.

١٦٣٩ـ (م): أبو هُريرة رضي الله عنه: «تُفتَحُ أبوابُ الجنَّةِ يومَ الاثنينِ، ويومَ الخميسِ، فيُغفَرُ لكلِّ عبدٍ لا يشرِكُ باللهِ شيئًا إلَّا رجلٌ[٣] كانَتْ بينهُ وبينَ أخِيهِ شحنَاءُ، فيقالُ: أنظِرُوا هذَينِ حتَّى يصطَلِحَا». [م: ٢٥٦٥]

---

(١) رواه البخاري (١٨٩٥)، ومسلم (١٤٤) من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه.

(٢) انظر: «مقاييس اللغة» لابن فارس (٤/ ٣٩٠).

(٣) في صحيح مسلم: «إلا رجلاً»، قال ملا علي القاري في «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٨/ ٣١٤٩): (إلا رجل): بالرفع في جميع نسخ «المشكاة»؛ أي: إلا ذنب رجلٍ، فالمضاف مقدَّرٌ، وإلا فالظاهر النصب، كذا قاله السيد جمال الدين، وفيه أن تقدير المضاف لا يجوز كونه رفعًا، نعم لو روي بالجر لكان وُجِّهَ بأنه حذف المضاف المنصوب وأبقى المضاف إليه مجروراً على حال أصله.
قال الطيبي: والظاهر فيه النصب؛ لأنه استثناء من كلام موجب، ويمكن أن يقال: إن الكلام محمولٌ على المعنى؛ أي: لا يبقى ذنب أحد إلا ذنب رجل، ونحوه قوله تعالى: ﴿فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ [البقرة: ٢٤٩]؛ أي: فلم يطيعوه إلا قليل منهم اهـ. وقراءة الرفع شاذة، والمتواترة بالنصب، وقيل: وجه رفعه أنه صفةٌ لكل عبدٍ، فإن محله الرفع.

* اختُلِف في معنى فتحِ أبوابِ الجنَّة، فقيل: معناه: كثرةُ العفو والغفران، ورفعُ المنازلِ، وإعطاءُ الثواب الجزيلِ.

وقيل: هو على ظاهرِه، وإنَّ فتحَ أبوابِها علامةٌ لذلك[1].

و(الشَّحناءُ) العداوةُ، كأنَّه شحنَ قلبَه بغضًا له؛ أي: ملأهُ.

وقوله: (أَنْظِروا) أي: أمهِلُوا، مِن الإنظارِ، وهو الإمهالُ؛ أي: أخِّروهما حتَّى يصطَلِحا.

١٦٤٠ـ (ق): سفيانُ بنُ أبي زُهيرٍ الأزدِيُّ رضي الله عنه: «تُفتَحُ اليمَنُ، فيأتِي قومٌ يبُسُّونَ، فيتحمَّلُونَ بأهلِيهِم ومَن أطاعَهُم، والمدينةُ خيرٌ لهُم لو كانُوا يعلمُونَ، وتُفتَحُ الشَّامُ، فيأتِي قومٌ يبُسُّونَ، فيتحمَّلُونَ بأهلِيهِم ومَن أطاعَهُم، والمدينةُ خيرٌ لهُم لو كانُوا يعلمُونَ، وتُفتَحُ العرَاقُ، فيأتِي قومٌ يبُسُّونَ، فيتحمَّلُونَ بأهلِيهِم ومَن أطاعَهُم، والمدينةُ خيرٌ لهم لو كانُوا يعلمُونَ». [خ: ١٧٧٦] [م: ١٣٨٨]

* (يَبُسُّونَ) بفتح المثنَّاةِ تحت، بعدها موحَّدةٌ تحت تضمُّ وتكسرُ، معناه: يسوقونَ إبلَهم، والبَسُّ: سَوْقُ الإبلِ[2]، وقيل معناه: يزينون لهم البلادَ ويحسِّنُونها لهم ويدعُونَهم إلى الرَّحيلِ إليها.

والمرادُ: الإخبارُ عمَّنْ خرجَ من المدينةِ مُتحمِّلًا بأهله، باسًّا في سيرِه، مُسْرِعًا إلى الرَّخاءِ في الأمصارِ التي أخبرَ ﷺ عن فتحِها.

وقوله: (والمدينةُ خيرٌ لهُم) يعني: مِن البلادِ التي ينتقلونَ إليها وإنْ كانَ فيها رخاءٌ؛ لأنَّها حَرَمُ الرَّسولِ وجِوارُه، ومَهْبِطُ الوَحيِ، ومَنْزِلُ البركاتِ.

---

(١) انظر: «شرح النووي على مسلم» (١٦/ ١٢٢).

(٢) انظر: «الفائق في غريب الحديث» للزمخشري (١/ ١٠٧).

(لو كانُوا يعلمُونَ) ما فيها، وفي الإقامةِ بها من الفوائدِ الدِّينيَّةِ والعوائدِ الأخرويَّة التي تُستَحقَرُ دُونها الحظوظُ الفانيةُ العاجلةُ الحاصلةُ في المهاجرَةِ عنها والإقامةِ في غيرِها، ونفى العلمَ عنهم، وربَّما كانوا أو بعضُهم عالمين بذلك؛ لأَنَّهم لمَّا لم يعملوا بمقتضى علمِهم، فكأَنَّهم ما علِمُوا.

١٦٤١ـ (ق): أَبو هُريرة رضي الله عنه: «تُنكَحُ المرأَةُ لأربَعٍ: لمالها، ولحسَبِها، ولجمالها، ولدينِها، فاظفَرْ بذاتِ الدِّينِ ترِبَتْ يداك». [خ: ٤٨٠٢] [م: ١٤٦٦]

* **الحَسَبُ**: الفعالُ الحسَنُ للرجلِ وآبائه، مأخوذٌ من الحسابِ؛ لأَنَّهم إذا تفاخرُوا عَدَّ كلُّ واحدٍ منهم مناقبَه ومآثرَ آبائِهِ، فالحَسَبُ ـ بالفتح ـ: المعدودُ، وبالسُّكونِ: العدُّ، كالعدِّ والعَدَدِ[1].

وقد يرادُ بالحسَبِ: قرابةُ الرجلِ وأهلُه وذرِّيَّتُه.

وقوله: **(ترِبَتْ يداكَ)** كلمةٌ جاريةٌ على ألسنةِ العربِ لا يريدونَ بها الدُّعاءَ على المخاطَبِ، إنَّما معناها: الحثُّ والتَّحريضُ، وأصلُه: الدعاءُ بالافتقارِ، يقال: «ترِبَ الرَّجلُ»: إذا افتقرَ، و«أترَبَ»: إذا أيسرَ[2].

ومعنى الحديث: أنَّ النبيَّ عليه السلام أخبرَ بما يفعلُه الناسُ في العادَةِ[3]؛ فإنَّهم يقصدونَ النِّكاحَ لأحدِ هؤلاء الأربعَةِ، وكانَ الدِّينُ عندَهم مؤخَّرًا، فأرشدَ عليه السَّلام إلى ما هو الخير بقوله: **(فاظفَرْ بذَاتِ الدِّينِ)**.

---

(١) انظر: «إكمال المعلم بفوائد مسلم» للقاضي عياض (٤/ ٦٧١).

(٢) انظر: «شرح السنة» للبغوي (٩/ ٨).

(٣) في (ص): «العادات».

١٦٤٢ـ (ق): أسامةُ بنُ زيدٍ رضي الله عنه: «يُؤتى بالرَّجلِ يومَ القيامَةِ، فيُلقَى في النَّارِ، فتندَلِقُ أقتابُ بطنِهِ، فيدورُ بها كما يدورُ الحِمارُ بالرَّحى، فيجتمِعُ إليهِ أهلُ النَّارِ فيقولونَ: يا فلانُ ما لَكَ؟ ألم تكُن تأمُرُ بالمعرُوفِ وتنهَى عنِ المنكرِ؟ فيقولُ: بلى، كنتُ آمرُ بالمعرُوفِ ولا آتيهِ، وأنهَى عنِ المنكرِ وآتيهِ». [خ: ٣٠٩٤] [م: ٢٩٨٩]

* عن أسامةَ بنِ زيدٍ وقيل له: ألا تدخلُ على عثمانَ فتكلِّمُه؟ فقال: أترون أنِّي لا أكلِّمُه؟ إلَّا أُسمعُكم؟ والله لقد كلَّمتُه فيما بيني وبينه ما دونَ أنْ أفتحَ أمرًا لا أحبُّ أنْ أكونَ أوَّلَ من فتحَه، ولا أقولُ لأحدٍ يكون عليَّ أميرًا: إنَّه خيرُ النَّاس بعدما سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**يُؤتى بالرَّجلِ...**» إلى آخره.

قوله: (**أَتَرَوْنَ أَنِّي لا أكلِّمُه**) معناه: أتظنُّون أنِّي لا أكلِّمُه إلَّا وأنتم تسمعون؟

وقوله: (**أنْ أفتحَ أمرًا لا أحبُّ أنْ أكونَ أوَّلَ مَنْ فتحَه**) يريدُ به الإنكارَ على الأمراءِ في الملأ.

ففيه: الأدبُ مع الأمراءِ، ووعظُهم سرًّا، وتبليغُهم ما يقولُ الناسُ فيهم ليكفُّوا عنه، وهذا كلُّه إذا أمكنَ، فإنْ لم يمكنْه فليفعلْهُ علانيةً؛ لئلَّا يضيعَ أهلُ الحقِّ.

وقوله: (**فتندَلِقُ**) بالدَّال المهملةِ، معناه: تخرُجُ خروجًا سريعًا، يقال: «اندلقَ السيفُ»: إذا خرجَ من غمدِه من غيرِ سَلٍّ[1].

و(**أقتَابُ بطنِهِ**) قيل: أمعاؤه، واحدُها: قِتْبٌ[2]، وقال الأصمعيُّ: قِتْبَة، والتَّصغيرُ:

---

(١) انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (٩/ ٤٦).

(٢) انظر: «جمهرة اللغة» لابن دريد (١/ ٢٥٥).

قُتَيبَة، ومنه سُمِّيَ الرجلُ: قُتَيبةَ[١]، وقيل: هي ما استدارَ في البطنِ، وهي الحوايا، والأمعاءُ: الأقصابُ[٢].

وفي الحديث: وعيدٌ عظيمٌ لمن أمرَ بالمعروفِ ولم يعملْ به، ونهى عن المنكَرِ وعمِلَه.

١٦٤٣ـ (م): أنسٌ رضي الله عنه: «يُؤتى بأنعَمِ أهلِ الدُّنيا مِن أهلِ النَّارِ يومَ القيامَةِ، فيُصبَغُ في النَّارِ صَبْغَةً، ثمَّ يقالُ: يا ابنَ آدمَ، هل رأيتَ خيرًا قطُّ؟ هل مرَّ بكَ نعيمٌ قطُّ؟ فيقولُ: لَا واللهِ يا ربِّ، ويُؤتى بأشدِّ النَّاسِ بُؤسًا في الدُّنيا من أهلِ الجنَّةِ، فيُصبَغُ في الجنَّةِ صَبْغَةً[٣]، فيقالُ لهُ: يا ابنَ آدمَ، هل رأيتَ بُؤسًا قطُّ؟ هل مرَّ بكَ شِدَّةٌ قطُّ؟ فيقولُ: لَا واللهِ ما مرَّ بي بؤسٌ قطُّ، ولا رأيتُ شدَّةً قطُّ». [م: ٢٨٠٧]

* قيل: (**يُصبَغُ في النَّارِ**)؛ أي: يُغمَسُ فيها كما يُغمَسُ الثَّوبُ في الصَّبغِ، وقيل: يجوزُ أنْ يكونَ بمعنى: تغيَّر؛ لأنَّه نُقلَ عن الفرَّاء أنَّه قال: أصلُ الصَّبغِ التغييرُ، ونَقلُ الشَّيءِ من حالٍ إلى حالٍ، ومنه: «صبغْتُ الثَّوبَ»: أي: غيَّرتُه عن لونِه.

والبُؤْسُ: هو الشِّدَّةُ.

١٦٤٤ـ (م): ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: «يُؤتى بجهنَّمَ يومئِذٍ لها سبعُونَ ألفَ زِمامٍ، معَ كلِّ زِمامٍ سبعونَ ألفَ ملَكٍ يجرُّونَها». [م: ٢٨٤٢]

---

(١) انظر: «غريب الحديث» لأبي عبيد (٢/ ٣١).

(٢) انظر: «شرح النووي على مسلم» (١٨/ ١١٩).

(٣) «فيصبغ في الجنة صبغة»: ليست في (م) و(ك) و(ب).

* قد تقدَّم أنَّ جهنَّمَ اسمٌ لنار الآخرةِ[1]، ولها أسامٍ غيره، أعاذنا الله منها.

وقوله: (يُؤتى بجهنَّمَ) يعني: من المكانِ الذي خلقَها الله فيه، فتُدارُ بأرضِ المحشرِ حتى لا يبقَى للجنَّة طريقٌ إلَّا الصِّراطُ، كما دلَّتْ عليه الأحاديثُ الصَّحيحةُ.

والزِّمامُ: ما يُزمُّ به الشيءُ؛ أي: يُشَدُّ به ويُربَط[2]، وهذه الأزمَّةُ التي تُساقُ جهنَّمُ بها تمنَعُها من الخروجِ على أهلِ المحشرِ إلا مَنْ شاءَ اللهُ. وأمَّا هذا العددُ المحصورُ فكأنَّه عددُ رؤسائِهم، وأمَّا جملتُهم فلا يعلَمُها إلا اللهُ، قال اللهُ تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١].

١٦٤٥ـ (م): جابرٌ رضي الله عنه: «يُبعثُ كلُّ عبدٍ على ما ماتَ عليه». [م: ٢٨٧٨]

* قيل: معناه: إنْ كان مؤمنًا يُحشَرُ مؤمنًا، وإنْ كان مشركًا يُبعَث مشركًا.

١٦٤٦ـ (ق): أنسٌ رضي الله عنه: «يُجاءُ بالكافِرِ يومَ القيامَةِ، فيقالُ له: أرأيتَ لو كانَ لكَ ملءُ الأرضِ ذهبًا، أكنتَ تفتدِي بهِ؟ فيقولُ: نعم، فيقالُ له: إنَّك كنتَ سُئلتَ ما هو أيسَرُ من ذلك». [خ: ٦١٧٣] [م: ٢٨٠٥]

* (ذهبًا) نُصِبَ على التَّمييزِ، وضميرُ (به) للذَّهبِ.

و(مَا هو أيسَرُ مِن ذلكَ) أي: من الافتداءِ المذكورِ، وهو تركُ الإشراكِ باللهِ؛ لِما جاءَ في روايةٍ أُخرى: «أردْتُ منك أهْونَ مِن هذا وأنتَ في صُلبِ آدمَ؛ أنْ لا تُشْركَ

---

(١) تقدم برقم: (٢٩٨).

(٢) انظر: «تاج العروس» لمرتضى الزبيدي (٣٢/ ٣٢٨).

بي شيئًا، فأبيتَ إلَّا أنْ تُشْركَ بي»[١]، والمرادُ بالإرادةِ في هذه الرِّوايةِ: الطلبُ؛ أي: طلبتُه منك؛ توفيقًا بين الرِّوايتين، ولأنَّه يستحيلُ أنْ يريدَ اللهُ شيئًا فلا يقعَ.

١٦٤٧ـ (ق): أبُو هُريرة رضي الله عنه: «يُحشَرُ النَّاسُ على ثلاثِ طرائِقَ: راغبينَ وراهبينَ، واثنانِ على بعيرٍ، وثلاثةٌ على بعيرٍ، وأربعةٌ على بعيرٍ، وعشَرَةٌ على بعيرٍ، وتحشُرُ بقيَّتَهُم النَّارُ تقِيلُ معهم حيثُ قالُوا، وتبيتُ معهم حيثُ باتُوا، وتصبحُ معهم حيثُ أصبحُوا، وتُمسي معهم حيثُ أمسَوا». [خ: ٦١٥٧] [م: ٢٨٦١]

* **الطَّرائقُ**: الأحوالُ المختلفةُ والفِرقُ المتفرِّقة، وعليه قوله تعالى: ﴿كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾ [الجن: ١١]؛ أي: فرقًا مختلفةً[٢].

قال الخطَّابيُّ[٣]: هذا الحشرُ إنَّما يكون قبلَ قيام السَّاعةِ، يُحشرُ النَّاسُ أحياءً إلى الشَّام، والحشرُ الذي بعدَ البعثِ من القبورِ على خلافِ هذه الصُّورةِ من ركوبِ البعيرِ والمعاقبةِ[٤] عليه، إنَّما هو على ما وردَ في الحديثِ: «أنَّهم يبعثونَ حُفَاةً عُراةً»[٥].

(واثنان على بعيرٍ وثلاثةٌ على بعيرٍ...) إلى آخره: مفسَّرٌ بأنَّهم يعتقِبُون البعيرَ الواحدَ يركبُ بعضُهم، ويمشِي بعضُهم.

---

(١) رواه البخاري (٣٣٣٤)، ومسلم (٢٨٠٥).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٩٣).

(٣) انظر: «أعلام الحديث» للخطابي (٣/ ٢٢٦٩).

(٤) أي: التَّعاقب عليه.

(٥) رواه البخاري (٦٥٢٧)، ومسلم (٢٨٥٩) من حديث عائشة رضي الله عنها.

وقال الإمامُ التُّورِبِشْتيُّ[(١)]: قولُ من يحملُ الحشرَ على الحشرِ الذي بعدَ البعثِ من القبورِ أَسَدُّ وأقوَى وأشبهُ بسياقِ الحديثِ؛ لأنَّ الحشرَ على الإطلاقِ في متعارَفِ الشرعِ هو الحشرُ بعد قيامِ السَّاعةِ إلا أنْ يُخَصَّ بدليلٍ، ولم نجدْه ههنا؛ ولأنَّ حشرَ بقيَّة الطَّائفتين ـ على ما ذكرَه في هذا الحديثِ ـ والتزازَها بهم حتى لا تُفارِقَهم في مَقيلٍ ولا مَبيتٍ، ولا صباحٍ ولا مساءٍ، قولٌ لم يرِدْ به التَّوقيفُ، ولم يكُنْ لنا أنْ نقولَ بتسليطِ النَّار على أولي الشِّقْوةِ في هذه الدَّارِ من غير توقيفٍ، ولما رُوي عن أبي هُريرة رضي الله عنه: «يُحشَرُ الناسُ يومَ القيامةِ ثلاثةَ أصنافٍ...» الحديث[(٢)].

وأمَّا ما ذكرَهُ من بعثِ النَّاسِ حُفَاةً عُراةً فالتَّوفيقُ بينهما: أنَّ بعثَ الناسِ حُفاةً عُراةً لا يُنافي كونَهم رُكبانًا، وترى التَّقسيمَ الذي جاء بِهِ هذا الحديثُ هو التَّقسيمُ الذي جاءَ به التَّنزيلُ، قال الله تعالى: ﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً﴾ [الواقعة: ٤ ـ ٧].

قوله: (راغبِينَ وراهِبِينَ) يريدُ به عوامَّ المؤمنين، وهم الذين يتردَّدون بين الخوفِ والرَّجاءِ بعدَ زوالِ التَّكليفِ، فتارةً يرجونَ رحمةَ الله لإيمانهم، وتارةً يخافونَ عذابَه؛ لِما اجترحُوا من الآثامِ، وهم أصحابُ الميمنَةِ.

وقوله: (اثنانِ على بعيرٍ) المرادُ به: أولو السَّابقَةِ من أفاضلِ المؤمنين، وهُم السَّابقُون.

وقوله: (وتحشُرُ بقيَّتَهم النَّارُ) يريدُ به أصحابَ المشأمَةِ، فهذه ثلاثُ طرائقَ.

ثمَّ حملُهم على الصِّفَة المذكورةِ في الحديثِ يحتمِلُ أنْ يكونَ دَفعةً واحدةً؛

---

(١) انظر: «الميسر في شرح مصابيح السنة» للتوربشتي (٤/ ١١٨٨).

(٢) رواه الترمذي (٣١٤٢) وقال: هذا حديث حسن.

تنبيهًا على أنَّ البعيرَ المذكورَ من بدائعِ فطْرةِ الله؛ كناقةِ صالحٍ عليه السَّلامُ، فيَقوى على ما لا يقوى عليه غيرُه من البُعران، وأنْ يكونَ على سبيلِ الاعتقابِ، ولم يذكُرْ من السَّابقين من يتفرَّدُ بمركبٍ لا يُشاركه فيه أحدٌ؛ لأنَّه عُرِفَ أنَّ ذلك لمن فوقَهم في المرتبةِ من الأنبياءِ؛ ليقعَ الامتيازُ بينَ الأنبياءِ والصِّدِّيقين في المراكبِ، كما وقعَ في المراتبِ.

ولم يذكرِ الخمسةَ والسِّتَّةَ إلى آخرِ ما ختم به الكلامَ؛ إيثارًا للإيجاز، واكتفاءً بما مرَّ من الأعدادِ، وليس في ذكر الثلاثةِ غُنْيةٌ عن ذكرِ الأربعةِ؛ إذ لو اقتصرَ على ذكرِ الثَّلاثةِ لم يتهيَّأْ لنا الوقوفُ منها على ما تضمَّنه الكلامُ من العجَبِ، وهو ركوبُ الأربعةِ فما فوقَها على البعيرِ الواحدِ، ولا على ما تضمَّنَه من الدَّلالةِ على المعاقبَةِ.

ولم يسلُكْ في العشَرةِ مسلَكَهُ في بقيَّة الأعدادِ المترُوكةِ؛ لأنَّ في العشَرةِ بيانَ الغايةِ، فلو لم يذكُرْها لاقتضى ذلك أحدَ الأمرين: إمَّا التَّوقيفَ على الأربعةِ، أو التَّبليغَ إلى ما فوقَ العشَرة.

١٦٤٨ـ (ق): سهلُ بنُ سعدٍ رضي الله عنه: «يُحشَرُ النَّاسُ يومَ القيامَةِ على أرضٍ بيضاءَ عَفْراءَ كقُرْصَةِ النَّقيِّ، ليسَ فيها عَلَمٌ لأحَدٍ»، وقيل: «ليسَ فيها عَلَمٌ[1]» مِن حديثِ سَهلٍ أو غيرِهِ. [خ: ٦١٥٦] [م: ٢٧٩٠]

* **الأرضُ البيضَاءُ**: هي الفارغةُ من الغرسِ.

والعفراءُ: البيضاءُ التي ليست بالشَّديدةِ البياضِ.

---

(١) في (ع) و(م): «مَعْلَمٌ».

و(**النَّقِيُّ**) بفتح النُّونِ وكسر القافِ وتشديدِ الياء، هو: الدقيقُ الحُوَّارى، سُمِّيَ به لنقائهِ من النُّخالةِ(١).

والمرادُ **بقُرصَةِ النَّقيِّ**: بياضُها واستدارتُها واستواءُ أجزائِها(٢).

قال القاضِي: وكأنَّ النَّارَ غيرَّتْ بياضَ وجْهِ الأرضِ إلى الحُمرةِ(٣).

وقوله: (**ليسَ فيهَا عَلَمٌ لأحَدٍ**) شكَّ فيه البُخاريُّ هل هو عن سَهلٍ أو عن غيرِه؟ ومعنى (عَلَمٌ): علامةٌ؛ أي: ليسَ بها علامةُ سُكنى أو بناءٍ أو أثرٍ لأحدٍ، بل يُرفعُ ذلك كلُّه ويُزالُ عنها بالتَّسويةِ وتبديلِ صفاتِ الأرضِ(٤).

١٦٤٩ ـ (م): أنسٌ رضي الله عنه: «يخرُجُ منَ النَّارِ أربعَةٌ، فيُعرَضُونَ على اللهِ، فيلتفِتُ أحدُهُم فيقولُ: أيْ ربِّ، إذا أخرجتَني منها فلا تُعِيدَنِّي فيها، فيُنْجِيهِ اللهُ منها». [م: ١٩٢]

* (**فلا تُعِيدَنِّي**) قيل: هو بتشديد النُّونِ، وهؤلاء هم الآخِرون خروجًا من النَّارِ.

١٦٥٠ ـ (خ): أبو سعيدٍ رضي الله عنه: «يُدعَى نوحٌ يومَ القيامَةِ، فيقولُ: لبَّيكَ وسعديكَ يا ربِّ، فيقولُ: هل بلَّغتَ؟ فيقولُ: نعم، فيقالُ لأُمَّته: هل بلَّغكُم؟ فيقولُونَ: مَا أتانَا من نذيرٍ، فيقولُ: مَن يشهدُ لكَ؟ فيقولُ: محمَّدٌ وأمَّتُه، فتشهدُونَ أنَّه قد بلَّغَ،

---

(١) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (٩/ ٥٤٨).

(٢) انظر: «الميسر في شرح مصابيح السنة» للتوربشتي (٤/ ١١٨٧).

(٣) انظر: «إكمال المعلم بفوائد مسلم» للقاضي عياض (٨/ ٣٢٢).

(٤) انظر: «شرح النووي على مسلم» (١٧/ ١٣٤).

فذلكَ قولُهُ تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًاۗ ﴾ [البقرة: ١٤٣]». [خ: ٤٢١٧]

* **النَّذيرُ**: هو المخوِّفُ من عقابِ الله، الزاجرُ عن المعاصِي.

رُوي: أنَّهم لمَّا شهدوا أنَّ الأنبياءَ عليهم السَّلام قد بلَّغوا، تقولُ الأممُ الماضيةُ: مِن أين علِمُوا وإنَّهم[1] أتوا بعدَنا؟ فيسألُ الله هذه الأمَّةَ، فيقولون: أرسلْتَ إلينا رسُولًا، وأنزلتَ عليه كتابًا أخبرْتَنا فيه تبليغَ الرُّسلِ، وأنتَ صادقٌ فيما أخبرْتَ به، ثمَّ يُؤتى بمحمَّدٍ، فيُسألُ عن حالِ أمَّتِه، فيُزكِّيهم ويشهدُ بصدْقِهم، فذلك قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة: ١٤٣][2].

وقوله: ﴿وَسَطًا﴾ ؛ أي: خِيارًا، وسُمِّيَ الخيارُ وسطًا؛ لأنَّ الأطرافَ يتسارعُ إليها الخللُ، والأوساطُ محميَّةٌ، أو معناه: عدُولًا؛ لأنَّ الوسَطَ عَدْلٌ بين الأطرافِ، ليسَ إلى بعضها أقربَ من بعضٍ.

ولمَّا كانَ الشهيدُ كالرَّقيبِ على المشهودِ له، جيءَ بكلمة ﴿عَلَى﴾، وأُخِّرت صلةُ الشَّهادة أوَّلًا وقُدِّمتْ آخرًا؛ لأنَّ المقصودَ في الأوَّل: إثباتُ شهادَتِهم على الأممِ، وفي الآخِرِ: اختصاصُهم بكون الرسولِ شهيدًا عليهم.

١٦٥١ ـ (ق): أبو هُريرة رضي الله عنه: «يستجابُ لأحدِكُم ما لم يعجَلْ، يقولُ: قَد دعَوتُ ربِّي فلم يَستَجِبْ لي». [خ: ٥٩٨١] [م: ٢٧٣٥]

* قيل: إجابةُ الدُّعاءِ لها شروطٌ في الدَّاعِي والدُّعاءِ والمدعُوِّ به، ففي الدَّاعِي:

---

(١) في (ص): في نسخة: «وهم».

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (٤/ ١٧٨).

أنْ يكونَ عالمًا بأنْ لا قادرَ على حاجتِهِ إلَّا الله تعالى؛ فإنَّ الوسائطَ في قبضَتِه، ومسخَّرةٌ بتسخيرِه، ويدعوَ بنيَّةٍ صادقَةٍ وحضورِ قلبٍ، وأنْ يكونَ مجتنبًا أكلَ الحرامِ، وأنْ لا يملَّ من الدعاءِ، فيترُكَه فيقولَ: قد دعوتُ فلم يستجِبْ لي.

وفي الدُّعاء: أنْ يكونَ مبدوءًا بالصَّلاةِ على النبيِّ عليه السَّلام مختومًا بها.

وفي المدعُوِّ به: أنْ يكونَ من الأمورِ الجائزةِ الطلبِ والفعلِ شرعًا، كما قال في روايةٍ أخرى: «ما لم يَدعُ بإثمٍ أو قطيعة رحمٍ»(١)، فيدخلُ في الإثمِ كلُّ مَا يأثَمُ به من الذُّنوبِ، ويدخلُ في قطيعةِ الرَّحمِ مظالمُ الناسِ(٢).

وفي الحديثِ: الحثُّ على تركِ الاستعجالِ في استجابَةِ الدُّعاءِ، وعن أبي الدَّرداءِ رضي الله عنه: من يُكثِرْ قرعَ البابِ يوشِكْ أنْ يُفتَحَ له، ومن يُكثِرِ الدُّعاءَ يوشِكْ أنْ يُستجابَ له(٣).

١٦٥٢ـ (م): عبدُ اللهِ بنُ عَمرو رضي الله عنه: «يُغفَرُ للشَّهيدِ كلُّ ذَنْبٍ إلَّا الدَّينَ». [م: ١٨٨٦]

* معناه: التنبيهُ على الاجتنابِ من الدَّينِ.

ويُنبَّهُ بقولـه: (**إلَّا الدَّيـنَ**) علـى جميعِ حقـوقِ العبـادِ، وأنَّ الجهادَ والشَّـهادَة وغيرَهمـا مـن أعمـالِ البِـرِّ لا تكفِّرُهـا، وإنَّمـا تكفِّـرُ حقـوقَ الله؛ فـإنَّ حقـوقَ الله يُتَسـامحُ فيهـا لغِناه.

(١) رواه مسلم (٢٧٣٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) انظر: «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» لأبي العباس القرطبي (٧/ ٦٣).

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣١١٣٣).

وحُكـيَ أنَّـه قيـل لابـنِ طاوسٍ فـي دَيْـنِ أبيـه: لـو استنظرْتَ الغُرمـاء؟ قال: أستنظرُهم وأبـو عبـدِ الرَّحمـنِ عـن منزلـه محبُـوسٌ؟ فبـاعَ مـالَ ثمانيـةِ آلافٍ بخمسـمئةٍ وقضـى دَيـنَ أبيـهِ[1].

١٦٥٣ـ (خ): أَبُو هُريرة رضي الله عنه: «يقالُ لأهلِ الجنَّةِ: يا أهلَ الجنَّةِ، خلُودٌ ولا موتَ، ولأهلِ النَّارِ يا أهلَ النَّارِ، خلودٌ ولا موتَ». [خ: ٦١٧٩]

* وقد تقدَّم الكلامُ عليه في هذا البابِ في قوله عليه السلام[2]: «يدخلُ أهلُ الجنَّةِ الجنَّةَ».

(١) انظر: «الأسامي والكنى» لأحمد بن حنبل (١٤١).

(٢) تقدم برقم: (١٦٠٢).

الباب التاسع

رتَّبَ هذا البابَ على خمسَةِ فصولٍ:

الأوَّل: في الفعلِ الماضِي المبنيِّ للفاعلِ.

والثاني: فيما لم يُسمَّ فاعلُه منه.

والثالث: في الحكايةِ عن نفسِ المتكلِّم.

والرابع: فيما ابتُدئ بحرفِ «هل».

والخامسُ: في فعلِ الأمرِ.

١٦٥٤ـ (خ): عُمرُ رضي الله عنه: «أتاني اللَّيلةَ آتٍ مِن ربِّي فقال: صلِّ في هذا الوادي المبارَكِ وقُل: عُمرَةٌ في حَجَّةٍ». [خ: ١٤٦١]

* قاله في وادي العقيقِ، وهو من أوديةِ المدينةِ مسيلٌ للماءِ.

وقوله: (**عمرَةٌ في حَجَّةٍ**) أي: عمرةٌ تُدْرِجُها في حَجَّةٍ؛ لأنَّ أفعالَ العمرةِ تدخلُ في أفعالِ الحجِّ في القِران، أو أرادَ عُمرةً وحَجَّةً، وهذا دليلٌ لأصحابِ أبي حنيفةَ رحمهم الله في جعلِهم القِرانَ أفضلَ[1]؛ فإنَّ الرسولَ الآتيَ مِن ربِّه لا يأمُرُه بتركِ الأفضلِ إلى غيرِه.

---

(١) انظر: «النهر الفائق شرح كنز الدقائق» لابن نجيم (٢/ ١٠٢).

١٦٥٥ـ (ق): أبو ذرٍّ رضي الله عنه: «أَتَانِي جبرائِيلُ فبشَّرَنِي أَنَّه مَن ماتَ مِن أُمَّتك لا يشرِكُ باللهِ شيئًا دخلَ الجنَّةَ، قلتُ: وإِن زَنى وإِن سرَقَ؟ قال: وإِن زَنى وإِن سرَقَ». [خ: ٣٠٥٠] [م: ٩٤]

* معناه ظاهرٌ. وفيه: دليلٌ لأهل السُّنَّة والجماعةِ على أنَّ أصحابَ الكبائرِ لا يُخلَّدُون في النارِ، بل إنْ دَخَلُوها سيخرجُون منها ويُخلَّدُون بعدَ ذلك في الجنَّة.

١٦٥٦ـ (ق): أَبُو هُريرة رضي الله عنه: «احتجَّ آدمُ ومُوسى، فقال موسى: يا آدمُ، أنتَ أبونا، خيَّبتَنا وأخرجتَنا منَ الجنَّةِ، فقال لهُ آدمُ: أنتَ موسى، اصطفاكَ اللهُ بكلامِهِ، وخَطَّ لكَ التَّوراةَ بيدِهِ، أتلومُني على أمرٍ قدَّرَهُ اللهُ عليَّ قبلَ أن يخلُقَني بأربعينَ سنةً؟ فحجَّ آدمُ موسى، فحجَّ آدمُ مُوسى». [خ: ٦٢٤٠] [م: ٢٦٥٢]

* (خيَّبتَنَا) أوقعتَنا في خيبةٍ، وهي الحرمانُ والخسران، وقد يقال: «خابَ يخيبُ»، ومعناه: كنتَ سببَ خيبتِنا بالخطيئةِ التي ترتَّبَ عليها إخراجُك من الجنَّةِ[١]. قيل: والمرادُ بها: جنَّةُ الخلد وجنَّة الفردوسِ التي هي دارُ الجزاءِ في الآخرةِ[٢].

واختُلِفَ في هذه المحاجَّةِ، فقيل: إنَّها روحانيَّةٌ، التقتْ أرواحُهما في السَّماء فوقعَ الحِجاجُ بينهما.

وقيل: يحتمِلُ أنْ يكونَ على ظاهرِه، وأنَّهما اجتمَعا بأشخاصِهما، فإنَّه ثبتَ في حديثِ الإسراءِ أنَّه عليه السَّلام اجتمعَ بالأنبياءِ في السَّموات، وفي بيتِ المقدسِ وصلَّى بهم[٣]، فلا يبعدُ أنَّ اللهَ تعالى أحياهُم كما جاءَ في الشَّهيدِ.

---

(١) انظر: «شرح النووي على مسلم» (١٦/ ٢٠٠).

(٢) انظر: «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» للعيني (١٩/ ٦٠).

(٣) رواه مسلم (١٦٢) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

وقوله: (اصطفاكَ اللهُ بكلامِهِ) على حقيقتِهِ؛ فإنَّه صلواتُ الله عليه كليمُ الله.

وقوله: (بيدِهِ) تقدَّم فيه مِن مذهبِ السَّلفِ والخَلَفِ، فلا نكرِّرُه.

وقوله: (على أمرٍ قدَّرَهُ اللهُ عليَّ) منهم مَنْ حملَه على القَدَرِ الذي هو تالي القضاء، كما تقدَّمَ في أوائلِ هذا الشَّرحِ، ومنهم مَن أجراهُ على ظاهرِه؛ فإنَّه قال: (قبْلَ أنْ يخلُقَني بأربعينَ سنةً) وهذا نصٌّ على أنَّ المرادَ بقوله: (قدَّره) التقديرُ الكمِّيُّ لا حقيقةُ القدَرِ؛ لأنَّ ذلك لا أوَّلَ له.

وقـوله: (فحجَّ آدمُ مُوسى) برفعِ «آدمُ» هو الروايةُ المشهورةُ، ومعناه: غلبَهُ بالحُجَّة وظهرَ بها عليه.

فإنْ قيل: ما وجهُ قولِ آدمَ: (أتلُومُني على أمرٍ...) إلى آخره، وأنَّ غيرَه لو قال بعدَ ذنبٍ صدرَ منه: هذا ذنبٌ قدَّره عليَّ لم يُقْبَلْ منه عذرٌ ولم يسقُطْ عنه اللَّومُ والعقوبةُ بذلك؟

أُجِيبَ: بأنَّ غيرَه باقٍ في دارِ التَّكليفِ، وأحكامُ المكلَّفين جاريةٌ عليه من اللَّومِ والعقوبةِ[1] زجرًا له ولغيرِه، فما دامَ في دارِ الزَّجرِ لم يسقُطْ عنه اللَّومُ، وأمَّا آدمُ فقد خرجَ عن دار التَّكليفِ والحاجةِ إلى الزَّجرِ، فلم يكنْ في لومِه سوى التَّخجيلِ، وهو في ذلك الوقتِ غيرُ مفيدٍ.

وفي الحديثِ: دليلٌ على أنَّ الجنَّةَ مخلوقةٌ قبلَ خلقِ الخَلْقِ، كما هو مذهبُ أهلِ الحقِّ.

وفيه: جوازُ إسنادِ الفعلِ إلى المسبِّب لقوله: (أخرجتَنا مِنَ الجنَّةِ).

(١) في (ن) و(ب) زيادة: «بذلك».

١٦٥٧ـ (م): ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنه: «أحسَنتُم وأجمَلتُم، كذا فاصنَعُوا». [م: ١٣١٦]

قالهُ لبني عبدِ المطَّلبِ حينَ سقوهُ النَّبيذَ على زمزمَ.

* عن بكرِ بنِ عبد الله المزنيِّ قال: كنتُ جالسًا مع ابنِ عباسٍ عندَ الكعبةِ، فأتاه أعرابيٌّ فقال: ما لي أرى بني عمِّكم يَسقُون العسلَ واللَّبن وأنتم تَسقونَ النَّبيذَ؟ أَمِنْ حاجةٍ بكُم أمْ مِن بُخلٍ؟ فقال ابنُ عباسٍ: الحمدُ للهِ، ما بنا مِن حاجةٍ ولا بُخلٍ، قدِمَ رسولُ الله ﷺ على راحلةٍ وخلفَه أسامةُ، فاستسقَى، فأتيناه بإناءٍ من نبيذٍ، فشربَ وأسقَى فضْلَه أسامةَ، فقال: «**أحسَنتُم...**» إلى آخره، قال: فنحن لا نريدُ تغييرَ ما أمرَ بـه رسولُ الله ﷺ.

وفيه: دليلٌ على فضلِ هذا العملِ، وقال بعضُ العلماءِ: يُستحَبُّ أنْ يَشربَ الحاجُّ وغيرُه من نبيذِ سقايةِ العبَّاسِ[١].

و(**النَّبيذَ**) هو الماءُ المحلَّى بزبيبٍ أو غيره؛ بحيث يطيبُ طعمُه ولا يكون مُسْكِرًا؛ فإنَّه حرامٌ[٢].

ومعنى (**أحسَنتُم وأجمَلتُم**) فعلتُم الحسنَ والجميلَ، ويُؤخَذ منه: استحبابُ الثَّناءِ على أصحابِ السِّقايةِ وكلِّ مَن صنعَ جميلًا.

١٦٥٨ـ (ق): أبو هُريرة رضي الله عنه: «اختتَنَ إبراهِيمُ النَّبيُّ ﷺ بالقَدُومِ». [خ: ٣١٧٨] [م: ٢٣٧٠]

---

(١) وهو مذهب الشافعية، نص عليه النووي. انظر: «شرح النووي على مسلم» (٩/ ٦٤).

(٢) انظر: «شرح النووي على مسلم» (٩/ ٦٤).

* (القَدُوم) بالتَّخفيف: المِنحاةُ[١]، واتَّفقَ رواةُ مسلمٍ على تخفيفه، والقَدُومُ: اسمُ قريةٍ أيضًا بالشَّام، رُوي بالتَّخفيفِ والتَّشديد، فإنْ كان المرادُ به في الحديثِ الآلةَ، فهو بالتَّخفيفِ لا غيرُ، وإنْ كانَ المرادُ به المكانَ، جازَ فيه التَّخفيفُ والتَّشديدُ[٢].

ورُوي في هذا الحديث: «اختتنَ إبراهيمُ وهو ابنُ ثمانين سنةً»[٣]، ووقعَ في «الموطَّأ»: «ابنُ مئةٍ وعشرين سنةً»[٤]، قيل: والأوَّلُ هو الصحيحُ.

١٦٥٩ـ (خ): أنسٌ رضي الله عنه: «أخَذَ الرَّايةَ زيدٌ فأُصِيبَ، ثمَّ أخذَها جعفرٌ فأُصِيبَ، ثمَّ أخذَها عبدُ اللهِ بنُ رواحَةَ فأُصِيبَ، ثمَّ أخذَها خالدُ بنُ الوليد مِن غيرِ إمرَةٍ، ففُتِحَ لهُ». [خ: ١١٨٩]

* قد تقدَّم الكلامُ عليه في الباب الثالثِ في قولِهِ عليه السَّلام[٥]: «**لا تعطِه يا خالدُ**».

١٦٦٠ـ (ق): أبو هُريرة رضي الله عنه: «أذنَبَ عبدٌ ذنبًا فقالَ: اللَّهمَّ اغفِرْ لي ذنبِي، فقالَ تبارَكَ وتعالى: أذنَبَ عبدِي ذنبًا علِمَ أنَّ لهُ ربًّا يغفِرُ الذَّنبَ، ويأخُذُ بالذَّنبِ، ثمَّ عادَ فأذنَبَ فقالَ: أي ربِّ اغفِرْ لي ذنبِي، فقالَ تبارَكَ وتعالى: عبدِي أذنَبَ

---

(١) انظر: «الفائق في غريب الحديث» للزمخشري (٣/ ١٦٥).

(٢) انظر: «شرح النووي على مسلم» (١٥/ ١٢٢).

(٣) رواه البخاري (٣٣٥٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) انظر: «الموطأ/ رواية أبي مصعب الزهري» لمالك بن أنس (١٩٢٩).

(٥) تقدم برقم: (٥٧٥).

ذنبًا، فعلِمَ أنَّ له ربًّا يغفِرُ الذَّنبَ، ويأخُذُ بالذَّنبِ، ثمَّ عادَ فأذنَبَ فقال: أيْ ربِّ اغفِر لي ذنبي، فقال تبارَكَ وتعالى: أذنَبَ عبدي ذنبًا، فعلِمَ أنَّ له ربًّا يغفِرُ الذَّنبَ، ويأخُذُ بالذَّنبِ، اعمَل ما شئتَ، فقد غفرتُ لكَ». [خ: ٧٠٦٨] [م: ٢٧٥٨]

قال عبدُ الأعلى أحدُ رُواة هذا الحديثِ: لا أدري أقال في الثَّالثةِ، أو الرَّابعةِ: «اعمَل مَا شئتَ».

* التَّوبةُ من الذُّنوبِ واجبةٌ على الفورِ صغيرةً كانت أو كبيرةً، ومذهبُ أهل السُّنَّة: أنَّه إذا تابَ عن ذنبٍ ثمَّ عادَ إلى ذلك الذَّنبِ كُتِبَ عليه الثاني ولم تبطُلْ توبتُه(١)، ولو تكرَّرَتِ الذنوبُ والتوبةُ عنها صحَّتِ التوبةُ تكرِمةً مِن اللهِ تعالى، وهذا الحديثُ يدلُّ على ذلك.

وقوله: (اعمَل ما شئتَ) كلامٌ يُستعمَلُ في معرِضِ(٢) السَّخطِ تارةً، وفي موضعِ الرِّضا أُخرى، فالأوَّلُ كما في قوله تعالى: ﴿ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ﴾ [فصلت: ٤٠]، والثَّاني: كما في هذا الحديثِ، ويكون معنى قولِه: «فقدْ غفرتُ لك» معناه: ما دمتَ تُذنِبُ وتتوبُ.

١٦٦١ـ (م): عَمرو بنُ عبسَةَ رضي الله عنه: «أرسلَني بصِلَةِ الأرحَامِ، وكَسْرِ الأوثَانِ، وأنْ يُوحَّدَ اللَّهُ لا يُشرَكُ به شَيءٌ». [م: ٨٣٢]

قالهُ له حينَ سألَهُ: بأيِّ شيءٍ أرسلَكَ؟ يعني: اللهَ.

(١) انظر: «شرح النووي على مسلم» (١٧/ ٦٠).

(٢) في (ن): «موضع».

* وقد تقدَّم الكلامُ عليه في البابِ الثَّاني في قوله عليه السَّلام: «إنَّك لنْ تستطيعَ ذلك يومَك هذا».

١٦٦٢ـ (ق): حكيمُ بنُ حِزامٍ رضي الله عنه: «أسلَمْتَ على مَا سلفَ لكَ مِن خيرٍ». [خ: ١٣٦٩] [م: ١٢٣]

قالهُ له.

* قاله له لمَّا قال: يا رسولَ الله، أرأيتَ أمورًا أتحنَّثُ بها في الجاهليَّةِ من صلاةٍ وعَتاقةٍ وصَدقةٍ، هل لي فيها أجرٌ؟

والتَّحَنُّثُ: هو التَّعبُّدُ، وقال أهلُ اللُّغة: أصلُ التَّحنُّثِ أنْ يفعلَ فعلًا يخرجُ به من الحِنثِ، وهو الإثمُ، وكذلك تأثَّمَ وتحرَّجَ؛ أي: فعل فعلًا خرجَ به عن الإثمِ والحَرجِ[1].

وقوله: (**أسلَمْتَ على مَا سَلَفَ لكَ مِن خيرٍ**) اختُلِفَ في معناه، فقيل: ظاهرُه يقتَضي خلافَ ما تقتَضِيه الأصولُ؛ لأنَّ الكافرَ لا يصِحُّ منه التَّقرُّبُ؛ لانتفاءِ شرطِه وهو الإيمانُ، قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا﴾ [النور: ٣٩] الآيةَ، فيحتاج إلى تأويلٍ، وهو على وجوهٍ:

أحدُها: أن يكونَ معناه: اكتسبتَ طِباعًا جميلةً، وأنت تنتفِعُ في الإسلامِ بها بكونِها معونةً لك على فعلِ الخيرِ.

الثاني: اكتسبتَ بذلك ثناءً جميلًا، فهو باقٍ عليك في الإسلامِ.

---

(١) انظر: «المعلم بفوائد مسلم» للمازري (١/ ٢٩١).

والثالث: أنَّه لا يبعُدُ أنْ يُزادَ في حسناتِه التي فعلَها في الإسلامِ؛ فيكثرُ أجرُه لما تقدَّمَ له من الأفعالِ الجميلةِ، وقيل: إذا فعلَ الكافرُ خيرًا، فإنَّه يُخفَّفُ به عنه، فلا يبعدُ أنْ يُزادَ في أجورِه(١).

وقيل: معناه: ببركةِ ما سبقَ لك من خيرٍ هداكَ اللهُ به إلى الإسلامِ، فإنَّ مَن حصلَ منه خيرٌ في أُولاه دلَّ على سعادَتِه في أُخراهُ.

ومن النَّاس مَنْ ذهبَ إلى أنَّ الكافرَ إنْ فعلَ خيرًا حالَ كفرِه، ثمَّ إنَّه أسلمَ وماتَ على الإسلامِ، يُثابُ على فعلِه الخيرَ في حال الكفرِ، واستدَلَّ بالحديثِ، ولا اعتمادَ عليه؛ لِما ذكرْنَا مِن مخالفَةِ الأصلِ؛ ولأنَّ تلك الأعمالَ لم تنعقِدْ أمارةً على الثَّوابِ، فلا تنقلِبُ إليها بعدَ الإسلامِ(٢).

١٦٦٣ـ(ق): البراءُ بنُ عازبٍ رضي الله عنه: «أشبهتَ خَلقِي وخُلُقي». [خ: ٢٥٥٢](٣)

قالهُ لجعفرِ بنِ أبي طالبٍ.

* وقد تقدَّم الكلامُ عليه في البابِ الثَّاني في قوله عليه السَّلام(٤): «إنَّما الخالةُ بمنزلة الأمِّ».

---

(١) انظر: «المعلم بفوائد مسلم» للمازري (١/ ٣٠٨).

(٢) انظر: «شرح النووي على مسلم» (٢/ ١٤١).

(٣) قلت: الحديث تفرَّد به البخاريُّ.

(٤) تقدم برقم: (٤٧٩).

١٦٦٤ـ (ق): أَبُو هُرَيرة رضي الله عنه: «اشتدَّ غضَبُ اللهِ على قومٍ فعلوا بنبيِّه، يُشيرُ إلى رَبَاعيَتِه، اشتدَّ غضَبُ اللهِ على رجُلٍ يقتلُهُ رسولُ اللهِ في سبيلِ اللهِ». [خ: ٣٨٤٥] [م: ١٧٩٣]

* **الرَّبَاعيَةُ**: كالثَّمانيةِ، وهي السِّنُّ التي بين الثَّنيَّةِ والنَّابِ، والجمعُ: رَباعيَاتٌ(١).

وقوله: (**اشتدَّ غضَبُ اللهِ**) يريد أنَّ ذلك من أعظمِ السَّيِّئات عندَه ويُجازي عليه، وليسَ المرادُ بالغضبِ أوَّلَه، وإنَّما هو آخرُه، كما تقدَّم.

وفي الحديثِ: جوازُ وقوعِ الأَسْقامِ والآلامِ على الأنبياءِ، إمَّا باعتبارِ أنَّها من لوازمِ البشريَّةِ، وهم بشرٌ لا محالةَ، وإمَّا لِتتأَسَّى الأممُ بهم.

وقال المحقِّقون في سببِ اشتدادِ الغضبِ: إنَّ الأنبياءَ عليهم السَّلام لهم الشرفُ الباهرُ، ودرجاتُ مَن دونَهم مِن سائرِ النَّاسِ تتفاوتُ في العلوِّ والنُّزولِ بحسَبِ القُربِ من درجاتِ الأنبياء وبُعدِها عنها، فقريبٌ وأقربُ، وبعيدٌ وأبعدُ، فأنزَلُ النَّاسِ درجةً هو المقابلُ؛ لأنَّه لا يُقابِلُ صاحبَ العُلوِّ التَّامِّ إلَّا مَن هو في أنزلِ الدرجاتِ، وإذا تعيَّنتْ منزلتُه في مقامِ المقابلَةِ عادَى العاليَ جدًّا، ويسعى في قتلِه أو جَرحِه أو كسرِ رَباعيَتِه وأمثالِ ذلك؛ طلبًا لإزالةِ ضدِّه، ومثلُ ذلك يكون في غايةِ الشَّقاوةِ، وزيادةُ الشَّقاوةِ توجِبُ ازديادَ غضَبِ اللهِ لا محالةَ.

وكذلك من قتلَه نبيٌّ بلغَ النِّهايةَ فيها فيزدادُ الغضبُ.

وبيانُه: أنَّ الأنبياءَ صلوات الله عليهم نوَّابُ الحقِّ ومظاهرُ رحمتِه، وسببُ بعثتِهم الرحمةُ بالخَلقِ، فهم مجبولونَ على الشَّفقَةِ على الخَلْقِ، ومأمورون بإرشادِهم وتخليصِهم مِن ظلماتِ الكفرِ والجهلِ والشُّكوكِ، وهم أشدُّ النَّاسِ حرصًا على

---

(١) انظر: «الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية» للجوهري (٣/ ١٢١٤).

اهتدائِهم، ولهم البصيرةُ التَّامَّةُ(١) فلا يُقدِمون على قتل أحدٍ إلَّا بعد اليأسِ من فلاحِه، والتَّيقُّنِ بأنَّ حياتَه سببٌ لمزيدِ شقائِه(٢) وتعدِّي ضررِه إلى غيرِه، فقتلُهم إيَّاهم إنَّما كان لمزيدِ الشَّقاءِ فيهم، وذلك يقتَضِي اشتدادَ الغضبِ، على أنَّ قتلَهم من أحكامِ الرَّحمةِ التي بُعِثَ الأنبياءُ بها.

١٦٦٥ـ (ق): أبو هُريرة رضي الله عنه: «اشتَرَى رجلٌ مِن رجلٍ عَقارًا له، فوجدَ الرَّجلُ الَّذي اشتَرى العقارَ في عقارِهِ جرَّةً فيهَا ذهبٌ، فقال لهُ الَّذي اشتَرَى العَقارَ: خُذ ذهبَكَ منِّي، إنَّما اشترَيتُ منكَ الأرضَ، ولم أبتَعْ منكَ الذَّهبَ، فقال الَّذِي اشترى(٣) الأرضَ: إنَّما بعتُكَ الأرضَ وما فيها، فتحاكَما إلى رجُلٍ، فقالَ الَّذي تَحاكمَا إليهِ: ألكُمَا ولدٌ، فقال: أحدُهُما لِي غلامٌ، وقال الآخرُ: لِي جاريَةٌ، فقال: أنكِحا الغُلَامَ الجاريَةَ، وأنفِقا على أنفسِكُما منهُ وتصدَّقا». [خ: ٣٢٨٥] [م: ١٧٢١]

* معناه ظاهرٌ، قيل: وفيه دلالةٌ على أنَّ من اشترى عَقارًا ـ والمرادُ به: الأرضُ ههنا ـ فوجدَ فيها دفينًا، فهو للبائعِ لم يدخُلْ في البيع؛ لأنَّه عليه السَّلام ذكرَ من غيرِ إنكارٍ، ولو لم يكنْ كذلك لأنكرَ، وهذا لأنَّه مودَعٌ فيها؛ كمَنِ اصطادَ سمكةً في بطنِها دُرَّةٌ، ثمَّ باعَ السَّمَكةَ، لا تخرجُ الدُّرَّةُ عن مِلكِه، بخلافِ المعدِنِ؛ فإنَّه مِن أجزاءِ الأرضِ، فتنتقلُ إلى مشترِيها.

---

(١) في (ن): «النافذة».

(٢) في (ن): «شقاوته».

(٣) في صحيح مسلم: «شرى»، قال الإمام النووي في «شرحه على صحيح مسلم» (١٢/ ١٩): هكذا هو في أكثر النسخ «شرى» بغير ألف وفي بعضها «اشترى» بالألف، قال العلماء: الأوَّلُ أصحُّ، وشرى هنا بمعنى: باع، كما في قوله تعالى: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾ [يوسف: ٢٠]، ولهذا قال: «فقال الذي شرى الأرض: إنما بعتك»، والله أعلم.

وقوله: (**فتحَاكَمَا**) ظاهرُه يشيرُ إلى أنَّ الرجلَ لم يكنْ حاكمًا في البلدِ، وإنَّما حكَّماه، ففيه دليلٌ على جواز التَّحكيمِ، ولكنَّ ذلك المحكَّم لم يحكمْ بينهما، وإنَّما أصلحَ بينهما بأنْ يُنفِقَا ذلك المالَ على ولدَيهما وأنفسِهما، حيثُ لم يجدْ له مُدَّعيًا، ورأى أنَّهما كانا أحقَّ من غيرِهما.

١٦٦٦ـ (ق): ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهمَا: «أَصَبتَ بعضًا، وأخطَأْتَ بعضًا».

[خ: ٦٦٣٩] [م: ٢٢٦٩]

قالهُ لأبي بكرٍ رضي الله عنه.

* قال: أتى رجلٌ رسولَ الله ﷺ فقال: يا رسولَ الله، إنِّي أرى في المنام ظُلَّةً تنطُفُ السَّمنَ والعسلَ، فأرى النَّاس يتكفَّفون منها بأيديهم، فالمستكثِرُ والمستقِلُّ، وأرى سببًا واصلًا من السماءِ إلى الأرضِ، فأراكَ أخذْتَ به فعلَوتَ، ثمَّ أخذَ به رجلٌ من بعدِكَ فعَلا، ثمَّ أخذَ به رجلٌ آخرُ فعَلا، ثمَّ أخذَ به رجلٌ آخرُ فانقطعَ، ثمَّ وُصِلَ له فعَلا، قال أبو بكرٍ رضي الله عنه: يا رسولَ الله، بأبي أنت وأمِّي، واللهِ لَتدَعَنِّي فلَأَعْبُرَها، قال رسولُ الله ﷺ: «اعبُرْها». قال أبو بكرٍ: أمَّا الظُّلَّةُ؛ فظُلَّةُ الإسلامِ، وأمَّا الذي تنطُفُ من السَّمنِ والعسلِ؛ فالقرآنُ حلاوتُه ولينُه، وأمَّا ما يتكفَّفُ النَّاسُ من ذلك؛ فالمستكثِرُ من القرآنِ والمستقِلُّ، وأمَّا السَّببُ الواصلُ من السماءِ إلى الأرضِ؛ فالحقُّ الذي أنتَ عليه، تأخذُ به فيُعْلِيكَ اللهُ، ثمَّ يأخذُ به رجلٌ بعدَكَ فيعلو به، ثمَّ يأخذُ به رجلٌ آخرُ فيعلو به، ثمَّ يأخذُ به رجلٌ آخرُ فينقطعُ به، ثمَّ يوصَلُ له فيعلو به، فأخبِرْني يا رسولَ الله بأبي أنت وأمِّي، أصبتُ أم أخطأتُ؟ فقال رسولُ الله ﷺ: «**أَصَبتَ بعضًا وأخطَأْتَ بعضًا**»، قال: فوالله لَتُحَدِّثَنِّي ما الذي أخطأتُ، قال: «**لا تُقسِمْ**».

الظُّلَّةُ: هي السَّحابةُ.

و(**تنطُفُ**) بضمِّ الطَّاء المهملة وكسرِها؛ أي: تقطرُ قليلًا قليلًا[١].

وقوله: (**يتكفَّفون**) أي: يأخذونَ بأكفِّهم[٢]، و(**السَّببُ**) الحبلُ.

والفاءُ في (**فلَأَعبُرَها**) زائدةٌ، و(**أعبُرَها**): منصوبٌ بلام «كي». وقيل: يجوز أنْ تكونَ اللَّامُ للأمرِ فيُجزم، وليس لامَ القسمِ؛ لأنَّه يلزمُ أنْ يكونَ مفتُوحًا، وتدخلُ النُّونُ في فعلِها[٣].

وفي الحديثِ: دليلٌ على جوازِ الحلِفِ على الغيرِ وإبرارِ الحالفِ؛ فإنَّه عليه السلام أجابَ طلبَتَه[٤] وأبرَّ قسَمَه، فقال له: «اعبُرْها».

وعلى تمكُّنِ أبي بكرٍ من علم التَّعبيرِ، وعن هذا قيل: تصويبُ النبيِّ وتخطئتُهُ إيَّاه لم يكنْ في أجزاءِ تعبيرِه، بل معناه: أصبتَ في تعبيرِها، وصادفْتَ حقيقةَ تأويلِها، وأخطأتَ في مبادرتِكَ إلى ذلك من غيرِ أنْ آمرَكَ به.

وقيل: هذا فاسدٌ؛ لأنَّه عليه السلام قد أذِنَ له في ذلك، وإنَّما الخطأُ وقعَ في تفسيرِ بعضِها؛ فإنَّ الصِّدِّيقَ فسَّر السَّمنَ والعسلَ بالقرآنِ، أحدُهما في حلاوتِه، والآخرُ في لينِه، وذلك تفسيرُ العسلِ فقط، وأمَّا تفسيرُ السَّمنِ فهو السُّنَّةُ، فكان حقُّه أنْ يقولَ: الكتابُ والسُّنة، وإلى هذا أشار الطَّحاويُّ[٥].

---

(١) انظر: «شرح النووي على مسلم» (١٥/ ٢٨).

(٢) انظر: «المعلم بفوائد مسلم» للمازري (٣/ ٢١١).

(٣) انظر: «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» لأبي العباس القرطبي (٦/ ٣١).

(٤) في (ع) و(ن) و(ص): «طلبه».

(٥) انظر: «شرح مشكل الآثار» للطحاوي (٢/ ١٥٠).

والحاصلُ: أنَّه فسَّر السَّمنَ والعسلَ بالقرآنِ، وكان الحقُّ تفسيرَ العسلِ بالقرآنِ، والسَّمنِ بالسُّنَّةِ.

وقيل: الخطأُ وقعَ في خلعِ عثمانَ؛ لأنَّه ذكَرَ في المنامِ أنَّه أخذَ بالسَّببِ فانقطعَ به، وذلك يدلُّ على انخلاعِه بنفسِه، وفسَّره الصِّدِّيقُ بأنَّه يأخذُ به ثمَّ ينقطعُ به، ثمَّ يوصَلُ له فيتعلَّقُ به، وعثمانُ قد خُلِعَ قهرًا، وقُتِلَ ووُلِّيَ غيرُه، فالصَّوابُ في تفسيره: أنْ يُحمَلَ وصلُه على ولايةِ غيرِه من قومِه[1].

قيل: وفيه نظرٌ؛ لأنَّه قال: ووُصِلَ له فعَلا، وذلك يُستعمَلُ فيما هو له لا لغيرِه.

وأقولُ: الكفُّ عمَّا لم يُبيِّنْه النَّبيُّ عليه السلام بعدَ الإقسامِ على البيانِ، ولم يُبيِّنْه الصَّحابةُ والعلماءُ السَّلفُ إن لم يكنْ واجبًا، فلا أقلَّ من الاستحبابِ.

قيل: وإنَّما لم يُبيِّنْه ﷺ؛ لأنَّه ليسَ من الأحكامِ التي أُمِرَ بتبليغِها، ولا مسَّتْ إليه حاجةٌ، وربَّما لو عيَّنَ أفضى إلى تألُّم القلوبِ في أمرِ الخلافةِ، وإبرارُ القسَمِ إنَّما هو إذا كان في ذلك مصلحةٌ.

وفيه: جوازُ تعبيرِ الرُّؤيا، وأنَّ عابرَها قد يصيبُ وقد يُخطِئ، وأنَّ الرُّؤيا ليست لأوَّلِ عابرٍ مطلقًا، وإنَّما هي له إذا أصابَ وجهَها.

وقوله: (**لا تُقسِمْ**) مع أنَّه قد أقسَمَ، معناه: لا تُعِدِ القسَمَ.

١٦٦٧ـ (م): أبو هُريرة رضي الله عنه: «أضلَّ اللهُ عَنِ الجُمُعةِ مَن كانَ قبلَنا، فكانَ لليهودِ يومُ السَّبتِ، وكانَ للنَّصارى يومُ الأحَدِ، فجاءَ اللهُ بنا فهدانا اللهُ ليومِ الجُمُعَةِ، فجعَلَ الجُمُعَةَ، والسَّبتَ، والأحَدَ، وكذلكَ هم تبعٌ لنا يومَ القيامَةِ، نحنُ

---

(١) انظر: «شرح النووي على مسلم» (١٥/ ٢٩).

الآخِرُونَ مِن أهلِ الدُّنيا، والأوَّلُونَ يومَ القيامَةِ، المقضيُّ لهم - ويُروى: بينَهُم - قبلَ الخلائِقِ». [م: ٨٥٦]

* **(أضلَّ اللهُ)** يدلُّ بظاهرِه على ما ذهبَ إليه أهلُ السُّنَّة أنَّ الهدى والضَّلالَ بإرادةِ الله وخلقِه(١).

وقوله: **(فكانَ لليهودِ يومُ السَّبتِ)** رُوي: أنَّ موسى عليه السلام أمرَهم بيوم الجمعةِ، وعيَّنَه لهم، وأخبرَهُم بفضيلَتِه على غيرِه، فناظَروه أنَّ السَّبتَ أفضلُ، فقال الله تعالى: «دعْهُم وما اختارُوا لأنفُسِهم»(٢).

ويدلُّ عليه قولُ النَّبيِّ عليه السلام في بعضِ طرقِ هذا الحديث: «وهذا يومُهم الذي فُرِضَ عليهم»(٣).

وقيل: إنَّ اللهَ تعالى لم يعيِّنْه لهم، وإنَّما أمرَهم بتعظيمِ يومٍ في الجمُعةِ، فاختلفَ اجتهادُهم في تعيينِه، فعيَّنتِ اليهودُ السَّبتَ؛ لأنَّ اللهَ فرَغَ فيه من الخلقِ، وعيَّنتِ النَّصارى يومَ الأحدِ؛ لأنَّ اللهَ تعالى بدأَ فيه بالخَلقِ، فالتزمَ كلُّ واحدٍ ما أدَّاه إليه اجتهادُه، وعيَّنَه اللهُ لهذه الأمَّة من غيرِ أنْ يَكِلَهم إلى اجتهادِهم، فضلًا منه ونعمةً، ويدلُّ عليه قولُه عليه السلام في روايةٍ أُخرى: «فهذا يومُهم الذي اختلفوا فيه»(٤)؛ أي: في تعيينِه، هدانا الله إليه بتعيينِه لنا لا باجتهادِنا(٥).

ولا يُتوهَّمُ أنَّ بينَ الرِّوايتين تنافيًا؛ إذ إحداهما تدلُّ على أنَّهم كانوا مأمورينَ به

---

(١) انظر: «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز» لابن عطية (٢/ ٣٤٤).

(٢) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (١٠/ ١٩٩).

(٣) رواه البخاري (٨٧٦)، ومسلم (٨٥٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) رواه مسلم (٨٥٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) انظر: «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» لأبي العباس القرطبي (٢/ ٤٩٢).

ـ أي: بيوم الجمُعةِ بعينهِ ـ وكان ذلك فرضًا، فتركُوه باختيارِهم لأنفسِهم، والأخرى تدلُّ على أنَّه لم يُعيَّن لهم، واجتهدوا في تعيينِه؛ لجوازِ أنَّ اللهَ فرضَ عليهم يومًا في الجُمُعة ولم يعيِّنْه، فاختلفوا فيه بآرائهم، وعيَّن كلُّ طائفةٍ يومًا، ثم عيَّنَه الله لهم، فناظَروه وجعلوا مختارَهم خيرًا ممَّا عُيِّنَ لهم، وأصرُّوا على ذلك.

وفصَلَ قولَه: (نحنُ الآخرُونَ مِن أهلِ الدُّنيا) للاستئنافِ؛ كأنَّ قائلًا قال: كيف يكونونَ تبعًا لنا ونحن بعدَهم؟ فقال: «نحنُ الآخرُونَ...» إلى آخره.

وفيه: بيانُ شرف هذه الأمَّة بشرفِ نبيِّهم ﷺ.

١٦٦٨ـ (ق): جابرٌ. (م): أنسٌ رضي الله عنهما: «اهتزَّ عرشُ الرَّحمنِ لموتِ سعدِ بنِ معاذٍ». [حديث جابر: خ: ٣٥٩٢، م: ٢٤٦٦] [حديث أنس: م: ٢٤٦٧]

* اختلفَ العلماءُ في معناه، فمنهم مَنْ قال: هو على حقيقتِهِ؛ لأنَّ العرشَ جسمٌ جازَ عليه الحركةُ والسُّكون، لكنْ بمجرَّدِ ذلك لا يحصُلُ المقصودُ؛ لأنَّه سيقَ لبيانِ فضيلَةِ سعدٍ، ولا فضيلةَ في مجرَّدِ الحركَةِ إلا أنْ يجعلَ الحركةَ علامةً يعرِفُ بها ملائكتُه وقوعَ هذا الأمرِ العظيمِ في الأرضِ.

ومنهم مَنْ قال: المرادُ: اهتزازُ أهلِ العرشِ، وهم حملتُه وغيرُهم من الملائكة.

والمرادُ بالاهتزازِ: الاستبشارُ والارتياحُ باتِّصالِ روحِ سعدٍ رضي الله عنه بأرواحِ أهلِ السَّعادةِ، ومنه قولُ العرب: فلانٌ يهتزُّ للمَكارمِ، ولا يُريدُون اضطرابَ جسمِهِ وحركَتَه، بل يريدون ارتياحَه إليها وإقبالَه عليها، والارتياحُ يستلزِمُ الاهتزازَ عادةً، فكان كنايةً.

وقيل: المرادُ: اهتزازُ سريرِ الجنازَةِ وهو النَّعشُ، وهو باطلٌ؛ لقوله عليه السَّلام: «عرشُ الرَّحمن»(١).

١٦٦٩ ـ (ق): أنسٌ رضي الله عنه: «باركَ اللهُ في ليلتِكُما». [خ: ٥١٥٣] [م: ٢١٤٤]

دعَا بهِ لأبِي طلحَةَ وأمِّ سُلَيمٍ.

* قال: مات ابنٌ لأبي طلحةَ من أمِّ سُليمٍ، فقالت لأهلِها: لا تُحدِّثوا أبا طلحةَ بابنِه حتَّى أُحدِّثَه، فجاءَ فقرَّبَتْ إليه شيئًا، فأكلَ وشربَ، ثمَّ تصنَّعتْ له أحسنَ ما كانت تصنعُ قبلَ ذلك، فوقعَ بها، فلمَّا رأتْ أنَّه قد شبعَ وأصابَ منها قالت: يا أبا طلحةَ، أرأيتَ لو أنَّ قومًا أعارُوا عاريتَهم أهلَ بيتٍ فطلبوا عاريتَهم، ألهم أنْ يمنعُوا؟ قال: لا، قالَتْ: احتسِبِ ابنَك، فغضِبَ وقال: تركتِني حتى تلطَّخْتُ ثمَّ أخبرتِني بابني؟ فانطلقَ حتَّى أتى رسولَ الله ﷺ، فأخبرَه بما كانَ، فقال: «**باركَ اللهُ لكما في ليلتِكُما**»، فحملَتْ فولدَتْ غلامًا ببركةِ دعائه عليه السَّلام، فبعثَه أبو طلحةَ إلى النَّبيِّ عليه السلام ومعه تمَراتٌ، فأخذَه النَّبيُّ عليه السلام فقال: «**أمعَه شيءٌ؟**» قالوا: نعم تمَراتٌ، فأخذها النَّبيُّ عليه السَّلام فمضَغَها، ثمَّ أخذَها من فيه، ثمَّ جعلَها في في الصَّبيِّ، ثم حنَّكَه وسمَّاه: عبدَ الله.

وفي الحديث: فضيلةٌ ومَنْقَبةٌ لأمِّ سُليمٍ بعِظَمِ صبرِها وحسنِ رضاها بقضاءِ الله، وكثرةِ عقلِها في إخفاءِ الأمرِ في أوَّل الليلِ ليبيتَ الرجلُ مُستريحًا بلا حُزْنٍ.

---

(١) انظر: «شرح النووي على مسلم» (١٦/ ٢٢).

وقوله: (ثمَّ حنَّكه) يدلُّ على استحبابِ التَّحنيكِ للمَولودِ بتمرٍ، فإنْ تعذَّرَ فبما في معناه من شيءٍ حلوٍ.

ويُستحَبُّ أنْ يكونَ المحنِّكُ من الصَّالحين، رجلًا كان أو امرأةً، فإنْ لم يكُنْ عندَ المولودِ يُحمَلُ المولودُ إليه.

١٦٧٠ـ (ق): أبو هُريرة رضي الله عنه: «تحاجَّتِ ـ ويُروى: احتجَّتِ ـ النَّارُ والجنَّةُ، فقالت هذِهِ: يدخُلُني الجبَّارونَ والمتكبِّرون، وقالت هذِهِ: يدخُلُني الضُّعفاءُ والمساكينُ، فقال اللهُ لهذِهِ: أنتِ عذابي أعذِّبُ بكِ مَنْ أشاءُ، وقال لهذِهِ: أنتِ رحمَتي أرحمُ بكِ مَن أشاءُ، ولكلِّ واحدَةٍ منكُما ملؤُها». [خ: ٤٥٦٩] [م: ٢٨٤٦]

* قيل: معناه: أنَّ اللهَ تعالى جعلَ في الجنَّة والنَّار تمييزًا يُدرِكانِ به فتحاجَّتا، ولا يلزمُ الدوامُ(١).

وقيل: هو من بابِ التَّمثيلِ.

وقولها: (**يدخُلُني الضُّعفاءُ**) أي: الخاضعون للهِ، ضدُّ المتَجبِّرين، وفيه: دَلالةٌ على أنَّ الجنَّةَ والنَّارَ موعُودَتان بالامتلاءِ، وقد تقدَّمَ أنَّه يكونُ بوضعِ قدَمِ ربِّ العزَّةِ في النَّارِ، وبوضعِ قدَمِ الرَّحمنِ في الجنَّةِ(٢).

١٦٧١ـ (م): ابنُ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنه: «تَرِبَتْ يَدَاكَ، أَتَشْهَدُ أَنِّي رسولُ اللهِ؟». [م: ٢٩٢٤]

---

(١) انظر: «شرح النووي على مسلم» (١٧/ ١٨١).

(٢) تقدم برقم: (٥٥٤).

قالَهُ لابنِ صيَّادٍ[1]

* تقدَّمَ الكلامُ عليه في البابِ السَّادسِ في قولِه عليه السَّلامُ[2]: «لو تركَتْهُ بيَّنَ».

١٦٧٢ـ (خ): أبو هُريرةَ رضيَ اللهُ عنه: «تَعِسَ عبدُ الدِّينارِ، وعبدُ الدِّرهمِ، وعبدُ الخَميصَةِ، إنْ أُعطِيَ رَضِيَ، وإِنْ لم يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ وانتكَسَ، وإذا شِيكَ فَلا انتَقَشَ، طُوبى لعبدٍ آخِذٍ بِعِنانِ فرَسِهِ في سبيلِ اللهِ، أشعَثَ رأسُهُ، مُغبَرَّةٍ قدَماهُ، إنْ كانَ في الحراسَةِ كانَ في الحراسَةِ، وإِنْ كانَ في السَّاقةِ كانَ في السَّاقةِ، إنِ استأذَنَ لم يُؤْذَنْ له، وإِنْ شَفَعَ لم يُشَفَّعْ». [خ: ٢٧٣٠].

*(تَعِسَ) أي: انكبَّ لوجهِه، وهو دعاءٌ عليه[3].

و(الخميصَةُ) كساءٌ أسودُ معلَّمٌ، قالَ ابنُ فارسٍ: فإنْ لم يكُنْ معلَّمًا فليسَ بخميصَةٍ[4]، و«نَكَسْتُ الشَّيءَ فانتكَسَ»؛ أي: قَلَبْتُه فانقلَبَ[5].

(وإذا شِيكَ) أي: إذا شاكَتْه شوكةٌ.

(فلَا انتقَشَ) أي: فلا يقدِرُ على انتقاشِها، وهو إخراجُها بالمنقاشِ[6].

و(الحراسَةُ) مصدرُ «حرسَه»: إذا حفظَه[7]، والمرادُ: حراسةُ العدوِّ أنْ يهجُمَ

(١) في (ن): «الصياد».

(٢) تقدم برقم: (١١٢٦).

(٣) انظر: «الغريبين في القرآن والحديث» لأبي عبيد الهروي (١/ ٢٥٦).

(٤) انظر: «مجمل اللغة» لابن فارس (ص: ٣٠٣).

(٥) انظر: «الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية» للجوهري (٣/ ٩٨٦).

(٦) انظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير (٢/ ٥١٠).

(٧) انظر: «الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية» للجوهري (٣/ ٩١٦).

عليهم، وذلك يكونُ في مقدِّمةِ الجيشِ، و(السَّاقةُ) مؤخِّرةٌ، والمعنى: ائتمارُه لِما أُمِرَ، وإقامتُه حيث أُقِيمَ، لا يُفقَدُ من مكانِه بحالٍ، وإنَّما ذكرَ الحراسةَ والسَّاقةَ؛ لأنَّهما أشدُّ مشقَّةً وأكثرُ آفةً، الأوَّلُ عند دخولِهم دارَ الحربِ، والآخَرُ عند خروجِهم منها.

وفيه: فضلُ الحراسةِ والجهادِ في سبيلِ اللهِ.

وفيه: فضلُ الاختفاءِ عن النَّاسِ بحيث لا يؤْبَهُ له ولا يُكترَثُ به.

١٦٧٣ـ (خ): أبو هُريرةَ رضيَ اللهُ عنه: «تكفَّلَ اللهُ لِمَن جاهَدَ في سبيلِهِ لا يُخرِجُهُ مِن بيتِهِ إلَّا الجهادُ في سبيلِهِ وتصديقُ كلماتِهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الجنَّةَ، أو يَرُدَّهُ إلى مَسْكَنِهِ بما نالَ مِن أجرٍ أو غنيمَةٍ». [خ: ٢٩٥٥] الحديث.

* قولُه: (**لا يُخرِجُهُ**) في محلِّ الحالِ، و(**كلماتِهِ**) قيل: ما وعدَ اللهُ تعالى في حقِّ المجاهدين من الدَّرجاتِ والمثوباتِ، وقيل: المرادُ بها: الشَّهادتان.

وقولُه: (**أنْ يُدخِلَه الجنَّة**) متعلِّقٌ بـ(تكفَّلَ)، وإدخالُه الجنَّةَ يحتملُ وجهين: أنْ يكونَ عند موتِه إذا ماتَ شهيدًا؛ كقولِه تعالى: ﴿بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]، فإنَّ أرواحَ الشُّهداءِ في الجنَّةِ، وأنْ يكونَ عند دخولِ السَّابقين والمقرَّبين بلا حسابٍ ولا عذابٍ ولا مؤاخَذةٍ بذنبٍ، فإنَّ السَّيفَ محَّاءٌ للذُّنوبِ.

وحاصلُ معناه: أنَّ الخارجَ إلى الجهادِ ضَمِنَ اللهُ له أنْ ينالَ الخيرَ في كلِّ حالٍ؛ إمَّا أنْ يستشهدَ فيدخُلَ الجنَّةَ، وإمَّا أنْ يرجعَ بأجرٍ، أو بأجرٍ وغنيمةٍ.

١٦٧٤ـ (ق): أَبو هُريرةَ رضيَ اللهُ عنه: «جاءَ ملَكُ الموتِ إلى مُوسى، فقالَ لهُ: أَجِبْ ربَّكَ، فلَطَمَ موسى عينَ ملَكِ الموتِ ففَقَأَها، فرجَعَ الملَكُ إلى اللهِ تعالى فقالَ: إنَّكَ أَرْسَلْتَني إلى عبدٍ لكَ لا يريدُ الموتَ، وقد فَقَأَ عيني، فردَّ اللهُ إليهِ عينَهُ وقال: ارجِعْ إلى عبدي فقُلْ: الحياةَ تريدُ؟ فإنْ كنتَ تريدُ الحياةَ فضَعْ يدَكَ على مَتْنِ ثورٍ، فما تَوارَتْ يَدُكَ من شعرِهِ فإنَّكَ تعيشُ بها سنَةً، قالَ: ثمَّ مَهْ؟ قالَ: ثمَّ الموتُ، قالَ: فالآنَ مِن قريبٍ، ربِّي أَدْنِني منَ الأرضِ المقدَّسَةِ رَمْيَةً بحجَرٍ، قالَ النَّبيُّ ﷺ: واللهِ لو أنِّي عندَهُ لَأَرَيْتُكُمْ قَبرَهُ إلى جنبِ الطَّريقِ عندَ الكثيبِ الأحمَرِ». [خ: ١٢٧٤] [م: ٢٣٧٢]

* بعضُ الملاحِدةِ نظروا إلى ظاهِرِ الحديثِ وفهِموا منه: أنَّ ملكَ الموتِ تمثَّلَ لموسى في صورةٍ لها عينٌ، وأنَّه دعاه ليقبضَ روحَه، وأنَّ موسى عرفَ أنَّه ملَكُ الموتِ، وأنَّه لطَمَه بيدِه على عينِه ففقَأَها، وقالوا: جميعُ ذلك محالٌ؛ نظرًا إلى الفاعلِ والقابلِ، والعلماءُ اشتغلُوا بتأويلِه، فقالَ بعضُهم: كانَتْ مُتخيَّلَةً لا حقيقةً، وهو باطلٌ؛ لأنَّه يُفضِي إلى أنْ يُقالَ: جميعُ ما يراه الأنبياءُ يجوزُ أنْ يكونَ كذلك، وفيه فسادٌ لا يخفى[1].

وقالَ آخرون: إنَّه تمثيلٌ، فإنَّ موسى ناظرَه وحاجَّه فغلَبَه بالحُجَّةِ، يُقالُ: «فلانٌ فقأَ عينَ فلانٍ»: إذا غلبَه بالحُجَّةِ[2]، وهو فاسدٌ؛ لأنَّه قالَ: (**فردَّ اللهُ عليهِ عينَه**)، وجعلُه بمعنى: ردَّ اللهُ عليه حُجَّتَه؛ بعيدٌ عن الإنصافِ.

وقيلَ: كانَ ذلك ابتلاءً لملَكِ الموتِ، فإنَّ اللهَ يمتَحِنُ عبادَه بأيِّ وجهٍ شاءَ، وليس بشافٍ؛ لأنَّه إنْ صحَّ إمكانُه من جهةِ القابلِ فليس الكلامُ فيها وحدَها، بل

---

(١) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (٦/ ١٣٢).

(٢) انظر: «التذكر بأحوال الموتى وأمور الآخرة» للقرطبي (ص: ٣١٢).

وفي جهةِ الفاعلِ أيضًا، فإنَّ وقوعَ مثلِ ذلك عن نبيٍّ مُرسَلٍ من أُولي العزمِ محالٌ.

وقالَ بعضُهم: إنَّ موسى لم يعرِفْ أنَّه ملكُ الموتِ، وأنَّه رأى رجلًا دخلَ منزلَه بغيرِ إذنِه يريدُ نفسَه، فدافعَ عن نفسِه، فلطمَ عينَه ففقأَها، ويجبُ المدافعةُ في مثلِ ذلك بكلِّ ممكنٍ.

ورُدَّ: بأنَّ ملكَ الموتِ رجَعَ إلى اللهِ فقالَ: (**يا ربِّ، أرسلتَني إلى عبدٍ لا يريدُ الموتَ**)، فلو لم يعرِفْه موسى لَما صحَّ هذا القولُ من ملكِ الموتِ.

وقالَ آخرون[1]: موسى عليه السَّلام عرَفَ أنَّه ملكُ الموتِ، وأنَّه جاءَ ليقبِضَ روحَه، لكنَّه جاءَ مجيءَ الجازمِ بأنَّه قد أُمِرَ بقبْضِ روحِه من غيرِ تخييرٍ، وعند موسى ما قد نصَّ عليه نبيُّنا عليه السَّلامُ أنَّ اللهَ تعالى لا يقبضُ روحَ نبيٍّ حتى يخيِّرَه، فلمَّا جاءَه على غيرِ الوجهِ الذي أُعلِمَ به بادرَ بشهامتِه وقوَّةِ نفسِه إلى أَدَبِ ملَكِ الموتِ، فلطَمَه ففقأَ عينَه؛ تأديبًا لملكِ الموتِ؛ إذ لم يُصرِّحْ له بالتَّخييرِ.

وممَّا يدلُّ على صحَّةِ هذا أنَّه لمَّا رجعَ إليه ملكُ الموتِ، فخيَّرَه بينَ الحياةِ والموتِ، اختارَ الموتَ واستسلمَ.

ورُدَّ: بأنَّه لمَّا علمَ أنَّه ملكُ الموتِ، ما كانَ له أنْ يُبادِرَ بلطمِه وتأديبِه وإنْ جاءَه مجيءَ الجازمِ؛ لأنَّ الظَّاهرَ أنَّ ملَكَ الموتِ لا يفعلُ مثلَ ذلك مع مثلِ موسى إلَّا إذا كانَ مأمورًا به.

وقالَ بعضُهم: إنَّ موسى عليه السَّلام لمَّا دنا وفاتُه ـ وهو بشرٌ يكرَه الموتَ طبعًا ويجدُ أَلَمَه حسًّا ـ لطفَ اللهُ به بأنْ لم يأمُرِ المَلكَ أنْ يأخُذَ روحَه قهرًا، بل أرسلَه إليه مُنذِرًا بالموتِ، وأمرَه بالتَّعرُّضِ له في صورةِ البشرِ على سبيلِ الامتحانِ، فلمَّا رآه

---

(١) في (ن) زيادة: «أن».

موسى استنكَرَ شأنَه، فاحتجزَ منه دفعًا عن نفسِه، فأتى ذلك على عينِه التي رُكِّبَتْ في الصُّورةِ البشريَّةِ التي جاءَ فيها دونَ صورتِه الملَكيَّةِ التي هو مجبولٌ عليها، وقد جَرَتِ السُّنَّةُ بدَفْعِ مَن قصدَ بسوءٍ[١]، كما جاءَ في الحديثِ: «مَنِ اطَّلَعَ في بيتِ قومٍ بغيرِ إذنِهم حلَّ لهم أنْ يَفْقَؤُوا عينَه»[٢]، ولمَّا عادَ الملَكُ إلى ربِّه ردَّ عينَه وأعادَه رسولًا إليه؛ ليعلَمَ نبيُّ اللهِ إذا رأى صحَّةَ عينِه المفقوءَةِ أنَّه رسولُ اللهِ، بعثَه اللهُ إليه ليقبضَ روحَه، فاستسلَمَ حينئذٍ لأمرِه، وطابَ نفسًا لقضائه.

وقولُه: (فالآنَ) هو اسمٌ لزمانِ الحالِ الذي يكونُ المتكلِّمُ عليها، وهو يدلُّ على أنَّ موسى لمَّا خيَّره اللهُ بين الحياةِ والموتِ، اختارَ الموتَ تشوُّقًا للقاءِ اللهِ عزَّ وجلَّ، واستعجالًا لِما عندَ اللهِ من الثَّوابِ، وهذا كما خيِّرَ نبيُّنا ﷺ فقالَ: «الرَّفيقَ الأعلى»[٣].

وقولُه: (ربِّ أَدْنِنِي[٤] مِن الأرضِ المقدَّسةِ[٥]) يعني: بيتَ المقدِسِ.

(رميةً بحجرٍ) أي: بمقدارِ ذلك، وإنَّما سألَ ذلك تبرُّكًا بالكونِ في تلك البقعةِ، وليُدفَنَ مع مَن فيها من الأنبياءِ والصَّالحين.

وقولُه: (واللهِ لو أنِّي[٦] عندَه لأريتُكُم قبرَه إلى جانبِ الطَّريقِ) أي: طريقِ

---

(١) انظر: «الأسماء والصفات» للبيهقي (٢/ ٤٤٩).

(٢) رواه مسلم (٢١٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاري (٤٤٦٣)، ومسلم (٢٤٤٤) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٤) في (م) و(ن): «وقوله: فسأل الله أن يدنيه».

(٥) في (ص) زيادة: «فسأل الله أن يدنيه من الأرض المقدسة».

(٦) في (م) و(ن) و(ص) و(ب): «وقوله: ولو كنت».

بيتِ المقدِسِ، وقد جاءَ في روايةٍ أُخرى: «إلى جانبِ الطُّورِ»[١]، والطُّورُ: هو الجبلُ بالسُّريانيَّةِ.

وقولُه: (فمَا توارَتْ يدُكَ) قيل: التَّاءُ الأُولى زائدةٌ؛ لأنَّ معناه: وارَتْ؛ أي: غطَّتْ[٢].

١٦٧٥ـ (ق): أَبو هُريرةَ رضيَ اللهُ عنه: «جَعَلَ اللهُ الرَّحمةَ مِئَةَ جُزءٍ، فأَمْسَكَ عِندَهُ تسعةً وتسعينَ، وأنزَلَ في الأرضِ جُزءًا واحدًا، فمِن ذلك الجزءِ يتراحَمُ الخلائقُ، حتَّى ترفَعَ الدَّابَّةُ حافِرَهَا عن وَلَدِهَا خَشْيَةَ أنْ تُصِيْبَهُ». [خ: ٥٦٥٤] [م: ٢٧٥٢]

* قد تقدَّمَ الكلامُ عليه في البابِ الثَّاني في قولِه عليه السَّلام[٣]: «إنَّ للهِ مئةَ رحمةٍ».

١٦٧٦ـ (خ): أَبو هُريرةَ رضيَ اللهُ عنه: «جفَّ القلَمُ بمَا أنتَ لاقٍ ـ وتمامُهُ ـ: فاخْتَصِ على ذلكَ أو ذَرْ». [خ: ٤٧٨٨].

* قالَ: قلْتُ: يا رسولَ اللهِ، إنِّي رجلٌ شابٌّ، وأنا أخافُ على نفسي العَنَتَ، ولا أجدُ ما أتزوَّجُ به النِّساءَ ـ كأنَّه يستأذِنُه في الاختِصَاءِ ـ فسكتَ عنِّي، ثمَّ قلتُ مثلَ ذلك فسكتَ عنِّي، ثمَّ قلتُ مثلَ ذلك فسكتَ عنِّي، ثمَّ قلتُ مثلَ ذلك، فقالَ النَّبيُّ ﷺ: «جفَّ القلَمُ بمَا أنتَ لاقٍ، فاخْتَصِ على ذلكَ أو ذَرْ».

---

(١) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٣٠٦٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) انظر: «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» لأبي العباس القرطبي (٦/ ٢٢٣).

(٣) تقدم برقم: (٣٧٥).

(العَنَتُ) هو المشقَّةُ، والمرادُ به ههنا: الفجورُ والزِّنا والإثمُ والوقوعُ في الأمرِ الشَّاقِّ(١).

وأمَّا **القلمُ**: فقد رُوي عن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما أنَّه قالَ: «أوَّلُ ما خلقَ اللهُ اللَّوحَ المحفوظَ، حفظَه اللهُ بما كتبَ فيه ممَّا كانَ وما يكونُ، ولا يعلمُ ما فيه إلَّا اللهُ، وهو من دُرَّةٍ بيضاءَ، قوائمُه ياقوتتانِ حمراوان، وهو في عِظَمٍ لا يُوصَفُ، وخلقَ اللهُ سبحانه وتعالى قلمًا من جوهرٍ طولُه خمسُمئةِ عامٍ، مَشْقُوقُ السِّنِّ، ينبَعُ النُّورُ منه كما ينبَعُ من أقلامِ أهلِ الدُّنيا المدادُ، قالَ: ثم نُودِيَ بالقلمِ: أنِ اكتُبْ، فاضطرَبَ مِن هولِ النِّداءِ حتَّى صارَ لهُ ترجيعٌ في التَّسبيحِ كصوتِ الرَّعدِ القاصفِ، ثمَّ جرَى في اللَّوحِ بما أَجراهُ اللهُ تعالى فيما هو كائنٌ وما يكونُ إلى يومِ القيامةِ، فامتلأَ اللَّوحُ، وجفَّ القلمُ، وسَعِدَ مَن سَعِدَ، وشَقِيَ مَن شَقِيَ»(٢).

ولعلَّ هذا معنى قولِه تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ﴾ [القمر: ٥٢ ـ ٥٣]، قال مقاتلٌ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾؛ أي: مكتوبٌ عليهم في اللَّوحِ المحفوظِ، ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ﴾ من الخَلْقِ والأعمالِ ﴿مُسْتَطَرٌ﴾ مكتوبٌ على فاعليه قبلَ أنْ يفعلُوه(٣).

وجفافُ القلمِ: كنايةٌ عن عدمِ جريانِهِ بالمقاديرِ، والفراغِ منها، تمثيلًا بما عَهِدْناهُ؛ إذ الكاتبُ إنَّما يَجِفُّ قلمُهُ إذا فرَغَ من الكتابةِ.

وحاصلُ معنى الحديثِ: أنَّ الاختصاءَ وتَرْكَهُ سواءٌ، فإنَّ ما قُدِّرَ لك من خيرٍ أو شرٍّ أنتَ لاقيهِ لا محالةَ.

---

(١) انظر: «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» للعيني (٢٠/ ٧٤).

(٢) لم أقف عليه.

(٣) انظر: «التفسير الوسيط» للواحدي (٤/ ٢١٦).

وقد وقعَ في بعضِ النُّسخِ: «فاختصِرْ على ذلكَ أو ذَرْ»(١) من الاختصارِ، قالُوا: هو تصحيفٌ؛ إذْ لا معنى له، حيث قالَ بعدَه: (أو ذَرْ)، ومعنى قولِه: (فَاخْتَصِ علَى ذلكَ) أي: على ذلكَ التَّقديرِ، وهو جفافُ القلمِ بما أنتَ لاقٍ.

١٦٧٧ـ (م): أبو قتادةَ رضيَ اللهُ عنه: «حَفِظَكَ اللهُ بما حَفِظْتَ بهِ نبيَّهُ».

[م: ٦٨١]

قالَهُ له سحَرَ ليلَةِ التَّعرِيسِ حينَ دَعَمَهُ ثالثةً.

* وقد تقدَّمَ الكلامُ عليه في البابِ الثَّاني في قولِه(٢): «إنَّكُم تَسيرُونَ عَشيَّتَكُم ولَيلتَكُم».

١٦٧٨ـ (ق): أبُو هُريرةَ رَضِيَ اللهُ عنه: «خَلَقَ اللهُ آدمَ وطولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا، ثُمَّ قالَ: اِذْهَبْ وسَلِّمْ على أولئكَ منَ الملائكَةِ، فاستمِعْ ما يُحَيُّونَكَ، فإنَّها تحيَّتُكَ وتحيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ، فقالَ: السَّلامُ عليكُم، فقالُوا: السَّلامُ عليكَ ورحمةُ اللهِ، وزادوهُ: ورحمةُ اللهِ، فكلُّ مَن يدخُلُ الجنَّةَ على صورَةِ آدمَ، قالَ: فلم يَزَلِ الخَلْقُ ينقُصُ حتَّى الآنَ».

[خ: ٣١٤٨] [م: ٢٨٤١].

* (آدمُ) أبو البشرِ، وكانَ أصلُه: أَأْدمُ، وقُلِبَت الهمزةُ الثَّانيةُ تخفيفًا، وسُمِّيَ بِهِ؛ لأنَّه أُخِذَ من أُدْمَةِ الأرضِ، وهي بياضٌ فيه سوادٌ(٣).

---

(١) وهي رواية البيهقي في «القضاء والقدر» (٢١٤) من رواية أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) تقدم برقم: (٤٨٢).

(٣) انظر: «العين» للخليل الفراهيدي (٨/ ٨٨).

والواو في قولِه: (**وطولُهُ**) للحالِ.

وقولُه: (**سِتُّونَ ذراعًا**) أي: من ذراعِ نفسِه، ويحتمِلُ أنْ يكونَ ذلك الذِّراعُ مقدَّرًا بأذرعتِنا المتعارفَةِ عندنا.

وقولُه: (**اِذْهَبْ فسلِّمْ علَى أولئكَ**) دليلٌ على تأكُّدِ حُكمِ السَّلامِ، وأنَّه ممَّا شُرِعَ وكُلِّفَ به آدمُ، ولم يُنسَخْ في شريعةٍ من الشَّرائعِ، فإنَّ اللهَ تعالى أخبرَ أنَّها تحيَّتُه وتحيَّةُ ذرِّيَّتِه من بعدِه، ثمَّ لم يَزلْ ذلك معمولًا به في الأممِ على اختلافِ شرائعِها إلى أن انتهى إلى نبيِّنا ﷺ، فأمرَ به وبإفشائه، وجعَلَه سببًا للمحبَّة الدِّينيَّةِ، ولدخولِ الجنَّةِ العليَّةِ.

وقولُه: (**فقالَ: السَّلامُ عليكُم**) دليلٌ على أنَّ المستحبَّ على المبتدِئِ بالسَّلامِ أن يقولَ: السَّلامُ عليكم، وقد تقدَّمَ الكلامُ عليه من البابِ الثَّالثِ في قولِه عليه السَّلامُ[١]: «لا تحقِرَنَّ من المعروفِ شيئًا»، وأمَّا زيادةُ الملائكةِ قولَهم: (**ورحمةُ اللهِ**) فهو مِن بابِ العملِ بقولِه تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ﴾ [النساء: ٨٦].

وروى أبو أمامةَ عن سهلٍ: أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ: «مَن قالَ: السَّلامُ عليكُم كُتِبَ له عشرُ حسناتٍ، ومَن قالَ: السَّلامُ عليكم ورحمةُ اللهِ كُتِبَ له عِشرونَ حسنةً، ومَن قالَ: السَّلامُ عليكُم ورحمةُ اللهِ وبركاتُه كُتِبَ له ثلاثون»[٢]، كذا في «بستانِ الفقيهِ أبي اللَّيثِ»[٣] رحمَه اللهُ.

---

(١) تقدم برقم: (٥٤١).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٦/ ٧٥) (٥٥٦٣)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٢٣١). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد» (٨/ ٣١): رواه الطبراني، وفيه موسى بن عبيدة الربذي، وهو ضعيف.

(٣) انظر: «بستان العارفين» لأبي الليث السمرقندي (ص: ٣٣١).

وقولُه: (وكلُّ مَنْ يَدْخُلُ الجنَّةَ على صُورةِ آدمَ) معناه: أنَّ اللهَ تعالى يُعيدُ أهلَ الجنَّةِ على خِلْقةِ[١] أبيهِم آدمَ، وعلى صفَتِه وطولِه الذي خلقَه عليه في الجنَّة.

وقولُه: (فلَمْ يَزَلِ الخَلْقُ) يعني: ولدَ آدمَ؛ أي: لم يَزلْ طولُه ينقُصُ عن ستِّينَ ذراعًا حتى الآنَ، ويتراءى أنَّ قولَه: (فلَمْ يَزلِ الخَلْقُ ينقُصُ) مُقدَّمٌ في التَّرتيبِ على قولِه: (وكلُّ مَن يدخُلُ الجنَّةَ على صورةِ آدمَ)، واللهُ أعلم.

١٦٧٩ـ (م): أبو هُريرةَ رضيَ اللهُ عنه: «خَلَقَ اللهُ التُّربَةَ يومَ السَّبتِ، وخلَقَ فيها الجبالَ يومَ الأحَدِ، وخلَقَ الشَّجرَ يومَ الاثنينِ، وخلَقَ المكرُوهَ يومَ الثُّلاثاءِ، وخلَقَ النُّورَ يومَ الأربعَاءِ، وبثَّ فيهَا الدَّوابَّ يومَ الخمِيسِ، وخلَقَ آدمَ بعدَ العصرِ مِن يومِ الجُمُعَةِ في آخِرِ الخَلْقِ في آخرِ ساعَةٍ منَ النَّهارِ فيما بينَ العصرِ إلى اللَّيلِ». [م: ٢٧٨٩].

*(التُّربَةَ) هي الأرضُ، و(يوم السَّبتِ) بالعربيِّ معلومٌ.

قولُه: (وخلَقَ المكرُوهَ يومَ الثُّلاثاءِ) كذا وقعَ في «صحيحِ مسلم»، ووقعَ في غيرِهِ: «وخلَقَ اللهُ التِّقْنَ يومَ الثُّلاثاءِ»[٢]، وهو ما يقومُ بِهِ المعاشُ ويصلُحُ بِهِ التَّدبيرُ؛ كالحديدِ وغيرِه من جواهرِ الأرضِ، وكلُّ شيءٍ يقومُ بِهِ صلاحُ شيءٍ فهو تِقْنُه، ولا تنافيَ بين الرِّوايتين؛ لجوازِ أنْ يُقالَ: إنَّ اللهَ تعالى خلقَهما يومَ الثُّلاثاءِ[٣].

---

(١) في (ن): «صورة».

(٢) قال الزبيدي في «تاج العروس من جواهر القاموس» (٣٤/ ٣١٧): ذكره العلامة ابن ثابت في «شرح حديث بدء الخلق»: «وخلق التقن يوم الأربعاء»، وذكره أيضًا الحافظ أبو بكر ابن العربي رحمه الله تعالى في «ترتيب رحلته».

(٣) انظر: «شرح النووي على مسلم» (١٧/ ١٣٣).

وقولُـه: (وخلَـقَ النُّـورَ يومَ الأربعـاءِ) في «صحيحِ مسـلمٍ» بالـرَّاءِ، وفي غيرِه: بالنُّـونِ[1]، وهـو الحـوتُ، ولا تنافـيَ بينهمـا؛ لِمَـا تقـدَّمَ، والنُّـورُ هـو الظَّاهـرُ فـي نفسِـه المُظهِـرُ لغيرِه.

١٦٨٠ـ (م): العبَّاسُ بنُ عبدِ المطَّلبِ رضيَ اللهُ عنه: «ذاقَ طعمَ الإيمَانِ مَن رضِيَ باللهِ ربًّا، وبالإسلامِ دِينًا، وبمحمَّدٍ رسولًا». [م: ٣٤].

* شبَّهَ الأمرَ الحاصلَ الوجدانيَّ من الرِّضا بالأمورِ المذكورةِ بمطعومٍ يُتَلَذَّذُ بتناولِه، ثمَّ ذكرَ المشبَّهَ دونَ المشبَّهِ به، ورشَّحَ بقولِه: (ذاقَ)، والرِّضا بهذه الأمورِ يُعتبَرُ على نوعين:

عامٌّ: وهو أنْ يتَّخِذَ اللهَ ربًّا، والإسلامَ دِينًا، ومحمَّدًا رسولًا، والإسلامُ بدونِ هذا الرِّضا لا يتحقَّقُ.

وخاصٌّ: وهو الذي عُرِّفَ بسكونِ القلبِ إلى أحكامِ المرضيِّ ما له وما عليه، وهو ينقسِمُ إلى الرِّضا به؛ يعني: مدبِّرًا، وإلى الرِّضا عنه؛ يعني: فيما قضَى وحكمَ، وهذا بالنِّسبةِ إلى اللهِ ورسُولِه؛ لتصوُّرِ الحُكمِ منهما، وأمَّا في الإسلامِ فتجعلُ الباءُ بمعنى: «في»، ويعودُ الأمرُ إلى القسمَين الأوَّلَين، ولا بأسَ بذلك في مقامِ الإطنابِ.

١٦٨١ـ (خ): أنـس رضـيَ اللهُ عنـه: «ذهَـبَ المفطِـرُونَ اليـومَ بالأَجْـرِ». [خ: ٢٧٣٣].

---

(١) قال النووي في «شرحه على مسلم» (١٧/ ١٣٤): وروايات ثابت بن قاسم: «النون» بالنون في آخره، قال القاضي: وكذا رواه بعض رواة «صحيح مسلم».

* قالَ: كنَّا مع النَّبيِّ ﷺ في سفرٍ، فمنَّا الصَّائمُ ومنَّا المفطرُ، فنزَلْنا منزلًا في يومٍ حارٍّ، أكثرُنا ظلًّا صاحبُ الكساءِ، ومنَّا مَن يتَّقِي الشَّمسَ بيدِه، فسقطَ الصُّوَّامُ، وقامَ المفطرونَ فضرَبُوا الأبنيةَ وسَقَوا الرِّكابَ، فقالَ رسولُ اللهِ... الحديثَ.

وفيه: دليلٌ على جوازِ الإفطارِ والصَّومِ في السَّفرِ؛ لأنَّه ﷺ قرَّرَ كلًّا من الفريقين على ما كانَ عليه من صومٍ وإفطارٍ.

وقولُه: (ذهبَ المفطرونَ بالأجرِ) يحتملُ وجهَين:

أحدُهُما: أنْ تكونَ اللَّامُ في (الأجرِ) للعهدِ، يُشيرُ إلى أجرِ تلك الأفعالِ التي فعلوها، والمصالحِ التي جرَتْ على أيديهِم.

والثَّاني: أنْ تكونَ للجنسِ، ويكون قد بلغَ أجرُهُم أجرًا يتناولُ أجرَ الأفعالِ وصيامَ الصَّائمين.

وقد تقدَّمَ الكلامُ على أنَّ الصَّومَ أفضلُ أو الإفطارَ في البابِ السَّادسِ في قولِه[1]: «ليسَ مِن البرِّ الصِّيامُ في السَّفرِ».

١٦٨٢ـ (ق): أبو هُريرةَ رضيَ اللهُ عنه: «رأى عيسى ابنُ مريمَ رجُلًا يسرِقُ، فقالَ لهُ: سَرَقْتَ، فقالَ: كلَّا والَّذي لا إلهَ إلَّا هو، فقالَ عِيسَى: آمَنْتُ باللهِ وكَذَّبْتُ عَيْني». [خ: ٣٢٦٠] [م: ٢٣٦٨]

* ظاهرُ قولِ عيسى لهذا الرَّجلِ: (سَرَقْتَ) أنَّه إخبارٌ عمَّا فعلَ الرَّجلُ من فِعلِ السَّرقةِ، ويحتملُ أنْ يكونَ مُستفهِمًا، وقد حذفَ همزةَ الاستفهامِ.

---

(١) تقدم برقم: (١٠٨٤).

وقولُه: (وكذَّبْتُ عيني) أي: فيما ظهرَ لها من سرقةِ الرَّجلِ بناءً على أنَّ كاملَ الإيمانِ لا يحلفُ باللهِ كاذبًا، فلمَّا قالَ له عيسى: (سَرَقْتَ)، وقالَ: (كلَّا) وأكَّدَ ذلك بحلفِهِ، صدَّقَه عيسى وكذَّبَ عينَهُ.

ويحتملُ أنْ يكونَ التَّكذيبُ بناءً على أنَّ عيسى حملَ أخْذَ الرَّجلِ على أنَّ له فيه حقًّا، وأنَّ صاحبَه أَذِنَ له في ذلك، أو أنَّه أخذَه ليقلِّبَه وينظُرَ إليه ثمَّ يرُدَّه.

١٦٨٣ ـ (م): أبو هُريرةَ رضيَ اللهُ عنه: «رَغِمَ أنفُ، ثمَّ رَغِمَ أنفُ، ثمَّ رَغِمَ أنفُ مَن أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ عِنْدَ الكِبَرِ أحدِهِما أو كِلَيهِما فلم يَدْخُلِ الجنَّةَ». [م: ٢٥٥١]

* حذفَ المضافَ إليه عن كلِّ واحدٍ من الأُولَيَين بدلالةِ الثَّالثِ عليه، كما في قولِه[١]:

إلَّا عُلالَةَ أو بُداهَةَ سابحٍ

ويجوزُ أنْ يكونَ المضافُ إليه المذكورُ للأوَّلِ، وحُذِفَ عن الباقيَين.

و(رَغِمَ) نُقِلَ بفتح الغينِ وكسرِها، ومعناه: لَصِقَ أَنْفُه بالرُّغامِ، وهو التُّرابُ المختلطُ بالرَّملِ، وقيل: الرَّغْمُ: كلُّ ما أصابَ الأنفَ ممَّا يُؤذِيه[٢]، والمرادُ به ههنا وفي أمثالِه: الذُّلُّ والعَجْزُ.

---

(١) البيت للأعشى في «ديوانه» (ص: ١٥٥)، وتمامه:

إلّا عُلَالَــةَ أو بُــدا هةَ سابحٍ نَهْدِ الجُزارهْ

ومعنى نهد: القوي الضخم. والجزارة: أطراف البعير؛ اليدان، والرجلان، والرأس. انظر: «الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية» للجوهري (٢/ ٦١٢).

(٢) انظر: «شرح النووي على مسلم» (١٦/ ١٠٩).

وقولُه: (**أحدِهما**) بدلٌ من (أَبَوَيه) بدلُ البعضِ.

وفيه: الحثُّ على برِّ الوالدين وعِظَمُ ثوابِه، ومعناه: أنَّ برَّهما عند كِبَرِهما وضعفِهما بالخِدْمةِ والنَّفقةِ ونحوهما سببٌ لدُخولِ الجنَّةِ، فمَن قصَّرَ في ذلك فقد فاتَه دخولُها، وأرغَمَ اللهُ أنفَه؛ أي: أذَلَّه بالإدخالِ في النَّارِ؛ لأنَّه إذا لم يدخلِ الجنَّةَ دخلَ النَّارَ؛ لعدمِ ثالثٍ، وهذا على تقديرِ عدمِ القولِ بالأعرافِ[1]، وعلى تقديرِ وجودِه، وتقديرِ أنْ يكونَ من أهلِه كفاهُ الحرمانُ عن دخولِ الجنَّةِ.

١٦٨٤ـ (خ): أبـو بكـرَةَ رضـيَ اللهُ عنـه: «زادَكَ اللهُ حِرْصًـا، ولا تَعُـدْ».

[خ: ٧٥٠]

قالَهُ له.

* قالَ: إنَّه انتهى إلى النبيِّ ﷺ وهو راكعٌ، فركعَ قبلَ أنْ يَصِلَ إلى الصَّفِّ، فذُكِر ذلك للنَّبيِّ ﷺ فقالَ... الحديث.

هـذا لفـظُ البـخاريِّ، ورواه أبـو داود أَبْيَنَ من هذا قالَ: إنَّ أبا بكرةَ جاءَ ورسولُ اللهِ ﷺ راكعٌ، فركعَ دون الصَّفِّ، ثمَّ مشى إلى الصَّفِّ، فلمَّا قضى النَّبيُّ ﷺ صلاتَه قال: أيُّكم الذي ركعَ دون الصَّفِّ ثمَّ مشى إلى الصَّفِّ؟ فقال أبو بكرَةَ: أنا، فقال النَّبيُّ عليه السَّلامُ... الحديثَ[2].

واختلـفَ النَّـاسُ فـي معنـى قولِـه: (**لا تَعُدْ**) فقيـل: معنـاه: **لا تَعُـدْ** تركَعُ دون

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٢/ ٤٥٦)، و«فتح الباري» لابن حجر (١١/ ٣٩٧).

(٢) رواه أبو داود (٦٨٤).

الصَّفِّ، وقيل: لا تَعُدْ أنْ تسعى إلى الصَّلاةِ سعيًا[١]، وقيل: أي: لا تُبْطِئْ حتى تفوتكَ الرَّكعةُ[٢].

وقالُوا: النَّهيُ للإرشادِ دون التَّحريمِ؛ لأنَّه لم يأمُرْ بالإعادةِ، وهو قولُ أبي حنيفةَ والثَّوريِّ ومالكٍ وابنِ المباركِ والشَّافعيِّ[٣].

وفيه: دليلٌ على أنَّه لا يركعُ قبل الصَّفِّ، فإنْ فعَلَ جازَتِ الصَّلاةُ؛ لأنَّ الدُّخولَ في الصَّفِّ ليس من شرائطِ صحَّتِها.

وقال أهلُ الظَّاهرِ: إنْ ركعَ دون الصَّفِّ بطلَتْ صلاتُه[٤]، فعلى قولِ الجماعةِ يكونُ قولُه: (لا تَعُدْ) بالمعنى الأوَّلِ والنَّهيُ للإرشادِ، وعلى قولِ أهلِ الظَّاهرِ بذلك المعنى والنَّهيُ للتَّحريمِ.

١٦٨٥ـ (م): أَبو هُريرةَ رضيَ اللهُ عنه: «سَمِعْتُمْ بمدينَةٍ جانِبٌ منها في البرِّ وجانِبٌ منها في البحرِ؟ قالوا: نعم يا رسولَ اللهِ، قالَ: لا تقومُ السَّاعةُ حتَّى يَغْزُوَها سبعُونَ ألفًا مِن بَني إسحاقَ، فإذا جاؤُوهَا نَزَلوا فلم يُقاتِلوا بسِلاحٍ ولم يَرْموا بسَهْمٍ، قالوا: لا إلهَ إلَّا اللهُ واللهُ أكبرُ، فيَسْقُطُ أحدُ جانِبَيْها الَّذي في البحرِ، ثمَّ يقولونَ الثَّانيةَ: لا إلهَ إلَّا اللهُ واللهُ أكبرُ، فيَسْقُطُ جانِبُها الآخَرُ، ثمَّ يقولُونَ الثَّالثةَ: لا إلهَ إلَّا اللهُ واللهُ أكبرُ، فيُفْرَجُ لهم فيَدْخُلُونَها، فيَغْنَمُونَ، فبَيْنا هُم يَقْتَسِمُونَ المغانِمَ إذ جاءَهُمُ الصَّريخُ، فقالَ: إنَّ الدَّجَّالَ قد خَرَجَ، فيَتْرُكُونَ كلَّ شيءٍ ويَرْجِعُونَ». [م: ٢٩٢٠]

---

(١) انظر: «شرح معاني الآثار» للطحاوي (١/ ٣٩٥ـ٣٩٦).

(٢) انظر: «البيان في مذهب الإمام الشافعي» للعمراني (٢/ ٤٣١).

(٣) انظر: «شرح سنن أبي داود» لابن رسلان (٤/ ١٩١).

(٤) انظر: «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (٢/ ٤٠١).

* **المدينةُ**: هي القُسطنطينيَّةُ على ما صرَّحَ بذلك في روايةٍ أخرى، وقد تقدَّمَ الكلامُ على فتحِها في البابِ الثَّالثِ في قولِه عليه السَّلامُ[1]: «لا تقومُ السَّاعةُ حتى ينزِلَ الرُّومُ بالأعماقِ أو بدَابِقَ».

وقد اعترُضَ عليه بأنَّ هذا الحديثَ يقتضِي أنْ يكونَ فتحُ قسطنطينيَّةَ بالذِّكرِ بالتَّكبيرِ والتَّهليلِ، والحديثُ الذي تقدَّمَ في البابِ الثَّالثِ يقتضِي أنْ يكونَ بالقتالِ؛ لِمَا فيه من قولِه عليه السَّلامُ: «فيُقاتلُهم المسلمون، فينْهَزِمُ ثلثٌ لا يتُوبُ اللهُ عليهم أبدًا، ويُقتَلُ ثلثُهم أفضلُ الشُّهداءِ عند اللهِ، ويَفتَتِحُ الثُّلثُ لا يُفتَنُون أبدًا، فيَفتَتِحُونَ قُسْطَنطِينِيَّةَ»، وهذا كما ترى يقتضي أنْ يكونَ الفتحُ بالقتالِ.

وأُجيب: بأنَّ القتالَ المذكورَ فيه يجوزُ أنْ يكونَ قبل الفتحِ؛ لأنَّه عطفَ الفتحَ بالفاء، وهو يقتضِي التَّعقيبَ، فيجوزُ أنْ يكونَ الرُّومُ قد انهزَمَ إلى قسطنطينيَّةَ وتبعَهم المسلمون، فحصلَ الفتحُ بالتَّكبيرِ والتَّهليلِ.

وذكرَ في هذا الحديثِ أنَّ الغُزاةَ من بني إسحاقَ، وهو المشهورُ.

وقد رُوي: من بني إسماعيلَ[2]، وقوَّوْا ذلك بأنَّ النَّبيَّ ﷺ أرادَ العربَ، وهم من بني إسماعيلَ، وهو خلافُ المشهورِ من الرِّوايةِ، فمنهم مَن أوَّلَ هذه الرِّوايةَ بأنَّ المرادَ: بنو إسحاقَ، لكن نُسِبُوا إلى عمِّهم وأُطلِقَ عليهم ما يُطلَقُ على ولدِ الأبِ.

وظاهرٌ أنَّه ليس المرادُ بفتحها ما فُتِحَتْ في زمنِ بعضِ أصحابِ النَّبيِّ عليه السَّلامُ؛ لأنَّ هذا الفتحَ لا بدَّ وأنْ يكونَ عند خروجِ الدَّجَّالِ، والله أعلم.

---

(١) تقدم برقم: (٥٩٩).

(٢) رواه مسلم (٢٩٢٠) بلفظ: «يغزوها سبعون ألفًا من بني إسحاقَ». قال القاضي في «إكمال المعلم بفوائد مسلم» (٨/ ٤٦٤): كذا في سائر الأصول، قال بعضهم: المعروف المحفوظ: «من بني إسماعيل»، وهو الذي يدل عليه الحديث وسياقه؛ لأنه إنما يعني العرب والمسلمين.

١٦٨٦ـ (ق): عليٌّ رضيَ اللهُ عنه: «شَغَلُونَا عنِ الصَّلاةِ الوُسْطَى صلاةِ العصرِ، ملأَ اللهُ قُبُورَهم وبُيُوتَهم نارًا». [خ: ٢٧٧٣] [م: ٦٢٧]

قالَهُ يومَ الخَندَقِ.

* (يوم الخندق) هو يومُ الأحزابِ، قالَ عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضي الله عنه: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ يومَ الأحزابِ: «شغلُونا...» إلى آخرِه، ثمَّ صلَّاها بين المغربِ والعشاءِ.

وفي الحديثِ دلالةٌ ظاهرةٌ(١) لا مدفعَ لها على أنَّ الصَّلاة الوُسْطى هي صلاة العصر، وهو المرويُّ عن عامَّةِ الصَّحابةِ؛ كعليٍّ وابنِ مسعودٍ وأبي أيُّوبَ وابنِ عمرَ وابن عبَّاسٍ وأبي سعيدٍ الخدريِّ وأبي هريرةَ رضي الله عنهم، وتابعَهم الحسنُ البصريُّ والنخعيُّ وقتادةُ والضَّحَّاكُ والكلبيُّ ومقاتلٌ وأبو حنيفةَ(٢) وأحمدُ(٣) وداود وابنُ المنذرِ وغيرُهم.

وقالت طائفةٌ: هي الصُّبحُ، وهو منقولٌ عن ابنِ عمرَ في روايةٍ ومعاذٍ وابن عبَّاسٍ وجابرٍ، وقال به عطاءٌ وعكرمةُ ومجاهدٌ والرَّبيعُ ومالكٌ(٤) والشَّافعيُّ(٥)،

---

(١) انظر: «مصنف عبد الرزاق» (١/ ٥٧٦) كتاب الصلاة، باب صلاة الوسطى، و«مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ٢٤٣) كتاب صلاة التطوع، باب: في قوله تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، و«تفسير الطبري» (٥/ ١٦٨)، و«شرح النووي على مسلم» (٥/ ١٢٨)، و«تفسير الثعلبي» (٢/ ١٩٥)، و«تفسير البغوي» (١/ ٢٨٧).

(٢) انظر: «فتح القدير» للكمال بن الهمام (١/ ٤٩٠).

(٣) انظر: «المغني» لابن قدامة (٢/ ١٨).

(٤) انظر: «الإشراف على نكت مسائل الخلاف» للقاضي عبد الوهاب (١/ ٢٠٧).

(٥) انظر: «الحاوي الكبير» للماوردي (٢/ ٧).

وهم محجوجون بالحديثِ، ويؤيِّدُه ما رُوي: أنَّ عليًّا رضي الله عنه سُئل عن الصَّلاة الوسطى فقال: «كنَّا نرى أنَّها صلاةُ الفجرِ حتَّى سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يومَ الخندقِ»[1]، وذكرَ الحديثَ.

وقالت طائفةٌ أخرى: هي الظُّهرُ، وهو منقولٌ عن زيدِ بن ثابتٍ وأسامةَ بن زيدٍ وأبي سعيدٍ وعائشةَ، والحجَّةُ عليهم ما مرَّ.

وقال قبيصةُ بنُ ذُؤيبٍ: هي المغربُ[2].

وقال غيرُه من المتأخِّرين: هي العشاءُ[3]، ولم يذهَبْ إليه أحدٌ من المتقدِّمين.

وقيل: هي في الخمسِ مُبهمةٌ[4]، أبهمَها اللهُ تحريضًا للخَلْقِ على المحافظةِ على أداءِ جميعِها كما أخفَى ليلةَ القدرِ في شهرِ رمضانَ، وساعةَ الإجابةِ يومَ الجمُعةِ، والحجَّةُ عليهم ما مرَّ.

١٦٨٧ـ (خ): أبو سعيدٍ رضيَ اللهُ عنه: «صَدَقَ ابنُ مسعُودٍ، زوجُكِ ووَلَدُكِ أحقُّ مَن تَصَدَّقْتِ به عليهِم». [خ: ١٣٩٣]

* قد تقدَّمَ الكلامُ عليه في البابِ الخامسِ في قولِه عليه السَّلامُ[5]: «يا معشرَ النِّساءِ، تَصَدَّقْنَ».

---

(١) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (٢٢٦٠)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (١٠٣٠)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٣/ ٢٨١) (٢١٩١).

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (٥/ ٢١٤).

(٣) انظر: «كشف المشكل من حديث الصحيحين» لابن الجوزي (١/ ١٨٦).

(٤) انظر: «شرح النووي على مسلم» (٥/ ١٢٩).

(٥) تقدم برقم: (١٠٢٦).

١٦٨٨ـ (ق): أبو سعيدٍ رضيَ اللهُ عنه: «صَدَقَ اللهُ، وكَذَبَ بَطْنُ أخيكَ».
[خ: ٥٣٦٠] [م: ٢٢١٧]

*قال: جاء رجلٌ إلى النَّبيِّ ﷺ فقالَ: أخي استُطْلِقَ بطنُه، فقالَ: «اِسْقِهِ عسلًا»، فسقاه، ثمَّ جاءَه فقال: إنِّي سقيتُه عسلًا ولم يزِدْه إلَّا استطلاقًا، فقال له ثانيةً وثالثةً، ثمَّ جاءَ في الرَّابعةِ فقال: «اسقِهِ عسلًا»، فقال: لقد سَقَيْتُه فلم يزِدْه إلَّا استطلاقًا، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «صَدَقَ اللهُ، وكَذَبَ بَطْنُ أخيكَ»، فسقاه فبَرِئَ.

واعتُرِضَ بأنَّ العسلَ مسهِلٌ، فكيف يُؤمرُ به في دَفعِ الإسهالِ؟

وأُجِيبَ: بأنَّ بعضَ الإسهالاتِ قد تحتاجُ إلى معينٍ على الإسهالِ، فتفعلُ ما دامَتِ القوَّة حاملةً، ولعلَّ ما في هذا الشَّخصِ من الإسهالِ كان من ذلك، فأمرَ بالمعينِ إلى أنِ اقتُلِعَتِ المادَّةُ وعاد المزاجُ إلى الاعتدالِ.

وقولُه: (صَدَقَ اللهُ، وكذَبَ بَطْنُ أخيكَ) قيل: يدلُّ على أنَّه عليه السَّلام أخذَ من قولِه تعالى: ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾ [النحل: ٦٩]، ويجوزُ أن يكونَ معناه: صدقَ اللهُ فيما يوحي إليَّ وحيًا خفيًّا بأنَّ شفاءَه في العسلِ[١]، ووصفَ البطنَ بأنَّه يكذبُ؛ إجراءً لِما ظهرَ منه من عدمِ التَّشفِّي في المرَّةِ الأولى والثَّانية والثَّالثة مَجرى مَن يردُّ الكلامَ ويخبرُ بأنَّه ليس ممَّا فيه شفاءٌ.

وروى نافعٌ عن ابنِ عمرَ رضي الله عنه: أنَّه كانَ لا يَشْكُو قَرْحةً ولا شيئًا إلَّا جعلَ عليه عسلًا، حتى الدُّمَّلُ إذا طلعَ له طَلَاه بالعسلِ، فقيلَ له في ذلك، فقالَ: أليسَ قد قالَ اللهُ تعالى: ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾ [النحل: ٦٩][٢]، وهذا يدلُّ على أنَّه جعلَ

---

(١) انظر: «كشف المشكل من حديث الصحيحين» لابن الجوزي (٣/ ١٦٠).

(٢) رواه ابن زنجويه كما في «الدر المنثور» للسيوطي (٥/ ١٤٥). وانظر: «أحكام القرآن» لابن العربي (٣/ ١٣٨).

التَّنوين في قولِه تعالى: ﴿فِيهِ شِفَآءٌ﴾ للتَّكثيرِ؛ كما في قولِهِم: إنَّ لنا لَإبِلًا، وإنَّ لنا لَغنَمًا؛ أي: كثيرًا.

١٦٨٩ـ (ق): عائشةُ رضيَ اللهُ عنها: «صَدَقَتا، إنَّهم يُعَذَّبُونَ عذابًا تَسْمَعُهُ البهائمُ كلُّها». [خ: ٦٠٠٥] [م: ٥٨٦]

* يعني: عَجُوزَين من عُجُزِ يهودِ المدينةِ دخلَتا على عائشةَ فقالَتا: إنَّ أهلَ القبورِ يُعذَّبُون في قبورِهِم... الحديث.

قالَتْ: دخلَتْ عليَّ عجوزان من عُجُزِ يهودِ المدينةِ فقالتا: إنَّ أهلَ القبورِ يُعذَّبونَ في قُبورِهم، قالَتْ: فكذَّبتُهُما ولم أُنْعِمْ أنْ أُصَدِّقَهما، فخرَجَتا، فدخلَ رسولُ اللهِ ﷺ، فقلتُ له: يا رسولَ اللهِ، إنَّ عجوزَين من عُجُزِ يهودِ المدينةِ دخلَتا، فزعمَتا أنَّ أهلَ القبورِ يُعذَّبُون في قبورِهم، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «**صدقتا...**» إلى آخره.

وفي الحديثِ: إثباتُ عذاب القبرِ كما هو مذهبُ أهل الحقِّ، خلافًا للمعتزلةِ[١].

وقولها: (**ولم أُنْعِمْ أنْ أُصدِّقَهما**) أي: لم تطِبْ نفسي بذلك، وهو بضمِّ الهمزةِ وسكون النُّون وكسر العين، ومنه قولُهم في التصديقِ: نعم[٢].

والعجوزُ: المرأةُ الكبيرةُ السِّنِّ، ولا يقال: عجوزةٌ، والعامَّةُ تقولُ ذلك، والجمعُ: عجائزُ وعُجُزٌ[٣].

---

(١) انظر: «الإبانة عن أصول الديانة» لأبي الحسن الأشعري (ص ٢٠٤).

(٢) في (ع) و(ك) و(م): «أنعم».

(٣) انظر: «المصباح المنير في غريب الشرح الكبير» للفيومي (٢/ ٣٩٤).

١٦٩٠ـ (خ): أبو هُريرة رضي الله عنه: «عَجِبَ اللهُ مِن قومٍ يدخلُونَ الجنَّةَ في السَّلاسلِ». [خ: ٢٨٤٨]

* **التَّعجُّبُ**: على ما هو المعهودُ ـ وهو انفعالُ النَّفْسِ عمَّا خفيَ سببُه وخرجَ عن نظائرِه ـ على علَّامِ الغيوبِ محالٌ، فاحتيجَ إلى التأويلِ، فقيل: معنى (**عَجِبَ اللهُ مِن قومٍ**): جعلهم عجبًا تتعجَّبُ منهم الخَلقُ[١]، وقيل: معناه: عَظُمَ شأنُ قومٍ هذا شأنُهم[٢]، وقيل: معناه: رضيَ من قومٍ هذِه صفتُهم.

وقوله: (**يدخُلُونَ الجنَّةَ في السَّلاسلِ**) أي: يؤتى بهم في القيودِ وهم أُسارى، فيَهديهم اللهُ للإسلامِ، فيدخُلُون في الجنَّة، جعلَ الدُّخولَ في الإسلامِ دخُولًا في الجنَّة؛ لكونِه وسيلةً إليه لا يحصلُ الثاني بدونِه.

١٦٩١ـ (ق): البراءُ بنُ عازبٍ رضي الله عنه: «عمِلَ هذا يسيرًا ـ ويُروى: قليلًا ـ وأُجِرَ كثيرًا». [خ: ٢٦٥٣] [م: ١٩٠٠]

قالهُ في رجلٍ مِن بني النَّبيتِ قالَ: أشهَدُ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ وأنَّكَ عبدُهُ ورسولُهُ، ثمَّ تقدَّمَ، فقاتَلَ حتَّى قُتِلَ.

* لفظُ البُخاريِّ: عن البراءِ: أتى النبيَّ ﷺ رجلٌ مقنَّعٌ بالحديدِ، فقال: يا رسولَ الله، أقاتلُ أو أسلمُ؟ فقال له: أسلمْ ثمَّ قاتلْ، فأسلمَ ثمَّ قاتلَ فقُتِلَ، فقال رسولُ الله ﷺ: «عمِلَ هذا قليلًا وأُجِرَ كثيرًا».

(١) انظر: «التوضيح لشرح الجامع الصحيح» لابن الملقن (١٨/ ١٧٦).

(٢) انظر: «الميسر في شرح مصابيح السنة» للتوربشتي (٣/ ٩٠٥).

بنو النَّبِيْت ـ بنونٍ مفتوحةٍ، ثمَّ موحَّدة مكسورةٍ، ثم مثنَّاة تحتُ ساكنةٍ، ثم مثنَّاة فوقُ ـ: جيلٌ من الأنصارِ(١).

وقوله: (**عملَ يسيرًا**) يريد الزمانَ الذي قاتلَ فيه، وهو زمانٌ قليلٌ.

(**وأُجِرَ**) على بناءِ المفعولِ.

(**كثيرًا**) يشيرُ إلى ما حصلَ له من الثَّوابِ بالشَّهادةِ، وإنَّما أُمِرَ أوَّلًا بالإسلامِ؛ ليكونَ جهادُه في ميزانِه، وإنْ قُتِلَ كان شهيدًا.

١٦٩٢ ـ (خ): أنسٌ رضي الله عنه: «غارَت أُمُّكُم». [خ: ٤٩٢٧]

* قال: كان النبيُّ عليه السَّلام عند بعضِ نسائِه، فأرسلَتْ إحدى أمَّهاتِ المؤمنين بصَحْفَةٍ فيها طعامٌ، وضربَتِ التي النبيُّ عليه السَّلام في بيتها يدَ الخادمِ، فسقطَتِ الصَّحفةُ فانفلقَتْ، فجمعَ النبيُّ عليه السَّلام فِلَقَ الصَّحفَة، ثمَّ جعلَ يجمعُ الطعامَ فيها ويقول: «**غارَت أُمُّكُم**»، ثمَّ حبسَ الخادمَ حتَّى أتى بصحْفَةٍ من عندِ التي هو في بيتِها، فدفعَ الصَّحْفَةَ الصَّحيحة إلى التي كُسِرَتْ صَحفتُها، وأمسكَ المكسورةَ في بيتِ التي كَسَرتْ.

(**الصَّحفةُ**) كالقَصْعَة(٢).

والفِلَق: ضبطوه بكسر الفاء وفتحِ اللَّام.

واعتُرِض: بأنَّ الصَّحفةَ ليسَتْ من ذواتِ الأمثالِ، فتكون مضمونةً بالقيمةِ، فما وجهُ دفعِ صحفَةٍ أُخرى مكانها؟

---

(١) انظر: «مختلف القبائل ومؤتلفها» لمحمد بن حبيب (ص: ٨٧).

(٢) انظر: «غريب الحديث» لأبي عبيد (٣/ ٣٦).

وأُجِيبَ: بأنَّه فعلَ ذلك بتراضيهما، فلم يبقَ مَن يدَّعِي القيمةَ، وقيل: كانَ الصَّحْفَتان له، فجازَ أنْ يتصرَّفَ في الإمساكِ والدَّفعِ بالانتقَالِ من بيتٍ له إلى آخرَ كيفَ شاءَ.

وقيل: كانت الصَّحْفاتُ متقاربةً، فكان كالعدديِّ المتقاربِ كالجوزِ والبيضِ، فيجوزُ أنْ يُدْفعَ أحدُهما بدلَ الآخرِ.

١٦٩٣ـ (ق): أبو هُريرة رضي الله عنه: «غَزا نبيٌّ منَ الأنبيَاءِ، فقال لقومِهِ: لَا يتبعْنِي رجلٌ قد ملكَ بُضعَ امرأةٍ وهو يريدُ أنْ يَبْنِيَ بهَا ولمَّا يبْنِ بها، ولا آخرُ قد بَنى بُنيانًا ولمَّا يرفَعْ سُقُفَها، ولا آخرُ قد اشتَرى غنمًا أو خَلِفاتٍ وهو ينتظِرُ وِلادَها، فغزَا فوافى القريَةَ حينَ صلاةِ العصرِ، أو قريبًا من ذلكَ، فقال للشَّمسِ: أنتِ مأمورَةٌ، وأنا مأمورٌ، اللَّهمَّ احبِسْها عليَّ شيئًا، فحُبِسَتْ عليهِ حتَّى فتحَ اللهُ عليهِ، قال: فجمَعوا ما غنِمُوا، فأقبلَتِ النَّارُ لتأكُلَهُ، فأبَت أنْ تطعَمَهُ، فقال: فيكُم غُلولٌ، فلْيُبايِعْني من كلِّ قبيلةٍ رجُلٌ، فبايَعوهُ، فلصِقَتْ يدُ رجُلٍ بيدِهِ، فقال: فيكُمُ الغُلولُ، فلْتُبَايِعْني قبيلتُكَ، فبايعَتْهُ، فلصِقَتْ يدُهُ بيدِ رجلينِ أو ثلاثَةٍ، فقال: فيكُمُ الغُلولُ، أنتُم غللتُم، فأخرَجُوا لهُ مثلَ رأسِ بقرَةٍ مِن ذهبٍ، فوضَعوهُ في المالِ وهو بالصَّعيدِ، فأقبَلَتِ النَّارُ فأكَلتهُ، فلم تَحِلَّ الغنائمُ لأحَدٍ مِن قبلِنا، ذلك بأنَّ اللهَ رَأى ضعفَنا وعجزَنا، فطيَّبَها لنا».
[خ: ٢٩٥٦] [م: ١٧٤٧]

* قيل: النَّبيُّ المذكور ههنا: هو يوشعُ بن نونٍ عليه السَّلام(١).

و(**البُضْعُ**) بالضَّمِّ: فرجُ المرأةِ(٢).

---

(١) انظر: «السير» لأبي إسحاق الفزاري (ص: ٢٦٥).

(٢) انظر: «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» لأبي العباس القرطبي (٣/ ٥٣١).

ويقال: «بنى بها»: إذا دخلَ عليها، والأصلُ فيه أنَّ الرجلَ إذا تزوَّجَ امرأةً كانَ يبني عليها قبَّةً ليدخلَ فيها.

و(الخَلِفَاتُ) جمعُ خَلِفة ـ بكسر اللَّام ـ: وهي الحاملُ من النُّوقِ[١].

وقولُه للشَّمس: (أنت مأمورةٌ) اختلفوا في حبسِ الشَّمسِ المذكورِ هنا، فقيل: رُدَّتْ على أدراجِها، وقيل: وُقِفَتْ ولم تُرَدَّ، وقيل: بُطِّئ تحريكُها، وكلُّ ذلك من المعجزاتِ[٢].

وقد رُوي أنَّ مثلَ هذه الآيةِ كانت لنبيِّنا ﷺ مرَّتين:

إحداهما: في حفرِ الخندقِ حين شُغِلوا عن صلاةِ العصرِ حتَّى غابَتِ الشَّمسُ، فردَّها اللهُ عليه حتى صلَّى العصرَ، ذكرَ ذلك الطَّحاويُّ[٣]، وقال: إنَّ رواتَه كلَّهم ثقاتٌ، وفيه نظرٌ؛ لأنَّه يخالف ما رَوى عليٌّ رضي الله عنه أنَّه صلاها بين المغربِ والعشاءِ، كما ذكرنا في قوله عليه السَّلام عن قريبٍ[٤]: «شغلونا عن الصَّلاةِ الوسطَى».

والثانيةُ: صبيحةَ الإسراء حين انتظرُوا العيرَ التي أخبرَ عليه السَّلام بوصُولها مع شروقِ الشَّمسِ، والعُهدةُ على الرَّاوي.

وقولُه: (فجمَعوا ما غنِمُوا) كان سُنَّةُ الله في طوائفَ من بني إسرائيلَ أنْ يسوقَ لهم نارًا، فتأكلَ ما خلُصَ من قُربانِهم وغنائِمِهم، فكانَ ذلك الأكلُ علامةً لقَبولِ المأكولِ، حكاه السُّدِّيُّ وغيره[٥]، وهو الذي يدلُّ عليه ظاهرُ القرآنِ، قال اللهُ تعالى:

---

(١) انظر: «العين» للخليل الفراهيدي (٤/ ٢٦٨).

(٢) انظر: «شرح النووي على مسلم» (١٢/ ٥٢).

(٣) انظر: «أحكام القرآن» للطحاوي (١/ ٢٢٨).

(٤) تقدم برقم: (١٦٨٦).

(٥) انظر: «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» لأبي العباس القرطبي (٣/ ٥٣٣).

﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيۡنَآ أَلَّا نُؤۡمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأۡتِيَنَا بِقُرۡبَانٖ تَأۡكُلُهُ ٱلنَّارُۗ ﴾ [آل عمران: ١٨٣].

وقد حُكيَ: أنَّه كان فيهم نارٌ تحكمُ بينهم عند تنازُعِهم، فتأكلُ الظالمَ ولا تضرُّ المظلومَ(١)، وقد رفعَ اللهُ ذلك كلَّه عن هذه الأمَّة، وأحلَّ لهم غنائمَهم وقُربانَهم؛ رفقًا بهم ورحمةً لهم، كما قال عليه السَّلام: «ذلك بأنَّ اللهَ رأى ضعْفَنا وعجْزَنا فطيَّبها لنا»، وجعلَ ذلك من خصائصِ هذه الأمَّةِ، كما قال: (فلم تحلَّ الغنائمُ لأحدٍ من قبلنا).

والصَّعيدُ: وجهُ الأرضِ(٢).

قيل: في الحديث دليلٌ على أنَّ الأمورَ المهمَّةَ لا تُفوَّض إلَّا إلى أولي الحزم الفُرَّاغِ البال عن الأمورِ التي للنفسِ بها زيادةُ تعلُّقٍ؛ لأنَّ مثلَ ذلك التَّعلُّقِ يُضعِفُ القلبَ، ويوهنُ العزمَ، ويسترُ الحزمَ، فتفوتُ المصالحُ.

١٦٩٤ـ (م): جابرٌ رضي الله عنه: «قاتَلَ اللهُ اليهُودَ اتخَذُوا قُبُورَ أنبيائِهِم مساجدَ». [م: ٥٣٠](٣)

*(**قاتَلَ اللهُ اليهُودَ**) قيل: معناه: لعنَهم، كما في الرِّوايةِ الأخرى، وقيل: معناه: قتلَهُم وأهلكَهُم(٤).

---

(١) انظر: «التيجان في ملوك حمير» لعبد الملك بن هشام (ص: ٣٠٧).

(٢) انظر: «العين» للخليل الفراهيدي (١/ ٢٩٠).

(٣) قلت: رواه عن أبي هريرة لا عن جابرٍ رضي الله عنهما.

(٤) انظر: «مشارق الأنوار على صحاح الآثار» للقاضي عياض (٢/ ١٧١).

وقوله: (قُبُورَ أنبيائِهم مسَاجدَ) أي: معابدَ، وقد نهى عليه السَّلام عن ذلك؛ خوفًا من المبالغةِ في تعظيمِه والافتتانِ به، فربَّما أدَّى إلى الكفرِ، كما جرَى لكثيرٍ من الأممِ الخاليةِ.

١٦٩٥ـ (خ): ابن عبَّاس رضي الله عنه: «قاتلَهُم اللهُ! أمَا واللهِ قد علمُوا أنَّهما لم يستَقسِما بها قَطُّ». [خ: ١٥٢٥]

*قال: لمَّا قدِم رسولُ الله مكَّةَ أبى[1] أنْ يدخلَ البيتَ وفيه الآلهةُ، فأمرَ بها فأُخرِجَتْ، فأخرجُوا صورةَ إبراهيمَ وإسماعيلَ في أيديهِما الأزلامُ، فقال رسولُ الله ﷺ: «**قاتلَهم اللهُ، أمَا واللهِ قد علمُوا أنَّهما لم يستقْسِما بها قَطُّ**» فدخلَ البيتَ، فكبَّر اللهَ في نواحيهِ ولم يصلِّ فيه، وكانَ ذلك عامَ الفتحِ سنةَ ثمانٍ.

و(**الأزلامُ**) قِداحٌ[2]، وهي أعوادٌ مكتوبٌ على أحدِها: «افعلْ»، وعلى الآخر: «لا تفعلْ»، ولا شيءَ في الآخَر، فإذا أرادَ أحدُهم حاجةً أو سفرًا ألقَاها، فإنْ خرجَ «افعلْ» فعلَ، وإنْ خرجَ «لا تفعلْ» لم يفعلْ، وإنْ خرجَ الآخَرُ أعادَ الضَّربَ حتى يخرجَ افعلْ أو لا تفعلْ، وهذا الإلقاءُ هو الاستقسامُ[3].

وقد وضَّحَه بعضُهم فقال: الأزلامُ سبعَةُ أعوادٍ على صنعةٍ[4] واحدةٍ مكتوبٌ عليها: «لا»، «نعم»، «منهم»، «من غيرِهم»، «مُلْصَقٌ»، «العقلُ»، «فضلُ العقلِ»،

---

(١) في (ع) و(ص): «أراد».

(٢) في (ن): «أقداح».

(٣) انظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير (٢/ ٣١١).

(٤) في (ن): «على صفة».

وكانَتْ في يدِ قيِّمِ الأصنامِ، وكانوا إذا أرادوا خروجًا أو تزويجًا أو حاجةً أتى المريدُ بمئة درهمٍ أو أكثرَ، فدفعَها إلى قيِّم الأصنامِ، فيسألُ الصَّنمَ أنْ يوضِّح لهم ما يعملُ عليه من مُقامٍ أو خروجٍ، فيضربُ له بالسَّهمَين اللَّذينِ عليهما: «نعم»، و«لا»، فإنْ خرجَ «نعم» ذهَبَ، وإنْ خرجَ «لا» كفَّ.

وإنْ شكُّوا في نسَبِ رجلٍ أتَوا به دارَ الأصنامِ، فضُرِبَ بالثلاثةِ الذين عليهم: «منهم» «من غيرهم» «ملصَقٌ»، فإنْ خرج «منهم» كانَ مِن أوسطِهم نسبًا، وإنْ خرجَ «مِن غيرِهم» كانَ حليفًا، وإنْ خرجَ «مُلْصَقٌ» لم يكُنْ له نسَبٌ ولا حِلْفٌ.

وكانوا إذا جنى أحدُهم جنايةً فاختلفوا على مَنِ[1] العقلُ، ضربوا عليه السَّهمَ الذي عليه «عقل» فإنْ خرجَ «عقل» على مَن ضُرِبَ عليه عَقَلَ وبَرِئَ الآخرون، وإذا عقَلُوا العقلَ وفضَلَ منه شيءٌ ضرَبُوا عليه، فعلى مَن وجبَ أدَّاهُ، هذا هو الاستقسامُ[2].

١٦٩٦ـ (ق): أبو هُريرة رضي الله عنه: «قال رجلٌ: لأتصَدَّقَنَّ اللَّيلةَ بصدقَةٍ، فخرَجَ بصدقَتِهِ فوضعَها في يدِ زانِيَةٍ، فأصبَحوا يتحدَّثونَ: تُصُدِّقَ اللَّيلةَ على زانيَةٍ، فقال: اللَّهمَّ لكَ الحمدُ على زانيَةٍ، لأتصدَّقَنَّ بصدقَةٍ، فخرَجَ بصدقَتِهِ، فوضعَها في يدِ غنيٍّ، فأصبَحوا يتحدَّثونَ: تُصُدِّق على غنيٍّ، فقال: اللَّهمَّ لكَ الحمدُ على غنيٍّ، لأتصدَّقَنَّ بصدقَةٍ، فخرَجَ بصدقَتِه، فوضعَهَا في يدِ سارِقٍ، فأصبَحُوا يتحدَّثونَ: تُصُدِّقَ على سارِقٍ، فقال: اللَّهمَّ لكَ الحمدُ على زانيَةٍ، وعلى غنيٍّ، وعلى سارِقٍ،

(١) في (ن): «أعقلوا».

(٢) انظر: «التوضيح لشرح الجامع الصحيح» لابن الملقن (١١/ ٣٦١)، و«عمدة القاري شرح صحيح البخاري» للعيني (٩/ ٢٤٧).

فأُتيَ فقيلَ لهُ: أمَّا صدقَتُكَ فقد قُبِلت، أمَّا الزَّانيةُ فلعلَّهَا تستعِفُّ بها عن زناها، ولعلَّ الغنيَّ يعتبِرُ فينفِقُ ممَّا أعطاهُ اللهُ، ولعلَّ السَّارقَ يستَعِفُّ بها عَن سرقَتِهِ». [خ: ١٣٥٥] [م: ١٠٢٢]

* قوله: (لأتصدَّقنَّ) أي: واللهِ لأتصدَّقنَّ، ونصبَ (الليلةَ) على الظَّرفيَّة.

وقوله: (تُصُدِّقَ) بضمِّ التَّاء على بناءِ المفعولِ.

وقوله: (اللَّهمَّ لكَ الحمدُ على زانيةٍ) إشعارٌ بألم قلبِهِ؛ إذْ ظنَّ أنَّ صدقتَه لم توافقْ محلَّها، وأنَّ ذلك لم ينفَعْه، ولمَّا علمَ اللهُ صحَّةَ نيَّته تقبَّلها منه وأعلمَه بفوائدِ صدَقاتِه.

وقوله: (فأُتِيَ) يجوز أنْ يكونَ أخبرَه بذلك نبيٌّ، أو أُخبِرَ في نومِه.

وفي الحديثِ: الحثُّ على الصَّدقةِ.

١٦٩٧ـ (ق): أبو هُريرة رضي الله عنه: «قال رجلٌ لم يعمَلْ حسنةً قطُّ لأهلِهِ: إذا ماتَ فحرِّقُوهُ، ثمَّ اذرُوا نصفَهُ في البرِّ، ونصفَهُ في البحرِ، فواللهِ لئن قدَرَ اللهُ عليهِ لَيُعذِّبنَّه عذابًا لا يعذِّبُهُ أحدًا منَ العالمينَ، فلمَّا ماتَ الرَّجلُ فعلُوا مَا أمرهُمْ، فأمَرَ اللهُ البرَّ فجمَعَ ما فيهِ، وأمرَ البحرَ فجمَعَ ما فيهِ، ثمَّ قالَ: لمَ فعلْتَ هذا؟ قال: مِن خشيتِكَ يا ربِّ وأنتَ أعلَمُ، فغفَرَ اللهُ له». [خ: ٧٠٦٧] [م: ٢٧٥٦]

* قوله: (لأهلِهِ) يتعلَّق بقوله: (قال). ويقال: «ذَرَتْه الرِّيحُ»: إذا أطارَتْه(١).

و(قَدَر) بالتَّخفيف والتَّشديد بمعنًى واحدٍ.

---

(١) انظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير (٢/ ١٥٩).

وقوله: (إذا ماتَ فحرِّقُوهُ) بلفظ الغائبِ، من باب الالتفاتِ عند المحقِّقين.

وفي هذا الحديثِ إشكالٌ، وهو أنَّ الرجلَ إمَّا جاحدٌ لصفةِ القُدْرةِ أو شاكٌّ فيها، وجاء في روايةٍ أخرى: «فلعلِّي أُضِلُّ اللهَ»[1]؛ أي: أغيبُ عنه، وهذا إمَّا جحودٌ لعلمِ الله تعالى، أو شكٌّ فيه، وكلُّ ذلك كُفْرٌ، فكيف غفرَ اللهُ له؟

والمجيبون عنه فِرقتان:

الأولى أجابت: بأنَّ هذا الرجلَ جَهِلَ[2] صفتين من صفاتِ اللهِ، وهما: العلمُ والقُدرةُ، والجهلُ بذلك لا يُخرِجُ المؤمنَ من الإيمانِ، وإليه ذهَبَ أبو الحسنِ الأشعريُّ، وهو مخالفٌ لما نُقِلَ عنه أنَّه قال بكفرِه[3].

ورُدَّ: بأنَّ معرفةَ الصِّفات من ضروريَّات الشَّرائعِ، لا تصِحُّ شريعةٌ مع الجهلِ بأنَّ اللهَ عالمٌ قادرٌ، ولا مع الشَّكِّ فيها، فلا بُدَّ أنْ ينُصَّ الرُّسلُ لقومِهم على هذه الصِّفات، مع أنَّ العقلَ يدلُّ عليها، فيكون العلمُ بها ضروريًّا في كل الشَّرائعِ، كما هو ضروريٌّ في شَرْعِنا، فيكون الجاهلُ والجاحدُ والشَّاكُّ مُكذِّبًا لرسُولِه، وتكذيبُ الرسلِ كفرٌ في كلِّ شرعٍ بالضَّرورةِ.

والثانية أجابَتْ: بأنَّ الرجلَ لم يكُنْ جاهلًا بصفَةٍ من صفاتِ اللهِ ولا شاكًّا في شيءٍ منها، وإنَّما تأويلُ الحديث أنَّ هذا الرجلَ صدرَ منه ما صدرَ حين غلبَ الخوفُ عليه، غلبَه فغلِطَ في القولِ فلم يُؤاخَذْ بقولِه ذلك، كما لم يؤاخَذ القائلُ الغالِطُ: «اللهمَّ أنت عبدِي وأنا ربُّك»[4].

---

(١) هي رواية أحمد في «مسنده» (٢٠٠١٢).

(٢) في (ص): «يجهل».

(٣) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» لملا علي القاري (٤/ ١٦٤١).

(٤) رواه مسلم (٢٧٤٧) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

أو يقال: إنَّ هذا الكلامَ صَدرَ منه على نحو ما قد جرَى في كلامِ العربِ، وليسَ الغَرضُ منه تقريرَ(١) عَدمِ القُدرةِ أو العلمِ.

أو يقال: إنَّ «قَدَرَ» معناه: ضيَّق؛ يعني: أنَّ اللهَ تعالى إنْ ناقشَه الحسابَ وضيَّقَه عليه ليعذِّبنَّه أشدَّ العذابِ.

قيل: هذا التَّأويلُ يختصُّ بلفظ «قَدَرَ»، والتَّأويلُ الآخرُ أولى؛ لأنَّه يعمُّ «قَدَرَ» و«لعلِّي أضلُّ اللهَ»(٢).

ويشهدُ بكونِ الحديث مؤوَّلًا قولُه في آخرِ الحديثِ: (ما حملَكَ على ما صنعْتَ؟ قال: خشْيَتُك)، فلو كان جاهلًا باللهِ وصفاتِه لَما خافَه.

١٦٩٨ـ (ق): أبو هُريرة رضي الله عنه: «قال سليمانُ بنُ داودَ: لأطوفَنَّ اللَّيلةَ بمئةِ امرأةٍ تلِدُ كلُّ امرأةٍ منهنَّ غلامًا يقاتِلُ في سبيلِ اللهِ، فقال لهُ الملَكُ: قُلْ إن شاءَ اللهُ، فلم يقُلْ ونُسِّيَ، فأطافَ بهنَّ، ولم تلِدْ منهنَّ إلَّا امرأةٌ نصْفَ إنسانٍ، لَو قالَ: إنْ شاءَ اللهُ، لم يحنَثْ، وكانَ أرجى لحاجتِهِ» ويُروى: تسعينَ، ويُروى: سبْعينَ.
[خ: ٦٣٤١] [م: ١٦٥٤]

* قوله: (فقالَ له الملَكُ) في بعضِ الرِّوايات: «صاحبُه»(٣)، فقيل: هو الملَكُ، وقيل: صاحبٌ إنسيٌّ(٤).

---

(١) في (ن) و(ص) و(م): «تقدير».

(٢) انظر: «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» لأبي العباس القرطبي (٧/ ٧٧).

(٣) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٣٠٧٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) انظر: «العدة في شرح العمدة» لابن العطار (٣/ ١٥١٤).

وقوله: (نُسِّي) ضبطُوه بضمِّ النُّون وتشديدِ السِّين؛ وهو حسنٌ.

وقوله: (أطافَ بهنَّ) أي: ألَمَّ بهنَّ، يقال: «أطافَ به»: إذا ألَمَّ به وقارَبَه[١].

وفي الحديث: دلالةٌ على أمورٍ:

منها: بيانُ ما كانَ عليه سليمان عليه السَّلام من حرصِه على طلبِ الخيرِ، وإعلاءِ كلمَةِ الله بالجهادِ الذي فيه خطرُ هلاكِ أكبادِه.

ومنها: بيانُ استحبابِ أنْ يقولَ الإنسانُ فيما يهُمُّ أنْ يفعلَ وأنْ يتركَ: «إن شاء اللهُ»، لكنَّه لا ينفعُ في أمورِ الدُّنيا إلَّا متَّصِلًا، ومعناه: أنْ لا يسكُتَ بينهما، وسكتَةُ التَّنفُّسِ أو انقطاعُ الكلامِ ببلعِ الرِّيقِ ونحوه ليسَ بمخرِجٍ له عن الاتِّصالِ.

وقال طاوسٌ والحسن: ما لم يقمْ من مجلسِه، وقال قتادةُ: ما لم يقمْ أو يتكلَّمْ، وقال عطاءٌ: قدرَ حَلبةِ ناقةٍ، وقال ابنُ جبيرٍ: إلى أربعة أشهرٍ، وعن ابنِ عبَّاسٍ: له الاستثناءُ أبدًا متى تذكَّرَه[٢].

وقوله: (لَو قالَ إنْ شاءَ اللهُ لم يحنَثْ) محمولٌ على أنَّ اللهَ تعالى أوحَى إليه بذلكَ؛ لأنَّ كلَّ مَن قالَ ذلك واستثنَى حصَلَ له ذلك.

ومنها: أنَّ الاستثناءَ المعتبرَ هو ما كانَ بالقولِ، ولا يكفِي[٣] فيه الخُطورُ الذِّهنيُّ.

واستدلَّ بقول الملَك: (قُل: إنْ شاءَ اللهُ) على أنَّ الاستثناءَ المنفصلَ يجوزُ مَن

(١) انظر: «اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح» لشمس الدين البرماوي (١٣/ ٣٥٩).

(٢) انظر: «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» لأبي العباس القرطبي (٤/ ٦٣٩).

(٣) في (ن): «ولا يكون».

قالَ بجوازِه منفصلًا، وأجابَ الجمهورُ: بأنَّه يحتملُ أنْ يكونَ قال ذلكَ في أثناءِ اليمين، أو أنَّ الذي جرى منه لم يكنْ يمينًا؛ إذ ليسَ في الحديثِ تصريحٌ بيمينٍ[١].

وفيه نظرٌ من وجهين:

أحدهما: أنَّ اللامَ الموطِّئة دالَّةٌ على ذلك دلالةً.

والثاني: أنَّه عليه السَّلام قال: (**لَو قالَ: إنْ شاءَ اللهُ لم يحنَثْ**)، والحِنثُ لا يُتصوَّر بلا يمينٍ.

١٦٩٩ـ (ق): أبو بَرزة رضي الله عنه: «قتَلَ سبعَةً، ثمَّ قتلوهُ، هذا منِّي وأنا منهُ، هذا منِّي وأنا منهُ». [م: **٢٤٧٢**][٢]

يعني: جُليبيبًا.

*قال: كان رسولُ الله ﷺ في مَغزًى له، فأفاءَ الله عليه، فقال لأصحابه: «**هل تفقِدون مِنْ أحدٍ؟**» قالوا: نعم، فلانًا وفلانًا وفلانًا، ثم قال: «**وهل تفقِدونَ مِن أحدٍ؟**» قالوا: نعم، فلانًا وفلانًا وفلانًا، ثمَّ قال: «**هل تفقِدون مِنْ أحدٍ؟**» قالوا: لا، قال: «**لكنِّي أفقِدُ جُليْبيبًا فاطلُبوه**»، فطُلِبَ في القَتْلى، فوجَدوه إلى جنبِ سبعَةٍ قد قتلَهُم ثمَّ قتلوه، فأتى النَّبيُّ عليه السَّلام فوقفَ عليه فقال: «**قتلَ سبْعةً ثمَّ قتلوه، هذا منِّي وأنا منه، هذا منِّي وأنا منه**». قال: فوضعَه على ساعدَيه ليس له سريرٌ إلَّا ساعدَا النَّبيِّ عليه السَّلام. قال: فحُفِرَ له فوُضِعَ في قبرِه، ولم يذكُرْ غُسْلًا.

قوله: (**في مَغزًى**) قيل: مصدرٌ ميميٌّ بمعنى الغزوةِ.

---

(١) انظر: «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (٦/ ١٨٣).

(٢) قلت: الحديث تفرَّد به مسلمٌ.

وقولـه: (هـل تفقِـدونَ مِـنْ أحـدٍ؟) ليس المقصـودُ مـن الاسـتفهامِ استعلامَ كونِهـم فقـدوا أحـدًا ممَّـنْ يعِـزُّ عليهـم فقـدُه؛ لأنَّ ذلـك معلـومٌ بالمشـاهدةِ، وإنَّما مقصـودُه كان التنويـهَ لذكـرِ[1] مَن لم يلتفتـوا إليه، والتَّفخيـمَ لأمرِ مَن لـم يحتفلوا[2] بـه؛ لكونـه غامصًا في النـاسِ، ولكون كلِّ واحـدٍ منهم أُصيبَ بقريبـهِ أو حبيبِه، فكانَ مشـغولًا بمُصابِـه لـم يتفرَّغْ منـه إلى غيـرِه، وحيثُ أطلعَـه الله تعالى على مـا كانَ من جُلَيبيـبٍ؛ مِـن قتْلِـه السَّـبْعةَ الذين وُجِـدوا إلى جنبـهِ، نوَّه باسـمه وفوَّه بقَـدْرِه فقال: (لكنِّـي أفقِـدُ جُليبيبًـا) قيـل: كأنَّه يشيـرُ عليه السَّـلام إلى أنَّ فَقْـدَه أعظمُ مـن فَقْدِ كلِّ مـن فُقِـدَ[3]، وليـسَ في اللَّفـظِ ما يـدُلُّ عليه.

وجُليبيبٌ: تصغيرُ جِلْبابٍ، بالجيم وباءين موحَّدتين.

وقوله: (هذا منِّي وأنا منهُ) أي: متَّصِلٌ بي آخذٌ بسُنَّتي.

١٧٠٠ـ (ق): أبو هُريرة رضي الله عنـه: «قَرَصَتْ نملةٌ نبيًّا منَ الأنبيَاءِ، فأمَرَ بقَرْيَةِ النَّملِ فأُحْرِقَتْ، فأوحى اللهُ إليهِ أنْ قَرَصَتكَ نملَةٌ أَحْرَقْتَ أمَّةً منَ الأُممِ تُسَبِّحُ». [خ: ٢٨٥٦] [م: ٢٢٤١]

* قيل: هذا الحديثُ محمولٌ على أنَّ ذلك النبيَّ كانَ من شرعِه قتلُ النَّملِ، وجوازُ الإحراقِ بالنَّار[4]، ولهذا لم يُعاتَبْ على أصلِ القتلِ والإحراقِ، بـل عـلى الزِّيادةِ على نملةٍ واحدةٍ، كما وردَ في روايةٍ أخرى: «فأوحَى الله إليه: فهلَّا نملةً

(١) في (ك): «بذكر».

(٢) في (م) و(ك): «يحتلفوا».

(٣) انظر: «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» لأبي العباس القرطبي (٦/ ٣٩٠).

(٤) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (١٣/ ١٧٤).

واحدةً؟»[(١)] ومعناه: فهلَّا عاقبْتَ نملةً واحدةً، وهي التي قرصَتْك؛ لأنَّها هي الجانيةُ.

وقيل: ليس في ذلك حظرٌ عن قتلِ النَّملِ؛ لأنَّ كلَّ ما آذاك أُبيحَ لك قتلُه.

وقوله: (تُسبِّحُ) يدُلُّ بظاهرِهِ على أنَّه يسبِّح بالنُّطقِ؛ لأنَّه هو الذي يسبقُ إلى الفهم، ويعضُدُه حكايةُ سليمانَ عليه السَّلام في سماعِ كلام النَّملِ معجزةً له، قال الله تعالى: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُواْ مَسَـٰكِنَكُمْ﴾ [النمل: ١٨] الآية، ولكن لا يسمعُ كلامَه إلا نبيٌّ معجزةً، أو وليٌّ كرامةً.

و(قريةُ النَّملِ) منزلُهنَّ. رُوي: أنَّ ذلك النبيَّ هو داودُ عليه السَّلام. وقيل: موسى بن عمران صلواتُ الله عليه.

١٧٠١ ـ (خ): عِمرانُ بن حُصينٍ رضي الله عنه: «كانَ اللهُ ولم يكُنْ شيءٌ غيرُهُ، وكانَ عرشُهُ على الماءِ، وكتبَ في الذِّكرِ كلَّ شيءٍ، ثمَّ خلقَ السَّمواتِ والأرضَ». [خ: ٣٠١٩]

*قال: دخلتُ على النبيِّ عليه السلام وعقَلْتُ ناقتي بالبابِ، فأتاه ناسٌ من بني تميمٍ فقال: «يا بني تميمٍ، أبشِروا»، فقالوا: قد بشَّرْتَنا فأعطِنا، مرَّتين، ثم دخلَ عليه ناسٌ من اليمن، فقال: «اقبلوا البُشرى يا أهلَ اليمن إذ لم يقبلْها بنو تميمٍ»، قالوا: قد قبِلْنا يا رسولَ الله. قالوا: جئنا لنسألَكَ عن هذا الأمرِ، قال: «كان اللهَ ولم يكنْ شيءٌ غيرُهُ...» إلى آخرِه.

قوله: (يا بني تميمٍ، أبشِرُوا) يريد به: ما يُجازى به المسلمون، وما تصيرُ إليه عاقبتُهم.

---

(١) رواه البخاري (٣٣١٩)، ومسلم (٢٢٤١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وقولهم: (بشَّرْتَنا فأعطِنا) قيل: قاله الأقرعُ بنُ حابسٍ، كان فيه بعضُ أخلاقِ البادِيةِ(١).

وقوله: (كانَ اللهُ ولم يكُنْ شَيءٌ غيرُهُ) يجوز أنْ تكونَ (كان) تامَّةً، ومعناه: وُجِدَ اللهُ ولم يوجدْ شيءٌ غيرُه، ويجوز أنْ تكونَ الواو للحالِ، وتقديره: وُجِدَ اللهُ حالَ كونه لم يوجدْ غيرُه، والأحوال شروطٌ، فيكون معناه ـ والله أعلم ـ: إنْ لم يوجدْ شيءٌ غيرُ الله بالفناءِ في التَّوحيدِ وُجِدَ اللهُ.

وقوله: (وكانَ عرشُهُ على الماءِ) قيل: هو السَّريرُ(٢)، وهو أعظمُ المخلوقاتِ الجسميَّةِ؛ أي: وكان سريرُه خُلِقَ قبلَ خلقِ السَّمواتِ والأرضِ.

قال سعيدُ بنُ جُبيرٍ: سألتُ ابنَ عباسٍ: على أيِّ شيءٍ كان الماءُ ولم يُخلقْ سماءٌ ولا أرضٌ؟ فقال: على متنِ الرِّيحِ(٣).

وقد جاء في(٤) الرِّواياتِ: أنَّ الهواءَ الذي عليه الماءُ عن ظُلْمةٍ، فالظُّلمةُ تمسك الهواءَ، والهواءُ يمسكُ الماءَ، والماءُ يمسكُ العرشَ، والهواءُ باردٌ يجمِّد الماءَ الذي عليه قوائمُ العرشِ(٥).

فانظرْ إلى جهلِ من جعلَ العرشَ قديمًا؛ تمشيةً لهواه الباطلِ الذي سمَّاه دِينًا ومذهبًا، مع تقدُّمِ الأشياءِ المذكورةِ على العرشِ.

---

(١) انظر: «مصابيح الجامع» للدماميني (٧/ ٣٦).

(٢) انظر: «الأسماء والصفات» للبيهقي (٢/ ٢٧٢).

(٣) رواه عبد الرزاق في «التفسير» (١١٨٥)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٤٩) (١٧٩٨٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٠٠٥) (١٠٦٩٧).

(٤) في (ن) زيادة: «بعض».

(٥) انظر: «تفسير ابن كثير» (٥/ ٢٧٤).

قال بعضُ المحقِّقين: اعلمْ أنَّ هذه الظُّلمةَ هي ظلمةُ الغيبِ، ولا يعلم أحدٌ ما في تلك الظُّلمةِ إلا اللهُ كما قال الله تعالى: ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا﴾ [الجن: ٢٦] الآية. وفيها يكون الناسُ على الجسرِ إذا بُدِّلتِ الأرضُ غيرَ الأرضِ، والتَّبدُّلُ في الصِّفةِ لا في العينِ، والهواءُ على هذه الظُّلمةِ، والماءُ على الهواءِ، والعرشُ على الماء.

وخلقَ اللهُ ملائكةً من أنوارِ العرشِ يحفُّونَه، وملائكةً أربعًا حملةً تحملُ(١) العرشَ من القوائمِ الأربعِ، وجُعِلَ بين مُقعَّرِ العرشِ وبينَ الكُرسيِّ فضاءٌ واسعٌ وهواءٌ مُختَرِقٌ، وخُلِقَ الكرسيُّ في جوفِ هذا العرشِ مربَّعَ الشَّكلِ كحلْقَةٍ مُلقاةٍ.

وقوله: (وكتَبَ في الذِّكرِ) أي: في اللوحِ المحفوظِ جميعَ ما كانَ وما يكونُ، ثمَّ خلقَ السَّمواتِ والأرضَ.

قيل: خلقَ سبعَ سمواتٍ في يومين، وخلقَ الأرضَ في يومين، ثمَّ دحا بعدَ ذلك الأرضَ وأنبتَ فيها أشجارَها، وفجَّر أنهارَها، وقدَّرَ معايشَها، ووقَّتَ أوقاتَها، فقالت الملائكةُ: ما هي مستقرَّةٌ بأهلِها، فأصبَحوا وقد أُرسيَتْ بالجبالِ، وكان ذلك كلُّه في يومَين، فذلك قوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [الأعراف: ٥٤].

١٧٠٢ـ (ق): أبو هُريرة رضي الله عنه: «كانَتِ امرأتانِ معهمَا ابناهُما، جاءَ الذِّئبُ فذهَبَ بابنِ إحداهُما، فقالت لصاحبَتِها: إنَّما ذهبَ بابنِكِ، وقالتِ الأُخرى: إنَّما ذهبَ بابنِكِ، فتحاكَمَتا إلى داودَ، فقضى بهِ للكُبرى، فخرجَتَا على سليمَانَ بنِ داودَ فأخبرَتاهُ، فقال: ائتوني بالسِّكِّين أشقُّهُ بينهُما، فقالتِ الصُّغرى: لا تفعَلْ رحمَكَ اللهُ، هو ابنُها، فقَضى بهِ للصُّغرى». [خ: ٣٢٤٤][م: ١٧٢٠]

---

(١) في (ن): «يحملونه تحت».

* قال العلماءُ: يحتمِلُ أنَّ داودَ عليه السَّلام قضى به للكبرى؛ لشَبَهٍ رآهُ فيهما، أو كانَ من شريعَتِه الترجيحُ بالكِبَرِ[١]، أو لكونه في يدِها، فكان مرجِّحًا في شرعِه[٢].

وأمَّا سليمانُ عليه السَّلامُ فتوصَّلَ بطريقٍ من الحيلةِ والملاطفَةِ إلى معرفَةِ باطنِ القضيَّة، فأوهمَهما أنَّه يريدُ قطعَه؛ ليعرفَ على مَن يشُقُّ قطعُه، فتكون هي أمَّه، فلمَّا أرادَتِ الكُبْرى قطْعَه عرفَ أنَّها ليسَتْ أمَّه، ولمَّا قالت الصُّغرى ما قالَتْ عرفَ أنَّها أمُّه، ولم يكنْ أرادَ قطعَه حقيقةً.

فإنْ قيل: كيف نقضَ حكمُ سليمانَ حكمَ داودَ، والمجتهدُ لا ينقضُ حكمَ المجتهدِ؟

أُجِيبَ من أوجهٍ:

الأوَّلُ: أنَّ داودَ لم يجزِمْ بالحكمِ.

الثاني: أنْ يكونَ ذلك فتوى منه لا حُكمًا.

الثَّالثُ: لعلَّه كانَ في شرعِهم فسخُ الحُكمِ إذا رفعَهُ الخصْمُ إلى حاكمٍ آخرَ يرى خلافَهُ.

الرابعُ: أنَّ سليمانَ فعلَ ذلك حيلةً لإظهارِ الحقِّ، ولعلَّ الكُبْرى لما رأتِ الجدَّ منه أقرَّتْ به فعملَ بإقرارِها وإنْ كانَ بعدَ الحكمِ، كما إذا اعترفَ المحكومُ له أنَّ الحقَّ لخصْمِه.

وفي الحديثِ: دليلٌ على أنَّ الأنبياءَ عليهم السَّلام يجوزُ أنْ يحكموا بالاجتهادِ، وقد قرَّرنا ذلك في «التقرير».

وفيه: جوازُ استعمالِ الحاكمِ الحيَلَ التي تُستَخرَجُ بها الحقوقُ.

---

(١) في (ع) و(ص): «بالكبرى».

(٢) انظر: «المعلم بفوائد مسلم» للمازري (٢/ ٤٠٦).

١٧٠٣ـ (م): أبو سعيدٍ رضي الله عنه: «كانَتِ امرأةٌ مِن بني إسرائيلَ قصيرَةٌ تمشِي معَ امرأتَينِ طَوِيلتَينِ، فاتَّخذَت رجلَينِ مِن خشَبٍ، وخاتَمًا مِن ذهَبٍ مُطبقًا، ثمَّ حشَتهُ مِسْكًا، وهو أطيبُ الطِّيبِ، فمرَّت بينَ المرأتَينِ فلم يعرفُوها، فقالَتْ بيدِهَا هكذا» ونفضَ شعبةُ يدَهُ. [م: ٢٢٥٢]

* قيل: فِعْلُ هذه المرأةِ يحتملُ وجهين:

أحدهما: أنَّها فعلَتْ ذلك؛ لكونِ قِصَرِها خارجًا عن الاعتدالِ بالكليَّةِ، فكان الناسُ ينظرونَ إليها لذلك، فتستَّرَتْ عن الناسِ، وعلى هذا لا إثمَ عليها.

والثاني: أنَّها فعلَتْ ذلك؛ تزيينًا لزوجِها بإلحاقِ نفسِها بالطِّوالِ، وذلك من بابِ تغييرِ خَلْقِ اللهِ فلا يجوزُ.

وأمَّا اتخاذُ الخاتمِ الذهبِ فجائزٌ للنساءِ، وأمَّا اتخاذُها المسكَ فمباحٌ لها في بيتها، وربَّما يكون مستحبًّا إذا قصدَتْ حُسْنَ التَّبعُّلِ(١) للزوجِ، فإنْ خرجَتْ عن بيتِها قاصدَةً أنْ يجدَ الناسُ ريحَها فحرامٌ، وإنْ لم تقصِدْ ذلك فليسَ بحرامٍ.

قوله: (**وهو أطيبُ الطِّيبِ**) يدُلُّ على جوازِ استعمالِه في الثَّوبِ والبدنِ فيكون طاهرًا، ويجوزُ بيعُه.

قيل: أرادَتْ هذه المرأةُ تعريفَ نفسِها بأنَّها صارَتْ طويلةً، وقصدَتْ بالمسكِ أنْ يتمَّ عليها ريحُه، فلمَّا لم يُفِدْها ذلك نفضَتْ يدَها إشارةً إليهم بذلك.

وقوله: (**ونفَضَ شُعْبَةُ**) هو أحدُ رواةِ هذا الحديثِ، وكانَ إمامًا من أئمَّة المسلمين بالعراقِ(٢).

---

(١) في (ن): «التبتل».

(٢) هو: الحافظ أمير المؤمنين في الحديث شعبة بن الحجاج بن الورد، أبو بسطام الأزدي، العتكي =

١٧٠٤ـ (خ): أَبو هُريرة رضي الله عنه: «كانَتْ بنُو إسرائِيلَ تسوسُهُمُ الأنبياءُ كلَّمَا هلكَ نبيٌّ خلَفَهُ نبيٌّ، وإنَّهُ لا نبيَّ بعدي، وسيكونُ خلفاءُ فيكثُرُون، قالوا: فما تأمُرُنا؟ قال: فُوا بيعَةَ الأَوَّلِ فالأَوَّلِ، أعطُوهُم حقَّهُم، فإنَّ اللهَ سائلُهُم عمَّا استرعاهُم». [خ: ٣٢٦٨]

* **السِّياسةُ**: هي القيامُ على الشيءِ بما يُصلِحُه[١]، ومعنى: (**تسُوسُهُم الأنبيَاءُ**)؛ أي: يتولَّون أمرَهم، ويقومون بمصالِحهم كما يفعلُ الأمراءُ والولاةُ بالرَّعيةِ.

وقوله: (**كلَّمَا هلَكَ نبيٌّ**) هو على أسلوبِ قولِه تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًاۚ﴾ [غافر: ٣٤].

وقوله: (**وسيكُونُ خلفَاءُ**) وعدٌ بتولِيَتهم.

وقوله: (**فيكثُرُون**) بالثَّاء المثلَّثة، من الكَثْرَة، وقيل: بالباءِ الموحَّدَة.

وقوله: (**فُوا**) أمرٌ من الوفاءِ.

وقد تقدَّم الكلامُ في الخليفَتين، ووجوبِ الوفاءِ ببيعةِ الأوَّل[٢]، ولا فرقَ في ذلك بينَ أنْ يكونَ عقدُ الثاني بعد الأوَّل عن علمٍ به أو جهلٍ، ولا بين أنْ يكونا في بلدَين أو بلدٍ واحدٍ، وهو الصَّحيحُ من مذهبِ العلماءِ.

وقال إمامُ الحرمين: وعندي: لا يجوز عقدُها لاثنين في صُقعٍ واحدٍ،

= مولاهم، الواسطي، ثم البصري، ثقة، حافظ متقن، كان الثوري يقول: هو أمير المؤمنين في الحديث، عالم أهل البصرة وشيخها، سكن البصرة من الصغر، ورأى الحسن وأخذ عنه مسائل. انظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٧/ ٢٠٢).

(١) انظر: «شرح النووي على مسلم» (١٢/ ٢٣١).

(٢) تقدم تحت رقم: (٤٥٩).

فـإنْ بَعُـد ما بيـن الإماميـن وتخلَّلَتْ بينهما شُسُـوعٌ فللاحتمـالِ فيه مجـالٌ[1]، وهو مخالـفٌ للحديـثِ والإجماعِ.

١٧٠٥ـ (ق): أبـو هُريـرة رضـي الله عنه: «كانَتْ بنو إسـرائيلَ يغتسـلُونَ عُرَاةً، ينظُـرُ بعضُهُم إلى سَـوءةِ بعضٍ، وكانَ موسـى يغتسِـلُ وحـدَهُ، فقالُـوا: واللهِ ما يمنعُ موسـى أن يغتسِـلَ معنَـا إلَّا أنَّـهُ آدَرُ، قـال: فذهَـبَ مـرَّةً يغتسِـلُ، فوضَـعَ ثوبَـهُ على حجَـرٍ، ففـرَّ الحجَـرُ بثوبِـهِ، قـال: فجمَـحَ موسـى عليـه السَّـلام بأثَـرِهِ يقـولُ: ثَوبي حجَـرُ، ثَوبـي حجَـرُ، حتَّـى نظرَت بنُو إسـرائيلَ إلى سَـوءةِ مُوسـى، فقالُـوا: واللهِ ما بموسَـى مِـن بأسٍ، فقـامَ الحجَـرُ حتَّى نُظِـرَ إليهِ، قـال: فأخَـذَ ثوبَهُ، فطفِـقَ بالحجرِ ضربًـا». [خ: ٢٧٤] [م: ٣٣٩]

* (عُرَاةً) جمعُ عارٍ، وهو نصبٌ على الحالِ.

وكذا قوله: (ينظرُ بعضُهُم إلى سَوءةِ بعضٍ) قيل: وكانوا يفعلونَ ذلك؛ معاندةً لشرعِ موسى ومخالفةً له، ألا يُرى أنَّ موسى كان يستترُ عندَ الغُسْل؟ ثمَّ لم يكفِهم مخالفتُه حتى آذَوه بما نسَبوا إليه من الأُدْرَة، فبرَّأه اللهُ ممَّا قالوا بطريقِ خارقٍ للعادةِ، ولذلك نزلَ قولُه تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا ﴾ [الأحزاب: ٦٩].

وفي الحديث: إشارةٌ إلى أنَّ الأنبياءَ عليهم السَّلام لا بدَّ أنْ يكونوا مكمَّلين في الخَلْقِ والخُلُقِ، لا يكونُ فيهم نقصٌ، ولا معتبرَ بالطَّارئ؛ كعمى يعقوبَ، وابتلاءِ أيوبَ عليهما السلام.

---

(١) انظر: «شرح النووي على مسلم» (١٢/ ٢٣٢).

والآدَرُ ـ بهمزةٍ ممدودةٍ، ودالٍ مهملةٍ مفتوحة ـ: هو الذي يكون به أُدْرَةٌ؛ أي: عِظَمٌ في الخصيتَين(١).

ومعنى: جَمَحَ: ذهبَ مُسْرعًا إسراعًا بليغًا(٢)؛ أي: جرى موسى عليه السَّلام خلفَ الحجرِ وهو يُنادي: (ثَوبي حجَرُ) أي: أعطني، أو اترُكْ لي ثَوبي، حُذِفَ الفعلُ لضيقِ المحلِّ، وحُذِفَ حرفُ النِّداءِ لذلك أيضًا، لكنَّه قليلٌ؛ لأنَّه من بابِ: أطرِقْ كَرَا(٣)، وافتَدِ مخنُوقُ(٤)، حُذِفَ حرفُ النِّداء والمنادَى منكَّرٌ، وإنَّما نادَى موسَى الحجرَ نداءَ من يعقلُ؛ لأنَّه صدرَ منه أفعالُ العقلاءِ.

١٧٠٦ـ (ق): أبو هُريرة رضي الله عنه: «كانَ جُريجٌ رجلًا عابدًا، فاتَّخذَ صَومَعةً فكانَ فيها، فأتتْهُ أمُّه وهو يصلِّي، فقالت: يا جريجُ، فقال: أيْ ربِّ أمِّي وصلاتي، فأقبلَ على صلاتِهِ فانصرَفَتْ، فلمَّا كانَ منَ الغدِ أتتْهُ وهو يُصَلِّي، فقالتْ: يا جريجُ، فقال: أي ربِّ أمِّي وصَلاتي، فأقبلَ على صَلاتِهِ فانصرفَتْ، فلمَّا كانَ منَ الغدِ أتتهُ، فقالتْ: يا جُريجُ، فقال: أي ربِّ أمِّي وصَلاتِي، فأقبلَ على صَلاتِهِ، فقالَتْ: اللَّهمَّ لا تُمِتْهُ حتَّى ينظُرَ إلى وجُوهِ المومِساتِ، فتذَاكَرَ بنو إسرائيلَ جُريجًا وعبادَتَهُ،

---

(١) انظر: «غريب الحديث» لابن الجوزي (١/ ١٥).

(٢) انظر: «الغريبين في القرآن والحديث» لأبي عبيد الهروي (١/ ٣٦١).

(٣) يقال في المثل: أَطْرِقْ كَرَا إنَّ النَّعَامَ بالقُرَى: كرَا: ترخيم كروان الطائر المعروف وهو نكرة. قيل: يضرب مثلًا للرجل الحقير إذا تكلَّم في الموضع الجليل لا يتكلَّم فيه أمثاله. انظر: «جمهرة الأمثال» للعسكري (١/ ١٩٤).

(٤) أي: يا مخنوق، يُضرب لكل مَشْفُوق عليه مضطر، ويروى: افْتَدَى مخنوقٌ. انظر: «مجمع الأمثال» للميداني (٢/ ٧٨).

وكانَتِ امرأةٌ بغِيٌّ يتمثَّلُ بحسنِها، فقالَتْ: إنْ شئتُم لأفتننَّهُ لكُم. قال: فتعرَّضَت لهُ فلم يلتَفِتْ إليها، فأتَتْ راعيًا كانَ يأوِي إلى صَومعَتِهِ، فأمكنَتْه مِن نفسِها، فوقَعَ عليها فحملَتْ، فلمَّا ولدَتْ قالَتْ: هو مِن جُرَيجٍ، فأتَوهُ فاستنزِلوهُ وهدَمُوا صَومعتَهُ، فجعَلوا يضربُونَهُ، فقالَ: ما شأنُكُم؟ فقالُوا: زنيْتَ بهذِهِ البغيِّ، فولدَتْ منكَ، فقال: أين الصَّبيُّ؟ فجاؤوا به، فقالَ: دعُوني حتَّى أصلِّيَ، فصلَّى، فلمَّا انصرَفَ أُتِيَ بالصَّبيِّ فطعَنَ في بطنِهِ، وقال: يا غلامُ مَن أبوكَ؟، فقالَ: فلانٌ الرَّاعِي، قال: فأقبلُوا على جُرَيجٍ يقبِّلُونه ويتمسَّحُونَ به، وقالوا: نبني لكَ صَومعتَكَ مِن ذهَبٍ، قال: لا، أعيدُوها مِن طِينٍ، كمَا كانَتْ ففعلوا، وبينا صَبيٌّ يرضَعُ مِن أمِّهِ، فمرَّ رجلٌ راكِبٌ على دابَّةٍ فارِهَةٍ وشارَةٍ حسنَةٍ، فقالَتْ أمُّهُ: اللَّهمَّ اجعلْ ابني مثلَ هذا، فترَكَ الثَّديَ وأقبلَ إليهِ، فنظَرَ إليهِ فقالَ: اللَّهمَّ لا تجعلني مثلَهُ، ثمَّ أقبلَ على ثديهِ فجعَلَ يرتضِعُ، قال: فكأنِّي أنظُرُ إلى رسُولِ اللهِ ﷺ وهو يحكِي ارتضاعَهُ بإصبعِهِ السَّبَّابَةِ في فمِهِ، فجعَلَ يمَصُّهَا، قال: ومَرُّوا بجاريَةٍ وهم يضربُونَها ويقولُونَ: زنيتِ سرقْتِ، وهي تقولُ: حسبيَ اللهُ ونعمَ الوكيلُ، فقالت أمُّهُ: اللَّهمَّ لا تجعَلِ ابني مثلَها، فترَكَ الرَّضاعَ ونظرَ إليها، فقالَ: اللَّهمَّ اجعَلْني مثلَها، فهناكَ ترَاجَعا الحديثَ، فقالَتْ أمُّه: حَلْقى، مرَّ رجلٌ حسنُ الهيئَةِ، فقلتُ: اللَّهمَّ اجعَلِ ابني مثلَهُ، فقلتَ: اللَّهمَّ لا تجعلني مثلَهُ، ومرُّوا بهذِهِ الأمَةِ وهم يضربُونَها ويقولونَ: زنيتِ سرقْتِ، فقلتُ: اللَّهمَّ لا تجعَلِ ابني مثلَها، فقلتَ: اللَّهمَّ اجعَلني مثلَها، قال: إنَّ ذاكَ الرَّجلَ كانَ جبَّارًا، فقلتُ: اللَّهمَّ لا تجعَلْني مثلَهُ، وإنَّ هذِهِ يقولُونَ لها: زنيتِ ولم تزنِ، وسرقتِ ولم تسرِقْ، فقلتُ: اللَّهمَّ اجعلني مثلَها».

[خ: ٣٢٥٣] [م: ٢٥٥٠]

* قد تقدَّم الكلامُ عليه في البابِ السَّابعِ في قوله عليه السَّلام(١): «لم يتكلَّمْ في المهدِ إلَّا ثلاثةٌ» مستوفًى.

١٧٠٧ـ (م): سلمةُ بنُ الأكوَعِ رضي الله عنه: «كانَ خيرَ فرسانِنا اليومَ أبو قَتادَةَ، وخيرَ رجَّالَتِنا سلمَةُ». [م: ١٨٠٧]

قالهُ منصرَفَهُ مِن ذي قَرَدٍ.

* قد تقدَّم بعضُ قصَّةِ سلمةَ في البابِ الخامسِ في قولِه عليه السَّلام(٢): «يا ابنَ الأكوعِ ملكْتَ فاسجَحْ»، ولا بأسَ بذكرِ ما بقيَ منها:

قال: لما رجعَ رسولُ الله ﷺ من الحُديبيَةِ بعدَ أنْ صالحَ أهلَ مكَّةَ وقَدِمَ المدينةَ، بعثَ ظهرَه معَ غلامِه رَباحٍ، وكانَ معه سلمَةُ بفرَسِ طلحَةَ، فلمَّا أصبَحا أغارَ عبدُ الرحمنِ الفَزاريُّ على الظَّهْرِ، فاستاقَه أجمعَ وقتَلَ راعيَه، فقال سلمةُ: يا رباحُ، خُذْ هذا الفرَسَ فأبلِغْهُ طلحَةَ، وأخبِرْ رسولَ الله أنَّ المشركينَ قد أغاروا على سَرْحِه، ثمَّ قامَ سلمَةُ على أكَمةٍ مستقبِلَ المدينةِ، فنادى ثلاثًا: يا صباحاهُ(٣)، ثمَّ خرجَ في آثارِ القومِ يرميهِم بالنَّبلِ ويرتجزُ يقول:

أنـــا ابـــنُ الأكـــوَعِ   واليومُ يـــومُ الرُّضَّـــعِ

فما زال يرميهم ويعقِرُ بهم حتَّى ألقَوا أكثرَ من ثلاثين بُرْدةً وثلاثين رُمحًا، ثمَّ جلسُوا يتغدَّون وسلمةُ على رأس قَرْنٍ، فما برحَ مكانَه حتَّى رأى فوارسَ رسولِ الله

---

(١) تقدم برقم: (١٤٨٧).

(٢) تقدم برقم: (٩٨٣).

(٣) في (ص): «يا صباحًا».

ﷺ يتخلَّلونَ الشَّجرَ، أوَّلُهم الأخرمُ الأسديُّ، على إثرِه أبو قتادةَ الأنصاريُّ، وعلى إثرِه المقدادُ الكِنديُّ، فأخذَ سلَمةُ بعِنانِ الأخرَمِ فقال: يا أخرمُ، احذرْهم لا يقتَطِعوك حتى يلحَقَ رسولُ الله وأصحابُه، فقال: إن كنتَ تؤمنُ بالله واليوم الآخرِ، وتعلمُ أنَّ الجنَّةَ حقٌّ، والنارَ حقٌّ، فلا تحُلْ بيني وبين الشَّهادةِ، فخلَّاه، فالتقى هو وعبدُ الرَّحمن، فعقرَ فرسَ عبدِ الرحمنِ، وطعنَه عبدُ الرَّحمن فقتَلَه، فلَحِقَ أبو قتادةَ بعبدِ الرَّحمنِ فطعَنَه فقتَلَه.

قال سلمةُ: فوالذي كرَّمَ وجهَ محمَّدٍ، لَتبِعْتُهم أعدو على رِجليَّ ما أرى ورائي من أصحابِ محمَّدٍ حتى يعدِلُوا قبلَ غروبِ الشَّمسِ إلى شِعبٍ فيه ماءٌ يُقالُ له: ذو قَرَدٍ ليشرَبُوا وهم عِطاشٌ، فنظروا إليَّ أعدو وراءَهُم، فماذاقوا منه قطرَةً، ويخرجون يشتدُّونَ في ثنيَّةٍ، فألحقُ رجلًا منهم، فأصُكُّ بسهمٍ في نُغْضِ كَتِفِه، قلتُ: خذْ هذا، ثمَّ أتيتُ رسولَ الله ﷺ، فإذا رسولُ الله قد أخذَ تلك الإبلَ وكلَّ شيءٍ استنقذْتُه من المشركين.

قلتُ: يا رسولَ الله، خلِّني فأنتخِبَ من القومِ مئةَ رجلٍ، فأتبَعَ القومَ، فلا يبقى منهم مخبرٌ إلَّا قتلتُه، فضَحِكَ رسولُ الله ﷺ حتَّى بدَتْ نواجذُه، فقال: «إنَّهم الآنَ ليُقْرَونَ في أرضِ غطَفانَ»، فجاء رجلٌ من غطَفانَ، فقال: نحر لهم فلانٌ جزورًا، فلما كشفوا جلدَها رأوا غُبارًا فقالوا: أتاكم القومُ، فخرجوا هاربين.

قال سلمةُ: فلمَّا أصبحنا قال رسولُ الله... الحديث، ثمَّ أعطاني سهمين: سهمَ الفارسِ، وسهمَ الراجِلِ، ثمَّ أردَفَني على العضباءِ راجعينَ إلى المدينةِ.

الظَّهرُ: الإبلُ القويُّ، ويُطلقُ على الواحدِ والجمعِ.

والسَّرحُ: اسمُ جمع سارحٍ، وهو تسميةٌ بالمصدرِ(١).

---

(١) انظر: «العين» للخليل الفراهيدي (٣/ ١٣٧).

والأَكَمَة: الرَّابيةُ(١).

ومعنى: (فأَصُكُّ بسهمٍ) أضربُه بسهمٍ(٢).

والنَّغضُ - بالضمِّ والفتحِ -: أعلى الكتِفِ(٣).

والقَرَدُ - بفتح القافِ والرَّاءِ -: اسم ماءٍ بينَه وبين خيبرَ مسيرةُ ليلتَين من المدينَةِ(٤).

١٧٠٨- (ق): أبو هُريرة رضي الله عنه: «كانَ رجلٌ يُداينُ النَّاسَ، فكانَ يقولُ لفتاهُ: إذا أتيتَ مُعسِرًا فتَجاوَزْ عنهُ لعلَّ اللهَ يتجاوَزُ عنَّا، قالَ: فلقِيَ اللهَ، فتَجاوَزَ عنهُ».

[خ: ٣٢٩٣] [م: ١٥٦٢]

* يقال: «دايَنَ الرجلَ»: إذا عامله بدينٍ(٥).

والتَّجاوزُ: هو المسامحةُ في الاقتضاءِ والاستيفاءِ(٦).

وفي الحديثِ: فضلُ إنظارِ المعسرِ والوضعِ عنه إمَّا كلَّ الدَّين أو بعضَه، وفضلُ المساهلةِ في الاقتضاءِ من موسِرٍ أو معسِرٍ.

وفيه: جوازُ الإذنِ للعبيدِ بالتَّصرُّفِ؛ لأنَّه عليه السَّلام قصَّ من غير إنكارٍ، فكان شرعًا لنا.

---

(١) انظر: «لسان العرب» لابن منظور (١٢/ ٢١).

(٢) انظر: «إكمال المعلم بفوائد مسلم» للقاضي عياض (٦/ ١٩٨).

(٣) انظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير (٥/ ٨٧).

(٤) انظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير (٤/ ٣٧).

(٥) انظر: «مختار الصحاح» للرازي اللغوي (ص: ١١٠).

(٦) انظر: «شرح النووي على مسلم» (١٠/ ٢٢٤).

١٧٠٩ـ (م): أبو هُريرة رضي الله عنه: «كانَ زكريَّا نجَّارًا». [م: ٢٣٧٩]

* رُوي: أنَّ جماعةً أَتوا منزلَ زكريَّا عليه السَّلام، فإذا فتاةٌ جميلةٌ رائعةٌ قد أشرقَ لها البيتُ حُسنًا، قالوا: من أنتِ؟ قالت: أنا امرأةُ زكريَّا، قالوا فيما بينهم: كنا نرى نبيَّ الله لا يريد الدُّنيا، فإذا هو قد اتَّخذَ امرأةً جميلةً، قالوا: فأين هو؟ قالَتْ: في حائطِ آل فلانٍ يعملُ له، فأتَوه فإذا هو قرَّب رغيفَين، فأكلَ ولم يدْعُهم، ثمَّ قامَ فعملَ بقيَّةَ عملِه وقال لهم: حاجتُكُم؟ قالوا: جئنا لأمرٍ، ولقد كان يغلبُنا ما رأينا على ما جئنا له، فقال: هاتوا، قالوا: أتينا منزلَك فإذا امرأةٌ جميلةٌ رائعةٌ، وكنَّا نرى نبيَّ الله لا يريد الدُّنيا، فقال: إني إنَّما تزوَّجْتُ امرأةً جميلةً رائعةً لأكفَّ بها بصري، وأحفظَ بها فَرجي، قالوا: ورأيناك قرَّبتَ رغيفَين فأكلْتَ ولم تدعُنا؟ قال: إنَّ القومَ استأجروني على عملٍ، فخشيتُ أنْ أضعُفَ عن عملِهم إنْ لم آكُلْ، ولو أكلتُم معي لم يكفِني ولم يكفِكُم[1].

وفي الحديثِ: دلالةٌ على أنَّ أفضلَ ما يأكُل منه الإنسانُ كسبُ يدِه حيث اختارَه نبيُّ الله تعالى، وعلى أنَّ الزينةَ إذا كانت للهِ فهي حقٌّ من حقوقِ الله تعالى، وإذا كانَتْ لغيرِ الله فهي وبالٌ.

١٧١٠ـ (خ): عائشةُ رضي الله عنها: «كانَ عَذابًا يبعثُهُ اللهُ على مَن يشاءُ مِن عبادِهِ، فجعلَهُ اللهُ رحمَةً للمؤمنِينَ، ما مِن عبدٍ يكونُ في بلدَةٍ يكونُ فيه، ويمكثُ فيهِ لا يخرُجُ منَ البلدَةِ صابِرًا محتسِبًا يعلمُ أنَّه لا يصيبُهُ إلَّا ما كتبَ اللهُ له إلَّا كانَ لهُ مثلُ أجرِ شهيدٍ». [خ: ٥٤٠٢]

---

(١) انظر: «نوادر الأصول في أحاديث الرسول» للحكيم الترمذي (٢/ ٦).

قاله لعائشةَ حينَ سألَتْهُ عنِ الطَّاعُون.

*قد تقدَّم الكلامُ على الطاعون في البابِ الرابعِ في قوله عليه السَّلام(١): «إذا سمعتُم بهِ في أرضٍ».

١٧١١ـ (ق): جندبُ بنُ عبدِ اللهِ رضي الله عنه: «كانَ فيمَن كانَ قبلكُم رجلٌ به جرحٌ، فجزِعَ، فأخَذَ سكِّينًا، فحَزَّ بهَا يدَهُ، فما رَقَأ الدَّمُ حتَّى ماتَ، قال اللهُ: بادَرَني عبدي بنفسِهِ، فحرَّمْتُ عليهِ الجنَّة». [خ: ٣٢٧٦] [م: ١١٣]

* (به جرحٌ) صفةُ «رَجلٌ». والجَزَعُ: نقيضُ الصَّبر. وحزَّ الشيءَ: قطعَه(٢).

و(رقأَ الدَّمُ) إذا سكنَ(٣). وبدرَ إلى الشَّيء وبادرَه: بمعنى: سبَقَه. ومعنى (بنفسِه): بإهلاكِ نفسِه.

قيل: في الحديث بحثٌ من وجهين:

الأوَّل: أنَّ قولَه: (بادَرَني عَبدِي بنفسِهِ) يُوهم أنَّ أجلَه كان متأخِّرًا، وقدَّمَ الأجلَ من وقتِه بالمبادَرةِ، وليس كذلك؛ فإنَّ كلَّ ميِّتٍ بأيِّ سببٍ ماتَ ما ماتَ إلَّا بأجلِهِ عندَ أهلِ السُّنَّة.

والثاني: أنَّه يوهمُ أنَّ الكبيرةَ يُخلَّدُ بها مقترفُها، وليس كذلك عندَهم.

وأُجيبَ عن الأوَّل بأنَّ معناه: تعاطى أسبابَ الموتِ على ظنِّ اقتدارِه على

(١) تقدم برقم: (٨١٧).

(٢) انظر: «لسان العرب» لابن منظور (٥/ ٣٣٥).

(٣) انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (٩/ ٢٢٤).

المبادرةِ، وفيه إيهامُ تكذيبِ الله في أنَّ الأجل إذا جاءَ لا يَستَقدِمُ ساعةً ولا يستأخِرُ، فاستحقَّ العقوبَةَ.

وعن الثاني: بأنَّه محمولٌ على المستحلِّ(١). وقيل: معناه: حرَّمْتُ عليه دخولَ الجنَّةِ معَ السَّابقين.

١٧١٢ـ (ق): أبو سعيدٍ رضي الله عنه: «كانَ فيمَن كانَ قبلَكُمْ رجلٌ قتلَ تسعةً وتسعينَ نفسًا، فسألَ عن أعلمِ أهلِ الأرضِ، فدُلَّ على راهِبٍ، فأتاهُ فقالَ: إنَّه قتلَ تسعَةً وتسعِينَ نفسًا، فهَلْ لهُ مِن توبَةٍ؟ فقال: لا، فقتلَهُ فكمَّلَ بهِ مئةً، ثمَّ سألَ عن أعلمِ أهلِ الأرضِ، فدُلَّ على رجلٍ عالمٍ، فقال: إنَّهُ قتلَ مئة نفسٍ، فهل لهُ مِن توبَةٍ؟ فقال: نعم، ومَن يحولُ بينهُ وبينَ التَّوبةِ؟ انطلِقْ إلى أرضِ كذَا وكذَا، فإنَّ بها أُناسًا يعبدُونَ اللهَ، فاعبُدِ اللهَ معهم، ولا ترجِع إلى أرضِكَ، فإنَّها أرضُ سَوءٍ، فانطلَقَ حتَّى إذا نَصَفَ الطَّريقَ أتاهُ الموتُ، فاختصَمَتْ فيهِ ملائكَةُ الرَّحمةِ، وملائكَةُ العذابِ، فقالتْ ملائكَةُ الرَّحمةِ: جاءَ تائبًا مُقبلًا بقلبِهِ إلى اللهِ، وقالتْ ملائكَةُ العذابِ: إنَّه لم يعمَلْ خيرًا قطُّ، فأتاهُم ملَكٌ في صورةِ آدميٍّ، فجعلُوهُ بينهُم، فقال: قيسوا ما بينَ الأرضَينِ، فإلى أيَّتِهِما كانَ أدنى فهو لهُ، فقاسوهُ فوجدوهُ أدنى إلى الأرضِ التي أرادَ، فقبضَتْهُ ملائِكَةُ الرَّحمةِ». [خ: ٣٢٨٣] [م: ٢٧٦٦]

وفي روايَـةٍ: «فأوحَى اللهُ إلى هذِهِ أنْ تباعَدِي وإلى هذِهِ أنْ تقرَّبِي»، وقال البُخاريُّ: «فنَاءَ بصَدرِهِ نحوَهَا».

* قولُه: (تسعةً) اعتبارًا لمعنَى النفسِ لا للفْظِه؛ فإنَّه مؤنَّثٌ، قال الله تعالى: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [النساء: ١]، مع أنَّ المرادَ به آدمُ عليه السَّلام.

---

(١) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» للملا علي القاري (٦/ ٢٢٦٣).

وقوله: (**فدُلَّ**) على البناءِ للمفعولِ. و(**أرضُ سَوءٍ**) بالإضافةِ أكثرُ في الاستعمالِ من الصِّفةِ.

وقوله: (**تائبًا**) حالٌ. وقوله: (**مُقبلًا**) بدلٌ منه، وقيل: حالٌ متداخلةٌ.

وقوله: (**إلى هذِه**) إشارةٌ إلى أرضِ السَّوءِ. وقوله: (**أنْ تباعَدِي**) مفسِّرةٌ؛ لأنَّ في الوحي معنى القولِ، فيكونُ بمعنى: «أي».

وقوله: (**وإلى هذِه**) أي: إلى الأرضِ التي أرادَها، وهي أرضُ العُبَّادِ.

والنَّوءُ: النهوضُ بكدٍّ ومشقَّةٍ[١]، وقوله: (**فناءَ**) أي: نهضَ وتهيَّأ الرجلُ بصدرِه[٢].

(**نحوَها**) أي: نحو أرضِ العُبَّادِ وقتَ الوفاةِ.

وفي الحديث: دليلٌ على أنَّ التوبةَ عن الكبائرِ مقبولةٌ، وعلى أنَّ مفارقةَ التَّائبِ الموضعَ الذي أصابَ فيه الذَّنبَ مستحبَّةٌ[٣]؛ ليكون هاجرًا للقُرناءِ المساعدين على ذلك، وعلى أنَّ عِلْمَ الملائكةِ بالأشياءِ على حسَب ما علَّمَهم الله، حيثُ أعلَمَ ملائكةَ الرحمةِ ما في قلبِ الميِّتِ من صحَّةِ قصدِه إلى التوبةِ وحرصِه عليها، ولم يُعلِمْ ملائكةَ العذابِ حيث قالوا: (**لم يعملْ خيرًا قط**)، ولو اطَّلعوا على ما في قلبِه من التوبةِ ما صحَّ لهم أنْ يقولوا ذلك، ولا نازعُوا فيه.

وعلى أنَّ المتخاصِمَينِ إذا حكَّما شخصًا بحُكمٍ جازَ؛ لأنَّه قال: (**فجعلوهُ بينهم**) أي: جعلوا حَكَمًا بينهم.

---

(١) انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (١٥/ ٣٨٦)، و«شرح المصابيح» لابن الملك (٣/ ١٣٦).

(٢) انظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير (٥/ ١٢٣).

(٣) في (ك): «مستحقَّة».

وعلى كمالِ عنايةِ الله بتوبةِ عبدِه وغفرانِ الذُّنوبِ وإنْ عظُمَتْ بتقريبِ أرضِ العُبَّادِ، وبتبعيدِ الأرضِ السُّوء.

١٧١٣ـ (م): صهيبٌ رضي الله عنه: «كانَ ملِكٌ فيمَن كانَ قبلكُم، وكانَ لهُ ساحرٌ، فلمَّا كبِرَ قال للملِكِ: إنِّي قد كبِرتُ، فابعَثْ إليَّ غُلامًا أعلِّمْهُ السِّحرَ، فبعثَ إليهِ غلامًا يعلِّمُهُ، فكانَ في طريقهِ إذا سلكَ راهبٌ، فقعدَ إليهِ وسمعَ كلامَهُ فأعجبَهُ، فكانَ إذا أتى السَّاحِرَ مرَّ بالرَّاهبِ وقعدَ إليهِ، فإذا أتى السَّاحِرَ ضربَهُ، فشكا ذلكَ إلى الرَّاهبِ، فقال: إذا خشيتَ السَّاحِرَ فقل: حبَسَني أهلِي، وإذا خشيتَ أهلكَ فقُلْ: حبسَني السَّاحرُ، فبينما هو كذلِك إذْ أتَى على دابَّةٍ عظيمَةٍ قد حَبستِ النَّاسَ، فقال: اليومَ أعلمُ السَّاحرُ أفضلُ أمِ الرَّاهِبُ أفضلُ، فأخذَ حجرًا وقال: اللَّهُمَّ إن كانَ أمرُ الرَّاهبِ أحبَّ إليك مِن أمرِ السَّاحرِ فاقتُل هذهِ الدَّابَّةَ حتَّى يمضيَ النَّاسُ، فرمَاهَا فقتلَهَا، ومضَى النَّاسُ، فأتَى الرَّاهبَ فأخبرَهُ، فقالَ لهُ الرَّاهبُ: أي بُنيَّ أنتَ اليومَ أفضلُ منِّي، قد بلغَ مِن أمركَ ما أرى، وإنَّكَ ستُبتَلى، فإنِ ابتُليتَ فلا تدُلَّ عليَّ، وكانَ الغلامُ يُبرِئُ الأكمَهَ والأبرَصَ، ويُدَاوِي النَّاسَ مِن سائرِ الأدواءِ، فسمعَ جليسٌ للملِكِ كان قد عَميَ، فأتاهُ بهدايا كثيرَةٍ، فقال: ما هُهنا لكَ أجمعُ إنْ أنتَ شفيتَني، قال: إنِّي لا أشفي أحدًا، إنَّما يشْفي اللهُ، فإنْ آمنتَ باللهِ دعوتُ اللهَ فشفَاكَ، فآمنَ باللهِ فشفاهُ اللهُ، فأتى الملِكَ فجلَسَ إليهِ كما كانَ يجلِسُ، فقال لهُ الملِكُ: مَن ردَّ عليكَ بصرَكَ؟ قال: ربِّي، قال: ولكَ ربٌّ غيري؟ قال: ربِّي وربُّكَ اللهُ، فأخذَهُ فلم يزَل يعذِّبُهُ حتَّى دلَّ على الغُلامِ، فجيءَ بالغُلامِ، فقال لهُ الملِكُ: أي بُنيَّ، قد بلغَ مِن سحرِكَ ما تبرِئُ الأكمَهَ والأبرَصَ، وتفعَلُ وتفعَلُ، قال: فقال: إنِّي لا أشفِي أحدًا، إنَّما يَشفي اللهُ، فأخذَهُ، فلم يَزَلْ يُعذِّبُهُ حتَّى دَلَّ على الرَّاهبِ، فجيءَ بالرَّاهبِ فقيلَ لهُ:

ارجعْ عن دينكَ، فأبى، فدعا بالمنشارِ، فوضعَ المنشَارَ في مَفرِقِ رأسِهِ، فشقَّهُ بِهِ حتَّى وقعَ شِقَّاهُ، ثمَّ جيءَ بجليسِ الملكِ، فقيلَ لهُ: ارجعْ عَن دينِكَ، فأبى، فوضَعَ المِنشارَ في مَفرِقِ رأسِهِ، فشقَّهُ بِهِ حتَّى وقَعَ شِقَّاهُ، ثمَّ جيءَ بالغُلامِ، فقيلَ لهُ: ارجعْ عن دينِكَ، فأبى، فدفعَهُ إلى نفرٍ مِن أصحابِهِ، فقال: اذهبُوا بِهِ إلى جبلِ كذا وكذا، فاصعَدُوا بِهِ الجبَلَ، فإذا بلَغتُم ذُروتَهُ، فإنْ رجعَ عن دينهِ وإلَّا فاطرَحوهُ، فذهَبُوا بِهِ فصعِدُوا بِهِ الجبَلَ، فقال: اللَّهُمَّ اكفِنيهم بما شئتَ، فرجَفَ بهمُ الجبَلُ، فسقَطوا وجاءَ يمشي إلى الملكِ، فقال لهُ الملكُ: ما فعلَ أصحابُكَ؟ فقال: كَفانيهمُ اللهُ، فدفعَهُ إلى نفرٍ مِن أصحابِهِ، فقال: اذهبُوا بهِ فاحمِلوهُ في قُرْقُورٍ، فتوسَّطُوا بِهِ البحرَ، فإن رجعَ عن دينِهِ وإلَّا فاقذِفوهُ، فذهَبوا بهِ، فقال: اللَّهُمَّ اكفِنيهم بما شئتَ، فانكَفَأت بهمُ السَّفينةُ فغرِقوا، وجاءَ يمشي إلى الملكِ، فقال لهُ الملكُ: ما فعلَ أصحابُكَ؟ قال: كَفَانيهمُ اللهُ، فقال للملِكِ: إنَّكَ لستَ بقاتِلي حتَّى تفعَلَ ما آمرُكَ بِهِ، قالَ: وما هو؟ قال: تجمَعُ النَّاسَ في صعيدٍ واحدٍ، وتصلُبُني على جِذْعٍ، ثمَّ خُذْ سهمًا مِن كِنانَتِي، ثمَّ ضَعِ السَّهمَ في كَبِدِ القوسِ، ثمَّ قُلْ: بسمِ اللهِ ربِّ الغُلامِ، ثمَّ ارمِني، فإنَّكَ إنْ فعلتَ ذلكَ قتلتَني، فجمَعَ النَّاسَ في صَعيدٍ واحِدٍ، وصلبَهُ على جِذْعٍ، ثمَّ أخذَ سَهمًا مِن كِنانَتِهِ، ثمَّ وضَعَ السَّهمَ في كبِدِ القوسِ، ثمَّ قال: بسمِ اللهِ ربِّ الغُلامِ، ثمَّ رماهُ فوضَعَ السَّهمَ في صُدغِهِ، فوضَعَ يدَهُ في صُدغِهِ في موضِعِ السَّهمِ فماتَ، فقالَ النَّاسُ: آمَنَّا بربِّ الغُلامِ، آمنَّا بربِّ الغُلامِ، آمنَّا بربِّ الغُلامِ، فأُتِيَ الملِكُ فقيلَ لهُ: أرأيتَ مَا كنتَ تحذَرُ، قَد واللهِ نزلَ بكَ حذرُكَ، قَد آمنَ النَّاسُ، فأمَرَ بالأُخدُودِ بأفواهِ السِّكَكِ فخُدَّت، وأضرَمَ النِّيرانَ وقال: مَن لم يَرجِعْ عن دينِهِ فأقحِموهُ فيها، أو قيلَ لهُ: اقتحِمْ، ففعَلوا حتَّى جاءتِ امرأةٌ ومعهَا صبيٌّ لها، فتقاعَسَتْ أنْ تقعَ فيها، فقالَ لها الغُلامُ: يا أُمَّهْ اصبِري، فإنَّكِ على الحَقِّ». [م: ٣٠٠٥]

* (**المِلِكُ**): هـو الذي يتصرَّفُ بالأمرِ والنَّهي فـي المأمورِين، والمالكُ: هو الذي يتصرَّفُ في الأعيانِ المملوكةِ على أيِّ وجهٍ كان، ويقال: مَلِكٌ بيِّنُ المُلك - بالضَّمِّ - ومالكٌ بيِّن المِلك بالكسر(١).

و(**حبَسَني**) أي: منعنِي. وقوله: (**إذ أتى على دابَّةٍ**) يعني: الغلامَ.

وقولـه: (**ستُبتَلى**) و(**ابتُلِيْتَ**) علـى بناء المفعـولِ. و(**ما**) في قولـه: «**ما ههنا**» موصولةٌ.

و(**المنشارُ**) في روايةِ الأكثرين مهموزٌ، وقد تُقلَبُ الهمزةُ ياءً، ورويِ بالنُّون، وهما لغتان صحيحتان(٢).

وذُروةُ الجبلِ - بضمِّ الذَّال المعجمةِ وكسرها -: أعلاه(٣).

ورَجفَ الجبلُ: اضطربَ وتحرَّك حركةً شديدةً، وقد رُوي: بالزاي والحاء المهملةِ؛ بمعنى: تحرَّك(٤).

والقُرقُور - بضمِّ القافين -: السَّفينةُ الصَّغيرةُ، وهي أنسبُ، وقيل: الكبيرةُ(٥).

والصَّعيدُ ههنا: هو الأرضُ البارزةُ. و(**كبدُ القوسِ**): مقبِضُها(٦).

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٥٩٠).

(٢) انظر: «شرح النووي على مسلم» (١٨/ ١٣٠).

(٣) انظر: «مشارق الأنوار على صحاح الآثار» للقاضي عياض (١/ ٢٦٩).

(٤) قال القاضي في «إكمال المعلم بفوائد مسلم» (٨/ ٥٥٦): روى هذا الحرف لنا الخشني عن الطبري: (فزحف) بالحاء والزاي، والرواية الأولى عليها جماعة شيوخنا، وهي أصح، وإن كان قد يكون الزحف بمعنى الحركة والتقدم.

(٥) انظر: «شرح النووي على مسلم» (١٨/ ١٣١).

(٦) انظر: «العين» للخليل الفراهيدي (٥/ ٣٣٣).

والصُّدغُ: هو ما بين لَحْظِ العينِ إلى أصلِ الأُذنِ(١). وقوله: **(نزلَ بكَ حذرُك)** أي: ما كنت تحذرُ وتخافُ.

و**(الأخدُودُ)** شَقٌّ طويلٌ، والأخاديدُ: جمع(٢).

و**(السِّكك)** الطُّرق، وأفواهُها: أبوابُها.

وضَرِمَ الشيءُ: اشتدَّ حرُّه، و«**أَضْرَمَ النارَ**»: إذا نفخَ فيها فأوقدَها(٣).

والإقْحَامُ: هو الإدخالُ بالعنفِ، وقد روي: «فأَحْموه فيها»(٤) بفتحِ الهمزةِ بعدها حاءٌ مهملةٌ ساكنةٌ. ونقلَ القاضِي اتِّفاقَ النُّسخِ عليه(٥)، من «أَحميتُ الحديدَ»: إذا أدخلتَه النارَ ليُحمَى(٦).

والتَّقاعسُ: التَّوقفُ والتَّأخرُ.

١٧١٤ـ (م): مُعاويةُ بنُ الحكمِ السُّلميُّ رضي الله عنه: «كانَ نبيٌّ مِن الأنبِياءِ يخطُّ، فمَن وافَقَ خطَّهُ فذاكَ». [م: ٥٣٧]

---

(١) انظر: «مجمل اللغة» لابن فارس (ص ٥٥٢).

(٢) انظر: «شرح النووي على مسلم» (١٨/ ١٣٣).

(٣) انظر: «لسان العرب» لابن منظور (١٢/ ٣٥٥).

(٤) هي عند مسلم.

(٥) عبارة القاضي في «إكمال المعلم بفوائد مسلم» (٨/ ٥٥٧): قوله: (فمن لم يرجع عن دينه فاحمه فيه، أو قيل له: اقتحم) قال القاضي: كذا هو في جميع النسخ، وقال بعضهم: لعل صوابه: (فأحموه فيها، أو قولوا له: اقتحم) ولا يبعد عندي صحة معنى: (أحموه) على ما روي من أحميت الحديدة والشيء في النار.

(٦) انظر: «مجمع بحار الأنوار» للفتني (١/ ٥٩٠).

* سأل الراوي النبيَّ عليه السَّلام عن الخطِّ، فأجابَه بالحديثِ.

قال ابنُ عباسٍ رضي الله عنه: الخطُّ: هو الذي يخطُّه الحازي، وهو عِلمٌ قد تركه الناسُ، يأتي صاحبُ الحاجةِ إلى الحازي فيُعطيه حُلوانًا[1] فيقول: اقعدْ حتى أخطَّ لك، وبينَ يدَي الحازي غلامٌ له مِيلٌ، ثم يأتي إلى أرضٍ رخوةٍ فيخُطُّ فيها خطوطًا كثيرةً بالعجَلةِ لئلَّا يلحقَها العددُ، ثمَّ يرجعُ فيمحو منها على مهلٍ خَطَّين خَطَّين، وغلامُه يقول للتَّفاؤلِ: أَبنِي عِنانٍ، أسرعوا بالبيانِ[2]، فإنْ بقِيَ خطَّان فهما علامةُ النُّجْحِ، وإنْ بقيَ خطٌّ واحدٌ فهو علامةُ الخيبةِ[3].

وقال غيره: الخطُّ المشار إليه: عِلمٌ معروفٌ، وللناس فيه تصانيفُ[4] كثيرةٌ، وهو معمولٌ به إلى الآن، ولهم فيه أوضاعٌ واصطلاحٌ وأسامٍ وعملٌ كثيرٌ، وقد يستخرجون به الضميرَ وغيره، وقد يصيبونَ فيه[5].

وقال الخطَّابيُّ: في قوله: (فمَن وافَقَ خطَّهُ فذاكَ) يحتمل أنْ يكونَ معناه الزجرَ؛ إذا كانَ مَن بعدَه لا يوافقُ خطَّه، ولا ينالُ حظَّه من الصَّوابِ؛ لأنَّ ذلك إنما كان آيةً لذلك النبيِّ عليه السَّلام وعَلَمًا لنبوَّته، فليس لمن بعدَه أنْ يتعاطاه طمعًا في نَيله[6].

---

(١) في هامش (ص): «حلوت فلانًا على كذا مالاً، وأنا أحْلوه حَلْوًا وحُلْوانًا: إذا وهبتَ له شيئًا على شيءٍ يفعله لك غير الأجرة».

(٢) هكذا هي في الأصول مع ضبطها، وفي «النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير (٢/ ٤٧) وغيره: أبنَيْ عِيان أسرعا البيانَ.

(٣) انظر: «المعلم بفوائد مسلم» للمازري (١/ ٤١٢).

(٤) في (ص): «تصاوير».

(٥) قاله ابن الأثير. انظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير (٢/ ٤٧).

(٦) انظر: «معالم السنن» للخطابي (٤/ ٢٣٢).

و(**الحازي**) هو الذي يحزرُ الأشياءَ ويقدِّرها، من «حَزَى الشيءَ يحزيهِ ويحزوه»: إذا قدَّرَ وخَرصَ[١].

وقوله: (**فَمَن وافَقَ خطَّهُ**) بالنَّصبِ في المشهورِ، فيكون الفاعلُ مُضْمرًا؛ أي: فمَن وافقَ خَطُّه خطَّه.

وقوله: (**فذاكَ**) أي: فذاكَ يصيبُ[٢]، أو فذاك عَلِمَ مثلَ ما عَلِمَه[٣]. وروي (خطُّه) بالرفعِ، فيكون المفعولُ محذوفًا.

١٧١٥ـ (م): عبدُ اللهِ بنُ عَمرٍو رضي الله عنه: «كتبَ اللهُ مقاديرَ الخلائقِ قبلَ أنْ يخلُقَ السَّماواتِ والأرضَ بخمسينَ ألفَ سنةٍ، قالَ: وعرشُهُ على الماءِ». [م: ٢٦٥٣]

* قيل: المرادُ تحديدُ وقتِ الكتابةِ في اللَّوحِ المحفوظِ أو فيما شاء الله، والمرادُ بالسِّنين: سِنونَ تقديريَّةٌ لا[٤] الحقيقيَّة لكونها زمانًا، والزَّمانُ: هو مقدارُ حركة الفَلَكِ الأعظمِ على الصَّحيحِ، لا يمكن أنْ يكونَ قبلَ خلقِ السمواتِ والأرضِ[٥].

وفيه نظرٌ؛ لأنَّه مبنيٌّ على الأوضاعِ الحكميَّةِ بأنَّ الفلَكَ الأعظمَ علَّةٌ لما تحتَه، والمعلولُ لا ينفَكُّ عن العِلَّة، وتلك الأوضاعُ ليسَتْ بمعتَبرةٍ في الشَّريعةِ.

---

(١) انظر: «الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية» للجوهري (٦/ ٢٣١٢).

(٢) في (ك): «نصيب».

(٣) في (ن): «مثل علمه».

(٤) في (م) و(ك): «لأن».

(٥) انظر: «شرح النووي على مسلم» (١٦/ ٢٠٣).

وقيل: معناه: أنَّ اللهَ تعالى كتبها في عِلْمِه في شيءٍ يشبه المدَّةَ المذكورة ويماثلُها لو كانت موجودةً، ولا يخلو عن اعتبار معنى الكَثرةِ كما في عادةِ العربِ، وعليه قوله تعالى: ﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٨٠].

وقوله: (وعرشُهُ على الماءِ) تقدَّمَ معناه في قوله: «كانَ اللهُ ولا شيءَ معَه».

قيل: فيه دليلٌ على أنَّ الأشياءَ الممكنةَ كلَّها محدَثَةٌ بحدوثٍ زمانيٍّ بقوله: (قبلَ أنْ يخلقَ).

ورُدَّ: بأنَّه يجوز أنْ يكونَ المرادُ به القبليَّةَ الذَّاتيَّةَ أو الرُّتبيَّةَ، فلا ينهضُ دليلًا.

١٧١٦ـ (م): جابرٌ رضي الله عنه: «كذبْتَ، لَا يدخُلُها، فإنَّهُ قد شهِدَ بدرًا والحُديبيَةَ». [م: ٢٤٩٥]

قالهُ لعبدٍ لحاطِبِ بنِ أبي بلتَعَةَ حينَ جاءَهُ يشكُو حاطبًا، فقال: يا رسُولَ اللهِ لَيدخُلَنَّ حاطبٌ النَّار.

* معناه ظاهرٌ. وفيه: فضيلةٌ لأهلِ بدرٍ والحديبيةِ، وفضيلةٌ لحاطبٍ؛ لأنَّه منهم.

قيل: سأل جبريلُ النبيَّ عليه السَّلام فقال: ما تعدُّونَ أهلَ بدرٍ فيكم؟ قال: «مِن أفضلِ المسلمين أو نحوَه»، قال: وكذلك مَن شهدَها مِن الملائكةِ[1].

وفيه: دليلٌ على أنَّ كَذِبَ الخبر راجعٌ إلى مطابقةِ الواقعِ، لا إلى اعتقادِ المخبِرِ.

١٧١٧ـ (خ): عروةُ بنُ الزُّبيرِ رضي الله عنه: «كذَبَ سعدٌ، ولكن هذا يومٌ يعظِّمُ اللهُ فيهِ الكعبَةَ، ويومٌ تُكسى فيهِ الكعبَةُ». [خ: ٤٠٣٠]

---

(١) رواه البخاري (٣٩٩٢) من حديث رفاعة بن رافع الزرقي رضي الله عنه.

يعني: سعدَ بنَ عبادَةَ لمَّا قال لأبِي سفيانَ يوم فتح مكة: اليومَ يومُ الملحمَةِ، اليومَ تُستحَلُّ الكعبةُ، فأخبرَ أبو سفيانَ بذلكَ رسولَ اللهِ ﷺ.

كذَا وقعَ مُرسلًا، وهو مِن حديثِ عائشةَ رضي الله عنها عنِ النَّبيِّ ﷺ.

* قال: لمَّا سار رسولُ الله ﷺ عامَ الفتح، فبلغَ ذلك قريشًا، خرجَ أبو سفيانَ بنُ حربٍ وحكيمُ بنُ حِزامٍ وبُدَيْلُ بنُ ورقاءَ يلتمسون الخبرَ عن رسول الله ﷺ، فأقبلوا يسيرون حتى أَتَوا مَرَّ الظَّهرانِ، فإذا هم بنيرانٍ كأَنَّها نيرانُ عرفةَ، فقال أبو سفيانَ: ما هذه؟ لكأَنَّها نيرانُ عرفةَ، فقال بُدَيْلُ بنُ ورقاءَ: نيرانُ بني عَمْرٍو، فقال أبو سفيانَ: بنو عَمرٍو أقلُّ من ذلك، فرآهم ناسٌ من حرسِ رسولِ الله ﷺ، فأدركُوهم فأخذُوهم، فأَتَوا بهم رسولَ الله ﷺ، فأسلمَ أبو سفيانَ.

فلمَّا سارَ قال للعبَّاس: «أمسِكْ أبا سفيانَ عند حَطِمِ الجبلِ حتى ينظُرَ إلى المسلمين»، فحبسَه العباسُ، وجعلت القبائلُ تمُرُّ مع النبيِّ عليه السَّلام كتيبةً كتيبةً على أبي سفيان، فمرَّتْ كتيبةٌ فقال: يا عباسُ، مَنْ هذه؟ قال: هذه غِفارُ، قال: ما لي ولغِفارَ؟ ثمَّ مرَّتْ جُهَينةُ فقال مثلَ ذلك، ثمَّ مرَّت سعدُ بنُ هُذَيمٍ، فقال مثلَ ذلك، ثمَّ مرَّتْ سُلَيْمُ، فقال مثلَ ذلك، حتى أقبلَتْ كتيبةٌ لم يرَ مثلَها، قال: مَنْ هؤلاء؟ قال: الأنصارُ عليهم سعدُ بنُ عبادةَ معه الرَّايةُ، فقال سعدُ بن عبادةَ: يا أبا سفيانَ، اليومَ يومُ الملحَمَةِ، اليومَ تُستَحَلُّ الكعبةُ، فقالَ أبو سفيان: يا عباسُ، حبَّذا يومُ الذِّمارِ.

ثمَّ جاءت كتيبةٌ هي أقلُّ الكتائبِ، فيهم رسولُ الله ﷺ وأصحابُه، ورايةُ النبيِّ ﷺ مع الزُّبير، فلمَّا مرَّ رسولُ الله ﷺ بأبي سفيانَ قال: ألم تعلمْ ما قال سعدُ بنُ عبادةَ؟ قال: «ما قال؟» قال: كذا وكذا، فقال: «كَذَبَ سعدٌ، ولكنْ هذا يومٌ يُعَظِّمُ اللهُ فيه الكعبةَ، ويومٌ تُكسى فيه الكعبةُ»، قال: فأمرَ رسولُ الله ﷺ أنْ تُركَزَ رايتُه بالحَجُونِ.

قال عروةُ: وأخبرني نافعُ بنُ جُبَيرِ بنِ مُطْعِمٍ قال: سمعتُ العباسَ يقول للزُّبير: يا أبا عبدِ الله، لههُنا أمرَك رسولُ الله ﷺ أنْ تَرْكُزَ الرَّايةَ؟ قال: وأمرَ خالدَ بنَ الوليدِ أنْ يدخلَ من أعلى مكةَ من كَداءٍ، ودخل النبيُّ عليه السلام مِنْ كُدَيٍّ، فقُتِلَ من خيلِ خالدِ بنِ الوليدِ رجلان، حُبَيش بنُ الأشْعَرِ، وكُرْزُ بنُ جابرٍ الفِهْريُّ.

قيل: **حَطِمِ الجبلِ**: لعلَّه يريدُ عند موضعٍ يُهدَمُ من الجبلِ ويُكسَرُ، فتكونُ بفتحِ الحاء المهملة وكسرِ الطَّاءِ، وفي بعض النُّسخِ: بسكون الطَّاء. وإنَّما حبسَه هناك؛ لأنَّه موضعٌ ضيِّقٌ، فلا تفوتُه رؤيةَ أحدٍ منهم(١).

والكتيبةُ: القطعةُ المجتمعةُ من الجيشِ(٢).

وقوله: **(اليومَ يومُ الملحمَةِ)** قيل: معناه: يومُ حربٍ لا تجدُ منه مخلَصًا، ويحتملُ أنْ يريدَ: يومُ القتلِ، يُقال: لَحِمَ فلانٌ فلانًا؛ أي: قتَلَ(٣).

وقوله: **(حبَّذا يومُ الذِّمارِ)** أي: هذا يومٌ لزمَكَ فيه حفظِي وحمَايَتي من(٤) أنْ ينالني فيه مكروهٌ(٥).

وقال أبو سليمانَ: (يومُ الذِّمار): يومُ القتلِ، تمنَّى أنْ يكونَ له يدٌ فيحميَ قومَه(٦).

---

(١) انظر: «التوضيح لشرح الجامع الصحيح» لابن الملقن (٢١/ ٤٣٣).

(٢) انظر: «الغريبين في القرآن والحديث» لأبي عبيد الهروي (٥/ ١٦١٣).

(٣) انظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير (٤/ ٢٣٩).

(٤) في (م) زيادة: «غير».

(٥) انظر: «مصابيح الجامع» لبدر الدين الدماميني (٨/ ٨٦).

(٦) انظر: «أعلام الحديث شرح صحيح البخاري» للخطابي (٣/ ١٧٥١).

و(**الحَجُون**) موضعٌ بأعلى مكَّةَ، وهو بفتحِ الحاءِ[١].

وقوله: (**من كَداءٍ**) قال أهلُ اللُّغةِ: هو بفتحِ الكاف والمدِّ، وفي الثاني: بضمِّ الكافِ وتشديدِ الياء، وقيل: بفتحِ الكاف: أعلى مكَّةَ، وهو الذي يدخَلُ منه، وبضمِّ الكافِ: أسفلُ مكةَ، وهو الذي يُخرَجُ منه[٢].

١٧١٨ـ (ق): سلمةُ بنُ الأكوعِ رضي الله عنه: «كذَبَ مَن قالهُ، إنَّ لهُ لَأجرينِ، وجمعَ بينَ إصبعيهِ، إنَّه لجاهدٌ مُجاهدٌ، قلَّ عربيٌّ مَشى بها مثلَهُ».
[خ: ٣٩٦٠] [م: ١٨٠٢]

يعني: عامِرَ بنَ الأكوَعِ أخا سلمَةَ، وقَد أصابَ ركبتَهُ ذُبابُ سَيفِهِ فماتَ منهُ.

* قيل: كان سيفُ عامرٍ أخي سلمةَ فيه قصَرٌ، فتناولَ يهوديًّا به في حربِ خيبرَ ليَضْرِبَه، فرجعَ ذبابُ سيفِه ـ أي: طرفُه الذي يضرِبُ به ـ فأصابَ ركبتَه فماتَ منها، فلمَّا قفَلوا قال: رآني رسولُ اللهِ باكيًا ساكتًا وهو آخذٌ بيدِي، فقلتُ: فداكَ أبي وأمِّي، زعمُوا أنَّ عامرًا حبِطَ عملُه؟ قال: «**مَنْ قاله؟**» قلتُ: فلانٌ، فقال: «**كذَبَ مَن قالهُ...**» إلى آخره.

(**إنَّه لجاهدٌ**) أي: جادٌّ مبالغٌ في سبيلِ الله وإعلاءِ كلمةِ الإسلامِ[٣].

---

(١) انظر: «لسان العرب» لابن منظور (١٣/ ١٠٩).

(٢) انظر: «مشارق الأنوار على صحاح الآثار» للقاضي عياض (١/ ٣٥٠).

(٣) انظر: «إكمال المعلم بفوائد مسلم» للقاضي عياض (٦/ ١٨٤).

(مُجاهدٌ) أي: لأعدائهِ، قال ابنُ دريد[١]: ذِكْرُ «مجاهِدٍ» بعدَ «جاهِدٍ» للمُبالَغةِ؛ أي: جادٌّ في أمرِه مبالغٌ فيه، كما يقال: جادٌّ مجدٌّ[٢].

١٧١٩ـ (م): أَبُو هُريرة رضي الله عنه: «كَفى بالمرءِ كَذِبًا أنْ يُحدِّث بكلِّ ما سمعَ». [م: ٥]

وروايةُ القُضاعيِّ: «إثمًا»[٣].

*الباء في (بالمرءِ) زائدةٌ على المفعولِ، و(كَذِبًا) تمييزٌ، و(أنْ يُحدِّث) فاعلُ (كَفى).

ومعناه: أنَّ من حدَّثَ بكلِّ ما سمعَ حصَّل الحظَّ الكافيَ[٤] من الكذبِ؛ فإنَّه يسمعُ الغثَّ والسَّمينَ، والصَّحيحَ والسَّقيمَ، فإذا حدَّثَ بكلِّ ذلك حدَّثَ بالسَّقيمِ

---

(١) لعل في هذا النقل عن ابن دريد وهم، فقد ذكر القاضي عياض هذا الكلام بعد نقله عن ابن دريد، فظن المصنف هنا أن الكلام كله من النقل عن ابن دريد، قال القاضي عياض في «مشارق الأنوار على صحاح الآثار» (١/ ١٦٣): قال ابن دريد: «جاهِدٌ»؛ أي: جادٌّ في أموره، وتكريره هذين اللفظين للمبالغة، كما قالوا: جادٌّ مجِدٌّ، ويوضِّحه قول القاضي في «إكمال المعلم بفوائد مسلم»: (٦/ ١٨٤) قال ابن دريد: يقال: رجلٌ جاهدٌ مثلُ ضاربٍ، اسم فاعلٍ؛ أي: جادٌّ في أمره، قال القاضي: وكرر اللفظين للمبالغة، ورجعت إلى كتب ابن دريد فوجدت في «الاشتقاق»: (ص ٥٠١): ورجل جادٌّ: مجدٌّ في أموره.

(٢) في هامش (ص): «أي: مجد في جهاده حتى صار شهيدًا، كما يقال: جاد مجد، فيكون أحد الأجرين؛ لكونه غازيًا، والآخر لكونه شهيدًا. أو معناه: لجاهد في الطاعات ومجاهد في سبيل الله، فيكون ثبوت الأجرين لهذين السببين، والمعنى الأول أنسب. ابن ملك».

(٣) رواه القضاعيُّ في «مسنده» (١٤١٦).

(٤) في (ص): «الوافي».

وبالكذبِ، ثمَّ يُحمَلُ عنه فيَكْذِبُ في نفسِه أو يُكذَّبُ بسببِهِ، وعن هذا كرِه جماعةٌ من الصَّحابةِ والتَّابعين رضي الله عنهم إكثارَ الحديثِ عنه عليه السَّلام؛ خوفًا من الوقوعِ في الإثمِ.

١٧٢٠ـ (ق): أبو موسى رضي الله عنه: «كمُلَ مِن الرِّجالِ كثيرٌ، ولم يكمُلْ من النِّساءِ غيرُ مريَمَ بنتِ عِمرَانَ، وآسيَةَ امرأةِ فرعَونَ». [خ: ٣٢٣٠] [م: ٢٤٣١]

* تمامه: **«وإنَّ فضلَ عائشةَ على النِّساء كفضلِ الثَّريد على سائرِ الطعامِ»**.

في ميم (**كمُلَ**): ثلاثُ لغاتٍ، والكسرُ ضعيفٌ. وفسَّرَ بعضُ الكمالَ بالنبوَّة، واستدلَّ به على نبوَّة مريمَ وآسيةَ، وقالتْ طائفةٌ بنبوَّة مريمَ[1]؛ لأنَّ اللهَ تعالى أوحى إليها بواسطةِ المَلَك كما أوحى إلى سائرِ الأنبياءِ، وأمَّا آسيةُ فلم يَرِدْ ما يدُلُّ على نبوَّتها دلالةً واضحةً، فيُحمَلُ الكمالُ بالنسبةِ إليها على غيرِ النبوَّة على الفضيلةِ التَّامة.

ورُدَّ: بأنَّ جبريلَ لم يُرسَلْ إليها على تبليغِ النبوَّة، ولا في أمرٍ يتعلَّقُ بها، فلا يلزمُ منه النبوَّة.

والحقُّ: أنَّ الكمالَ ليسَ بالنِّسبةِ إلى النِّساءِ عبارةً عن النُّبوَّة؛ لأنَّ الكمالَ حصولُ شيءٍ لما مِن شأنِه أنْ يكونَ حاصلًا له؛ أي: يليقُ به ويناسِبُه، وليسَ حصُولُ النبوَّة مناسبًا للنِّساءِ ولا لائقًا بهنَّ؛ لأنَّ مبنى النبوَّة على الظُّهورِ والدَّعوةِ والاشتهارِ وتحمُّلِ أعباءِ تكاليفها الشَّاقَّة، ومبنى حالِهنَّ[2] الاستتارُ وعدمُ البروزِ، وقلَّةُ التَّصبُّرِ والتَّحملِ على أعبائها.

---

(١) انظر: «إكمال المعلم بفوائد مسلم» للقاضي عياض (٧/ ٤٤٠).

(٢) في (ب): «حالهم».

وإذا عُرِفَ هذا يظهرُ أنَّ الكمالَ المناسبَ للرجالِ منتهاهُ النبوَّةُ، وللنِّساءِ الصِّدِّيقيَّةُ، وهي مقامٌ بعدَ النبوَّةِ ليسَ بينهما مقامٌ آخرُ، قال الله تعالى: ﴿وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ﴾ [المائدة: ٧٥] الآية.

وقوله: (وإنَّ فضلَ عائشةَ...) إلى آخره، قيل: معناه أنَّ الثَّريدَ من كلِّ طعامٍ أفضلُ من مرقِهِ، فثَرِيدُ اللَّحمِ أفضلُ مِن مرقِهِ، وثريدُ ما لا لحمَ فيه أفضلُ من مرقِهِ؛ وذلك لكثرةِ نفعِه وسُهولةِ مساغِهِ والالتذاذِ به ويُسْرِ تناوُلِهِ وتمكُّنِ الإنسانِ من أخذِ كفايتِه منه بسُرعةٍ(١).

وفيه: تفضيلُها على نساءِ العالمين؛ لأنَّه لا دليلَ على تخصيصِ النِّساءِ ببعضٍ دونَ بعضٍ.

وقيل: بل المرادُ بها: نساءُ هذه الأمَّةِ، كما في قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ٤٧]؛ يعني في ذلك الزَّمانِ.

والحقُّ أنَّ إفرادَها عن الكامِلاتِ يدلُّ على أنَّها ليست على مرتبَتِها، فيُحمَل على أنَّ المرادَ بالنِّساءِ: مَن لم يَرِدِ النصُّ على كمالها، فتكونُ بعدَ خديجةَ الكُبرى؛ لأنَّها جاءتْ من الكاملاتِ في بعضِ الرِّواياتِ: «مريمُ بنتُ عمرانَ وخديجةُ بنتُ خويلدٍ»(٢).

رُوي عن أبي حنيفةَ رحمه الله: عائشةُ بعد خديجةَ الكُبرى أفضلُ نساء العالمين(٣)، والله أعلم بالصَّواب.

(١) انظر: «شرح النووي على مسلم» (١٥/ ١٩٩).

(٢) رواه مسلم (٢٤٣٠) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٣) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» للملا علي القاري (٩/ ٣٦٥٩).

١٧٢١ـ(م): أبو هُريرة رضي الله عنه: «منعَتِ العراقُ درهمَهَا وقفيزَها، ومنعَتِ الشَّامُ مُدْيَها ودينارَها، ومنعَتْ مصرُ إردَبَّها ودينارَها، وعُدتُم منْ حيثُ بدأتُم، وعُدتُم من حيثُ بدأتُم، وعُدتُم من حيثُ بدأتُمْ»، ثمَّ قال أبو هُريرة: شهِدَ على ذلكَ لحْمُ أَبِي هُريرة ودمُهُ. [م: ٢٨٩٦]

***المُدْي**: بضمِّ الميم وسكون الدَّال، مكيالٌ لأهلِ الشَّام، يسعُ خمسةً وأربعين رطلًا[١].

والقَفيزُ: لأهلِ العراقِ يسعُ ثمانيةَ مكاكيكَ، والمكُّوك: صاعٌ ونصف، وقيل: أكثرُ من ذلك[٢].

والإِرْدبُّ: قيل: بكسرِ الهمزةِ؛ مكيالٌ لأهلِ مصرَ يسعُ أربعةً وستِّين مَنًّا[٣].

وفي الحديثِ: دليلٌ على المعجزَةِ؛ لكونِه خبرًا عن المغيَّباتِ.

وفيه: دليلٌ على ما وظَّفَه عمرُ رضي الله عنه على الكَفَرةِ في الأمصارِ من الجزيةِ ومقدارِها.

وقوله: (منعَت) له معنيان:

أحدُهما: أنَّهم يسلِمونَ، فعادوا من حيثُ بدأوا؛ لأنَّ بدْأَهم في علمِ الله وقضائِهِ وقَدَرِهِ أنَّهم سيُسلِمون، فعادوا من حيث بدأوا.

والثاني: أنَّهم يخرجون عن الطَّاعةِ، ويعضُدُه الذي رواه البخاريُّ في «صحيحه»: «كيفَ أنتُم إذا لم تجتَبُوا دينارًا ولا درهمًا؟»، فقيل: وكيفَ ترى ذلك

---

(١) انظر: «غريب الحديث» للخطابي (١/ ٢٤٧).

(٢) انظر: «الغريبين في القرآن والحديث» لأبي عبيد الهروي (١/ ١٥٢).

(٣) انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (١٤/ ٧٤).

كائنًا؟ قال: «تُنتَهَكُ ذمَّةُ الله وذمَّةُ رسوله، فيشُدُّ اللهُ على قلوبِ أهلِ الذِّمَّة، فيمنَعون ما في أيديهِم»[١].

وقوله: (شَهِدَ على ذلكَ) أي: على ما ذُكِر في الحديثِ.

١٧٢٢ـ (م): أنسٌ رضي الله عنه: «نزلَتْ عليَّ آنفًا سورةٌ، فقرَأَ: بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحِيمِ: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ١ـ ٣]، ثمَّ قال: أتدرُونَ مَا الكوثرُ؟ فقلنَا: اللهُ ورسولُهُ أعلمُ، قالَ: فإنَّهُ نَهرٌ وعدَنيهِ ربِّي، عليهِ خيرٌ كثيرٌ، هو حوضٌ تردُ عليهِ أُمَّتي يومَ القيامَةِ، آنيتُهُ عددُ النُّجومِ، فيُخْتَلَجُ العبْدُ مِنهُم، فأقولُ: ربِّ إنَّهُ مِنْ أُمَّتي، فيقالُ: ما تَدْري ما أحدَثَ بعدَكَ». [م: ٤٠٠]

* قال: بينما رسولُ الله ﷺ ذات يومٍ بين أظهُرِنا إذ أغفى إغفاءةً، ثمَّ رفعَ رأسَه مبتَسِمًا، فقلنا: ما أضحكَكَ يا رسولَ الله؟ قال: «**أُنزِلَ عليَّ آنفًا سورةٌ...**» إلى آخره.

قوله: (**بينَ أظهُرِنا**) أي: بينَنا. و(**أَغْفى**) أي: أخذَتْه سِنَةٌ، وهي الحالةُ التي كان يوحَى إليه فيها غالبًا[٢].

وقوله: (**آنفًا**) أي: السَّاعةَ. و(﴿**ٱلْكَوْثَرَ**﴾) فَوْعَلٌ من الكثرةِ، والعربُ تسمِّي كلَّ شيءٍ كثيرٍ في العددِ أو القَدْرِ أو الخطرِ كوثرًا[٣].

---

(١) «صحيح البخاري» (٣١٨٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) انظر: «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» لأبي العباس القرطبي (٢/ ٣٢).

(٣) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٠/ ٣٠٨).

والشَّانئُ: هو المبغِضُ[١]. و(﴿ٱلْأَبْتَرُ﴾) المنقطعُ عن كلِّ خيرٍ[٢].

قيل: نزلت في العاص بنِ وائلٍ؛ وذلك لأنَّه كان تُوفِّيَ ابنُ رسولِ الله ﷺ من خديجةَ رضي الله عنها، وكان العاصُ بنُ وائلٍ إذا ذُكِرَ النبيُّ عليه السَّلام قال: دعوه؛ فإنَّه رجلٌ أبترُ[٣] لا عقِبَ له، فإذا هلكَ انقطعَ ذكرُه، فأنزلَ الله تعالى هذه السُّورةَ[٤].

وقوله: (فيُخْتَلَجُ) أي: يُقتَطَعُ[٥].

وفي الحديثِ: أنَّ البسملةَ في أوائلِ السُّورِ من القرآنِ، كذا قيل، وليس بشيءٍ؛ لجوازِ أنَّه عليه السَّلام قرأَها تبرُّكًا.

وفيه: أنَّ التابعَ إذا رأى من متبوعِه ما يقتَضِي حدوثَ أمرٍ يُستحبُّ له أنْ يسألَ عنه.

وفيه: ذكرُ الحوضِ، وقد تقدَّم الكلامُ عليه[٦].

١٧٢٣ـ (ق): أبو مسعودٍ عُقبةُ بنُ عَمرٍو الأنصاريُّ رضيَ الله عنه: «نزلَ جبريلُ فأمَّني، فصلَّيتُ معهُ، ثمَّ صلَّيتُ معهُ، ثمَّ صلَّيتُ معهُ، ثمَّ صلَّيتُ معهُ، ثمَّ صلَّيتُ معهُ». [خ: ٣٠٤٩] [م: ٦١٠]

* وتمامُه: ويحسبُ بأصابعِه خمسَ مراتٍ.

---

(١) انظر: «غريب الحديث» لابن قتيبة (٢/ ١٨٧).

(٢) انظر: «الغريبين في القرآن والحديث» لأبي عبيد الهروي (١/ ١٣٧).

(٣) في (ص): «البتر»، وفي الهامش: «أبتر: أصح».

(٤) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص ٤٦٦).

(٥) انظر: «شرح السيوطي على مسلم» (٢/ ١٣٢).

(٦) تقدم برقم: (٣١٣).

عن ابن شهابٍ: أنَّ عمرَ بنَ عبد العزيز أخَّر العصرَ شيئًا، فقال له عروة: أمَا إنَّ جبريلَ نزلَ فصلَّى أمام رسولِ الله ﷺ، فقال له عمرُ: اعلمْ ما تقول يا عروةُ، فقال: سمعتُ بشيرَ بنَ أبي مسعودٍ يقول: سمعتُ أبا مسعودٍ يقول: سمعْتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**نزلَ جبرِيلُ فأمَّني...**» إلى آخرِه.

وقوله: (**اعلمْ ما تقولُ**) يُنبِئُ أنَّه لم يكنْ عندَ عمرَ عِلْمٌ بإمامَةِ جبريلَ، فأخرَّ الصَّلاةَ، وذلك يحتملُ أمرين:

أحدهما: أنَّه أخَّرها عن أوَّل الوقتِ، ويعضُدُه قولُه: (شيئًا).

والثاني: أنَّه أخرَّها إلى آخرِ وقتِ أدائها، والثاني أشبَهُ؛ لأنَّ الأوَّلَ لا يحسُنُ به العِتابُ لا سيَّما على الأئمَّة.

فإنْ قيل: لو لم يكنْ عمرُ عالمًا بإمامَةِ جبريلَ ما أفادَه قولُ عروةَ؛ لأنَّه أخبرَ أنَّ جبريلَ أمَّ النبيَّ عليه السَّلام في خمسِ صلواتٍ، ولم يُعيِّنِ الأوقاتَ التي صلَّى به فيها، وبذلك لم يعرِفْ تفصيلَ الأوقاتِ ليُعلَمَ التقديمُ من التَّأخيرِ؟

أُجِيبَ: بأنَّ الرَّاويَ لم ينُصَّ على أنَّ عروةَ لم يبيِّنْ له تفاصيلَها بعدَ الروايةِ، فيجوزُ أن يُقالَ: بيَّنَ ذلك، وبيَّن أنَّ إنكارَه كانَ على ظنِّه أنَّ عمرَ بنَ عبدِ العزيزِ يعلَمُه وأخَّره ناسيًا أو مُتوانيًا.

وقد ذكرَ النَّسائيُّ الحديثَ الدَّالَّ على تفاصيلِ الأوقاتِ[1]، وقد بيَّنَّا ذلك في «العناية شرح الهداية»[2] بعونِ الله وحسنِ توفيقِه.

---

(١) روى النسائي (٥٠٢) حديث إمامة جبريل من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. والحديث رواه البخاري (٧٧١)، ومسلم (٦٤٧).

(٢) انظر: «العناية شرح الهداية» للبابرتي (١/ ٢١٨).

١٧٢٤ـ (م): بُريدةُ بنُ الحُصَيبِ رضي الله عنه: «وجَبَ أجرُكِ، وردَّها عليكِ الميراثُ». [م: ١١٤٩]

قالهُ لامرأةٍ قالَتْ: إنِّي تصدَّقْتُ على أمِّي بجاريَةٍ وإنَّها ماتَتْ.

*قال: بينما أنا جالسٌ عندَ رسولِ الله ﷺ إذ أتَتْه امرأةٌ فقالت: إنِّي تصدَّقتُ على أمِّي بجاريةٍ، وإنَّها ماتت، فقال: «**وجبَ أجرُكِ، وردَّهَا عليكِ الميراثُ**»، قالت: يا رسولَ الله، إنَّه كان عليها صومُ شهرٍ، أفأصُومُ عنها؟ قال: «**صومي عنها**»، قالت: إنَّها لم تحجَّ قطُّ، أفأحجُّ عنها؟ قال: «**حُجِّي عنها**».

قوله: (**وجبَ أجرُكِ**) أي: ثبتَ ثوابُك على الصَّدقَةِ.

(**وردَّهَا عليكِ**) أي: إلى مِلكِكِ؛ لأنَّ مِلْكَ الموروثِ جبريٌّ؛ فكأنَّها ردَّها عليها، اختارَتْ أو لم تختَرْ(١).

وقد تقدَّم الكلامُ على الصَّومِ عن الميتِ في البابِ الأوَّلِ في قوله عليه السَّلام(٢): «مَن ماتَ وعليه صيامٌ»، وسيجيءُ الكلامُ على الحجِّ عن الميِّتِ.

١٧٢٥ـ (ق): ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: «وقَاهَا اللهُ شرَّكُمْ، كمَا وقاكُمْ شرَّها».

[خ: ١٧٣٣] [م: ٢٢٣٤]

يعني: حيَّةً خرجَتْ عليهِم بمِنى.

---

(١) في هامش (ص): «وفي هذا الحديث: دلالة على صحة الرد على ذوي الفروض النسبية؛ لأنه إن كان ثمة وارث آخر ما كان الميراث رد الجارية على مالكها، لكن ردها بالحديث».

(٢) تقدم برقم: (١٧١).

* قال: كنَّا مع النبيِّ عليه السَّلام في غارٍ[١] - وزادَ البخاريُّ: بمنى - وقد أُنزِلَتْ عليه: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا﴾ [المرسلات: ١]، فنحن نأخذُها من فيه رطبةً إذ خرجَتْ علينا حيَّةٌ، فقال: «**اقتلوها**» فابتدرناها لنقتُلَها فسبقَتْنا، فقال رسولُ الله ﷺ: «**وقَاهَا اللهُ شرَّكُمْ**...» إلى آخره.

قوله: (**فنحنُ نأخذُها مِن فِيهِ رطبةً**) أي: مستطابةً سهلةً كالثَّمرةِ الرَّطبةِ، وقيل: معناه: نتلقَّاها لنَسْمَعَها منه لأوَّلِ نزولها كالشَّيءِ الرَّطبِ في أوَّلِ أحوالِه[٢].

وقوله: (**شرَّكُمْ**) أي: قتلكُم إيَّاها؛ فإنَّه شرٌّ بالنسبةِ إليها.

وقوله: (**شرَّهَا**) أي: لسْعَها.

وفيه: دليلٌ على جوازِ قتلِ الحيَّةِ في الحَرمِ؛ فإنَّ مِنى مِنَ الحَرمِ، وهي من جملةِ الفَواسقِ التي جاءَ فيها قوله عليه السَّلام: «**خمسٌ منَ الفواسقِ يُقتلْنَ في الحِلِّ والحَرمِ**»[٣].

---

(١) في (ص): «الغار».

(٢) انظر: «إكمال المعلم بفوائد مسلم» للقاضي عياض (٧/ ١٧٢).

(٣) رواه البخاري (١٨٢٩)، ومسلم (١١٩٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

فصلٌ فيما لم يُسَمَّ فاعِلُه

١٧٢٦ـ (ق): عائشةُ رضي الله عنها: «أُريتُكِ في المنامِ ثلاثَ ليالٍ، جاءني بكِ المَلَكُ في سَرَقَةٍ مِنْ حريرٍ، فيقولُ: هذهِ امرأتُكَ، فأكشِفُ عن وجهِكِ، فإذا أنتِ هي، فأقولُ: إنْ يكُ مِنْ عندِ اللهِ يُمْضِهِ». [خ: ٤٨٣٢] [م: ٢٤٣٨]

* **السَّرَقةُ** ـ بفتح السِّين والرَّاء المهملتين ـ: هي الجيِّد من الحريرِ، وقيل: البِيضُ، قاله أبو عبيدةَ[١].

وقوله: (**إنْ يكُ مِن عندِ اللهِ يُمْضِهِ**) قال القاضي[٢]: إنْ كانَت هذه الرؤيةُ قبلَ النبوَّةِ، وقبلَ تحصينِ أحلامِه من الأضغاثِ، فمعناه: إنْ كانت رؤيا حقٍّ فسيُمضها اللهُ، وإنْ كانت بعدَ النبوَّةِ فلها ثلاثةُ معانٍ:

أحدُها: أنَّ المرادَ: إنْ كانت على وجهِها وظاهرِها فلا تحتاجُ إلى تفسيرٍ، فيُمضيها الله وينجِّزُها، فالشَّكُّ عائدٌ على أنَّها على ظاهرِها، أو تحتاجُ إلى تفسيرٍ يصرفُها عن ظاهرِها.

والثاني: أنَّ المرادَ إنْ كانَ هذه الزَّوجية في الدنيا يمضِها اللهُ، فالشَّكُّ في الزَّوجيَّة هل في الدُّنيا أو في الآخرةِ؟

والثالثُ: أنَّه لا شكَّ ثمَّةَ في الحقيقةِ، وإنَّما هو في الحقيقةِ إخبارٌ ولكنْ أتى بصُورةِ الشَّكِّ، كما في قوله[٣]:

---

(١) انظر: «الغريبين في القرآن والحديث» لأبي عبيد الهروي (٣/ ٨٩٠).

(٢) انظر: «إكمال المعلم بفوائد مسلم» للقاضي عياض (٧/ ٤٤٥).

(٣) البيت لذي الرمة في «ديوانه/ شرح الباهلي» (٢/ ٧٦٧) وتمامه:

أيا ظبية الوعساء بين جلاجل ... وبين النقا آأنت أم أم سالم

والوعساء: الأرض اللينة ذات الرمل، وجلاجل: اسم مكان بعينه، والنقا: التل من الرمل، وأم سالم: كنية محبوبته مية.

أأنْتِ أمْ أمُّ سَالمِ

وهو نوعٌ من البديعِ عندَ أهلِ البلاغةِ يُسمُّونه: تجاهلَ العارفِ(١).

وفيه نظرٌ؛ لأنَّ ذلك إنَّما يكون لنُكْتةٍ، وليسَ في الحديثِ ولا في غيره ما يشيرُ أو يلوِّحُ إلى ذلك.

١٧٢٧ـ (م): أبو هريرةَ رضي الله عنه: «أُرِيتُ ليلَةَ القدْرِ، ثمَّ أيقظَني بعضُ أهلِي فنُسِّيتُها ـ ويُروى: فنَسِيتُها ـ فالتَمِسُوها في العَشرِ الغَوابِرِ». [م: ١١٦٦]

*قد تقدَّم الكلامُ على ليلةِ القدرِ(٢).

وقوله: (**فنُسِّيتُها**) على بناء المفعولِ بتشديد السِّين، وفي روايةٍ: (**فَنَسيتُها**) على بناءِ الفاعلِ بتخفيف السِّين، ومثلُ هذا النسيانِ ـ لعدمِ تعلُّقِه بتبليغِ حكمٍ يجبُ العملُ به ـ جائزٌ لا سيَّما إذا تعلَّقَ به حكمةٌ، وهي ههنا: تحريضُ الناسِ على قيامِ اللَّيالي في العشرِ.

(**الغوابِرِ**) جمعُ غابرٍ بمعنى: الباقِي(٣)، تحصيلًا للأجرِ.

١٧٢٨ـ (ق): جابرٌ رضي الله عنه: «أُعطِيتُ خمسًا لم يعطَهُنَّ أحدٌ مِنَ الأنبيَاءِ قَبلي: نُصِرْتُ بالرُّعْبِ مسيرَةَ شهرٍ، وجُعِلَتْ لي الأرضُ مسجِدًا

(١) تجاهل العارف: إخراج ما يعرف صحته مخرج ما يشك فيه؛ ليزيد بذلك تأكيدًا. انظر: «الصناعتين الكتابة والشعر» لأبي هلال العسكري (ص: ٣٩٦).

(٢) تقدم برقم: (١٣٨).

(٣) انظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير (٣/ ٣٣٧).

وطَهورًا، فأيُّما رجُلٍ مِن أُمَّتي أدركتْهُ الصَّلاةُ فلْيُصَلِّ، وأُحِلَّتْ ليَ الغنائمُ ولم تحِلَّ لأحَدٍ قَبْلي، وأُعطِيتُ الشَّفاعةَ، وكانَ النَّبيُّ يُبعَثُ إلى قومِهِ خاصَّةً، وبُعِثتُ إلى النَّاسِ عامَّةً». [خ: ٣٢٨] [م: ٥٢١]

* وفي رواية أبي هريرةَ: «فُضِّلْتُ على الأنبياء بستٍّ: أُعطِيتُ جوامعَ الكَلِمِ، ونُصِرْتُ بالرُّعبِ، وأُحِلَّتْ لي الغنائمُ، وجُعِلَتْ لي الأرضُ طَهورًا ومسجدًا، وأُرسِلْتُ إلى الخَلق كافَّةً، وخُتِمَ بي النَّبيُّون»[١]، تُرِكَ في هذه الرواية: الشَّفاعةُ، وذُكِرَ فيها: جوامعُ الكَلِمِ، والخَتمُ، فهذه مضافةٌ إلى ذلك يحصلُ منهما سبعةٌ.

وفي روايةٍ: «وبينا أنا نائمٌ أُتيتُ بمفاتيحِ خزائنِ الأرضِ فوُضعَتْ في يدي»[٢] فصارَ المجموعُ ثمانيةً.

وفي رواية حذيفةَ: «فُضِّلنا على الناسِ بثلاثٍ: جُعِلَتْ صفوفُنا كصفوفِ الملائكةِ، وجُعِلَتْ لنا الأرضُ كلُّها مسجدًا، وجُعِلَتْ تُرْبتُها لنا طَهورًا إذا لم نجدِ الماءَ»[٣]، فزادَ على ذلك الصُّفوفَ، فصارَ تسعةً.

وقد خرَّجَ أبو بكرِ بنُ أبي شيبةَ في «مسنده»: «وأُعطِيتُ هؤلاءِ الآياتِ من آخرِ سورةِ البقرةِ من كَنزٍ تحتَ العرشِ لم يعطَ أحدٌ منه كانَ قبلِي، ولا يُعطَى أحدٌ منه كانَ بعدِي»[٤]، فصار المجموعُ عشرةً.

---

(١) رواه مسلم (٥٢٣).

(٢) رواه البخاري (٢٩٧٧)، ومسلم (٥٢٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه مسلم (٥٢٢).

(٤) لم أقف عليه في المطبوع من «مسنده»، ورواه في «مصنفه» (٣١٦٤٩)، والنسائي (٧٩٦٨)، وابن حبان في «صحيحه» (١٦٩٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢١٧٨) من حديث حذيفة رضي الله عنه.

ونحتاجُ إلى الكلام في موضعين:

أحدُهما: في دفع التَّنافي الظاهرِ بين الأعدادِ المذكورةِ.

والثاني: في بيانِ ما هو المختَصُّ به عليه السَّلام وغيرُه.

فأمَّا الأوَّلُ: فقد قيل فيه: إنَّ التَّنافيَ إنَّما يحصلُ بالنَّظرِ إلى أنَّ أسماءَ العددِ تفيدُ الحصرَ، وليسَ كذلك؛ فإنَّ الرجلَ إذا قال: عندي عشَرةُ دراهمَ، ليسَ في لفظِه ما يدلُّ على أنَّه ليسَ عنده غيرُها، وهذا ليسَ بصحيحٍ؛ لأنَّ ألفاظَ الأعدادِ كلٌّ منها لفظٌ خاصٌّ وُضِعَ لمعنًى معلومٍ على الانفرادِ لا يحتملُ الزِّيادةَ والنُّقصانَ، وقد قرَّرناه في «التَّقرير».

وقوله: عندي عشَرةُ دراهمَ، في موضعِ البيانِ عمَّا عنده يُنافي أنْ يكونَ عنده غيرُها؛ لكونه كَذِبًا حينئذٍ.

والأَولى أنْ يُقال: سنذكر ما هو مخصوصٌ به منها وما ليسَ كذلك، فما ليسَ بمخصوصٍ به لا حاجةَ إلى الاعتذارِ عنه سوى الإضافةِ إلى نفسِه إنْ وُجِدَتْ؛ فإنَّ الاعتذارَ عنه بأنَّ تخصيصَ الشَّيء بذكرِ العلمِ أو الوَصْفِ لا ينفي الحُكمَ عمَّا عداه على ما قرَّرْنا في «التقرير».

وما هو مخصوصٌ به إنْ وقعَ فيه تنافٍ من حيثُ دلالةُ أسماءِ العددِ يُدفَعُ بأنَّ اللهَ تعالى فضَّلَه بالقليلِ أوَّلًا، ثمَّ زادَ عليه تكريمًا له ﷺ.

لا يُقال: إنَّما يصحُّ هذا إنْ لو ثبتَ أنَّ الأحاديثَ الدالَّة على الزِّيادةِ متأخرةٌ، ولم يثبتْ ذلك؛ لأنَّا نقول: إنْ ثبتَ ذلك فلا كلامَ، وإنْ لم يثبتْ أو ثبتَ تقدُّمُه، يُحمَلُ على أنَّه إخبارٌ عن المغيَّبات بأنَّ اللهَ يزيدُ في كمالِه وتفضُّله بخصالٍ زائدةٍ

على القليلِ في وقتٍ وقَّتَه اللهُ لذلك، وعبَّر بلفظِ الماضي؛ لعدمِ وقوعِ الخُلْفِ في خبرِه، فكانَ الماضي والمستقبلُ سواءً، أو لإظهارِ الرَّغبَةِ في وقوعِه.

وأمَّا الثاني: فنذكرُ فيه شرحَ كلِّ واحدٍ من الأمورِ المذكورَةِ، وبه يتبيَّنُ تخصُّصُ المختصِّ منها.

قوله: (**نُصِرْتُ بالرُّعْبِ مسيرَةَ شهرٍ**) ظاهرُه يقتَضِي إرهابَ عدوِّه، وإدخالَ الوَجَلِ في قلبِه؛ لتوقُّعِ نزولِ المحذورِ من مسيرةِ شهرٍ.

فمفهومه أنَّه لم يوجَدْ لغيرِه، ولم يمنعْ ما هو أقلُّ مِن ذلك؛ لعدمِ المزاحمةِ والنَّقصِ فيما خُصَّ به.

وقوله: (**وجُعِلَتْ لي الأرضُ مسجِدًا وطهُورًا**) الظاهرُ أنَّ المرادَ به: موضعُ السجودِ، ويتضمَّنُ ما يَشْغلُه السَّاجدُ من الأرضِ لبقيَّة الأعضاءِ، ويتضمَّنُ طهارةَ ذلك المقدارِ لخروجِ النَّجسِ منها بدليلٍ قاطعٍ.

والمرادُ بالطَّهورِ ههنا: هو المطهِّرُ؛ إذ لو كانَ المرادُ به التأكيدَ في الطَّهارة بطلَ الاختصاصُ؛ إذ لم يثبتْ أنَّ الأرضَ كانت في الأمِمِ الماضيةِ نجسَةً، نعم ما كانت مُطهِّرةً بدلَ الماءِ إلَّا في شريعتِهِ ﷺ.

وهو بظاهرِه يدلُّ على جوازِ التَّيمُّمِ بكلِّ ما كانَ من جنسِ الأرضِ، وممَّا يؤيِّده قولُه عليه السَّلام: «فأيُّما رجلٍ من أمَّتِي أدركَتْه الصَّلاةُ فلْيُصلِّ»[١]؛ لأنَّ كلمةَ (أيُّما): تفيدُ العمومَ لا محالةَ، وذلك إنَّما يكونُ إذا جاز لمنْ هو في أرضِ رملٍ أنْ يتيمَّمَ به، وكذا إذا وُجِدَ الإنسانُ في أمكنةٍ ليس فيها ترابٌ خالصٌ.

---

(١) رواه البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

وقوله: (وأحلَّتْ ليَ الغنائِمُ) ظاهرُه: أنَّها لم يحلَّ لأحدٍ شيءٌ منها غيرِه ﷺ.

فإنْ قيل: قد كانَ لسليمانَ وغيرِه السَّراري، وهي لا تتحقَّقُ بدونِ السَّبي والغنيمَةِ، فأينَ الاختصاصُ؟ فيجبُ أنْ يكونَ المرادُ بالغنائمِ البعضَ، فإنَّه جاءَ في بعض الطُّرق: «وأُحِلَّ لنا الخُمُسُ»(١)، أو يكونَ المرادُ التَّصرُّفَ فيها كيفَ شاءَ، والقِسْمةَ كيف أرادَ.

وأُجيبَ: بأنَّ الأنبياءَ كانوا إذا غنِموا من الأموالِ والأمتعةِ شيئًا جمعوه، فكان تنزلُ النَّارُ فتأكلُ خُمُسَ ذلك النَّبيِّ وأخماسَ أمَّتِه، وأمَّا العبيدُ والإماءُ والحيوانُ فكان مِلكًا للغانمين دونَ الأنبياءِ، وما كانَ يجوزُ للنَّبيِّ أخذُ شيءٍ من ذلك إلَّا بالابتياعِ أو الهديَّة، فكانت السَّراري من ذلك، وأمَّا نبيُّنا عليه السَّلام فكان يأخذُ الخُمسَ والصَّفِيَّ، فيتصرَّفُ فيه كيف يشاءُ، وكان ذلك من خواصِّه عليه السَّلامُ.

وهذا الجوابُ ـ كما ترى ـ يرجعُ إلى أنَّ المخصُوصَ به ﷺ الكلُّ وهو الخُمسُ، والتصرُّفُ فيه كما شاءَ، وأربعةُ الأخماسِ التي سَلِمتْ لأمَّتِه عن الاحتراقِ بنارٍ تنزلُ من السَّماءِ.

وقوله: (وأعطِيتُ الشَّفاعةَ) الشَّفاعةُ معروفةٌ، وهي مشتقَّةٌ من الشَّفعِ، وهو الضَّمُّ(٢)، وكأنَّ الشَّفيعَ ينضمُّ إلى المشفوعِ له فيما يشفعُ له فيه، وهي في الآخرةِ خمسٌ:

أحدُها: الشَّفاعةُ العُظْمَى، وهي شفاعتُه لإزاحةِ النَّاس من طولِ القيامِ في الموقفِ وتعجيلِ الحسابِ، ولا خلافَ فيها لأحدٍ.

---

(١) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٦٣٩٩) من حديث عوف بن مالك رضي الله عنه.

(٢) انظر: «دستور العلماء» لأحمد نكري (٢/ ١٥٩)، و«الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري» للكرماني (٢/ ٩٤).

والثانيةُ: الشَّفاعةُ في إدخالِ قومٍ الجنَّةَ دونَ حسابٍ، وقد وردَتْ لنبيِّنا.

والثالثةُ: الشَّفاعةُ في عدمِ إدخالِ النَّارِ قومًا استوجبُوها.

والرابعةُ: الشَّفاعةُ في خروج قومٍ دخلوا النَّارَ.

والخامسةُ: الشَّفاعةُ بعدَ دخولِ الجنَّة في زيادةِ الدَّرجاتِ، وهي أيضًا لا ينكرُها المعتزلةُ.

فأمَّا الأولى: فهي مختصَّةٌ به عليه السَّلام، وبها سادَ الورى.

والثانيةُ: لا أعلمُ اختصاصَها ولا عدَمَه.

والثالثةُ والرابعةُ: غيرُ مختصَّتين به؛ لما صحَّ في الأحاديث من شفاعةِ الأنبياء والملائكةِ والمؤمنين لإخوانِهم.

والخامسة أيضًا: قيل: كالثالثةِ والرابعةِ.

وإذا عُلِمَ هذا فمِنَ البيِّنِ أنْ لا تكونَ اللام للاستغراقِ، فبقيَ أنْ تكونَ للعهدِ للشَّفاعةِ العُظمى إن كان النَّبيُّ عليه السَّلام أعلمَ أصحابه قبلَ ذكرِ الحديثِ، أو للحقيقةِ، وتتحقَّق في بعضٍ دلَّ الدَّليلُ عليه من خارجٍ.

قوله: **(وكانَ النَّبيُّ يُبعَثُ إلى قومِهِ خاصَّةً وبُعِثتُ إلى النَّاسِ عامَّةً)** دليلُه قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وغيرُه من الآياتِ.

لا يُقال: نوحٌ عليه السَّلام بعدَ خروجِه من الفُلك كانَ مبعُوثًا إلى كلِّ الأرضِ؛ لأنَّه صارَ كذلك لعدمِ من يُطلَبُ بالإيمان غيرَ مَن كان آمنَ به، فكان ذلك ضروريًا، وليس الكلامُ فيه.

وأمَّا **جوامعُ الكَلِمِ**: فقد قال الهرويُّ: هو القرآنُ، جمع اللهُ في ألفاظٍ يسيرةٍ معانيَ كثيرةً[(١)]، وحينئذٍ لا نزاعَ في اختصاصِهِ.

وكذلك **خَتْمُ النَّبيِّينَ** به صلواتُ الله عليه وسلامُه وأزكى تحياتِه.

وأمَّا **مفاتيحُ خزائنِ الأرضِ**: فقد تقدَّم الكلامُ عليه[(٢)].

وقد أوحَى اللهُ تعالى في هذه الرُّؤيا لنبيِّنا ﷺ أنَّ أمَّتَه ستملكُ الأرضَ، ويتَّسِعُ سُلطانُها، ويظهرُ دينُها، فملكَتْ أمَّتُه من الأرضِ ما لم تملِكْه أمَّةٌ من الأممِ، فكانَ ذلك من خواصِّه، ودليلٌ على نبوَّته لكونه معجزةً؛ حيثُ أخبرَ عن الغيبِ وقد وقعَ مطابقًا.

ووجهُ تفسير الرُّؤيا بذلك أنَّ مَن ملكَ مفتاحَ المغلَقِ فقد تمكَّنَ من فتحِه، ومِنَ[(٣)] الاستيلاءِ على ما فيه.

وأمَّا **جَعْلُ صفوفِنا كصفُوفِ الملائكةِ**: فلفظ: (فُضِّلنا على النَّاسِ) يدُلُّ على الاختصاصِ.

وأمَّا **خواتيمُ سورةِ البقرةِ**: فيُعلَمُ اختصاصُها من تفسير الهرويِّ لـ (جوامعِ الكَلِمِ) فإنَّ خواتيمَ سورة البقرة لو لم تكنْ مخصوصةً به عليه السَّلام لم يكُنِ القرآنُ بمجموعِه مخصوصًا به، وليسَ كذلك هذا، والله أعلمُ بالصَّوابِ.

---

(١) انظر: «الغريبين في القرآن والحديث» للهروي (١/ ٣٦٥).

(٢) تقدم برقم: (٤٢٢).

(٣) في (ن): «وعلى».

١٧٢٩ـ (ق): ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنه: «أُمِرتُ أن أسجُدَ على سبعَةِ أعظُمٍ: على الجبهَةِ، واليدَينِ، والرُّكبتينِ، وأطرَافِ القدمَينِ، ولا نكْفِتَ الثِّيابَ ولا الشَّعرَ».
[خ: ٧٧٩] [م: ٤٩٠]

* المرادُ بـ**الأَعظُمِ**: الأعضاءُ، وعبَّر عنها بالأعظُمِ؛ لأنَّها كالأساسِ للبَدَنِ لا يقومُ إلَّا بها.

وفيه دليلٌ على أنَّ أعضاءَ السُّجود سبعةٌ:

الأوَّلُ: (**الجبهَةِ**) وهل هي مختصَّةٌ بانفرادِها أو تحتاجُ إلى ضمِّ الأنفِ إليها؟

فذهبَ مالكٌ[١] والشَّافعيُّ[٢] ومَن تابعَهما إلى أنَّ السَّجدةَ تحصلُ بهما، لكنْ وضعُ الجبهةِ واجبٌ، ووضعُ الأنفِ مستحبٌّ.

وقال أبو حنيفةَ[٣]: له أنْ يقتصرَ على أيِّهما شاءَ، وإليه ذهبَ ابنُ القاسمِ من أصحابِ مالكٍ[٤]، ويؤيِّدُ قولَهما ما رويَ في هذا الحديثِ عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما أنَّه عليه السَّلام لمَّا قال: (**على الجبهةِ**) أشارَ بيدِه إلى أنفِه[٥].

والظَّاهرُ أنَّه إنَّما فعلَ ذلك؛ إشارةً إلى أنَّه من الأعظُمِ؛ فإنَّه قال: (على الجبهَةِ)

---

(١) انظر: «شرح التلقين» للمازري (١/ ٥٢٧).

(٢) انظر: «الأم» للشافعي (١/ ١٣٦)، و«التهذيب في فقه الإمام الشافعي» للبغوي (٢/ ١١٤).

(٣) انظر: «التجريد» للقدوري (٢/ ٥٣٤).

(٤) ما وجدته عن ابن القاسم أن السجود على الجبهة وجوبًا، ويجزئ دون الأنف، ولا يجزئ بالأنف وحده، حتى لو كانت في جبهته جراحات لا يستطيع السجود عليها يومئ إيماء، ولا يجزئه السجود على أنفه. انظر: «المدونة» لمالك بن أنس (١/ ١٦٧)، و«الجامع لمسائل المدونة» لابن يونس الصقلي (٢/ ٥٠٩)، ونقل هذا القول عنه ابن بطال في «شرح صحيح البخاري» (٢/ ٤٣٠).

(٥) رواه البخاري (٨١٢)، ومسلم (٤٩٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

وكان في عُرفِهم أنَّ الأنفَ لا يدخلُ تحت ذكرِ الجبهةِ، فأشارَ بالإشارةِ إلى دخولِه في هذا العُرفِ الخاصِّ.

وأمَّا **اليدان والرُّكبتان**: فوضْعُهما سُنَّةٌ[(١)].

وأمَّا **القَدمان**: فقد ذكر بعضُ أصحابنا أنَّ وضْعَهما فرضٌ في السُّجودِ، فإنْ رفَعَهما فسدَتْ صلاتُه، وإنْ رفعَ أحدَهما لم تفسُدْ[(٢)]، وموضعُه الفقهُ.

وقوله: **(ولا نكْفِتُ)** بفتحِ النُّونِ وسكون الكافِ وكسرِ الفاءِ؛ أي: لا نجمعُ ولا نضُمُّ[(٣)]. وقد تقدَّمَ الكلامُ فيمَن يصَلِّي مشمِّرًا أو معقُوصًا شعرُه[(٤)].

١٧٣٠ـ (ق): أبو بكرٍ وعُمر وجابرٌ رضي الله عنهم: «أُمِرتُ أنْ أُقاتِلَ النَّاسَ حتَّى يقولوا: لا إلهَ إلَّا اللهُ، فمَن قال: لا إلهَ إلَّا اللهُ، عصَمَ مِنِّي مالَهُ ونفسَهُ إلَّا بحقِّهِ، وحِسابُهُ على اللهِ». [خ: ١٣٣٥] [م: ٢٠ ٢١][(٥)]

* عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: لمَّا توفِّيَ رسولُ الله ﷺ واستُخلِفَ أبو بكرٍ بعدَه، وكفرَ مَنْ كفرَ من العربِ، قال عمرُ بنُ الخطَّابِ لأبي بكرٍ: كيف نقاتلُ الناسَ وقد قال رسولُ الله ﷺ: **«أُمِرتُ أنْ أُقاتِلَ الناسَ حتى يقولوا: لا إله إلَّا اللهُ، فمنْ قال: لا إله إلَّا اللهُ، فقد عَصَمَ منِّي مالَه ونفسَه إلا بحقِّه، وحِسابُه على اللهِ»**؟ قال أبو بكرٍ: واللهِ لأقاتلَنَّ من فرَّق بين الصَّلاة والزَّكاةِ؛ فإنَّ الزَّكاةَ حقُّ المالِ، واللهِ لو منعوني

(١) انظر: «شرح النووي على مسلم» (٤/ ٢٠٨).

(٢) انظر: «البناية شرح الهداية» للعيني (٢/ ٢٤٢).

(٣) انظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ٥٠٦)، و«شرح السيوطي على مسلم» (٢/ ١٨١).

(٤) تقدم برقم: (٥١٢).

(٥) قلت: حديث جابر ممَّا تفرَّد به مسلم.

عِقالًا كانوا يؤدُّونه إلى رسولِ الله ﷺ لقاتلتُهم على منعِه، فقال عمرُ: فواللهِ ما هو إلا أنْ رأيتُ أنَّ اللهَ قد شرحَ صدرَ أبي بكرٍ للقتالِ، فعرَفْتُ أنَّه الحقُّ.

وفي بعضِ طرقِ البُخاريِّ: «واللهِ لو منعوني عَناقًا».

قوله: (**لمَّا تُوفِّي رسولُ اللهِ ﷺ واستُخلِفَ أبو بكرٍ بعدَه وكفرَ مَنْ كفرَ منَ العربِ**) بيانُه: ما قيل: إنَّ أهلَ الردَّةِ كانوا صنفين: صنفٌ ارتدُّوا عن الدِّينِ ونبذوا الملَّةَ وعادُوا إلى الكفرِ، وهم الذين عناهُم أبو هريرةَ بقوله: (**وكفرَ مَنْ كفرَ مِنَ العربِ**) وهذا الصنفُ طائفتان:

إحداهما: أصحابُ مسيلِمةَ من بني حنيفَةَ وغيرِهم الذين صدَّقوه على دعواهُ في النُّبوَّة، وأصحابُ الأسوَدِ العَنْسيِّ ومَنْ أجابَه من أهلِ[1] اليمنِ، وهذه الطَّائفةُ بأسرِها أنكروا نبوَّةَ محمَّدٍ ﷺ وادَّعَوها لغيرِه، فقاتلَهم أبو بكرٍ حتى قتلَ مسيلِمةَ باليمامةِ، والعنْسيَّ بصنعاءَ، وأبادَ أكثرَهم.

والثانيةُ: ارتدُّوا وأنكروا الشرائعَ وتركوا الصَّلاةَ والزَّكاةَ إلى غيرِها، وعادوا إلى ما كانوا عليه في الجاهليَّة، فقاتلَهم بعضُ الولاةِ من بني بكرِ بن كلابٍ.

والصِّنفُ الآخرُ: هم الذين فرَّقُوا بينَ الصَّلاةِ والزكاةِ، فأقرُّوا بفريضَةِ الصَّلاةِ، وأنكرُوا فريضَةَ الزَّكاة ووجوبَ أدائها إلى الإمامِ، كأنَّ بعضَهم ينكرُ الفريضَةَ[2]، وبعضَهم ينكرُ وجوبَ الأداءِ إلى الإمامِ كبني يَربوعٍ؛ فإنَّهم جمعوا صدقاتِهم وأرادوا أنْ يبعثوا بها إلى أبي بكرٍ، فمنعَهم بعضُ رؤسائهم وفرَّقها فيهم، وفي أمرِ هؤلاء كانَ خلافُ عمرَ واحتجاجُه على أبي بكرٍ بالحديثِ تشبُّثًا بظاهرِه قبل الإمعانِ في التَّأمُّلِ.

---

(١) في (ن): «أصحاب».

(٢) في (ص): «الفرضية».

وحجَّةُ أبو بكرٍ بآخِرِ الحديثِ؛ فإنَّ قولَه: (إنَّ الزَّكاةَ حقُّ المالِ) معناه: أنَّ القضيَّةَ تضمَّنَتْ عصمةَ المالِ والنَّفسِ معلَّقةً بشرطين:

أحدُهما: قولُه: لا إله إلَّا اللهُ.

والثاني: إعطاءُ حقِّ مالِه؛ فإنَّه استثناهُ من قوله: (**عَصَمَ**) فكأنَّه قال: مَنْ قال: لا إله إلَّا اللهُ، وأعطى حقَّ مالِه، عصمَ منِّي مالَه ونفسَه، والمشروطُ بشرطَين لا يتحقَّقُ إلَّا بهما، فإذا منعَ الزكاةَ فاتَ أحدُهما، فلا تتحقَّقُ العصمَةُ.

فلمَّا تحقَّقَ ذلك لعمرَ بايعَه على القتالِ، وهو معنى قولِه: (**ما هو إلَّا أنْ رأيتُ أنَّ اللهَ قد شرحَ صدرَ أبي بكرٍ للقتالِ**) يعني: لمَّا علمْتُ صحَّةَ حُجَّةِ أبي بكرٍ علمْتُ أنَّ ذلك شرحُ صدرٍ له من اللهِ.

فإنْ قيل: ما بالُ أبي بكرٍ رضي الله عنه لم يحتجَّ بحديثِ عبدِ الله بنِ عمرَ وأنسٍ؟ فإنَّ عبدَ الله بنَ عمرَ روى: «أُمِرتُ أنْ أقاتِلَ الناسَ حتى يشهدوا أنْ لا إله إلَّا اللهُ وأنَّ محمَّدًا رسولُ الله، ويقيموا الصلاةَ، ويؤتوا الزكاةَ، فإذا فعلوا ذلك فقد عصموا منِّي دماءَهم وأموالَهم إلَّا بحقِّها»[(١)].

وأنسًا روى: «أُمِرتُ أنْ أقاتِلَ الناسَ حتى يشهدوا أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ وأنَّ محمَّدًا عبدُه ورسوله، وأنْ يستقبلوا قِبلتَنا، وأنْ يأكلوا ذبيحتَنا، وأنْ يصلُّوا صلاتَنا، فإذا فعلوا ذلك حُرِّمَتْ علينا دماؤهُم وأموالُهم إلا بحقِّها، لهم ما للمسلمينَ وعليهم ما على المسلمينَ»[(٢)].

أُجيبَ: أنَّه لا يبعُدُ أنَّ أبا بكرٍ وعمرَ لم يحفظا عن رسولِ الله ﷺ ما رواهُ ابنُ

---

(١) رواه البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٢).

(٢) رواه البخاري (٣٩٢).

عمرَ وأنسٌ؛ فإنَّه لو سمع عمرُ لما اعترضَ، ولو سمعَ أبو بكرٍ لاحتجَّ به؛ لما فيه من الزِّيادةِ المفيدةِ لمطلوبِه.

فإنْ قيل: روايةُ ابنِ عمرَ وأنسٍ تُنافي روايةَ ما في الكتابِ من حديثِ أبي بكرٍ وعمرَ وجابرٍ؛ فإنَّ في روايتِهم دلالةً على أنَّ قولَ: لا إلهَ إلَّا اللهُ، كافٍ في عصمَةِ[1] المال والنَّفْسِ، وفي روايتِهما دلالةٌ على أنَّ ذلك مع الزِّيادَةِ المذكورةِ عاصمةٌ.

أُجِيبَ: بأنَّ ما رووه إنَّما صدرَ لعبدَةِ الأوثانِ دونَ أهلِ الكتابِ، وأوَّلُ ما يُدعَى إليه الوَثنيُّ التَّوحيدُ ثمَّ البواقي، وما روياهُ فإنَّما هو بالنِّسبَةِ إلى العامَّةِ، فاندفعَ التَّدافعُ والتَّنافي.

وقوله: **(وحسابُه على اللهِ)** معناه: فيما يخفونَه، وهو في معنى قوله: «نحنُ نحكمُ بالظَّاهرِ واللهُ يتولَّى السَّرائرَ»[2]، ففيه دلالةٌ على أنَّ الكافرَ المستترَ بكفرِه لا يُتعرَّض له إذا كانَ ظاهرُه الإسلامَ، كذا قيل، وفيه نظرٌ؛ لأنَّ ذلك أمرٌ خفيٌّ ليس ما يدلُّ عليه، فلا يتعلَّقُ به شيءٌ من أحكامِ الشَّرعِ.

فإنْ قيل: ما معنى قولِ أبي بكرٍ رضي الله عنه: **(لو منَعوني عِقالًا)** والعِقالُ ـ وهو الحبلُ ـ لا يدخلُ في الزَّكاةِ حتى يُمنعَ؟

أُجِيبَ: بأنَّ العلماءَ قد اختلفوا في معناه، فمنهم مَن قال: المرادُ به: زكاةُ عامٍ، وهو قولُ جماعةٍ من الفقهاء، وادَّعوا بأنَّه جاءَ ذلك في اللُّغة[3]، وكان لفظُ العِقالِ مشترَكًا لفظيًّا، وقد تعذَّرَ أحدُ المعنيين في هذا الموضعِ، فتعيَّن الآخرُ مرادًا.

---

(١) في (ص): «لعصمة».

(٢) قال ابن الملقن في «البدر المنير في تخريج الأحاديث والأثار الواقعة في الشرح الكبير» (٩/ ٥٩٠): هذا الحديث غريب لا أعلم من خرجه من أصحاب الكتب المعتمدة ولا غيرها، وسئل عنه حافظ زماننا جمال الدين المزي فقال: لا أعرفه.

(٣) انظر: «المخصص» لابن سيده (١/ ٢٠٢)، و«شرح النووي على مسلم» (١/ ٢٠٨).

ورُدَّ: بأنَّ الكلامَ خرجَ مخرجَ التَّضييقِ والتَّشديدِ والمبالغَةِ، فيقتَضِي حقارةَ ما عُلِّقَ به القتالُ، وزكاةُ عامٍ ليست كذلك.

ومنهم مَن قال: المرادُ به الحبلُ الذي يُعقَلُ به البعيرُ[1]، ولكنْ عينُه ليس بمرادٍ بل قيمتُه، والحكمُ جارٍ على ذلك التقديرِ في الأموالِ الزَّكويَّة كلِّها، مع تحصيلِ المبالغَةِ المقصودةِ الدالِّ عليها محلُّ الكلامِ.

ومنهم مَنْ قال: معناه: لو منعُوني زكاةَ العِقَالِ إذا كان من عُروض التِّجارة[2]، وهذا أيضًا صحيحٌ.

ومنهم من قال: إنَّ العِقالَ كان يؤخَذُ مع الفريضَةِ؛ لأنَّ تسليمَها واجبٌ وهو إنَّما يتمُّ برباطِها[3]، وكان عمرُ يأخذُ مع كلِّ فريضَةٍ عِقالًا فأرادَ منعَ ذلك.

وقد وردَ في روايةٍ للبُخاريِّ: **(لو مَنعُوني عَناقًا)** بفتح العين المهملة والنُّون، وهي: الأنثَى من ولدِ المعزِ[4]، ومعناه: إذا كان النِّصابُ كلُّه صِغارًا بأنْ ماتَ الأمَّهاتُ في بعضِ الحولِ وحالَ على الأولادِ؛ فإنَّه يجبُ فيها واحدةٌ منها، وهو قولُ أبي حنيفةَ الثاني، وأبي يوسُفَ[5]، والشَّافعيِّ رحمهم الله[6]، ويُحمَلُ على أنَّ أبا بكرٍ كرَّر الكلامَ فقال مرَّةً: «عِقالًا» وأخرى: «عَناقًا».

---

(١) انظر: «الغريبين في القرآن والحديث» لأبي عبيد الهروي (٤/ ١٣١٢).

(٢) انظر: «فتح الباري بشرح البخاري» لابن حجر (١٢/ ٢٧٩).

(٣) انظر: «معالم السنن» للخطابي (٢/ ١٢).

(٤) انظر: «العين» للخليل الفراهيدي (١/ ١٦٩).

(٥) انظر: «تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق» للزيلعي (١/ ٢٦٧).

(٦) انظر: «العزيز شرح الوجيز» للرافعي (٢/ ٥٢٥)، و«شرح السنة» للبغوي (٥/ ٤٩٣).

١٧٣١ـ (ق): أبـو هُريـرة رضـي الله عنه: «أُمِـرت بقريةٍ تأكُلُ القُـرى، يقولُونَ: يثـرِبُ وهـيَ المدينـةُ، تَنفِي النَّـاسَ كمَا يَنفِـي الكيرُ خبَـثَ الحَديـدِ». [خ: ١٧٧٢] [م: ١٣٨٢]

* سُمِّيَتِ القريةُ قريةً لاجتماعِ الناس فيها، مِن «قريتُ الماءَ في الحوضِ»: أي: جمعتُه[١].

وقوله: (**أُمِرتُ**) يدلُّ على فرضيَّة الهجرةِ. وقوله: (**بقريةٍ**) أي: بالهجرةِ إليها واستيطانِها.

وقوله: (**تأكُلُ القُرى**) له معنيان:

أحدُهما: أنَّه مركزُ جيوشِ الإسلامِ، منها فُتِحَتِ القُرى وغُنِمَتِ الأموالُ والسَّبايا.

والثاني: أنَّ أكلَها؛ أي: مأكُولَها ومِيرَتَها تكون من المدنِ المفتتَحَةِ، وإليها تُساقُ غنائمُها.

وقولُه: (**يقولُونَ: يثرِبُ**) يعني: المنافقين.

(**وهيَ المدينةُ**) يعني: الاسمَ المرضيَّ عند المؤمنين، وكان رسولُ الله ﷺ يكرَه تسميتَها بيثربَ؛ لأنَّه مشتقٌّ من التثريبِ الذي هو التَّوبيخُ والملامةُ[٢]. وأمَّا قولُه تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ يَثۡرِبَ﴾ [الأحزاب: ١٣] فإنَّما هو حكايةٌ عن قولِ المنافقين والذين في قلوبِهم مرضٌ.

---

(١) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» للزجاج (١/ ٣٤٢).

(٢) انظر: «الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي» للأزهري (ص٢٥١)، و«مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» للملا علي القاري (٥/ ١٨٨٠).

وقولـه: (تَنفـي النَّاسَ) أي: الشِّـرارَ منهـم، وقد تقـدَّم الكلامُ فـي (الكير) وما يتعلَّقُ به[١].

١٧٣٢ـ (ق): أنـسٌ وسـهلُ بنُ سـعدٍ السَّـاعديُّ رضـي الله عنهمـا: «بُعِثتُ أنا والسَّـاعةُ كهاتَيـنِ». [حديـث سـهل: خ: ٤٩٩٥، م: ٢٩٥٠] [حديـث أنـس: خ: ٦١٣٩، م: ٢٩٥١]

يعني: إصبعَيهِ السَّبابةَ والوسطَى.

* (السَّاعة) رويَ مرفوعًا ومنصوبًا، فالرَّفع بالعطف وهو المختارُ، والنَّصبُ لكونه مفعولًا معه.

واختُلِفَ في معناه، فمنهم من قال: المرادُ به: ارتباطُ دعوته بالسَّاعة لا تفترِقُ إحداهما عن الأُخرى، كما أنَّ السَّبَّابةَ لا تفترقُ عن الوسطى، ولا يوجدُ بينهما ما ليسَ منهما[٢].

ومنهم مَنْ قال: المرادُ به: زيادةُ الوسْطَى على السبَّابةِ[٣]؛ أي: سبقْتُ السَّاعةَ بقدرِ ما بينهما من الفضْلِ.

ومنهم من قال: المرادُ به: انقطاعُ النبوَّة بعدَه، وأنْ لا نبيَّ بينَه[٤] وبين السَّاعة، كما لا حائلَ بين السبَّابةِ والوسطى.

---

(١) تقدم برقم: (٥٠٠).

(٢) انظر: «الميسر في شرح مصابيح السنة» للتوربشتي (٤/ ١١٨٠).

(٣) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (١١/ ١٠٤).

(٤) في (ص): «بعده».

وقيل: على تقدير النَّصبِ يقعُ التَّشبيه بالضَّمِّ، وعلى تقدير الرَّفعِ يحتمِلُ هذا، ويحتملُ أنْ يقعَ بالتَّفاوتِ الذي بين السبَّابة والوسطى[1]، وهو دقيقٌ.

١٧٣٣ـ (خ): أبو هُريرة رضي الله عنه: «بُعِثتُ مِن خيرِ قُرُونِ بني آدمَ قَرنًا فقَرنًا، حتَّى كنتُ مِن القرنِ الذي كنتُ منهُ». [خ: ٣٣٦٤]

* قد تقدَّمَ بعضُ ما قيل في معنى (القرن) في البابِ الثالثِ في قولِهِ[2]: «**لا** تقومُ السَّاعةُ حتى تأخذَ أمَّتي مأخذَ القرونِ»، ونذكرُ ههنا بعضَه تتميمًا للإفادَةِ:

فقيل: **القَرْنُ**: كلُّ مدَّةٍ بُعِثَ فيها نبيٌّ طالت مدَّتُه أو قَصُرت، وقيل: كلُّ أمَّةٍ هلكَتْ ولم يبقَ منها واحدٌ.

وقال الحسنُ وغيرُه: هو عشرُ سنين، وقال قتادةُ: سبعون، وقال زرارةُ بنُ أوفى: مئةٌ وعشرون[3].

ومعناه: تفضيلُ زمانِه عليه السَّلام على سائرِ الأزمانِ الماضيةِ والباقيةِ.

١٧٣٤ـ (م): جابرٌ رضي الله عنه: «بُعِثَتْ هذهِ الرِّيحُ لموتِ منافِقٍ». [م: ٢٧٨٢]

* قال: قدِمَ رسولُ الله ﷺ من سفرٍ، فلمَّا كانَ قُرْبَ المدينةِ هاجَتْ ريحٌ تكادُ تدفنُ الراكبَ، فزعمَ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**بُعِثَتْ هذهِ الرِّيحُ لموتِ منافِقٍ**»، فلمَّا قدم المدينةَ فإذا منافقٌ عظيمٌ من المنافقين قد ماتَ.

---

(١) انظر: «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» للقرطبي (٢/ ٥٠٦).

(٢) تقدم برقم: (٥٨٨).

(٣) نقل هذه الأقوال كلها القاضي عياض في «إكمال المعلم بفوائد مسلم» (٧/ ٥٧١).

قوله: (تكادُ تدفنُ الرَّاكبَ) أي: تذهبُ به لشدَّتها، وهو بالدَّال المهملة والفاءِ والنُّون.

وقوله: (بُعِثَتْ لموتِ منافقٍ) أي: عقوبةً له وعلامةً لميتتِه، وراحةً للبلادِ والعبادِ منه، وهو من بابِ الإخبارِ عن المغيَّباتِ، فكانَ معجزةً.

١٧٣٥ـ (ق): ابنُ عُمر رضي الله عنهما: «بُنيَ الإسلامُ على خمسٍ: على أنْ يُوحَّدَ اللهُ، وإقامِ الصَّلاةِ، وإيتاءِ الزَّكاةِ، وصيامِ رمضانَ، والحجِّ» فقال رجلٌ لابنِ عُمر: الحجِّ وصيامِ رمضانَ، قال: لا صيامِ رمضانَ والحجِّ، هكذا سمعتُه من رسولِ اللهِ ﷺ.

ويُروى: «شهادةِ أنَّ لا إلهَ إلَّا اللهُ وأنَّ محمَّدًا عبدُهُ ورسولُهُ، وإقامِ الصَّلاةِ، وإيتاءِ الزَّكاةِ، وحجِّ البيتِ، وصومِ رمضانَ». [خ: ٨][م: ١٦]

* روي: (خمسٌ) و(خمسةٌ) فالأوَّلُ: على الخصالِ أو القواعد، والثَّاني: على الأشياءِ أو الأركانِ.

وقوله: (على أنْ يوحَّدَ اللهُ) بدلٌ من «خمسٍ» بتكريرِ العاملِ، كما في قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِمَنۡ ءَامَنَ﴾ [الأعراف: ٧٥] الآية.

وقوله: (هكذا سمعتُه مِن رسُولِ اللهِ) إنَّما قاله لأنَّه لمَّا قال: قال النبيُّ عليه السَّلام: «بُني الإسلامُ» إلى قوله: «وصيامِ رمضانَ والحجِّ، فقال رجلٌ» يقال له: يزيدُ بنُ البَهْمةِ[1] (الحجِّ وصيامِ رمضانَ؟) فقال: (لا، صيامِ رمضانَ

(١) لم أقف عليه في معاجم الصحابة وكتب الرجال بهذه التسمية، وسمَّاه الخطيب في «الأسماء المبهمة في الأنباء المحكمة» (٥/ ٣٣٧): يزيد بن بشر السكسكي.

والحجِّ) هكذا سمعتُه من رسولِ الله ﷺ؛ يعني: بتقديم الصِّيامِ على الحجِّ.

وأمَّا الروايةُ الأخرى، فإنَّما هي بدون كلمةِ (على) فكان بدلًا بلا تكريرِ العامل.

وفيه بحثٌ من وجهين:

الأول: أنَّ الواوَ إمَّا أنْ يكونَ مفيدًا للترتيبِ، كما ذهبَ إليه بعضُ النَّحويين وكثيرٌ من الفقهاءِ، وإمَّا أنْ لا يكون كما هو مذهبُ الجمهورِ[1]، فإنْ كان الأوَّلَ كانَ بينَ الروايتين تنافٍ، وإنْ كان الثاني لم يكنْ لردِّ ابنِ عمرَ على ذلك السَّائلِ وجهٌ ظاهرٌ.

والثاني: أنَّه ذكرَ في الرِّوايةِ الأولى توحيدَ الله ولم يذكرِ الشَّهادةَ برسالة محمَّدٍ، ولا يتمُّ الإيمانُ إلَّا بهما، وذكرَها في الثَّانيةِ، فما وجهُ ذلك؟

والجوابُ عن **الأوَّل**: أنَّا نختارُ الشِّقَّ الثاني، وردُّ ابنِ عمرَ على السَّائل إنَّما كان باعتبار أنَّه كان سمعَ رسولَ الله ﷺ مرَّتين: مرَّةً بذكرِ كلمة (على)، وفيه تقديمُ الصَّومِ على الحجِّ، وأخرى بدونِها، وفيه تقديمُ الحجِّ على الصَّومِ.

وكان ابنُ عمرَ رضي الله عنه يروي الرِّوايةَ الأولى، وسأل السَّائلُ عن تقديم الحجِّ، فردَّ عليه بناءً على أنَّ تقديمَ الحجِّ على الصَّومِ ليس في هذه الرِّواية؛ بل في الرِّواية الأخرى، فيكونُ التَّقديمُ والتَّأخيرُ من النبيِّ عليه السَّلام بناءً على أنَّ الواو لمطلقِ الجمعِ، فيكون حجَّةً على من قال بأنَّ الواو تفيدُ الترتيبَ.

وعن **الثاني**: بأنَّه محمولٌ على الحذفِ اختصارًا؛ للعلمِ بأنَّ أحدَهما قرينُ الآخرِ، فذِكْرُ أحدِهما كذكرِهما، والله أعلم.

---

(١) انظر: «شرح قطر الندى وبل الصدى» لابن هشام (ص: ٣٠٢).

هكذا يُتَصوَّرُ هذا المكان، فيسقطُ ما وقعَ من الاعتراضاتِ الكثيرةِ التي ربَّما أفضَتْ إلى المشاغبَةِ.

فإنْ قيل: قد رويَ أنَّ ابنَ عمرَ رضي الله عنه روى الحديثَ لمن قالَ له: ألَا تغزو؟ وفي ذلك توهُّمُ حطِّ أمرِ الجهادِ مع أنَّه سنامُ الدِّين؟

أُجِيبَ: بأنَّه ذكر أنَّ الفروضَ الدَّائمةَ التي لا تسقطُ إلَّا بعذرٍ هي هذه الخمسُ، والجهادُ فرضُ كفايةٍ ليس من ذلك، بل ربَّما رويَ عن ابن عمرَ والثَّوريِّ وابنِ سيرين أنَّ فرضَ الجهادِ سقطَ بعد فتحِ مكَّةَ إلَّا أنْ ينزلَ العدوُّ بقومٍ، أو يأمرَ الإمامُ بالجهادِ(١).

١٧٣٦ـ (ق): أبو هُريرة رضي الله عنه: «حُجِبَتِ الجنَّةُ بالمكَارِهِ، وحُجِبَتِ النَّارُ بالشَّهواتِ». [خ: ٦١٢٢] [م: ٢٨٢٣]

وروايَةُ القُضَاعيِّ: «حُفَّتْ»(٢).

* روايةُ البخاريِّ في الموضعين: **(حُجِبَت)**، وروايةُ مسلمٍ فيهما: **(حُفَّتْ)**، يقال: «حفَّه»: إذا استدارَ حوله، ومنه المحفَّةُ(٣).

ومعناه: لا تُحصَّلُ الجنَّةُ إلَّا بارتكابِ المكارِهِ، ولا تُدخَلُ النارُ إلَّا بالشَّهوات؛ لأنَّهما محجوبتان بهما، فمَنْ خرقَ الحجابَ وصلَ إلى المحجوبِ، فهتْكُ حجابِ الجنَّة باقتحامِ المكارِهِ، وهتْكُ حجابِ النارِ بارتكابِ الشَّهواتِ.

---

(١) انظر: «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» لأبي العباس القرطبي (١/ ١٦٩).

(٢) رواه القضاعيُّ في «مسنده» (٥٦٧).

(٣) انظر: «المحكم والمحيط الأعظم» لابن سيده (٢/ ٥٣٩).

ويدخلُ في المكارِه الاجتهادُ في الطَّاعاتِ، والصَّبرُ على مشاقِّها، وكظمُ الغَيظِ، والعفوُ والحِلمُ وأمثالُ ذلك.

ولا يدخلُ في الشَّهواتِ إلَّا ما كانَ من المحرَّماتِ؛ كالخمرِ، والزِّنا، والنَّظرِ إلى الأجنبيَّةِ، والغيبةِ، واستعمالِ الملاهي، ونحوِ ذلك.

وأمَّا الشهواتُ المباحةُ فلا تدخلُ، لكنْ يُكرَهُ الإكثارُ منها؛ مخافةَ أنْ تجرَّ إلى المحرَّماتِ، أو تُقسِّيَ القلبَ، أو تشغَلَ عن الطَّاعاتِ وتُحوِجَ إلى الاعتناءِ بتحصيلِ الدُّنيا ليصرِفَ فيها.

١٧٣٧ـ (ق): عائشةُ رضي الله عنها: «حُرِّمتِ التِّجارَةُ في الخمرِ». [خ: ٢١١٣] [م: ١٥٨٠]

* قد تقدَّم الكلامُ عليه في البابِ الثاني في قولِه عليه السَّلام[(١)]: «إنَّ الذي حرَّمَ شربَها حرَّمَ بيعَها».

١٧٣٨ـ (خ): أبو هُريرة رضي الله عنه: «حُرِّم ما بينَ لابَتَيِ المدينَةِ على لسَاني». [خ: ١٧٧٠]

* وقد تقدَّم الكلامُ عليه في البابِ الخامسِ في قوله عليه السَّلام[(٢)]: «ما بينَ لابتَيْها حرامٌ».

---

(١) تقدم برقم: (٢٩٧).

(٢) تقدم برقم: (٩٦٣).

١٧٣٩ـ (م): أبو مسعودٍ عقبةُ بنُ عَمرٍو الأنصاريُّ رضي الله عنه: «حوسِبَ رجلٌ ممَّن كانَ قبلَكُم، فلم يوجَدْ لهُ مِن الخيرِ شيءٌ، إلَّا أنَّهُ كانَ يُخالطُ النَّاسَ، وكانَ موسِرًا، فكانَ يأمرُ غِلمانَهُ أنْ يتجاوَزوا عنِ المعسِرِ، قال: قال اللهُ: نحنُ أحقُّ بذلكَ منهُ، فتجاوَزوا عنهُ». [م: ١٥٦١]

* وقد تقدَّم الكلامُ عليه أيضًا في هذا البابِ قريبًا في قولِه عليه السَّلام[(١)]: «كان رجلٌ يُداينُ النَّاسَ».

١٧٤٠ـ (خ): أبـو هُريـرة رضي الله عنه: «خُفِّـفَ على داودَ القـرآنُ، فكانَ يأمُرُ بدوابِّـهِ فتُسـرَجُ، فيقـرَأُ القـرآنَ قبـلَ أن تُسـرَجَ داوبُّـهُ، ولا يـأكُلُ إلَّا مِن عمـلِ يدِهِ». [خ: ٣٢٣٥]

* وقد تقدَّم الكلامُ عليه في البابِ الثاني في قولِه عليه السَّلام[(٢)]: «إنَّ داودَ كانَ لا يأكلُ إلَّا مِنْ عملِ يدِه».

١٧٤١ـ (م): عائشةُ رضي الله عنها: «خُلِقَتِ الملائكَةُ مِن نورٍ، وخُلقَ الجَانُّ مِن مارجٍ مِن نارٍ، وخُلِقَ آدمُ ممَّا وُصِفَ لكم». [م: ٢٩٩٦]

* النُّورُ: معلومٌ، و(الجانُّ) أبو الجنِّ، وقال الضَّحاكُ: هو إبليسُ[(٣)].

---

(١) تقدم برقم: (١٧٠٨).

(٢) تقدم برقم: (٣٣٣).

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (٧/ ٤٤٤).

والمارجُ: لهبُ النار، وقيل: المختلطُ بسوادِ النَّار، من قولهم: «مَرَجَ الشَّيءُ»: إذا اضطربَ واختلطَ[١].

وقيل: هو الصَّافي من لهبِ النَّارِ التي لا دخانَ فيها[٢].

وقال مجاهدٌ: هو ما اختلطَ بعضُه ببعضٍ من اللَّهبِ الأصفرِ والأحمرِ والأخضرِ الذي يعلو النارَ إذا أوقِدَتْ[٣].

وقوله: (**وخُلِقَ آدمُ ممَّا وُصِفَ لكُم**) أي: من التُّراب؛ يعني: أنَّ الترابَ هو الجزءُ الغالبُ، كذا قيل. ويجوزُ أنْ يكونَ معناه: ممَّا وُصِفَ لكم في كلامِ الله من العناصرِ الأربعةِ؛ وذلك لأنَّ اللهَ تعالى قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ﴾ [الحج: ٥]، وقال: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ﴾ [المؤمنون: ١٢]، والطينُ لا يحصلُ بلا ماءٍ، وقال: ﴿مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ﴾ [الحجر: ٢٦] والحمأُ المسنونُ: هو المتغيِّرُ المنتنُ، ولا يكون ذلك إلَّا بمخالطَةِ الهواءِ، وقال: ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ كَٱلۡفَخَّارِ﴾ [الرحمن: ١٤]، والفخَّارُ لا يكون بلا نارٍ.

١٧٤٢- (خ): أنسٌ رضي الله عنه: «رُفِعْتُ إلى السِّدرَةِ[٤]، فإذا أربعةُ أنهارٍ: نهرانِ ظاهرانِ، ونهرانِ باطنانِ، فأمَّا الظَّاهرانِ فالنِّيلُ والفراتُ، وأمَّا الباطنانِ فنهرانِ في الجنَّةِ، فأُتيتُ بثلاثَةِ أقداحٍ: قدَحٌ فيه لبَنٌ، وقدَحٌ فيهِ عسَلٌ، وقدَحٌ فيهِ خمرٌ، فأخَذتُ الذي فيهِ اللَّبنُ فشربْتُ، فقيلَ لي: أصبْتَ الفطرَةَ». [خ: ٥٢٨٧]

---

(١) انظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ٤٣٧)، و«زاد المسير في علم التفسير» لابن الجوزي (٤/ ٢٠٧).

(٢) انظر: «التفسير البسيط» للواحدي (٢١/ ١٥٢).

(٣) انظر: «تفسير الثعلبي» (٢٥/ ٣١٠).

(٤) في (م) و(ك) و(ب) زيادة: «المنتهى».

* وقد تقدَّم الكلامُ عليه في حديثِ الإسراء في البابِ السَّادسِ في قوله عليه السَّلام[١]: «بينا أنا نائمٌ»، خلا تفسيرَ (الفطرة) وهي عبارةٌ عن نورٍ يشقُّ ظُلمةَ الممكناتِ، فيتميَّزُ به وجودُهم من أعيانِهم، وفيه سرٌّ يحرُمُ كشفُه إلَّا لأهلِه وقليلٌ ما هم.

اللهمَّ اجعلني بفضلِ عنايتك ورحمتِك ولطفِك وكرمِك منهم، يا واسعَ الجودِ وواهبَ ما يتميَّزُ به العينُ عن الوجودِ، فإنَّك على كلِّ شيءٍ قديرٌ، وبالإجابةِ جديرٌ.

١٧٤٣ ـ (م): أبو هُريرة رضي الله عنه: «عُذِّبَتِ امرأةٌ في هرَّةٍ ربطَتْها لم تُطعِمها ولم تسقِها، ولم تترُكهَا تأكلُ مِن خَشاشِ الأرضِ». [م: ٢٢٤٣]

*قوله: (في هِرَّةٍ) أي: بسببِها، وكذلك قوله في روايةٍ أخرى: «فدخلَتْ فيها النَّارَ»[٢]؛ أي: بسببِها.

و(خَشَاشِ) بالخاء المعجمةِ بالحركاتِ الثَّلاث وأشهرُها الفتحُ، هو هوامُّ الأرضِ وحشراتُها[٣]، ورُوي بالمهملة[٤]، وهو نباتُ الأرضِ[٥]، وقالوا: هو غلطٌ.

قيل: فيه دليلٌ على تحريم قتلِ الهِرَّة وحبسِها بغير طعامٍ وشرابٍ.

واختُلفَ في المرأةِ أنَّها كانت مسلمةً دخلت النَّارَ في الهرَّة، أو كانت كافرةً ضُوعِفَ عذابُها، فقيل بالثاني، واستُدِلَّ: لو كانت مؤمنةً غُفِرَتْ صغائرُها باجتنابِ

---

(١) تقدم برقم: (١١٠٠).

(٢) رواه البخاري (٢٣٦٥) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) انظر: «العين» للخليل الفراهيدي (٣/ ٣٥٧).

(٤) لم أقف على هذه الرواية في كتب الحديث، وذكرها الروياني في «بحر المذهب» (١١/ ٥٣٥).

(٥) انظر: «المصباح المنير في غريب الشرح الكبير» للفيومي (١/ ١٣٧).

الكبائرِ، وهذا ينزعُ إلى الاعتزالِ، وقيل: بالأوَّل، وعليه ظاهرُ الحديثِ، وليس فيه ما يدلُّ على الخلودِ فتدخلُ ثمَّ تخرجُ[1].

وفي الحديثِ: إشارةٌ إلى أنَّ نفقةَ الحيوان على صاحبِه، والظاهرُ: الاستحبابُ؛ فإنَّه لا يُجبَرُ عليه، ولكنْ يُؤمَرُ فيما بينَه وبينَ اللهِ تعالى.

١٧٤٤ـ (م): أبو ذرٍّ رضي الله عنه: «عُرِضَتْ عليَّ أعمَالُ أُمَّتي حسَنُها وسيِّئُها، فوجَدْتُ في محاسِنِ أعمالِها الأذى يُماطُ عنِ الطَّريقِ، ووجَدْتُ في مسَاوِئِ أعمَالِها النُّخَاعةَ تكونُ في المسجِدِ لا تُدْفَنُ». [م: ٥٥٣]

*(**حسنُهَا وسيِّئُها**) مرفوعان على البدليَّةِ من (**أعمالُ**).

والإماطةُ: التَّنحيةُ، و(**النُّخَاعةَ**) بضمِّ النُّون: البَزقةُ التي تخرجُ من أصلِ الفمِ ممَّا في أصلِ النُّخاعِ، وهو الخيطُ الأبيضُ في فَقارِ الظَّهرِ[2].

١٧٤٥ـ (ق): ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنه: «عُرِضَت عليَّ الأممُ، فأخَذَ النَّبيُّ يمُرُّ معهُ الأمَّةُ، والنَّبي يمُرُّ معهُ النَّفَرُ، والنَّبيُّ يمرُّ معهُ العشَرَةُ، والنَّبي يمُرُّ معهُ الخمسَةُ، والنَّبيُّ يمُرُّ وحدَهُ، فنظَرتُ فإذا سوادٌ كبيرٌ، فقلتُ: يا جبريلُ هؤلاءِ أُمَّتي؟ قال: لا، ولكنِ انظُرْ إلى الأُفُق، فنظرتُ فإذا سوادٌ كبيرٌ، قال: هؤلاءِ أُمَّتُك، وهؤلاءِ سبعونَ ألفًا قُدَّامَهم، لا حسابَ عليهِم ولا عَذابَ، قلتُ: ولمَ؟ قال: كانُوا لا يكتَوون، ولا يستَرْقُونَ، ولا يتطيَّرُون، وعلى ربِّهم يتوكَّلُون». [خ: ٦١٠٧] [م: ٢٢٠]

الحديثُ متفقٌ عليهِ، والسِّياقُ للبُخاريِّ.

---

(١) انظر: «شرح النووي على مسلم» (١٤/ ٢٤٠).

(٢) انظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير (٥/ ٣٣).

* قال المازَرِيُّ[١]: احتجَّ بهذا الحديثِ بعضُ الناسِ على كراهَةِ التَّداوِي.

ورُدَّ: بأنَّه ليسَ في الحديثِ ما يدلُّ على ذلك، غايةُ ما في البابِ أنْ يكونَ تركُه مستحبًّا، وأمَّا أنْ يكونَ الإقدامُ عليه مكروهًا فليس بلازمٍ، ومعظمُ العلماءِ على جوازِه، واحتجُّوا بما وقعَ في أحاديثَ كثيرةٍ من ذكرِه عليه السَّلام منافعَ الأدويةِ، ولو كان التَّداوِي مكروهًا لَما ذكرها؛ لأنَّ ذكرَها يكون تحريضًا على فعل مكروهٍ، وبأنَّه عليه السَّلام تداوى، فكانَ الحديثُ الذي في الكتابِ محمولًا على قومٍ لا يعتقدون أنَّ الأدويةَ نافعةٌ بطبعِها، ويفوِّضُون الأمرَ إلى الله تعالى.

ورُدَّ: بأنَّه عليه السَّلام أخبر أنَّ هؤلاء يدخلون الجنَّة بلا حسابٍ ولا عذابٍ، وهو مزيَّةُ فضيلةٍ لهم لا محالةَ، ولو كانَ ذلكَ بسببِ أنَّهم ما اعتقدوا أنَّ الأدويةَ بطبعِها نافعةٌ، وإنَّما فوَّضوا أمرَهم إلى اللهِ، واعتقدوا أنَّه هو الفاعلُ، لكان جميعُ المؤمنين مثلَهم في تلك المزيَّة؛ لأنَّ ذلك اعتقادُ كلِّ المؤمنين، ومن اعتقدَ خلافَ ذلك فقد كفرَ.

والأَولى أنْ يكونَ تأويلُ الحديثِ أنَّهم تركوا ذلك؛ اتِّكالًا على اللهِ، ورضاءً بقضاءِ الله وقدَرِه، وهو أرفعُ درجاتِ المحقِّقين.

ولكنَّ هذا يقتضِي عدمَ التفرقَةِ بين الطِّبِّ والكيِّ والرُّقى، وقد صحَّ أنَّ رسولَ الله ﷺ تطبَّبَ[٢]، وكذلك السَّلفُ.

---

(١) انظر: «المعلم بفوائد مسلم» للمازري (١/ ٣٤٥).

(٢) منها ما رواه البخاري (١٩٨) عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال بعدما دخل بيته واشتد وجعه: «هَريقوا عليَّ من سبع قِرَبٍ لم تُحلَلْ أوكيَتُهنَّ لعلِّي أعهد إلى الناس»، وأُجلِسَ في مِخضَبٍ لحفصة زوج النبي ﷺ، ثم طفِقْنا نصبُّ عليه تلك حتى طفِقَ يشير إلينا: أن قد فعلتنَّ، ثم خرج إلى الناس.

وأُجيبَ: بأنَّ تلك المزيَّة إنَّما كانت لتفويضِ أمرِهم إلى الله في دفعِ ما أوقعَه بهم، ولا شكَّ في فضيلَةِ هذه الحالةِ ورُجْحانِ صاحبِها، وأمَّا تطبُّبُه عليه السَّلام؛ فلتعليمِ الجواز لأمَّتِه.

وقد اختلفَ النَّاسُ في معنى التَّوكلِ فقيل: هو عبارةٌ عن أنْ لا يكونَ في القلبِ شائبةُ خوفٍ غيرُ الله من عدوٍّ أو سبعٍ، أو انقطاعِ رزقٍ أو نقصِ عافيةٍ أو نحوها(١).

وقيل: هو الإيقانُ بنفوذِ قضاء الله، واتِّباعِ سنَّةِ نبيِّه عليه السَّلام في السَّعي فيما لا بدَّ منه من المطعمِ والمشرَب والتحرُّزِ من العدوِّ، كما فعله الأنبياءُ عليهم السَّلام(٢)، وفي إدخالِ الاتِّباعِ في حقيقَةِ التَّوكُّل نظرٌ؛ لأنَّه متابعةُ النبيِّ عليه السَّلام، وهي خلافُ التَّوكُّلِ على الله.

والأَولى أنْ يقالَ: هو الرِّضا بنفوذِ القضاءِ وكيفيَّةِ الأقدارِ، والسَّعيُ فيما ذُكِر من الأمورِ ليس بمنافٍ له، فإنَّ التوكُّلَ من أفعالِ القلبِ، والسَّعيَ المذكورَ من أفعالِ البدَنِ، والله أعلم.

١٧٤٦ـ (م): جابرٌ رضي الله عنه: «عُرِضَ عليَّ الأنبياءُ، فإذا موسَى ضَرْبٌ منَ الرِّجالِ؛ كأنَّهُ مِن رجالِ شَنوءَةَ، ورأيْتُ عيسَى ابنَ مريمَ عليهِ السَّلامُ، فإذا أقربُ مَن رأيتُ بِهِ شبَهًا عُروةُ بنُ مسعُودٍ، ورأيتُ إبراهِيمَ عليهِ السَّلامُ، فإذا أقرَبُ مَن رأيتُ به شبَهًا صاحبُكُم ـ يعني: نفسَهُ ـ ورأيْتُ جبريلَ عليه السَّلامُ، فإذا أقرَبُ مَن رأيتُ بِهِ شبَهًا دِحْيةُ بنُ خَليفَةَ». [م: ١٦٧]

---

(١) انظر: «فتح الباري بشرح البخاري» لابن حجر (١٠/ ٢١٢).

(٢) انظر: «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» لأبي العباس القرطبي (١/ ٤٦٧).

* **الضَّرْبُ** ـ بإسكان الرَّاء ـ: الرجلُ الخفيفُ الجسمِ[1].

و(**دحيةُ**) بفتح الدَّال وكسرِها، لغتان مشهورتان.

١٧٤٧ـ (م): أبو هُريرة رضي الله عنه: «فُضِّلتُ على الأنبياءِ بستَّةٍ: أُعطيْتُ جوامِعَ الكلِمِ، ونُصِرتُ بالرُّعبِ، وأُحِلَّتْ ليَ الغنائمُ، وجُعِلَتْ ليَ الأرضُ طَهورًا ومسجِدًا، وأُرسِلْتُ إلى الخلقِ كافَّةً، وخُتِمَ بي النَّبيُّون». [م: ٥٢٣]

* وقد تقدَّم الكلامُ عليه في هذا البابِ في قوله[2]: «**أُعطيتُ خمسًا**».

١٧٤٨ـ (ق): أبو هُريرة رضي الله عنه: «فُقِدَت أمَّةٌ مِن بَني إسرائِيلَ لا يُدرى مَا فعلَتْ، وإنِّي لا أُراها إلَّا الفأرَ، إذا وُضِعَ لها ألبانُ الإبِلِ لم تشرَبْ، وإذا وُضِعَ لها ألبَانُ الشَّاءِ شَرِبَت». [خ: ٣١٢٩] [م: ٢٩٩٧]

* قيل: معنى: (**فُقِدَتْ**) مُسِخَتْ، بدلالة قوله: (**ولا أُراها إلَّا الفأرَ**) أي: لا أظنُّها.

وقد تقدَّم الكلامُ عليه أيضًا في البابِ الثاني في قوله عليه السَّلام[3]: «**إنَّ الله لم يهلكْ قومًا**».

---

(١) انظر: «كشف المشكل من حديث الصحيحين» لابن الجوزي (٣/ ٣٣٣).

(٢) تقدم برقم: (١٧٢٨).

(٣) تقدم برقم: (٢٨٠).

١٧٤٩ـ (ق): أبو هُريرة رضي الله عنه: «قيلَ لبَني إسرائيلَ: ﴿ٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ﴾ [البقرة: ٥٨] فبدَّلُوا، فدخَلوا البابَ يزحفونَ على أستاهِهِم، وقالوا: حبَّةٌ في شعرَةٍ». [خ: ٣٢٢٢] [م: ٣٠١٥]

* قوله: (﴿ٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ﴾) قال مجاهدٌ: هو البابُ الثَّامنُ من بيت المقدسِ، وقيل: بابُ القريةِ، وقيل: بابُ قريةٍ فيها موسى[١].

وقوله: (﴿سُجَّدًا﴾) قال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنه: مُنحنينَ[٢] ركوعًا[٣]، وقال غيره: خضوعًا وشكرًا لتيسيرِ الدخولِ.

وقوله: (﴿حِطَّةٌ﴾) يعني: حُطَّ عنَّا ذنوبَنا، وقال ثعلب: التوبةُ[٤]. وهو مرفوعٌ على أنَّه خبرُ مبتدأٍ محذوفٍ؛ أي: مسألَتُنا وأمرُنا حِطَّةٌ.

وقوله: (**يزحفُونَ على أستاهِهِم**) أي: يمشونَ على أَلْياتِهم.

وقوله: (**فبدَّلُوا**) أي: وضعُوا مكان (﴿حِطَّةٌ﴾) كلامًا غيرَها، وقالوا مستهزئين: (**حبَّةٌ في شعرةٍ**)، فعاقبَهم اللهُ بالرِّجز، وهو العذابُ بالهلاكِ.

وقيل: كان طاعونًا هلكَ[٥] منهم سبعونَ ألفًا، والله أعلم.

١٧٥٠ـ (ق): ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنه: «نُصِرتُ بالصَّبا، وأُهلِكَتْ عادٌ بالدَّبُورِ». [خ: ٣٠٣٣] [م: ٩٠٠]

---

(١) انظر: «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» لأبي العباس القرطبي (٧/ ٣١٥).

(٢) في (ع) و(ص): «منحنيين».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ١٠٤)، والحاكم في «المستدرك على الصحيحين» (٣٠٤٠) بلفظ: «ركعًا».

(٤) انظر: «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» لأبي العباس القرطبي (٧/ ٣١٦).

(٥) في (ب): «أهلك».

* **(الصَّبا)** بفتح الصَّاد مقصورٌ، وهي: الريحُ الشَّرقيَّة تهبُّ من مطلعِ الشَّمسِ إذا استوى الليلُ والنهارُ[١].

و**(الدَّبورُ)** بفتح الدَّالِ، هي: الريحُ الغربيَّة تقابلُ الصَّبا في الهبوبِ، سُمِّيت دَبورًا؛ لأنَّها تأتي من دُبُر الكعبَةِ[٢].

قال قتادةُ[٣]: عادٌ حيٌّ باليمن، كانوا أهل رملٍ مشرفين على البحرِ بأرضٍ يقال له: الشِّحْرُ[٤].

وقال مقاتلٌ[٥]: كانت منازلُ عادٍ باليمن في حضرموتَ في موضعٍ يقال له: مَهْرة ـ يُنسَبُ إليه الإبلُ الـمَهريَّة ـ وكانوا من قبيلةِ إرَمَ، ولمَّا أرادَ اللهُ إهلاكَهم أرسلَ عليهم سحابةً سوداءَ من وادٍ يُقال له: المغيثُ، وكانوا قد حُبِسَ عنهم المطرُ، فلمَّا رأوا ذلك استبشروا، ثمَّ لمَّا علموا بكونه عذابًا ـ وأوَّلُ ذلك أنَّ ما كان خارجًا من الديار من الرجالِ والمواشِي طارَتْ بهم الريحُ بين السَّماءِ والأرضِ ـ دخلوا بيوتَهم وأغلقُوا أبوابَهم، فجاءت الرِّيحُ فقطَّعَتْ أبوابَهم وصرعَتْهم، وصارَتِ الرِّيحُ تحملُ الفُسطاطَ والظَّعينةَ حتى يُرى كأنَّها جرادٌ، وأمرَ اللهُ الريحَ فأمالَتْ عليهم الرملَ، وكانوا تحتَه سبعَ ليالٍ وثمانيةَ أيَّامٍ، ثمَّ أمرَ الريحَ فكشَفَتْ عنهم الرِّمالَ، فاحتمَلتْهم فرمَتْ بهم في البحرِ.

---

(١) انظر: «سرور النفس بمدارك الحواس الخمس» لأحمد بن يوسف التيفاشي (ص: ٣٣٥).

(٢) انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (٩/ ١٤٠).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ١٥٢).

(٤) في هامش (ص): «بالشين المعجمة، إما بالفتح أو بالكسر: اسم الساحل بين عمَّان وعدن».

(٥) انظر: «تفسير الثعلبي» (٢٤/ ١٠٦).

١٧٥١ـ (م): أنسٌ رضي الله عنه: «وُلد لِي اللَّيلةَ غُلامٌ، فسمَّيتُهُ باسمِ أبي: إبراهيمَ». [م: ٢٣١٥]

* قد تقدَّم الكلامُ عليه في أوَّل البابِ الثاني في قولهِ عليه السَّلام[١]: «إنَّ إبراهيمَ ابني»، وفي قوله في البابِ الثَّامن[٢]: «تدمعُ العينُ».

(١) تقدم برقم: (١٩٨).

(٢) تقدم برقم: (١٥٧٠).

فصلٌ في الحكايةِ عن نفسِ المتكِّلم

١٧٥٢ـ (خ): أنسٌ رضي الله عنه: «أتيتُ على نَهرٍ حافَّتاهُ قِبابُ اللُّؤلُؤِ المُجَوَّف، فقلتُ: ما هذا يا جبرائيلُ؟ قالَ: الكوثَرُ». [خ: ٤٦٨٠]

* (الكوثَرُ) فَوْعَلٌ، من الكثرةِ، وهل هو الحوضُ أو غيرُه، قيل: هو الحوضُ، وقد تقدَّمَ الكلامُ عليه(١). وقيل: المرادُ به القرآنُ والنُّبوَّة(٢)، وعلى هذا يكون النهرُ والحافَّتانِ واللؤلؤُ كلُّها استعاراتٍ لِما في القرآنِ من الحِكَمِ واللَّطائفِ والأحكامِ والأمثالِ.

١٧٥٣ـ (م): أبو هُريرةَ رضي الله عنه: «استأذَنْتُ ربِّي أنْ أستغفِرَ لأُمِّي فلم يأذَنْ لي، واستأذَنتُهُ أن أزورَ قبرَها فأذِنَ لي». [م: ٩٧٦]

* قيل: الاستئذانُ في الاستغفارِ: يجوز أنْ يكونَ قبلَ نزولِ قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ﴾ [التوبة: ١١٣]، ويجوز أنْ يكونَ بعدَه، وارتجى خصُوصيَّةَ أمِّهِ بذلك(٣).

قوله: (واستأذَنتُهُ أنْ أزُورَ قبرَهَا فأذِنَ لِي) قال أبو هريرةَ رضي الله عنه: زارَ النبيُّ عليه السَّلام قبرَ أمِّه، فبكى وأبكى مَنْ حولَه، ثمَّ قالَ... الحديث، وفي آخرِه: «وزورُوا القبورَ؛ فإنَّها تُذكِّرُ الموتَ».

ويقال: كان قبرُها في الأبواء، فمرَّ به عامَ الحديبيةِ.

---

(١) تقدم برقم: (٣١٣).

(٢) انظر: «الغريبين في القرآن والحديث» لأبي عبيد الهروي (٥/ ١٦١٧).

(٣) انظر: «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» للقرطبي (٢/ ٦٣٤).

ويُروى: أنَّه زارَ قبرَ أمِّه في ألفِ فارسٍ مقنَّعٍ[(١)]؛ أي: مغطًّى بالسِّلاحِ.

وفيه: جوازُ زيارَةِ الرجلِ القبورَ، وأمَّا النِّساءُ فقد رُوي عن أبي هريرةَ: «أنَّ رسُولَ الله ﷺ لعنَ زوَّاراتِ القبُورِ والمتَّخذينَ عليها المساجدَ والسُّرجَ»[(٢)].

وقد رأى بعضُ أهلِ العلمِ أنَّ هذا كانَ قبلَ أنْ يُرخَّصَ في زيارَةِ القبورِ، فلمَّا رُخِّصَ عمَّتِ الرُّخْصَةُ الرجالَ والنِّساءَ.

١٧٥٤ـ (ق): ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنه: «اطَّلعتُ في الجنَّةِ فرَأيتُ أكثَرَ أهلِهَا الفُقراءَ، واطَّلعْتُ في النَّارِ فرأيْتُ أكثَرَ أهلِها النِّساءَ». [خ: ٦٠٨٤] [م: ٢٧٣٧]

* **(اطَّلعتُ)** أي: أشرفتُ عليها من عُلوٍ[(٣)]. والمرادُ: **(بالنِّساء)** المسلماتُ؛ لأنَّ الكفَّارَ ونساءَهُم في النَّارِ.

وفيه: دليلٌ على فضيلَةِ الفقرِ والتَّقلُّلِ من الدُّنيا.

---

(١) رواه البزار في «مسنده» (٤٣٧٥)، وابن عدي في «الكامل في ضعفاء الرجال» (٩/ ٩٣)، والحاكم في «المستدرك على الصحيحين» (١٣٨٩)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٨٨٥٠) من حديث بريدة رضي الله عنه. قال البزار: هذا الحديث رواه جماعة، عن يحيى بن اليمان عن سفيان، عن علقمة بن مرثد، عن أبيه، ولا نعلم أحدًا رواه عن يحيى موصلًا ممَّن يحتج بحديثه، وإنما يروى عن سفيان، عن علقمة بن مرثد مرسلًا. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.

(٢) رواه الترمذي (١٠٥٦)، وابن ماجه (١٥٧٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: «أن رسول الله ﷺ لعن زوَّارات القبور». قال الترمذي: حديث حسن صحيح.
أما اللفظ المذكور فقد رواه أبو داود (٣٢٣٦)، والترمذي (٣٢٠)، والنسائي (٢٠٤٣)، وابن حبان في «صحيحه» (٣١٧٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنه. قال الترمذي: حديث حسن.

(٣) انظر: «المخصص» لابن سيده (٤/ ٩٣).

١٧٥٥ـ (خ): أنسٌ رضي الله عنه: «أكثَرْتُ عليكُم في السِّواكِ». [خ: ٨٤٨]

* أي: أكثرتُ الكلامَ فيه لكثرةِ فضيلتِهِ.

١٧٥٦ـ (ق): جابرٌ رضي الله عنه: «جاوَرْتُ بحِراءَ شهرًا، فلمَّا قضَيْتُ جِواري نزَلْتُ فاستَبْطَنْتُ بطنَ الوَادي، فنوديتُ، فنظَرْتُ أمَامي وخَلفي، وعن يَميني وعن شِمالي، فلم أرَ أحدًا، ثمَّ نوديتُ فنظَرْتُ، فلم أرَ أحدًا، ثمَّ نوديتُ فرفَعْتُ رأسِي، فإذا هو على العرشِ في الهَواءِ ـ يعني: جِبرائيلَ ـ فأخَذَتني رجفَةٌ شديدَةٌ، فأتَيْتُ خديجَةَ، فقلْتُ: دثِّروني، فدثَّروني، فصَبُّوا عليَّ ماءً، فأنزَلَ اللهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ① قُمْ فَأَنذِرْ﴾ [المدثر: ١ـ٢]». [خ: ٤٦٣٨] [م: ١٦١]

* اختلف المفسِّرون في أوَّل ما أُنزلَ من القرآنِ فقيلَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾، وقيل: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾، وقيل: الفاتحة، واتَّفقَ الأكثرونَ على بطلانِ هذا[1].

والصَّوابَ أنَّ أوَّلَ ما أُنزلَ: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ كما صُرِّحَ به في حديثِ عائشةَ[2]، وأمَّا ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ فكانَ نزولُها بعدَ فترةِ الوَحيِ.

قوله: (فاستبطَنْتُ بطنَ الوَادِي) أي: طلبتُ باطنَه[3].

و(العرشِ) كرسيُّ الملِك.

و(الهواءِ) الممدودِ، وهو الجوُّ بين السماء والأرضِ.

---

(١) انظر: «تفسير ابن كثير» (١/ ٢٠).

(٢) وهو حديث بدء الوحي، رواه البخاري (٣)، ومسلم (١٦٠).

(٣) انظر: «شرح النووي على مسلم» (٢/ ٢٠٨).

وقوله: (فأَخَذَتْني رجفَةٌ) بالرَّاء، وروي: بالواو «وجفةٌ»[(١)]، وهو قريبٌ من الأوَّل، ومعناهما[(٢)] الاضطرابُ، قالَ الله تعالى: ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ [النازعات: ٨] وقال: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ﴾ [المزمل: ١٤].

وقوله: (فصَبُّوا عليَّ ماءً) فيه: أنَّه ينبغِي أنْ يُصَبَّ على الفَزْعانِ ماءٌ لتسكينِ الفزَعِ.

وأمَّا قوله تعالى: (﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾) فقد تقدَّم تفسيره في البابِ السادسِ[(٣)].

١٧٥٧ـ (ق): المسوَرُ بنُ مخرمَةَ رضي الله عنه: «خَبَأْتُ هذا لكَ، خبَأْتُ هذا لكَ». [خ: ٢٥١٤] [م: ١٠٥٨]

قالهُ لأبيهِ مخرَمَةَ؛ يعني: قَباءً مِن ديباج مُزَرَّرًا بالذَّهَبِ.

*قال: قَدِمَتْ على النبيِّ عليه السَّلام أقبيةٌ ـ وقال البُخاريُّ: أقبيةٌ من دِيبَاجٍ مزرَّرةٌ[(٤)] بالذَّهبِ ـ فقال لي أبي مخرمَةُ: انطلقْ بنا إليه عسى أنْ يُعطيَنا منه شيئًا، فقامَ أبي على البابِ فتكلَّمَ، فعرف النبيُّ عليه السَّلام صَوتَه، فخرجَ ومعه قَباءٌ وهو يُريه محاسنَه وهو يقول: «خَبَأْتُ هذا لكَ، خبَأْتُ هذا لكَ».

والقَباءُ: ممدودٌ، وهو مأخوذٌ من «قَبَوْتُ الشيءَ»: أي: جمعتُه[(٥)]. وإنَّما أعطاهُ؛

---

(١) انظر: «إكمال المعلم بفوائد مسلم» للقاضي عياض (١/ ٤٩٢).

(٢) في (ن): «ومعناه».

(٣) تقدم برقم: (١٠٩٩).

(٤) في (ص) و(ك) و(ب): «مزررًا».

(٥) انظر: «جمهرة اللغة» لابن دريد (٢/ ١٠٢٦).

لينتفِعَ بثمنِه لا ليلبسَه؛ لأنَّ لبسَ الحريرِ محرَّمٌ على الرِّجالِ[١]. وفيه: بيانُ عِظَمِ[٢] خُلقِ النبيِّ عليه السَّلام، وما كان يتألَّفُ به أصحابَه رضي الله عنهم.

١٧٥٨ـ (م): أنسٌ رضي الله عنه: «دخَلْتُ الجنَّةَ فسَمِعتُ خَشْفَةً، قلتُ: مَن هذا؟ قالُوا: هذِهِ الغُمَيصاء بنتُ مِلحانَ أمُّ أنسِ بنِ مالكٍ». [م: ٢٤٥٦]

*الخَشْفةُ ـ بخاءٍ معجمةٍ مفتوحةٍ وشينٍ معجمةٍ ساكنةٍ ـ: حركةُ المشيِ وصوتُه، ويقال: بفتح الشِّين أيضًا[٣].

و(الغُمَيصاء) بضمِّ الغين المعجمةِ والصَّاد المهملةِ، ويقال لها: الرُّمَيصاءُ[٤] أيضًا، هي: أمُّ أنسٍ هذا، وتُكْنَى بأمِّ سُلَيمٍ، وكانَتْ من العُقلاءِ، شهدَتْ مع رسولِ الله ﷺ أُحُدًا وحُنَينًا.

وفي الحديث: منقبةٌ عظيمةٌ لها.

١٧٥٩ـ (خ): سمُرَةُ رضي الله عنه: «رأيْتُ اللَّيلةَ رجلَيْنِ أتياني، فصعِدا بي الشَّجرَةَ، فأدخَلاني دارًا هيَ أحسَنُ وأفضَلُ، لم أرَ قطُّ أحسَنَ منها، قالا: أمَّا هذهِ الدَّارُ فدارُ الشُّهداءِ». [خ: ٢٦٣٨]

* معناه ظاهرٌ. وفيه: بيانُ فضلِ مرتبةِ الشَّهادةِ عندَ اللهِ.

---

(١) انظر: «أحكام القرآن» للطحاوي (٢/ ٥٣).

(٢) في (ب): «عظيم».

(٣) انظر: «إكمال المعلم بفوائد مسلم» للقاضي عياض (٧/ ٤٨٢).

(٤) في هامش (ص): «الغمص: ما سال من قذى العين عند البكاء، والرمص: ما يجمد منه».

١٧٦٠ـ (خ): ابنُ عُمرَ رضي الله عنه: «رأيتُ امرأةً سوداءَ ثائرَةَ الرَّأسِ، خرَجَتْ مِن المدينَةِ حتَّى نزلَتْ مَهْيَعَةَ، فتأوَّلتُها أنَّ وباءَ المدينَةِ نُقِلَ إلى مَهْيَعَةَ». [خ: ٦٦٣٢]

* (**مَهْيَعَةَ**) بفتحِ الميمِ وسكونِ الهاء وفتحِ الياء، وهو مَفْعَلَةٌ، من التَّهيُّع: وهو الانبساطُ، وهي الجُحْفةُ ميقاتُ أهل الشامِ، وهي موضعٌ شديدُ الوَخمِ[١].

قال الأصمعيُّ: لم يلدْ أحدٌ فيه فعاشَ إلى أنْ يحتلمَ إلَّا أنْ يرتحلَ منه[٢].

ومعنى: (**ثائرَةَ الرَّأسِ**) منتشرةَ شعرِ الرأسِ.

١٧٦١ـ (خ): عائشةُ رضي الله عنها: «رأيْتُ جهنَّمَ يحطِمُ بعضُهَا بعضًا، ورأيتُ عَمرًا يجرُّ قُصْبَهُ، وهو أوَّلُ مَن سيَّبَ السَّوائبَ». [خ: ٤٣٤٨]

* أصلُ **الحَطْمِ**: الكسرُ، ومعناه: يأكلُ بعضُها بعضًا لشدَّة حَرِّها[٣].

والقُصْبُ ـ بضمِّ القافِ وسكونِ الصَّاد المهملةِ ـ: هي الأمعاءُ، واحدُها: قُصْبَة[٤].

وقوله: (**وكانَ أوَّلَ من سيَّبَ السَّوائبَ**) جمعُ سائبةٍ، فاعلةٌ بمعنى: مفعولةٍ، كانَ الرجلُ في الجاهليَّةِ يقول: إنْ شفَاني اللهُ مِن مرضِي أو قَدِمَ غائبي فناقَتي سائبةٌ، ثمَّ

---

(١) انظر: «المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث» لأبي موسى المديني (٣/ ٥٢٢).

(٢) انظر: «نثر الدر في المحاضرات» للآبي (١/ ١٥٨).

(٣) انظر: «تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم» لابن أبي نصر (ص: ٥١٢).

(٤) انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (٨/ ٢٩٤).

يسيِّبُها فلا تُحبَسُ من مرعًى ولا ماءٍ، ولا يركبُها أحدٌ[١]، وفيها[٢] أقوالٌ غيرُ هذا[٣].

١٧٦٢ـ (م): أنسٌ رضي الله عنه: «رأيتُ ذاتَ ليلةٍ فيما يرى النَّائمُ كأنَّا في دارِ عُقبَةَ بنِ رافِعٍ، فأُتينا برُطَبٍ مِن رُطَبِ ابنِ طابٍ، فأوَّلتُ الرِّفعَةَ لنا في الدُّنيا، والعاقبَةَ في الآخرَةِ، وأنَّ دينَنا قد طابَ». [م: ٢٢٧٠]

* (**رُطَبِ ابنِ طابٍ**[٤]) نوعٌ من رُطَبِ المدينَةِ معروفٌ، يقال: رُطَبُ ابن طابٍ، وتمرُ ابنِ طابٍ، وعِذْقُ ابنِ طابٍ، وعرجونُ ابنِ طابٍ، وهو إضافةٌ[٥] إلى رجلٍ من أهلِ المدينةِ[٦].

---

(١) انظر: «تفسير الكشاف» للزمخشري (١/ ٦٨٥).

(٢) في هامش (ص): في نسخة: (وفيه).

(٣) منها ما ذكره ابن المسيب أن السائبة التي كانوا يسيِّبونها لآلهتهم، فلا يحمل عليها شيء. انظر: «المعلم بفوائد مسلم» للمازري (٣/ ٣٦٠)، وقيل: كانت الناقة إذا تابعت بين اثنتي عشرة أنثى ليس بينهن ذكر سيبت فلم تركب ولم تحلب ولم تنحر ولم يجز وبرها. انظر: «مطالع الأنوار على صحاح الآثار» لابن قرقول (٥/ ٥٥٣)، وقيل: السائبة ما كانوا يخرجونه من أموالهم فيأتون به خزنة الآلهة فيطعمون ابن السبيل من ألبانه ولحومه. انظر: «كشف المشكل من حديث الصحيحين» لابن الجوزي (٣/ ٣٣١).

(٤) بالتنوين بناء على أن الطاب بمعنى الطيب على ما في «القاموس»، وفي نسخة بفتح الباء على عدم صرفه، ولعله رعاية لأصله، فإنه ماض مبني على الفتح. انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٧/ ٢٩٢٢).

(٥) في (ب): «إضافته».

(٦) انظر: «شرح النووي على مسلم» (١٥/ ٣١).

والتأويلُ: من «آلَ يؤولُ»: إذا رجَعَ، وأكثرُ ما يُستعمَلُ في المعاني؛ كتأويلِ الرُّؤيا، والتَّفسيرُ في الألفاظِ[1].

وفي هذا التأويلِ دليلٌ على أنَّ تعبيرَ الرؤيا قد يؤخَذُ من حروفِ كلماتِها ودَلالةِ اشتقاقِها؛ فإنَّه أخذَ من (عقبةَ) حُسْنَ العاقبةِ، ومن (رافعٍ) الرِّفعةَ، ومن (ابنِ طابٍ) لذاذَ الدِّين وكمالَهُ.

١٧٦٣ـ (ق): أبو هُريرة رضي الله عنه: «رأيتُ عمرَو بنَ عامرٍ الخُزاعيَّ يجرُّ قُصبَهُ في النَّارِ، وكانَ أوَّلَ مَن سيَّبَ السَّوائبَ». [خ: ٣٣٣٣] [م: ٢٨٥٦]

* قد تقدَّم الكلامُ عليه آنفًا.

١٧٦٤ـ (خ): ابنُ عُمر رضي الله عنه: «رأيتُ عيسى وموسى وإبراهيم، فأمَّا عيسى فأحمَرُ جَعدٌ عريضُ الصَّدرِ، وأمَّا موسى فآدمُ جَسِيمٌ سَبْطٌ كأنَّه مِن رجالِ الزُّطِّ». [خ: ٣٢٥٥]

* قد تقدَّم الكلامُ في معنى **الجعدِ**، وفي معنى آدمَ. **والسَّبْطُ** ـ بسكون الباء وكسرها ـ: وهو الشَّعرُ الذي ليسَ فيه تكَسُّرٌ كشُعورِ العَجمِ[2].

و(**الزُّطُّ**) جيلٌ من الناسِ، الواحدُ: زُطِّيٌّ، كزنجٍ وزنجيٍّ[3].

---

(١) انظر: «تفسير الراغب الأصفهاني» (١/ ١١).

(٢) انظر: «مشارق الأنوار على صحاح الآثار» للقاضي عياض (٢/ ٢٠٤).

(٣) انظر: «الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية» للجوهري (٣/ ١١٢٩).

وقد تقدَّم الكلامُ أيضًا في رؤيتِه للأنبياءِ عليه السَّلام[1].

١٧٦٥ـ (ق): أبو موسى رضي الله عنه: «رأيتُ في المنامِ أنّي أُهاجرُ مِن مكَّةَ إلى أرضٍ بها نخلٌ، فذهَبَ وَهَلي إلى أنَّها اليمامَةُ أو هَجَرُ، فإذا هي المدينةُ يثرِبُ، ورأيتُ في رؤيايَ هذه أنّي هَزَزتُ سيفًا فانقطَعَ صَدرُهُ، فإذا هو ما أُصيبَ من المؤمنينَ يومَ أحُدٍ، ثمَّ هزَزتُهُ أُخرى فعادَ أحسنَ ما كانَ، فإذا هو ما جاءَ اللهُ بِهِ مِن الفتحِ واجتماعِ المؤمنينَ». أسندَهُ مسلمٌ وعلَّقَه البُخاريُّ. [خ: ٣٨٥٣][م: ٢٢٧٢]

*(**وهَلي**) بفتح الهاء، بمعنى: وهْمِي، والوهْلُ ـ بسكون الهاء ـ هو: أنْ يذهبَ وهمُك إلى شيءٍ وأنت تريدُ غيرَه[2]، والروايةُ بالفتحِ، قيل: فيجوزُ أنْ يكونَ كنَهَرٍ ونَهْرٍ، وشَعَرٍ وشَعْرٍ، بالتَّحريك والتَّسكِين.

و(**اليَمامةُ**) بفتح الياء: مدينةٌ بالباديَةِ، مِن بوادي[3] العَوالي، أكثرُها بنو حنيفةَ، وبها تنبَّأَ مُسيْلِمةُ الكذَّابُ[4].

و(**هَجَرُ**) مدينةٌ معروفةٌ، قيل: والنسبةُ إليها هاجريٌّ على غير قياسٍ، وقيل: هَجَريٌّ[5].

وقوله: (**فإذَا هيَ المدينةُ يثرِبُ**) جعلَ (**يثرب**) عطفَ بيانٍ للمدينةِ؛ لأنَّ

---

(١) تقدم برقم: (١٢٣٨).

(٢) انظر: «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» لأبي العباس القرطبي (٦/ ٣٥)، و«الميسر في شرح مصابيح السنة» للتوربشتي (٣/ ١٠١٨).

(٣) في (ك): «بلاد». ونبه عليها في هامش (ص).

(٤) انظر: «اللباب في تهذيب الأنساب» لابن الأثير (٣/ ٤١٧).

(٥) انظر: «اللباب في تهذيب الأنساب» لابن الأثير (٣/ ٣٨١).

في السَّامعين مَن لم يعرِفْها إلَّا باسم الجاهليَّةِ، وقيل: لأنَّ ذكرَها بيثربَ جائزٌ، والمستحَبُّ: طَيبةُ أو طابةُ أو المدينةُ.

وقد تقدَّم الكلامُ في كونه منهيًّا عنه.

وقوله: (**فهَزَزتُه**) بزايين في معظمِ النُّسخِ؛ أي: حرَّكتُه، وفي بعضِها: «**فهَزَّيتُه**» بقلبِ إحدَى الزاءين ياءً، وهو جائزٌ. قيل: وإنَّما أوَّلَ عليه السَّلام هذه الرُّؤيا بما ذكرَه؛ لأنَّ سيفَ الرجُلِ أنصارُه[١] الذين يصولُ بهم كما يصولُ بسيفِه، ولمَّا كانَ القتلاءُ يوم أُحدٍ معظمَ صدرِ عسْكَرِه؛ إذ كانَ فيهم عمُّه حمزةُ رضي الله عنه وغيرُه من أشرافِ المهاجِرينَ والأنصارِ، فسَّر صدرَ السَّيف بهم، وهزُّه عليه السَّلام هو حملُهم على الجهادِ وحثُّهُم عليه.

وقوله: (**ثمَّ هززتُهُ أُخرى**) قيل: أرادَ به حملَهُم على الجهادِ، وحثَّهم عليه في ذلك اليومِ، وقيل: ما صنعَ اللهُ بهم بعدَ أُحُدٍ، وذلك أنَّهم لم ينكلُوا عن الجهادِ وما استكانوا لِما أصابَهم يوم أُحدٍ، بل جدَّدوا نيَّاتِهم، وقوَّوا عزماتِهم، واجتمعَتْ على ذلك جماعاتُهم، وصحَّتْ في ذلك رغباتُهم، فغزَوا بعدَ ذلك غزواتٍ فتحَ الله عليهم فيها[٢]، والأوَّلُ أنسبُ؛ لأنَّ ذلك هزَّاتٌ لا هزَّةٌ واحدةٌ.

قوله: (**وعلَّقَه البُخاريُّ**) شكَّ البخاريُّ في رفعِ الحديثِ، وعلَّقَ ببابِ هجرةِ النبيِّ عليه السَّلام وأصحابِه إلى المدينةِ: وقال أبو موسى عن النبيِّ عليه السَّلام: «رأيتُ في المنامِ»... إلى قوله: «يثربَ».

---

(١) في (ب): «أنصار».

(٢) انظر: «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» لأبي العباس القرطبي (٦/ ٣٧).

١٧٦٦ـ (ق): جابرٌ رضي الله عنه: «رأيتُني دخلتُ الجنَّة، فإذا بالرُّمَيصاءِ امرأةِ أبي طلحةَ، وسمعْتُ خشَفَةً، فقلتُ: مَن هذا؟ فقال: هذا بلالٌ، ورأيتُ قصرًا بفِنائهِ جاريَةٌ، فقلتُ: لمَن هذا؟ قالوا: لعُمرَ بنِ الخطَّاب، فأردْتُ أنْ أدخلَهُ فأنظرَ إليهِ فذكرْتُ غيرتَكَ، فولَّيتُ مُدْبرًا، فبكى عُمرُ وقال: أعليكَ أغارُ يا رسولَ اللهِ؟». [خ: ٣٤٧٦] [م: ٢٣٩٤]

*قد تقدَّم آنفًا قصَّةُ الغُميصاء، وهي (الرُّميصاءُ) هذه، وفيه: فضيلةٌ لعمرَ بنِ الخطَّابِ ولبلالٍ ولها رضي الله عنهم.

١٧٦٧ـ (م): سعدُ بنُ أبي وقَّاصٍ رضي الله عنه: «سألتُ ربِّي ثلاثًا، فأعطَاني اثنتينِ، ومنَعَني واحدَةً، سألتُ ربِّي ألَّا يُهلكَ أمَّتي بالسَّنةِ فأعطانيها، وسألتُهُ ألَّا يُهلِكَ أُمَّتي بالغرَقِ فأعطانيها، وسألتُهُ ألَّا يجعَلَ بأسَهُم بينهُم فمنَعنيها». [م: ٢٨٩٠]

* قال: أقبلَ رسولُ الله ﷺ ذات يومٍ من العاليةِ، حتى إذا مرَّ بمسجدِ بني معاويةَ دخلَ فركعَ فيه ركعتين وصلَّينا معه، ودعا ربَّه طويلًا، ثمَّ انصرفَ إلينا فقال: «سألتُ ربِّي ثلاثًا...» إلى آخره.

السَّنَة: القحطُ، وقد جاءَ في بعضِ الرِّواياتِ: «بسنةٍ عامَّةٍ»[1]؛ أي: بقحطٍ يُهلِكُهم على العمومِ، فإنْ وقعَ قحْطٌ كان في ناحيةٍ يسيرةٍ بالنِّسبةِ إلى بقيَّة بلادِ الإسلامِ.

وقولُه: (بالغرَقِ) أي: لا يُهلِكَهم بطوفانٍ يعُمُّ جميعَهم؛ كطُوفانِ نوحٍ عليه السَّلام.

---

(١) رواه الترمذي (٢١٧٦) من حديث ثوبان رضي الله عنه، وقال: حديث حسن صحيح، ورواه مسلم بلفظ: «بسنة بعامة» (٢٨٨٩).

قال القرطبي: (بالغرقِ) فيه بُعْدٌ، ولعلَّه كان (بالعدوِّ) يعني: من غيرِ أنفسِهم، فتصحَّفَ على بعضِ الرُّواةِ؛ لقُربِ[1] ما بين اللَّفظين في الصُّورةِ، ويدلُّ على ذلك أنَّ هذا الحديثَ رواه خبَّابُ بنُ الأرتِّ[2] وثوبانُ[3] وغيرُهما، وكلُّهم قالوا بدلَ (الغرَقِ): (العدوِّ)، والله أعلم[4].

وقوله: (**أنْ لا يجعلَ بأسَهُم بينَهُم**) البأسُ: الحروبُ والفتن، وأصلُه: مِن «بَئِس يبأسُ»: إذا أصابَه البأسُ وهو الضُّرُّ.

١٧٦٨ـ (م): ابنُ عُمر رضي الله عنهما: «عجِبْتُ لها، فُتِحَتْ لها أبوابُ السَّماءِ». [م: ٦٠١]

يعني: قولَ رجلٍ دخلَ معهم في الصَّلاة فقال: اللهُ أكبرُ كبيرًا، والحمدُ للهِ كثيرًا، وسبحانَ اللهِ بُكرةً وأصيلًا، قال ابنُ عُمرَ: فما تركتُهُنَّ منذُ سمعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ ذلكَ.

* وقد تقدَّم الكلامُ على مثلِه في آخر البابِ السادسِ في قولِه عليه السَّلام[5]: «لقد رأيتُ اثنَي عشَرَ مَلَكًا يبتَدِرونها أيُّهم يرفعُها».

(١) في (ك): «بقرب».

(٢) رواه الترمذي (٢١٧٥) وقال: حديث حسن صحيح.

(٣) وهي رواية مسلم (٢٨٨٩).

(٤) انظر: «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» لأبي العباس القرطبي (٧/ ٢١٩).

(٥) تقدم برقم: (١٢٣٦).

١٧٦٩ـ (ق): سعدُ بنُ أبي وقَّاصٍ رضي الله عنه: «عجِبْتُ مِن هؤلاءِ اللَّاتي كنَّ عندي، فلمَّا سمِعنَ صوتَكَ ابتدَرْنَ الحجابَ». [خ: ٣١٢٠] [م: ٢٣٩٦]

قالهُ لعُمرَ بن الخطَّابِ رضي الله عنه.

*وقد تقدَّم الكلامُ عليه في الباب الثامنِ في قوله عليه السَّلام: «والذي نفسي بيدِه ما لقيَكَ الشيطانُ سالكًا فجًّا إلَّا سلكَ فجًّا غيرَ فجِّكَ»[1].

١٧٧٠ـ (ق): أسامةُ بنُ زيدٍ رضي الله عنه: «قمْتُ على بابِ الجنَّةِ، فكانَ عامَّةُ مَن دخلها المساكينَ، وأصحابُ الجَدِّ محبوسُونَ، غيرَ أنَّ أصحابَ النَّارِ قد أُمِرَ بهم إلى النَّار، وقمتُ على بابِ النَّارِ، فإذا عامَّةُ من دخلَهَا النِّساءُ». [خ: ٤٩٠٠] [م: ٢٧٣٦]

* قيل: معناه: وقفتُ عليه في الدُّنيا ليلةَ أُسريَ بي.

و(**الجَدِّ**) بفتح الجيمِ: الحظُّ والغنى والوجَاهةُ في الدنيا[2]، وقيل: هم أصحابُ الولاياتِ[3]، والمرادُ: أنَّهم موقوفون للحسابِ؛ أو لأنَّ الفقراءَ يسبِقونهم بمقدارِ خمسمئة عامٍ.

وقوله: (**إلَّا أنَّ أصحابَ النَّارِ...**) إلى آخره، معناه: أنَّ من استحقَّ النَّارَ بكفرِه مِن أهلِ الغنى أو بمعاصيهِ، فقد أُمرَ به إلى النارِ.

وفيه: فضلُ الفقراءِ والضُّعفاءِ والتَّقلُّلِ مِن الدُّنيا.

---

(١) تقدم برقم: (١٥٤٤).

(٢) انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (١٠/ ٢٤٦).

(٣) انظر: «شرح النووي على مسلم» (١٧/ ٥٢).

١٧٧١ـ (ق): عائشةُ رضي الله عنها: «كنتُ لكِ كأبي زرعٍ لأمِّ زرعٍ».

قالهُ لها، وخبرُ أبي زرعٍ ما حكَتْ عائشةُ رضي الله عنها فقالَتْ: جلسَ إحدى عشْرَةَ امرأةً، فتعاهدْنَ وتعاقدْنَ ألا يكتُمْنَ من أخبارِ أزواجهِنَّ شيئًا، قالَتِ الأُولى: زوجي لحمُ جملٍ غثٍّ على رأسِ جبلٍ، لا سهلٌ فيُرتَقى، ولا سمينٌ فيُنتَقل، قالتِ الثَّانيةُ: زَوجي لا أَبُثُّ خبرَهُ، إنِّي أخافُ أَلَّا أذَرَهُ، إنْ أذكُرْهُ أذكُرْ عُجَرَه وبُجَرَه، قالتِ الثَّالثة: زَوجي العَشَنَّقُ إن أنطِقْ أُطلَّقْ، وإن أسكُتْ أُعلَّقْ، قالتِ الرَّابعةُ: زَوجِي كلَيْلِ تِهامَةَ، لا حَرٌّ ولا قُرٌّ، ولا مخافَةَ ولا سآمَةَ، قالتِ الخامسَةُ: زَوجي إن دخلَ فهِدَ، وإن خرجَ أسِدَ، ولا يسألُ عمَّا عهِدَ، قالتِ السَّادسةُ: زَوجي إن أكلَ لفَّ، وإن شرِبَ اشتَفَّ، وإن اضطجَعَ التفَّ، ولا يُولِجُ الكفَّ ليعلَمَ البثَّ، قالتِ السَّابعةُ: زَوجي غَياياءُ أو عَياياءُ طَباقاءُ، كلُّ داءٍ لهُ داءٌ، شجَّكِ أو فلَّكِ، أو جمَعَ كلاًّ لكِ، قالتِ الثَّامنةُ: زَوجي المسُّ مسُّ أرنَبٍ، والرِّيحُ ريحُ زَرْنَبٍ، قالتِ التَّاسعةُ: زَوجي رفيعُ العِمادِ، طويلُ النِّجادِ، عظيمُ الرَّمادِ، قريْبُ البيتِ منَ النَّاد، قالتِ العاشرَةُ: زَوجي مالِكٌ وما مالِكٌ؟ مالكٌ خيرٌ مِن ذلكَ، له إبلٌ كثيراتُ المبارِكِ، قليلاتُ المسارِحِ، إذا سمعْنَ صوتَ المِزهَرِ أيقنَّ أنَّهنَّ هوالِكُ، قالتِ الحادِيةُ عشرةَ: زَوجي أبو زَرعٍ، فما أَبو زرعٍ؟ أناسَ من حُلِيٍّ أُذُنَيَّ، وملَأَ من شحمٍ عضُدَيَّ، وبجَّحَني فبَجِحَتْ إليَّ نَفسي، وجَدَني في أهلِ غُنَيْمَةٍ بشِقٍّ، فجعلَني في أهلِ صهيلٍ وأطيطٍ ودائسٍ ومُنَقٍّ، فعندهُ أقولُ فلا أُقبَّحُ، وأرقُدُ فأتصَبَّحُ، وأشرَبُ فأتقنَّحُ ـ ويُروى: فأتقَمَّحُ ـ أمُّ أبي زرعٍ فما أمُّ أبي زرعٍ؟ عُكومُها رَداحٌ، وبيتُها فَساحٌ، ابنُ أبي زرعٍ فما ابنُ أبي زرعٍ؟ مضجَعُهُ كمَسَلِّ شَطْبَةٍ، ويُشبِعُه ذِراعُ الجَفْرَةِ، بنتُ أبي زرعٍ فما بنتُ أبي زرعٍ؟ طوْعُ أبيها، وطَوْعُ أمِّها، ومِلءُ كِسائها، وغَيْظُ جارَتِها، جاريَةُ أبي زرعٍ فما جاريَةُ أبي زرعٍ؟ لا تبُثُّ حديثَنا تبثيثًا، ولا تُنَقِّثُ ميرتَنا تَنقيثًا، ولا تملأُ بيتَنا تعْشيشًا، خرجَ أبُو

زرعٍ والأوطابُ تُمْخَضُ، فلقِيَ امرأةً معَها ولَدانِ لها كالفهدَينِ، يلعبانِ مِن تحتِ خصرِها برُمَّانتين، فطلَّقني ونكَحَها، فنكَحْتُ بعدَهُ رجلًا سريًّا، ركِبَ شَريًّا، وأخذَ خَطِّيًّا، وأراحَ عليَّ نَعَمًا ثريًّا، وأعطاني مِن كلِّ رائحةٍ زوجًا، وقال: كُلي أمَّ زرعٍ، ومِيري أهلَكِ، قالَتْ: فلو جمعْتُ كلَّ شَيءٍ أعطانيهِ ما بلغَ أصغرَ آنيَةِ أبي زرعٍ».
[خ: ٤٨٩٣] [م: ٢٤٤٨]

* حديثُ أمِّ زرعٍ ممَّا اختلفَ فيه الرواياتُ، وكثيرًا ما يشرحُه العلماءُ بانفرادِه، وهذا المختصرُ لا يسعُ ذلك، فلنذكرْ ما يسَّرَ الله ذكرَه.

روى النَّسائيُّ بإسنادِه إلى عائشةَ رضي الله عنها قالت: فخُرْتُ بمالِ أبي في الجاهليَّةِ، وكان ألفَ ألفِ أوقيَّةٍ، فقال النبيُّ عليه السَّلام: «اسكُتي يا عائشَةُ؛ فإنِّي كنتُ لكِ كأبي زرعٍ لأمِّ زرعٍ»(1). ثمَّ جعلَتْ تُحدِّثُ الحديثَ.

(جلسَ إحدَى عشرَةَ امرأةً) وفي بعضِ الرِّواياتِ: «جلسْنَ»(2)، وهو من باب: أكلوني البراغيثُ، وقد تقدَّم مثلُه.

(فتعاهدْنَ وتعاقدْنَ ألَّا يكتُمْنَ) أي: لا يكتمَ بعضُهنَّ (من أخبارِ أزواجِهنَّ) لبعضٍ منهُنَّ (شيئًا قالَتِ الأُولى) وهي مَهْدَدُ بنتُ أبي هَزومَة.

(زَوجي لحمُ جملٍ غثٍّ) أي: مهزولٍ، بالغينِ المعجمةِ، ورُوي بالعينِ المهملةِ(3)، وهي مجرورٌ؛ صفةُ (جملٍ)، وروي بالرَّفعِ: صفةٌ لـ (لحمُ).

وقولها: (على رأسِ جبلٍ) أي: صعب الوصولِ إليه.

---

(1) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (٩٠٩٣).

(2) هي في رواية الطبري لـ«صحيح مسلم». كما ذكر القاضي عياض في: «بغية الرائد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد» (ص: ١٠٠).

(3) انظر: «غريب الحديث» لأبي عبيد (٢/ ١٦٤).

(**لا سهلٌ فيُرتَقى**) أي: يُطلَعُ إليه؛ يعني: الجبلَ؛ لحُزونتِهِ ووَعْرِه.

(**ولا سَمِينٌ فيُنتَقَلُ**) أي: ينقُلُه الناسُ إلى بيوتِهم ليأكلوه، بل يتركوه رغبةً عنه، والمعنى: أنَّه قليلُ الخيرِ من أوجهٍ، منها: كونُه كلحمِ جمَلٍ لا كَلَحمِ الضَّأنِ.

ومنها: أنَّه مع ذلك هزيلٌ رديءٌ.

ومنها: أنَّه صَعْبُ التَّناولِ، لا يوصَلُ إليه إلَّا بمشقَّةٍ شديدةٍ.

وقال الخطَّابيُّ: معنى قولها: (على رأسِ جبلٍ) أنَّه يترفَّعُ ويتكبَّر ويسمو بنفسِه فوقَ منزلتِه، فهو معَ قلَّة خيرِه متكبِّرٌ سيِّئُ الخُلقِ[١]. ويروى في بعضِ الرواياتِ: «فيُنتَقى»[٢]؛ أي: يُستخرجُ منه نِقْيُه، وهو بكسر النُّون وإسكان القاف: المخُّ[٣].

ويجوزُ في قولها: (لا سهلٌ فيُرْتقى) ثلاثةُ أوجهٍ كلُّها مرويَّةٌ: فتحُ لام (سهل) والرفعُ والخفضُ[٤]، وأحسنها الرفعُ، خبرُ مبتدأٍ محذوفٍ؛ أي: لا هو سهلٌ، ولا ذاك سمينٌ، أو: لا الجبلُ سهلٌ، ولا اللَّحمُ سمينٌ.

ويجوزُ أنْ تكونَ (لا) بمعنى: ليس، كما في قوله[٥]:

فأنا ابنُ قَيْسٍ لا بَرَاحُ

أي: ليس لي براحٌ، وفيه ضعفٌ عُرِفَ في موضعِه، والفتحُ لكونه اسمَ (لا) التي لنفِي الجنسِ، وهو مفردٌ، والجرُّ على أنَّه صفةٌ لـ (جبلٍ) و(جملٍ)؛ أي: غيرِ سهلٍ وغيرِ سمينٍ.

---

(١) انظر: «أعلام الحديث شرح صحيح البخاري» للخطابي (٣/ ١٩٨٨).

(٢) انظر: «غريب الحديث» لأبي عبيد (٢/ ٢٨٦).

(٣) انظر: «غريب الحديث» لأبي عبيد (٣/ ١١).

(٤) انظر: «جمع الوسائل في شرح الشمائل» لملا علي القاري (٢/ ٤٩).

(٥) البيت لسعد بن مالك القيسي، كما في «الكتاب» لسيبويه (١/ ٥٨). وصدره: من فرَّ عن نيرانها.

و(**قالتِ الثَّانيةُ**) وهي عَمْرةُ بنتُ عمرٍو، وقيل: رَمْلةُ بنتُ شُميلةَ.

(**زَوجِي لا أَبُثُّ خبرَهُ...**) إلى آخره، **بثُّ الخبرِ**: نشرُه، وقد روي: «لا أَنُثُّ» بالنُّون[١]، وهو بمعنى البثِّ، إلَّا أنَّ أكثرَ استعمال النُّونِ في الشرِّ.

و(لا) في (**أنْ لا أَذَرَهُ**) زائدةٌ؛ لأنها تُزادُ بعدَ المصدريَّة، كما في قوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ [الأعراف: ١٢]؛ أي: أنْ تسجدَ، والضميرُ في (أَذَره) للخبر؛ أي: إني أخاف أنْ أتركَ الخبر؛ فإنَّه لطولِه وكثرتِه إنْ بدأتُ فيه لا أقدرُ على إتمامِه، ويؤيِّده ما روي: (ولا أبلغُ قدْرَه)[٢].

وقيل: الضميرُ للزَّوج؛ كأنَّها خشيتْ فراقَه إنْ ذكرَتْه وبلغَه، أو كأنَّها تقول: إنْ أخبرتُ بشيءٍ من عيوبِه ونقائصِه أفضى ذلك إلى ذكر شيءٍ أقبحَ منها، وقد عاهدتْ صواحبَها أنْ لا تكتمَ من صفاته شيئًا عنهنَّ، فسترَتْ عيوبَ زوجها لكثرتِها، وفيه نظرٌ؛ لأنَّه عينُ الكتمانِ.

و(**العُجَرُ**) واحدتُها: عُجْرةٌ، و(**البُجَرُ**) واحدتُها: بُجْرةٌ، والعُجرةُ: نفخةٌ في الظَّهرِ، فإذا كانت في السُّرَّة فهي بُجْرةٌ، ثمَّ نُقِلَ ذلك إلى الهمومِ والأحزانِ[٣]، ومنه قولُ عليٍّ رضي الله عنه يومَ الجمل: «إلى الله أشكو عُجَري وبُجَري»[٤]؛ أي: همومي وأحزاني.

---

(١) انظر: «بغية الرائد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد» للقاضي عياض (ص: ٦٤).

(٢) انظر: «بغية الرائد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد» للقاضي عياض (ص: ٦٥).

(٣) انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (١١/ ٤٤).

(٤) رواه الخطابي في «أعلام الحديث» (٣/ ١٩٨٩)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٥/ ١١٥). وانظر: «الفتنة ووقعة الجمل» لسيف بن عمر (ص ١٦٧).

وقال الهرويُّ: العُجَر والبُجَر: العيوبُ، وقيل: الأسرارُ[١]، فعلى قولِ الهرويِّ: إنْ ذكرْتُه ذكرتُ معايبَه وقبائحَه، وعلى القولِ الآخر: ذكرتُ أسرارَه.

قال الخطَّابيُّ: أرادَتْ عيوبَه الباطنةَ وأسرارَه الكامنةَ[٢].

وقال القاضي: وأرى ـ واللهُ أعلم ـ أنَّه كانَ مستورَ الظَّاهرِ رديءَ الباطنِ، فلم تُرِدْ هتْكَ ستره ولكنَّها لوَّحَتْ وما صرَّحَتْ[٣].

و(**قالتِ الثَّالثة**) وهي كبشَةُ بنتُ الأرقمِ، وقيل: حُبَّى بنتُ كعبٍ.

(**زَوجي العَشَنَّقُ**) أي: الطويلُ الخارجُ بطوله إلى الحدِّ المستكرَه؛ أي: ليسَ عندَه إلَّا طولٌ بلا نفع[٤]، وقيل: المرادُ به: الطويلُ النَّحيفُ الذي ليس أمرُه إلى امرأته وأمرُها إليه، وهو يحكمُ فيها بما يشاءُ وهي تخافُه[٥]، وقيل: المقدامُ الجريء[٦].

وقولها: (**إنْ أنطِقْ أُطَلَّق**) أي: إنْ ذكرتُ ما فيه من العيوبِ طلَّقني.

(**وإن أسكُتْ أُعلَّق**) أي: إنْ أَسكتْ جعلني معلَّقةً لا ذاتَ زوجٍ ولا مطلَّقةً؛ يعني: أنَّها لا تنتفعُ به منفعةَ البعولةِ، ولا أنَّها مطلَّقةٌ لتيأسَ منه.

و(**قالتِ الرَّابعةُ**) وهي نجيبةُ بنتُ ساعدةَ، وقيل: مَهْدَدُ بنتُ أبي هَزومَةَ.

---

(١) انظر: «الغريبين في القرآن والحديث» للهروي (٤/ ١٢٣١).

(٢) انظر: «أعلام الحديث شرح صحيح البخاري» للخطابي (٣/ ١٩٨٩).

(٣) انظر: «بغية الرائد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد» للقاضي عياض (ص: ١٤٣).

(٤) انظر: «غريب الحديث» لأبي عبيد (٢/ ٢٩١).

(٥) قاله أبو سعيد النيسابوري. انظر: «بغية الرائد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد» للقاضي عياض (ص: ١٤٤).

(٦) قاله ابن أبي أويس. انظر: «بغية الرائد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد» للقاضي عياض (ص: ١٤٥).

(زَوجِي كَلَيْلِ تِهامَةَ) تِهامةُ: اسمُ مكَّةَ شرَّفها الله[١]، وقيل: هي ما بين ذاتِ عِرقٍ إلى مرحلتين من وراءِ مكَّةَ[٢]، وقيل: هي كلُّ ما نزلَ عن نجدٍ من بلادِ الحجازِ، سمِّيتْ بذلك لتغيُّرِ هوائِها، يقال: «تَهِمَ الدُّهنُ»: إذا تغيَّر ريحُه[٣].

(لا حَرٌّ) أي: لا ذو حَرٍّ.

(ولا قُرٌّ) بضمِّ القافِ؛ أي: لا ذو قُرٍّ؛ أي: بردٍ[٤]، والمرادُ: أنه معتدلٌ، والحرُّ والبردُ كنايةٌ عن الأذى، تمدَحُ زوجَها بأنَّه ليسَ عندَه أذًى ولا مكروهٌ ولا غائلةٌ ولا شرٌّ، كاللَّيلِ في بلادِ الحجازِ؛ فإنَّه موصوفٌ فيها بالطِّيبِ والاعتدالِ، ليس فيه ما يؤذي.

و(السَّآمةُ) الكَلالُ؛ أي: لا يسأمُني فيملُّ صُحبَتي[٥].

وقولها: (لا حرَّ ولا قرَّ ولا مخافَةَ ولا سآمَةَ) الرِّوايةُ المشهورَةُ فتحُ ما بعدَ (لا)، وروى أبو عبيدٍ[٦] برفعِ ما بعدَها، وتنوينِه في المواضعِ كلِّها على الابتداءِ وإضمارِ الخبرِ، وهو كقوله تعالى: ﴿لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥٤][٧].

و(قالتِ الخامسَةُ) وهي حُبَّى بنتُ علقمَةَ، وفي بعضِ الرِّواياتِ: كبشَةُ.

(زَوجِي إنْ دخَلَ فَهِدَ) أي: نامَ وغفَلَ عن معايبِ البيتِ التي يلزَمُني إصلاحُها، فيكون كأنَّه ساهٍ، والنَّومُ مجازٌ عن الغفْلَةِ.

---

(١) انظر: «التوضيح لشرح الجامع الصحيح» لابن الملقن (١٧/ ١٤٥).

(٢) انظر: «المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث» لأبي موسى المديني (١/ ٢٥١).

(٣) انظر: «مشارق الأنوار على صحاح الآثار» للقاضي عياض (١/ ١٢٦).

(٤) انظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير (٤/ ٣٨).

(٥) انظر: «غريب الحديث» لأبي عبيد (٢/ ٢٩٢).

(٦) انظر: «غريب الحديث» لأبي عبيد (٢/ ٢٩٢).

(٧) انظر: «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» لأبي العباس القرطبي (٦/ ٣٣٦).

والفَهْدُ: حيوانٌ معروفٌ كثير النوم يُضرَبُ به المثَلُ فيه، يقال: أنومُ من الفهْدِ.

وقولها: (**وإنْ خرَجَ أسِدَ**) أي: إنْ خرجَ للحربِ أسِدَ؛ أي: فعَلَ فِعْلَ الأسدِ في الشَّجاعةِ.

(**ولا يسأَلُ عمَّا عهِدَ**) أي: عمَّا كانَ يعهدُه في البيتِ من الطَّعامِ والشَّرابِ، فيجوزُ أنْ يكونَ مقصودُها المدحَ بالكرمِ وحُسْنِ الخُلقِ والشَّجاعةِ، وأنْ يكونَ ذمًّا بالغَفْلةِ وكثْرةِ النومِ والبَطشِ بها، والضَّربِ لها، والمبادرةِ إلى جماعِها وُثوبَ الأسدِ على الشَّيءِ من غيرِ تأنٍّ.

و(فَهِدَ) و(أَسِدَ) فعلان ماضيان بُنِيا من الفَهدِ والأسَدِ.

و(**قالتِ السَّادسَةُ**) وهي عاتكةُ بنتُ دَوسٍ، وقيل: هي هندُ.

(**زَوجِي إنْ أكلَ لفَّ**) أي: أكثَرَ منه، وخلطَ من صنوفِ الطَّعامِ، واستقْصَاه حتَّى لا يُبْقيَ منه شيئًا[1].

(**وإن شرِبَ اشتَفَّ**) أي: فرَّغَ الإناءَ[2]، وهو عيبٌ عندَ العربِ.

(**وإنِ اضطجَعَ التفَّ**) أي: إذا نامَ تلفَّفَ في ثوبٍ ونامَ ناحيةً؛ يعني: معتزلًا[3].

(**ولا يُولِجُ الكفَّ ليعلَمَ البثَّ**) أي: الحُزْنَ، فيُحتملُ أنْ يكونَ معناه: ينامُ وحدَه معرِضًا عنِّي لا أرَبَ له فيَّ، فلا يولجُ الكفَّ بين ثَوبي وجلدِي ليعلمَ ما عندي من المحبَّة، فيكون إخبارًا عن قلَّةِ حظِّها عندَه.

---

(١) انظر: «أعلام الحديث شرح صحيح البخاري» للخطابي (٣/ ١٩٩٠).

(٢) انظر: «شرح النووي على مسلم» (١٥/ ٢١٤).

(٣) انظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير (٤/ ٢٦١).

ويحتملُ أنْ يكونَ ذمًّا له، فإنَّ هذه النَّومةَ نومةُ العجزانِ الكسلانِ، فكأنَّها تقول فيه: إنَّه أكولٌ شروبٌ نؤومٌ لا رغبةَ له في شيءٍ غيرِ ذلك.

قيل: ويحتملُ أنْ يكونَ معنى قولها: (ولا يُولجُ الكَفَّ) أنَّه كانَ بجسَدِها عيبٌ فكانَ لا يُدخلُ يدَه في ثوبِها كرهًا، وقيل: لا يمسُّ عورتَها؛ فإنَّ ذلك يشُقُّ عليها في بعضِ الأوقاتِ[١]، فعلى القيلِ الأوَّلِ: مدحٌ له بالإعراضِ والتَّغافلِ عن الاطِّلاعِ عمَّا بجسَدِها من العيبِ، وعلى الثاني: ذمٌّ، وكذلكَ على قولِ مَن يقولُ: معناه: أنَّه لا يتفقَّدُ مصالحَها، من قولهم: ما أدخلَ فلانٌ يدَه في هذا الأمرِ؛ أي: لم يتفقَّدْه.

و(**قالتِ السَّابعةُ: زَوجِي غيايَاءُ، أو: عَيَايَاءُ**) بالعينِ المهملةِ، وهو العنِّينُ[٢]، وبالمعجمةِ وهي كلُّ ما أظلَّك من سحابٍ وغيرِه[٣]. و(أو) للشَّكِّ، وقد وقعَ من بعض الرُّواةِ، وقد أنكرَ أبو عبيدةَ المعجمةَ[٤].

قال القاضي: وليسَ هذا الإنكارُ في موضِعِه؛ لأنَّ أكثرَ الرُّواةِ أثبتُوه من غيرِ شكٍّ فيه[٥].

ولـه وجـهٌ حسـنٌ، وهو أنْ تكـونَ مأخـوذةً مـن الغَيايةِ، وهو مـا ذكرْنـا أنَّه كلُّ مـا أظـلَّ الإنسـانَ فـوقَ رأسِـه، فكأنَّها تقـولُ عنـه: إنَّـه غُطِّيَ عليـه وسُـترتْ أمورُه ومصالحُه.

---

(١) انظر: «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» لأبي العباس القرطبي (٦/ ٣٣٨).

(٢) انظر: «الغريبين في القرآن والحديث» لأبي عبيد الهروي (٤/ ١٣٥٤).

(٣) انظر: «المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث» لأبي موسى المديني (٢/ ٥٩٠).

(٤) انظر: «غريب الحديث» لأبي عبيد (٢/ ٢٩٤).

(٥) انظر: «بغية الرائد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد» للقاضي عياض (ص: ١٨٢ ـ ١٨٣).

أو: من الغَيِّ، وهو الانهماكُ في الشرِّ، أو: من الغيِّ بمعنى: الخيبَةِ، قال الله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم: ٥٩]؛ أي: خيبةً[١].

وقولها: (**طَبَاقاءُ**) معناه: عَيَاياء، وهو الذي أمرُه مُطبَقٌ عليه؛ أي: مستورٌ[٢]، وقيل: هو ثقيلُ الصَّدرِ الذي ينطبقُ صدرُه على صدرِ المرأةِ عند الحاجةِ إليها، وهو من مذامِّ الرِّجالِ عندَ النساءِ[٣].

و(**الدَّاءُ**) المرضُ. ومعنى قولها: (**كلُّ داءٍ لهُ داءٌ**) أنَّ كلَّ ما يُعرفُ في الناسِ من الأدواءِ فهو مجتمِعٌ فيه.

و(**الشَّجُّ**) هو الجرحُ في الرأسِ خاصَّةً[٤].

و(**الفَلُّ**) الجرحُ في الأعضاءِ كلِّها، وقال ابنُ الأنباريِّ: هو الكسرُ، ومنه: «فَلَّ السيفُ فُلولًا»: إذا انثلَمَ[٥].

وقولها: (**أو جمَعَ كلاًّ لكِ**) أي: جمعَ لك الفَلَّ والكسرَ جميعًا؛ فإنَّه جمعَ الأدواءَ، فتارةً يضربُ رأسَها فيشُجُّه، ومرّةً يضربُ جسَدَها فيكسرُ منه شيئًا، أو أخرى يجمَعُ لها بينَ الأمرين.

و(**قالتِ الثَّامنةُ**) وهي عَمْرةُ بنتُ عَمرٍو، وقيل: عُجَيبةُ بنتُ دَوسٍ[٦].

---

(١) انظر: «بغية الرائد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد» للقاضي عياض (ص: ١٨٣).

(٢) انظر: «غريب الحديث» للخطابي (٢/ ٤٦٤).

(٣) انظر: «بغية الرائد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد» للقاضي عياض (ص: ١٨٤).

(٤) انظر: «إكمال المعلم بفوائد مسلم» للقاضي عياض (٨/ ٤٩١).

(٥) انظر: «التوضيح لشرح الجامع الصحيح» لابن الملقن (٢٤/ ٥٨٣).

(٦) لم أقف عليها.

(زَوجِي المسُّ مسُّ أرنَبٍ) المسُّ: مصدرُ مَسِسَتُ؛ بكسرِ السِّين والفتحِ، والأرنبُ: حيوانٌ معروفٌ ليِّنُ المسِّ.

والمعنى: مسُّه مسُّ أرنبٍ، تصفُه بلينِ الجانبِ للأهلِ، وحُسنِ الخُلُقِ والعِشْرَة.

و(الزَّرْنَبُ) نبْتٌ طيِّبُ الرائحةِ، وقيل: هو الزَّعفرانُ[١]، وزنه فَعْلَلٌ، أرادَتْ بذلك طيبَ ثنائهِ وآثارِه في الناسِ، أو: طيبَ جسَدِه وعطرَ أردافِهِ، أو: لينَ عريكَتِه وحُسْنَ خُلقِه واستعمالَهُ الطِّيْبَ، ويحتمِلُ أنَّه كان متَّصِفًا بالمجموعِ.

و(قالتِ التَّاسعةُ) وهي كبشَةُ بنتُ سَمُوقَةَ، وقيل: بنتُ الأرقَمِ.

(زَوجِي رَفِيعُ العِمَادِ) العِمَادُ: هو الخشبَةُ التي يُرفَعُ بها البيتُ[٢]، وصفَتْ بيتَه بالعلُوِّ؛ لأنَّ بيوتَ العُظَماءِ عاليةٌ، وكذلك بيوتُ الكُرماءِ؛ لتُرى فتُقصَدَ.

وقيل: وصفَتْه بالشَّرفِ في حسَبِه، والسُّؤددِ في نسبِه[٣].

وقولها: (طويلُ النِّجادِ) بكسرِ النُّون: أرادَتْ به طولَ القامَةِ؛ لأنَّ (النِّجادَ) حمائلُ السيفِ، والطويلُ يحتاجُ إلى طولِ حمائلِ سيفِه عادةً، وكانت العربُ تمدَحُ بطولِ القامَةِ وتذمُّ بالقِصَرِ[٤]، فـ(طويلُ النِّجادِ) كنايةٌ عن طولِ القامةِ.

وكثرةُ الرَّمادِ: كنايةٌ عن الجُودِ؛ فإنَّ الرجلَ إذا كانَ كثيرَ الرَّمادِ كانَ كثيرَ الإيقادِ لا محالةَ، وكثيرُ الإيقادِ كثيرُ الطَّبخِ، وكثيرُ الطَّبخِ كثيرُ الآكلينَ من الأضيافِ وغيرِها، فكانَ جَوادًا[٥].

---

(١) انظر: «الفائق في غريب الحديث» للزمخشري (٣/ ٥١).

(٢) انظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير (٣/ ٢٩٦).

(٣) انظر: «بغية الرائد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد» للقاضي عياض (ص: ١٩١).

(٤) انظر: «غريب الحديث» لأبي عبيد (٢/ ٢٩٧).

(٥) انظر: «الكافي شرح أصول البزدوي» للحسام السغناقي (١/ ٢٥٨).

وقولها: (قَرِيبُ البيتِ منَ النَّادِ) وصفٌ له بالكرمِ والسُّؤددِ؛ لأنَّه لا يقرُبُ بيتُه من النَّادِي - وهو مجلسُ القومِ - إلَّا مَنْ كانَ موصوفًا بهذه الصِّفةِ؛ ليسهُلَ للأضيافِ الإتيانُ في دارِه؛ إذ الأضيافُ يقصِدونَ مجتمعَ الحيِّ؛ ليقومَ بهم كرماؤهم، واللِّئامُ يُبعدونَ بيوتَهُم ويُخفُونها؛ فرارًا من القاصدِ، وملاذًا من الطَّارقِ.

وفي الروايةِ (النَّادِ) بلا ياءٍ، مِن قبيلِ: ﴿ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ﴾ [الرعد: ٩].

و(قالتِ العاشرَةُ) وهي كبشةُ بنتُ الأرقم، أو حُبَّى بنتُ كعبٍ(١).

(زَوجي مالِكٌ وما مالِكٌ؟) تريدُ به تفخِيمَ شأنِه وتعظيمَه، قال الله تعالى: ﴿ٱلْحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾ [الحاقة: ١ - ٢].

وقولها: (مالِكٌ خيرٌ مِن ذلكَ) زيادةٌ في التَّعظيمِ، وإشارةٌ إلى ما فخَّمَتْ به أمرَه(٢).

وقولها: (له إبلٌ كثيراتُ المبارِكِ قليلَاتُ المسَارِحِ) معناه: أنَّه لا يُسْرِحُها إلَّا قليلًا مخافةَ أنْ يطرقَه الأضيافُ وهي بعيدةٌ عنه، فيتركُها باركةً بفِنائه، إذا نزلَ به ضيفٌ يُقْرِيه من ألبانِها ولحومِها.

وقال ابنُ السِّكِّيتِ: معناه: أنَّها كثيرةٌ في حالِ بروكِها؛ لكثرةِ مَن ينتابُها من

---

(١) تقدم هذا القول في الزوجة الثالثة.

(٢) في هامش (ص): «وتفسير قوله: (ما مالك) أي: أي شيء هو ما أعظمه وأجله وأكرمه، و(مالك) خبر المبتدأ، و(ما) في موضع رفع بالابتداء، و(مالك) الثاني خبره، والثالث مبتدأ ثالث، وما بعده خبره. وقوله: (من ذلك) أي: مما أشير إليه من ثناء وطيب ذكرٍ، أو فوق ما أعتقده فيه من سؤدد وفخر، وأن قدره يربو على كل قدر. وكنَّتْ بذلك إذ كان كالحاضر من قولها أو عقدها، ويحتمل أن تعني بـ(خير من ذلك) المُثْنَى عليه قبلُ، وأنَّه جمع منه لخصالِ السيادةِ والفضل».

الضِّيفانِ والمعتَقِين، وإذا سُرِّحتْ كانت قليلةً؛ لأنَّه لا أحدَ منهم فيها يُكثِرُ سوادَها[١].

و(المِزْهَرُ) بكسرِ الميمِ وفتحِ الهاء: عودُ الغناءِ[٢]؛ أي: إذا سمعْنَ أصواتَ المزاميرِ أيقَنَّ أنَّهنَّ يُنحَرْنَ للأضيافِ. وقيل: إنه المُزهِرُ - بضمِّ الميم وكسرِ الهاء - من «أزهرَ النارَ»: إذا أوقَدَها للأضيافِ[٣].

وقيل: هذا ليس بمرويٍّ[٤].

وإنَّما (أيقَنَّ أنَّهنَّ هوالِكُ)؛ لأنَّه كانت عادتُه أنَّه يتلقَّى الأضيافَ بالمِزهَرِ، ويُعقِبُ ذلك بنحرِ الإبلِ.

و(قالتِ الحاديةُ عشْرةَ) وهي أمُّ زرعٍ بنتُ أُكَيْملِ بنِ ساعدَةَ، واسمها: جميلةُ.

(أبو زرعٍ فما أبو زرعٍ؟) (ما) ههنا للتَّفخيمِ والتَّعظيمِ، كما في قول العاشرةِ.

وقولها: (أناسَ مِن حُليٍّ أُذنيَّ) حرَّكَها بالقِرطَةِ[٥]، يُقال: «ناسَ الشيءُ ينوسُ»: إذا تحرَّك، وأناسَه غيرُه، والنَّوسُ: حركةُ كلِّ شيءٍ متدلٍّ وسائلٍ[٦]. وقيل: أناسَ؛ أي: أثقلَ[٧].

---

(١) انظر: «إكمال المعلم بفوائد مسلم» للقاضي عياض (٧/ ٤٦٢).

(٢) انظر: «تثقيف اللسان وتلقيح الجنان» لابن مكي (ص: ١٨٣).

(٣) انظر: «إكمال المعلم بفوائد مسلم» للقاضي عياض (٧/ ٤٦٢).

(٤) انظر: «إكمال المعلم بفوائد مسلم» للقاضي عياض (٧/ ٤٦٣).

(٥) القرْطُ: الذي يعلَّق في شحمة الأذن، والجمع: قِرَطَةٌ وقِراطٌ أيضًا، مثل رمح ورماح. انظر: «الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية» للجوهري (٣/ ١١٥١).

(٦) انظر: «بغية الرائد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد» للقاضي عياض (ص: ٢١٩).

(٧) انظر: «بغية الرائد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد» للقاضي عياض (ص: ٢١٩).

والحَلْيُ - بفتح الحاءِ وسكون اللامِ -: ما تَتَحلَّى به المرأةُ، وجمعه: **حُليٌّ** بضمِّ الحاءِ وكسرِها، وتشديدِ الياء فيهما.

وقولها: (**وملأَ من شَحْمٍ عضُدَيَّ**) سمَّنني بكثرَةِ الطعامِ ونعمتِه وإحسانهِ إليَّ، ولم تُرِدِ العضدَ خاصَّةً، بل أرادَتِ الجسدَ كلَّه، وإنَّما ذكرَتِ العضُدَ؛ لأنَّه أقربُ ما يلي نظرَ الإنسانِ من الجسدِ.

(**وبجَّحَني**) بتشديدِ الجيم (**فبَجِحَتْ**) بفتح الموحَّدة وكسرِ الجيم مخفَّفة؛ أي: فرَّحني ففرحَتْ إليَّ نَفسِي[1].

و(**غُنيمَةٍ**) تصغيرُ غنمٍ لحقارَتها.

وقولها: (**بِشِقٍّ**) رواهُ أهلُ الحديثِ: بكسر الشِّين المعجمةِ، ومعناه: الجُهدُ والمشقَّة، وأصلُه من الشِّقِّ؛ نصفِ الشيءِ، كأنَّه قد ذهبَ نصفُ أنفسِهم حتى بلغُوه.

وقال أبو عُبيد: هو بالفتح، وهو اسمُ موضعٍ بعينِه[2]. وقيل: أرادَتْ بذلك قلَّتَهم وقلَّةَ غنمِهم.

والصَّهيلُ: صوتُ الخيلِ[3].

والأَطِيْطُ: صوتُ الإبلِ، وصوتُ أعواد الإبلِ والمحاملِ والرِّحالِ[4].

والدَّائِسُ: الذي يدوسُ الطعامَ بالفدَّانِ[5]..............................

(١) انظر: «العين» للخليل الفراهيدي (٣/ ٨٦).

(٢) انظر: «غريب الحديث» لأبي عبيد (٢/ ٣٠١).

(٣) انظر: «العين» للخليل بن أحمد الفراهيدي (٣/ ٤١٣).

(٤) انظر: «لسان العرب» لابن منظور (٧/ ٢٥٦).

(٥) الفدان: الثور، وقال أبو حنيفة: الثوران اللذان يقرنان فيحرث عليهما. انظر: «المحكم والمحيط الأعظم» لابن سيده (٩/ ٣٥١).

لِيُخْرِجَ الحبَّ من السُّنبلِ[١]، وقيل: هو البيدرُ[٢]، تريد أنَّهم أصحابُ محاملَ ورفاهةٍ وزرعٍ؛ لأنَّ المحاملَ لا تكونُ إلَّا لأهلِ السَّعةِ والغنى.

(ومُنَقٍّ) بضمِّ الميم وفتحِ النُّون وكسرها وتشديدِ القاف، قيل: إذا فُتِح النُّونُ فمعناه: الذي يُنَقِّي الطعامَ يخرجُه من قشرِه وتبْنِه، وإذا كُسِرَتْ فمعناه: مالٌ ذو نقيقٍ، وهو صوتُ المواشِي والأنعامِ؛ تصفُه بكثرةِ الأموالِ، والفتحُ أنسبُ؛ لأنَّه ذكَرَه عقيبَ الدائسِ؛ فإنَّهما مختصَّان بالطَّعامِ.

وقال أبو عُبيد: أحسِبُه بالفتحِ: الغِربال الذي يُنقَّى به الطعامُ[٣].

وقولها: (فعندَهُ أقولُ فلا أُقبَّحُ) أي: لا يردُّ عليَّ قولي، فيكون تقبيحًا لأمرِي، تريد: أنَّها مكرومةٌ معزوزةٌ مقبولةُ القولِ.

(وأرقُدُ فأتصَبَّحُ) أي: أنامُ في أوَّلِ النَّهار لا أُعاني الخدمةَ، بل أنا مخدومةٌ مرفَّهَةٌ، آخُذُ حظًّا وافرًا من الرُّقادِ.

وقال ابنُ دريدٍ: القُنْحَةُ: التيهُ والتَّكبُّرُ[٤]، فيكونُ معنى: (أتقَنَّحُ) أتوهُ وأتكبَّرُ، وقيل: يجوزُ أنْ يكونَ كنايةً عن سِمَنِ جسْمِها واتِّساعِه، يقال: «بابٌ قُنُحٌ»: إذا كان واسعًا[٥].

---

(١) انظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير (٢/ ١٤٠).

(٢) انظر: «درة الضرع لحديث أم زرع» للرافعي (ص: ٥٥).

(٣) انظر: «بغية الرائد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد» للقاضي عياض (ص: ٢٣٢).

(٤) في «جمهرة اللغة» لابن دريد: «الفتحة» بدلاً من «القنحة». انظر: «جمهرة اللغة» لابن دريد (١/ ٣٨٦).

(٥) انظر: «بغية الرائد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد» للقاضي عياض (ص: ٢٣٧).

ومعنى: **(فأتقَمَّحُ)** أَرْوى، مأخوذًا من قولهم: «**بعيرٌ قامِحٌ**»: إذا كانَ رافعًا رأسَه من الحوضِ تاركًا الشُّربَ لرِيِّه، وقيل: هو الرِّيُّ بعد الرِّيِّ(١).

قال أبو عبيدٍ: لا أُراها قالت هذا إلَّا من عِزَّةِ الماء عندَهم(٢)، **ومَن قالَ بالنونِ** فمعناهُ: أقطَعُ الشَّرابَ إذا تكارَهْتُ الشُّربَ. وقال يعقوبُ: أرادَتْ أنَّه لا يقطَعُ شُرْبي لمودَّتِه ورفقِهِ فأشرَبُ كما أُريدُ(٣).

وقولها: **(عُكُومُها رداحٌ) العُكومُ**: الأحمالُ والغرائرُ التي تكونُ فيها الأمتعَةُ، واحدُها: عِكمٌ؛ بالكسر(٤).

والرَّداحُ ـ بفتح الرَّاء ـ: العظامُ الممتلئة، وقيل: الثَّقيلُ، جمعه: رُدُحٌ(٥). والتقدير: عُكُومُها ذواتُ رَداحٍ؛ لأنَّ العُكومَ جمعٌ، والرَّداحُ مفردٌ، ولا يجوز أنْ يُخبَرَ عن الجمعِ بالمفردِ إلَّا بتأويلٍ.

والبيتُ الفَسَاحُ: هو الفَسِيحُ ـ بفتحِ الفاء مخفَّفًا ـ وهو المتَّسعُ(٦)، أرادَتْ سَعةَ المنزلِ؛ وذلك دليلٌ على الثَّروةِ وكَثرةِ النِّعمةِ، أو أرادَتْ سَعةَ ذاتِ اليدِ، من بابِ ذكرِ المحلِّ وإرادةِ الحالِّ.

وقولها: **(مضجَعُهُ كمَسَلِّ شَطْبَةٍ) المضجَعُ**: مكانُ الاضطجاعِ، **والمَسَلُّ** ـ بفتحِ

---

(١) انظر: «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» لأبي العباس القرطبي (٦/ ٣٤٤).

(٢) انظر: «غريب الحديث» لأبي عبيد (٢/ ٣٠٣).

(٣) انظر: «بغية الرائد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد» للقاضي عياض (ص: ٢٣٦).

(٤) انظر: «غريب الحديث» لأبي عبيد (٢/ ٣٠٤).

(٥) انظر: «بغية الرائد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد» للقاضي عياض (ص: ٢٤٦).

(٦) انظر: «الغريبين في القرآن والحديث» لأبي عبيد (٥/ ١٤٤٧).

الميمِ والسِّين المهملةِ وتشديدِ اللامِ ـ: مصدر بمعنى السَّلِّ[١]، أُقيمَ مقامَ المفعولِ؛ أي: كمسلولٍ.

الشَّطْبَةُ ـ بشينٍ معجمةٍ وطاء مهملةٍ ساكنة ثمَّ موحَّدةٍ ثمَّ هاءٍ ـ: وهي ما شُطِبَ من جريدِ النَّخلِ؛ أي: شُقَّ، وهي السَّعَفَةُ؛ لأنَّ الجريدةَ يُشَقُّ منها قضبانٌ رقاقٌ[٢].

والمرادُ: أنَّه مُهَفْهَفٌ قليلُ اللَّحمِ دقيقُ الخصرِ، موضعُ نومِه دقيقٌ لنحافَتِه، وهو ممَّا يُمدَحُ به الرجلُ.

وقيل: أرادَتْ أنَّه كالسيفِ المسلولِ من غمدِه في رقَّتِه[٣] ونظافتِه[٤] واستوائه ليس له فُجْلةٌ[٥].

وقولها: **(وتُشْبِعُهُ ذِراعُ الجَفْرَةِ)** الذِّراعُ مؤنَّثةٌ، وقد تُذكَّرُ[٦].

و**(الجَفْرةُ)** بفتح الجيمِ: الأنثى من أولادِ المعزِ، وقيل: من الضَّأنِ، والذَّكَرُ: جَفْرٌ؛ لأنَّه جَفَر جَنْبَاه؛ أي: عَظُما واتَّسعا[٧]، تَصِفُه بقلَّةِ الأكلِ، وهو مدحٌ عندَ العربِ.

وقولها: **(طَوْعُ أَبيها وطَوْعُ أَمِّها)** أي: ذاتُ طَوْعِ أبيها، وذاتُ طَوْعِ أمِّها؛ أي: لا تُخالِفُهما فيما يأمرانِها به لعقْلِها وحيائها.

---

(١) انظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير (٢/ ٣٩٢).

(٢) انظر: «فتح الباري بشرح البخاري» لابن حجر (٩/ ٢٧٠).

(٣) في (ك): «في رقة جسمه».

(٤) في (ن): «ولطافته».

(٥) انظر: «فتح الباري بشرح البخاري» لابن حجر (٩/ ٢٧٠)، و«المحكم والمحيط الأعظم» لابن سيده (٧/ ٤٣١).

(٦) انظر: «المذكر والمؤنث» لابن الأنباري (١/ ٤٠٩).

(٧) انظر: «شرح النووي على مسلم» (١٥/ ٢١٩).

ومعنى: **(ملءُ كِسائها)** أَنَّها ممتلئةُ الجسْمِ سِمَنًا، فإذا تغطَّتْ بكِسائها ملأَتْه، وهذا ممَّا يُمتدَحُ به النساءُ.

وقولها: **(وغَيْظُ جارَتِها)** أي: تغيظُ ضَرَّتَها بحُسْنِها وجمالِها وخصالِها الحميدَةِ، وسُمِّيت كلُّ واحدةٍ جارةً؛ لمجاورةِ إحداهما الأُخرى، وسُمِّيتْ ضَرَّةً؛ لما في اشتراكِهما من الضَّرَرِ.

وقولها: **(لا تبُثُّ حديثَنا تبثِيثًا)** أي: لا تُشيعُه ولا تُنِمُّه، بل تكتُمُ حديثَنا كلَّه.

والنَّقْثُ: النَّقْلُ[١].

والمِيرَةُ: ما يمتارُه البدويُّ إلى الحضَريِّ[٢]؛ أي: أَنَّها أمينَةٌ على حفْظِ طعامِنا، لا تنقُلُه ولا تُفَرِّقُه.

وقيل: معناه: أَنَّها لا تُفْسِدُه وتفرِّقُه.

وقولها: **(ولا تملأُ بيتنَا تَعْشِيشًا)** أكثرُ الرِّواياتِ بالعينِ المهملةِ؛ أي: أَنَّها مُصْلِحةٌ للبيتِ مهتمَّةٌ[٣] بتنظِيفِه وإلقاءِ كُناسَتِه، فلا تتركُها مجتمِعَةً كأعشَاشِ الطائرِ في قذَرِه[٤].

وقيل: معناه: لا تخونُنا في طعامِنا فتخبِّئ في هذه الزاويةِ شيئًا، وفي هذه الزاويةِ شيئًا، كالطيورِ إذا عشَّشَتْ[٥].

---

(١) انظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير (٥/ ١٠٣).

(٢) انظر: «بغية الرائد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد» للقاضي عياض (ص: ٢٧٤).

(٣) في (ص): «مهتبلة»، وفي الهامش: «الاهتبال: الاغتنام».

(٤) انظر: «بغية الرائد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد» للقاضي عياض (ص: ٢٧٤).

(٥) انظر: «الغريبين في القرآن والحديث» لأبي عبيد (٤/ ١٢٧٨).

وروي بالغينِ المعجمَةِ(١)؛ من الغشِّ.

و(**الأوطابُ**) جمع وَطَبٍ، بفتح الطَّاء، وقيل: بفتحِ الواو وسكونِ الطاءِ، وهي أسقيةُ اللَّبنِ خاصَّةً(٢).

و(**تُمْخَضُ**) أي: تُعالجُ لأخذِ زُبدِها، يقال: مخضْتُ اللَّبنَ أمخُضُه؛ بالحرَكاتِ الثَّلاثِ(٣).

وقولها: (**فلَقِيَ امرأةً معَها ولَدانِ لهَا كالفَهدَينِ**) وصفَتْ ولدَيْها بالفَهْدَين؛ لاكتنازِ أجسامِهما، وذكْرُ ولدَيها لأجلِ أنَّ ذلكِ أحدُ أسبابِ تزويجِ أبي زَرْعٍ بها؛ لأنَّ العربَ ترغَبُ في الأولادِ، وتَحْرِصُ على النَّسلِ والكثْرَةِ، وتستعدُّ لذلك النساءُ المنجِباتُ.

وقولها: (**يلعَبانِ مِن تحْتِ خَصْرِها برُمَّانَتَين**) أي: أنَّها عظيمَةُ الكَفَلِ، إذا استلقَتْ بَقِي تحتَ خَصْرِها فجوةٌ يجرِي فيها الرُّمانُ، قاله أبو عُبيد(٤)، ويؤيِّدُه ما روي: «يُرمَى من تحتِ خَصْرِها برُمَّانَتَين»(٥).

ومعناه: أنَّ ولدَيْها كانَ معَهُما رُمَّانتانِ، فكانَ أحدُهما يَرمي الرُّمانةَ إلى أخيهِ، وأخوهُ يرمي إليه رمَّانته من تحتِ خَصْرِها.

وقيل: المرادُ بالرُّمَّانَتَين: الثَّديان؛ لما رُوِيَ: «مِن تحتِ صَدرِها»، ولأنَّ العادةَ لم تجرِ برمِي الصِّبيانِ الرُّمَّانَ تحت أصلَابِ أمَّهاتِهم، ولا باستلقائِهنَّ حتَّى يُشاهَدَ

---

(١) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (٩٠٩٠) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) انظر: «مشارق الأنوار على صحاح الآثار» للقاضي عياض (٢/ ٢٨٥).

(٣) أي: للخاء، انظر: «الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية» للجوهري (٣/ ١١٠٥).

(٤) انظر: «غريب الحديث» لأبي عبيد (٢/ ٣٠٨).

(٥) انظر: «بغية الرائد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد» للقاضي عياض (ص: ٢٨٦).

ذلك منهُنَّ الرِّجالُ[١]، وفيه نظرٌ؛ لأنَّه إذا كانَ على خلافِ العادَةِ كانَ أغربَ، فكانَ أشدَّ مُناسَبةً لمرادِها.

وقولها: (**فنكَحْتُ بعدَهُ رَجُلًا سَرِيًّا**) بالسِّين المهملةِ؛ يعني: سيِّدًا شَرِيفًا، ذو السَّرِو، والسَّرو: سخاءٌ في مرُوءةٍ، وجمعُه: سَرَاةٌ، وجمعُ فَعِيلٍ على فَعَلَةٍ نادرٌ[٢].

والشَّريُّ: الفرسُ الحادُّ[٣]، ومعنى: (**ركِبَ شَرِيًّا**) أي: خيارًا فائقًا.

(**وأخذَ خَطِّيًّا**) بفتح الخاءِ المعجمةِ؛ أي: رُمحًا منسُوبًا إلى الخطِّ، وهو موضعٌ بناحيَةِ البحرين تُجلَبُ إليه الرِّماحُ من الهندِ، ثمَّ تُفرَّقُ منه إلى بلادِ العربِ[٤].

ويقال: «أراحَ إبله»؛ أي: ردَّها إلى المُراحِ، ولا يكونُ إلَّا بعدَ الزَّوالِ. **والمُراحُ** ـ بالضمِّ ـ: مأوى الإبلِ ليلًا. ومعنى (**وأراحَ عليَّ نَعَمًا**): أعطاني؛ لأنَّها كانت هي مُراحًا لنعَمِه[٥].

والنَّعَم: بفتحِ النونِ في أكثرِ الرُّواة، والمرادُ: الإبلُ الكثيرةُ؛ إذ النَّعمُ هو الإبلُ خاصَّةً، وقيل: النَّعمُ كالأنعامِ يُطلَقُ على الإبلِ وغيرِها. ورُوي: بكسر النون، جمعُ نِعْمَةٍ، والأوَّلُ أشهرُ[٦].

والثَرِيُّ: الكثيرُ من كلِّ شيءٍ، يُقال: «أثرَى الرجلُ»: إذا كثُرَ مالُه[٧].

---

(١) انظر: «إكمال المعلم بفوائد مسلم» للقاضي عياض (٧/ ٤٦٨).

(٢) انظر: «المحيط في اللغة» للصاحب بن عباد (٨/ ٣٦٧).

(٣) انظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير (٢/ ٤٦٩).

(٤) انظر: «مشارق الأنوار على صحاح الآثار» للقاضي عياض (١/ ٢٣٥).

(٥) انظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير (٢/ ٢٧٣).

(٦) انظر: «مطالع الأنوار على صحاح الآثار» لابن قرقول (٤/ ١٨٠).

(٧) انظر: «بغية الرائد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد» للقاضي عياض (ص: ٢٩٣).

وقوله: (مِن كلِّ رائحَةٍ زوجًا) أي: من كلِّ ماشيةٍ اثنتَينِ، وقيل: (زوجًا) معناهُ: صِنْفًا[١].

والرائحةُ: أصلُها الآتيةُ وقتَ الرَّواحِ، ووقعَ في أكثرِ النُّسخِ: «من كلِّ ذابحةٍ»[٢] بالذَّال المعجمةِ والباء الموحَّدة؛ أي: من كلِّ ما يجوز ذبحُه من الإبلِ والبقرِ والغنمِ وغيرِها، فاعلةٌ بمعنى: مفعولةٍ.

وقوله: (ومِيرِي أهلَكِ) أي: تفضَّلي عليهم وصِليهِم[٣]، من الميرَةِ، وهي الطعامُ، مبالغةً في إكرامِها وبالاحتفالِ بها، ومعَ ذلك فكانت أحوالُه كلُّها عندها محتَقَرَةً بالنسبَةِ إلى أبي زَرْعٍ، ولذلك قالت: (**فلو جمعْتُ كلَّ شيءٍ أعطَانيهِ ما بلَغَ أصغرَ آنيةِ أَبِي زَرعٍ**) وذلك لأنَّ أبا زرعٍ كانَ الحبيبَ الأوَّل، كما قال الشاعرُ[٤]:

نقِّلْ فؤادَكَ حيثُ شئتَ مِن الهوَى ... ما الحُبُّ إلَّا للحَبِيبِ الأوَّلِ

فالقليلُ منه كانت تراه كثيرًا.

وقوله عليه السَّلام: (**كنتُ لكِ كأبِي زرعٍ لأمِّ زرعٍ**) يعني: في قضاءِ اللهِ وسابقِ علمِه.

والظاهرُ أنَّ «كان» للدَّوامِ والاستمرارِ؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٩٦].

ثمَّ في الحديثِ من الفوائدِ ما فيه كثرةٌ نذكرُ بعضَها:

---

(١) انظر: «شرح النووي على مسلم» (١٥/ ٢٢١).

(٢) وهي رواية مسلم (٢٤٤٨).

(٣) انظر: «إكمال المعلم بفوائد مسلم» للقاضي عياض (٧/ ٤٧٠).

(٤) لأبي تمام. انظر: «ديوانه» (ص: ٤٥٧).

منها: أنَّ الحكايةَ عن الجاهليَّة في المحامدِ والمذامِّ لا بأسَ بها لفائدةٍ.

ومنها: محادثةُ الأهلِ والمباسطَةُ معهنَّ فيما لا منعَ فيه.

ومنها: أنَّ أنكِحَةَ الكفَّارِ صحيحَةٌ فيما بينهم؛ لأنَّه أطلقَ الأزواجَ، ولا يكونُ الزوجُ إلَّا بالزَّوجيَّةِ.

ومنها: أنَّ حُسْنَ المعاشرَةِ مع الأهلِ من الخصالِ الممدوحةِ؛ حيث اختارَ ذلك عليه السَّلام من جملةِ ما ذكرَتْهُ في تمثيلِ حالهِ بحالِ أبي زرعٍ في حُسنِ معاشرَتِه مع عائشةَ رضي الله عنها، لا في كثرةِ المالِ وسَعتِه.

ومنها: أنَّ مكارمَ الأخلاقِ محمودةٌ في الأديانِ؛ حيث ذكرْنَ مكارمَ أزواجِهنَّ على وجْهِ المدْحِ.

ومنها: أنَّ ذِكرَ عيوبِ مَن ليس بمعيَّنٍ ليسَ بغيبَةٍ.

ومنها: جوازُ ذِكرِ محاسنِ النساءِ للرِّجالِ، والرجالِ للنساءِ إذا كانوا مجهولين، بخلافِ المعيَّنِ؛ فإنَّ ذلك منهيٌّ عنه، قال ﷺ: «لا تصِفُ المرأةُ المرأةَ لزوجِها كأنَّه ينظرُ إليها»(١).

١٧٧٢ـ(ق): أبو موسى رضي الله عنه: «لسْتُ أنا حملتُكُم، ولكنَّ اللهَ حملَكُم».

[خ: ٢٩٦٤] [م: ١٦٤٩]

قالَهُ لنفرٍ مِن الأشعَريِّين.

*قالَ: أتيتُ رسولَ اللهِ ﷺ في رهطٍ من الأشعريِّين نستحمِلُه، فقال: «**واللهِ**

(١) رواه البخاري (٥٢٤٠) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

لا أحمِلُكم، ولا عندي ما أحمِلُكم عليه»، فلبثنا ما شاءَ اللهُ، ثمَّ أُتيَ بإبلٍ، فأمر لنا بثلاثِ ذَوْدٍ غُرِّ الذُّرى، فلمَّا انطلقْنا قلنا، أو قال بعضُنا لبعضٍ: لا يباركُ اللهُ لنا، أتينا رسولَ الله ﷺ نستَحْمِلُه، فحلفَ أنْ لا يحملَنا، ثمَّ حملَنا، فأتوه فأخبروه، فقال: **«لسْتُ أنا حملتُكم، ولكنَّ اللهَ حملَكُم، وإنِّي واللهِ - إن شاءَ اللهُ - لا أحلفُ على يمينٍ، ثمَّ أرى خيرًا منها، إلَّا كفَّرتُ عن[1] يميني، وأتيتُ الذي هو خيرٌ»**.

قولُه: (**غُرِّ الذُّرَى**) هو بضمِّ الذَّال المعجمةِ وفتح الرَّاء المخففة: جمع ذُرْوة: بكسرِ الذَّالِ وضمِّها، وذُروةُ كلِّ شيءٍ: أعلاه[2]، والمرادُ ههنا: الأسنمةُ.

والغُرُّ: البيضُ، معناه: أمرَ لنا بإبلٍ بيضِ الأسنمَةِ[3].

فإن قيل: قد جاءَ في بعضِ الرِّواياتِ: «بخمسِ ذَودٍ»[4]، ولفظةُ (ثلاث) خاصٌّ وُضِعَ لمعنًى معلومٍ على الانفرادِ لا يحتملُ الزِّيادةَ والنُّقصانَ، وكذلك لفظةُ (خمسٍ).

فالجواب: أنَّه يجوزُ أن يكونَ ﷺ دفعَ لهم ثلاثًا، ثمَّ دفعَ في ذلك المجلسِ اثنين آخرين، فالرِّوايةُ الأولى عن الدَّفعةِ الأولى، والثَّانيةُ عن الثَّانيةِ والأولى.

وقوله: (**لستُ أنا حملتُكُم، ولكنَّ اللهَ حملَكُم**) استدلَّ به المُجبِرةُ، وليس بصحيحٍ؛ لأنَّه قال: (**واللهِ لا أحملُكم، ولا عندِي ما أحملُكم عليهِ**)، وهو بارٌّ فيهما جميعًا، أمَّا الأوَّل؛ فلأنَّ الفعلَ المضارعَ للحالِ، ولم يحملْهُم في ذلك الحالِ، وأمَّا الثاني؛ فلأنَّه لم يكنْ عندَه في ذلك الوقتِ ما يحملُهم عليه، ولكنَّ اللهَ بعثَ، فقال: (ولكنَّ اللهَ حملَكم)؛ أي: بإعطاءِ تلك الإبلِ، وأمَّا قولُه: (**وإنِّي واللهِ...**) إلى آخرِه،

(١) «عن»: ليست في (ك) و(ب).

(٢) انظر: «جمهرة اللغة» لابن دريد (٢/ ٦٩٥).

(٣) انظر: «شرح النووي على مسلم» (١١/ ١٠٩).

(٤) وهي رواية البخاري (٣١٣٣) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

قد تقدَّم الكلامُ عليه في البابِ الأوَّلِ في قولِه عليه السَّلام: (**مَنْ حلَفَ على يمينٍ فرأى غيرَها خيرًا منها...**).

١٧٧٣ـ (ق): ابنُ عُمرَ رضي الله عنهما: «لستُ بآكِلِه، ولا مُحَرِّمِه». [خ: ٥٢١٦] [م: ١٩٤٣]

يعني: الضَّبَّ.

* قال: سُئلَ رسولُ الله ﷺ عن الضَّبِّ، فقالَ... الحديثَ.

فذهبَ أبو حنيفةَ رحمه الله إلى كراهتِه استقذارًا[١]، وكرهه قومٌ مخافةَ أن يكونَ ممَّا مُسِخَ، وأحلَّه الشَّافعي[٢]، وقال القرطبيُّ[٣]: حكى ابنُ المنذرِ عن عليٍّ رضي الله عنه النَّهيَ عن أكلِه[٤].

١٧٧٤ـ (م): أنسٌ رضي الله عنه: «مررْتُ على موسى ليلةَ أُسريَ بي عندَ الكَثِيبِ الأحمَرِ، وهو قائمٌ يُصَلِّي في قبرِهِ». [م: ٢٣٧٥]

* وقد تقدَّمَ الكلامُ عليه في الباب السَّادسِ في قولِه عليه السَّلام[٥]: «لقد رأيتني في الحِجْرِ».

---

(١) انظر: «التجريد» للقدوري (١٢/ ٦٣٧٢).

(٢) انظر: «الحاوي الكبير» للماوردي (١٥/ ١٣٨).

(٣) انظر: «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» لأبي العباس القرطبي (٥/ ٢٣٠).

(٤) ورواه محمد بن الحسن في «الموطأ» (٦٤٨).

(٥) تقدم برقم: (١٢٣٨).

١٧٧٥- (م): بُريدةُ بنُ الحُصَيبِ رضي الله عنه: «نهيتُكُم عن زيارةِ القبورِ، فزوروها، ونهيتُكُم عن لُحومِ الأضاحي فوقَ ثلاثٍ، فأمسِكوا ما بَدا لكُم، ونهيتُكُم عن النَّبيذِ إلَّا في سِقاءٍ، فاشرَبوا في الأسقيَةِ كلِّها، ولا تشرَبوا مُسكِرًا». [م: ٩٧٧]

* وقد تقدَّمَ الكلامُ عليه أيضًا في البابِ الثَّاني في قوله[١]: «إنَّ فيكَ لخصلتَين»، وبعضُه في[٢] الثالث في قوله[٣]: «لا يأكلُ أحدُكم مِن أضحيتِهِ»، وبعضُه في هذا البابِ قريبًا.

١٧٧٦- (م): أبو هُريرةَ رضي الله عنه: «ودِدْتُ أنَّا قد رأينا إخوانَنا، قالوا: يا رسولَ اللهِ؛ ألسنا إخوانَكَ؟ قال: أنتُم أصحَابِي، وإخوانُنا الَّذين لم يأتوا بعدُ، فقالوا: كيفَ تعرِفُ مَن لم يأتِ بعدُ مِن أمَّتكَ يا رسولَ اللهِ؟ فقال: أرأيتَ لو أنَّ رجلًا لهُ خيلٌ غُرٌّ محجَّلةٌ بينَ ظهرَي خيلٍ دُهمٍ بُهمٍ، ألا يعرفُ خيلَهُ؟ قالوا: بلَى يا رسولَ اللهِ، قالَ: فإنَّهُم يأتونَ غُرًّا محجَّلِين مِن الوضُوءِ، وأنا فَرَطُهم على الحَوضِ». [م: ٢٤٩]

* قال: أتى رسولُ الله ﷺ المقبرَةَ فقالَ: «السَّلام عليكُم دارَ قَومٍ مُؤمِنين، وإنَّا إنْ شاءَ اللهُ بكُم لاحقُونَ، وددْتُ أنَّا قد رَأَينا...» إلى آخره.

قيل: (دارَ قَومٍ) منصُوبٌ على الاختصَاصِ، وقيلَ: لأنَّه منادًى مضافٌ، والمرادُ: الأهلُ[٤]، ويصِحُّ الخفضُ بدلًا عن الضَّمير المجرورِ في (عليكم) على ذلك.

---

(١) تقدم برقم: (٣٦٢).

(٢) في (م) زيادة: «الباب».

(٣) تقدم برقم: (٦٤٠).

(٤) انظر: «مشارق الأنوار على صحاح الآثار» للقاضي عياض (١/ ٢٦٣).

وإنَّما قال: (إِنْ شاءَ اللهُ بكُمْ لاحقُونَ) مع كونِ الموتِ يقينًا؛ **لوجوهٍ**: **أحدها**: الامتثالُ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الكهف: ٢٣ ـ ٢٤].

وثانيها: أن يكونَ استثناءً في الواجبِ، كما في قوله تعالى: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الفتح: ٢٧]، وفائدتُه التَّفويضُ المطلقُ.

وثالثها: أن يكونَ معناهُ: لاحقونَ في هذه البقعَةِ الخاصَّةِ؛ فإنَّه وإن كانَ قد علمَ أنَّه يموتُ بالمدينةِ، ويُدفَنُ بها، لم يعيِّن له البقعةَ التي يُدفَنُ فيها.

ورابعها: أنَّه جارٍ على عادةِ المتكلِّم في إِجرائِه في كلامه.

وقولُـه: (بيـنَ ظَهْرَي خَيـلٍ) بفتحِ الظَّـاء المعجمةِ وإسـكانِ الهـاء؛ أي: بينها، والظَّهـرُ مُقحَمٌ.

والدُّهمُ: السُّودُ، وقيلَ: العددُ الكثيرُ[١].

والبُهـم: قيـل: هـو السَّـوادُ أيضًـا، وقيل: الـذي لا يخالـطُ لونَه لونٌ سـواه أيَّ لونٍ كان[٢].

والغُرَّةُ: هو البياضُ في جبهةِ الفرسِ يزيدُ على قدرِ الدِّرهم[٣].

والتَّحْجيلُ: بياضُ اليدين والرِّجلين، وأصلُه مِن الحَجْلِ، وهو الخلخالُ[٤]، ولا بدَّ أن لا يجاوزَ الرّكبتين، واستعارَ النَّبيُّ ﷺ أثرَ الوضوءِ ـ وهو البياضُ في الوجهِ

---

(١) انظر: «مشارق الأنوار على صحاح الآثار» للقاضي عياض (١/ ٢٦٣).

(٢) انظر: «شرح النووي على مسلم» (٣/ ١٣٩).

(٣) انظر: «الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية» للجوهري (٢/ ٧٦٧).

(٤) انظر: «الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية» للجوهري (٤/ ١٦٦٦).

واليدين والرِّجلين للإنسانِ بنورِ الوضوءِ يومَ القيامةِ - مِن البياضِ الذي في وجهِ الفرسِ ويديهِ ورجليهِ.

وقوله: **(وأنا فَرَطُهم على الحَوضِ)** قد تقدَّمَ معناه[1].

---

(١) تقدم برقم: (٣١٣).

فصل

قد تقدَّمَ في أوَّلِ البابِ وجهُ الفصلِ، فلا نعيدُه.

١٧٧٧ـ (ق): جريرٌ رضي الله عنه: «هل أنتَ مُريحِي مِن ذِي الخَلَصَةِ؟»؛ أي: الكعبةِ اليمانيةِ الشَّاميَّةِ. [خ: ٣٦١١] [م: ٢٤٧٦]

* قال: قالَ لي رسولُ الله ﷺ: «يا جريرُ، ألا تُريحُني من ذِي الخَلَصَة؟» بيتٍ لخثعمَ كان يُدعَى الكعبة اليَمانيَّة، فنَفرتُ في خمسين ومئة فارسٍ، وكنت لا أثبُتُ على الخيلِ، فذكرتُ ذلك لرسولِ الله ﷺ، فضربَ بيده في صدري فقال: «اللَّهمَّ ثبِّته، واجعَلْه هاديًا مهديًّا»، قال فانطلَقَ، فحَرَّقَها بالنَّارِ، ثمَّ بعثَ جريرٌ إلى رسولِ الله ﷺ رجلًا يبشِّره يُكْنى: أبا أرطاةَ، فأتى رسولَ الله ﷺ، فقال: ما جئتُك حتَّى تركناها كأنَّها جملٌ أجربُ، فبرَّكَ رسول الله على خيلِ أحمسَ ورجالِها خمسَ مرَّات.

وقد تقدَّم الكلامُ على ذي الخَلَصة، وكان يُقال لها[1]: الكعبةُ اليمانيَّةُ والكعبةُ الشَّاميَّة، وفي بعضِ النُّسخ بغيرِ واو، والمرادُ باليمانيَّة: ذو الخَلَصة، وبالشَّامية: الكعبةُ شرَّفها اللهُ تعالى، وإذا كان كذلك، فالعطفُ بالواو يؤدِّي إلى أن يكون معنى «هل أنت مريحي» من الكعبةِ الشَّاميَّةِ، وهو خلافُ المقصودُ، فيُقال: معناه: إزالةُ هذا التَّوصيفِ؛ فإنَّه إنَّما احتيجَ إليه للتَّمييزِ بينهما، وإذا زالتِ اليمانيَّة زالتِ الشركةُ، فذاك الاحتياجُ إلى الوصفِ المميِّزِ.

وأمَّا المقصودُ منه إذا كان بغير واو، فهو إزالةُ التَّعدُّدِ الحاصل بوجودِ اليمانيَّة.

وقوله: (فنفرتُ)؛ أي: خرجتُ للقتال.

---

(١) «لها»: ليس في (م) و(ب).

وقوله: (وكنتُ لا أثبُتُ على الخَيلِ) يعني: أنَّه كان يسقطُ؛ لعدمِ اعتيادِه بركوبِ الخيلِ، أو كان يخافُ السُّقوطَ من على الفرسِ حالةَ إجرائها، فدعا له النبيُّ ﷺ بأكثرَ ممَّا طلبَ، وهو الثُّبوتُ مطلقًا، وجعلُه هاديًا لغيره، مهديًّا في نفسِه، فاستُجيبَ له، وكان أوَّلُ ذلك أنَّه نفرَ في خمسينَ ومئةِ فارسٍ لذي الخَلَصةِ، فحرَّقَها، وعملَ فيها ما لا يعملُه خمسةُ آلافٍ.

وقوله: (كأنَّها جملٌ أجربُ) يعني: المطليَّ بالقَطِران، فكأنَّ التَّشبيهَ باعتبارِ السَّوادِ الحاصلِ بالإحراقِ.

١٧٧٨ـ (م): أنسٌ رضي الله عنه: «هل تدرونَ ممَّ أضحَكُ؟ قلنا: اللهُ ورسولُهُ أعلمُ، قال: مِن مخاطَبةِ العبدِ ربَّهُ، يقولُ: يا ربِّ؛ ألم تُجِرني منَ الظُّلمِ، قال: يقولُ: بلى، قال: فيقولُ: فإنِّي لا أُجيزُ على نَفسي إلَّا شاهدًا منِّي، فيقولُ: كفى بنفسِكَ اليومَ[1] عليكَ شهيدًا، وبالكِرامِ الكاتبينَ عليكَ شُهودًا، قال: فيُختَمُ على فيهِ، فيُقالُ لأركانِهِ: انطِقي، قال: فتنطِقُ بأعمالِهِ، ثمَّ يُخلَّى بينَهُ وبينَ الكلامِ، فيقولُ: بُعدًا لكُنَّ وسُحقًا! فعنكُنَّ كنتُ أُناضلُ». [م: ٢٩٦٩]

* قال: كنَّا عند رسولِ الله ﷺ، فضحكَ، فقال: «هل تدرون...» إلى آخره.

وقولُه: (قال) يعني: النَّبيَّ عليه السَّلام. وقولُه: (يقولُ) أي: اللهُ تبارك وتعالى.
وقولُه: (قالَ) أي: النَّبيُّ عليه السَّلام. وقولُه: (فيقول) أي: العبدُ.

وقولُه: (فيُختَمُ على فيهِ) أي: يُمنَعُ مِن الكلامِ المكتسِبِ له، وينطقُ لسانُه وجوارحُه بكلامٍ ضروريٍّ لا كسْبَ له فيه، ولا قدرةَ على منعِه.

---

(١) «اليوم»: ليست في (م) و(ك) و(ب).

وقولُـه: (**لأركَانِـه**) أي: لأعضائـه وجوارحِـه، و«ركـنُ الشَّـيءِ»: مـا يقـومُ به ذلك الشَّـيءُ.

وقولُه: (**ثمَّ يُخلّى بينهُ وبينَ الكَلامِ**) أي: الكلامِ المقدورِ له، فيلومُ جوارحَه الشَّاهدةَ، يقولُ: (**بُعْدًا لكُنَّ وسُحْقًا**) وهما منصوبانِ على المفعولِ المطلقِ بفعلٍ يجبُ حذفُه سماعًا؛ كسُقيًا ورُعيًا.

وقولُه: (**أُناضِلُ**) أي: أدافعُ وأُحاجُّ؛ لئلَّا تُعذِّبنَ، وحاصلُ معناه: ألم تُنقِذني من الظُّلمِ؛ فإنِّي ما أشركْتُ بك شيئًا، ولا ارتكبْتُ معصيةً، وتعذيبُ مَن هذه صفتُه ظلمٌ، وأنت مقدَّسٌ عن الظُّلمِ، فيقولُ اللهُ تعالى: بلى، قد ارتكبْتَ المعصيةَ، فيطلبُ العبدُ شاهدًا مِن نفسِه؛ ظنًّا منه أنَّه لا شاهدَ من نفسِه، أو إن كانَ فلا يشهدُ عليه؛ لأنَّه يُناضِلُ عنه، فيشهدُ عليه جوارحُه، قالَ اللهُ تعالى: ﴿يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [النور: ٢٤].

١٧٧٩ـ (ق): أُسـامةُ بـنُ زيـدٍ رضـي الله عنـه: «هل تـركَ لنـا عَقيلٌ مَنـزِلًا؟».

[خ: ٢٨٩٣] [م: ١٣٥١]

* قال: قلتُ: يا رسولَ اللهِ؛ أين تنزلُ غدًا؟ وذلك في حَجَّتِه حين دنَونا مِن مكَّةَ، فقالَ: «وهلْ تركَ لنا عَقِيلٌ منزلًا؟».

وظاهرُ هذه الإضافةِ أنَّها كانَتْ مِلكَهُ؛ لأنَّ (لنَا) حقيقةٌ في المِلكِ، والكلامُ لها، فيكون عَقِيلٌ اعتدى على دارِ رسول الله ﷺ وتصرَّفَ فيها، كما تصرَّفَ أبو سفيانَ بدورِ مَن هاجرَ من المؤمنين.

قال الدَّاودِيُّ: إنَّ عقيلًا باعَ ما كانَ للنَّبيِّ عليه السَّلام ولمَن هاجرَ مِن بني عبدِ المطَّلبِ(١).

ففي الحديثِ دليلٌ على أنَّ الكافرَ إذا استولى على أموالِ المسلمينَ وأحرزَها إلى دارِ الحربِ ملكَها، وهو مذهبُ أبي حنيفةَ رحمه الله، وعلى أنَّ بيعَ دورِ مكَّةَ جائزٌ، وهو أيضًا مذهبُه، وجاءَ عنه في روايةٍ كراهةُ بيعِ الأرض؛ لقولِه عليه السَّلام: «مكَّةُ حرامٌ لا يُباعُ رِباعُها»(٢)، بخلاف البناءِ؛ لأنَّه خالصُ مِلكِ الباني، فيجوزُ بيعُه بغيرِ كراهة.

١٧٨٠ـ (م): أبو هُريرةَ رضي الله عنه: «هلْ ترَوْنَ قِبلَتي ههُنا؟ واللهِ ما يخفَى عليَّ ركوعُكُم، ولا خُشُوعُكم، وإنِّي لأراكُم مِنْ وراءِ ظَهرِي». [م: ٤٢٤]

* قد تقدَّمَ الكلامُ على معنى الحديثِ في الباب الخامس في قوله(٣): «يا فلانُ؛ ألا تُحسِنْ صلاتَك».

١٧٨١ـ (ق): أسامةُ بنُ زيدٍ رضي الله عنه: «هَلْ ترَونَ ما أرَى؟ قالوا: لا، قالَ: فإنِّي لأرَى مواقِعَ الفتَنِ خِلالَ بُيوتِكُم كمَواقِعِ القَطْرِ». [خ: ١٧٧٩] [م: ٢٨٨٥]

قالهُ لمَّا أشرفَ على أُطُمٍ مِنْ آطامِ المدِينَةِ.

* **الأُطُم** ـ بضمِّ الهمزةِ والطَّاء ـ: هو القصرُ والحصنُ، وجمعُه: آطام(٤).

---

(١) انظر: «إكمال المعلم بفوائد مسلم» للقاضي عياض (٤/ ٤٦٣).

(٢) أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (١١١٨٣).

(٣) تقدم برقم: (١٠١٢).

(٤) انظر: «كشف المشكل من حديث الصحيحين» لابن الجوزي (١/ ٢٢٨).

ومواقعُ القَطرِ: مساقطُ المطرِ[1]، وهذا تشبيهٌ لكثرةِ وقوعِ الفتنِ وعمومِها، وعدمِ اختصاصِها بطائفةٍ.

وذلك إشارةٌ إلى الحروبِ التي وقعَتْ؛ كمقتلِ عثمانَ والحسنِ، وحربِ الجملِ وصفِّينِ والحَرَّة.

وفيه معجزةٌ ظاهرةٌ له ﷺ.

١٧٨٢ـ (خ): أبو هُريرةَ رضي الله عنه: «هلْ تستَطِيعُ إذَا خرَجَ المجاهِدُ أنْ تدخُلَ مسجِدَكَ، فتقومَ ولا تفتُرَ، وتصُومَ ولا تُفطِرَ؟». [خ: ٢٦٣٣]

قالهُ لرجلٍ قال لهُ: دلَّني على عملٍ يعدِلُ الجهادَ.

* قال: جاءَ رجلٌ إلى رسولِ الله ﷺ فقال: دلَّني على عملٍ يعدِلُ الجهادَ، قال: «لا أجدُه»، فقال: «**هل تستَطِيعُ...**» إلى آخره، فقال الرَّجلُ: ومَن يستَطِيعُ ذلك؟ قال أبو هريرةَ: إنَّ فرسَ المجاهدِ لَيَستنُّ في طِوَلِه، فيُكتبُ له حسناتٌ.

في الحديث: أنَّه ليسَ في الأعمالِ شيءٌ يعدلُ فضيلةَ الجهادِ.

وقولُ أبي هريرةَ: (إنَّ فرسَ المجاهدِ ليستنَّ)؛ أي: ليمرحُ في طِوَلِه ـ بكسرِ الطَّاء المهملةِ وفتحِ الواو ـ وهو الحبلُ يُشَدُّ به الدَّابَّةُ، ويمسِكُ صاحبُها بطرفِه، ويُرسِلُها ترعَى.

---

(١) انظر: «المفاتيح في شرح المصابيح» لمظهر الدين الزيداني (٥/ ٣٥٤).

١٧٨٣ـ (م): أبو هُريرةَ رضي الله عنه: «هلْ تسمَعُ النِّداءَ بالصَّلاةِ؟ قال: نعَمْ، قال: فأجِبْ». [م: ٦٥٣]

قالهُ لرجلٍ أعمى حينَ قال: يا رسُولَ اللهِ؛ ليسَ لي قائِدٌ يقُودُني إلى المسجِدِ، وسألَهُ أنْ يُرخِّصَ لهُ فيصلِّيَ في بيتِهِ، فرخَّصَ له، فلمَّا ولَّى دعاهُ فقال...

* قيلَ: الرَّجلُ الأعمى هو ابنُ أمِّ مكتومٍ، فسَّره في «سنن أبي داود»[1] وغيره.

والتَّرخيصُ لعلَّه كان ثابتًا بالاجتهادِ، ثمَّ أوجبَ الحضورُ إمَّا بوحيٍ، أو اجتهادٍ آخرَ، ويجوزُ أن يكونَ التَّرخيصُ والإيجابُ كلاهما بالوحي، لكن الثَّاني يكون ناسخًا للأول.

واستدلَّ مَن قالَ بكونِ الجماعة فرضًا بظاهرِ الحديثِ، وليسَ بشيءٍ؛ لأنَّ خبرَ الواحدِ لا يثبتُ به الفرضيَّة، ومذهبُ أبي حنيفَةَ وأصحابه: أنهَّا سنَّةٌ في قوَّةِ الواجبِ[2]، والحديثُ يصلحُ دليلًا لهم؛ لجوازِ ثبوتِ السُّنَّة به بالاتِّفاق.

قيل: ابنُ أمِّ مكتوم أحدُ مؤذِّني رسولِ الله ﷺ، فكيف قال له: «هل تسمعُ النِّداء بالصَّلاة؟».

وأُجِيبَ بأنَّ معناه: هل تسمعُ ذلك إن انقطعْتَ في بيتك ولم تؤذِّنْ؟

١٧٨٤ـ (ق): أبو هُريرةَ وأبو سعيدٍ رضي الله عنهما: «هل تُضارُّونَ في القمَرِ ليلةَ البدرِ؟ قالوا: لا يا رسولَ اللهِ، قال: فهل تُضارُّون في الشَّمسِ ليس دونَها سحابٌ؟ قالوا: لا يا رسولَ الله، قال: فإنَّكُم ترَونَهُ كذلكَ، يجمعُ اللهُ النَّاسَ يومَ القيامةِ، فيقولُ:

---

(١) «سنن أبي داود» (٥٥٢).

(٢) انظر: «بداية المبتدي» للمرغيناني (ص: ١٦).

مَن كانَ يعبدُ شيئًا فليتَّبِعْهُ، فيتَّبِعُ مَن كانَ يعبدُ الشَّمسَ الشَّمسَ، ويتَّبِعُ مَن كانَ يعبُدُ القمرَ القمرَ، ويتَّبِعُ مَن كانَ يعبدُ الطَّواغيتَ الطَّواغيتَ، وتبقى هذه الأُمَّةُ فيها منافقوها، فيأتيهُمُ اللهُ في صورةٍ غيرِ صورتِه التي يعرفونَ، فيقولُ: أنا ربُّكم، فيقولونَ: نعوذُ باللهِ منكَ، هذا مكانُنا حتَّى يأتيَنا ربُّنا، فإذا جاء ربُّنا عرفناهُ، فيأتيهِمُ اللهُ في صورَتِه التي يعرفونَ، فيقولُ: أنا ربُّكُم، فيقولونَ: أنتَ ربُّنا، فيتَّبعونَه، ويُضرَبُ الصِّراطُ بين ظَهرَي جهنَّمَ، فأكونُ أنا وأمَّتي أوَّلَ مَن يُجيزُ، ولا يتكلَّمُ يومئذٍ إلَّا الرُّسُل، ودَعوى الرُّسُلِ يومئذٍ: اللَّهمَّ سلِّمْ سلِّمْ، وفي جهنَّمَ كلاليبُ مثلُ شوكِ السَّعدانِ، هل رأيتُمْ شوكَ السَّعدانِ؟ قالوا: نعمْ يا رسولَ اللهِ، قال: فإنَّها مثلُ شوكِ السَّعدانِ، غيرَ أنَّه لا يعلمُ ما قدرُ عِظَمِها إلَّا اللهُ، تخطَفُ النَّاسَ بأعمالِهم، فمنهُمُ الموبَقُ بعملِهِ، ومنهمُ المخردَلُ حتَّى ينجوَ، حتَّى إذا فرَغَ اللهُ من القضاءِ بينَ العبادِ، وأرادَ أن يُخرِجَ برحمتِهِ مَن أرادَ مِن أهلِ النَّارِ، أمرَ الملائكةَ أن يُخرجوا مِن النَّارِ مَن كانَ لا يشرِكُ باللهِ شيئًا ممَّن أرادَ اللهُ أن يرحمَهُ ممَّن يقولُ: لا إلهَ إلَّا اللهُ، فيعرفونَهُمْ في النَّارِ، يعرفونَهُم بأثَرِ السُّجود، تأكلُ النَّارُ مِن ابنِ آدمَ إلَّا أثرَ السُّجود، حرَّمَ اللهُ على النَّارِ أن تأكلَ أثرَ السُّجود، فيخرجونَ من النَّارِ قدِ امتَحَشُوا، فيُصَبُّ عليهِم ماءُ الحياةِ، فينبُتونَ منهُ كما تنبُتُ الحِبَّةُ في حَميلِ السَّيلِ، ثمَّ يفرُغُ اللهُ مِن القضاءِ بينَ العبادِ، ويبقى رجلٌ مُقبِلٌ بوجهِهِ على النَّارِ، وهو آخِرُ أهلِ الجنَّةِ دخولًا الجنَّةَ، فيقولُ: أي ربِّ؛ اصرِفْ وجهي عن النَّارِ، فإنَّهُ قد قشبَني ريحُها، وأحرَقني ذَكاؤُها، فيدعو اللهَ ما شاءَ اللهُ أن يدعوَهُ، ثمَّ يقولُ اللهُ: هل عسيْتَ إنْ فعلتُ ذلكَ بكَ أن تسألَ غيرَهُ؟ فيقولُ: لا أسألُكَ غيرَهُ، فيُعطي ربَّهُ من عهودٍ ومواثيقَ ما شاءَ، فيصرِفُ اللهُ وجهَهُ عنِ النَّارِ، فإذا أقبلَ على الجنَّةِ ورآها سكتَ ما شاءَ اللهُ أن يسكُتَ، ثمَّ يقولُ: أيْ ربِّ؛ قدِّمني إلى بابِ الجنَّةِ، فيقولُ اللهُ له: أليسَ قد أعطيْتَ عهودَكَ ومواثيقَكَ لا تسألُني غيرَ الذي أعطيتُكَ؟

ويلَكَ يا ابنَ آدمَ ما أغدرَكَ! فيقولُ: أي ربِّ؛ فيدعو اللهَ حتَّى يقولَ له: فهل عسَيْتَ إن أعطيتُكَ ذلكَ أن تسألَ غيرَهُ؟ فيقولُ: لا وعزَّتِكَ، فيُعطِي ربَّهُ ما شاءَ اللهُ مِن عُهودٍ ومُواثِيقَ، فيُقدِّمُهُ إلى بابِ الجنَّةِ، فإذا قامَ على بابِ الجنَّةِ انفهَقَتْ لهُ الجنَّةُ، فرأى ما فيها مِن الحَبْرَةِ والسُّرورِ، فيسكُتُ ما شاءَ اللهُ أن يسكُتَ، ثمَّ يقولُ: أي ربِّ؛ أدخِلْني الجنَّةَ، فيقولُ اللهُ له: أليس قدْ أعطيْتَ عهودَكَ ومواثيقَكَ ألَّا تسألَ غيرَ ما أُعطيْتَ؟ ويلكَ يا ابنَ آدمَ ما أغدرَكَ! فيقولُ: أي ربِّ؛ لا أكونَنَّ أشقى خلقِكَ، فلا يزالُ يدعو اللهَ حتَّى يضحَكَ اللهُ منهُ، فإذا ضحِكَ اللهُ منهُ قال: ادخُلِ الجنَّةَ، فإذا دخلَها قالَ اللهُ له: تمنَّ، فيسألُ ربَّهُ ويتمنَّى حتَّى إنَّ اللهَ ليُذكِّرُهُ، فيقولُ: من كذا وكذا، حتَّى إذا انقطعَتْ بهِ الأمانيُّ، قالَ اللهُ: لكَ ذلكَ ومثلُهُ معهُ». [خ: ٧٠٠٠] [م: ١٨٢]

* قوله: (هل تُضارُّونَ) تقدَّمَ الكلامُ عليه في اختلافِ الرِّواياتِ ومعانيها(١)، وأنَّ المرادَ تشبيهُ الرُّؤيةِ بالرُّؤيةِ في الوضوحِ وزوالِ الشَّكِّ والاختلافِ والمشقَّةِ، لا تشبيهُ المرئيِّ بالمرئيِّ، ووجهُ دلالتِه على جوازِ الرُّؤيةِ ظاهرٌ.

وتأويلُ المعتزلةِ الرُّؤيةَ بمعنى العلمِ باطلٌ؛ لأنَّها تعدَّت إلى مفعولٍ واحدٍ، فيكونُ المرادُ رؤيةَ البصرِ لا محالةَ.

والطَّاغوتُ: الشَّيطان، وقيل: الأصنام، وقيل: ما عُبد من دونِ الله(٢)، ويذكَّرُ ويؤنَّثُ، ويوحَّدُ ويُجمعُ، قال اللهُ تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ﴾ [النساء: ٦٠]، وُحِّد وذُكِّر، وقال ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ

(١) تقدم برقم: (٤٨٥).

(٢) انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (٨/ ١٥٤).

أَن يَعۡبُدُوهَا﴾ [الزمر: ١٧]، قيل: والتَّاءُ فيه زائدةٌ؛ لكونه مشتقًّا من طغى، وتقديرُه: طغووت، قُلبَتِ الواوُ ألفًا[١].

وقوله: (وتبقَى هذِه الأمَّةُ فيهَا منافِقُوها) قال العلماءُ: إنَّما بقَوا في زمرةِ المؤمنين؛ لأنَّهم كانوا في الدُّنيا مستترين بهم، فسُتِروا بهم في الآخرةِ، ودخلوا في جملتِهم، ومشَوا في نورِهم، حتى ضُرِبَ بينهم بسورٍ له بابٌ باطنُه فيه الرَّحمةُ، وظاهرُه من قِبَلِه العذاب، وذهبَ عنهم نورُ المؤمنين، وقيل: وهؤلاءِ هم المطرُودونَ عن الحوضِ الذي يقالُ لهم: سحقًا سحقًا[٢].

وقولُه: (فيأتيهمُ اللهُ) من المتشابهاتِ، وقد عُلِمَ فيها مذهبُ السَّلفِ والخلفِ؛ فإنَّ للسَّلفِ التَّفويضَ، وهو أسلمُ، وللخلفِ التَّأويلَ، وهو أحكمُ، فمنهم من قالَ: الإتيانُ هو الرُّؤيةُ، وعبَّر عنها بالإتيانِ على وفقِ العادةِ، فإنَّ العادةَ أنَّ من غابَ عن عينٍ لا يمكن رؤيتُه إلَّا بالإتيانِ[٣].

ومنهم من قالَ: هو فِعلٌ من أفعالِ اللهِ، سمَّاه إتيانًا[٤].

ومنهم من قالَ: المرادُ إتيانُ الملائكةِ، ويكونُ هذا الملَك جاءَهم في صورةِ المحدَثاتِ، فأنكروا لمَّا رأوا عليه من علاماتِ المخلوقين[٥].

واختلفوا في معنى الصُّورةِ ههنا؛ فمَن قال: المرادُ بإتيانِ اللهِ: إتيانُ ملائكتِه،

---

(١) انظر: «التفسير البسيط» للواحدي (٤/ ٣٦٣).

(٢) انظر: «شرح النووي على مسلم» (٣/ ١٩).

(٣) انظر: «المعلم بفوائد مسلم» للمازري (١/ ٣٣٧).

(٤) انظر: «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (١٠/ ٤٦٢).

(٥) انظر: «إكمال المعلم بفوائد مسلم» للقاضي عياض (١/ ٥٤٥).

يقولُ: المرادُ بالصُّورةِ: صورةُ الملائكةِ التي إذا شوهد الملك شُوهد عليها، ومَن قال بغيرِ ذلك يقولُ: المرادُ بالصُّورةِ الصِّفةُ.

وحكمةُ هذا الامتحانِ تَمييزُ المُحِقِّ من المبطلِ بين الأشهادِ؛ فإنَّ المنافقين لمَّا تستَّروا بالمؤمنينَ والمرائينَ، تلبَّسوا بالمخلصينَ زاعمينَ أنَّهم منهم، وأنَّهم عملوا مثلَ أعمالِهم، وعرَفوا اللهَ مثلَ معرفتهم، امتحنهمُ اللهُ بأن أتاهُم في صُورةٍ غيرِ ما اعتقدوها، وقال: أنا ربُّكم، فأنكروا.

واختُلِفَ[1] في المنكرينَ؛ فقيل: همُ المؤمنونَ، وإنَّما تعوَّذوا منه لما سبقَ من معرفتِهم باللهِ تعالى، وأنَّه منزَّهٌ عن صفاتِ هذه الصُّورةِ؛ إذ سماتُها سماتُ المُحدَثاتِ، وقيل: يجوز أن يكونَ المنكرون همُ المنافقونَ، وإنَّما استعاذوا لأنَّهم رأوه على خلافِ ما اعتقدوه في الدُّنيا من الأوثانِ وغيرِها[2]، واستُصوِبَ الأوَّل؛ لأنَّ المنافقين لم يعتقدوا إلهًا يستعيذون عندَ رؤيةِ صورةٍ، غايةُ ما في البابِ أن يحصلَ لهم وهمٌ أو شكٌّ؛ إذ لا خلافَ بالنِّسبةِ إليهم ليُستعاذَ منه.

وقولُه: (فيأتِيهِمُ اللهُ في صُورتِهِ الَّتي يعرِفُونَ) ليس المرادُ بالإتيانِ إتيانَ الملائكةِ ههنا بالضَّرورةِ، وليس المرادُ بالصُّورةِ صورةَ الملائكةِ، بل معناه: يتجلَّى اللهُ سبحانه وتعالى على الصِّفةِ التي يعلمونها ويعرفونه بها، وإنَّما عرفوه بصفاتِه، ولم يتقدَّمْ لهم رؤيةٌ؛ لأنَّهم يرونَه لا يُشبهُ شيئًا من مخلوقاتِه، وقد علموا أنَّه تعالى ليس كمثلِه شيءٌ، فيعلمون أنَّه ربُّهم، فيقولون: أنت ربُّنا، وإنَّما عبَّر عن هذه الصِّفةِ بالصُّورةِ؛ لمشابهتها إيَّاها، وللمشاكلةِ؛ لما تقدَّمَ من ذكرِ الصُّورة، والحقُّ فيه التَّسليم؛ لأنَّ

---

(١) في (م): «واختلفوا».

(٢) انظر: «إكمال المعلم بفوائد مسلم» للقاضي عياض (١/ ٥٤٨).

هذه التَّأويلاتِ ـ كما ترى ـ في غايةِ البعدِ، فإنَّ الصِّفةَ غيرُ مرئيَّةٍ لا محالةَ، وهي ليست عينَ الموصوفِ ولا غيرَه، ولا بدَّ من مرئيٍّ، فكان تفويضُ أمرِ معرفتِهِ إلى اللهِ أسلمَ.

هذا وللمحقِّقين ههنا كلامٌ لا يفهمُهُ إلَّا أهلُهُ، ويحرُمُ على غيرِ أهلِه كشفُه، ومع ذلك فقد لوَّحنا في أوَّلِ هذا الشَّرحِ إلى نُبَذٍ من ذلك يتنبَّه به مَن هو أهله.

وقولُه: (**فيتَّبعُونَه**) أي: يتَّبعونَ أمرَه إيَّاهم بذهابِهم إلى الجنَّةِ، أو يتَّبعونَ ملائكتَه الذين يذهبونَ بهم إلى الجنَّةِ.

وقولُه: (**ويُضرَبُ الصِّراطُ**) أي: يُمَدُّ.

وقولُه: (**أوَّلَ مَن يُجيزُه**)[1] بضمِّ الياء المثناة تحتُ وكسرِ الجيم والزَّاي: مَن يمضِي عليه، يُقال: أجزتُ الواديَ وجُزتُهُ لغتان، وقال الأصمعيُّ: أجزتُهُ: قطعتُهُ، وجُزتُهُ: مشيتُ فيه[2].

وقولُه: (**ولا يتكلَّمُ يومَئذٍ إلَّا الرُّسلُ**) يعني: لشدَّةِ الأهوالِ، وهذا في حالِ جوازِ الصِّراطِ، وثمَّةَ مواطنُ يتكلَّم فيها النَّاسُ، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾ [النحل: ١١١] ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ﴾ [القلم: ٣٠].

وقولُه: (**ودعوَى الرُّسلِ يومَئذٍ**) أي: في ذلك الوقتِ.

(**اللَّهمَّ سلِّم سلِّم**) يعني: لكمالِ شفقتِهم ورحمتِهم على الخلقِ، وفيه إشارةٌ إلى أنَّ دعاءَ كلِّ موطنٍ بما يليقُ به.

---

(١) في (ك): «يجيز».

(٢) انظر: «إكمال المعلم بفوائد مسلم» للقاضي عياض (١/ ٥٥١).

والكلاليبُ: جمعُ كَلُّوبٍ ـ بفتحِ الكاف وضمِّ اللَّام المشدَّدة ـ وهو حديدةٌ معطوفةُ الرَّأسِ، يُعلَّقُ عليها اللَّحمُ، ويُرسَلُ في التَّنُّورِ[١].

والسَّعْدانُ ـ بفتحِ السينِ وسكونِ العينِ المهملتين ـ: ضربُ نبتٍ له شوكةٌ عظيمةٌ مثلُ الحسَكِ من كلِّ الجوانبِ[٢].

وقولُه: (**تخطفُ النَّاسَ بأعمَالِهم**) بفتحِ الطَّاء المهملةِ، ويجوزُ الكسرُ.

وقولُهُ: (**فمنهم الموبَقُ بعمَلِه**) رويَ فيه ثلاثُ رواياتٍ: **أحدها**: «المؤمنُ» بالميم والنُّونِ، و«بقي» بالباءِ الموحَّدة والقافِ[٣]، وفي روايةٍ: بالياء المثنَّاة تحتُ، من الوقاية[٤].

والثَّاني: «الموثَقُ»[٥] بالثَّاء المثلَّثةِ والقافِ.

والثَّالثُ: «الموبَقُ يعني بعملِه»[٦] بالباءِ الموحدة والقاف، و«يعني» بالياءِ المثنَّاة تحتُ وبعدها عينٌ ونونٌ، قال القاضي: وهذا أصحُّها[٧].

وقولُه: (**المُخردَلُ**) بالخاءِ المعجمة والدَّالِ المهملة، ورواهُ بعضُهم: «المُجردَلُ» بالجيم، ومعنى الأوَّل: المقطَّعُ؛ أي: بالكلاليب، يُقال: «خردلْتُ

(١) انظر: «شرح النووي على مسلم» (٣/ ٢١).

(٢) انظر: «العين» للخليل بن أحمد الفراهيدي (١/ ٢١).

(٣) وهي رواية مسلم (١٨٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) انظر: «مطالع الأنوار على صحاح الآثار» لابن قرقول (١/ ٥٤٠).

(٥) وهي رواية البخاري (٧٤٣٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٦) انظر: «مطالع الأنوار على صحاح الآثار» لابن قرقول (١/ ٥٣٩).

(٧) انظر: «إكمال المعلم بفوائد مسلم» للقاضي عياض (١/ ٥٥١).

اللَّحـمَ»: إذا قطَّعتَـه، ويُقـال: بالذَّال المعجمـة[١]؛ بمعنى: صرعـتُ، ومعنى الثَّاني: الإشـرافُ علـى الهلاكِ والسُّـقوط.

وقولُه: (حتَّى إذَا فرَغَ[٢] مِن القضَاءِ بينَ العبَادِ) أي: تمَّم لهم حسابَهم وكمَّلَه، وفصلَ بينهم؛ لأنَّ الله تعالى لا يشغلُه شأنٌ عن شأنٍ، وذلك إذا دخلَ أهلُ الجنَّةِ الجنَّةَ، وأهلُ النَّارِ النَّارَ، وشفعَ كلُّ مَن له شفاعةٌ، ألا يُرى إلى قوله: **(وأرادَ أنْ يُخرِجَ اللهُ برحمتِهِ مَن أرادَ مِن أهلِ النَّارِ)** وإنَّما اقتصرَ عن الشَّهادة على الرِّسالةِ؛ إمَّا لأنَّهما تلازمتا في النُّطقِ، اكتفى بذكرِ إحداهما عن الأخرى، وإمَّا لأنَّه لمَّا كانت الرُّسلُ كثيرين، ويجبُ على كلِّ أحدٍ أن يعترفَ برسالةِ رسولِه، كان ذكرُ جميعهم يستدعي تطويلًا، فسكتَ عن ذكرِهم على ذكرِ الله.

وقولُه: **(إلَّا أثَرَ السُّجودِ)** ظاهرُه: أنَّ النَّارَ لا تأكلُ أعضاءَ السُّجودِ السَّبعةِ المأمورَ بالسُّجودِ عليها، وهي: الجبهةُ واليدان والرُّكبتان والقدمان، وإليه ذهبَ بعضُ العلماء، وقيل: المرادُ بأثرِ السُّجودِ الجبهةُ خاصَّةً[٣]، والمختارُ الأول، وقيل: كيف صارَ الأوَّلُ مختارًا وقد روى مسلمٌ في «صحيحه» مرفوعًا: **«إنَّ قومًا يخرجون من النَّارِ يحترقونَ فيها إلَّا داراتِ وجوهِهم»**[٤]؟

وأُجِيبَ: بأنَّه ليسَ فيه ما يدلُّ على أنَّهم من السَّاجدينَ، والكلامُ فيهم.

وقولُـه: **(قَد امتَحَشُـوا)** بالحاء المهملةِ والشِّـينِ المعجمة، علـى وزن افتعلوا،

---

(١) انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (٧/ ٢٧٤)، و«المحكم والمحيط الأعظم» لابن سيده (٥/ ٣٤٤).

(٢) في (ك) زيادة: «الله».

(٣) انظر: «شرح النووي على مسلم» (٣/ ٢٢).

(٤) رواه مسلم (١٩١) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

ومعنـاه: احترقـوا[١]، ومنهم من رواه على بنـاء المفعولِ[٢].

وقولُه: (فينبتُونَ كما تنبتُ الحِبَّةُ) بكسر الحاءِ، وهي: بذورُ البقولِ والعشبِ النَّابتةُ في البراري وجوانبِ السُّيول[٣].

وحَميلُ السَّيلِ - بفتحِ الحاءِ وكسرِ الميمِ - هو: ما جاء به السَّيل من طينٍ وغُثاءٍ ونحوهما، ومعناه: محمولُ السَّيل[٤]، والمرادُ به التَّشبيهُ في سرعةِ النَّباتِ؛ فإنَّها على ما قيل: ينبتُ في يومٍ، وقيل: في يومٍ وليلةٍ.

وقولُه: (قَشَبني ريحُها) بفتحِ القاف وشينٍ معجمةٍ مخفَّفة مفتوحةٍ، ومعناه: آذاني وأهلَكَني[٥].

وقولُه: (ذَكاهَا) بالقصرِ أشهرُ في اللُّغةِ، ووقعَ في جميعِ الرِّوايات بالمدِّ بفتح الذَّال المعجمةِ؛ أي: لهبُها واشتعالُها، وشدَّةُ وهجِها[٦]، وقيل: المدُّ والقصرُ لغتان، يقالُ: «ذكتِ النَّارُ»: إذا اشتعلت، وأذكيتُها أنا.

وقولُه: (هل عسيْتَ) بفتحِ التَّاء وفتح السِّين وكسرها لغتان، والأفصحُ الفتحُ.

وقولُه: (انفَهَقت) بفتحِ الفاء والهاءِ والقاف: انفتحَتْ واتَّسعَتْ.

وقولُه: (فرأَى ما فيهَا مِن الخيرِ) بالخاء المعجمةِ والمثنَّاة تحت، وبعضُ رواةِ

---

(١) انظر: «غريب الحديث» لأبي عبيد (١/ ٧٣).

(٢) انظر: «مشارق الأنوار على صحاح الآثار» للقاضي عياض (١/ ٣٧٤).

(٣) انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (٤/ ٧).

(٤) انظر: «الغريبين في القرآن والحديث» لأبي عبيد (٢/ ٤٩٦).

(٥) انظر: «مشارق الأنوار على صحاح الآثار» للقاضي عياض (٢/ ١٩٣).

(٦) انظر: «لسان العرب» لابن منظور (١٤/ ٢٨٧).

مسلمٍ رواه: «الحَبْرَ» بفتحِ الحاءِ المهملةِ وإسكان الباء الموحَّدة، وهو السُّرور[١].

وقولُه: (فلا يزَالُ يدعُو حتَّى يَضْحكَ اللهُ منهُ) قالوا: ضَحِكُ اللهِ: رضاه بفعلِ عبدِه، ومحبَّتُه إيَّاه، وإظهارِ نعمَتِه عليه، وهذا لأنَّ الضَّحِكَ ـ وهو تغيُّرٌ أوجبَه سرورُ القلبِ لحصولِ كمالٍ لم يكنْ، فيثورُ من القلبِ حرارةٌ ينبسِطُ لها الوجهُ، ويضيقُ عنها الفمُ، فينفتحُ، وهو التَّبسمُ، فإذا زاد بحيث لا يضبطُ الإنسانُ به نفسَه قهقَه ـ على الله محالٌ، لكن لمّا كان دلالةً على الرِّضا، ومُظهِرًا له غالبًا، عبَّرَ عن سببِه به، فيكون معناه: رضيَ اللهُ عن هذا العبدِ، وأظهرَ عليه رحمتَه وفضلَه ونعمتَه.

روي أنَّ أبا هريرةَ رضي الله عنه كانَ يروي هذا وأبو سعيدٍ حاضرٌ لا يردُّ عليه من حديثه شيئًا، حتَّى إذا حدَّثَ أبو هريرة أنَّ اللهَ عز وجلَّ قالَ: «ذلك لك، ومثلُه معه» قالَ أبو سعيدٍ: «وعشَرةُ أمثالِه معه» يا أبا هريرةَ، قال أبو هريرةَ: ما حفظْتُ إلَّا قولَه: «ذلك لك، ومثلُه معه»، قالَ أبو سعيدٍ: أشهدُ أنِّي حفظْتُ من رسولِ اللهِ ﷺ قولَه: «ذلك لك[٢]، وعشَرةُ أمثالِه).

وقالوا في الجمعِ بينهما: إنَّ النَّبيَّ ﷺ أعلمَ أوَّلًا بما في حديثِ أبي هريرةَ، ثمَّ تكرَّمَ اللهُ، فزادَ ما في روايةِ أبي سعيدٍ، فأخبرَ به أبا سعيدٍ، ولم يسمَعْ به أبو هريرةَ[٣].

١٧٨٥ـ (م): أبو هُريرةُ رضي الله عنه: «هل تُضارُّونَ في رؤيَةِ الشَّمسِ في الظَّهيرةِ ليسَتْ في سحابَةٍ؟ قالوا: لا، قال: فهل تُضارُّونَ في رؤيَةِ القمرِ ليلَةَ البدرِ

---

(١) انظر: «مشارق الأنوار على صحاح الآثار» للقاضي عياض (١/ ١٧٧).

(٢) في (ك): «لك ذلك».

(٣) انظر: «إكمال المعلم بفوائد مسلم» للقاضي عياض (١/ ٥٦٤).

ليسَ في سحابَةٍ؟ قالوا: لا، قال: فوالذي نَفْسي بيدِهِ؛ لا تُضارُّون في رؤيَةِ ربِّكُم إلَّا كما تُضارُّون في رؤيَةِ أحدِهِما، فيَلقى العبدَ، فيقولُ: أي فُلْ، ألم أُكرِمْكَ وأُسوِّدْكَ وأزوِّجْكَ، وأُسَخِّرْ لكَ الخيلَ والإبلَ، وأذرْكَ ترأسُ وتربَعُ؟ فيقولُ: بلى، قال: فيقولُ: أفظنَنْتَ أنَّك مُلاقيَّ؟ فيقولُ: لا، فيقولُ: فإنِّي أنساكَ كما نسيتَني، ثمَّ يَلقى الثَّاني، فيقولُ: أيْ فُلْ، ألم أكرمْكَ وأسوِّدْكَ وأزوِّجْكَ، وأُسَخِّر لكَ الخيلَ والإبلَ، وأذَرْكَ تَرْأَسُ وتربَعُ؟ فيقولُ: بلى أي ربِّ، فيقولُ: أفظنَنْتَ أنَّكَ مُلاقيَّ؟ فيقولُ: لا، فيقولُ: فإنِّي أنساكَ كما نسيتَني، ثمَّ يلقى الثَّالثَ، فيقولُ لهُ مثلَ ذلكَ، فيقولُ: يا ربِّ؛ آمنتُ بكَ وبكتابِكَ وبرسُلِكَ، وصلَّيتُ وصمْتُ وتصدَّقْتُ، ويُثني بخيرٍ ما استطاعَ، فيقولُ: ههُنا إذًا، قالَ: ثمَّ يقالُ: الآن نَبعثُ شاهِدَنا عليكَ، ويتفكَّرُ في نفسِهِ: مَن ذا الذي يشهدُ عليَّ؟ فيُختَمُ على فيهِ، ويقالُ لفخذِهِ: انطِقي، فتنطِقُ فخذُهُ ولحمُهُ وعظامُهُ بعملِهِ، وذلك ليُعذِرَ مِن نفسِهِ، وذلك المنافقُ، وذلك الذي يسخَطُ اللهُ عليه».

[م: ٢٩٦٨]

* قال: قالوا: يا رسولَ الله؛ هل نرى ربَّنا يومَ القيامةِ؟ فقالَ: الحديث.

(الظَّهيرة) شدَّةُ الحرِّ. و(البدر) هو الكاملُ، وسُمِّيَ ليلة أربعةَ عشرَ بدرًا؛ لمبادرتِه الشَّمسَ بالطُّلوعِ(١).

وقولُه: (أي فُلْ) بضمِّ الفاءِ وإسكانِ اللَّامِ عندَ الأكثرِ، وقيل: بفتحِها وبضمِّها، وهي صيغةٌ مرتَجلةٌ عند سيبويه، وقيل: ترخيمُ فلانٍ على خلافِ القياسِ(٢).

وقولُه: (ألم أكرِمْك) أي: بما فضَّلتُك به على سائرِ الحيوانات، قال الله تعالى:

---

(١) انظر: «الأزمنة وتلبية الجاهلية» لقطرب (ص: ٢١).

(٢) انظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير (٣/ ٤٧٣).

هذا؟ قالا: انطلِقْ، فانطلَقْنا حتَّى أتَينا على رجلٍ مضطَجِعٍ على قفاهُ، ورجلٍ قائمٍ على رأسِهِ بفِهرٍ، أو بصخرةٍ، فيشدَخُ به رأسَهُ، فإذا ضربَهُ تدَهْدَهَ الحجَرُ، فانطلَقَ إليهِ ليأخُذَهُ، فلا يرجِعُ إلى هذا حتَّى يلتئِمَ رأسُهُ، وعادَ رأسُهُ كما هو، فعادَ إليهِ فضربَهُ، فقُلْتُ: ما هذا؟ قالا: انطَلِق، فانطلقنا إلى نَقَبٍ مثلِ التَّنُّورِ، أعلاهُ ضيِّقٌ، وأسفلُهُ واسعٌ، يتوقَّدُ تحتَهُ نارٌ، فإذا أوقِدَتِ ارتَفَعوا حتَّى كادوا يخرُجون، فإذا خمدَتْ رجَعوا فيها، وفيها رجالٌ ونساءٌ عُراةٌ، فقلتُ: ما هذا؟ قالا: انطَلِق، فانطلَقْنا حتَّى أتَينا على نهرٍ مِن دمٍ فيهِ رجلٌ قائمٌ، وعلى شطِّ النَّهرِ رجلٌ بين يديهِ حجارةٌ، فأقبَلَ الرَّجلُ الذي في النَّهرِ، فإذا أرادَ أن يخرجَ رَمى الرَّجلُ بحجَرٍ في فيهِ، فردَّهُ حيثُ كان، فجعلَ كلَّما جاءَ ليخرُجَ رَمى في فيهِ بحجَرٍ، فيرجِعُ كما كانَ، فقلتُ: ما هذا؟ قالا: انطَلِق، فانطلَقْنا حتَّى انتهينا إلى روضَةٍ خضراءَ فيها شجرةٌ عظيمةٌ، وفي أصلِها شيخٌ وصِبيانٌ، وإذا رجلٌ قريبٌ من الشَّجرةِ بينَ يديهِ نارٌ يوقدُها، فصعِدا بيَ الشَّجرةَ، فأدخَلاني دارًا لم أرَ قطُّ أحسَنَ وأفضلَ منها، فيها رجالٌ وشيوخٌ وشبابٌ ونساءٌ وصِبيانٌ، ثمَّ أخرجاني منها، فصَعِدا بيَ الشَّجرةَ، فأدخَلاني دارًا هي أحسَنُ وأفضَلُ، لم أرَ قطُّ أحسَنَ وأفضَلَ منها، فيها شيوخٌ وشبابٌ، فقلتُ لهما: إنَّكُما قد طوَّفتُماني اللَّيلةَ، فأخبِراني عمَّا رأيتُ، قالا: نعم، أمَّا الرَّجلُ الذي رأيتَهُ يُشَقُّ شِدْقُهُ، فكذَّابٌ يحدِّثُ بالكَذْبَةِ، فتُحمَلُ عنهُ حتَّى تبلُغَ الآفاقَ، فيُصنَعُ به إلى يوم القيامَةِ، والذي رأيتَهُ يُشدَخُ رأسُهُ، فرجُلٌ علَّمَهُ اللهُ القرآنَ، فنامَ عنهُ باللَّيلِ، ولم يعمَلْ فيهِ[1] بالنَّهارِ، يُفعَلُ به إلى يومِ القيامَةِ، والذي رأيتَهُ في النَّقْبِ همُ الزُّناةُ، والذي رأيتَهُ في النَّهرِ آكلُ الرِّبا، والشَّيخُ الذي رأيتَهُ في أصلِ الشَّجرةِ إبراهيمُ، والصِّبيانُ حولَهُ فأولادُ النَّاسِ، والذي يوقِدُ النَّارَ مالكٌ خازنُ النَّارِ، والدَّارُ الأولى التي دخلْتَ دارُ عامَّةِ المؤمنينَ، وأمَّا هذهِ

---

(١) في (م): «به في».

الدَّارُ فدارُ الشُّهداءِ، وأنا جبرائيلُ، وهذا ميكائيلُ، فارفَع رأسَكَ، فرفعْتُ رأسي، فإذا فوقي مثلُ السَّحابِ». [خ: ١٣٢٠] [م: ٢٢٧٥ مختصرًا]

ويُروى: «مثلُ الرَّبابَةِ البيضاءِ، قالا: ذاكَ منزلُكَ، فقلتُ: دعاني أدخُلْ مَنْزلي، قالا: إنَّه بَقيَ(١) لكَ عُمُرٌ لم تستكْمِلهُ، فلوِ استكمَلتَهُ أتيتَ منزِلَكَ».

* قال: كان رسولُ الله ﷺ إذا صلَّى الصُّبحَ أقبلَ علينا بوجهِه، فقال: «هل رأى أحدٌ منكم البارحةَ رؤيا؟»، فإنْ رأى أحدٌ قصَّها، فيقولُ: «ما شاءَ اللهُ»، فسألَنا يومًا فقال: «هل رأى أحدٌ منكم رؤيا؟»، قلنا: لا، قال: «لكنِّي رأيتُ البارحة...» إلى آخره.

قيل: فيه دليلٌ على جوازِ إطلاقِ البارحة على اللَّيلةِ الماضيةِ وإن كان قبلَ الزَّوال، وقال ثعلبٌ وغيرُه: إنَّما يقالُ البارحةُ بعدَ الزَّوالِ، فيحتمِلُ أنَّهم أرادوا أنَّ ذلك حقيقتُه، فلا يمتنعُ إطلاقُه قبلَ الزَّوالِ مجازًا(٢)، وهو ليس بصحيحٍ، وإنَّما البارحةُ من البراحِ، وهو الزَّوالُ، وكان إطلاقُه على اللَّيلةِ الماضيةِ قبلَ الزَّوال وبعدَه سواءً.

وفيه: دليلٌ على استحبابِ إقبالِ الإمامِ على المصلِّين بعدَ سلامِه.

وفيه: استحبابُ السُّؤالِ عن الرُّؤيا، والمبادرةُ إلى تأويلِها، وتعجيلُه في أوَّلِ النَّهارِ قبلَ أنْ يشتغلَ الذِّهنُ في معايشِ الدُّنيا.

والكَلُّوبُ والكُلَّابُ: المنشالُ، وهي حديدةٌ ينشالُ بها اللَّحمُ من القِدرِ.

والشِّدقُ: جانبُ الفمِ، وجمعُه أشداقٌ(٣).

---

(١) في (م): «قد بقي».

(٢) انظر: «شرح النووي على مسلم» (١٥/ ٣٥).

(٣) انظر: «الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية» للجوهري (٤/ ١٥٠٠).

والفِهرُ: حجرٌ ملءُ الكفِّ[١]، وقيل: الحجرُ مطلقًا[٢].

والشَّدخُ: كسرُ الشَّيءِ الأجوفِ[٣].

و**(تَدَهْدَهَ)** بمعنى: تدحرَجَ[٤].

والنَّقبُ: بفتحِ النُّون وإسكانِ القاف، وضَبَطَه بعضُهم بفتحها، وأنكرَه بعضُ أهلِ اللُّغة.

وقولُه: **(فإذا أوقِدَتْ)** وفي بعض النُّسخِ: «**فترَت**» بالفاء، وآخرها مثناةٌ فوق، وهي بمعنى: خمدَت، وليس بمناسبٍ، وفي بعضِ الرِّواياتِ: «**أقترت**» بالقاف ومثنَّاة فوقُ؛ أي: ارتفعَت.

وفيه دليلٌ على أنَّ جماعةً من الأشقياء يُعذَّبون في البرزخِ، وهو: ما بين الموتِ إلى النَّفخةِ الأولى.

والرَّوضةُ الخضراءُ من البقلِ والعشبِ، قال الدَّاوديُّ: هي المكانُ المشرفُ المطمئنُّ الأعلى الخصبُ.

وقوله: **(فإذَا فَوقِي مثلُ السَّحابِ)** وفي روايةٍ: «مثل الرَّبابةِ»[٥] وهي بالفتح، سحابٌ أبيضُ[٦].

وقولُه: **(دعاني)** أي: اتركاني.

---

(١) انظر: «الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية» للجوهري (٢/ ٧٨٤).

(٢) انظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير (٣/ ٤٨١).

(٣) انظر: «العين» للخليل بن أحمد الفراهيدي (٤/ ١٦٦).

(٤) انظر: «مجمل اللغة» لابن فارس (ص: ٣١٩).

(٥) وهي رواية البخاري (٧٠٤٧) من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه.

(٦) انظر: «لسان العرب» لابن منظور (١/ ٤٠٢).

١٧٨٩ـ (خ): أنسٌ رضي الله عنه: «هل فيكُم مِن أحدٍ لم يُقارِفِ اللَّيلةَ؟ ـ يعني: الذَّنبَ ـ فقالَ أبو طلحَةَ: أنا، قالَ: فانزِلْ في قَبرِها». [خ: ١٢٧٧]

يعني: قبرَ بنتِ النَّبيِّ ﷺ.

* قال: شهِدْنا بنتًا للنَّبيِّ عليه السَّلام ورسولُ الله جالسٌ على القبرِ، قال: فرأيتُ عينيه تدمعان، فقال: «**هل منكُم رجلٌ**[1] **لم يُقارِفِ اللَّيلةَ**»، فقال أبو طلحةَ: أنا... إلى آخره، قالَ ابنُ المبارك: قالَ فُلَيحٌ: أراه يعني: الذَّنبَ، تفرَّد به البخاريُّ.

الاقترافُ: الاكتسابُ، يُقال: «قرفَ الذَّنبَ واقترفَه»: إذا اكتسبه، و«قارفَ امرأتَه»: إذا جامعَها[2]، والمرادُ بقولِه: (**لم يُقارِفِ اللَّيلةَ**) أي: لم يجامِعْ أهلَه، بدليلِ ذِكرِ اللَّيلةِ؛ فإنَّ هذا الفعلَ إنما يقعُ في اللَّيل.

وفيه دليلٌ على جواز نزولِ قبرِ المرأةِ مَن لم يكنْ محَرَمًا منها إذا كان من أهلِ الصَّلاح والدِّين، قيل: يشبِهُ أنْ تكونَ البنتُ ابنةً لبعضِ نسائِه، فنُسِبَتْ إليه[3].

١٧٩٠ـ (ق): سهلُ بنُ سعدٍ رضي الله عنه: «هل معكَ شيءٌ مِن القُرآنِ؟».
[خ: ٤٨٢٩] [م: ١٤٢٥]

قالهُ لرجلٍ أرادَ أن يتزوَّجَ المرأةَ التي عرضَتْ نفسَها على النَّبيِّ ﷺ.

---

(١) في (ك): «هل فيكم من أحد».

(٢) انظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير (٤/ ٤٥).

(٣) انظر: «شرح السنة» للبغوي (٥/ ٣٩٥).

* قد تقدَّم الكلامُ عليه في الباب الخامس في قوله عليه السَّلام[1]: «ما لي اليومَ في النِّساءِ من حاجةٍ».

١٧٩١ـ (م): الشَّريدُ بنُ سويدٍ الثَّقفيُّ رضي الله عنه: «هلْ معَك مِن شِعْرِ أُميَّةَ ابنِ أبي الصَّلتِ؟». [م: ٢٢٥٥]

قالهُ لهُ.

* قال ردِفتُ رسولَ الله ﷺ يومًا، فقال: «**هل معكَ من شِعرِ أميَّةَ بنِ أبي الصَّلتِ شيءٌ؟**»، قلت: نعم، قال: «هِيهِ»، فأنشدتُه بيتًا، فقال: «هِيهِ»، ثمَّ أنشدتُه بيتًا، فقال: «هِيهِ»، حتى أنشدتُه مئةَ بيتٍ، وفي روايةٍ: «فلقد كادَ يُسلِمُ في شِعرِه».

(**الشَّريدُ**) بشين معجمةٍ مفتوحةٍ، ثمَّ راء مخفَّفةٍ مكسورة، وكان اسمُه مالكًا، فقتلَ قتيلًا من قومِهِ، ثمَّ لحقَ بمكَّةَ، فأسلمَ، فسمَّاه رسولُ الله ﷺ الشَّريدَ.

(**هِيْهِ**) بكسرِ الهاءِ وإسكانِ الياءِ وكسرِ الهاءِ الثَّانيةِ، قالوا: والهاء الأولى بدلٌ من الهمزةِ، وأصلُه: إيه، وهي كلمةٌ للاستزادةِ من الحديثِ المعهودِ[2]، والمرادُ أنَّ النَّبيَّ عليه السَّلامُ استحسنَ شعرَ أميَّةَ، واستزادَ مِن إنشائه؛ لما فيه من الإقرارِ بالوحدانيَّةِ والبعثِ.

وفيه: جوازُ إنشادِ شعرٍ لا فُحْشَ فيه وسماعِهِ، سواءٌ كان إسلاميًّا أو جاهليًّا.

وقولُه: (**هل معكَ شيءٌ؟**) وقعَ في بعضِ النُّسخ بالرَّفعِ، وفي معظمِها بالنَّصبِ، فتقدَّرَ له ناصبٌ: هل معك منه فتُنشِدَني شيئًا؟

---

(١) تقدم برقم: (٩٠٣).

(٢) انظر: «شرح النووي على مسلم» (١٥/ ١٢).

١٧٩٢ـ (م): أبو هُريرةَ رضي الله عنه: «هلْ نظرْتَ إليهَا؟ فإنَّ في عُيونِ الأنصارِ شيئًا». [م: ١٤٢٤]

قالهُ لرجلٍ أخبَرهُ بأنَّهُ(١) تزوَّجَ امرأةً منَ الأنصارِ، فقال: قد نظرتُ إليها، قال: على كم تزوَّجتَها؟ قالَ: على أربَعِ أَواقٍ، فقال له: على أربعِ أواقٍ؟ كأنَّما تنحِتونَ الفضَّةَ مِن عُرضِ هذا الجبلِ، ما عندنا ما نعطيكَ، ولكن عسى أن نبعثَكَ في بعثٍ تُصيبُ منهُ، قالَ: فبعَثَ بعثًا إلى بَني عَبْسٍ، وبعَثَ ذلكَ الرَّجلَ فيهم.

* قوله: (**فإنَّ في عُيونِ الأنصَارِ شَيئًا**) قالوا: المرادُ به صِغَرٌ، وقيل: زرقةٌ.

وفيه دليلٌ على جوازِ مثل هذه النَّصيحةِ، واستحبابِ النَّظرِ إلى مَن يريدُ أنْ يتزوَّجَها إلى الوجه والكفَّين؛ لأنَّهما ليسا بعورةٍ، وقال الأوزاعيُّ: إلى مواضعِ اللَّحم(٢)، وقال داودُ: إلى جميعِ بدنها(٣)، وهو مخالفٌ لأصولِ السُّنَّةِ والإجماعِ.

وعُرضُ الجبلِ ـ بضمِّ العين ـ: جانبُه.

وقيل: هذا الإنكارُ منه عليه السَّلام على هذا الرَّجلِ لم يكنْ للإكثارِ في المهرِ؛ فإنَّه عليه السَّلام قد أصدقَ نساءَه خمسَمئةَ درهمٍ، وأربعُ أواقٍ: مئة وستون درهمًا، وإنَّما كانَ بالنِّسبة إلى حالِ الرَّجلِ، فإنَّه كان فقيرًا في تلك الحال، فأدخلَ نفسَه مشقَّةَ تعرَّضَ للسُّؤال بسببها؛ ولذلك قال: «ما عندَنا مَا نُعطِيكَ»، ثمَّ إنَّه عليه السَّلام أشفقَ عليه، فبعثَه مع سريَّةٍ في الغزوِ، فأصابَ حاجتَه.

---

(١) في (م) و(ك): «أنه»

(٢) انظر: «الإشراف على مذاهب العلماء» لابن المنذر (٥/ ٨).

(٣) انظر: «حلية العلماء في معرفة مذاهب الفقهاء» لأبي بكر الشاشي (٦/ ٣١٩).

١٧٩٣ـ (ق): ابنُ عُمرَ رضي الله عنه: «هلْ وجدْتُم مَا وعدَ ربُّكم حقًّا؟ ثمَّ قالَ: إنَّهم الآنَ يسمَعُونَ ما أقولُ». [خ: ٣٧٦٠] [م: ٢٨٧٤]

قالهُ لمَّا وقَفَ على قَلِيبِ بَدرٍ.

* وقد تقدَّم الكلامُ عليه في البابِ الخامسِ في قوله عليه السَّلام[1]: «يا فلانُ ابنُ فلان».

---

(١) تقدم برقم: (١٠١٥).

فصلٌ في فعلِ الأمرِ

وجهُ الفصلِ ما ذُكِر.

١٧٩٤ـ (خ): أبو سعيدٍ رضي الله عنه: «ائتمُّوا بي، وليأْتمَّ بكُم مَنْ بعدَكُم»(١).

* قال: إنَّ رسولَ الله ﷺ رأى في أصحابه تأخُّرًا، فقال لهم: «تقدَّموا فأتمُّوا بي، وليأتمَّ بكم مَنْ بعدَكم، لا يزال قومٌ يتأخَّرون حتى يؤخِّرَهمُ اللهُ».

قيل: هذا لفظُ مسلمٍ، وليس على لفظِ المصنِّف، والبخاريُّ ما خرَّجه، وقد وقعَ علامةُ المصنِّف للبخاري.

معناه: اقتدوا بي، وليقتدِ بكم مَنْ بعدَكم مستدلِّين بأفعالِكم على أفعالي.

قيل: فعلى هذا ينبغي أن يكونَ في الصَّفِّ الأوَّل من يعقِلُ صلاةَ الإمامِ، وفي الصَّفِّ الثَّاني من يعقِلُ صلاةَ الصَّفِّ الأوَّل، وهلمَّ جرًّا؛ لتكونَ صلاتُهم على وَفقِ صلاةِ الإمام.

وفيه: اهتمامُ المأمومِ بمتابعةِ الإمام.

وقولُه: (**لا يزال قومٌ يتأخَّرون**) يعني: عن الصَّفِّ الأوَّل. (**حتَّى يؤخِّرَهم اللهُ**) أي: عن رحمتِه، أو فضلِه، أو غيرِ ذلك من أبوابِ الخير.

١٧٩٥ـ (ق): عليٌّ رضي الله عنه: «ائتوا روضَةَ خاخٍ؛ فإنَّ بها ظَعينةً معَها كتابٌ، فخذوهُ منها». [خ: ٥٩٠٤] [م: ٢٤٩٤]

قالهُ لعليٍّ والزُّبيرِ والمقدادِ.

---

(١) قلت: الحديث ذكره البخاريُّ تعليقًا (١/ ٢٥١) ووصله مسلم (٤٣٨).

ويُروى: «انطلقوا حتَّى تأتوا روضةَ خاخٍ»، قالهُ لعليٍّ وأبي مرثَدٍ الغنَوِيِّ والزُّبير.

* الحديث قد تقدَّم عليه في الباب الثَّاني في قولِه عليه السَّلام[1]: «**إنَّه قد شهد بدرًا**».

١٧٩٦ـ (ق): ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنه: «ائتوني بكتابٍ أكتُبْ لكُم كتابًا لا تضلُّوا بعدَهُ أبدًا». [خ: ١١٤] [م: ١٦٣٧]

قالَه في مرضِهِ.

* عن سعيدِ بنِ جبيرٍ رضي الله عنه، عن ابنِ عبَّاسٍ أنَّه قالَ: يومُ الخميسِ وما يومُ الخميسِ؟ قالَ: اشتدَّ برسولِ الله ﷺ وجعُهُ، فقالَ: «**ائتوني بكتابٍ أكتبْ لكم كتابًا لا تضلُّوا بعدي**»، فتنازعوا، وما ينبغي عند نبيٍّ تنازعٌ، وقالوا: ما شأنُه؟ أهَجَرَ؟ استفهِموه، فقالَ: «**دعوني، فالَّذي أنا فيه خيرٌ، أوصيكُم بثلاثٍ: أخرِجُوا المُشرِكينَ مِن جزيرةِ العَربِ، وأجيزُوا الوَفدَ بنَحوِ ما كنتُ أُجيزُهم**»، قال: وسكتَ عن الثَّالثةِ، أو قالَها فأُنسيتُها.

وعن ابنِ عبَّاسٍ أيضًا قال: لمَّا حضرَ رسولُ الله ﷺ وفي البيتِ رجالٌ فيهم عمرُ بنُ الخطَّابِ، قالَ رسولُ الله ﷺ: «**هلمَّ أكتبْ لكُم كتابًا لا تَضِلُّوا بعدَهُ**»، فقالَ عمرُ: إنَّ رسولَ اللهِ قد غلبَ عليه الوجعُ، وعندكمُ القرآنُ، حسبُنا كتابُ اللهِ، فاختلفَ أهلُ البيتِ واختصَموا، فمنهم مَن يقول: قرِّبوا يكتُبْ لكم رسولُ الله كتابًا لن تضلُّوا بعده أبدًا، ومنهم مَن يقولُ ما قالَ عمرُ، فلمَّا أكثروا اللَّغوَ والاختلافَ عند رسولِ اللهِ، قال رسولُ الله ﷺ: «**قوموا**»، قالَ عُبيدُ اللهِ بنُ عبدِ اللهِ بنِ عُتبةَ بنِ مسعودٍ:

(١) تقدم برقم: (٤٥٥).

فكان ابنُ عبَّاسٍ يقولُ: إنَّ الرَّزيَّةَ كلَّ الرَّزيَّةِ ما حالَ بينَ رسولِ الله ﷺ وبين أن يكتبَ لهم الكتابَ من أجلِ اختلافِهم ولَغَطِهم.

قولُه: (**يومُ الخميسِ وما يومُ الخميسِ**) أرادَ تفخيمَ أمرِه في الشِّدَّةِ والمكروهِ فيما يعتقده ابنُ عبَّاسٍ، وهو امتناعُ الكتابِ، ولهذا قالَ: إنَّ الرَّزيَّةَ كلَّ الرَّزيَّةِ ما حالَ بين رسولِ اللهِ ﷺ وبين أن يكتبَ لهم الكتابَ من أجلِ اختلافِهم ولَغَطِهم.

وقولُهم: (**أَهَجَرَ**) الهمزةُ للاستفهامِ، دخلَت على فعلٍ ماضٍ، وفي روايةٍ: (أَهَجْرًا)[١] بهمزةِ الاستفهامِ وتنوينِ (هجرًا) منصوبًا بفعلٍ مضمرٍ؛ أي: قالَ هجرًا، وهو الكلامُ الذي لا فائدةَ فيه، وفي روايةٍ: (هجرَ)[٢] فعلٌ ماضٍ بغيرِ همزةٍ، وقالوا: ليست بصحيحةٍ، والرَّاوي أصابته دهشةٌ ممَّا شاهدَه من حالِ النَّبيِّ عليه السَّلام، فروى بغيرِ تحقيقٍ، وأمَّا النَّبيُّ عليه السَّلام فإنَّه معصومٌ في حياتِه ومماتِه عن مثلِ ذلك.

وقولُه: (**فالذي أنا فيه خير**) قيل: معناه: الذي أنا فيه من مراقبةِ اللهِ والتَّأهبِ للقائِه خيرٌ من النِّزاعِ واللَّغطِ الذي شرعتُم فيه، ويجوزُ أن يكونَ معناه الرُّجوعُ عن طلبِ الكتابِ؛ يعني: الذي أنا فيه من كمالِ الدِّينِ والشَّريعةِ القائمةِ خيرٌ مِن أنْ أكتبَ لكم شيئًا؛ فإنِّي أردتُ الكتابَ لأن لا تضلُّوا؛ فربَّما يختلفون فيه، فيكونُ ضلالًا، وهذا يجوزُ أن يكون أوحِي إليه بالتَّركِ بعدَ الوَحِي بالكتابِ، فيكونُ الثَّاني ناسخًا للأوَّلِ بعدَ عقدِ قلبِ النَّبيِّ عليه السَّلام، ويجوزُ أن يكون كلٌّ منهما بالاجتهادِ.

وقولُه: (**أخرِجُوا المشرِكِينَ**) قيل: يعني به اليهودَ؛ لأنَّه ما كان بقيَ مشركٌ في

---

(١) انظر: «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» للقاضي عياض (٢/ ١٩٢).

(٢) وهي رواية البخاري (٣٠٥٣).

أرضِ العربِ في ذلك الوقتِ غيرُهم[١]، وقد جاء في بعضِ الطُّرقِ: «أخرجوا اليهودَ من جزيرةِ العربِ»[٢].

وقد تقدَّمَ تفسيرُ جزيرةِ العربِ[٣].

وقولُه: (وأجيزُوا الوَفْدَ) أي: أعطوهم، وهو عهدٌ ووصيةٌ لولاةِ المسلمينَ بإكرامِ الوفودِ والإحسانِ إليهم. قال القاضي: لا فرقَ في ذلك بينَ أهلِ العلمِ بين المسلمينَ والكفَّار[٤].

وقولُه: (وسكتَ عن الثَّالثةِ، أو قالَ: فأُنسيتُها) السَّاكتُ هو ابنُ عبَّاسٍ، والنَّاسي سعيدُ بنُ جُبيرٍ، قال المهلَّبُ: الثَّالثةُ: تجهيزُ جيشِ أسامةَ، وقال القاضي: يحتمِلُ أن تكونَ الثَّالثةُ قولَه عليه السَّلام: «لا تجعلوا قبري وثنًا بعدي»[٥]، فقد ذكرَ مالكٌ معناه مع إجلاءِ اليهودِ من حديثِ عمرَ[٦].

واعلمْ أنَّ العلماءَ استحسنوا صنيعَ عمرَ رضي الله عنه ومَن معه مِن الصَّحابةِ؛

---

(١) انظر: «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» لأبي العباس القرطبي (٤/ ٥٦١).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٥٦٠) من حديث أم سلمة رضي الله عنها.

(٣) تقدم برقم: (٢٣٧).

(٤) انظر: «إكمال المعلم بفوائد مسلم» للقاضي عياض (٥/ ٣٨٣).

(٥) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» (٧/ ٣١٧)، والديلمي في «مسند الفردوس» (٧٣٥٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
وروى مالك في «الموطأ/ رواية أبي مصعب الزهري» (٥٧٠) عن عطاء بن يسارٍ مرسلًا، وفيه: «اللَّهمَّ لا تجعَلْ قَبرِي وثنًا يُعبَدُ». ورواه بهذا اللفظ أحمد في «مسنده» (٧٣٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٦) حديث عمر بن عبد العزيز. رواه مالك في «الموطأ» (٥٧١). وانظر: «إكمال المعلم بفوائد مسلم» للقاضي عياض (٥/ ٣٨٣).

فإنَّه كان أفقهَ من ابنِ عبَّاس رضي الله عنه، وذلك لأنَّ عمرَ رضي الله عنه لمَّا رأى ما غلبَ على رسولِ الله ظنَّ أنَّ ذلك صدَرَ من النَّبيِّ ﷺ من غيرِ قصدٍ، ولهذا قالوا: استفهِموه؛ يعني: حتى يتحقَّقَ الأمرَ، وقالوا: (أهجرَ؟) مستفهِمًا؛ لأنَّه توهَّمَ الغلطَ، فإنَّه كان من أعلمِ النَّاسِ بمرتبةِ النَّبيِّ عليه السَّلام، وأنَّ ذلك لا يليقُ بها.

وقولُه: (وعندَكُم القرآنُ، حسبُنا كتابُ اللهِ) ردٌّ على مَن نازعَه لا على أمرِ النَّبيِّ عليه السَّلام، وبهذا يحصلُ الجوابُ عمَّا قيل: كيف جازَ للصَّحابةِ تركُ أمرِهِ بقوله عليه السَّلام: «ائتوني أكتبْ لكم...»، فإنَّهم أخَّروه للتَّحقيقِ، لا أنَّهم تركوه إهمالًا.

وأمَّا ما قال بعضُ العلماءِ: إنَّ الكتابَ الذي أرادَ أن يكتبَه هو أن ينصَّ على الخلافةِ في شخصٍ معيَّنٍ؛ لئلَّا يقعَ نزاعٌ وفتنٌ، وما قالَ آخرونَ: هو أن يكتبَ كتابًا يبيِّنُ فيه مهمَّات الأحكامِ؛ ليرتفعَ النِّزاعُ فيما لم يحصُلِ الاتِّفاقُ على المنصوصِ عليه[1]، فممَّا لا دليلَ عليه ولا أمارةَ؛ إذ لو كان شيءٌ من ذلك لما توقَّفَ عمرُ ومَن معه؛ فإنه ليسَ فيه شيءٌ ممَّا لم يرضَ به عمرُ وغيرُه.

وفي الحديثِ فوائدُ منها: جوازُ كتابةِ العلمِ، ومنها: استعمالُ المجازِ العقليِّ؛ فإنَّ قولَه: (أكتبْ) أرادَ به آمر بالكتابةِ. ومنها: أنَّ المرضَ لا يورثُ نقصًا في أمرِ النُّبوَّةِ.

١٧٩٧ـ (ق): عائشةُ رضي الله عنها: «ائذَنوا لهُ، فلبِئسَ ابنُ العَشيرةِ، أو بئسَ رجلُ العَشيرةِ».

ويُروى: «**بئسَ أخُو القومِ، وابنُ العَشِيرةِ**». [خ: ٥٧٠٧] [م: ٢٥٩١]

---

(١) انظر: «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» لأبي العباس القرطبي (٤/٥٥٨).

يعني: رجلًا استأذَنَ عليهِ.

* وقد تقدَّم الكلامُ عليه في البابِ الثَّاني في قوله عليه السَّلام[١]: «إنَّ شرَّ النَّاسِ عند اللهِ منزلةً يوم القيامة...».

١٧٩٨ـ (ق): عائشةُ رضي الله عنها: «ائذَني لـهُ؛ فإنَّهُ عمُّكِ، تَرِبَتْ يمينُكِ». [خ: ٤٥١٨] [م: ١٤٤٥]

يعني: أفلحَ أخا أبي القُعَيسِ.

* عن عروةَ، عن عائشةَ قالت: جاءَ أفلحُ أخو أبي القُعيسِ يستأذنُ عليها بعدَما نزلَ الحجابُ، وكان أبو القُعيس أبا عائشةَ من الرَّضاعةِ، قالت عائشةُ: قلت: لا واللهِ، لا آذنُ لأفلحَ حتَّى أستأذنَ رسولَ اللهِ؛ فإنَّ أبا القُعيسِ ما أرضعَني، ولكن أرضعَتني امرأتُه، قالت عائشةُ: فلمَّا دخلَ رسولُ الله ﷺ قلت: يا رسولَ اللهِ، إنَّ أفلحَ أخا أبي القُعيسِ يستأذنُ عليَّ، فكرهتُ أن آذنَ له حتى أستأذنَك، قالت: فقالَ رسولُ الله ﷺ: «ائذني له»، قالَ عروةُ: فبذلك كانت عائشةُ تقول: حرِّموا من الرَّضاعةِ ما تحرِّمونَ من النَّسبِ.

وقد دلَّتِ الأحاديثُ على ثبوتِ الحرمةِ منَ الرَّضاع، وقد تقدَّمَ الكلامُ في الرَّضاع في الباب الثَّاني في قوله عليه السَّلام[٢]: «إنَّ الرَّضاعةَ تحرِّمُ ما يحرُمُ من الولادةِ».

(١) تقدم برقم: (٣٤٢).

(٢) تقدم برقم: (٢٣٤).

١٧٩٩ـ (ق): أبو هُريرةَ رضي الله عنه: «ابدَأ بمَن تعولُ». [خ: ٥٠٤١] [م: ١٠٤٢]

* أي: ابدأ بمن تعولُه ويلزمُك نفقتُه، فتصدَّقْ عليه، فإنْ فضلَ شيءٌ، فليكن في الأجانبِ. يُقال: «عالَ الرَّجلُ عيالَه يعولُهم»: إذا قامَ بما يحتاجون إليه[1].

١٨٠٠ـ (م): جابرٌ رضي الله عنه: «ابدأْ بنفسِكَ فتصدَّقْ عليها، فإنْ فضَلَ شيءٌ فلأهلِكَ، فإن فضلَ عن أهلِكَ شيءٌ فلِذي قرابتِكَ، فإنْ فضَلَ عن ذِي قرابتِكَ، فهكَذا وهكَذا». [م: ٩٩٧]

قالهُ لأبي مَذكورٍ الأنصاريِّ حينَ أعتَقَ غلامًا لهُ عن دبُرٍ يُقالُ لهُ: يعقوبُ.

* قال: إنَّ رجلًا من الأنصارِ يقالُ له: أبو مذكورٍ، أعتَقَ غلامًا له عن دبُرٍ يقالُ له: يعقوبُ، فبلغَ ذلك رسولَ الله ﷺ، فقال: «**أَلكَ مالٌ غيرُه؟**»، قال: لا، فقال: «**مَن يشترِيهِ منِّي؟**» فاشتراه نُعيمُ بنُ عبدِ الله العدويُّ بثمانمئة درهمٍ، فجاء بها إلى رسولِ الله ﷺ فدفعها إليه، ثمَّ قال: «**ابدَأْ بنَفْسِكَ...**» إلى آخره.

قولُه: (**أعتَقَ غلامًا لهُ عن دبُرٍ**) معناه: دبَّرَه، وهو أن يقولَ: دبَّرتُك، أو مدبَّرٌ، أو حرٌّ بعد موتي، وأمثالَ ذلك، واختلفَ العلماءُ في جوازِ بيعِهِ، فذهب مجاهدٌ والحسنُ البصريُّ وطاوسٌ والشَّافعيُّ[2] وأحمدُ[3] وإسحاقُ[4] إلى جوازه، وهو قولُ عائشةَ رضي الله عنها، وظاهرُ الحديثِ حُجَّةٌ لهم.

---

(١) انظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير (٣/ ٣٢١).

(٢) انظر: «الحاوي الكبير» للماوردي (١٨/ ١٠٢).

(٣) انظر: «المغني» لابن قدامة (١٤/ ٤١٩).

(٤) انظر: «مسائل الإمام أحمد وإسحاق بن راهويه» (٨/ ٤٤٤٢).

وذهبَ أبو حنيفةَ وأصحابُه[١] ومالكٌ[٢] والثَّوريُّ والأوزاعيُّ والحسنُ بن صالحٍ إلى عدمِهِ في التَّدبيرِ المطلقِ[٣]؛ لقوله عليه السَّلام: «المدبَّر لا يُباعُ، ولا يوهَبُ»[٤].

وقد حكى مالكٌ إجماعَ أهل المدينةِ على منعِ بيعِ المدبَّرِ أو هِبَتِه[٥]، وأجاب عن هذا الحديثِ بأنَّها قضيةٌ معيَّنةٌ، فيحتمِلُ أن يكونَ بيعُه في دَينٍ سابقٍ على التَّدبيرِ، ويشهدُ لذلك قولُه: (لم يكُنْ له مالٌ غيرُه)، ومباشرةُ النَّبيِّ عليه السَّلام البيعَ بنفسِه، فكأنَّه باعَه عليه السَّلام بالحُكمِ للغُرماءِ[٦].

ورُدَّ: بأنَّه إنَّما باعَه لنفقةِ السَّيِّدِ على نفسِهِ، ويشهدُ بذلك: «**ابدَأْ بنفسِك فتصدَّقْ عليها**»، وهو واضحٌ.

وأجابَ عنه أبو حنيفةَ وأصحابُه بالحملِ على المدبَّرِ المقيَّد، وهو أن يقولَ: إن مُتُّ مِن مرضِي هذا أو من سَفرِي هذا، فأنت حرٌّ[٧]، وهو قريبٌ.

وقولُه: (**ابدأ بنفسِكَ فتصدَّقْ عليها**) فيه الابتداءُ في النَّفَقة بالمذكورين على التَّرتيبِ.

---

(١) انظر: «بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع» للكاساني (٤/ ١٢٠).

(٢) انظر: «التلقين في الفقه المالكي» للقاضي عبد الوهاب (٢/ ٢٠٧).

(٣) انظر: «الإشراف على مذاهب العلماء» لابن المنذر (٧/ ٥٥).

(٤) رواه الدارقطني في «سننه» (٤٢٦٤)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٢١٥٩٥) من حديث ابن عمر رضي الله عنه. ورجَّحا وقفه على ابن عمر.

(٥) انظر: «الجامع لمسائل المدونة» لابن يونس الصقلي (٧/ ٨٤٤).

(٦) انظر: «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» لأبي العباس القرطبي (٤/ ٣٥٩).

(٧) انظر: «المبسوط» للسرخسي (٧/ ١٧٩).

وفيه: أنَّ الحقوقَ والفضائلَ إذا تزاحمت قُدِّمَ الأوكدُ فالأوكد.

١٨٠١ـ (ق): أمُّ عطيَّةَ رضي الله عنها: «ابدأْنَ بميامنِها ومواضِعِ الوضُوءِ منها».

[خ: ١٦٥] [م: ٩٣٩]

قالهُ للنِّساءِ اللَّاتي غسَّلْنَ ابنتَهُ، وهي زينَبُ زوجَةُ أبي العاصِ بنِ الرَّبيعِ، وكانَتْ أكبرَ بناتِهِ.

*معناه ظاهرٌ، وعنها قالتْ: دخلَ علينا رسولُ الله ﷺ ونحن نغسِّلُ ابنتَه، فقال: **«اغسِلْنَها ثلاثًا، أو خمسًا، أو أكثرَ من ذلك إن رأيتُنَّ ذلك بماءٍ وسِدْرٍ، واجعلْنَ في الآخرةِ كافورًا أو شيئًا من كافورٍ، فإذا فرَغتُنَّ فآذِنَّني»**، فلمَّا فرَغْنا آذنَّاه، فألقى إلينا حِقوَه فقال: **«أشعِرْنَها إيَّاه»**.

وفي لفظٍ: «اغسِلنَها وترًا ثلاثًا، أو خمسًا، أو سبعًا، أو أكثرَ من ذلك إن رأيتُنَّ»(١).

قيل: وحاصلُه أنَّ الإيتارَ مأمورٌ به، والتَّثليثَ مندوبٌ إليه أوَّلًا، فإن حصلَ الإنقاءُ بها لم يُشرَعِ الزِّيادةُ، وإلَّا زيدَ حتَّى يحصلَ الإنقاءُ، ويُندَبُ كونُها وِترًا(٢).

وقولُه: **(إن رأيتُنَّ ذلك)** ليس معناه التَّفويضَ إلى رأيهنَّ، وإنَّما معناه: إن احتجْنَ إلى ذلك.

وفيه: استحبابُ السِّدرِ في غسلِ الميتِ، وفيه: استحبابُ الكافور، وهو إنَّما يُجعَلُ على مساجدِهِ.

---

(١) وهي رواية مسلم (٩٣٩).

(٢) انظر: «شرح النووي على مسلم» (٧/ ٢).

وقولها: (**فألقى إلينا حِقوَه**) أي: إزارَه[١].

وقولُه عليه السَّلام: (**أشعِرْنها إياه**) أي: اجعَلْنَه شعارًا لها، وهو الثَّوبُ الذي يلي الجسدَ، وإنما فعلَ ذلك تبرُّكًا، فيكونُ فيه دليلٌ على التَّبرُّكِ بآثارِ الصَّالحين.

واستدلَّ بعضُهم به على أنَّ النِّساءَ أحقُّ بغَسلِ الميتِ من زوجِها، ورُدَّ: بأنَّه لم يثبُتْ أنَّ زوجَها كان حاضرًا[٢].

واستدلَّ بعضٌ على عدمِ وجوبِ الغُسلِ على مَن غسَّلَ ميتًا، حيثُ لم يُعلِمْهنَّ بذلك، وأوجبَ أحمدُ وإسحاقُ الوضوءَ منه[٣]، والذي رويَ عن أبي هريرةَ: «مَن غسَّلَ ميتًا فليغتسِلْ، ومَن مسَّه فليتوضَّأْ»[٤] ضعيفٌ بالاتِّفاقِ.

وهذه البنتُ هي زينبُ، كما ذكره المصنِّفُ، وقال بعضُ أهلِ السِّيرِ: هي أمُّ كلثومٍ[٥]، والصَّوابُ الأوَّلُ.

---

(١) انظر: «المحيط في اللغة» للصاحب بن عباد (٣/ ١٣٣).

(٢) انظر: «شرح النووي على مسلم» (٧/ ٥).

(٣) انظر: «المغني» لابن قدامة (١/ ٢٥٦)، و«الأوسط في السنن والإجماع والاختلاف» لابن المنذر (٥/ ٣٥٠).

(٤) رواه الترمذي (٩٩٣)، وأحمد في «مسنده» (٩٨٦٢)، وابن الجعد في «مسنده» (٢٧٥٤)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (١١١٥٣)، والبزار في «مسنده» (٧٩٩٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا بلفظ: «من غسَّل ميِّتًا، فليغتسل، ومن حمله فليتوضَّأ».
وروى صدره ابن ماجه (١٤٦٣).

(٥) وهو ما وقع عند ابن ماجه (١٤٥٨).

١٨٠٢ـ (ق): أبـو ذرٍّ رضـي الله عنـه: «أبـرِدْ أبـرِدْ، أو قـالَ: انتظِـرْ انتظِـرْ». [خ: ٥١١] [م: ٦١٦]

قالهُ للمُؤذِّن بالظُّهرِ.

* وقد تقدَّمَ الكلامُ عليه في البابِ الثَّاني في قولِه عليه السَّلام[1]: «إنَّ شِدَّةَ الحرِّ من فيحِ جهنَّمَ».

١٨٠٣ـ (خ): أبو هُريرة رضي الله عنه: «أبرِدوا بالصَّلاةِ؛ فإنَّ شدَّةَ الحرِّ من فيحِ جهنَّمَ». [خ: ٥١٠]

* وقد تقدَّم أيضًا فيه.

١٨٠٤ـ (ق): كعبُ بنُ مالكٍ رضي الله عنه: «أبشِرْ بخيرِ يومٍ مرَّ عليكَ منذُ ولدَتْكَ أمُّكَ». [خ: ٤١٥٦] [م: ٢٧٦٩] **قالهُ لهُ.**

*وقد تقدَّم الكلامُ عليه في الباب الخامس في قوله عليه السَّلام[2]: «ما خلَّفَك...».

١٨٠٥ـ (ق): عَمرو بنُ عوفٍ رضي الله عنه: «أبْشِروا وأمِّلوا ما يسُرُّكُم، فواللهِ ما الفقرَ أخشَى عليكُم، ولكنِّي أخشَى عليكُمْ أنْ تُبْسَطَ الدُّنيا عليكُم كما بُسِطَتْ

---

(١) تقدم برقم: (٣٤١).

(٢) تقدم برقم: (٩٤٦).

على مَن كانَ قبلَكُم، فتَنافَسُوها كما تنافَسُوها، وتُهلِكَكم كما أهلكَتْهُم»، **ويُروى: «وتُلهيَكم كما ألهَتْهُمْ**». [خ: ٦٠٦١] [م: ٢٩٦١]

* قال: بعثَ رسولُ الله ﷺ أبا عبيدةَ بنَ الجرَّاح إلى البحرين يأتي بجزيتها، وكان رسولُ الله ﷺ صالحَ أهلَ البحرين، وأمَّرَ عليهم العلاءَ بنَ الحضرميِّ، فقدِمَ أبو عبيدةَ بمالٍ من البحرين، فسمعَتِ الأنصارُ بقدوم أبي عبيدةَ، فوافَوا صلاةَ الفجرِ مع رسولِ الله ﷺ، فلمَّا صلَّى رسولُ الله ﷺ انصرفَ، فتعرَّضوا له، فتبسَّمَ رسولُ الله ﷺ حين رآهم، ثمَّ قال: «**أظنُّكم سمعتُم أنَّ أبا عبيدةَ قدِمَ بشيءٍ من البحرين**»، فقالوا: أجل يا رسولَ الله، قال: «**فأبشروا...**» إلى آخرِه.

قولُه: (**فوافَوا صلاةَ الفَجرِ**) أي: جاؤوا واجتمعوا عند صلاةِ الصُّبحِ؛ ليقسِمَ بينهم ما جاءَ به أبو عبيدةَ؛ لأنَّه أرهقَتهمُ الحاجةُ والفاقةُ التي كانوا فيها، لا الحرصُ على الدُّنيا، ولا الرَّغبةُ فيها تموُّلًا، ولذلك قال عليه السَّلام: «**أبشِرُوا وأمِّلوا ما يَسُرُّكم**»؛ تهوينًا منه عليه السَّلام عليهم ما هم فيه من الشِّدَّةِ، وبشارةً لهم بتعجِيلِ الفتحِ.

و(مَا) في قولِه: (**مَا يَسُرُّكم**) موصُولةٌ، منصوبٌ بـ(**أمِّلوا**).

و(**الفقرَ**) منصوبٌ بـ(**أخشَى**) تقدَّمَ عليه، وفيه إشارةٌ إلى أنَّ الفقرَ(١) أقربُ إلى السَّلامةِ، والاتِّساعَ في الدُّنيا أقربُ إلى الهلاكِ والتَّنافسِ التَّحاسدِ.

و(**تنافسُوا**) أصلُهُ: تتنافسُوا، حُذِفَ إحدى التَّاءين.

وقولُه: (**وتُلهيَكُم كمَا ألهتْكُم**) أي: تُشغلَكم عن أمورِ دينِكُم، وعن الاستعدادِ لآخرتِكُم.

---

(١) في (م): «الفقير».

١٨٠٦ـ (ق): عائشةُ رضي الله عنها: «أبشِري يا عائشَةُ، أمَّا اللهُ فقَد برَّأكِ». [خ: ٤٤٧٩] [م: ٢٧٧٠]

* وقد تقدَّمَ الكلامُ عليه في هذا البابِ الخامس في قولِه[(١)]: «يا معشرَ المسلمينَ؛ مَن يعذِرُني من رجلٍ بلغَنِي أذاهُ في أهلِ بيتِي؟».

١٨٠٧ـ (م): أنسٌ رضي الله عنه: «أبصِروها، فإنْ جاءَتْ به أبيَضَ سَبِطًا قَضيءَ العَينَيـنِ، فهُو لهلَالِ بنِ أُميَّةَ، وإنْ جاءَتْ بِهِ أكحَلَ جَعْدًا حَمْشَ السَّاقِينِ، فهُو لشَرِيكِ بنِ سَحْماءَ». [م: ١٤٩٦]

* عن ابنِ سيرين، قال: سألتُ أنسَ بنَ مالكٍ رضي الله عنه وأنا أرى أنَّ عنده منه عِلْمًا، فقال: إنَّ هلالَ بنَ أميةَ قذفَ امرأتَه لشَريك بنِ سحماءَ، وكان أخا البراء بنِ مالكٍ لأمِّه، وكان أوَّلَ رجلٍ لاعنَ في الإسلام، فلاعنَها، فقال النَّبيُّ عليه السَّلام: «**أبصِرُوها...**» إلى آخرِه.

(**سحماءَ**) بسينٍ مفتوحةٍ مهملةٍ، وحاءٍ مهملةٍ ساكنةٍ بالمدِّ.

والسِّبطُ: تامُّ الخَلقِ، **والجعدُ** قد تقدَّم معناه[(٢)].

و(**حمشَ السَّاقين**) بحاءٍ مهملةٍ مفتوحةٍ، ثمَّ ميمٍ ساكنةٍ، ثمَّ شينٍ معجمةٍ؛ أي: دقيقَهما[(٣)].

---

(١) تقدم برقم: (١٠٢٥).

(٢) تقدم برقم: (١٣٦٦).

(٣) انظر: «الفائق في غريب الحديث» للزمخشري (١/ ٣١٩).

و(قضيءَ العينين) مهموزٌ ممدودٌ، على وزنِ فعيلٍ، بالضَّاد المعجمة، ومعناه: الفاسد بكثرةِ الدُّموع أو الحُمرةِ أو غيرِ ذلك.

١٨٠٨ـ(خ): أبو هُريرةَ رضي الله عنه: «ابغِني أحجارًا أستنفِضُ بها، ولا تأتِني بعظمٍ ولا رَوثٍ». [خ: ١٥٤]

* قال: اتَّبعتُ النَّبيَّ عليه السَّلام وخرجَ لحاجتِهِ، وكان لا يلتفتُ، فدنوتُ منه، فقال: «**ابغني أحجارًا أستنفضُ بها أو نحوه، ولا تأتني بعَظْمٍ ولا رَوثٍ**»، فأتيتُه بأحجارٍ بطرفِ ثوبي، فوضعتُها إلى جنبِهِ، وأعرضْتُ عنه، فلمَّا قضَى أتبعَه بهنَّ.

قولُه: (**اتَّبعتُ النَّبيَّ عليه السَّلام**) أي: لحقتُهُ، وهو رباعيٌّ، يقال: «اتَّبعتُه»: إذا سبقكَ ولَحِقتَه، وتبعتُه أتبعُه، إذا مشيتَ خلفَه، أو مرَّ بك، فمضيتَ معه.

وقولُه: (**ابغِني**) بهمزةِ الوصلِ، معناه: اطلُبْ لي، فإذا قطعتَ الهمزةَ فمعناه: أعنِّي على الطَّلبِ(١). وفي «الصِّحاحِ»: بغيتُ الشَّيءَ: طلبتُه، وبغيتُكَ الشَّيءَ: طلبتُه لك، وأبغيتُكَ الشَّيءَ: جعلتُكَ طالبًا له(٢).

وقولُه: (**أستنفِضُ بهَا**) أي: أستنجِي، وهو مأخوذٌ من النَّفضِ، وهو إزالةُ الشَّيءِ عن نفسِهِ(٣)، وإنَّما نهى عن العَظمِ؛ لأنَّه طعامُ الجنِّ، وعن الرَّوثِ؛ لأنَّه يزيدُ في النَّجاسةِ.

---

(١) انظر: «أعلام الحديث شرح صحيح البخاري» للخطابي (١/ ٢٤٦).

(٢) انظر: «الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية» للجوهري (٦/ ٢٢٨٢).

(٣) انظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير (٥/ ٩٧).

والاستنجاءُ سنَّةٌ عندَ أبي حنيفةَ وأصحابِه[١]، وقال الشَّافعيُّ[٢] وأحمدُ[٣] وأبو ثورٍ: إنَّه فرضٌ[٤]، وموضعُ ذلك فروعُ الفقه.

١٨٠٩ـ (خ): أمُّ خالدٍ بنتُ سعيدِ بنِ العاصِ، وقيل: بنتُ خالدِ بنِ سعيدٍ رضي الله عنها: «أَبْلي وأَخْلِقي، ثمَّ أَبْلي وأَخْلِقي، ثمَّ أَبْلي وأَخْلِقي». [خ: ٢٩٠٦]

* قالت: أُتيَ رسولُ الله بثيابٍ فيها خميصةٌ سوداءُ صغيرةٌ، فقالَ: «**مَن ترونَ نكسوه هذه الخميصةَ؟**»، فأسكَتَ القومُ، فقال: «**ائتوني بأمِّ خالدٍ**»، فأُتيَ بي رسولُ الله ﷺ، فألبسَها بيده، ثمَّ قال: «**أبلِي وأخلِقي**» مرَّتين، فجعلَ ينظرُ إلى علَمِ الخميصةِ ويشيرُ بيدِه إليَّ ويقولُ: «**يا أمَّ خالدٍ؛ هذا سنا**»، والسَّنا بلسانِ الحبشةِ: الحسنُ.

وقد تقدَّمَ الكلامُ عليه في الباب الخامس في قوله عليه السَّلام[٥]: «يا أمَّ خالد».

١٨١٠ـ (م): عبدُ اللهِ بنُ عمروٍ رضي الله عنه: «اتَّقوا الشُّحَّ؛ فإنَّ الشُّحَّ أهلَكَ مَن كانَ قبلَكُمْ». [م: ٢٥٧٨]

---

(١) انظر: «الجوهرة النيرة على مختصر القدوري» لأبي بكر الحداد (١/ ٤٠).

(٢) انظر: «الحاوي الكبير» للماوردي (١/ ١٥٩).

(٣) انظر: «المغني» لابن قدامة (١/ ٢٠٦)، و«التذكرة في الفقه على مذهب الإمام أحمد» لأبي الوفاء ابن عقيل (ص: ٣٥).

(٤) انظر: «التمهيد» لابن عبد البر (٧/ ١٤٨).

(٥) تقدم برقم: (١٠٤٨).

* (**الشُّحَّ**) هو البخلُ الشَّديدُ، وقيل: هو البخلُ مع الحرصِ، وقيل: البخلُ في أفراد الأمورِ، والشُّحُّ عامٌّ، وقيلَ: البخلُ في المالِ والمعروفِ(١).

١٨١١ـ (م): أبو هُريرةَ رضي الله عنه: «اتَّقوا اللَّاعنَينِ، قالوا: وما اللَّاعنانِ؟ قال: الذي يتخلَّى في طريقِ النَّاسِ، أو في ظلِّهم». [م: ٢٦٩]

* (**اتَّقوا اللَّاعنَينِ**) أي: الأمرينِ الباعثينِ على اللَّعنِ، جعلَهما لاعنَين؛ لأنَّهما سببانِ لذلك، فكانت إسنادًا مجازيًّا، كما في: بنى الأميرُ المدينةَ.

و(**يتخَلَّى**) مِن الخَلاءِ، وهو قضاءُ الحاجةِ. قيل: في الكلامِ محذوفٌ؛ أي: تخلِّيَ الذي يتخلَّى؛ ليطابقَ الجوابُ السُّؤالَ.

١٨١٢ـ (ق): عائشةُ رضي الله عنها: «اتَّقوا النَّارَ ولو بشقِّ تمرةٍ». [خ: ١٣٥١] [م: ١٠١٦](٢).

* وقد تقدَّم الكلامُ عليه في البابِ الأوَّلِ في قوله عليه السَّلام(٣): «مَنِ استطاعَ منكُم أن يتَّقيَ النَّارَ بشقِّ تمرةٍ فليفعل».

١٨١٣ـ (خ): أنسٌ رضي الله عنه: «أتمُّوا الرُّكوعَ والسُّجودَ، فوالَّذِي نَفسِي بيدِهِ، إنِّي لأراكُم مِن بَعدِ ظَهرِي إذا مَا ركعتُمْ، وإذا ما سجَدتُم». [خ: ٦٢٦٨]

---

(١) انظر: «لسان العرب» لابن منظور (٢/ ٤٩٥).

(٢) قلت: رواه عن عديٍّ بن حاتم، لا عن عائشة رضي الله عنهما.

(٣) تقدم برقم: (٢٢).

* إنَّما خصَّ الرُّكوعَ والسُّجودَ؛ لأنَّ الإخلالَ يقعُ غالبًا فيهما.

وقولُه: (فوالَّذي نَفسِي بيدِهِ، إنِّي لأراكُم مِن بعدِ ظهري) تقدَّمَ الكلامُ عليه في الباب الخامسِ في قوله عليه السَّلام[1]: «يا فلان؛ ألا تُحسِنُ صلاتَك؟».

وقولُه: (إذا ما): (ما) زائدةٌ في الموضعين.

١٨١٤ـ (خ): أنسٌ رضي الله عنه: «اثبُتْ أُحُدُ، فإنَّما عليكَ نبيٌّ وصِدِّيقٌ وشهيدانِ».

ويُروى: «فما عليكَ إلَّا نبيٌّ، أو صدِّيقٌ، أو شهيدٌ، وكانَ عليه النَّبيُّ ﷺ، وأبو بكرٍ، وعمرُ، وعثمانُ رضي الله عنهم». [خ: ٣٤٧٢]

* قال: صعِدَ النَّبيُّ عليه السَّلامُ أُحُدًا، ومعه أبو بكرٍ وعمرُ وعثمانُ، فرجفَ، فقالَ رسولُ الله ﷺ: «**اثبُتْ أُحُدُ**»، أظنُّه قالَ: (فضربَه برِجلِه)، وذكرَ الحديثَ.

وفيه معجزةٌ للنَّبيِّ عليه السَّلام بالإخبارِ عن الغيبِ من كونهما شهيدَين، وفيه: بيانُ فضيلةِ هؤلاء، وفيه: بيانُ ترتيبِ مراتبهم.

١٨١٥ـ (ق): أبو هُريرةَ رضي الله عنه: «أَجِبْ عنِّي، اللَّهُمَّ أيِّدهُ بروحِ القُدُسِ».

[خ: ٤٤٢] [م: ٢٤٨٥]

قالهُ لحسَّانَ بنِ ثابتٍ رضي الله عنه.

(١) تقدم برقم: (١٠١٢).

* وقد تقدَّمَ الكلامُ عليه في البابِ الخامسِ في قولِه عليه السَّلام[1]: «يا حسَّانُ، أجِبْ».

١٨١٦ـ (ق): أبو هُريرةَ رضي الله عنه: «اجتَنبوا السَّبعَ الموبقاتِ، قالوا: يا رسولَ اللهِ؛ وما هُنَّ؟ قال: الشِّركُ باللهِ، والسِّحرُ، وقتلُ النَّفسِ التي حرَّمَ اللهُ إلَّا بالحقِّ، وأكلُ الرِّبا، وأكلُ مالِ اليتيمِ، والتَّولِّي يومَ الزَّحفِ، وقذفُ المحصَناتِ المؤمناتِ الغافِلاتِ». [خ: ٢٦١٥] [م: ٨٩]

* وقد تقدَّمَ الكلامُ عليه في البابِ السَّابعِ في قولِه عليه السَّلام[2]: «الكبائرُ ثلاثٌ».

١٨١٧ـ (ق): ابنُ عُمرَ رضي الله عنه: «اجعلوا آخرَ صَلاتِكُم باللَّيلِ وترًا». [خ: ٩٥٣] [م: ٧٥١]

* معناه ظاهرٌ، والأمرُ للاستحبابِ؛ لأنَّه لو كان للإيجابِ وقد أوترَ رجلٌ في أوَّلِ اللَّيلِ، ثمَّ تنفَّلَ، فإمَّا أن يعيدَ الوترَ، أو لا، ولا سبيلَ إليهما، أمَّا الأوَّلُ؛ فلأنَّه يلزمُ وتران في ليلةٍ واحدةٍ، وذلك منهيٌّ عنه؛ لقولِه عليه السَّلام: «لا وتران في ليلةٍ»[3]، وأمَّا الثَّاني؛ فلأنَّه لم يكن آخرُ صلاتِه وترًا، بل كان الوسطُ وترًا، فتعيَّنَ الاستحبابُ.

---

(١) تقدم برقم: (٩٩٧).

(٢) تقدم برقم: (١٣٢٣).

(٣) رواه أبو داود (١٤٣٩)، والترمذي (٤٧٠)، والنسائي (١٦٧٩)، وابن حبان في «صحيحه» (٢٤٤٩) من حديث طلق بن علي رضي الله عنه.

١٨١٨ـ (ق): ابنُ عُمرَ رضي الله عنه: «أجيبُوا هذِهِ الدَّعوةَ إذَا دُعِيتُم لها».
[خ: ٤٨٨٤] [م: ١٤٢٩]

* وقد تقدَّم عليه في الباب الرَّابع في قوله[1]: «إذا دُعيَ أحدُكم فليُجِبْ».

١٨١٩ـ (خ): عُروةُ بن الزُّبيرِ رضي الله عنه: «احبِسْ أبا سفيانَ عندَ حَطْمِ الجبلِ حتَّى ينظُرَ إلى المسلمينَ». [خ: ٤٠٣٠]

قالهُ للعبَّاسِ بنِ عبدِ المطَّلبِ يومَ الفتحِ، كذا وقعَ مُرسَلًا هو من حديثِ عائشةَ، عنِ النَّبيِّ ﷺ.

* وقد تقدَّم الكلامُ عليه في أوَّلِ هذا الباب في قوله عليه السَّلام[2]: «كذبَ سعدٌ».

١٨٢٠ـ (م): المقدادُ رضي الله عنه: «احْثوا في وجوهِ المدَّاحينَ التُّرابَ».
[م: ٣٠٠٢]

* وقد تقدَّم الكلامُ عليه في الباب السَّادس في قولِه[3]: «لقد أهلكتُم أو قطعتُم ظهرَ الرَّجلِ»، والمرادُ بِحَثْوِ التُّراب: الخيبةُ والحرمانُ، كما يقالُ للخائب: لم يجعلْ في يدِه غيرَ التُّرابِ.

---

(١) تقدم برقم: (٨٠٢).
(٢) تقدم برقم: (١٧١٧).
(٣) تقدم برقم: (١٢٣٣).

فإن قيل: هذا مخالفٌ لما رويَ أنَّ رسولَ الله ﷺ كان يُمدَحُ بالشِّعرِ ويسمعُه، ويَصِلُ الشَّاعرَ.

أُجيبَ: بأنَّ مدحَه كلَّه كان صدقًا يُثابُ الشَّاعرُ عليه، فيكونُ مَحمل هذا الحديثِ ما إذا تكلَّفَ الشَّاعرُ في مدحِ إنسانٍ وإطرائهِ، ويُلبِسُ الممدوحَ ما ليس فيه.

١٨٢١ـ (م): أبو هُريرةَ رضي الله عنه: «احشُدوا؛ فإنِّي سأقرأُ عليكُم ثُلثَ القُرآنِ، فحَشدَ مَن حشَدَ، ثمَّ خرجَ فقرأ: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾». [م: ٨١٢]

* وتمامُه: ثمَّ دخلَ، فقالَ بعضُنا لبعضٍ: إنِّي أرى هذا خيرًا جاءَ من السَّماءِ، فذلك الذي أدخلَه، ثمَّ خرجَ نبيُّ اللهِ، فقالَ: «**إنِّي قلتُ لكُم سأَقْرأُ عليكُم ثُلُثَ القرآنِ، ألَا إنَّها تعدِلُ ثُلُثَ القرآنِ**».

وقولُه: (**احشُدوا**) أي: اجتمعوا، والحشدُ: الجماعةُ. وقولُه: (**فحَشدَ مَن حشَدَ**) أي: اجتمعَ مَنِ اجتمع.

وقولُه: (**تعدلُ ثلثَ القرآنِ**) قد تقدَّم الكلامُ عليه في الباب الثاني في قولِه عليه السَّلام[1]: «إنَّ اللهَ جزَّءَ القرآنَ ثلاثةَ أجزاءٍ»، وقد ذكرتُ أيضًا ذلك في رسالةٍ في «لطائف سورةِ الإخلاصِ».

١٨٢٢ـ (م): أبو قتادةَ رضي الله عنه: «احفَظْ عليكَ مِيضأَتَكَ، فسيكونُ لها نَبأٌ». [م: ٦٨١]

قالهُ لهُ سَحَرَ ليلةِ التَّعريسِ.

(١) تقدم برقم: (٢٥٦).

* وقد تقدَّمَ الكلامُ عليه في البابِ الثَّاني في قولِه عليه السَّلام[1]: «إنَّكم تسيرون».

١٨٢٣ـ (خ): جابرٌ رضي الله عنه: «أخْبِر ذلكَ ابنَ الخطَّابِ». [خ: ٢٢٦٦]
قالهُ لجابرٍ لمَّا أخبَرهُ بقضاءِ دَينِهِ.

* عن وهبِ بنِ كَيسانَ، عن جابرٍ: أنَّه أخبرَه أنَّ أباه توفِّي وتركَ عليه ثلاثين وَسْقًا لرجلٍ من اليهودِ، فاستنظره جابرٌ، فأبى أن يُنظِرَه، فكلَّم جابرٌ رسولَ الله ﷺ يشفعُ إليه، فجاءه رسولُ الله ﷺ، فكلَّمَ اليهوديَّ ليأخذَ ثمرَ نخلةٍ بالذي له، فأبى، فدخلَ رسولُ الله ﷺ يمشي فيها، ثمَّ قال لجابرٍ: «**جُذَّ له فأَوفِ الَّذي له**»، فجذَّه بعد ما رجعَ رسولُ الله، فأوفاه ثلاثينَ وَسْقًا، وفضَلَتْ له سبعةَ عشَرَ وَسْقًا، فجاءَ جابرٌ إلى رسولِ الله ﷺ ليُخبرَه بالذي كانَ، فوجدَه يصلِّي العصرَ، فلمَّا انصرَفَ أخبرَه بالفضلِ، فقالَ: «**أخبِرْ بذلك ابنَ الخطَّابِ**»، فذهبَ جابرٌ إلى عمرَ، فأخبرَه، فقالَ له عمرُ: لقد علمتُ حين مشى فيها رسولُ الله ليُبارَكنَّ فيها، وإنَّما سألَه في قَبولِ تمرِ الحائطِ؛ لأنَّ التَّمرَ كان أقلَّ من حقِّه.

وفيه: أنَّ الشَّفاعةَ في حطِّ بعضِ الدَّين جائزٌ.

وقولُه: (**جُذَّ له**) أي: اقطَعْ له. وفيه دلالةٌ على معجزةٍ ظاهرةٍ، وإنَّما أخبرَ بذلك عمرَ؛ ليزدادَ إيمانًا.

وفي روايةٍ: «**ائْتِ أبا بكرٍ وعمرَ فأخبِرْهما**»، فقالا: قد علِمْنا ذلك؛ إذ صنعَ رسولُ اللهِ ما صنعَ.

وأضافَ الدَّينَ إليه وإنْ كانَ لأبيه؛ لتوجُّهِ المطالبةِ.

---

(١) تقدم برقم: (٤٨٢).

١٨٢٤ـ (ق): عائشةُ رضي الله عنها: «ادْعِي لي أبَا بكرٍ أبَاكِ وأخَاكِ حتَّى أكتُبَ كتابًا؛ فإنِّي أخَافُ أنْ يتَمَنَّى مُتَمَنٍّ ويقولَ قائلٌ: أنا أَوْلى، ويأبَى اللهُ والمؤمنُونَ إلَّا أبَا بَكْرٍ». [خ: ٦٧٩١] [م: ٢٣٨٧]

* وقد تقدَّمَ الكلامُ عليه في البابِ السَّادسِ في قولِه عليه السَّلام(١): «لقد همَمْتُ أنْ أُرسلَ إلى أبي بكرٍ».

١٨٢٥ـ (ق): أنسٌ رضي الله عنه: «اذكرُوا اسمَ اللهِ، وليأكُلْ كلُّ رجلٍ ممَّا يليهِ». [خ: ٤٨٦٨] [م: ١٤٢٨]

* قالَ: كان النَّبيُّ ﷺ إذا مرَّ بجنَباتِ(٢) أمِّ سُلَيمٍ دخلَ عليها، فسلَّم عليها، قال: ثمَّ كان النَّبيُّ عليه السَّلام عروسًا بزينبَ، فقالت لي أمُّ سُلَيمٍ: لو أهدينا لرسولِ اللهِ هديَّةً، فقلتُ لها: افعلي، فعمَدتْ إلى تمرٍ وأقِطٍ وسمنٍ، فاتَّخذتْ حَيْسةً في بُرْمةٍ، فأرسلَتْ بها معي إليه، فانطلقتُ بها إليه، فقال لي: **«ضَعْها»**، ثمَّ أمرني فقال: **«ادعُ لي رجالًا»** سمَّاهم، **«وادعُ لي من لقيتَ»**، قالَ: ففعلتُ الذي أمرني، فرجعتُ فإذا البيتُ غاصٌّ بأهلِه، فرأيتُ النَّبيَّ عليه السَّلام وضعَ يدَه على تلك الحَيسةِ، وتكلَّمَ بما شاءَ اللهُ، ثمَّ جعلَ يدعو عشَرةً عشَرةً يأكلونَ منه، ويقولُ لهم: **«اذكروا اسمَ اللهِ، وليأكُلْ كلُّ رجلٍ ممَّا يليهِ»**، قال: حتى تصدَّعوا كلُّهم عنها، فخرجَ منهم مَن خرج، وبقيَ نفرٌ يتحدَّثون، قال: وجعلتُ أغتمُّ، ثمَّ خرج النَّبيُّ عليه السَّلام نحو الحُجُراتِ،

---

(١) تقدم برقم: (١٢٤٦).

(٢) في (ب): «بجناب».

وخرجتُ في أثَرِه، فقلتُ: إنَّهم قد ذهبُوا(١)، فدخل(٢) البيتَ، وأرخى السِّترَ، وإنِّي لَفي الحُجرةِ، وهو يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ﴾ [الأحزاب: ٥٣] الآية.

الجُنُبات: النَّواحي(٣)، ويجوز أنْ يكونَ مأخوذًا من الجنابِ، وهو الفِناءُ؛ يعني: إذا مرَّ بفِنائها.

والحَيسُ: تمرٌ وأقِطٌ وسمنٌ مجتمعٌ(٤).

وقولُه: (**فإذا البيتُ غاصٌّ بأهلِه**) أي: ممتلئٌ.

وقولُه: (**اذكُروا اسمَ اللهِ، وليأكلْ كلُّ رجلٍ ممَّا يليهِ**) إرشادٌ إلى آدابِ الأكلِ، فمنها:

التَّسميةُ: روى التِّرمذيُّ وأبو داودَ عن عائشةَ قالت: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «إذا أكلَ أحدُكم طعامًا فليقلْ: بسمِ اللهِ، فإنْ نَسي في الأوَّلِ، فليقلْ في الآخرِ: بسمِ اللهِ أوَّلَه وآخرَه»(٥).

ومنها: أكْلُ الإنسانِ ممَّا يليه إذا كان الطَّعامُ من جنسٍ واحدٍ.

ومنها: الحمدلةُ في آخرِه، ولم تُذكَرْ ههنا.

وفي الحديثِ بيانُ معجزةٍ لرسولِ اللهِ ﷺ في تكثيرِ الطَّعامِ، وإشباعِ خلقٍ

---

(١) في (ص) و(م) زيادة: «فرجع».

(٢) في (م): «فدخلوا».

(٣) انظر: «فتح الباري بشرح البخاري» لابن حجر (١/ ٩٩).

(٤) انظر: «جمهرة اللغة» لابن دريد (٣/ ١٢٧٠).

(٥) رواه أبو داود (٣٧٦٧)، والترمذي (١٨٥٨).

كثيرٍ من شيءٍ يسيرٍ؛ فإنَّه قد جاءَ في بعضِ الرِّواياتِ أَنَّهم كانوا زُهاءَ ثلاثمئةٍ[١].

والنَّفرُ: من الثَّلاثةِ إلى العشرةِ.

وفيه دلالةٌ على كرَمِ أخلاقِه، وحسنِ معاملتِه، وكثرةِ حيائه.

وقولُه تعالى: ﴿غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَىٰهُ﴾ [الأحزاب: ٥٣]؛ أي: منتظرينَ وقتَ نضجِه.

١٨٢٦ـ (ق): عائشةُ رضي الله عنها: «اذكرُوا أنتُم اسمَ اللهِ وكُلوا». [خ: ٦٩٦٣][٢]

* قالت: إنَّ قومًا قالوا للنَّبيِّ عليه السَّلام: إنَّ قومًا يأتونا باللَّحمِ لا ندري أَذَكَروا اسمَ اللهِ عليه أم لا، فقالَ الحديثَ.

قيل: المقصودُ أنَّ التَّسميةَ عند الذَّبحِ مستحبَّةٌ، كما أنَّها مستحبَّةٌ عند الأكلِ، وليس المقصودُ أنَّ تسميتكم الآن تنوبُ عن تسميةِ المذكِّي[٣].

وقيل: يحتملُ أنْ يستبيحوا بها أكلَ ما لم يعرفوا وجودَ الذِّكر عند الذَّبحِ إذا كان الذابحُ ممَّنْ تصحُّ ذبيحتُه إذا سمَّى؛ حملًا لحالِ المسلمينَ على الصِّحَّةِ والصَّلاحِ.

قال مالكٌ: كانَ هذا في أوَّلِ الإسلامِ[٤]، وقد رويَ ذلك مُبيَّنًا في حديثِ عائشةَ أنَّ الذَّابحينَ كانوا حديثي عهدٍ بالإسلامِ، فربَّما لم يعلموا أنَّ هذا شرعٌ، وأمَّا الآن فقد استبانَ ذلك حتَّى لا يوجدُ إلَّا مَن يعلم أنَّ التَّسميةَ شرطٌ، ولا يُظَنُّ بالمسلمين تعمُّدُ تركِها.

---

(١) وهي رواية مسلم (١٤٢٨) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) قلت: الحديث تفرَّد به البخاريُّ.

(٣) انظر: «كشف المشكل من حديث الصحيحين» لابن الجوزي (٤/ ٣٨٥).

(٤) انظر: «الموطأ/ رواية أبي مصعب الزهري» لمالك (٢١٤١).

وهذا يشيرُ إلى أنَّ تركَ التَّسميةِ مُحرِّمٌ للمذبوحِ إذا كان عمدًا، وهو مذهبُ أبي حنيفةَ وأصحابِه[١]، وكذا إذا كان نسيانًا عند مالكٍ[٢]، خلافًا لأبي حنيفةَ وأصحابِه[٣].

١٨٢٧ـ (ق): عائشةُ رضي الله عنها: «اذهبْ فاحْثُ في أفواهِهِنَّ مِنَ التُّرابِ».

[خ: ١٢٣٧] [م: ٩٣٥]

يعني: نساءَ جعفرِ بنِ أبي طالبٍ حينَ أكثرْنَ البكاءَ عليهِ.

قالهُ لرجُلٍ قالَ: لقد غلبْنَنا يا رسولَ اللهِ.

* قالت: لمَّا جاء رسولَ الله ﷺ قتلُ زيدِ بنِ حارثةَ، وجعفرِ بنِ أبي طالبٍ، وعبدِ الله بنِ رواحةَ، جلس رسولُ الله ﷺ يُعرَفُ في وجهِه الحزنُ، وأنا أنظرُ من صائرِ البابِ ـ شَقِّ البابِ ـ، فأتاه رجلٌ فقال: يا رسولَ اللهِ؛ إنَّ نساءَ جعفرٍ، وذكرَ بكاءَهنَّ، فأمرَ أنْ يذهبَ فينهاهنَّ، فذهب فأتاه، فذكر أنَّهنَّ لم يُطِعْنَه، فأمرَه الثَّانيةَ أنْ ينهاهنَّ، ثمَّ أتاه فقالَ: واللهِ لقد غلبْنَنا يا رسولَ اللهِ، قالتْ: فزعمتُ أنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ: «**اذهبْ فاحثُ في أفواههنَّ التُّرابَ**». قالت عائشةُ: فقلتُ: أرغمَ اللهُ أنفَك، واللهِ ما تفعلُ ما أمرَك رسولُ الله ﷺ، وما تركتَ رسولَ اللهِ من العناءِ، وفي روايةٍ: من العيِّ.

(شَقِّ البابِ) بفتحِ الشِّينِ: هو تفسيرُ **(صائرِ البابِ)**.

---

(١) انظر: «البناية شرح الهداية» للعيني (١٢/ ٥٩).

(٢) انظر: «الكافي في فقه أهل المدينة» (١/ ٤٢٨).

(٣) انظر: «شرح مختصر الطحاوي» للجصاص (٧/ ٢٣٢)، و«شرح صحيح البخاري» لابن بطال (٥/ ٣٨٠).

وإنَّما لم تُطعْ نساءُ جعفرٍ لأحدِ أمرين: إمَّا لأنَّ الرَّجلَ لم يصرِّحْ بأنَّ النبيَّ عليه السَّلام نهاهنَّ عن البكاءِ، فظنَنَّ أنَّه يعملُ ذلك من عنده حسبةً وإرشادًا إلى المصلحةِ، وإمَّا لأنَّ بكاءهنَّ كانَ بمجرَّد الدَّمعِ دونَ نوحٍ وصياحٍ، وكان النَّهيُ للتَّنزيهِ، ولهذا أصررْنَ على ذلك.

وقيل: بل كان البكاءُ بنَوحٍ وصياحٍ، والنَّهيُ كان للتَّحريم(١)، ولهذا كرَّرَه وبالغَ بالأمرِ بحثوِ(٢) التُّرابِ في أفواهِهنَّ، وفي هذا حملُ الصَّحابياتِ على التَّمادي في المحرَّمِ، والامتناعِ عن المنكرِ، وليس ذلك على ما ينبغِي.

وقيل: فيه دليلٌ على أنَّ المنهيَّ عن المنكَرِ إذا لم ينتهِ عوقبَ وأُدِّبَ إنْ أمكنَ(٣).

وقولُها: (أرغمَ اللهُ أنفَكَ...) إلى آخرِه، معناه: أنَّك قاصرٌ، لا تقوم بما أُمِرتَ به من الإنكارِ، ولا تُخبرُ النَّبيَّ بقُصورِك عن ذلك ليبعثَ غيرَك، ويستريحَ من العناءِ، وهو بالمدِّ: المشقَّةُ والتَّعبُ.

وقوله في الرواية الأخرى: (من العِيِّ)(٤) بكسر العينِ المهملةِ، وهو التَّعبُ، وهو بمعنى الأوَّلِ.

١٨٢٨ـ (ق): أبو هُريرةَ رضي الله عنه: «اذهَبْ فأطعِمهُ أهلَكَ». [خ: ٦٣٣٢] [م: ١١١١]

---

(١) انظر: «إكمال المعلم بفوائد مسلم» للقاضي عياض (٣/ ٣٧٨).

(٢) في (ك) و(ب): «يحثي».

(٣) انظر: «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» لأبي العباس القرطبي (٢/ ٥٨٩).

(٤) وهي رواية مسلم (٩٣٥).

يعني: عَرَقًا فيهِ تمرٌ. قالهُ للذي أصابَ أهلَهُ في رمضانَ.

* قال: جاء رجلٌ إلى النَّبيِّ ﷺ، فقال: هلكتُ يا رسولَ الله، قال: «وما أهلكَكَ؟»، قال: وقعتُ على أهلي في رمضانَ، فقال: «هل تجدُ ما تُعتِقُ رقبةً؟»، قال: لا، قال: «فهلْ تستطيعُ أنْ تصومَ شهرين متتابعين؟»، قال: لا، قال: «فهل تجدُ ما تُطعمُ ستِّينَ مسكينًا؟»، قال: لا، ثمَّ جلسَ، فأُتيَ النَّبيُّ عليه السَّلام بعَرَقٍ فيه تمرٌ، قال: «تَصَدَّقْ بهذا»، فقال: أعلى أفْقَرَ منَّا؟ فما بينَ لابَتَيْها أهلُ بيتٍ أحوجُ إليه منَّا، فضحِكَ النبيُّ عليه السَّلام حتى بدَتْ أنيابُه، ثمَّ قال: «اذهَبْ فأطعِمْهُ أهلَكَ».

العَرَقُ ـ بفتح العينِ المهملة وفتحِ الرَّاء ـ: مِكتلٌ من الخُوصِ، واحدُه: عَرَقةٌ، وهي صغيرةٌ تُجمَعُ إلى غيرها، فيصيرُ مكيلًا[1]. وقد رويَ فيه إسكانُ الرَّاءِ، وقيل: إنَّ العَرَقَ تَسَعُ خمسةَ عشرَ صاعًا[2].

واللَّابةُ قد تقدَّمَ معناها[3].

وضَحِكُ النبيِّ عليه السَّلام قيلَ: إنَّه يحتملُ معنيين:

أحدُهما: تباينُ حالَيْ الأعرابي حيث كان في الابتداءِ محترقًا متلهِّفًا، حاكمًا على نفسِه بالهلاك، ثمَّ انتقل إلى طلبِ الطَّعامِ لنفسه.

والثَّاني: التَّعجُّبُ من سَعةِ رحمةِ الله، وإحلالِ هذا الطَّعام له ولعياله بعد أنْ كُلِّفَ بإخراجه.

وفي الحديثِ دلالةٌ على عدَّةٍ من الأحكامِ الشَّرعيَّة:

---

(١) في (ك): «مكتلاً». انظر: «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (٧/ ١١٨).

(٢) انظر: «الاستذكار» لابن عبد البر (٣/ ٣٢١).

(٣) تقدم برقم: (٤٥).

فمنها: ما قيل: إنَّ مَن ارتكبَ معصيةً ليس فيها حدٌّ، وجاءَ مستفتيًا، لا يُعاقَبُ؛ لأنَّه عليه السَّلام لم يعاقبْه مع اعترافِه بالمعصيةِ إذ كان مستفتيًا[١].

ومنها: أنَّ قولَه: (**هل تجدُ رقبةً؟**) تفيدُ إيجابَ الكفَّارةِ على من جامعَ في نهار رمضانَ عند عامَّةِ العلماء إذا كان عامدًا، ونُقِلَ عن شرذمةٍ أنَّها لا تجبُ؛ إذ ليس في لفظه ما يدلُّ على الوجوب، ولأنَّها تسقطُ بالإعسار، وليس شيءٌ من الواجباتِ كذلك[٢].

وأُجِيبَ: بأنَّ السُّؤالَ عن هذه الأشياءِ المختلفة الحقائقِ على التَّرتيب يدلُّ على أنَّها واجبةٌ كذلك؛ فإنَّ التَّسويةَ بين أشياءَ مختلفةِ المقاديرِ بالزِّيادةِ والنُّقصانِ لا يُستَحبُّ في المستحبِّ، ولا نُسلِّم أنَّها تسقطُ بالإعسارِ، بل باليسار عند انعقادِ سببِ الوجوبِ شرطٌ، ولم يوجدْ، فلم تجبْ، لا أنَّها وجبتْ وسقطتْ بالإعسار، ولئنْ سلَّمناهُ لكنْ سقطَ تخصيصًا على خلافِ الأصلِ.

ومنها: ما استدَلَّ به بعضُ المالكية على أنَّها واجبةٌ في جماع النَّاسي؛ لأنَّه عليه السَّلام أوجبَها من غير فصلٍ بين العامد والنَّاسي[٣].

وأُجِيبَ: بأنَّ عدمَ انتقاضِ الصَّوم بوجود المفطراتِ نسيانًا كان معلومًا، وإذا لم ينتقضِ الصَّومُ لا تجبُ الكفَّارة لا محالةَ.

ومنها: أنَّ الخصالَ الثَّلاثَ جاريةٌ في كفَّارة الجماع، فهي حُجَّةٌ على مَن لا يرى فيها غيرَ الإطعام.

---

(١) انظر: «إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام» لابن دقيق العيد (٢/ ١٣).

(٢) انظر: «المعلم بفوائد مسلم» للمازري (٢/ ٥٢).

(٣) انظر: «إحكام الأحكام شرح عمد الأحكام» لابن دقيق العيد (٢/ ١٤).

ومنها: أنَّ الخصالَ المذكورةَ مترتِّبةٌ على التَّرتيب الواقعِ في الحديث، وممَّا يعضُدُه ما روى ابنُ ماجَه من قوله عليه السَّلام: «**أعتقْ رقبةً**»، قال: لا أجدُها، قال: «**فصُمْ شَهرينِ مُتَتابِعينِ**»[(١)]؛ فإنَّ الفاءَ للتَّرتيب والتَّعقيب.

ومنها: أنَّ الصيامَ شُرِطَ فيه التَّتابعُ.

ومنها: أنَّ إعتاقَ الرَّقبةِ الكافرةِ جائزٌ.

ومنها: أنَّ المصيرَ إلى الإطعامِ إنَّما هو إذا لم يستطعِ الصومَ، فهو حجَّةٌ على من يقولُ: شدَّةُ الشَّبَق وعدمُ الصَّبرِ عن الوقاع ممَّا يجوز المصيرُ إليه[(٢)].

ومنها: أنَّ الإطعامَ واجبٌ على العدد المذكور فيه، **ورُدَّ**: بأنَّه إنَّما يجب ذلك أنْ لو قُيِّدَ الإطعامُ على ستينَ مسكينًا بدَفعةٍ واحدةٍ، حتى لو أطعم في اليوم عشَرةً، ثمَّ أطعمهم غدًا كذلك، لم يخرُجْ عن العُهدةِ، وليس مقيَّدًا بذلك، فلو أطعمَ مسكينًا واحدًا ستِّين يومًا صدَقَ عليه أنَّه أطعمَ ستِّينَ مسكينًا.

ومنها: أنَّ الكفارةَ لم تجبْ عليه، عُلِمَ ذلك بطريقِ التَّبَيُّنِ؛ لأنَّه عليه السَّلام ما قال: (**أطعِمْه أهلَك**) إلَّا بعد أنْ ظهرَ له انتفاءُ الوجوبِ عند تحقُّقِ السَّببِ بانتفاءِ شرطِه، وهو القدرةُ الممكِّنةُ من الفعلِ كما في صدقة الفطرِ؛ فإنَّها لا تجبُ على المعسِرِ؛ لانتفاءِ القدرةِ، **ورُدَّ**: بأنَّه منسوخٌ، والكفَّارةُ واجبةٌ في الذِّمَّة إلى الميسَرة.

وأُجِيبَ: بأنَّه لا دليلَ على ذلك، وليس في الحديثِ ما ينصُّ على وجوبِها على المرأةِ، لكن لمَّا كان المناطُ ـ وهو الجنايةُ بهتكِ حرمةِ صومِ رمضانَ ـ موجودًا فيهما، أُلحِقَت بالرَّجل دلالةً.

---

(١) «سنن ابن ماجه» (٢٠٦٢) من حديث سلمة بن صخر البَياضيِّ.

(٢) انظر: «إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام» لابن دقيق العيد (٢/ ١٦).

وليس فيه أيضًا ما يدلُّ على وجوبِ القضاء وعدمِه، والسُّكوتُ عنه لا يدلُّ على عدمِه؛ لجواز أنْ يكونَ السُّكوتُ عنه لتقرُّره وظهورِه.

١٨٢٩ـ (ق): سهلُ بنُ سعدٍ رضي الله عنه: «اذهَبْ، فقَدْ مَلَّكْتُكَها بما معكَ مِن القرآنِ». [خ: ٤٧٤٢] [م: ١٤٢٥]

* وقد تقدَّم الكلامُ عليه في الباب الخامس في قوله عليه السَّلام[١]: «ما لي اليومَ في النِّساء من حاجةٍ».

١٨٣٠ـ (ق): عائشةُ رضي الله عنها: «اذهبوا بخميصَتي هذهِ إلى أبي جَهْمٍ، وأْتوني بأنْبِجانيَّةِ أبي جَهْمٍ؛ فإنَّها ألهَتْني آنفًا عَن صَلَاتِي». [خ: ٣٦٦] [م: ٥٥٦]

* قالت: صلَّى النَّبيُّ ﷺ في خَميصةٍ لها أعلامٌ، فنظرَ إلى أعلامِها نظرةً، فلمَّا انصرفَ قال: «**اذهبُوا...**» إلى آخرِه.

قد تقدَّم معنى الخميصَةِ[٢].

والأنبِجانيةُ: كساءٌ غليظٌ، وهي بفتحِ الهمزةِ وكسرِها، وكذلك الباءُ الموحَّدة تُكسَرُ وتُفتَحُ، وأمَّا الياء فتُخفَّفُ وتُشدَّدُ، وقيل: إنَّها كساءٌ بغير عَلَمٍ، فإنْ كان فيه عَلَمٌ فهو خميصَةٌ[٣].

---

(١) تقدم برقم: (٩٠٣).

(٢) تقدم برقم: (١٠٤٨).

(٣) انظر: «شرح النووي على مسلم» (٥/ ٤٣).

وفيه دليلٌ على جواز لُبسِ الثَّوب الذي فيه عَلَمٌ، وعلى أنَّ الفِكرَ غيرُ مفسدٍ للصَّلاة إذا لم يُفضِ إلى تَركِ ركنٍ لا يُمكنُ قضاؤُه.

وفيه دليلٌ على طلبِ الخشوعِ في الصَّلاةِ، ونفيِ ما يقتضِي شغلَ الخاطرِ بغيرِها.

وأمَّا بعثُه عليه السَّلام بها إلى أبي جَهْم، فلا يُعارِضُ نزعَه؛ لجوازِ أنَّه بعثَه للاستعمالِ في غيرِ الصَّلاةِ؛ كما قالَ في حلَّةِ عُطارِدٍ لعمرَ: «**إنِّي لم أكسُكَها لتلبَسَها**»(١).

وقيل: إنَّما أرسل عليه السَّلام إليه الخميصةَ؛ لأنَّه هو الذي كانَ أهداها للنَّبيِّ عليه السَّلام(٢)، فلمَّا ألهاه عَلَمُه؛ أي: شغلَه عن الصَّلاةِ بوقوعِ نظرِه إلى نقوشِ العَلَمِ وألوانِه، أو أنَّه تفكَّرَ عليه السلام في أنَّ مثل ذلك يُعمَلُ للرُّعونةِ التي لا تليقُ به، ردَّها إليه، واستبدلَ منه أنبجانيَّتَه؛ لئلَّا يتأذَّى بردِّها عليه.

وقد استنبطَ الفقهاءُ من هذا الحديثِ: كراهةَ كلِّ ما يشغلُ القلبَ عن الصَّلاةِ من الأصباغِ والنُّقوشِ، والصَّنائعِ المستطرَفةِ التي تُجعَلُ في المساجدِ؛ لوجودِ المناطِ فيه، وهو شغلُ القلبِ عن الصَّلاةِ.

١٨٣١ـ (ق): عِمرانُ بنُ حُصَينٍ رضي الله عنه: «اذهَبِي فأطعِمِي هذَا عِيالَكِ، واعلَمِي أنَّا لم نرْزَأْ مِن مائكِ». زاد البُخاريُّ: «شيئًا، ولكنَّ اللهَ أسقَانَا». [خ: ٣٣٧] [م: ٦٨٢]

قالهُ ضُحاءَ ليلةِ التَّعريسِ لذاتِ المزادتَينِ.

---

(١) رواه البخاري (٢٦١٢)، ومسلم (٢٠٦٨) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) انظر: «المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث» لأبي موسى المديني (١/ ٩٥).

*قال: كنتُ مع نبيِّ اللهِ في مسيرٍ له، فأدْلَجنا ليلتَنا، حتَّى إذا كانَ في وجهِ الصُّبحِ عرَّسْنا، فغلبتْنا أعينُنا، حتَّى إذا بزغتِ الشَّمسُ، قال: وكان أوَّلَ مَن استيقظَ منَّا أبو بكرٍ الصِّديقِ، وكنَّا لا نوقظُ نبيَّ الله من منامِه إذا نامَ حتى يستيقظَ، ثمَّ استيقظَ عمرُ، فقامَ عندَ نبيِّ الله عليه السَّلام، فجعلَ يكبِّرُ ويرفعُ صوتَه حتى استيقظَ رسولُ الله ﷺ، فلمَّا رفعَ رأسَه ورأى الشمسَ قد بزغَتْ، قال: «**ارْتحِلوا**»، فسارَ بنا حتى إذا ابيضَّتِ الشمسُ نزَلَ، فصلَّى بنا الغَداةَ، فاعتزلَ رجلٌ من القومِ لم يُصلِّ معنا، فلمَّا انصرفَ قال له رسولُ الله ﷺ: «**يا فلانُ؛ ما منعَكَ أنْ تصلِّيَ معنا؟**»، قال: يا نبيَّ اللهِ؛ أصابتْني جنابةٌ، فأمرَهُ رسولُ اللهِ ﷺ، فتيمَّم بالصَّعيدِ، فصلَّى، ثمَّ عجَّلني في ركبٍ لطلبِ الماءِ، وقد عطِشْنا عطشًا شديدًا، فبينما نحنُ نسيرُ إذا نحنُ بامرأةٍ سادلةٍ رِجلَيها بين مَزادتينِ، فقلْنا لها: أينَ الماءُ؟ فقالت: أَيْهاهْ أَيْهاهْ، لا ماءَ لكم، فقلتُ: فكمْ بين أهلِكِ وبين الماءِ؟ قالتْ: مسيرةُ يومٍ وليلةٍ، فقلتُ: انطلقي إلى رسولِ الله، فقالتْ: وما رسولُ اللهِ؟ فلم نُمَلِّكْها من أمرِها شيئًا حتى انطلقنا، فاستقبلْنا بها رسولَ اللهِ ﷺ، فسألَها، فأخبرتْه مثلَ الذي أخبرتْنا، وأخبرتْه أنَّها مؤتِمَةٌ لها صِبيانٌ أيتامٌ، فأمرَ براويتِها، فأُنيخَتْ فمَجَّ في العَزْلاوَيْنِ العُلْياوَيْنِ، ثمَّ بعثَ براوِيتِها، فشرِبْنا ونحن أربعون رجلًا عطاشًا حتى رَوينا، ومَلأْنا كلَّ قِرْبَةٍ كانت معنا وإداوةٍ، وغسَّلْنا صاحبَنا، غيرَ أنَّا لم نسْقِ بعيرًا، وهي تكادُ تنضرجُ من الماءِ؛ يعني: المزادَتَينِ، ثمَّ قالَ: «**هاتُوا ما عندَكُم**»، فجمعْنا لها مِنْ كِسَرٍ وتمرٍ، وصَرَّ لها صُرَّةً، وقالَ لها: «**اذهَبِي فأطعِمِي هذَا عِيالَكِ، واعْلَمِي أنَّا لم نرزَأْ مِنْ مائكِ**».

وفي رواية البخاريِّ: «**مِنْ مائكِ شيئًا، ولكنَّ اللهَ هوَ الَّذي أَسْقانا**».

فلمَّا أَتَتْ أهلَها قالت: لقد لقيتُ أسْحَرَ البشرِ، أو إنَّه لنبيٌّ كما زعمَ، كان مِنْ أمرِه ذَيْتَ وذَيْتَ.

فهدى اللهُ عزَّ وجلَّ ذلك الصِّرْمَ بتلكَ المرأةِ، فأسلمَتْ وأسلمُوا.

هذا لفظُ مسلمٍ، والحديثُ متفقٌ عليه.

وقد تقدَّمَ معنى الإدْلاجِ بسكون الدَّالِ وتشديدِها.

وبزوغُ الشَّمسِ: أوَّلُ طلوعِها، وإنَّما كانوا لا يوقظون النَّبيَّ ﷺ؛ مخافةَ أنْ يكونَ مشغولًا بإدراك الوحي.

وقوله: (سادِلَةٍ رِجليْها) أي: مُدَلِّيَةٍ[١]، والمرأةُ: معروفةٌ.

والمَزادَتانِ: حملُ البعير، وسُمِّيتْ مَزادةً؛ لأنَّه يُزاد فيها جلدٌ آخرُ[٢]. قال أبو عُبيدٍ: لا تكون إلَّا من جلدين، يُقام جلدٌ ثالثٌ بينهما ليتَّسِعَ، والجمعُ المزادُ[٣].

وقولها: (أَيْهاهْ) بمعنى: هيهاتَ؛ أي: بَعُدَ[٤]، ويفسِّره قولُها: (لا ماءَ لكم) أي: لا ماءَ حاضرٌ ولا قريبٌ.

ومعنى (مُؤْتِمَةٌ) بضمِّ الميم: ذاتُ أيتامٍ.

وقوله: (فأمرَ براويتِها فأُنيختْ) الرَّاويةُ عند العرب: الجملُ الذي يَحملُ الماء، ثمَّ استُعيرت للمزادة.

وقوله: (فمَجَّ) أي: زرقَ الماءَ بالفم[٥].

---

(١) انظر: «إكمال المعلم بفوائد مسلم» للقاضي عياض (٢/ ٦٧٨).

(٢) انظر: «شرح النووي على مسلم» (٥/ ١٩١).

(٣) انظر: «الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية» للجوهري (٢/ ٤٨٢).

(٤) انظر: «إكمال المعلم بفوائد مسلم» للقاضي عياض (٢/ ٦٧٩).

(٥) انظر: «شرح النووي على مسلم» (٥/ ١٩١).

والعَزلاء ـ بالمدِّ ـ: هو المثقبُ لأسفل المزادة التي يُفرَغُ منه الماءُ، ويُطلَقُ على فمها[(١)] الأعلى أيضًا.

وقوله: (**وغسَّلنا صاحبَنا**) أي: أعطيناه ماءً اغتسل به.

وقوله: (**تَنْضَرج**) بفتح التَّاء وإسكان النُّون وفتح الضَّاد المعجمةِ وبالجيم، وروي بتاءٍ أخرى بدلَ النُّون[(٢)]، ومعناه: تنشقُّ.

وقوله: (**لم نَرْزأْ مِن مائكِ**) بنونٍ مفتوحةٍ ثم راءٍ ساكنةٍ ثمَّ زايٍ ثمَّ همزةٍ؛ أي: لم نُنقِصْ منه شيئًا[(٣)].

وقولها: (**ذَيْتَ وذَيْتَ**) كنايةٌ عن الحديث، مثل: كَيْتَ[(٤)].

و(**الصِّرمُ**) بكسر الصَّاد المهملةِ: أبياتٌ مجتمعةٌ[(٥)].

وفيه: بيانُ جواز التيمُّم للجُنُب.

وفيه: أنَّ المتيمِّمَ عن الجنابةِ إذا أمكنه الماءُ اغتسلَ.

وفيه: بيانُ جوازِ بذلِ المالِ في مقابلةِ الماءِ عند الحاجةِ، وقدَّره الفقهاءُ بثمنِ المثلِ على سبيلِ الوجوبِ.

وفيه معجزةٌ ظاهرةٌ للنَّبيِّ عليه السَّلام.

---

(١) في (ن): «فيها».

(٢) انظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير (٣/ ٨١).

(٣) انظر: «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» للقاضي عياض (٢/ ٣٢١).

(٤) انظر: «الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية» للجوهري (١/ ٢٤٩).

(٥) انظر: «المعلم بفوائد مسلم» للمازري (١/ ٤٤٢).

١٨٣٢ـ (م): المسوَرُ بنُ مخرَمةَ رضي الله عنه: «ارجعْ إلى ثوبِكَ فخُذهُ، ولا تَمشوا عُراةً». [م: ٣٤١]

قالهُ لهُ.

* قـال: أقبلتُ بحجَرٍ أحملُهُ ثقيلٍ، وعليَّ إزارٌ خفيفٌ، فانحلَّ إزاري ومعي الحجرُ، فلم أستطعْ أنْ أضعَه حتى بلغتُ به إلى موضعه، فقال رسولُ الله ﷺ: «**ارجعْ إلى ثوبِك...**» إلى آخرِه.

فيه: وجوبُ السَّترِ، والنَّهي عن التَّعرِّي نهيَ تحريمٍ.

١٨٣٣ـ (م): عُمرُ رضي الله عنه: «ارجعْ فأحسِنْ وضوءكَ». [م: ٢٤٣]

قالهُ لرجُلٍ توضَّأ، فتركَ موضعَ ظُفْرٍ على قدمِهِ، فرجعَ فتوضَّأ، ثمَّ صلَّى.

* فيه: تعليمُ الجاهلِ، والرِّفقُ به.

وفيه: أنَّ تَركَ جُزءٍ يسيرٍ ممَّا يجبُ تطهيرُه يُبطِلُ الطَّهارةَ.

وفيه: أنَّ الواجبَ في الرِّجلينِ الغسلُ دونَ المسحِ.

وفيه: أنَّ الموالاةَ في الوضوءِ واجبةٌ؛ لقوله: **(فأحسِنْ وضُوءكَ)** قاله القاضي[(١)]، ورُدَّ: بأنَّه يحتملُ أنْ يكونَ المرادُ التَّتمِيمَ، وأن يكونَ الاستئنافَ، وليس أحدُهما أولى بالحملِ عليه من الآخرِ.

وأُجِيبَ: بأنَّ المرادَ به الاستئنافُ، كما جاء تفسيرُه في «سنن أبي داودَ»، وهو ما رويَ: أنَّ النَّبيَّ ﷺ أمرَ بإعادةِ الوضوءِ[(٢)]، وهذا نصٌّ في وجوبِ الموالاةِ.

---

(١) انظر: «إكمال المعلم بفوائد مسلم» للقاضي عياض (٢/ ٤٠).

(٢) رواه أبو داود (١٧٣) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

والجوابُ: أنَّه خبرُ واحدٍ، فلا يُعارِضُ إطلاقَ الكتابِ؛ فإنَّ قولَه تعالى: ﴿فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ﴾ الآيةَ [المائدة: ٦] مُطلَقٌ عن قيدِ الموالاةِ، فلا يُزادُ عليه بخبرِ الواحدِ، وموضعُه أصولُ الفقهِ لأصحابِنا.

١٨٣٤ـ (ق): ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنه: «ارجعْ فحُجَّ معَ امرأتِكَ». [خ: ٢٨٤٤] [م: ١٣٤١]

قالهُ لرجُلٍ قالَ: إنِّي كُتِبتُ. ويُروى: اكْتُتِبتُ في غزوةِ كذا وكذا، وامرأتي حاجَّةٌ.

* قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يخطُبُ يقول: «**لا يخلوَنَّ رجلٌ بامرأةٍ إلا ومعها ذو رحِمٍ، ولا تُسافرُ المرأةُ إلَّا مع ذي محرَمٍ**»، فقام رجلٌ فقال: يا رسولَ اللهِ؛ إنَّ امرأتي خرجَت حاجَّةً، وإنِّي اكتُتِبتُ في غزوةِ كذا وكذا، فقال: «**انطلِقْ فحُجَّ مع امرأتِك**».

قيل: قوله: (**إلَّا ومعها ذو رحِمٍ**) استثناءٌ منقطعٌ؛ لأنَّه متى كان معها محرَمٌ فلا خلوةَ[١]، وفيه نظرٌ؛ لأنَّ تقديرَه: لا يخلوَنَّ رجلٌ بامرأةٍ في حالٍ من الأحوال، إنْ كان الواوُ للحالِ، كما هو مذهبُ صاحبِ «المفتاح»[٢]، أو على صفةٍ من الصِّفات، كما هو مذهبُ صاحبِ «الكشَّاف»؛ فإنَّه يجعلُ الواوَ لتأكيدِ لصوقِ الصِّفةِ بالموصوفِ[٣]؛ كما في قولِه تعالى: ﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ﴾ [الحجر: ٤]، فكانَ استثناءً[٤] من عمومِ الأحوالِ، أو عمومِ الصِّفةِ في الصَّدرِ، والمستثنى داخلٌ في

---

(١) انظر: «شرح النووي على مسلم» (٩/ ١٠٩).

(٢) انظر: «مفتاح العلوم» للسكاكي (ص: ٢٥١).

(٣) انظر: «الكشاف» للزمخشري (٢/ ٥٧٠).

(٤) في (ن): «فكأنه استثنى».

المستثنى منه، فكيف يكونُ منقطعًا؟ نَعمْ، أطلقَ الخلوةَ على ما إذا كان معها محرَمٌ بطريق المشاكلةِ.

قيل: وهذا إذا لم يكنْ ثمَّةَ ضرورةٌ، أمَّا إذا كانت مثلَ أنْ يجدَ الرَّجلُ امرأةً أجنبيةً منقطعةً في برِّيَّةٍ، فيُباحُ له استصحابُها، بل يلزمُه ذلك إذا خافَ عليها الهلاكَ إنْ تركَها(١).

وقوله: (**إنَّ امرَأَتِي خرجَتْ حاجَّةً...**) إلى آخرِه، من بابِ تقديمِ الأهمِّ؛ فإنَّه لمَّا تعارضَ سفرُه في الغزوِ وفي الحجِّ معها رجَّحَ الحجَّ؛ لأنَّ الغزوَ يقومُ فيه عنه غيرُه، بخلافِ الحجِّ معها.

وفيه: أنَّ الزَّوجَ أحقُّ بالمسافرةِ معها من ذي الرَّحمِ، ألا يُرى لم يسألْه: هل لها محرَمٌ أو لا؛ لأنَّ الزوجَ يطَّلعُ من الزَّوجةِ على ما لا يطَّلعُ منها المحرَمُ عليها، فكانَ أولى بالخروجِ معها.

١٨٣٥ـ (ق): أبو هُريرةَ رضي الله عنه: «ارجِعْ فصلِّ، فإنَّكَ لم تُصلِّ».
[خ: ٧٢٤] [م: ٣٩٧]

* قال: إنَّ رسولَ الله ﷺ دخل المسجدَ، فدخلَ رجلٌ فصلَّى، ثمَّ جاء فسلَّمَ على رسولِ اللهِ ﷺ، وردَّ رسولُ الله ﷺ، ثمَّ قال: «**ارجعْ فصلِّ، فإنَّكَ لم تُصلِّ**»، فرجع الرَّجلُ، فصلَّى كما صلَّى، ثمَّ جاءَ إلى النَّبيِّ عليه السَّلام، فسلَّم عليه، فقال رسولُ الله ﷺ: «**وعليك السَّلام**»، ثمَّ قال: «**ارجعْ فصلِّ؛ فإنَّك لم تُصلِّ**»، حتى فعل ذلك ثلاثَ مرَّاتٍ، فقال الرَّجلُ: والذي بعثكَ بالحقِّ؛ ما أُحسنُ غيرَ هذا، فعلِّمني،

(١) انظر: «المجموع شرح المهذب» للنووي (٤/ ٢٧٩).

فقال: «**إذا قمْتَ إلى الصَّلاةِ فكبِّرْ، ثمَّ اقرأْ ما تيسَّرَ معكَ مِن القرآنِ، ثمَّ اركَعْ حتَّى تطمَئنَّ راكعًا، ثمَّ ارفَعْ[1] حتَّى تعتدِلَ قائمًا، ثم اسجدْ حتى تطمئنَّ ساجدًا، ثم ارفعْ حتى تطمئنَّ جالسًا، ثم افعلْ ذلك في الصَّلاة كلِّها**».

استدَلَّ الفقهاءُ بهذا الحديثِ على وجوبِ ما ذُكِرَ فيه في الصَّلاةِ، وعلى عدمِ وجوبِ ما لم يَذكرْه فيه فيها، فأمَّا وجوبُ ما ذُكِرَ فيه؛ فلتعلُّقِ الأمرِ به، وأمَّا عدمُ وجوبِ ما لم يُذكَرْ فيه؛ فلأنَّ الموضعَ موضعُ التَّعليمِ وتعريفِ واجباتِ الصَّلاة، قالوا: وذلك يقتضِي انحصارَ الواجباتِ فيما ذُكِرَ؛ لئلَّا يلزمَ تأخيرُ البيان عن وقت الحاجة؛ فإنَّه لا يجوزُ.

وتفصيلُ ذلك: أنَّه قالَ: «**فكبِّرْ**»، فيكون التَّكبيرُ واجبًا، وقالوا: هو حُجَّةٌ في جوازِ: اللهُ الأعظمُ، أو الأجلُّ، على أبي حنيفةَ وأصحابِه[2]، ورُدَّ: بأنَّهم ألحقُوهما ونحوَهما بالتَّكبيرِ، بدَلالةِ النَّصِّ.

وقوله: (**ثمَّ اقرأْ ما تيَسَّرَ معكَ منَ القرآنِ**) دليلٌ على وجوبِ القراءةِ في الصَّلاة، وهو حُجَّةٌ على مَنْ أوجبَ الفاتحةَ بعينها.

وقوله: (**ثمَّ اركَعْ حتَّى تطمَئِنَّ**) دليلٌ على وجوبِ الرُّكوعِ والطُّمأنينةِ في الصَّلاة.

وقوله: (**ثمَّ ارفَعْ حتَّى تعتَدِلَ قَائِمًا**) يدلُّ على أنَّ تعديلَ الأركانِ فيها واجبٌ.

وقوله: (**ثمَّ اسجُدْ**) يدلُّ على وجوبِ السُّجودِ فيها.

هذا ما ذُكِرَ في الحديثِ، واستدلُّوا على عدمِ وجوبِ دعاءِ الاستفتاحِ؛ لأنَّه لم يُذكَرْ فيه.

---

(١) في (م): زيادة «رأسك».

(٢) انظر: «بدائع الصنائع» للكاساني (١/ ١٣٠).

واستدلَّ بعضُ المالكيَّةِ على عدمِ وجوبِ التَّشهُّدِ لذلك[١].

واستدلَّ بعضُ الحنفيَّةِ على عدمِ وجوبِ السَّلام لذلك[٢]، وقد كثُرَ كلامُ الفقهاءِ فيه باعتبارِ أنَّ بعضَهم اعتقدَ فرضيَّةَ ما ليس بمذكورٍ فيه، فيحتاجُ أنْ يتكلَّمَ بالغَثِّ والسَّمينِ؛ تمشيةً لما ارتكبَه.

والحقُّ أنَّ هذا خبرُ واحدٍ، فلا يفيدُ فرضيَّةَ شيءٍ أصلًا، ألا يُرى أنَّ السَّجدةَ الثَّانية غيرُ مذكورةٍ فيه، وهو فرضٌ بالإجماعِ، وأنَّ التَّكبيرَ مذكورٌ فيه؟ وقد قال في الأخير: «**وافعلْ ذلكَ في الصَّلاةِ كلِّها**»، وهو ليسَ بفرضٍ في الرَّكعة الثانيةِ بلا خلافٍ.

١٨٣٦ ـ (ق): عائشةُ رضي الله عنها: «أرْضِعيهِ تحرُمِي عليهِ، ويذهَبِ الَّذي في نَفسِ أَبِي حُذيفَةَ». [م: ١٤٥٣][٣]

قالهُ لسَهْلةَ بنتِ سُهيلِ بنِ عَمرٍو حين قالتْ: يا رسولَ اللهِ؛ إنِّي أرى في وجهِ أبي حذيفَةَ مِن دخول سالمٍ، فَقال: أرضِعيهِ، قالَت: وكيفَ أرضعُهُ وهو رجلٌ كبيرٌ؟ فتبسَّمَ رسولُ اللهِ ﷺ وقالَ: قد علمْتُ أنَّهُ رجلٌ كبيرٌ.

* وقد تقدَّم الكلامُ عليه في الباب الثاني في قوله عليه السلام[٤]: «إنَّما الرَّضاعةُ مِن المجاعَةِ».

---

(١) انظر: «الذخيرة» للقرافي (٢/ ٢١٣).

(٢) انظر: «العدة في شرح العمدة في أحاديث الأحكام» لابن العطار (١/ ٥٠٠).

(٣) قلت: الحديث تفرَّد به مسلم.

(٤) تقدم برقم: (٤٩٨).

١٨٣٧ـ (م): أبو هُريرَةَ رضي الله عنه: «اركَبْ أيُّها الشَّيخُ؛ فإنَّ اللهَ غنيٌّ عنكَ وعن نذرِكَ». [م: ١٦٤٣]

* وقد تقدَّم أيضًا الكلامُ عليه في البابِ الثاني في قوله عليه السلام(١): «إنَّ اللهَ عن تَعذِيبِ هذَا نفسَه لغنيٌّ».

١٨٣٨ـ (م): جابرٌ رضي الله عنه: «اركبها بالمعروفِ إذا أُلجئتَ إليها حتَّى تجدَ ظَهْرًا». [م: ١٣٢٤]

يعني: البَدَنةَ.

قالهُ حينَ سئلَ عن ركوبِ الهَديِ.

* معناه ظاهرٌ، وفيه دليلٌ على جوازِ ركوبِ الهديِ للمضْطرِّ إليه من غير نقصانٍ، فإنْ نقصَ ضَمِنَ النُّقصانَ، وهو مذهبُ أبي حنيفةَ وأصحابِهِ(٢).

١٨٣٩ـ (ق): أمُّ سَلمةَ رضي الله عنها: «استَرْقوا لها؛ فإنَّ بها النَّظرةَ». [خ: ٥٤٠٧] [م: ٢١٩٧]

قالهُ حينَ رأى جاريةً في بيتِ أمِّ سلمةَ في وجهِها سَفْعَةٌ.

* السَّفْعَةُ: بسينٍ مهملةٍ وفاءٍ ساكنةٍ، وقد فسَّرها بالصُّفرةِ، وقيل: هي سوادٌ، وقيل: هي لونٌ مخالفٌ يخالفُ لونَ الوجه، وقيل: أخذةٌ من الشيطان(٣).

---

(١) تقدم برقم: (٢٦٦).

(٢) انظر: «بدائع الصنائع» للكاساني (٢/ ٢٢٥).

(٣) انظر: «شرح النووي على مسلم» (١٤/ ١٨٥).

وأمَّا (النَّظرةَ) فهي العينُ، وقيل: المسُّ؛ أي: مسُّ الشيطان.

وفيه دليلٌ على جوازِ الاسترقاءِ، وعليه عامَّةُ العلماء، وكرهَه بعضُ النَّاس محتجًّا بما روي أنَّه عليه السَّلام قال: «يدخلُ مِن أمَّتي الجنَّةَ سبعونَ ألفًا بغيرِ حسَابٍ»، فسُئل عنهم، فقال: «هم الَّذين لا يكتوونَ ولا يرقونَ ولا يستَرْقون» الحديث.

ورُدَّ: بأنَّ المرادَ الرُّقى التي لا يُعرفُ معناها، أو تكون من رُقى الكفَّارِ، فإنَّها مكروهةٌ؛ لاحتمال أنْ يكونَ فيها شركٌ أو كلامٌ مكروهٌ.

وأمَّا الرُّقى من القرآنِ والأذكارِ المعروفة فهي حسنةٌ، وقد نقلوا الإجماعَ على جوازِ ذلك(١).

وقيل: الأخبارُ الواردة في النَّهي عن الرُّقى التي ليس فيها شركٌ منسُوخةٌ بما روي أنَّه كان عند عَمرو بنِ حزمٍ رُقيةٌ يرقونَ بها عن العقرب، فأتَوا النَّبيَّ ﷺ، فعرَضُوا عليه وقالوا: إنَّك نهيتَ عن الرُّقى، فقال: «ما أرى به بأسًا، مَنِ استطاعَ منكُم أنْ ينفعَ أخاهُ فليفعَلْ»(٢).

١٨٤٠ـ (م): جابرٌ رضي الله عنه: «استكثِروا مِن النِّعالِ؛ فإنَّ الرَّجلَ لا يَزالُ راكِبًا ما انتَعَلَ». [م: ٢٠٩٦]

* الأمرُ ههنا للإرشادِ إلى المصلحةِ على وجهٍ بليغٍ، وذلك لأنَّه قال: «**فإنَّ الرَّجلَ لا يَزالُ راكِبًا**»، ومعناه: شبيهٌ بالرَّاكبِ؛ يعني: في تحصيلِ مآربه، وذلك لأنَّ

(١) انظر: «الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري» للكرماني (١٠/ ١١٠).

(٢) رواه مسلم (٢١٩٩) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

الحافيَ المُديمَ للمشي يحصلُ له من التَّعبِ والمشقَّة ما يمنعه عن الوصولِ إلى مقصودِه، بخلاف المنتعلِ، فإنَّه ليس مثلَ ذلك، فيدومُ مشيُه، ويصلُ إلى مقصودِه كالرَّاكبِ.

وفيه: التَّأهُّبُ باستصحابِ ما يحتاجُ إليه المسافرُ في سفرِه.

وفيه: استحبابُ وصيةِ الأميرِ أصحابَه بذلك.

١٨٤١ـ (ق): أبو هُريرَةَ رضي الله عنه: «استَوصُوا بالنِّساءِ؛ فإنَّ المرأةَ خُلِقَتْ مِن ضِلَعٍ، وإنَّ أعوَجَ ما في الضِّلعِ أعلاهُ، فإنْ ذهبْتَ تُقيمُهُ كسَرتَهُ، وإن تركتَهُ لم يزلْ أعوَجَ، فاستَوصُوا بالنِّساءِ». [خ: ٣١٥٣] [م: ١٤٦٦]

* معناه: أوصيكُم بهنَّ خيرًا، فاقبلوا وصيَّتي فيهنَّ.

والضِّلَعُ ـ بكسر الضَّادِ وفتح اللَّام ـ: واحدةُ الأضلاعِ، وقد ثبتَ أنَّ حوَّاءَ استُخرِجتْ من ضلعِ آدمَ عليه السَّلام، فأشارَ ﷺ بذلك إلى أنَّ المرأةَ خُلِقتْ خَلقًا فيه اعوجاجٌ لا يستطيعُ أحدٌ من خَلقِ الله أنْ يُقيمَه ويُغيِّره عمَّا جُبِلَتْ عليه، فلا يتهيأُ الانتفاعُ بها إلَّا بمداراتِها والصَّبرِ على عِوَجِها، ومَن أرادَ تقويمَها كسَرَها، قيل: كسرُها طلاقُها.

١٨٤٢ـ (ق): أبو هُريرةَ رضي الله عنه: «أسرِعوا بالجنازَةِ، فإنْ كانَتْ صالِحةً قرَّبتُموها إلى الخيرِ، وإنْ كانَتْ غيرَ ذلكَ كان شرًّا تضعونَهُ عن رقابِكُم».

[خ: ١٢٥٢] [م: ٩٤٤]

* معناه ظاهرٌ، وفيه: وجوبُ الإسراعِ، أو استحبابُه إذا حُمِلَت على أرقابِ الرِّجالِ، لكنْ لا على وجه يخاف انفجارها أو نحوِه، قال الفقهاءُ: وأسرعُوا بها دونَ الخببِ.

ومعنى قوله: (فشَرٌّ[1] تضَعُونَه عَن رِقابِكُم) أنَّها بعيدةٌ عن الرَّحمةِ، فلا مصلحَةَ لكم في مُصاحبَتِها.

ويؤخذُ منه تركُ صحبةِ البطَّالةِ والفُسَّاقِ ممَّن لا خيرَ في صحبتِهم.

١٨٤٣ـ (ق): الزُّبيرُ رضي الله عنه: «اسقِ يا زبيرُ، ثمَّ أرسِلِ الماءَ إلى جارِكَ». [خ: ٢٢٣١] [م: ٢٣٥٧]

* وقد تقدَّم الكلامُ عليه في الباب الخامس في قوله عليه السَّلام[2]: «يا زبيرُ، اسقِ».

١٨٤٤ـ (م): أبو هُريرةَ رضي الله عنه: «اسكُنْ حِراءُ، فما عليكَ إلَّا نبيٌّ، أو صدِّيقٌ، أو شهيدٌ». [م: ٢٤١٧]

وعليه النَّبيُّ ﷺ، وأبو بكرٍ، وعُمرُ، وعثمانُ، وطلحةُ، والزُّبيرُ، وسعدُ بنُ أبي وقَّاصٍ.

ويُروى: «اهدَأْ» وعليهِ أبو بكرٍ وعُمر وعثمانُ وعليٌّ وطلحةُ والزُّبيرُ رضي الله عنهم[3].

---

(١) في (ك): «كان شرًّا».

(٢) تقدم برقم: (٩٩٩).

(٣) رواه كذلك مسلم (٢٤١٧).

* الأمرُ كما قال: فإنَّ أبا بكرٍ هو الصِّديقُ لا ينازِعُه فيه غيرُه، وأمَّا الباقون فإنَّهم قُتلوا ظُلمًا سوى سعدٍ؛ فإنَّه مات حتْفَ أنفه، ولم يُذكَرْ في الرِّواية الثَّانيةِ.

وقد تقدَّم الكلامُ عليه في هذا البابِ في قوله عليه السلام[1]: «اثبُتْ أُحُدُ».

١٨٤٥ـ (م): أبو هُريرةَ رضي الله عنه: «اسمَعوا إلى ما يقولُ سيِّدُكم، إنَّه لَغيورٌ، وأنا أغيَرُ منهُ، واللهُ أغيَرُ منِّي». [م: ١٤٩٨]

يعني بسيِّدِكُم: سعدَ بنَ عبادةَ.

* قال: إنَّ سعدَ بنَ عبادةَ الأنصاريَّ قال: يا رسولَ الله، إنْ وجدتُ مع امرأتي رجلًا، أُمهِلُه حتى آتيَ بأربعةِ شهداءَ؟ قال: «**نعمْ**»، قال: كلَّا والذي بعثَك بالحقِّ؛ إنْ[2] كنتُ لَأعاجِلُه[3] بالسَّيف قبلَ ذلك، قال رسولُ الله ﷺ: «**اسمعوا...**» إلى آخرِه.

قوله: (**كلَّا والَّذي بعثَكَ...**) إلى آخره، ليس بردٍّ لقول النَّبيِّ عليه السَّلام، وإنَّما معناه الإخبارُ عن حاله في تلكَ الحالةِ؛ لاستيلاء الغضبِ عليه؛ فإنَّه يعالجُه[4] بالسَّيفِ وإنْ كان مؤاخَذًا به.

والسَّيِّدُ: رئيسُ القوم. قيل: **والغَيرةُ**: هيَجانٌ وانزعاجٌ يجدُه الإنسانُ من نفسِه يحملُه على منعِ الحريم من الفواحشِ ومقدِّماتها، واللهُ تعالى منزَّهٌ عن الهيجان؛ لكونه تغيُّرًا، وهو من أماراتِ الحدوثِ، فإذا أُطلِقَ الغيرةُ على الله تعالى يُرادُ بها

---

(١) تقدم برقم: (١٨١٤).

(٢) في (ن): «بالحق نبيًّا إني»، وفي (ص) و(م): «بالحق نبيًّا إن».

(٣) في (ص): «لأعالجه» وفي هامش (ص): في نسخة: «لأعاجله».

(٤) في (ص): «يعاجله»، وفي هامش (ص): في نسخة: «يعالجه».

المنعُ من الإقدامِ على الفواحشِ بما توعَّد عليها من العقابِ والذَّمِّ(١)، ولا شكَّ أَنَّها صفةُ كمالٍ، ولهذا أخبرَ النَّبيُّ عليه السَّلام عن ثُبوتها لسعدٍ ولنفسِه عليه السَّلام ولربِّه فقال: «**إنَّ سعدًا لغيورٌ**(٢)...» إلى آخره.

١٨٤٦ـ (م): وائلُ بنُ حجَرٍ رضي الله عنه: «اسمعُوا وأطيعُوا، فإنَّما عليهِم ما حُمِّلوا، وعليكُم ما حُمِّلتُم». [م: ١٨٤٦]

قالهُ لسلمَةَ بنِ يزيدَ الجُعْفيِّ.

* قال: سأل سلمةُ بنُ يزيدَ الجُعفيُّ رضي الله عنه رسولَ الله ﷺ فقال: يا رسولَ الله؛ أرأيتَ إنْ قامت علينا أمراءُ يسألونا حقَّهُم ويمنعُونا حقَّنا، فما تأمرُنا؟ فأعرضَ عنه، ثمَّ سألَه فأعرضَ عنه، ثمَّ سألَه(٣) في الثَّانيةِ أو الثَّالثة، فجذبَه الأشعثُ بنُ قيسٍ فقال: «**اسمَعُوا وأطيعُوا...**» إلى آخره.

وفيه: وجوبُ السَّمع والطَّاعة للأمراء ـ أي: الخلفاء ـ وإنْ ظلمُوا ومنعُوا الحقوقَ، ولا يجوزُ الخروجُ على الأئمَّةِ وإنْ جاروا.

وقوله: (**فإنَّما عليهِم ما حمِّلوا**) أي: ما حمَّلَهم اللهُ تعالى من العدلِ في رعيَّتِهم، فإذا أدَّوا ذلك فقد خرَجُوا عن عُهدَةِ تكليفِهم.

(**وعليكم ما حُمِّلتُم**) أي: ما كُلِّفتُم من التَّلقِّي بالقَبولِ، فإنْ عصَوا اللهَ في منعِ حقوقِكُم فلا تعصُوا اللهَ أنتم وقومُوا بحقوقِكُم، فإنَّ اللهَ مُجازٍ كلَّ أحدٍ منكم بما فعلَ.

---

(١) انظر: «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» لأبي العباس القرطبي (٤/ ٣٠٤).

(٢) في (ن): «غيورًا» وفي (م) و(ب): «غيور».

(٣) في (ب) زيادة: «فأعرض عنه ثم سأله».

١٨٤٧ـ (ق): أمُّ الحُصَين رضي الله عنها: «اسمَعُوا وأطيعُوا، وإنِ استُعمِلَ عليكُم عبدٌ حبشِيٌّ كأنَّ رأسَهُ زبيبَةٌ». [م: ١٨٣٨](١)

* وقد تقدَّمَ الكلامُ عليه في الباب السَّادس في قوله عليه السَّلام(٢): «إنْ أُمِّرَ عليكُم عبدٌ حَبشِيٌّ مجدَّعٌ فاسمَعُوا».

١٨٤٨ـ (ق): عائشةُ رضي الله عنها: «اشترِيهَا وأعتِقِيهَا، فإنَّما الوَلاءُ لمَن أعتَقَ». [خ: ٢٤٢١] [م: ١٥٠٤]

* وقد تقدَّم الكلامُ عليه في الباب السَّابعِ في قوله عليه السَّلام(٣): «الولاءُ لمَن أعتَقَ».

١٨٤٩ـ (ق): أبو موسى رضي الله عنه: «اشرَبا منهُ وأفرِغا على وجوهِكما ونُحورِكما وأبشِرا». [خ: ١٨٥] [م: ٢٤٩٧]

يعني: ممَّا اجتمعَ مِن وَضوئِهِ بعدَما مجَّ فيهِ.

قالهُ لأبي موسى وبلالٍ.

* وقد تقدَّمَ الكلامُ عليه في الباب الثاني في قوله عليه السَّلام(٤): «إنَّ هذا قد رَدَّ البُشرَى».

---

(١) قلت: الحديث تفرَّد به مسلم، ورواه البخاريُّ (٦٧٢٣) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) تقدم برقم: (١١٦٠).

(٣) تقدم برقم: (١٣٥١).

(٤) تقدم برقم: (٤٠٧).

١٨٥٠ـ (خ): أبو موسى رضي الله عنه: «اشفَعُوا تُؤجَروا». [خ: ١٣٦٥]

* **(تؤجَروا)** مجزومٌ بجواب الأمرِ، ولا بُدَّ فيه من السَّببيَّة، ولهذا يُقدَّر فيه الشَّرط، وذلك لا يتحقَّقُ في الشَّفاعة في الحدودِ، فلا يتناولُها الحديث، فبقيَ الشفاعةُ لأربابِ الحوائجِ المباحة؛ كدفعِ ظلمٍ، أو تخليصِ[١] عطاءٍ وأمثالهما، وكذا في العفوِ عن ذنبٍ ليس فيه حدٌّ إذا لم يكن المذنبُ مُصرًّا، فإنْ كان مُصرًّا فلا يجوزُ حتى يرتدعَ عن الذَّنبِ والإصرارِ، وفي بعض الرِّوايات: **«فلتُؤجَرُوا، وليَقْضِ اللهُ على لسَانِ نَبيِّه ما أحَبَّ»**[٢].

فقيل: اللَّام لامُ «كي»، والفاء زائدةٌ؛ أي: كي تؤجَروا.

وقيل: لامُ الأمرِ، ومعناه: التعرُّض للأجرِ بالاستشفاعِ، فكأنَّه قال: اشفَعُوا وتعرَّضُوا بذلك للأجرِ، وعلى هذا يجوز كسرُ اللَّام وإسكانُها لأجلِ حركةِ الحرفِ التي قبلَها[٣].

وقوله: **(وليقضِ اللهُ)** والرِّوايةُ بحذف الياء جزمًا، ولا يصحُّ أنْ تكونَ لامَ «كي»، ولا لامَ الأمر، فكأنَّ لفظَ الأمرِ وقعَ موقعَ الخبرِ، وأفادَ معناه.

١٨٥١ـ (ق): ابنُ عُمرَ وابنُ مسعودٍ رضي الله عنهما: «اشهَدوا اشهَدوا»، ويُروى: «اللَّهُمَّ اشهَدْ». [حديث ابن مسعود: خ: ٣٤٣٧، م: ٢٨٠٠] [حديث ابن عمر: م: ٢٨٠١][٤]

---

(١) في (ص): «تخصيص».

(٢) رواه البخاري (٦٠٢٨)، ومسلم (٢٦٢٧).

(٣) انظر: «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» لأبي العباس القرطبي (٦/ ٦٣٢).

(٤) قلت: حديث ابن عمر تفرَّد به مسلم، والرِّواية المشار إليها عند مسلم بنفس الرَّقم.

قالهُ عندَ انشقاقِ القمَرِ.

* عن ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه: بينا نحن مع رسولِ الله بمِنى إذ انفلقَ القمرُ فلقتَين، فكانت فِلقةٌ وراءَ الجبل، وفِلقةٌ دونَه، فقال لنا رسولُ الله ﷺ: «**اشهدوا**»، وقال البخاريُّ: «**اشهدوا اشهدوا**»، وفي روايةٍ: «**اللَّهُمَّ اشهَدْ**».

وعن أنسٍ رضي الله عنه: أنَّ أهلَ مكَّةَ سألوا رسولَ الله ﷺ أنْ يُريَهم آيةً، فأراهم انشقاقَ القمر[(١)].

وهذا الحديثُ رواه جماعةٌ كثيرةٌ من الصَّحابة؛ كعبدِ الله بنِ مسعودٍ[(٢)] وأنسٍ وابنِ عباسٍ[(٣)] وابنِ عمرَ[(٤)] وجُبير بنِ مُطعمٍ[(٥)] وغيرِهم.

وقد نُقِلَ إلينا وفاضت أنوارُه علينا بنقل الجمِّ الغفيرِ، وانضاف إلى ذلك القرآنُ المجيد قولُه تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ [القمر: ١ ـ ٢]، وذلك أنَّهم لمَّا رأوا هذه الآيةَ العظيمةَ قالوا: هذا سحرٌ، فقال بعضُهم: إنْ كان محمَّدٌ سحرَنا، فما بلغَ سحرُه إلى الآفاق، فابعثوا إلى أهل الآفاقِ[(٦)]، فبعثوا إلى آفاق مكَّةَ، وأخبروهم أنَّهم عاينوا ذلك، فقالوا: سحرٌ مستمرٌّ، وإذا كان كذلك فقد حصلَ العلمُ بذلك؛ لكون القرآن متواترًا.

وشكَّكَ الملاحدةُ فيه بوجهين[(٧)]:

---

(١) رواه البخاري (٣٦٣٧)، ومسلم (٢٨٠٢).

(٢) رواه مسلم (٢٨٠١).

(٣) رواه البخاري (٣٦٣٨)، ومسلم (٢٨٠٣).

(٤) رواه أبو داود الطيالسي في «مسنده» (٢٠٠٣).

(٥) رواه الترمذي (٥/ ٣٩٨).

(٦) «فابعثوا إلى أهل الآفاق»: ليست في (ن).

(٧) في (ص): «بوجهين». وفي (ع): «وجهين».

أحدهما: أنَّ الأحاديثَ لم تصلْ إلى حدِّ التَّواتر، والقرآنُ مؤوَّلٌ بتأويلاتٍ:

أحدها: أنَّ المعنى ينشقُّ في القيامةِ، وحُكيَ هذا عن الحسن البصريِّ[١].

وثانيها: أنَّ معنى ﴿انْشَقَّ﴾: تحقَّقَ الأمرُ ووقع.

وثالثها: انشقَّ الظَّلامُ عنه بطلوعِه.

والآخَر: أنَّ القواعدَ الحكميَّة الثَّابتةَ بالبراهينِ العقليَّةِ تُنافيهِ.

والجوابُ عن الأوَّلِ: أنَّ القدْرَ المشتركَ من الأحاديثِ متواترٌ سلَّمنَاه، ولكنَّ الآيَةَ لا نزاعَ في تواترِها، والتأويلاتُ المذكورةُ تحريفاتٌ، والمُعزى إلى الحسن البصريِّ غيرُ ثابتٍ، وهو من علماءِ الشريعةِ أجلُّ قدرًا من أنْ يصيرَ إلى خلافِ الحقيقَةِ لا لضرورةٍ، والباقيان هذَيان، لا يلتفتُ إليه؛ لإفضائه إلى أنْ لا يكونَ لقوله تعالى: ﴿وَإِن يَرَوْاْ ءَايَةً يُعْرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ [القمر: ٢] بما قبله تعلُّقٌ.

وعن الثَّاني: أنَّ الأصولَ الحكميَّةَ[٢] تقتضِي أنْ لا يكونَ محدَّدُ الجهات قابلًا للحركةِ المستقيمةِ، وإلَّا لكانت إلى جهةٍ، فتحتاج إلى محدِّدٍ لها، فما فرضناه محدَّدَ الجهات[٣] لا يكون كذلك، بل يكونُ ذا جهةٍ تحتاج إلى محدِّدٍ، هذا[٤] خُلفٌ باطلٌ.

وأمَّا ما عدا المحدَّدَ[٥] من الإبداعيات، فليسَ هذا البرهانُ فيه جاريًا؛ إذ لا يلزمُ بوجودِ الحركةِ المستقيمةِ فيه الخُلف، فيجوزُ عليه الحركةُ المستقيمة، فيجوز انشقاقُ القمر عقلًا، وقد انضمَّ إلى ذلك قولُ الصَّادقِ الأمين، فيجب قَبولُه واعتقادُ

---

(١) انظر: «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» لأبي العباس القرطبي (٧/ ٤٠٥).

(٢) في (ب): «بأن أصول الحكمة».

(٣) في (ب): «محددًا للجهات».

(٤) «فما فرضناه محدَّدُ الجهات لا يكون كذلك بل يكونُ ذا جهةٍ تحتاج إلى محدَّدٍ هذا» ليست في (م).

(٥) في (ب): «ما عد للحدة».

حقيقتِه[١]، اللَّهمَّ إنَّا نعوذُ بك من كيدِ الشَّيطان، ربَّنا آمنَّا بما أنزلت واتَّبعنا الرَّسولَ فاكتبْنا مع الشَّاهدين.

١٨٥٢ـ (خ): المسوَرُ بنُ مخرمَةَ ومروانُ بنُ الحكمِ رضي الله عنهما: «أشيروا أيُّها النَّاسُ عليَّ، أترَونَ أنْ أميْلَ إلى عيالِهم وذَراري هؤلاءِ الذين يريدونَ أنْ يصدُّونا عَن البيتِ، فإن يأتونا كانَ اللهُ قد قطَعَ عُنُقًا من المشركينَ، وإلَّا تركناهُم مَحرُوبِين». [خ: ٣٩٤٤]

* قالا: خرجَ النَّبيُّ عليه السَّلام عامَ الحُديبيَة في بضعَ عشْرةَ مئةً من أصحابِ النَّبيِّ عليه السَّلام، فلمَّا أتى ذا الحُلَيفةِ قلَّد الهَدْيَ وأشعرَهُ، وأحرَمَ منها بعُمرةٍ، وبعثَ عينًا له من خُزاعةَ، وسار النَّبيُّ عليه السَّلام حتى كان بغَديرِ الأشطاطِ[٢] أتاه عينُه، قال: إنَّ قريشًا جمعوا لك جموعًا، وقد جمعوا لك الأحابيشَ، وهم مقاتلوك وصادُّوك عن البيت ومانعوك، فقال: «**أشيروا أيُّها النَّاسُ...**» إلى آخره، فقال أبو بكرٍ: إنَّما جئنا معتمرين، ولم نجئْ لقتال أحدٍ، ولكنْ مَنْ حال بيننا وبينَ البيتِ قاتلناه، فقال النَّبيُّ عليه السَّلام: «**فرُوحُوا إذًا**».

قوله: (**أنْ أميْلَ إلى عيالِهم**) أي: نأتيَهم على غَفْلةٍ فنُصيبَهم.

و(**عُنُقًا مِن المشرِكِينَ**) أي: جماعةً منهم[٣]، وروي: «**عَينًا مِن المشرِكِينَ**»[٤]؛

(١) في (ص): «حقيته».

(٢) في (م): «الأسطاط».

(٣) انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (١/ ١٦٨).

(٤) هي رواية البخاري (٤١٧٨).

أي: جَنْبًا، والجَنْبُ: القطعةُ العظيمةُ من الشَّيء[١]، وقيل: يجوز أنْ يكونَ المرادُ بالعين الجاسُوسَ؛ أي: كفى اللهُ منهم من يرصُدُنا ويتجسَّسُ علينا أخبارَنا.

قوله: (**وإلَّا تركناهُم مَحروبين**) أي: مسلوبِين منهُوبينَ.

والحرَبُ ـ بفتح الرَّاء ـ: نهبُ مالِ الإنسانِ، وتركُه لا شيءَ له[٢].

والأحابيشُ: الجماعاتُ المجتمعة من قبائلَ شتَّى[٣]، وقد تقدَّم الكلامُ عليه في قوله عليه السَّلام في الباب الثَّاني[٤]: «إنَّا لم نجئْ لقتالِ أحدٍ».

١٨٥٣ ـ (م): أنسٌ رضي الله عنه: «اصنَعوا كلَّ شيءٍ إلَّا النِّكاحَ». [م: ٣٠٢]

يعني: بالحائضِ.

* قالت: كانت اليهودُ إذا حاضت المرأةُ فيهم لم يُؤاكلوها، ولم يجامعُوها في البيوتِ، فسألَ أصحابُ النَّبيِّ عليه السَّلام النبيَّ عن ذلك، فأنزل الله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ...﴾ الآيةَ [البقرة: ٢٢٢]، فقال رسولُ الله ﷺ: «**اصنَعوا كلَّ شيءٍ...**» إلى آخره.

فبلغَ اليهودَ ذلك فقالوا: ما يريد هذا الرَّجلُ أنْ يدعَ من أمرنا شيئًا إلا خالفَنا فيه، فجاء أُسَيدُ بنُ حُضَيرٍ وعبَّادُ بنُ بشيرٍ فقالا: يا رسولَ الله؛ إنَّ اليهودَ تقول كذا وكذا، أفلا نجامعُهُنَّ؟ فتغيَّرَ وجهُ رسولِ الله ﷺ حتى ظننَّا أنْ قد وجَدَ عليهما، فخرجا

---

(١) انظر: «تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم» لابن أبي نصر الحميدي (ص ٤٠١).

(٢) انظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير (١/ ٣٥٨).

(٣) انظر: «مقاييس اللغة» لابن فارس (٢/ ١٢٩).

(٤) تقدم برقم: (٤٤٩).

فاستقبلَهما هديةٌ من لبنٍ إلى رسول الله ﷺ، فأرسل في آثارِهما فسقاهما، فعرفا أنْ لم يجِدْ عليهما.

قوله: (**لم يجامعُوها في البُيوتِ**) أي: لم يخالطوهنَّ ولم يساكنوهنَّ في بيتٍ واحدٍ.

وقوله: (**فتغيَّر وجهُ رسولِ الله**) قيل: إنَّما كان ذلك ليبيِّنَ أنَّ الحاملَ على مشروعيةِ الأحكامِ إنَّما هو أمرُ الله ونهيُه، لا مخالفةُ أحدٍ ولا موافقتُه كما ظنَّا، ثمَّ لمَّا خرجا من عنده وهو عليه السَّلام على تلك الحالِ خاف عليهما أنْ يحزنا وتتكدَّرَ حالُهما، فاستدركَ ذلك، واستمالَهما، وأزالَ عنهما ما أصابَهما بأنْ أرسلَ إليهما فسقاهما اللَّبن؛ رأفةً ورحمةً منه لهما، مقتضى خُلُقِه الكريم ﷺ[1].

١٨٥٤ـ (ق): أنسٌ رضي الله عنه: «اعتدِلوا في سُجُودِكُم، ولا يبسُطَنَّ أحدُكُم ذراعَيهِ انبسَاطَ الكلْبِ». [خ: ٧٨٨] [م: ٤٩٣]

* **الاعتدالُ في السُّجودِ**: هو ما فسَّره عليه السَّلام بقوله: «**ولا يبسطنَّ أحدُكم...**» إلى آخره، ويشير إلى أنَّ التَّشبهَ بفعلِ الأشياء الخسيسَةِ مُخرِجٌ للصَّلاة عن الاعتدال، كما في الحديثِ الآخر: «وأن يقعيَ إقعاءَ الكلبِ»[2]، وكأنَّ سببَ النَّهي التَّهاونُ بأمرِ الصَّلاة ببسطِ الذِّراعين.

---

(١) انظر: «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» لأبي العباس القرطبي (١/ ٥٦١).

(٢) رواه أبو يعلى في «مسنده» (٣٦٢٤) من حديث أنس رضي الله عنه. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد» (١/ ٢٧٢): فيه محمد بن الحسن بن أبي يزيد، وهو ضعيف.

ورواه ابن ماجه (٨٩٥)، والبزار في «مسنده» (٣١٢٦) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه بلفظ: «يا علي لا تقع إقعاء الكلب».

١٨٥٥ـ (ق): أبــو هُريــرةَ رضــي الله عنه: «أعتِقِيهَــا؛ فإنَّها مِن وَلَد إســماعيلَ».
[خ: ٢٤٠٥] [م: ٢٥٢٥]

قالهُ لعائشةَ في سبيَّةٍ مِن بني تميمٍ.

* عن أبي زرعةَ قال: قال أبو هريرةَ رضي الله عنه: لا أزالُ أحبُّ بني تميمٍ من ثلاثٍ سمعتهنَّ من رسول الله ﷺ، سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**هم أشدُّ أمَّتي على الدَّجَّال**»، قال: وجاءتْ صدقاتُهم، فقال رسولُ الله ﷺ: «**هذِه صَدَقاتُ قَومِنا**»، قال: وكانت سَبيَّةٌ منهم عند عائشةَ، فقال النبيُّ عليه السلام: «**أعتِقِيهَا؛ فإنَّها مِن وَلَدِ إسماعيلَ**».

وذلك لأنَّ بني تميمٍ منسوبون إلى تميمِ بنِ مُرٍّ ـ بضمِّ الميم وتشديد الرَّاء ـ ابنِ أُدٍّ ـ بضم الهمزة وتشديد الدَّال المهملة ـ ابنِ طابِخَةَ ـ بكسر الباء الموحدة وبالخاء المعجمة ـ ابنِ إلياس، قيل: بكسر الهمزة، وقيل: هي الهمزةُ المصاحبةُ للام التَّعريف، وهو أوَّلُ من أهدى البُدنَ إلى البيت، ابنِ مُضرَ، ومضرُ من ولد إسماعيلَ عليه السَّلام.

وفي الحديث منقبةٌ عظيمةٌ لبني تميمٍ لا يشاركُهم فيها أحدٌ من القبائلِ.

وفيه: تصريحٌ بأنَّه لا ينقطع نسلُهم إلى يوم القيامة، وأنَّهم يتمسَّكون في ذلك[1] الوقت بالحقِّ، ويقاتلون عليه، وذلك إخبارٌ عن الغيبِ، فيكون معجزةً.

١٨٥٦ـ (خ): عوفُ بنُ مالكٍ الأشجعيُّ رضي الله عنه: «اعدُدْ ستًّا بينَ يدَي السَّاعةِ: مَوتي، ثمَّ فتحُ بيتِ المقدِسِ، ثمَّ مُوْتانٌ يأخُذُ فيكُم كقُعاصِ الغنمِ، ثمَّ

(١) في (ن): «في هذا».

استفاضَةُ المالِ حتَّى يُعطى الرَّجلُ مئةَ دينارٍ فيظَلُّ ساخطًا، ثمَّ فتنةٌ لا يبقى بيتٌ مِن العربِ إلَّا دخلَتْهُ، ثمَّ هدنَةٌ تكونُ بينكُم وبينَ بَني الأصفَرِ، فيغدِرونَ، فيأتونكُم تحتَ ثمانينَ غايَةً، تحتَ كلِّ غايَةٍ اثنا عشَرَ ألفًا». [خ: ٣٠٠٥]

* قال: أتيتُ النبيَّ عليه السَّلام في غزوة تبوكَ وهو في قُبَّةٍ من أَدَمٍ، فقال: «اعْدُدْ سِتًّا...» إلى آخرِه.

المُوتَان: بضمِّ الميم، لغةُ تميمٍ، وغيرهم يفتحونها، وهو اسمٌ للطَّاعون، وقيل: الموتُ الكثيرُ(١).

و(**قُعاصُ الغنمِ**) بضمِّ القاف وبالعينِ المهملةِ، قيل: داءٌ يأخذُ الغنمَ لا يُلبثُها أنْ تموتَ منه(٢). وقيل: هو الموتُ فجأةً(٣).

والغايةُ ـ بياءٍ مثنَّاةٍ تحت ـ: هي الرَّايةُ، سُمِّيتْ بذلك لسيرِها في الجوِّ(٤).

والغيايةُ: السَّحابةُ(٥)، وروي بالباء الموحَّدة، وهي الأجَمةُ، شبَّه اجتماعَ رماحِهم وكثرتَها بها(٦).

وقوله: (**تحتَ كلِّ غايةٍ اثنا عشرَ ألفًا**) جملته تسعُمئةِ ألفٍ وستونَ ألفًا.

---

(١) انظر: «مشارق الأنوار على صحاح الآثار» للقاضي عياض (١/ ٣٩٠).

(٢) انظر: «غريب الحديث» لأبي عبيد (٢/ ٨٦).

(٣) انظر: «جمهرة اللغة» لابن دريد (٢/ ٨٨٦).

(٤) انظر: «مطالع الأنوار على صحاح الآثار» لابن قرقول (٥/ ١٧٨).

(٥) انظر: «غريب الحديث» لأبي عبيد (١/ ٩٣).

(٦) انظر: «مشارق الأنوار على صحاح الآثار» للقاضي عياض (٢/ ١٤٣).

١٨٥٧ـ (ق): النُّعمان بنُ بشيرٍ رضي الله عنه: «اعدِلوا في أولادِكُمْ». [خ: ٢٤٤٧] [م: ١٦٢٣]

وروايةُ الإقليشيِّ: «بين أبنائِكُم».

* وقد تقدَّمَ الكلامُ عليه في الباب الثَّاني في قوله عليه السَّلام[(١)]: «إنِّي لا أشهدُ إلَّا على حقٍّ».

١٨٥٨ـ (م): عوفُ بنُ مالكٍ الأشجعيُّ رضي الله عنه: «اعرِضوا عليَّ رُقاكم، لا بأسَ بالرُّقى ما لم يكُن فيه شركٌ». [م: ٢٢٠٠]

* قال: كنَّا نرقي في الجاهليَّةِ، فقلنا: يا رسولَ الله، كيف ترى ذلك؟ فقال الحديثَ.

وقد تقدَّمَ الكلامُ عليه في هذا الباب قريبًا[(٢)].

١٨٥٩ـ (ق): زيدُ بنُ خالدٍ رضي الله عنه: «اعرِفْ عِفاصَها ووِكاءَها، ثمَّ عرِّفْها سنةً، فإنْ لم تُعرَفْ فاستنفِقْها، ولتكُنْ وديعةً عندكَ، فإنْ جاءَ طالِبُها يومًا مِن الدَّهرِ فأدِّها إليهِ». [خ: ٢٢٩٦] [م: ١٧٢٢]

يعني: لقطَةَ الذَّهبِ والفضَّةِ.

* وقد تقدَّمَ الكلامُ عليه في الباب الخامس في قوله عليه السَّلام[(٣)]: «ما لك ولها؟».

---

(١) تقدم برقم: (٤٢٦).

(٢) تقدم برقم: (١٨٣٩).

(٣) تقدم برقم: (٩٤٩).

١٨٦٠ـ (م): أبـو بـرزَةَ الأسـلميُّ رضـي الله عنـه: «اعـزِلِ الأذَى عـن طَريـقِ المسـلمينَ». [م: ٢٦١٨]

قالهُ لهُ حين قالَ: يا نبيَّ اللهِ؛ علِّمني شيئًا أنتفِعُ بهِ.

* **عزلُ الأذى عن الطَّريقِ يحتمل معنيين:**

أحدهما: أنْ يكونَ بمعنى إماطةِ الأذى، وهو ما يُؤذي المسلمين من حجرٍ أو مدرٍ أو شجرٍ أو قذرٍ أو غير ذلك، وهي شعبةٌ من شعبِ الإيمانِ، كما تقدَّم في الباب السَّابع في قوله عليه السَّلام[1]: «الإيمانُ بضعٌ وستُّونَ».

والآخر: أنْ لا يتعرَّضَ في طرق المسلمين بما يُؤذيهم، مثلَ: التَّخلِّي، وإلقاءِ الجيفةِ، وإحداثِ ما يعسُرُ المرورُ عليه، والأوَّلُ أظهرُ.

وفيه: التَّنبيهُ على فضيلةِ كلِّ ما ينفعُ المسلمين، أو يزيلُ عنهم ضررًا.

١٨٦١ـ (م): جابرٌ رضي الله عنه: «اعزِلْ عنها إنْ شئتَ؛ فإنَّه سيأتيها ما قُدِّرَ لها». [م: ١٤٣٩]

* عن جابر بنِ عبدِ الله: أنَّ رجلًا جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسولَ اللهِ؛ إنَّ لي جاريةً هي خادمتُنا وسانيتُنا، وأنا أطوفُ عليها، وأنا أكرهُ أنْ تحمِلَ، فقال: «**اعزِلْ...**» إلى آخره، فلبثَ الرَّجلُ ثمَّ أتاه، فقال: إنَّ الجاريةَ قد حملَتْ، فقال: «**قَد أخبرتُك أنَّه سيأتِيها ما قُدِّرَ لها**».

---

(١) تقدم برقم: (١٢٥٧).

وقد تقدَّم الكلامُ على العزلِ في الباب الخامس في قوله عليه السلام[١]: «ما عليكُم أنْ لا تفعلوا»، وفي قوله[٢]: «ما مِنْ نَسمةٍ هي كائنةٌ».

وقوله: (سانيَتُنا) أي: التي تستقِي لنا، شبَّهها بالبعيرِ في ذلك[٣]، وفي بعض النُّسخِ: «سايسَتُنا»[٤]، والسِّياسةُ: هي القيامُ على الشَّيءِ بما يُصلحه.

١٨٦٢ـ(خ): جُبيرُ بنُ مُطعِمٍ رضي الله عنه: «أعطُوني رِدائِي، فلو كانَ لي عدَدُ هذهِ العِضَاهِ نَعَمًا لَقَسَمتُهُ بينكُم، ثمَّ لا تجدُوني بخيلًا، ولا كذَّابًا، ولا جَبانًا». [خ: ٢٦٦٦]

قالهُ مقفَلَهُ من حُنينٍ.

* قال: بينما هو يسيرُ مع النَّبيِّ عليه السَّلام ومعه ناسٌ مَقْفَلَهُ من حُنينٍ، تعلَّقتِ الأعرابُ يسألونه حتى اضطرُّوه إلى سَمُرَةٍ، فخطفَتْ رداءَه، فوقف النَّبيُّ عليه السَّلام فقال: «**أَعطُوني ردَائِي، لو كانَ لي عدَدُ هذِه العِضاهِ نَعَمًا لقسَمْتُهُ بينكُم**...» إلى آخره.

قوله: (**مَقْفَلَه**) أي: مرجِعَه[٥]، وكان ذلك سنةَ ثمانٍ. **والسَّمُرَةُ**: واحدةُ السَّمُرِ، وهو ضربٌ من شجرِ الطَّلحِ[٦].

---

(١) تقدم برقم: (٨٩٩).

(٢) تقدم برقم: (٩٣٢).

(٣) انظر: «العين» للخليل الفراهيدي (٧/ ٣٠٢).

(٤) وهي رواية ابن الحذَّاء. انظر: «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» لأبي العباس القرطبي (٤/ ١٦٩).

(٥) انظر: «مطالع الأنوار على صحاح الآثار» لابن قرقول (٥/ ٣٩٢).

(٦) انظر: «العين» للخليل الفراهيدي (٧/ ٢٥٥).

و(**العِضاهُ**) شجرُ أمِّ غَيلان.

والنَّعَمُ: واحدُ الأنعام، وهو المالُ الذي يُرعى، وأكثرُ ما يقع هذا الاسم على الإبل خاصَّةً.

والبخلُ: قيل: هو الشُّحُّ، وقيل: البخيلُ هو من لا يُعطي شيئًا، والشَّحيحُ مَن يأخذُ مالَ غيره بغير حقٍّ. وقيل: الشُّحُّ أشدُّ من البُخلِ(١).

والجبانُ: الذي يفزَعُ في الحربِ ويضعُفُ، وذلك يؤدِّي إلى الفرار من الزَّحفِ، وذلك مذمومٌ كان يتعوَّذُ منه النَّبيُّ عليه السَّلام.

١٨٦٣ـ (م): عقبةُ بنُ عَمرٍو الأنصاريُّ رضي الله عنه: «اعلَمْ أبا مسعودٍ، اعْلَم أبا مسعودٍ، اعلَمْ أبا مسعودٍ أنَّ اللهَ أقدَرُ عليكَ منكَ على هذا الغلامِ، فقلتُ: يا رسولَ اللهِ؛ هو حرٌّ لوجهِ اللهِ، فقالَ: لو لم تفعَلْ للفحَتْكَ النَّارُ، أو لمسَّتْكَ النَّارُ». [م: ١٦٥٩]

* قال: كنتُ أضربُ غلامًا لي، فسمعتُ من خلفي صوتًا: «**اعلَمْ أبا مسعودٍ أنَّ اللهَ أقدَرُ...**» إلى آخره، فالتفَتُّ فإذا هو رسولُ الله، فقلت: هو حرٌّ لوجهِ الله... إلى آخره.

فيه: الحثُّ على الرِّفقِ بالمملوكِ، واستعمالِ العفو، وكظمِ الغيظِ.

وفيه دليلٌ على أنَّه كان تعدَّى عن المقدارِ المستحَقِّ؛ فإنَّ تأديبَ العبد بالضَّربِ والحبسِ وغيرِه جائزٌ بالمعروف على حسَبِ جنايتِه.

---

(١) انظر: «لسان العرب» لابن منظور (٢/ ٤٩٥).

١٨٦٤ـ (ق): أبو هُريرةَ رضي الله عنه: «اعلمُوا أنَّ الأرضَ للهِ ولرسُولِهِ، وإنِّي أريدُ أنْ أُجليَكُم، فمَن وجدَ منكُم بمالِهِ شيئًا فليبِعْهُ، وإلَّا فاعلمُوا أنَّما الأرضُ للهِ ولرسُولِهِ». [خ: ٢٩٩٦] [م: ١٧٦٥]

قالهُ لليهودِ.

* وقد تقدَّمَ الكلامُ عليه في الباب الخامسِ في قوله عليه السَّلام[١]: «يا معشرَ اليهودِ».

يُقال: «جَلا يجلو عن الوطن جلاءً»: إذا خرجَ مفارقًا، و«جلوتُه وأجليتُه»: إذا أخرجتَه، وكلاهما ـ أعني: جلا وأَجلى ـ لازمٌ ومُتعدٍّ[٢].

(١) تقدم برقم: (١٠٢٧).

(٢) انظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير (١/ ٢٩١).